

من تأليفات

العالم الرباني والحكيم الإلهي الفقيه الصمداني
وحيد العصر والزمن المولى الميرزا حسن الشهير بگوهر

طبع بأمر وإشراف

المرجع الديني الكبير آية الله المعظم
خادم الشريعة الغراء المولى الحاج ميرزا عبد الرسول الإحقاقي
دام ظله العالي

إعداد ومراجعة وتدقيق

لجنة السيد الأمجد لإحياء تراث مدرسة
الشيخ الأوحد الأحسائي والمشايخ العظام أعلى الله كلمتهم

الطبعة الثانية

لجنة النشر والتوزيع

جامع الإمام الصادق عليه السلام - دولة الكويت



الطبعة الثانية
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



ترجمة حال المصنف أعلى الله مقامه

هو شيخ الحكماء والمتألهين ، قدوة الفقهاء والمجتهدين ، قوام الملة والدين ، مرجع الفحول والأساطين ، أغلوطة الدهر والزمن ، العلامة الوحيد الأنور المولى الميرزا حسن الشهير بـ (گوهر) ، عطر الله تربته القدسية وأعلى رتبته السنية ، كان قدس سره عالما فاضلا حكيما محققا مدققا منطقيا فلاق للشعر والأدب ، أوحد أهل زمانه في الأصول والفقه والحكمة الإلهية وعلمي الحديث والتفسير وسائر العلوم الدينية والرياضية .

ولادته :

كان أصل ومولد هذا الرجل العظيم في قرية (أوشتبين) من مناطق (قره داغ) و (أرسباران) في (آذربيجان) وهو مسقط رأس جدنا الأمجد الآخوند الملا محمد سليم الأسكوئي .

أساتذته :

حضر في (النجف الأشرف) في درس الفحول والعلماء الكبار في ذلك العصر ومنهم :

١ - العالم الكبريائي الحكيم الرباني والفقيه الصمداني مفتاح علوم أهل البيت عليهم السلام الشيخ الأجل الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي أعلى الله درجاته العالية .

٢ - المولى الوحيد العالم الفريد شيخ العلماء والمجتهدين الشيخ موسى

بن الشيخ جعفر النجفي قدس الله سرهما الشريف .

٣ - العالم الرباني المؤيد بلطف الله الجلي المولى الشيخ علي الرشتي رضوان الله عليه .

٤ - علامة دهره وفهامة عصره الجامع للعلوم العقلية والنقلية المولى الأفخر السيد عبدالله شبر الكاظمي .

٥ - الشيخ العارف بلا مين ونادرة الكون والعين الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم البحراني .

٦ - السيد السند حجة الأكابر وسند الأعاظم المولى السيد كاظم الرشتي الحائري رفع الله أعلامه في جنات النعيم .

لقد كان كل واحد من هؤلاء الأجلاء أساطين التشيع ، وحيد زمانه ، من حيث العلم والتقوى والاجتهاد والمرجعية ، وقد أجازوا جميعا المرحوم إجازات مفصلة في علوم الرواية والدراية والمعقول والمنقول ، وخصوصا حكمة أهل بيت الرسول صلى الله عليهم أجمعين ، مما يثبت رفعة مقامه في علوم الدين والشريعة ، وأسرار سيد المرسلين ﷺ .

لقد كان رحمه الله في طليعة ناشري فضائل ومناقب أهل بيت النبوة عليهم السلام ، ومن حاملي أسرار الولاية ، وقد ضمن مؤلفاته القيمة حكمة أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم ، في مقابل أتباع الفلسفة اليونانية مما أحدث تحولا كبيرا في علمي الحكمة والفلسفة ، ووضع الخط الأحمر على بعض النظريات الكافرة لبعض المتفلسفين ، كمسألة (الوجود والماهية) و (وحدة الوجود والموجود) و (مسألة المعاد) من وجهة نظرهم ، وسائر المسائل الباطلة ، حيث عرض مقابل هذه الأوهام - كأساتذته الأجلاء - مباحث في الحكمة استقاها من المعين الصافي لآل محمد

عليهم السلام لتكون بديلا عن تلك النظريات المزخرفة ، وفي الواقع لقد وضع الحكمة القرآنية محل الفلسفة اليونانية ، وهذا الأمر واضح ومفصل في كتبه القيمة والمنقطعة النظير ككتاب (المخازن) و (اللمعات) ، وهذا الكتاب المستطاب (شرح حياة الأرواح) وسائر مؤلفاته الأخرى ، بحيث أن القارئ البصير والمدرك سيقف مبجلا هذا العالم النابغة الجليل القدر عند مروره على هذه المباحث العلمية اللطيفة والدقيقة ، أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه .

تلامذته :

كان للمرحوم حلقة دراسية عظيمة في (كربلاء المقدسة) بجوار حرم سيد الشهداء أرواحنا فداه ، وكان أكثر طالبي الفقه والدراية وعلم الحكمة والمعارف القرآنية السامية والولاية ، يجتمعون كل يوم في ذلك المجمع العلمي والروحي المنوّر حول مصباح هدايتهم وأستاذهم الجليل ، لينعموا بثمار شجرة العلم والتقوى والمحبة والولاية لذلك العالم الفريد ، وما أكثر الأساتذة العظماء والمبلغين لبقديرين ، والعلماء الأعلام الذين أرفدهم هذا المجلس المبارك للمجتمع الإسلامي عامة والشيعي خاصة ، وسنذكر بعضا من مشاهيرهم كنموذج وهم :

١ - الحكيم الإلهي والفيه الرباني وحيد عصره وسلمان زمانه جدنا الأعلى المرحوم المولى ميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي رضوان الله عليه .

٢ - جامع المعقول والمنقول وحاوي الفروع والأصول العالم المؤيد الإلهي المولى حسين بن علي الخسروشاهي رضوان الله عليه .

٣ - شيخ العلماء والمتألهين وزبدة الفقهاء الربانيين الشيخ أحمد بن الحسين الشهير ب (شكر النجفي)

٤ - الشيخ المؤيد والعالم المسدد الفقيه الحكيم السيخ علي بن رحيم الخوئي الحائري رحمة الله عليه .

٥ - شيخ الفقهاء والمجتهدين وعمدة الأعلام الربانيين المولى الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين الإحسائي قدس الله روحه الشريفة المتوفى سنة (١٣١٦ هـ . ق) .

وهؤلاء الأجلاء كانوا في عصرهم في أعلى درجات العلم والتقوى وكانوا شموعا وملاذا ومراجعا لشيعة أهل بيت العصمة عليهم السلام .

مؤلفاته :

وكان لهذا العالم الجليل الكثير من الآثار العلمية والحكمية النفيسة ، وكذلك في علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير ، وهي حقا بحر جمعت فيه لآلئ الأسرار والمقامات العالية لأهل بيت العصمة عليهم السلام ، وأهم هذه المؤلفات :

١ - المخازن ، في حكمة أهل بيت النبوة والرسالة عليهم السلام .

٢ - اللمعات ، في أحوال المبدأ والمعاد ، الذي ألفه من أوار ولاية المعصومين عليهم السلام ومذهبهم .

٣ - شرح حياة الأرواح ، في أصول عقائد الإسلام والشيعة ، رد فيه على اعتراضات الملا محمد جعفر الاستراباذي ، بشكل قاطع وبأسلوب منطقي متين وهو هذا الكتاب الذي بين يديك .

٤ - البراهين الساطعة ، وهو أيضا في أصول العقائد ومباحث المبدأ والمعاد .

٥ - الرسالة العملية ، في المسائل والأحكام الفقهية وباللغتين العربية والفارسية .

٦ - رسالة في تفسير الآية (٨٦) من سورة النحل المباركة .

٧ - رسالة في أجوبة مسائل متفرقة كتبها بأمر أستاذه الكبير الشيخ الأوحد أحمد الإحسائي أعلى الله مقامه .

٨ - شرح الخطبة المشهورة لثامن الأولياء علي بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الطيبين أفضل التحية والثناء والتي تبدأ بهذه الفقرة الشريفة (أول توحيد الله معرفته ... إلخ) .

٩ - تفسير الحديث النبوي الشريف : (علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل) .

وجميع هذه الكتب طبعت مرة أو أكثر .

١٠ - رسالة في جواب اعتراضات الملا محمد جعفر الاسترابادي .

١١ - رسالة في الصوم .

١٢- رسالة في توجيه الكلمات .

١٣- رسالة في الرد على الحاج كريم خان الكرماني .

١٤ - كتاب ذكره المرحوم ميرزا كرهر في كتابه (شرح حياة الأرواح) حيث قال (سأكتب كتابا في أقسام النفس ومراتبها) .

كتب المرحوم الحاج آغا بزرك الطهراني المؤلف القدير لكتاب (الذريعة) عن المرحوم ميرزا كوهر (هو الشيخ المولى حسن بن علي الشهير بكوهر من العلماء الأعلام في كربلاء) ويعد الكتب المذكورة أعلاه من مؤلفات هذا العالم الجليل .

ذوقه الأدبي :

إن المرحوم ميرزا كوهر رضوان الله عليه إضافة إلى كونه من فحول ومشاهير علماء زمانه في العلوم الإسلامية وخصوصا الفقه وحكمة أهل البيت عليهم السلام كانت له أيضا قريحة جياشة وذوق لطيف وبديع في علم الأدب وفنون البلاغة والشعر بشكل يجد الإنسان نفسه عند قراءته لآثاره الأدبية غائصا في عالم من اللذة الروحية .

لقد نظم ذلك العالم الجليل أشعارا بليغة جدا في الحكمة وغيرها باللغة الفارسية والعربية وسنذكر هنا نموذجا من قطعة شعرية أنشأها في رثاء أستاذه القدير الشيخ الأجل الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي أعلى الله مقامهما بقلب موجع وعين باكية وهي تكشف عن قدرته الأدبية في الفصاحة والبلاغة والبديع :

قل أن سحت دما عيناي طول الدهر سرمد

لنعي الرزء لما بكر الناعي وأنشد

قلت من تنعى فقال الطهر زين الدين أحمد

من له شمل الهدى والدين والدنيا تبدد

يا سماء في لحود الأرض والترب توسد

ما سمعنا قبل ذا أن السماء في الأرض تلحد

أو يواري الترب جسما كان روحا قد تجسد

يا فريدا جامعا وهو من الجمع تفرد

أنت ذاك الجوهر الفرد الذي لا زال مفرد

مجدك السامي أشاد العلم في الدنيا وشيد

يا فـريدا لم يكن مـثـلا له في الكون يوجـد
وإليـه الناس طرا في علوم الدين تصـمـد
عـقـمت أم العـلا من بعـده لما تولد
لا يدانيـه بتـجـريداته العـقل المجـرد
كـان نورا منه مـصـباح الظلامـات توقـد
فـانطفـأت لما انتـفى أنوار مـصـباح الموقـد
خانه الدهر الخؤون إذ لم يكون للدهر يصـمد
فـسـمـا نحـو الفـراديس وفي الخلد تخلد
فـسـألت الفكر عن تاريخـه يومـا فـأنشـد
فزت بالفـردوس فـوزا يا ابن زين الدين أحـمـد

فإذا لا حظنا هذه الأبيات من حيث العلوم الأدبية العربية وخصوصا الانسجام الواضح بين علم المعاني والبيان والبديع لوجدنا فيها أغلب فنون البلاغة والفصاحة من استعارة وكناية وتشبيه وحقيقة ومجاز وسائر اللطائف الأدبية بنحو مثير للإعجاب ، هذا بالإضافة إلى سمو المعاني فيها وبلوغها منتهى الجمال ، فهي تثير عواطف القارئ والسامع مما يستدعس تقديره وتكريمه لكل تلك الدقائق والطرائف المعنوية ، كما تكشف هذه الأبيات ضمنا عن مدى العلاقة القلبية ، والارتباط الروحي والاحترام العميق ، الذي كان يكنه لأستاذه الجليل ، وتظهر أيضا عن مدى الألم والأسف والتأثر الذي أصابه بهذا المصاب العظيم ، وفقدان هذا العالم الأوحد ، أعلى الله مقامهما في جنات الخلود .

وفاته :

سافر المرحوم ميرزا حسن كوهر رضوان الله عليه في آخر سنة من عمره المبارك إلى (الحجاز) لزيارة بيت الله الحرام والمشاهد المقدسة في (مكة المكرمة) و (المدينة المنورة) وخصوصا المرقد الأنور لسيد المرسلين ﷺ وأئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهناك في جوار بيت الله الحرام لبى نداء الحق والتحق بأوليائه الكرام ، فدفن في وادي قريش (المعلى) تحت المدرجات المتصلة بحائط مرقد عبدالمطلب وعبد مناف وأبو طالب رضوان الله عليهم ، وقد وقعت هذه الحلدثة المؤسفة في سنة(١٢٦٦ هـ . ق) وهذا التاريخ يساوي بحساب الأبجد جملة (غاب نور = ١٢٦٦) رضوان الله عليه وأعلى الله درجاته في جنات النعيم بحق محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

خادم الشريعة الغراء الإحقاقي الحائري .

مُقَدِّمَة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواجب الوجود ومفيض الخير والجود والصلاة على حبيبه الذي قال فيه (شققت لك اسما من اسمي فأنت محمد وأنا المحمود) وعلى آله وأصحابه الذين هم أكبر آيات اللّه المعبود وحججه البالغة على كل موجود وشفعاء اليوم الموعود .

وبعد فيقول الأحقر الأفقر ابن علي الحسن الشهير بـ (گوهر) أنه قد عرض علي أعز الأحباء وفقه اللّه لما يحب ويرضى وكفاه شر القدر والقضا رسالة في أحوال المبدأ والمعاد من تصانيف بعض الفضلاء من أهل استرآباد بعد ما عرضها على سيدي وسندي ومن إليه في كل حق مستندي سيد الأعاظم السيد كاظم أطال اللّه بقاه وسلمه وأبقاه وأراد منه شرحها فأعرض عن ذلك وأمره بالعرض علي فرأيت فيها بعض ما يخالف طريق الصواب والرشاد ويحيد من مذهب أهل البيت عليهم سلام اللّه ما دامت الأرضون ساكنة من حركات السبع الشداد ، فالتمس مني أن أملي عليها كلمات تبين غثها من سمينها وباطلها من حقها وأنا مع قصور باعي وقلة اطلاعي سارعت لإجابته مع بلبال البال واختلال الأحوال سالكا سبيل الاختصار والاقتصار لئلا يؤدي إلى الكلال والملال وعلى اللّه الاتكال في المبدأ والمآل على كل حال .

قال بعد التسمية والتحميد : أما بعد فيقول خادم بساتين المذهب الجعفري والشرع المحمدي محمد جعفر استرآبادي هذه رسالة مسماة بحياة الأرواح جمعت فيها ما يحصل به الصلاح والفلاح من أصول العقائد الدينية على وفق أصول المذهب الاثني عشري والطريقة الجعفرية تنبيها للعقول الصافية مع الإشارة إلى مقامات وقعت فيها المخالفات الواهية والإشارة إلى الأدلة العقلية والنقلية الإجمالية وإحقاق الحق وإبطال الباطل على وجه الإشارة فإن العاقل تكفيه الإشارة والجاهل لا تفيه العبارة مع أني بسطت الكلام في مصباح الهدى وأبسط أكثر من الكل إنشاء اللّه في البراهين القاطعة ولهذا اقتصرت هنا على الإشارة إلى أصول الدين على وفق أصول المذهب وإلى مقامات خمسة في كل أصل من الأصول الخمسة في أبواب خمسة مع ذكر مقدمة نافعة مهمة ليكون الناظر على بصيرة .

أقول : ليس المصنف بصادق في دعواه بقوله جمعتها على وفق أصول المذهب الجعفري لأن فيه ما يطابق المذهب الأشعري ويخالف المذهب الجعفري لأنه قال فيها بقدم الإرادة والكلام وذلك مذهب الأشاعرة ومخالف لمذهب العترة الطاهرة ، وقال فيها بأن اللّه يصدق عليه العلة أما الناقصة فلنقص المعلول وأما التامة فبملاحظة المشيئة والإرادة وهذا مخالف لمذهب أهل البيت كما ستعرفه إنشاء اللّه ، وهكذا فيها من الأغلاط كما سنبين كل ذلك في موضعه فأين مطابقة مذهبه للمذهب الجعفري .

مُقَدِّمَة

قال : مقدمة اعلم أن علم الكلام علم باحث عن أحوال المبدأ والمعاد على قانون النقل المطابق للعقل بطريق النظر والفكر والاستدلال، وموضوعه المبدأ والمعاد لا الموجود بما هو موجود كما قيل ولا ذات اللّه كما قيل ولا المعلوم من حيث ما يتعلق به من إثبات العقائد الدينية.

أقول : اختلف علماء الإسلام في موضوع علم الكلام فذهب بعضهم إلى أن موضوعه هو الموجود من حيث هو موجود واستدلوا بوجهين .

أحدهما : أن جميع الأحوال والأعراض هي مطالب في هذا العلم فلا بد أن يكون موضوع هذا العلم هو الشيء الذي عرض له الأحوال من حيث هو وليس ذلك إلا الموجود من حيث هو موجود فيكون هو موضوع هذا العلم .

الثاني : أن هذا العلم هو فوق جميع العلوم وليس فوقه علم آخر ليبين به موضوعه فتعين أن يكون موضوع هذا العلم مستغنيا عن البيان بنفسه وأظهر الأمور وأوضحها هو الموجود من حيث هو موجود فيكون هذا العلم .

وذهب بعضهم إلى أن موضوع علم الكلام هو ذات اللّه الملك العلام وقالوا أن شرف كل علم لا يتحقق إلا بشرف موضوعه ولما كان موضوع هذا العلم هو ذات اللّه كان هذا العلم أشرف من كل العلوم .

وذهب بعضهم إلى أن موضوعه هو المعلوم من حيث ما يتعلق به من إثبات العقائد الدينية .

وذهب المصنف إلى أن موضوع هذا العلم هو المبدأ والمعاد .

فنقول : إن كان موضوع هذا العلم هو الموجود من حيث هو موجود ليشمل في إطلاقه الحق والخلق معا فهو باطل لأن الموضوع ما يبحث عن عوارضه الذاتية وليس للحق سبحانه عوارض ذاتية حتى يبحث عنه فظهر بطلان هذا القول وبطلان القول الثاني لأنه سبحانه صمد ليس له مدخل ولا مخرج وإلا لكان حادثا فلا يعرض لشيء ولا يعرضه شيء لأن ذلك من صفات خلقه وهو ببديع صنعه أجراه ولا يجري عليه ما هو أجراه .

وأما القول بأن موضوعه هو المعلوم من حيث ما يتعلق به من العقائد الدينية فلا ينافي القول الأول إلا بتقييده من حيث ما يتعلق به من العقائد الدينية فيكون بهذا القيد أخص من ذلك .

وأما ما ذهب إليه المصنف فهو وإن كان بحسب الظاهر جيد إلا أنه في الحقيقة يؤول إلى التعريف الأول وكل هذه الأقوال يسقى بماء واحد لأن المبدأ والمعاد من العوارض الذاتية للموجود من حيث هو موجود ، فعلى هذا يكون موضوعه الموجود من حيث هو موجود لأن المبدأ والمعاد من عوارضه الذاتية ، فينبغي أن يقال في تعريف موضوع علم الكلام بأنه معرفة اللّه فخرج بالقول بالمعرفة ذات الحق سبحانه لأن ذاته ليست موضوعا لعلم الكلام ومعرفته غير ذاته وصفاته كما يستبان لك إنشاء اللّه .

وأما سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام فإنه لما كان باحثا عن معرفة المعبود بالحق والاطلاع على حرفة الكمالات الإنسانية كان أحق بالتكلم فيه من سائر العلوم وأسبق منها ومن جميع أنواع الكلام فسمي به .

وقيل أن أول مسألة بحث عنها المتكلمون و اختلفوا فيها هي مسألة

الكلام وبعد ذلك ضموا إليها باقي مباحث الصفات والأفعال فحيث كان أول مسائله مسألة الكلام سمي به والعلماء ذكروا لوجه التسمية وجوها سبعة يطول بذكرها الكلام .

ثم اعلم يا أخي أن صاحب (المجلي) نقل كلاما من الحكيم أرسطا طاليس يعجبني ذكره قال :(من أراد أن يشرع في علومنا فليتخذ لنفسه فطرة ثانية لدقة هذا العلم وشدة غموضه وبعد مرامه وقل من يفهم مقاصد أهله أو يقف على أسرارهم ، إلى أن قال : فلا جرم أكثر الخائضين في هذا العلم لا يزيدهم كثرة النظر فيه إلا حيرة وضلالة وتشويشا للقواعد والأصول مع خبط وتعسف في الفروع إلا من يتأيد بتأييد إلهي وإلهام رباني فيصلح به الفاسد ، وكل من أراد الاطلاع على هذا العلم يجب أن يكون مصداقا لقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (لا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله)[1] وقال بعض أهل الأدب اعرفوا الرجال بالمقال لا المقال بالرجال ، ثم لقبول هذا العلم شروط وهي : اعتدال المزاج ، وحسن الأخلاق وسرعة الفهم وجودة الحدس وأن يكون في القلب نور من أنوار اللّه تعالى وأن يكون مخلصا في طاعة اللّه ومن لم يكن فيه هذه الشروط فلا يتعب نفسه فإنه لا يصل إلى المرام ولا قوة إلا باللّه) .

قال : وفائدته الترقي عن حضيض التقليد إلى ذروة اليقين وإرشاد المسترشدين وحفظ عقائد الدين من شبه المبطلين بإقامة البراهين وحصول مبنى فروع الدين ، وذلك بأن يعرف أن اللّه تعالى لم يخلق العباد عبثا لأنه حكيم بل خلقهم لتحصيل المعرفة والطاعة الموجب لحصول القابلية للفوز بالنعيم الأبدي والسعادة السرمدية.

---

(١) البحار ٤٠ / ١٢٥

أقول : كل ذلك حق لا شبهة فيه لأن المقصود من خلق الخلق ليس إلا المعرفة كما قال تعالى ﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾[1] أي ليعرفون ، وقال في الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[2] فالعلة الغائية إنما هي المعرفة في خلق الخلق والمعرفة أصل فرعه الإيمان فإذا بلغ الإنسان مقام المعرفة فقد فاز بالنعيم الأبدي واستأنس في ظلال محبوبه قال الصادق عليه السلام (وَإِذَا تَجَلَّى ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْفُؤَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ وَ إِذَا هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ اسْتَأْنَسَ فِي ظِلالِ الْمَحْبُوبِ وَ آثَرَ الْمَحْبُوبَ عَلَى مَا سِوَاهُ وَ بَاشَرَ أَوَامِرَهُ وَ اجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ وَاخْتَارَهُمَا عَلَى كُلِّ شَيْ‏ءٍ غَيْرِهِمَا وَ إِذَا اسْتَقَامَ عَلَى بِسَاطِ الأُنْسِ بِالْمَحْبُوبِ مَعَ أَدَاءِ أَوَامِرِهِ وَ اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ)[3] فذلك هو السعادة السرمدية .

ولأهل المعرفة علائم يعرفون بها فليس كل من يدعي المعرفة يقبل منه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَ عَظَّمَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الْكَلامِ وَبَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَ عَفَا نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ وَ الْقِيَامِ ، قَالُوا : بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَؤُلاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سَكَتُوا فَكَانَ سُكُوتُهُمْ ذِكْراً وَنَظَرُوا فَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً وَ نَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً وَمَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً لَوْلا الآجَالُ الَّتِي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ خَوْفاً مِنَ الْعَذَابِ وَ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ)[4] فإذا كان عارفا بالمعنى الذي ذكرناه فقد بلغ مقام اليقين وترقى عن مقام التقليد والتخمين لكن .

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل

(١) الذاريات ٥٦

(٢) البحار ٨٤ / ١٩٨

(٣) مستدرك الوسائل ١٢ / ١٦٨

(٤) الكافي ٢ / ٢٣٧

قال : فلا بد من النظر والتفكر .

أقول : قال اللّه تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ** ﴾[١] وأمثال ذلك كثيرة في القرآن ، وقال ﷺ (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[٢] ، وأمثال ذلك كثيرة في الروايات ، فلا بد للإنسان من التفكر والتدبر في خلق العوالم واختلاف أوضاعها وأحوالها وأسبابها ومسبباتها وشرائطها فإذا داوم التفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار حصل له العلم بمعرفة اللّه قال اللّه تعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[٣] فتبصر .

قال : ولو بالرجوع إلى كتب العلماء الفحول التي هي من أسباب العلم وتنبيه العقول حتى يتمكن من معرفة اللّه بالوجود ووجوبه بالذات .

أقول : المرجع والمعول في هذا الأمر ليس إلا الكتاب والسنة لأن المعروف من طريقة العلماء الإمامية رحمهم اللّه الذين عليهم المدار ليس إلا التفقه في فروع الدين ولم يتعرضوا في أصول الدين على سبيل الاستدلال والتفصيل وتبيين الحق والباطل ، وأما بعض العلماء الذين صنفوا في هذا الفن كتبا فإنهم أخذوا علمهم عن كتب المتكلمين وقلدوهم حتى نشأ منهم الأغلاط كالمصنف زعما منهم أن الكتاب والسنة لا يفيدان إلا الظن أما الكتاب فإنه وإن كان قطعي السند إلا أنه مشحون بالمتشابهات والناسخ والمنسوخ وأما المحكمات من الكتاب فهي وإن كانت سالمة عن الشوائب والأعراض إلا أنها مكسية بكسوة الألفاظ على أن فيها مجملا ومفصلا

---

(١) آل عمران ١٩٠

(٢) تفسير العياشي ٢ / ٢٠٨

(٣) فصلت ٥٣

ومطلقا ومقيدا وعاما وخاصا والألفاظ كلها ظنية الدلالة ، والسنة أيضا كذلك فثبت أنهما لا يفيدان إلا الظن والظن لا يكفي في أصول العقائد فليس المرجع فيها إلا العقل الصريح وإذا تعارض العقل والكتاب والسنة فالعقل مقدم عليهما لأن العقل قطعي الدلالة فيقدم المقطوع على المظنون فقلدوا المتكلمين وأخذوا عنهم وبعض قواعد أهل الكلام يخالف مذهب أهل البيت فكيف يراجع كتب العلماء ويأخذ عنها .

وأما نحن فنقول ولا قوة إلا باللّه ، ليس المرجع إلا الكتاب والسنة والعقل والإجماع ، والعقل إذا خالف الكتاب والسنة فلا بد من طرحه والأخذ بالكتاب والسنة لأن الكتاب والسنة لا يخالفان الحق وميزان الحق ليس إلا الكتاب والسنة .

فإن قلت : إن حجية الكتاب والسنة منوطة بحجية العقل فلو كان حجية العقل منوطا بهما لزم الدور .

قلت : العقل عقلان كما قال به أمير المؤمنين عليه السلام عقل مطبوع وعقل مكتسب ، فالعقل المطبوع هو الذي عليه اتفاق العقول من جميع أرباب الملل والنحل كاتفاقها على وجود الصانع فإنك لا تجد من ينكر وجود الصانع إلا أن بعضهم قالوا صانع العالم هو الطبيعة ، ومنهم من قال الدهر ، ومنهم من قال هو اللّه ، فالاختلاف من جهة التشخيص وإلا كلهم مقرّون بوجود الصانع وهكذا كلهم متفقون في وجوب بعثة الأنبياء ، وحجية الكتاب والسنة إنما ثبتت بهذا العقل الذي سماه أمير المؤمنين عليه السلام بالعقل المطبوع وهذا لا يحصل في كل ما يجب على المكلف .

وأما العقل المكتسب فهو الذي يقع فيه الاختلاف ولذا ترى كثيرا من العلماء يستدلون على وجود الشيء بالدليل العقلي والآخر على نفيه

بالدليل العقلي والثالث يجمع آراءهما بالدليل العقلي ورابع ينفي اتفاقهما واجتماعهما بالدليل العقلي فوقع فيه هذا الاختلاف العظيم ، فلو كان هذا الدليل العقلي حقا لما وقع فيه الاختلاف لأن الحق واحد لا تعدد فيه فالاختلاف لا يكون من الحق فإذا اشتبه علينا حقية كل واحد من هذه الأقوال فالميزان المستقيم في معرفة حقية الأقوال كلها أو بطلانها ليس إلا الذي وصل من الحق وهو الحق الذي لا يشك فيه وليس ذلك إلا الكتاب والسنة ، فزن كل ما أدركته من المطالب بالكتاب والسنة فما وافقهما فخذه واعتمد عليه فإنه هو الحق وما خالفهما فاطرحه لأنه ليس من الحق وإلا لما كان مخالفا لهما فافهم .

قال : ومعرفة أصول صفات الذات التي هي الحياة والعلم والقدرة وشعبها من الصفات.

أقول : يريد بقوله وشعبها من الصفات الإرادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك فإنه ذهب إلى أن كل ذلك من صفات الذات كما ستعرفه ، وهذا غلط لأن صفات الذات عين الذات بلا مغايرة لا مفهوما ولا مصداقا ولا تحققا ولا اعتبارا فكيف تتشعب الصفات فتكون الذات متشعبة فتتحقق لها الجهات فتكون مركبة فيستلزم حدوثها لأن الصفات عين الذات وهو سبحانه أحدي الذات أحدي المعنى ، وما ذكره مخالف لمذهب أهل البيت عليهم السلام .

قال : وصفات الفعل كالرازقية وأمثالها من السمات .

أقول : إن الصفات على ضربين ذاتية وفعلية كما صرّح به الأئمة عليهم السلام ، فصفات الذات عين الذات وصفات الفعل هي غير الذات

كالخالقية والرازقية وما يضاهيهما ، فالميزان في تميز صفات الذات وصفات الفعل هو أن كل صفة لا تتصف الذات بصفة نقيضها فهي من صفات الذات كقولك عالم وقادر مثلا فإنه لا يصح عليه إطلاق أنه ليس بعالم وليس بقادر ، وكل صفة يصح اتصاف الذات بصفة نقيضها فهي من صفات الفعل كقولك فعل ولم يفعل وشاء ولم يشأ وأراد ولم يرد وأمثال ذلك .

قال : وما يمتنع عليه من الصفات السلبية كعدم التركيب والجوهرية والجسمية والعرضية وعدم التعدد والشركة وعدم كون صفاته الذاتية عن ذاته زائدة .

أقول : لما كانت هذه الصفات من النقايص وصفات الإمكان لا يصح اتصاف الذات بها للزوم نقصه وهو سبحانه عنها مبرأ معزول لأنه لو كان متصفا بواحدة من هذه الصفات المذكورة لكان ممكنا ولم يكن واجبا .

قال : ومعرفة عدله وكماله في أفعاله .

أقول : لأنه سبحانه غني عن كل ما سواه وهو الكامل على الإطلاق فلا يجري أفعاله إلا على وجه الكمال ولا يجور أحدا من خلقه لغنائه عن ذلك وستعرف ذلك إنشاء اللّه .

قال : ونبوة النبي ﷺ وما جاء به وعصمته وختم نبوته وإمامة الأئمة الاثني عشر بحقهم من عصمتهم وأعلميتهم ومنصوبيتهم بتنصيص اللّه ورسوله ووجوب مودتهم وإطاعتهم في أمور الدنيا والدين .

أقول : بعد المعرفة باللّه وصفاته يجب أن تعتقد بنبوة النبي ﷺ لأنه هو الواسطة عن اللّه والسفير إلى الخلق لتبليغ الأوامر والنواهي والحلال والحرام

وما يترتب عليه الإسلام ، ويجب أن تعتقد بإمامة الأئمة الاثني عشر من أولاده وكونهم أئمة وحجج اللّه على جميع الخلق وكونهم أئمة ، ووجوب اتباعهم لا يكون إلا بنص من اللّه لأنه الأعلم بمصالح العباد ولا يهملهم عابثا ، فلما ثبت كونهم أئمة يجب أن تعتقد عصمتهم لأن المخطئ لا يُتَّبَع ولا يجعله اللّه حجة على العباد ويأمر الخلق باتباعهم ، ويجب أن تعتقد مودتهم وإطاعتهم قال اللّه تعالى ﴿ **قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبى** ﴾[1] هم الأئمة ويجب إطاعتهم في أمور الدنيا والدين .

قال : ومعرفة أحوالهم بعد الموت في القبر وعالم البرزخ والمحشر بالمعاد الجسماني كل ذلك بالدليل العقلي والنقلي بقدر الإمكان والقدرة لتستعد بذلك سيما بعد معرفة الأحكام الفرعية والعمل بمقتضاها لنعيم الآخرة.

أقول : كل ذلك حق ولكن قوله سيما بعد معرفة الأحكام الفرعية لا يصح لأن ذلك أصول الدين والفرع لا يترتب إلا بعد الأصل فلا بد للمكلف أولا من تحصيل أصول الدين ثم تحصيل الفروع لأنه لو لم يعرف اللّه وأنه أهل للعبادة كيف يعبده وأنه لو لم يعرف النبي كيف يؤمن بشريعته .

قال : ثم اعلم أن أصول الدين خمسة (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد) .

أقول : وقع الخلاف بين العلماء في أصول الدين فمنهم من قال بأنها خمسة كما ذهب إليه المصنف وقال بعضهم بتثليث أصول الدين وهي (التوحيد والنبوة والمعاد) وجعلوا العدل والإمامة من أصول المذهب .

قال : وتوهم كون العدل والإمامة من أصول المذهب لتوهم كون عدم كونهما كذلك مستلزم لكفر كثير من المسلمين كالمخالفين صادر عن عدم

(١) الشورى ٢٣

الفرق بين العدل مقابل الجور والعدل مقابل الجبر فإن الأول من أصول الدين فيكفر من يقول بالجور والثاني من أصول المذهب وكذا الإمامة فإن جواز وقوع الرياسة العامة على وجه النيابة الخاصة عن سيد المرسلين ووقوعها من أصول الدين ولهذا يكفر الخوارج الذين ينكرونه وبسائر القيود الآتية من أصول المذهب .

أقول : بيانه في العدل صحيح ولكن لما كان الجبر مستلزما للجور لذلك عده العلماء من أصول المذهب فإن المجبرة وإن لم يقولوا بالجور ولا أن الحق جائر بألسنتهم لكن يلزمهم القول بالجور لقولهم بالجبر ، وأما جعل الإمامة من أصول الدين بمعنى وقوع الرئاسة العامة على وجه النيابة الخاصة يعني تكون إمامته منصوصة من الله فهو ليس بمسلم لأن ذلك من أصول المذهب .

وأما قوله : ولهذا يكفر الخوارج الذين ينكرونه فإنهم أنكروه وإنكاره كفر فإنهم جحدوا إمامته وخلافته مطلقا وقالوا قد كفر علي عليه السلام، وأما سائر المخالفين فلم ينكروا إمامته رأسا بل يقولون بخلافته إلا أنه رابع الخلفاء ولهذا لم يكفروا بل يجب علينا اعتقاد طهارتهم بحسب الظاهر وعدهم من جملة المسلمين وهم داخلون في عموم من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حقن دمه وماله ، ولو كانوا كافرين لاستباح لنا دمهم ومالهم ونساءهم كالكافر الحربي وهو خلاف الإجماع .


الباب الأول
في التوحيد





قال: الباب الأول في الأصل الأول وهو التوحيد الذي هو كمال الواجب.

أقول: الأصل معناه ما يبتنى عليه الشيء ولما كان التوحيد أساسا لتشييد بناء الدين وتمهيد قواعده سمي أصلا لأن سائر التكاليف متفرعة على التوحيد .

قال: اعلم أن التوحيد بحسب المعنى التصوري عبارة عن نسبة المكلِّف الواجب بالذات إلى الوحدة من جميع الجهات لا كالوحدة باعتبار الأجزاء العقلية من الجنس وهو ما به الاشتراك والفصل وهو ما به الامتياز، بمعنى أنه ليس له أجزاء عقلية، وباعتبار الأجزاء الخارجية التي بإزائها من المادة والصورة العنصرية الرئيسة وغيرها، وباعتبار الذات والصفات والأفراد والجزئيات بمعنى أنه لا شبيه له ولا شريك له ولا تعدد فيه ولا تكثر في ذاته فهو واحد بحسب الذات والصفات ومن جميع الجهات .

أقول: كل ذلك حق لأن المكلف إذا تصور التوحيد وكان ذلك التوحيد مع ملاحظة تركبه من الأجزاء عقلية كانت أو خارجية فلم يكن ذلك توحيد لأن المركب من حيث هو هو يحتاج إلى جنس وفصل يعني إلى ما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب حادث فلم يكن توحيده توحيدا فلا بد أن يتصور التوحيد بحيث لا يشوبه تركيب عقلا كان أو حسا أبدا وهذا ظاهر إنشاء اللّه .

قال: وبحسب المعنى التصديقي عبارة عما يجب اعتقاده وتصديقه بالجنان وإقراره باللسان وهو أن الله الذي هو واجب الوجود بالذات وصاحب جميع الصفات التي هي كمال الذات والمنزه عما هو نقص الذات من الصفات وتكون صفاته الذاتية كوجوده ووجوبه عين الذات واحد من جميع الجهات لا شريك ولا كفوا له في الذات والصفات .

أقول : ويجب عليك أن تعتقد أن كلما أدركته بتصورك فهو غير الذات لأنه سبحانه لا يدخل في الوهم قال مولانا الباقر عليه السلام (كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم)[1] وقال أمير المؤمنين عليه السلام (إن اللّه احتجب عن الأوهام كما احتجب عن العقول)[2] (بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها)[3] والتوحيد الذي أنت تصورته عند نفسك ليس هو ذات الحق فإن التوحيد صفة الموحِّد اسم مفعول وقائم به وقال أمير المؤمنين عليه السلام (لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف)[4] بل والذي تثبت له هذا التوحيد الذي تصورته ليس ذات الحق فإن ذات الحق هو المجهول المطلق والمعلوم الحق مجهول بذاته ومعلوم بآثاره والموصوف الذي تثبت له هذه الصفة فإنه مقترن بالصفة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام (وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث)[5] وقال مولانا الرضا عليه السلام في خطبته (وليس بصفة ولا موصوف لشهادة كل موصوف أنه له خالقا ليس بصفة ولا موصوف)[6] .

---

(١) بحارالأنوار ٦٦ / ٢٩٢ ولكن بدل فهو مخلوق (مصنوع)

(٢) لم نعثر على هذه الرواية بهذا اللفظ ولكن عثرنا على ما يقرب منها لفظا ومعنى وهو ما جاء في البحار ٦٦ / ٢٩١ قوله عليه السلام (إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار) .

(٣) بحار الأنوار ٤ / ٢٦١

(٤) التوحيد ٥٦

(٥) ، (٦) بحار الأنوار ٤ / ٢٢٧

واعلم أنه تعالى لا تحيط به الأوهام ولا تدركه بوجه من الوجوه لأن الإدراك فرع الإحاطة وهو سبحانه محيط ولا يحاط ، قال أمير المؤمنين عليه السلام (إن قلت هو هو فالهاء والواو كلامه وخلقه ، وإن قلت الهواء صفته فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك فالطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته) ، وقال (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله) ، وقال (وَإِنَّمَا تَحُدُّ الأدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَ تُشِيرُ الْآلاتُ إِلى نَظَائِرِهَا)[1] وأمثال ذلك كثيرة في الروايات ولأن الشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه وكل يقرء حروف نفسه وربما تزعم النملة أن لله زبانيتين لأنها عرفتها كمالا وأثبتتها له وذلك في رتبتها توحيد حق صريح ولكن بالنسبة إلى رتبة الحق سبحانه شرك محض لكنها مكلفة بذلك التوحيد ، وهكذا الإنسان حرفا بحرف فلا بد للإنسان أن يكون كلما يعرفه كمالا يثبت له سبحانه والحق عنه منزه لكنه مكلف بذلك وإلا لارتفع التوحيد عنّا فافهم .

قال: اعلم أن في ما ذكرناه إشارة إلى أن المكلف لا بد أن يعتقد في التوحيد الذي هو كمال الواجب في الذات أن اللّه موجود بوجود هو عين ذاته لأنه موجد للعالم والآثار الممكنة التي لا تحدث بنفسها تحتاج إلى مؤثر غير متأثر ولو بواسطة.

أقول : في هذا الكلام إشارة إلى أن فاقد الشيء لا يكون معطيا له ولذلك قال (موجود بوجود هو عين ذاته لأنه موجد للعالم) فتعليله بإيجاد العالم ينبئ عن ذلك ، فنقول ولا قوة إلا باللّه إن أراد أنه لا يفقد شيئا في ذاته فهو كفر وزندقة للزوم التكثر في ذاته سبحانه ، وإن أراد أنه لم يكن فاقدا لشيء من الأشياء في ملكه فهو حق لا يعتريه ريب ، لكن الظاهر من كلامه هو الأول كما ذهب إليه القوم حتى صرحوا في كتبهم أن للأشياء حقيقة في رتبة الذات .

---

(١) شرح النهج ١٣ / ٧٢

وبالجملة ينبغي الاستدلال على عينية الوجود أنه لو لم يكن وجوده عين ذاته للزم تركيبه وهو مستلزم للحدوث فثبت أن وجوده هو عين ذاته .

قوله (وتحتاج إلى مؤثر غير متأثر ولو بواسطة) ، يعني الأشياء بعضها مخلوقة من غير واسطة وبعضها مخلوقة بواسطة لأن اللّه سبحانه خلق الفعل بلا واسطة وخلق الأشياء بواسطة الفعل كما قال علي عليه السلام(خلق اللّه الأشياء بالمشية وخلق المشيئة بنفسها)[1] .

قال:وإنه تعالى قديم بذاته وإلا لكان حادثا محتاجا إلى محدث وأنه تعالى أبدي يمتنع عليه العدم كما يقتضيه القدم وعينية الوجود المعلومة من وجوب الوجود وعدم جواز الاحتياج إلى الغير .

أقول : إنه سبحانه قديم بذاته لأن القدم له وصف اعتباري كما ذهب إليه القوم من أن المصادر كالقدم والحدوث والوجوب والإمكان والشيئية والوحدة والكثرة ونظائرها أمور اعتبارية لا تحقق لها إلا بفرض الفارض وذلك غلط ، لأن قدم الحق لو كان بفرض الفارض لما كان قديما إذا لم يفرض قدمه فارض وهو خلاف الحق لأنه قديم وقدمه عين ذاته ، وقولهم إن المصادر أمور اعتبارية غلط محض لأن المصدر مبدأ لاشتقاق المشتق والمشتق فرع للمبدأ فلو كان المبدأ اعتباريا لكان اعتبارية المشتق أشد من اعتبارية المبدأ وهذا خلف ونحن بسطنا هذا البحث في سائر رسائلنا وأقمنا على تأصل المصادر أدلة قاطعة وبراهين ساطعة فاطلبها من مظانها ، وبالجملة إن قدمه عين ذاته .

وقوله (أبدي يمتنع عليه العدم) هذا دليل على أزليته لأن أزليته عين أبديته بلا مغايرة ، واستدل على امتناع عدميته على أنه أبدي واتفق العقلاء على أن كلما لم يلحقه العدم لم يسبقه العدم وإلا لزم وجود أحد

---

(١) الكافي١ / ١١٠

المتضايفين دون الآخر وهو محال ، ولأنه سبحانه لا يسبقه حال حالا لأن الذي تسبقه الأحوال هو الحادث فالقديم منزه عن الأحوال .

قال: وأنه تعالى حي بشهادة حياة المصنوعات بالحياة العينية القديم لئلا يلزم الاحتياج .

أقول : في هذا الكلام ما كان موجودا في وجوده وأنه عين ذاته فتدبر .

قال: وأنه تعالى عالم بالعلم القديم الذاتي لمثل ما مر .

أقول : لو لم يكن بذاته عالما للزم جهله فصح علمه وأنه عين ذاته .

قال: وأنه تعالى عالم قادر مختار غني مطلق يحتاج إليه ما سواه لأنه خلق الاختيار وأخر بعض المختار مع أن العجز مستلزم للحدوث .

أقول : هذا رد على من زعم أن مشيته أحدية التعلق كما ذهب إليه القوم ومن قولهم أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد فلو كان الحق كما ذكروه لكان مجبورا فلم يتحقق له الاختيار بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، ومن ذلك قالوا أن مشيته عين ذاته والعجب من المصنف كيف أقر بالاختيار مع أنه يقول بقدم الإرادة والمشية فلو كانت الإرادة قديمة لصح ما ذكروه من أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد وأن مشيته أحدية التعلق لأن الذات لا تثبت تارة وتنفى أخرى بذاتها فكيف صح الاختيار .

قال: وأنه تعالى سميع بغير آلة وبصير بلا جارحة .

أقول : هذا ظاهر لأنه لو كان سميعا بآلة وبصيرا بجارحة لثبت احتياجه والاحتياج من صفة الإمكان فيلزم أن يكون ممكنا .

قال: وأنه تعالى مريد بالإرادة العينية التي هي من شعب العلم ولا يجوز نفيها عنه كما أنه مريد بالإرادة الزائدة بمعنى القصد والمشية .

أقول : هذا يخالف ضرورة مذهب أهل البيت لأنهم لم يقولوا بقدم الإرادة

أبدا كيف ولو كانت الإرادة عين الذات لبطل قوله من شعب العلم لأن الذات لا تتشعب بشعب حتى يصح القول بأنها من شعب العلم ولو تشعب عن ذاته شيء لكان حادثا ولو كان التشعب عين ذاته لكان ذاته بذاته فاعلا وقابلا لأن التشعب غير المتشعب .

فإن قلت أن ذلك متغاير بحسب المفهوم لا بحسب المصداق وفي المصداق شيء واحد لا تعدد فيه .

قلت : إن المفهوم ليس له حكم غير حكم المصداق ويستحيل أن يكون للشيء الواحد البسيط من جميع الجهات مفهومان كما يستحيل أن يكون للشيئين المتغايرين مفهوم واحد .

فإن قلت كيف يكون ذلك وإنا نرى بالبداهة انتزاع مفهوم من أمرين .

قلت : إن ذلك لا يكون إلا بالانتزاع من جهة الوحدة التي هي ما به الاشتراك في ذلك الأمرين ، وأما في المتضادين فإنك لا تستطيع أن تنتزع منهما مفهوما واحدا سلمنا لكن المفهوم لا بد وأن يكون مطابقا للمصداق وإلا لم يحكم على المصداق بالمفهوم وهو بديهي البطلان فكيف يجوز لك أن تقول ذلك .

فإن قلت لو كان تعدد المفهوم منوطا بتعدد المصداق للزم عدم القول باتحاد صفات الذات لأن مفهوم العلم غير مفهوم القدرة ومفهوم القدرة غير مفهوم السمع وهكذا سائر الصفات .

قلت : إن إطلاق العلم والقدرة والسمع والبصر وما يضاهيها كلها من قبيل الترادف فقولنا علم قدرة سمع بصر ليست إلا الذات بلا تغاير المفهوم إن أريد بها الذات كقولك أسد وعفرنا وغضنفر وقسورة وحيدرة للحيوان المفترس .

فإن قلت لو كانت تلك الصفات وإطلاقها على الذات من باب الترادف لما صح الحمل وهو باطل لأنك تقول اللّه قادر اللّه عالم .

قلت : أن ذلك لا يكون إلا باعتبار صفات الفعل لا صفات الذات فصح أن إطلاق هذه الأسامي على اللّه ليس إلا بالترادف فافهم .

وبالجملة قوله (مريد بالإرادة العينية التي هي من شعب العلم) غلط محض وسيجئ لبطلان القول بقدم الإرادة زيادة بيان إنشاء اللّه .

قال: وإنه تعالى متكلم بمعنى القدرة على إيجاد ما يدل على مراد من الأصوات المركبة كما أنه موجد له.

أقول : المتكلم من صفات الفعل لا من صفات الذات وبمجرد كونه قادر على إيجاد الكلام لا يتصف بها ولذلك لا يقال أنه ظالم مع أنه يقدر أن يظلم فلا بد في صدق كونه متكلما وجود التكلم الذي هو مبدأ للمتكلمية لأنه المشتق والمشتق لا يتحقق إلا بعد تحقق المبدأ على أن المشتق قائم بمبدئه قيام ركن وتحقق فلا يكون المتكلم من صفاته الذاتية بل إنما هو من صفاته الفعلية كالفاعلية والرازقية وأضرابهما فتبصر .

قال: وأنه صادق لعدم الجهل والاحتياج .

أقول : هذا معناه ظاهر .

قال: وأنه تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ولا مركب ولا في حيز ومحل وليس بمحل ولا يرى ولا يدرك وليس فيه شيئ من صفات النقص المنافية لوجوب الوجود وأنه تعالى واحد من جميع الجهات لا شريك له في الذات والصفات .

أقول : أنه سبحانه ليس بجسم لأن الجسم متناه واختلف العلماء في

الجسم هل هو مؤلف من الجوهر الفرد يعني من الجزء الذي لا يتجزأ وهو مركب من المادة والصورة وذهب المتكلمون إلى الأول ، واختلفوا في أنه هل هو مؤلف من أجزاء متناهية أو لا ، ذهب النظام ومن تبعه إلى الثاني والباقون إلى الأول وذهب الحكماء إلى الثاني وأدلة الطرفين مبسوطة في مظانها ولا حاجة إلى ذكرها ، ولكن كون تركيب الجسم من المادة والصورة من أظهر الأشياء ولنذكر في إثبات ذلك دليلا شافيا وهو مما خصنا اللّه به من فضله إن اللّه ذو فضل عظيم ، وذلك أن استحالة وجود الجوهر الفرد مما يقتضيه البرهان وأنه لا يخلو إما أن يكون قديما أو حادثا ولا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما ، فإن كان الأول لا يخلو إما أن يكون عين ذات الحق أو لا ، فإن كان الأول لزم أن يكون الجسم هو عين ذات الواجب ، ومن المستبين أن الجسم مؤلف ولا بد أن يتألف ويتركب من أجزاء الواجب والأجزاء كلها واجبة فلا يكون الواجب على هذا التقدير واجبا بل يكون ممكنا وهو باطل ، وإن كان الثاني لزم تعدد القدماء و هو باطل لأدلة التوحيد ، فتعيين الشق الثاني أعني حدوث تلك الأجزاء وقد قام الدليل على أن كل حادث لا بد في وجوده وتحققه من الإيجاد والانوجاد يعني له جهتان اعتبار من ربه وهو هذا الذي نقول أنه أثر اللّه ودليل على وجود صانعه واعتبار من نفسه وهو نظره إلى نفسه فإذا رأيت من حيث هو هو تكون عن مشاهدة الحق في الآثار فكان مركبا من الإيجاد والانوجاد ولا نعني من المادة والصورة إلا ذلك فافهم فإنه دقيق جدا وقال مولانا الرضا عليه السلام (لم يخلق اللّه فردا قائما بذاته)[1] واتفق العقلاء أيضا على أن كل ممكن فهو مزدوج الحقيقة وزوج تركيبي .

---

(١) في عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٦ عليه السلام (ولم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه) .

وأما أنه سبحانه ليس بعرض فلأن العرض هو الذي يقوم بالغير فلو كان الحق سبحانه قائما بالغير لزم احتياجه وتركيبه فيكون ممكنا .

وأما أنه ليس بجوهر فلأن الجوهر الذي يقوم به الشيء ويعرض له فيكون منفعلا من الأعراض الحالة فيه وإذا طرأ عليه الانفعال لزم حدوثه ولأنه سبحانه الذي أجرى الجواهر ببديع صنعه ولا يجري عليه ما هو أجراه قال مولانا الرضا عليه السلام (و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له)[١] .

وأما أنه ليس بمركب فلأن المركب مسبوق بالأجزاء فيلزم احتياج المركب إلى الأجزاء وهو سبحانه غني عما سواه ولأنه لو لم يقف على حد أي لا ينتهي الوجود إلى واجب للزم الدور والتسلسل وكلاهما محال ، هذا بحسب الظاهر في الاستدلال وإلا في الحقيقة لا تنتهي الأشياء إلا إلى فعل الله ، قال أمير المؤمنين عليه السلام (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله) ، وقال سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة (يا من استوى برحمانيته على العرش فصار العرش غيبا في رحمانيته كما أن العوالم صارت غيبا في عرشه محقت الآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار)[٢] .

وأما كونه ليس في حيز ولا في محل لأنه لو كان في محل للزم تحديده وحلوله في المكان وإذا كان محدودا كان حادثا لأن المحدود مركب من الحد ونفسه .

وأما أنه ليس بمحل لأنه لو كان محلا لكان منفعلا ومقترنا وكلاهما من صفة الحدوث .

وأما أنه لا يرى فلأن الرؤية لا تصح ما لم يكن الشيء مقابلا وفي حكم المقابل وهو منزه عنهما لاستلزم حدوثه .

---

(١) عيون أخبارالرضا١ / ١٤٩

(٢) دعاء عرفة لمولانا الحسين عليه السلام .

وأما أنه لا يدرك فلأن الإدراك فرع الإحاطة وهو سبحانه محيط ولا يحاط ، وعنت الوجوه للحي القيوم .

وأما أنه ليس فيه شيء من صفات النقص فلأن ذلك من صفات المحتاجين والاحتياج من صفة الحدوث وقد بسطنا الكلام في كل ذلك في شرحنا على خطبة التوحيد لمولانا الرضا عليه آلاف التحية والثناء وأعرضنا هنا عن ذكر الأدلة التفصيلية لئلا يطول الكلام في هذا المختصر وقد أردنا اختصاره .

قال: ففي هذا الأصل مقامات خمسة .

المقام الأول

المقام الأول: في أن للعالم صانعا واجب الوجود بالذات ردا على من قال أن موجده هو الدهر أو الطبيعة الممكنة كالدهرية والحكماء الطبيعيين .

أقـول : من أراد الاطلاع على تفصيل ذكـر الرد على هؤلاء فلينظر في توحيد المفضل ومجالسه الأربعة والاحتجاج المشهور بالاهليلجية من آثار أهل العصمة وخطبهم وكلماتهم فإن فيها من البيان ما لا يحتاج إلى غيره أحد من بني نوع الإنسان ، ثم الفطرة قاضية على وجود الصانع لأن الخلق كلهم مفطورون على التوحيد كما صرحت به أخبار أهل الأسرار عليهم سلام اللّه في الأكوار والأدوار والأوطار والأطوار .

قال: وذلك لأن الممكن الكلي الذي يكون موجودا بالعيان لا بد له من موجد غيره لئلا يلزم تحصيل الحاصل والترجيح بلا مرجح أو الترجح بلا مرجح .

أقول : لما أراد أن يثبت الصانع شرع في ذكر بعض من الأدلة فقال إن الممكن لا بد له من موجد غيره وإلا لكان في إيجاد نفسه تحصيل الحاصل لأنه موجود ، فكيف يوجد ما هو موجود ، فإذاً لزم تحصيل الحاصل وهو باطل ، ويلزم أيضا من ذلك الترجيح بلا مرجح لأنه لو أوجد نفسه فلماذا رجح زمان إيجاده على ساير الأزمنة وذلك لا يكون إلا بالترجيح بلا مرجح وهو فاسد ، ويلزم من ذلك أيضا الترجح بلا مرجح وهو محال أن يترجح في نفسه من نفسه بلا مدخلية غيره فيه ، وترديد المصنف في قوله (يلزم

الترجيح بلا مرجح أو الترجح بلا مرجح) ليس في مكانه للزوم كلا الأمرين ، أما الأول فلكون ترجيحه للمكان والزمان ، وأما الثاني فلكون ترجح نفسه في وجوده وإذا بطل كل ذلك وجب استناده إلى الغير .

قال: وذلك الغير إما واجب أو ممتنع وكونه ممتنعا ممتنع لأن غير الموجود يستحيل أن يكون موجدا فتعين كونه واجبا .

أقول : لأن الممتنع ممتنع وجودا وفرضا واعتبارا فكيف يصلح أن يكون منشأ للآثار الموجودة في الخارج على أن الحكماء يقولون أن الممتنع هو العدم والعدم نقيض للوجود فكيف يكون مصدرا لإيجاد الموجود .

قال: إلى غير ذلك من الأدلة العقلية المطابقة للنقل .

أقول : لما بيَّن وجود الصانع بطريق العقل أراد أن يطابق ذلك بالدليل النقلي .

قال: كقوله تعالى ﴿ اللهُ الذي خَلَقَ السَّموات وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات، وما روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه بعد ما قال الزنديق ما الدليل على صانع العالم، قال (وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها . . .)[3] إلى آخر هذا الحديث .

أقول : الآيات والروايات الواردة على إثباته مما لا يكاد يحصى فمن أراد الاطلاع عليها فليطلبها في مظانها ولا قوة إلا باللّه .

---

(١) إبرهيم ٣٢

(٢) النحل ٤ - ٥

(٣) الاحتجاج ٢ / ٣٣١

المقام الثاني

قال: المقام الثاني: أنه تعالى صاحب الصفات الكمالية ردا على من قال أن ذاته تعالى نائب عن الصفات .

أقول : ذهبت المعتزلة إلى أن ذاته نائبة عن الصفات وإنما أثبتوا أحوالا لا توصف بالوجود والعدم والشيئية واللاشيئية والقدم والحدوث وليست مجتمعة معه سبحانه ولا مفترقة وتلك الحالات معلولات للمعاني التي يثبتها الأشاعرة فتلك المعاني هي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والحالات هي العالمية والقادرية والحيية والسمعية والبصرية إذ العالمية صفة للعالم والعالم من العلم وهكذا نظائرها .

وذهب أبو هاشم إلى تربيع الحالات معللة بالحالة الخامسة وهي الألوهية وتلك الحالات هي القادرية والحيية والموجودية والعالمية وزعم أن هذه الأحوال كلها ثابتة في الأزل مع الله وهو وافق الأشاعرة في ثبوت تعدد القدماء وأنها مغايرة للذات .

وباقي المعتزلة ذهبوا إلى القول بالأحوال وأنها ليست موجودة ولا معدومة وليست هي عين الذات ولا غيرها .

فأما ما ذهب إليه أبو هاشم فالأدلة المبطلة لقول الأشاعرة مبطلة له ، وأما باقي المعتزلة فاعتقدوا نفي جميع الصفات من حيث مفهوماتها وأثبتوا آثارها وجعلوا الذات نائبة في إحداث الآثار منابها وزعموا أن كل أثر لا ينشأ إلا عما هو مجانس له في معنى مفهومه الاشتقاقي ، فإن العلم ينشأ

عن العلم والسمع من السمع ولا ينشأ السمع عن العلم ولا العلم عن السمع ، وإثبات تلك المبادئ إن كان على جهة القدم لزم تعدد القدماء وإن كان على جهة الحدوث لزم احتياجه سبحانه والاحتياج من صفة الحدوث ويلزم خلوه عما يحتاج إليه فوجب القول في الصفات المتوسطة بين القدم والحدوث والنفي والثبوت .

قال: والدليل على ذلك عقلا، أولا: أن الصفات الكمالية كالعلم والحياة والقدرة مما لا يقتضي ثبوتها على وجه العينية نقص صاحبها وكل ما هو كذلك فهو ممكن وثابت على وجه الوجوب له تعالى.

وثانيا: أن عدم ثبوت صفات الكمال يقتضي نقص الذات في رتبة الذات والصفات وإن رتب عليها الآثار في مقام الفعل .

أقول : ما ذكره المصنف من الرد على القول بالنيابة دليل محمل لأقوالهم واستدلالهم على التفصيل لأن كون الصفات مما لا يقتضي ثبوتها على وجه العينية إمارة على ما يعرفون أول الكلام وإلا لما اختلف الأشاعرة والمعتزلة والإمامية إذ لا يريد واحد منهم إثبات النقص ورفع الكمال عنه تعالى ، فلو عرفوا وسلموا ما ذكر كمالا لما عدلوا عنه فكلام المصنف هنا عين المصادرة وذلك ليس ردا على استدلالهم ، وإن ما ذكر شيخنا وأستاذنا ومن إليه في كل حق استنادنا الشيخ الأوحد والفرد الأمجد حجة الله على الإسلام والمسلمين وركن المؤمنين الممتحنين رئيس الموحدين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الإحسائي أطال الله بقاه وجعلنا في كل مكروه فداه في شرحه على العرشية واستدل على بطلان طريقتهم بأدلة شافية وافية أحب ذكرها .

قال أطال اللّه بقاه (وليس في شيء مما قرروا شيء صحيح يقوم عليه دليل بل مقتضى الأدلة نفي جميع ما قالوا فإن إثباتهم الأحوال إن كانت أثبتوا به شيئا لزمهم ما فروا منه فإن الشيء لا يخلو من أن يكون قديما أو حادثا وإن سموه حالا فإنه لا يخلو من ذلك وعدم إثبات شيء مع الذات لا يلزم منه الحاجة ولا الخلق لأنه تعالى لا يحتاج إلى شيء في إيجاد شيء إذ المشية من مشيته والآثار مبدؤها بفعله ذواتها و ما هي به هي وليست من أصل معه لأن ذلك الأصل إن كان قديما لم يجز الإيجاد منه إذ يلزم تغييره المنافي للقدم فإن القديم يأبى التغيير لذاته ، وإن كان حادثا نقلنا الكلام إلى مبدئه فيدور أو يتسلسل ، وإنما اخترعها وألبسها من هيئة اختراعه قبولها منه ، ومفهومها الاشتقاقي هو من معنى ما اخترعها عليه فلا يحتاج في إحداثها إلى شيء إذ لا شيئية لشيء مما سوى ذاته المقدسة إلا ما اخترعه عليه بفعله وألبسه من هيئة اختراعه فلا تحتاج الذات المقدسة في إحداث الآثار إلى ما أثبتوه من المبادئ والأحوال على أنها إذا أحدثتها بفعلها فهي آثارها أي آثار فعلها ، والنيابة لا تعقل مع إثبات المؤثر لأن المؤثر النائب إن كان له صالحا للتأثير استغنى عن غيره وإن لم يكن صالحا لا يمكنه التأثير بالنيابة إلا مع إثبات المنوب عنه وتحققه ليكون بنيابته عنه فاعلا ، وإذا جوزوا تأثيره على النيابة عما ليس بموجود فما الموجب إلى الحكم يكون فعله على جهة النيابة إلا توهم أخذ حقائقها من تصور مفاهيم تلك الصفات وحيث بينا أن حقائقها مخترعة وأن وصفه تعالى بتلك الصفات إنما هو من حيث أنه فاعلها فيكون تسمية تلك الصفات بما سميت به إنما هي من فعله لتلك المعاني لأن هذه الصفات صفات الأفعال كما

ذكرنا سابقا ، كما تسمي زيدا كاتبا وتصفه بحالة الكاتبية فإن ذلك ليس إلا بما اشتقت من فعله الكتابة لا أن الكاتبية حال لذاته وأن الكاتب صفة لذاته وإنما ذلك من صفات فعله ، وبما رددنا عليهم أعني أصحاب المعاني وأصحاب الأحوال يعلم مذهبنا من عينية الصفات ، بمعنى أنّا إذا وصفناه بعليم وقادر وسميع وبصير فإن أردنا المعنى الأزلي فلا نعني بتلك الأوصاف إلا محض الذات البحت وإن مفاهيمها نفس مفهوم الذات البحت ولا تكثر ولا تعدد ولا تغاير لا في الخارج ولا في نفس الأمر ولا في العقل ولا في الفرض والاعتبار بحال من الأحوال وإنما وصفناه بذلك مع قولنا لهذا تبعا لوصفه نفسه تعالى بذلك بعد قيام الدليل القطعي عندنا على أن مراده تعالى بوصف نفسه بذلك وصفه نفسه لتعليم عباده بأوصاف أفعاله كالكاتب والقائم والمتحرك والنائم في وصف زيد بها مع أنها صفات أفعاله والأفعال متحدة في نفسها وإنما تكثرت واختلفت أسماؤها باعتبار تكثر متعلقاتها) وهي ما أردنا نقله من كلامه أطال الله بقاه فاشرب صافيا لا تظمأ بعده .

قال:ويطابق العقل فما ذكرنا النقل الدال على أنه تعالى صاحب الصفات كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] ، وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

(١) الأنعام ١٠١

(٢) آل عمران ١٥

(٣) النساء ٥٨

(٤) الأنعام ٥٩

السَّاعَةِ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] . . . إلى غير ذلك من الآيات، وما روي عن الرضا عليه السلام أنه قال بعد السؤال عن علمه تعالى قبل الأشياء (إن الله هو العالم بالأشياء)[4] وما روي عن الصادق عليه السلام قال بعد سؤال الزنديق (هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وَ بَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَ يُبْصِرُ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ قَوْلِي إِنَّهُ سَمِيعٌ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرُ وَ لَكِنِّي أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْئُولاً وَ إِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلاً فَأَقُولُ يَسْمَعُ بِكُلِّهِ لا أَنَّ كُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ لأَنَّ الْكُلَّ لَنَا لَهُ بَعْضٌ وَ لَكِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ وَالتَّعْبِيرُ عَنْ نَفْسِي وَ لَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلا أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ بِلا اخْتِلافِ الذَّاتِ وَلا اخْتِلافِ مَعْنًى)[5] إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أن ذاته تعالى صاحب الصفات لا نائبها.

أقول : كان يناسب ذكر الرواية في مقام الرد على الأشاعرة والروايات والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا .

قال: وما ورد من أن كمال التوحيد نفي الصفات الزائدة كما يقول الأشاعرة بمعنى أن يقال له ذات وصفات على وجه التعدد والاثنينية فإن ذلك خلاف الحق أن ذاته صفاته وصفاته ذاته، مع أن ما ذكرنا من العقل والنقل مقدم على الخبر الواحد لو سلم دلالته على خلافه .

أقول : في خطبة علي عليه السلام هكذا(أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ

(١) لقمان ٣٤
(٢) الاعلى ٧
(٣) البقره ٢٠
(٤) التوحيد ١٣٦
(٥) الكافي ١ / ١٠٨

وَكَمَال الإِخْلاص لهُ نَفْيُ الصِّفَات عَنْهُ لشَهَادَة كُل صِفَة أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوف وَ شَهَادَة كُل مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَة فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَه)[1] ، وفي خطبة التوحيد لمولانا الرضا هكذا (أول عبادة الله تعالى معرفته وأصل معرفة الله توحيده ونظام توحيد الله تعالى نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق و شهادة كل موصوف أن له خالقا ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدوث وشهادة الحدوث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدوث . . . الخ)[2] ، وأيضا عن علي عليه السلام (كمال التوحيد نفي الصفات عنه . . . إلخ)[3] .

وبالجملة فالعلماء اختلفوا في معناها فذهب بعضهم إلى أن كمال التوحيد نفي الصفات الزائدة عنه كما ذهب إليه صلى الله عليه وآله ويصدق ما ذهبوا إليه قوله عليه السلام (التوحيد إسقاط الإضافات) فيكون المعنى أن كل صفة يتصف بها الحق من صفات الإضافة فهي ليست ذاته سبحانه فالتوحيد لا يتحقق إلا بنفيها عنه .

وذهب بعضهم إلى أن نفي الصفات عنه بمعنى إرجاع جميع صفاته إلى سلب نقايصها ونفي مقابلاتها لا أن هي هنا ذاتا وصفة قائمة بها أو بذاتها أو أنها عين الذات بمعنى حيثيته كونها ذاتا هي بعينها حيث كونها مصداقا لتلك الصفات بأن يكون كمالها بنفسها فردا من الوجود يكون فردا من العلم والقدرة وغيرها فردا عرضيا واستدلوا على مطلوبهم بقوله عليه السلام

---

(١) نهج البلاغة ٣٩

(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ١٥٠

(٣) بحار الأنوار ٤ / ٢٨٤

(لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق)[1] وقالوا هذا إبطال للقول بالصفات العينية والزائدة العارضية أي العقل الصريح الغير المشوب بالشبه والشكوك يحكم بمخلوقية الصفة والموصوف سواء كانت الصفة عينه أو زائدة قائمة بذاته تعالى .

بيان ذلك على القول بالزيادة أن تلك الصفة لما كانت عارضة وكل عارض إما أن يكون واجبا أو ممكنا ومن البين أنه يمتنع وجوبه لأن الصفة حقيقتها الشيء المحتاج إلى موصوف وذلك يناقض الوجوب الذاتي فتعين أن يكون ممكنا وكل ممكن عارض لا بد له من علة لكونه ولعروضه فلا محالة تكون تلك العلة هي الذات فالذات لا محالة علة لعروض تلك الصفة لنفسها فتكون الصفة والموصوف كلاهما متعلق الجعل ، أما الصفة فظاهرة معلوليتها وأما الموصوف فلأن كونه موضوعا لهذا العارض معلومة له وإن كان من نفسه وهذا معنى ما يقولون فاعلا وقابلا ، فإن قيل لعل علة العروض نفس الصفة بمعنى أن الصفة بنفسها تقتضي العروض لتلك الذات ، فنقول ننقل الكلام إلى علة نفس الصفة فإما أن تكون الذات فترجع إلى ما قلنا وإما أن تكون غير الذات فيلزم معلوليتهما للغير وهو الذي أردناه .

وأما على القول بالعينية فبأنه مع تسليم اتحاد حيثية الذات والصفات لا شك من أن اعتبار كون تلك الحيثية حيثية الذات متقدم على اعتبار كونها حيثية الصفات اعتبار حيثية الصفات اعتبارا واقعيا نفس أمري لأن الذات متقدم بالذات على الصفات ومنع هذا مكابرة صريحة إذ الوصف مفهومه الشيء المحتاج المتأخر عن الموصوف ، ولامتناع كونه متقدما أو معا بديهة فإذا

(١) عيون أخبار الرضا ج : ١ ص : ١٤٩

تحقق القبلية والبعدية الذاتيتين اتضحت العلية والمعلولية بين الذات والصفة ، وإذ قد فرضت العينية فالذات باعتبار علة وباعتبار آخر معلول ، انتهى ما قالوا ، ثم قالوا في بيان رجوع الصفات إلى المسلوب نعني قولنا قادر ليس بعاجز ومعنى قولنا عالم ليس بجاهل وهكذا ساير الصفات .

فنقول ولا قوة إلا باللّه إن ما أوردوه في حجتهم وارد على من زعم أن مفهوم الصفة غير مفهوم الذات كالمصنف وأضرابه ، وأما إذا قلنا أن مفهوم الذات ومفهوم الصفات شيء واحد بمعنى أن مفهوم الصفة هو عين مفهوم الذات ، ومفهوم الذات عين مفهوم الصفة ، بمعنى أن هذه الألفاظ كلها مترادفة إن أريدت بها الذات فالصفة عين الموصوف مفهوما وتحققا واعتبارا فلا يتحقق هنا القبلية والبعدية أصلا كما هو مذهبنا تبعا لأئمتنا فلا يلزمنا ما أوردوه أصلا ، ثم يرد عليهم أنهم إذا جعلوا الصفات راجعة إلى السلوبات لزم التكثر في ذات الحق لأن النفي فرع الثبوت ما هو أعم من الثبوت نريد من الثبوت الوجودي والثبوت الذهني الظلي ، وإن كان عندنا أن الموجود الذهني ظل وشبح للوجود الخارجي العيني كما حققناه في محله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من الأدلة العقلية والنقلية في رسائلنا لا سيما في شرحنا على خطبة التوحيد لمولانا الرضا عليه السلام .

وبالجملة لو لم يصح ثبوت تلك الصفة المنفية فيه لم يصح نفيها عنه أبدا وهو واضح عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فإذا دريت ذلك فقد عرفت فساد ما ذهبوا إليه من رجوع الصفات إلى السلوبات للزوم التكثر في الذات ولزوم تعطيل الذات عن الكمالات فوجب إثبات الصفة ليخرجه عن الحدين حد التعطيل وحد التشبيه كما روي عنهم عليهم السلام لا

الجمع بين التعطيل والتشبيه كما تقوله الصوفية و تبعهم المصنف بلسان عمله حيث جعل مفاهيم الصفات متغايرة ، لا التعطيل المحض كما يقوله المعتزلة ، ولا التشبيه المحض كما تقوله ساير الملاحدة .

ثم اعلم أنّا قلنا أن الذات موصوفة بتلك الصفات لا يزيد بذلك أنه موصوف مقترن بالصفة إذا نفينا الصفات الزائدة الإضافية عن الذات فلا يصح أن تقول أن الذات من حيث ذاتها موصوفة بتلك الصفات لأن الاقتران من صفة الحدوث فمعنى قوله عليه السلام (كمال التوحيد نفي الصفات عنه)[1] يعني الصفات الإضافية الزائدة فافهم ، فهذه الرواية لا تنافي سائر الروايات الواردة في إثبات الصفات .

(١) بحار الأنوار ٤ / ٢٨٤ .

المقام الثالث

قال: المقام الثالث أن صفاته تعالى منقسمة إلى الثبوتية والسلبية والثبوتية منقسمة إلى الحقيقية التي هي صفات الذات ولا يمكن إثباتها مع نقيضها له تعالى ولو باعتبارين، والإضافية التي هي صفات الفعل التي يمكن إثباتها مع نقيضها له تعالى بالاعتبارين .

أقول : إن الصفات منها ثبوتية ومنها سلبية على رأي المتكلمين والثبوتية على قسمين : منها صفات هي عين الذات مصداقا ومفهوما وتحققا واعتبارا كما عرفت ، ومنها صفات ليست هي عين الذات وتسمى بصفات الأفعال لصحة اتصاف الذات بصفة نقيضها كقولك رازق وفاعل وخالق ، فإن الذات يصح اتصافها بصفات نقائضها كما تقول رزق ولم يرزق وفعل ولم يفعل وخلق ولم يخلق لاحتياج كل من هذه الصفات إلى المبادئ لأن وجود المشتق منوط بوجود المبدأ ، كالقائم في قولك زيد قائم فإن قائميته وصف أوجده بقيامه الذي هو فعله وليس القائم عين ذات زيد لأن الذاتي لا يتغير إلا بتغيير الذات ، ومن المعلوم أن زيدا يتصف بصفة هي غير القائمية لأنه يقعد ويأكل ويشرب وينام ويضحك ويبكي وهكذا تجري عليه سائر الحالات ، فبطريان سائر الحالات كالقعود مثلا تنفك عنه القائمية فلا يصدق عليه قولنا زيد قائم إذا كان قاعدا وهكذا صفة القعود فإنه إذا كان قائما لا يصح عليه أنه قاعد ، فلما رأينا تقلبه في هذه الصفات وصدقها

عليه بالثبوت تارة وبالنفي أخرى علمنا أن هذه الصفات ليست هي ذاته فهكذا صفات فعله سبحانه فلو كانت صفات فعله هي عين الذات لزم تركيب الذات من السلب والإيجاب والنفي والإثبات وكل ذلك من صفات الحدوث لأنك تقول رزق ولم يرزق وشاء ولم يشأ وأراد ولم يرد فصح اتصاف الذات بأنه رازق وليس برازق وشاء وليس بشاء ومريد وليس بمريد وصح قولنا فصح اتصاف الذات ، نريد اتصافه بفعله حتى تكون تلك الصفة من صفات فعله لأن الذات بذاتها تتصف بتلك الصفات فافهم .

قال: والله تعالى منزه عن الصفات السلبية التي هي صفات النقص ردا على الحلولية والاتحادية، ومن قال أنه جسم لا كالأجسام وأمثالهم .

أقول : إنه سبحانه منزه من صفات النقص ، لأن ذلك من صفات الإمكان فإذا سلبت الإمكان عن ذاته فقد سلبت جميع صفات النقائص عنه ، فحقيقة ليس له سلوب بل سلب واحد وهو الإمكان وسائر السلوب كلها مندرجة في الإمكان فإذا سلبت الإمكان عنه فقد دخل تحت هذا السلب سلب الجسمية والعرضية وغيرهما ، كما يدخل تحت سلب الجمادية عن الإنسان سلب الحجرية والمدرية .

وقوله (ردا على الحلولية والاتحادية) وهما مذهب النصارى حيث يقولون بالأقانيم الثلاثة ، وهي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس ويزعمون أن هذه الثلاثة متحدة ، وقولهم أن روح القدس حل في مريم فولد عيسى المسيح عليه السلام صريح في الحلول ويمتنع الحلول والاتحاد بالنسبة إليه سبحانه .

أما امتناع الحلول فلأنه لو حل في شيء لكان متحيزا ولو كان متحيزا لكان مماثلا للتحيزات ومساويا لها في الحقيقة والذات فكان يصح عليه ما

يصح عليها وصح ما صح عليه لوجوب اشتراك المتماثلات في الأحكام والصفات لكن صح عليه أنه قديم وعليها أنها حادثة فيلزم كونه تعالى حادثا وكونها قديمة ، ثم أنه لو حل في شيء من الأشياء لكان مقترنا مع ذلك الشيء والاقتران من صفة الحدوث ، ثم أنه لو كان متحيزا فلا يخلو إما أن يكون منقسما أو غير منقسم ولا ثالث بينهما وكلاهما عليه محال ، أما انتفاء الأول فلأنه لو كان منقسما لكان مركبا ، وكل مركب مسبوق بالأجزاء ومحتاج إلى الأجزاء ، والاحتياج من صفة الحدوث ، وأما انتفاء القسم الثاني فلأنه لو كان غير منقسم لزم القول بمتحيز غير منقسم وليس ذلك إلا الجوهر الفرد على فرض وجوده وقد أبطلنا فيما سبق وجوده .

وأما امتناع الاتحاد فلأنه مأخوذ في مفهومه جعل الشيئين شيئا واحدا فإما أن يبقى الشيئان بعد الاتحاد أو لا فإذا بقي لم يتحقق الاتحاد أصلا وإذا لم يبق فقد عدمنا رأسا فلم يبقيا على حالهما وتحقق شيء ثالث غير الأولين إذ المركب غير الإفراد والأجزاء فلم يكن قديما إذا اتحد مع شيء والحال أنه قديم فإذا ثبت قدم لم يكن متحدا مع شيء أصلا فافهم .

وقوله (من قال أنه جسم لا كالأجسام . . . الخ) ، هذا المذهب محكي عن هشام بن الحكم بأنه قال هو جسم لا كالأجسام ، وبطلان ذلك من أوضح الأشياء إذ الأجسام بأسرها مركبة ومتحيزة .

قال: بيان ذلك إجمالا أن الصفات على ثلاثة أقسام، الأول: صفات الذات وتسمى صفات الكمال وهي الصفات الثبوتية الحقيقية وأصولها ثلاثة العلم والقدرة والحياة والإردة والسمع والبصر المعبر عنهما بالإدراك والسرمدية الشاملة للقدم والأزلية والأبدية والكلام والصدق والخمسة الأخيرة من شعب الثلاثة الأول .

أقول : صفات الذات هي عين الذات بلا مغايرة لا مفهوما ولا مصداقا

ولا تحققا ولا اعتبارا والذات من حيث هي واحدة بسيطة من جميع الوجوه فلا يتحقق لها جهة وجهة واعتبار واعتبار ، فقول المصنف أن الخمسة الأخيرة من شعب الثلاثة الأول مخالف لمذهب أهل البيت لاستلزام التشعب جعله سبحانه بذاته فاعلا وقابلا ولا شك أن الفاعل هو غير القابل فلم يكن الحق واحدا بسيطا بل يكون ذاته بذاته متكثرا مركبا من جهة الفاعلية والقابلية وقد عرفت فيما سبق بطلانه .

وأما الإرادة فاعلم أن القول بقدمها ليس من مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وإنما وقع إجماعهم على حدوثها لأنه قد ثبت بالضرورة والعيان أن كل صفة توصف الذات بها وبنقيضها ليست عين الذات لأن الصفة الذاتية عند الإمامية هي الذات بلا فرض المغايرة فإثباتها إثباتها ونفيها نفيها ، فما صح الإثبات ولم يصح النفي بحال ، فهو من الذاتية كالعلم فلا يمكن أن يوصف بالجهل وعدم العلم وما صح النفي والإثبات معا فهو من الفعلية وإلا لزم نفي الذات مرة وإثباتها أخرى وهو بديهي البطلان فإذا كان كذلك فلا يستريب عاقل أن الإرادة مما يصح نفيها كما يصح إثباتها ، كما قال الله تعالى ﴿ **لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ** ﴾[1] فإذا كانت هي الذات يلزم نفي الذات وذلك كفر وزندقة فلا تكون الإرادة قديمة بالضرورة .

وأما قولهم بأن الإرادة على قسمين : قديمة وحادثة ، فدعوى تحتاج إلى بينة واضحة ، وذلك إما المشاهدة والرؤية والإحاطة وإما إخبار المطلع على حقيقة الأمر الصادق المنزه عن الأباطيل ، وإما دلالة العقول الصحيحة بالنظر إلى بعض اللوازم والأسباب والمبادئ ولا رابع إلا ما يرجع إليها .

أما الأول : فقد دلت ضرورة الإسلام على امتناعه وأن إدراك ذاته تعالى

(١) المائدة ٤١

بالمشاهدة والعيان والإحاطة مما لا يمكن لأحد من الخلق وهو سبحانه لا ينزل إلى رتبة الخلق ولا يصعد أحد إلى رتبته وهذا المعنى من أوضح البديهيات عند المسلمين فبطل التمسك به بالضرورة واليقين .

وأما الثاني : فلا شك أن ذاته لا يعرفه سواه إلا بما عرّف به نفسه لخلقه وجميع ما أراد من خلقه من معرفته وعبادته بيّنَه لخلقه ، وجعل بيانه عند أمنائه وحججه وخلفائه عليهم السلام لأنهم الطريق الموصل إلى مراده وبيانه سلام اللّه عليهم معصومون منزهون عن الخطأ والسهو فما يقولون إلا عن اللّه عز وجل ولا يكتمون شيئا مما أوجبه اللّه على خلقه بأن لا يوصلوه إليهم فليس لنا الآن سبيل إلى معرفة بيانه تعالى إلا بالكتاب والسنة ، فلما تتبعنا الكتاب والسنة رأيناها متطابقة متواردة بل متواترة على حدوث الإرادة وليس فيها ما يوهم القدم فضلا عن التصريح ، بل الأخبار كلها ناصة بالنص الواضح الصريح على حدوثها حتى قال مولانا الرضا عليه السلام ما رواه الصدوق في التوحيد (المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله تعالى لم يزل مريدا شائيا فليس بموحد)[1] فحكم بأن القائل بقدم الإرادة مشرك ليس بموحد ، وفي مناظرته روحي فداه مع سليمان المروزي متكلم خراسان[2] دليل قاطع على عدم الإرادة القديمة لأنه عليه السلام مع طول البحث وإصرار سليمان بالقدم ما أقر له أبدا أن هنا إرادة قديمة وإردة حادثة

---

(١) التوحيد ٣٣٧

(٢) وهو هذا الحديث المروي في الاحتجاج ٢ / ٤٠١ - ٤٠٤ و روي عن الحسن بن محمد النوفلي أنه كان يقول قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه و وصله ثم قال له إن ابن عمي علي بن موسى الرضا قدم علي من الحجاز يحب الكلام و أصحابه فعليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته فقال سليمان يا أمير المؤمنين إني أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم فينتقص عند القوم إذا كلمني و لا يجوز*

بوجه من الوجوه ، وقد عقد الكليني والصدوق والمجلسي في جوامعهم من

---

* الاستقصاء عليه قال المأمون إنما وجهت إليك لمعرفتي بقوتك و ليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط فقال سليمان حسبك يا أمير المؤمنين اجمع بيني و بينه و خلني و إياه فوجه المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال له إنه قدم علينا رجل من أهل مرو و هو واحد خراسان من أصحاب الكلام فإن خف عليك أن تتجشم المصير إلينا فعلت فنهض عليه السلام للوضوء ثم حضر مجلس المأمون و جرى بينه و بين سليمان المروزي كلام في البداء بمعنى الظهور لتغير المصلحة و استشهد ع بآي كثيرة من القرآن على صحة ذلك مثل قول الله يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ و يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ و يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ و ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ و آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ و أمثال ذلك فقال سليمان يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء و لا أكذب به إن شاء الله فقال المأمون يا سليمان اسأل أبا الحسن عما بدا لك و عليك بحسن الاستماع و الإنصاف قال سليمان يا سيدي ما تقول فيمن جعل الإرادة اسما و صفة مثل حي و سميع و بصير و قدير قال الرضا عليه السلام إنما قلتم حدثت الأشياء و اختلفت لأنه شاء و أراد و لم تقولوا حدثت و اختلفت لأنه سميع بصير فهذا دليل على أنها ليست مثل سميع و بصير و لا قدير قال سليمان فإنه لم يزل مريدا قال يا سليمان فإرادته غيره قال نعم قال قد أثبت معه شيئا لم يزل قال سليمان ما أثبت قال الرضا عليه السلام أ هي محدثة قال سليمان لا ما هي محدثة فأعاد عليه المسألة فقال هي محدثة يا سليمان فإن الشيء إذا لم يكن أزليا كان محدثا و إذا لم يكن محدثا كان أزليا قال سليمان إرادته منه كما أن سمعه وبصره و علمه منه قال الرضا ع فإرادته نفسه قال لا قال فليس المريد مثل السميع و البصير قال سليمان إنما إرادته كما سمع نفسه و أبصر نفسه و علم نفسه قال الرضا ع ما معنى أراد نفسه أراد أن يكون شيئا أو أراد أن يكون حيا أو سميعا أو بصيرا أو قديرا قال نعم قال الرضا عليه السلام أ فبإرادته كان ذلك قال سليمان نعم قال الرضا عليه السلام فليس لقولك أراد أن يكون حيا سميعا بصيرا معنى إذ لم يكن ذلك بإرادته قال سليمان بلى قد كان ذلك بإرادته فضحك المأمون و من حوله و ضحك الرضا عليه السلام ثم قال لهم ارفقوا بمتكلم خراسان فقال يا سليمان فقد حال عندكم عن حاله و تغير عنها و هذا مما لا يوصف الله عز و جل به فانقطع ثم قال الرضا عليه السلام يا سليمان أسألك عن مسألة قال سل جعلت فداك قال أخبرني عنك و عن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون و تعرفون أو بما لا تفقهون و تعرفون فقال بل بما نفقهه و نعلم قال الرضا عليه السلام فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة و أن المريد قبل الإرادة و أن الفاعل قبل المفعول و هذا يبطل قولكم إن الإرادة و المريد شيء واحد قال جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس و لا على ما يفقهون قال فأراكم ادعيتم على ذلك بلا معرفة و قلتم الإرادة كالسمع و البصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف و لا يعقل فلم يحر جوابا ثم قال الرضا عليه السلام هل يعلم الله تعالى جميع ما في الجنة و النار قال سليمان نعم قال فيكون ما علم الله عز و جل أنه يكون من ذلك قال نعم قال فإذا كان حتى لا يبقى منه شي ء إلا كان أ يزيدهم أو يطويه عنهم قال سليمان بل يزيدهم قال فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون قال جعلت فداك فالمزيد لا غاية له قال فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك و إذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال سليمان إنما قلت لا يعلمه لأنه لا غاية لهذا لأن الله عز و جل وصفهما بالخلود و كرهنا أن نجعل لهما انقطاعا قال الرضا عليه السلام ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم و لذلك قال عز و جل في كتابه كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ و قال لأهل الجنة عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ و قال عز و جل وَ فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ فهو عز و جل يعلم ذلك و لا يقطع عنهم الزيادة أ رأيت ما أكل أهل الجنة و ما شربوا أ ليس يخلف مكانه قال بلى قال أ فيكون يقطع ذلك *

الكافي والتوحيد والبحار بابا منفردا لحدوث الإرادة وأوردوا الأخبار الناصة الصريحة في حدوثها بما يبلغ حد التواتر ، وفي القرآن أيضا نفي الإرادة والمشية عنه تعالى أوضح دليل على حدوثهما ، فظهر ووضح أن اللّه سبحانه ما أخبر بأن له إرادة قديمة لأن إخباره إما في كتابه أو بألسنة أوليائه وقد عرفت انطباقهما على الحدوث فبطل التمسك بالأمر الثاني .

وأما الثالث الذي هو العقل فلا شك أنه ليس طريق إلى إثبات صفة لذاته تعالى إلا ما يجده طبقا للعقول السليمة كمالا على الإطلاق فكلما يراه كمالا على جهة الإطلاق يثبتها له تعالى عن حدّ ما ورد عن الباقر عليه السلام (ولعل النمل الصغار تتوهم أن للّه تعالى زبانيتين)[1] لما رأتهما كمالا لما اتصف بهما فلا يجوز له إثبات الإرادة إلا لأنها كمال ، ونحن

عنهم و قد أخلف مكانه قال سليمان لا قال فكذلك كل ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم قال سليمان بلى يقطعه عنهم و لا يزيدهم قال الرضا عليه السلام إذا يبيد ما فيها و هذا يا سليمان إبطال الخلود و خلاف الكتاب لأن الله عز و جل يقول لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ و يقول عز و جل عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ و يقول عز و جل وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ و يقول عز و جل خالِدِينَ فِيها و يقول عز و جل وَ فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ فلم يحر جوابا ثم قال الرضا ع أ لا تخبرني عن الإرادة فعل أم هي غير فعل قال بل هي فعل قال فهي محدثة لأن الفعل كله محدث قال ليست بفعل قال فمعه غيره لم يزل قال سليمان إن الإرادة هي الأشياء قال يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار و أصحابه من قولهم إن كل ما خلق الله عز جل في سماء أو أرض أو بحر أو بر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة إرادة الله و إن إرادة الله تحيا و تموت و تذهب و تأكل و تشرب و تنكح و تلد و تظلم و تفعل الفواحش و تكفر و تشرك فتبرأ منها وتعاديها و هذا حدها قال سليمان إنها كالسمع و البصر و العلم قال الرضا عليه السلام فكيف نفيتموه فمرة قلتم لم يرد و مرة قلتم أراد و ليست بمفعول له قال سليمان إنما ذلك كقولنا مرة علم و مرة لم يعلم قال الرضا عليه السلام ليس ذلك سواء لأن نفي المعلوم ليس ينفي العلم و نفي المراد نفي الإرادة أن تكون لأن الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة و قد يكون العلم ثابتا و إن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر فقد يكون لإنسان بصيرا و إن لم يكن المبصر و يكون العلم ثابتا و إن لم يكن المعلوم فلا يزال سليمان يردد المسألة و ينقطع فيها و يستأنف و ينكر ما كان أقر به و يقر بما أنكر و ينتقل من شي ء إلى شيء و الرضا عليه السلام ينقض عليه ذلك حتى طال الكلام بينهما و ظهر لكل أحد انقطاعه مرات كثيرة تركنا إيراد ذلك مخافة التطويل فآل الأمر إلى أن قال سليمان إن الإرادة هي القدرة قال الرضا عليه السلام و هو عز و جل يقدر على ما لا يريد أبدا و لا بد من ذلك لأنه قال تبارك و تعالى وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته فانقطع سليمان و ترك الكلام عند هذا الانقطاع ثم تفرق القوم .

(١) بحارالأنوار ٦٦ / ٢٩٢

نقول أن الإرادة لا نسلم أنها كمال للذات من حيث هي هي نعم هي كمال في رتبة الفعل والإيجاد وأما الذات فلا ، بل هي نقص فيها لأنها عزم وميل ، وهي الحركة التي أجمع العقلاء كلهم أنها من الأكوان الأربعة[1] التي لا تكون إلا في الحدوث فالعقل يثبت له تعالى الإرادة عند الفعل والإحداث والإيجاد فهي صفة الفعل ، وأما عند الذات تبارك وتعالى فلا يجوز له إثبات الإرادة في ذاته تعالى لانسداد الطريق وفساد المأخذ .

وأما القول بأن المراد من الإرادة القديمة هو العلم بالأصلح مع أنه لم يساعده العرف واللغة ولا الشرع ، نقول هل هذا العلم داخل في العلم الذي تثبتونه له تعالى بمعنى أن هذا عينه أو غيره ، فإن كان هو هو فلماذا تجعلونه ثانيا وترتبون عليه أحكاما أخر وتجعلونه فرعا على العلم وهل يكون الشيء فرع نفسه من غير مغايرة ، وإن كان غيره فكيف يجوز أن يجعل ذات الله عاما وخاصا وكلا وجزء إذا كان العلم المطلق هو الذات والعلم بالأصلح هو بعض أفراده فتركبت الذات ، وإن قلتم مرادنا محض التسمية والتعبير لا الإرادة الحقيقية بل المراد هو العلم وقد نسميه إرادة ، نقول التعبير عن الذات لا يجوز إلا كما عبر هو سبحانه عن نفسه في كتابه وفي ألسنة أوليائه وعند العدم فلا يجوز بل يحرم وتدل عليه أدلة توقيفية الأسماء والصفات الإلهية من العقلية والنقلية كما هي مشروحة في محلها فافهم .

فثبت ووضح أن قدم الإرادة ليس من المذهب الجعفري عليه السلام ولا قال به أحد من الأئمة عليهم السلام ولا من شيعتهم العارفين ، نعم بعض علمائنا مجاراة للعامة لحكم ومصالح كثيرة تكلموا بها فظن المصنف أن هذا

(١) الافتراق والاجتماع والحركة والسكون فإنه لا يحدث الافتراق إلا بعد الاجتماع ولا الاجتماع إلا بعد الافتراق ، وكذلك لا تكون حركة إلا بعد السكون ولا سكون إلا بعد الحركة وفي ذلك تغير الأحوال ومتغير الأحوال حادث .

الكلام منهم على سبيل الحقيقة وحاشاهم من ذلك فقلد العامة العمياء من حيث لا يشعر ثم نسب هذا القول إلى مذهب الصادق المصدق جعفر بن محمد عليهما السلام سبحانك هذا بهتان عظيم ، فإن أصل هذا القول إنما نشأ من الفلاسفة وأظهره وشيده الصوفية الملاحدة وتلقاه بالقبول العامة فلا يختلفون في ذلك ، فلولا لم يكن في بطلانه إلا اتفاق هؤلاء الملاحدة لكان كافيا وشافيا ، لأن العقل والنقل دلاّ على أن الرشد في خلافهم مع اتفاق أهل البيت عليهم السلام واتفاق أحاديثهم على خلاف ذلك ، وأما الشيعة فمنهم من قال بها حكمة ومجاراة للعامة لا حقيقة ، وبعض من لا تحقيق له سرى فيه هذا الوهم من جهة النظر في كتب أولئك الضلاّل وتبعهم فيما لا يجوز له ذلك مثل صاحب الكتاب وأضرابه وقد أوردنا في بطلان القول بقدم الإرادة من الأدلة العقلية والنقلية في شرحنا على خطبة التوحيد لمولانا الرضا عليه السلام بما لا مزيد عليه .

وأما ما ذهب إليه المصنف من قدم الكلام فهو أيضا كذلك ، يعني مثل الإرادة حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل فما أجهل المصنف بمذهب أهل العصمة عليهم السلام .

وقوله والسرمدية الشاملة للقدم والأزلية الأبدية ، كلام لا معنى له إلا الغلط ، لأن السرمدية والقدم والأزلية والأبدية إن كانت هي عين الذات فليست الذات جهات ، جهة تكون شاملة على ذاتها بذاتها ، وجهة تكون مشمولة لذاتها بذاتها ، لأن الشاملية والمشمولية من صفات الحدوث والقديم منزه عنهما لأنهما مستلزمتان للتركيب ، وإن كانت السرمدية غير الذات فكيف يكون غير الذات شاملا لها ومحيطا بها فإذاً تكون الذات البحت محاطة ، وهي من صفات الحدوث لأنها مستلزمة للتركيب .

قال: الثاني صفات الفعل وتسمى صفات الكمال، وهي الصفات الثبوتية

الإضافية التي تكون ثابتة له تعالى، بالإضافة إلى المخلوق كالرازقية وأمثالها مما حصل به أسماء الله المذكورة في بعض الأدعية، سوى الثمانية واسم الذات وهو لفظ الله .

أقول : قد عرفت فيما مضى صفات الأفعال على نحو الإجمال فلا نعيدها هنا .

وقوله(مما حصل به أسماء الله المذكورة) .

أقول : إن الله لما ظهر بفعله للعباد فكان الظاهر للعباد صفته الفاعلية لا ذاته سبحانه كما زعمه الصوفية ، حيث قالوا أن الله سبحانه تجلى بذاته لعباده فعرفوه وأدركوه بذاته - تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا - فلو كان الحق بذاته ظاهر للأشياء للزم حدوثه بل المذهب الحق أنه سبحانه أظهر لعباده صفات أفعاله ، وتلك الصفات هي وجوه فعله فلما ظهر بالرازقية مثلا سميناه رازقا ، ولما ظهر بالفاعلية سميناه فاعلا ، ولما ظهر بالرحمة سميناه رحيما إلى غير ذلك من صفاته العليا ، فسميناه بأسمائه الحسنى كما وردت به الكتاب والسنة .

وقوله (سوى هذه الثمانية المذكورة ولفظ الله) .

يريد بذلك أن لفظ العالم والقادر والحي والمريد والمتكلم والصادق والسميع والبصير ولفظة الله ، إذا أطلقت تراد فيها الذات البات لا غير وإذا أطلقت سائر الأسامي فلا يراد بها الذات بل المراد الصفات الإضافية الفعلية .

فنقول أن ما ذكره غلط لعدم اختصاص إطلاق تلك الأسامي عليه تعالى على كونه مسمى بتلك الأسامي ، فلا يتفاوت كونه مسمىً بسائر الأسماء

فالأسماء الحسنى كلها إذا أطلقت لا يكون المراد والمقصود إلا الذات البات لا الذات باعتبار الصفات ، وإن أراد أن مسمى هذه الألفاظ هو الذات فهو خلاف الحق والتحقيق ، لأن الذات لا يعبر عنها بعبارة ، ولا تكون مسماة لهذه الأسماء .

أما أولا : فلأن الذات لو كانت مسماة فإما أن تكون تلك السماء قديمة فيلزم تعدد القدماء وهو باطل لأدلة التوحيد ، وإما أن تكون حادثة فالذات قبل أن تسمى بهذه الأسماء هل كانت مسماة بها أو لا ؟ فبطلان الشق الأول ظاهر جدا ، وأما على الثاني : فيلزم أن يتحقق لها حالات ، والذي تسبقه الحالات لا يكون قديما ، لأن القديم لا تسبقه الأحوال .

وأما ثانيا : فلأن الاسم والمسمى بينهما مناسبة ذاتية كما هو الحق عندنا ، لا سيما إذا كان الواضع هو اللّه .

وأما ثالثا : فعلى فرض عدم المناسبة نقول أن الاسم والمسمى مقترنان بالبداهة وإنكاره مكابرة ، والاقتران من صفة الحدوث ، وعلى فرض عدم كون الواضع هو اللّه ، فنقول أن الواضع حين الوضع لا بد له من تصور الموضوع له حتى يضع بإزائه ، والذات لا تدخل في التصور أبدا (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم)[1] ، فإن قيل أن التصور بالكنه لا يجوز ولا يمكن ويكفي في الوضع التصور الإجمالي فلا ضير إذا قلنا أن الواضع تصور الذات بالتصور الإجمالي ثم وضع بإزائها ، قلنا أن المجمل المتصور هل هو الذات أم غيرها ؟ فإن كان هو الذات فالذات بذاتها ليس لها إجمال ولا تفصيل ، فإذا كان كذلك فلا يتصور الذات بوجه من الوجوه ، فلا يكون المجمل المتصور هو الذات ، وإن

---

(١) بحارالأنوار ٦٦ / ٢٩٢ ولكن بدل فهو مخلوق (مصنوع)

كان المجمل المتصور غير الذات فكان الموضوع له غير الذات بناء على أن المسمى هو الأمر الخارجي المحقق في الخارج ، وعلى فرض كونه سبحانه هو الواضع ، وفرض عدم المناسبة ، نقول أن فائدة الوضع ليست إلا الإفادة والاستفادة وإلا فلا فائدة للوضع والإفادة والاستفادة لا تتحقق إلا بين الأمرين ، يعني بين الحق والخلق ، لأن الفائدة ترجع إلى الخلق لمعرفة الحق ، والحق بذاته لا يحتاج إلى اسم ورسم عند ذاته لأنه يعرف ذاته بذاته ، فلا تدعوه الحاجة إلى دعوتها باسم ورسم كما أنك لا تحتاج إلى معرفة ذاتك باسم ورسم فالاسم إنما يوضع للشيء حتى يتعرف به لغيره حتى يدعوه الغير بذلك الاسم والذات سبحانه لا تقع جهة المعرفة أصلا (محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار)[1] والاسم لا يكون إلا لجهة المعرفة وإذا كان ذلك كذلك فوجب أن لا يكون له سبحانه في حد ذاته اسم ، نعم يتحقق لظهوراته بأفعاله الأسماء الحسنى والأمثال العليا ، فإذا دريت ذلك عرفت أن الموضوع له لهذه الأسماء إنما هي صفاته الفعلية لا الذات البحت البات ولكن المراد من إطلاق هذه الأسامي ليس إلا الواجب المعبود بالحق هذا إذا كان المسماة الأمور العينية الخارجية ، وأما إذا كان المسمى هو المعنى المفهوم الذهني فبالأحرى أن لا يكون للحق سبحانه في حد ذاته اسم ورسم ، وقلنا أن المقصود من هذه الأسامي ليست إلا الذات والمسميات هي الصفات الإضافية الفعلية لأن الذات غيبت الصفات فإن الظاهر أظهر من الظهور في المظاهر للمظاهر بل لنفس الظهور ، وإذا أردت فهم ذلك فانظر إلى القائم فإنك إذا رأيت القائم ذهلت عن القيام مع أن

(١) دعاء عرفة لمولانا سيد الشهداء الحسين عليه السلام

القائم مشتق من القيام والقيام أصل للقائم لأن زيدا ألقى في هوية القيام مثاله فأظهر عنها أفعاله ولذلك لا يحتجب عن زيد .

وبالجملة إن الذات غيبت الصفات فكانت أظهر من تلك الصفات ، قال مولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة (إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لاتزال [تراك]عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا)[1] هي . لكن ما ظهر لنا إلا بفعله لا بذاته فكان الظاهر من صفاته الفعلية فافهم ، فإن ذلك دقيق جدا ولذلك زل القوم هنا .

قال: الثالث صفات الجلال وهي الصفات السلبية المنفية في حق ذي الجلال كالتركيب والعرضية والحلول والاتحاد ونحو ذلك والمراد في هذا المقام أنه جل جلاله منزه عن تلك الصفات ردا على من علم لاقتضاء ثبوتها الاحتياج والإمكان المنافيين لوجوب الوجود .

أقول : تعبيره عن الصفات السلبية بصفات الجلال ليس بصحيح لأنه سبحانه صاحب صفات الجلال ، والجلال ثابت له كما في كثير من الأدعية المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم سلام اللّه أبد الآبدين كقولهم (يا ذا الجلال والإكرام) وفي الدعاء (اللّهم إني أسألك من جلالك بأجله وكل جلالك جليل ، اللّهم إني أسألك بجلالك كله)[2] والجبروت

---

(١) دعاءعرفة لمولانا سيد الشهداء الحسين عليه السلام

(٢) المصباح للكفعمي ٦٩٢

والعظمة والكبرياء كلها من صفاته الجلالية ومنها أيضا القاهر والباعث وأضرابهما .

وقوله (ردا على من علم لاقتضاء ثبوتها الاحتياج . . . الخ) ، هذا كلام في غاية الاضطراب والاغتشاش والظن هذا الغلط من قلم الناسخ ولسقط شيئا وإلا فلا معنى لهذه العبارة صح ، لأن سلب كل ذلك عنه لا يكون إلا للزوم الاحتياج فثبوتها يقتضي احتياجه سبحانه وهو مناف لوجوب الوجود فلا معنى لرد هذا الكلام ، وإذا كان مردود ألزم اعتبار كل ذلك فيه سبحانه واعتبارها فيه يلزم حدوثه فمن حيث إثبات هذه الصفات فيه مستلزم للحدوث كان الحق منزها عنها ، اللّهم إلا أن نتكلف في توجيه هذه العبارة بأن نقول أن مفعول علم محذوف واللام في الاقتضاء ثبوتها للتعليل لأن اللام لا يكون متعلقا لعلم صح .

قال: مضافا إلى النقل من الآيات والأخبار كقوله تعالى ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ ﴾[1] ، وقوله عليه السلام (لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا يمس ولا تدركه الحواس ولا يحيط به شيء لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد)[2] ، وما روي عن الرضا عليه السلام أنه قال (الحَمْدُ لله فَاطِرِ الأَشْيَاء إِنْشَاءً وَ مُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِه وَ حِكْمَته لا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُل الاخْتِرَاعُ وَ لا لِعلةٍ فَلا يَصِحَّ الابْتِدَاعُ خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ مُتَوَحِّداً بِذَلِكَ لإِظْهَارِ حِكْمَته وَحَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِه لا تَضْبِطُهُ العُقُول وَلا تَبْلغُهُ الأَوْهَامُ وَلا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَلا يُحِيطُ بِه مِقْدَارٌ عَجَزَتْ دُونَهُ العِبَارَةُ وَكَلَتْ دُونَهُ الأَبْصَارُ وَضَل

(١) الانعام ١٠٣

(٢) التوحيد ٩٨

فيه تَصَارِيفُ الصِّفَات احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ وَوُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ وَنُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ لا إِلَهَ إلا اللهُ الكَبِيرُ المُتَعَالِ)[1] ، إلى غير ذلك من الأخبار .

أقول : لو أردت شرح هذا الكلام لطال بنا الكلام وذهلنا عن المقام فرأيت أن الكف عن الشرح أولى فكففت عن الشرح وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، ولعمري إن هذه الكلمات من جوامع الحكم وفيها كل أسرار التوحيد بأجمعها ولا قوة إلا باللّه .

(١) الكافي ١ / ١٠٥

المقام الرابع

قال: المقام الرابع، أن صفاته الثبوتية الذاتية عين الذات وليست بزائدة عنها ردا على الأشاعرة وذلك لأن العينية صفة كمال لا تقتضي نقص صاحبها فهي ثابتة على وجه الوجوب له تعالى لئلا يلزم النقص والاحتياج .

أقول : ذهب العلماء بأجمعهم إلى إثبات الصفات له سبحانه إلا الفلاسفة فإنهم أثبتوا ذاتا معراة عن الصفات ، والمعتزلة حيث قالوا بثبوت الحالات ، ثم إن القائلين بثبوت الصفات اختلفوا ، فمنهم من ذهب إلى عينية الصفات وهو مذهبنا ومذهب أئمتنا صلوات اللّه عليهم أجمعين ، ومنهم من ذهب إلى أن الصفات غير الذات فأثبتوا قدماء مع اللّه لكنهم قالوا أنها صفات له تعالى خلافا للحربانيين والمجوس وغيرهم ، فإن الحربانيين أثبتوا قدماء خمسة (الذات والنفس والهيولى والدهر والخلا) ، والمجوس قالوا بيزدان وأهرمن .

وبالجملة إن الأشاعرة أثبتوا ذاتا وصفاتا ليست هي عين الذات وقالوا بقدمها واستدلوا على مطلوبهم بأنه لو كان العلم والقدرة والحياة نفس ذات الوجود لذاته لكان العلم بوجود أحدها علما بوجود الآخر لكن التالي باطل فالمقدم مثله ، وأما الشرطية فظاهرة ، وأما انتفاء الثاني فلأنا بعد العلم بكونه تعالى موجودا نفتقر إلى دليل آخر يدل على أنه عالم وقادر وحي والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فعله تعالى وقدرته وحياته أمور زائدة على ذاته .

فنقول ولا قوة إلا بالله كونه سبحانه موجدا وقادرا وعالما ليس على النحو الذي يمكن لنا معرفة ذلك لأن ذلك في رتبة الوجوب ونحن في صقع الإمكان وهو ما نزل إلى رتبة الإمكان ونحن ما صعدنا رتبة الوجوب وإلا لانقلب القديم حادثا والحادث قديما فالطريق إليه مسدود والطلب مردود ، ولكنّا لما نظرنا في أنفسنا وجدنا أن الحياة كمال وأن القدرة كمال وأن السمع كمال والبصر كمال وهكذا سائر الكمالات ، ولما نظرنا ثانيا وجدنا أن مجموع هذه الكمالات كمال آخر من حيث اجتماعها فينا علمنا أن خالقنا أيضا لا بد له من اجتماع الكمالات ، ولما رجعنا إلى أنفسنا وجدنا أنّا نعلم بعلم ونبصر ببصر ونقدر بقدرة ونحيى بحياة وظهور فاقتنا واحتياجنا إلى هذه الآلات ورأينا أن صانعنا فوق الكمال المطلق وكل الكمال المطلق علمنا أنه لا يحتاج إلى شيء من هذه الآلات وإلا لم يكن كاملا على الإطلاق والمفروض أنه كامل على الإطلاق ، فوجب اتصافه بهذه الكمالات لا على سبيل الاحتياج وذلك لا يتحقق إلا بالقول بعينية الصفات فوجب أن لا تكون صفاته زائدة على ذاته للزوم الاحتياج والاحتياج مستلزم للحدوث والحدوث مستلزم لامتناع قدمه الممتنع عن الحدوث فكان الواجب ممكنا .

وثانيا : نقول لو كان العلم والحياة والقدرة مثلا أمورا زائدة على ذات الواجب لكانت مفتقرة إليها وكل ما كان مفتقرا إلى غيره فهو ممكن لذاته فهذه الأمور ممكنة ، وكل ممكن لا بد له من موجد فموجد هذه الأمور لا يكون إلا الذات الواجب لأن تلك الأمور صفات الذات فتكون الذات موصوفة بها وقيام الصفة بالموصوف مما لا ينكره أحد فتكون محتاجة إلى ذات الواجب وكل محتاج ممكن .

وثالثا : لو كانت صفاته غير ذاته وتكون صفاته قديمة وزائدة على ذاته لزم اشتراك تلك الأمور مع الذات الواجب في القدم وذلك موجب لتكون مماثلة لها ولو كانت مماثلة لها لا يكون أحدهما بكونه ذاتا والآخر صفة أولى من العكس ، فوجب حينئذ أن يكون كل واحد منهما ذاتا وصفة وكل ذلك محال فوجب أن لا تكون صفاته زائدة على ذاته فافهم .

قال: أو كان فاقد القدرة قادرا على إيجاد القدرة لنفسه .

أقول : يريد أن فاقد القدرة في ذاته يستحيل أن يوجد القدرة لنفسه ، فلو قلنا أن قدرته زائدة على ذاته للزم أن لا يكون قادرا في ذاته تخلو ذاته عن القدرة فلو كان خاليا عن القدرة كيف يمكن أن يوجد القدرة لنفسه في الخارج ؟

قال: وتعدد القدماء المستلزم لتعدد الواجب الذي سيأتي نفيه .

أقول : لو كانت الصفات زائدة على الذات وكانت قديمة لزم تعدد القدماء وبطلانه واضح لأدلة التوحيد كما يأتي بعد ذلك إنشاء اللّه .

قال: ويطابقه النقل كما روي عن أبي عبداللّه عليه السلام (لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّ وَجَل رَبَّنَا وَالعِلمُ ذَاتُهُ وَلا مَعْلومَ وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلا مَسْمُوعَ وَالبَصَرُ ذَاتُهُ وَلا مُبصَرَ وَالقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلا مَقْدُورَ)[1] وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال (إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَسْمَعُ بِمَا يُبصِرُ وَيُبصِرُ بِمَا يَسْمَعُ)[2] إلى غير ذلك من الأخبار .

أقول : الروايات بهذا المعنى كثيرة جدا يطول ذكرها .

قال: وأما قوله عليه السلام (إِنَّ الكَلامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ كَانَ اللهُ عَزَّ

---

(١) الكافي ١ / ١٠٧

(٢) الكافي١ / ١٠٨

وَجَل وَلا مُتكَلمَ)[1] وقوله عليه السلام (لم يزل قادرا عالما ثم أراد)[2] وقوله عليه السلام (خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية)[3]ونحوها مما يدل على أن الكلام والإرادة من الصفات الزائدة فهي محمولة على زيادة الكلام بمعنى إيجاد ما يدل على المراد والتكلم به لا القدرة على إيجاده وكذا الإرادة بمعنى القصد والمشيئة كما هو المتعارف في المحاورات العرفية لا بمعنى العلم بالمصلحة المقتضي لمشية الفعل والعلم بالمفسدة المقتضي لمشية الترك، فلا يلزم المخالفة مع ما عليه المتكلمون من كون الكلام والإرادة من الصفات العينية .

أقول : إن حدوث الإرادة من ضروريات مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ، فالقول بخلاف ذلك فيها مثل القول بالعينية والزيادة الأزلية وأمثالها إنما نشأ من القول بالرأي في الأمور الإلهية وأكثر العقلاء من أهل الإسلام لما لم يكفر أرقبتهم عن ربقة تقليد المتفلسفة والمتكلمين بالكلية وأرادوا تطبيق ما وردعن أهل البيت على هذه الآراء المزيفة ، فتارة يقولون لا نفهم حقائق هذه الأخبار التي هي الآحاد ، وتارة يجمعون هذه الآراء مع ما ورد عن أئمتنا عليهم السلام من نفي إطلاق الإرادة على العلم بالوجه الأصلح والروايات بهذا المعنى كثيرة ، لكني أذكر بعضا منها فمنها ما رواه الصدوق رحمه الله في التوحيد بإسناده عن بكير بن أعين قال (قُلتُ لأَبِي عَبْدالله عليه السلام علمُ الله وَ مَشيئَتُهُ هُمَا مُخْتَلفَان أَوْ مُتَّفقَان ، فَقَال عليه السلام العلمُ ليْسَ هُوَ المَشيئَةَ أَلا تَرَى أَنَّكَ تَقُول سَأَفْعَل كَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ وَلا تَقُول سَأَفْعَل كَذَا إِنْ عَلمَ اللهُ ، فَقَوْلكَ إِنْ شَاءَ اللهُ دَليلُ عَلى أَنَّهُ لمْ يَشَأْ

(١) الكافي ١ / ١٠٧

(٢) التوحيد ٢٢٣ (لم يزل قادرا عالما حيا)

(٣) في الكافي ١ / ١١٠ (خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَة) .

فَإِذَا شَاءَ كَانَ الذِي شَاءَ كَمَا شَاءَ ، وَ عِلمُ اللهِ السَّابِقُ للمَشِيئَةِ)[1] وقد ذكر القاضي أبو سعيد القمي طاب ثراه في شرح هذه الرواية ما لفظه ، قال : هذا الخبر لبيان مغايرة العلم مع المشية ويلزمها مغايرتها للإرادة أيضا إذ المشية والإرادة إنما يتغايران من وجه ، ولأن الإرادة متأخرة عن المشية بالاتفاق ، سيما عند أئمتنا عليهم السلام ، ويظهر من تلك المغايرة أي مغايرة العلم للمشية بهذا البيان حدوث المشية والإرادة .

بيان الأول أي المغايرة أن فطرة العقول المستسلمة للشرائع الإلهية من دون التلوث بالشبهات الفلسفية والكلامية تقتضي بصحة هذه القضية وهي قولنا سأفعل كذا إنشاء اللّه ، فلو كان الذي ذهب إليه جماعة من أن المشيئة والإرادة عبارة عن العلم بالمصلحة حقا كان يفيد قولنا سأفعل كذا إن علم اللّه مفاد القول الأول ، ومن البيّن أنه ليس كذلك فليسَ كذلك ، ثم صحة قولنا إنشاء اللّه يدل على المطلب الثاني أي حدوث المشية وذلك لأن كلمة (إن) الشرط يقلب الماضي مضارعا ، فقولنا إنشاء اللّه معناه أنه لم يشأ بعد فيكون حادثا فيلزم عنه حدوث الإرادة ، أما على تقدير كونهما أمرا واحدا مختلفا بالاعتبار فظاهر ، وأما على تقدير المغايرة فلكون الإرادة متأخرة عن المشية على هذا القول فيلزم حدوثها بالطريق الأولى . انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

ومنها ما ذكره فيه بإسناده عَنْ عَاصِم بْنِ حُمَيْد عَنْ أَبِي عَبْدالله عليه السلام قَال(قُلتُ لمْ يَزَل اللهُ مُريداً ، قَال : إنَّ المُريدَ لا يَكُونُ إلا لمُرَاد مَعَهُ لمْ يَزَل اللهُ عَالمَاً قَادِراً ثُمَّ أَرَادَ)[2] وقوله عليه السلام (فإرادته إحداثه لا غير)[3] فانظر كيف

(١) التوحيد ١٤٦

(٢) التوحيد ١٤٦

(٣) الكافي ١ / ١٠٩

صرح بأن الإرادة ليست إلا الإحداث فكيف تكون الإرادة بمعنى العلم بالأصلح .

ثم اعلم أن أسماء اللّه تعالى كلها توقيفية بنص من الآيات والأخبار فالآيات كثيرة منها ﴿ **أنْ تَقُولوا على اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ** ﴾[1] ومنها ﴿ **إنْ هِيَ إلاّ أسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ ما أنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطان** ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات ، وأما الأخبار فكثيرة فمنها ما نص مولانا الرضا عليه السلام في احتجاجه مع سليمان المروزي قال عليه السلام (فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه)[3] .

وفي الكافي بإسناده عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَبْدِالرَّحِيمِ بْنِ عَتِيكٍ القَصِيرِ قَالَ (كَتَبْتُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِالمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلَى أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام أَنَّ قَوْماً بِالعِرَاقِ يَصِفُونَ اللهَ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ سَأَلْتَ رَحِمَكَ اللهُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ قِبَلَكَ فَتَعَالَى اللهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ الوَاصِفُونَ المُشَبِّهُونَ اللهَ بِخَلْقِهِ المُفْتَرُونَ عَلَى اللهِ ، فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ المَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ جَلَ وَعَزَّ فَانْفِ عَنِ اللهِ تَعَالَى البُطْلانَ وَالتَّشْبِيهَ فَلا نَفْيَ وَلاَ تَشْبِيهَ ، هُوَ اللهُ الثَّابِتُ المَوْجُودُ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَصِفُهُ الوَاصِفُونَ وَلا تَعْدُوا القُرْآنَ فَتَضِلوا بَعْدَ البَيَانِ)[4] إلى غير ذلك من الأخبار .

ثم أنّا حيث لم نعرفه بذاته ولا نصل إليه بوجه من الوجوه فكيف نقدر على أن نسميه ، ومن العجب أن الإمام عليه السلام صرح بأن الإرادة ليست بمعنى العلم بالأصلح فكيف يمكنك أن تسميه بذلك ، فلا يمكن لنا أن نسميه إلا

---

(١) البقره ١٦٩

(٢) النجم ٢٣

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٨٩

(٤) الكافي ١ / ١٠٠

بما سمى به نفسه ، وهو ما سمى نفسه بالإرادة والكلام فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه كما نص مولانا الرضا عليه السلام على ذلك .

ثم قول المصنف أن الكلام من صفاته الذاتية بمعنى أنه قادر على إيجاد الكلام غلط محض ، فإذا صح إطلاق الكلام على ذاته من حيث أنه قادر عليه صح إطلاق الظلم عليه لأنه قادر على إيجاد الظلم ، وهكذا سائر الأشياء وصح القول بأنه خلق لأنه يقدر على إيجاد الخلق ، وصح القول بأنه جسم لأنه قادر على أن يوجد الأجسام ، وإطلاق كل ذلك مخالف لمذهب أهل البيت ومذهب المؤمنين التابعين لهم ، وقد قال اللّه تعالى ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً ﴾[(١)] .

قال: وقوله تعالى ﴿ أولئِكَ الذينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ ﴾[(٢)] أو نحوه محمول على نفي المشية كحمل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ ﴾[(٣)] على عدم حصول الامتياز الخارجي لا نفي العلم الذاتي الذي هو نفس الذات .

أقول : قوله على عدم حصول الامتياز الخارجي إن عنى بذلك عدم الحصول عند اللّه فهو باطل لأنه سبحانه لم يفقد شيئا من ملكه في أوقات زمانه ومكانه ولم ينتظر لشيء إذاً لسبقته الحالات والذي تسبقه الحالات لا يكون قديما بل هو حادث مصنوع مدبر ، فالامتياز الخارجي حاصل للّه قبل أن يخلق الخلق بلا نهاية ، فعلمه بالشيء قبل كونه كعلمه به بعد كونه فلا معنى لحصول الامتياز الخارجي عند اللّه .

وإن كان الامتياز بالنسبة إلى الخلق فلا يصدق لما يعلم اللّه على اللّه ،

(١) النساء ١١٥

(٢) المائدة ٤١

(٣) آل عمران ١٤٢

إلا على ما نقول خلافا لصاحب الكتاب حيث نقول نحن أن هذه الآية تحمل على ما تحمل قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّآ آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾[1] صح .

قال: وإن قلت العلم مثلا بمعنى ظهور المعلوم للعالم وانكشافه عنده بالحضور أو الحصول أو نحوهما، والقدرة بمعنى التمكن على الفعل والترك، والحياة بمعنى صحة الاتصاف بالعلم والقدرة، ونحو ذلك بسبب المصدرية أو نحوها من الأعراض التي لا يمكن أن يكون عين ذات الجوهر الممكنة فكيف يصح دعوى العينية بالنسبة إلى ذات الواجب.

قلت: قد تطلق الألفاظ المذكورة على المعنى الوصفي والعرضي كما ذكر، وقد يطلق على المعنى الاسمي، فالعلم يكون بمعنى منشأ انكشاف الأشياء وظهورها، والقدرة بمعنى منشأ التمكن على الفعل والترك، والحياة بمعنى منشأ صحة الاتصاف بالعلم والقدرة ونحو ذلك وهي هذه المعاني في الواجب عين الذات وفي الممكن أعراض تعرض الذات .

أقول : قد خبط خبط عشوائي ، وقوله وقد يطلق على المعنى الاسمي فالعلم بمعنى منشأ انكشاف الأشياء وظهورها ، والقدرة بمعنى منشأ التمكن على الفعل والترك ، أن منشأ التمكن عبارة عن القدرة ، وهكذا سائر الصفات المذكورة فلا يرتفع اعتراض المعترض .

وقوله (وهي هذه المعاني في الواجب عين الذات وفي الممكن أعراض تعرض الذات) .

غلط محض بل كفر وزندقة لأن هذه المعاني المدركة المعقولة لا يجوز أن تكون عين الذات والذات من حيث الذات لا تحاط ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**

(١) الزخرف ٥٥

وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيِّ القَيُّومِ ﴾[1] فلا يمكننا إدراك الذات بوجه من الوجوه كما تشهد بذلك ضرورة الإسلام ، وقولنا عالم قادر لا على المعنى الذي نفهمه وندركه من العالم والقادر اللذان نعرفهما ، بل طور الذات وراء أطوارنا فكيف تكون هذه المعاني المدركة هي عين الذات ، وما ذكره هو القول بوحدة الوجود الذي أجمع المسلمون على تكفير القائل به ، لأن القائلين بوحدة الوجود يقولون أن هذا الوجود هو في الواجب عين الواجب وفي الممكن عرض .

ويقال أيضا أن معنى هذا الكلام كون هذه الصفات إذا عرضت للواجب تكون عين ذاته وإذا عرضت للممكن تكون أعراضا لها ، فيلزم منه أن يكون الشيء الواحد قديما من جهة وحادثا من جهة ، وقد أجمع العقلاء على بطلانه ، ويلزم أن تكون هذه المعاني في حقيقتها ليست بواجبة ولا ممكنة ولا قديمة ولا حادثة فإذا اعتبرتها في القديم تكون عين القديم وإذا اعتبرتها في الممكن تكون أعراضا ، وهذا كما ترى مخالف لمذهب أهل البيت صلوات اللّه عليهم أجمعين ومطابق لمذهب الصوفية الملحدين حيث قالوا في الوجود المنبسط أنه ليس بقديم ولا حادث بل مع القديم قديم ومع الحادث حادث وتبعهم المصنف من حيث لا يشعر ، وبداهة العقل تحكم ببطلانه لأن الشيء إما واجب أو ممكن لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما ، والواجب منزه عما يدركه الخلق بكل أحوالهم فكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم ، فلا يجوز أن تدرك شيئا وتقول هذا في الواجب عين الواجب فافهم .

---

(٢) طه ١١٠ - ١١١

قال: والحمل في الواجب يكون بسبك التغاير الاعتباري .

أقول : هذا هو القول بجواز التركيب في ذات اللّه سبحانه لأن الاعتبار إن كان كذبا لا أثر له في الحمل ولا في غيره وإن كان صدقا يجب أن يكون مطابقا ، فيجب أن يكون في ذات اللّه تعالى جهات متعددة تعتبرها وتجعلها باعتبار كل جهة منشأ حكم فتكون الذات مركبة من تلك الجهات ، والقول بالتركيب خلاف القول للمعرفة المحقة بل خلاف قول أهل الإسلام .

ثم إنا نقول إن كانت هذه الصفات عين الذات فلا يجوز الحمل لأن المغايرة شرط في جواز الحمل فكيف تكون الذات بذاتها متغايرة بالاعتبار لأنك تقول أن الصفات هي عين الذات ، وهل للاعتبار طريق للوصول إلى الذات ؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار ، كيف تطري على الذات ورود الاعتبار أو التغير بحسب الاعتبار ، إذاً لكان الحق حادثا ولانتقل من القدم إلى الحدوث لأن كل ذلك من صفات الحوادث فالحق سبحانه منزه عنهما والحمل لا يصح إلا إذا أريد في الحمل صفات الأفعال وأما إذا أريد الذات فلا يصح الحمل بوجه من الوجوه ، والذات ليس فيها اعتبار حتى يقال يصح الحمل بالاعتبار ، فإن قيل يصح التغاير بحسب المفهوم لا بحسب الذات قلنا أن المفهوم لا حكم له إلا حكم الذات والمصداق لأن المفهوم إما أن يطابق المصداق أو لا ، وعلى الأول لا يكون الحكم إلا للمصداق فالتغاير يكون بحسب المصداق وهذا ما كنا نبغي ، وعلى الثاني فلا يكون مفهوما أصلا فكيف يصح جريان حكم المفهوم ممكن أو واجب إن لم ترد من المفهوم ما يكون مطابقا للمصداق ، فعلى الأول يصح الحمل فيه وهو ممكن وهو متغير ومتغاير فلا يصح حملك على الواجب فلا معنى لقولك والحمل

بالتغاير الاعتباري ، فيجب عليك أن تكف عن التكلم في الذات ويجب أن تقول بعدم صحة الحمل في الواجب ، فلا يصح الحمل لعدم صحة المغايرة لأن ذاته عين صفاته وصفاته عين ذاته بلا مغايرة لا مفهوما ولا مصداقا ولا تحققا ولا اعتبارا ، فالذات والصفات مترادفتان في مقام الذات ومتغايرتان في الآثار في مقام الأفعال وكذلك سائر الأسماء كلها مترادفة ولا يصح الحمل هذا إذا أردنا عند إطلاق صفات الأسماء الذات البحت البات ، وأما إذا أردنا عند الاطلاق صفات الأفعال فهي مغايرة ويصح الحمل فافهم مذهب أئمتك عليهم السلام .

قال: اعلم أن العلماء اختلفوا في علم الله تعالى بالنسبة إلى ما سواه، فمنهم من يقول أن تعقله تعالى لذاته تعقل لجميع ما سواه ، وتعقله لذاته مقدم على وجود جميع ما سواه فيكون علمه تعالى لذاته تعقل لجميع ما سواه وتعقله لذاته مقدم على وجود ما سواه فيكون علمه تعالى بجميع الأشياء حاصلا في رتبة ذاته بذاته و هذا هو العلم الكمالي التفصيلي من وجه والإجمالي من وجه .

ومنهم من يقول أن علمه تعالى بارتسام صور الممكنات في ذاته .

ومنهم من يقول بإثبات الصور المفارقة والمثل العقلية وأنها علوم إلهية بها يعلم الله الموجودات كلها .

ومنهم من يقول بثبوت الممكنات المعدومة قبل وجودها .

ومنهم من يقول بأن ذاته علم تفصيلي بالمعلول الأول وإجمالي بما سواه إلى غير ذلك ،وبالجملة ففريق في الجنة وفريق في السعير .

أقول : إجمال تفصيل الأقوال أن العلماء اختلفوا في عمله سبحانه لما سواه ، فمنهم من قال أن العلم التام بالعلة التامة أو بجهة كونها علة يقتضي

العلم التام بمعلولها وهو قول بعض الفلاسفة و تبعهم المصنف كما ستعرفه وهو أن تعقله لذاته تعقل لجميع ما سواه ، وقالوا هذا هو العلم الكمالي التفصيلي من وجه والإجمالي من وجه آخر ، وقالوا أن للواجب علمان بالأشياء ، علم إجمالي مقدم عليها وعلم تفصيلي مقارن لها .

والثاني : قول الفارابي وابن سينا وبهمنيار ومن تبعهم وهو القول بارتسام صور الممكنات وتقرر رسوم المدركات في ذاته ، وإن كان ابن سينا تحير في علمه سبحانه فتارة قال أن تلك الصور لا تجوز أن تكون في ذاته لئلا تتكثر ذاته الوحدانية ، وتارة يجعلها في بعض الموجودات ، وتارة قال أنها في صقع من الربوبية ولا أفهم هذا الصقع ، وتارة يلتزم أنها في ذات الحق ولا يلزم تكثر لأنها خارجة عنه لاحقة له ، وكل هذا خبط لا حاصل له .

و الثالث : ما ذهب إليه أفلاطون من إثبات الصور المفارقة والمثل النورية وأنها علوم إلهية بها يعلم الموجودات كلها .

الرابع : ما ذهب إليه المعتزلة من ثبوت الأشياء قبل وجودها ثبوتا علميا وتبعهم الصوفية حيث قالوا أن الأشياء كانت في الأزل ثابتة ثبوتها علميا لا عينيا .

الخامس : قول بعضهم بأن ذاته علم تفصيلي بالمعلول الأول وإجمالي بما سواه .

السادس : قول شيخ الإشراق شهاب الدين المقتول وهو أن علمه تعالى بالأشياء صور الخارجية نفس تلك الأشياء فهي علوم باعتبار ومعلومات باعتبار آخر ، لأنها من حيث حضورها جميعا عند الباري ووجودها له وارتباطها إليه علوم ومن حيث وجوداتها في أنفسها ولمادتها المتجددة

المتعاقبة الغائبة بعضها عن بعض المتقدمة بعضها على بعض بحسب الزمان والمكان معلومات قالوا فلا تغير في علمه تعالى بل في معلوماته .

والسابع : قول فرفوريوس مقدم المشائين وهو القول باتحاده تعالى مع الصور المعقولة .

أما المذهب الأول فاستدلوا على مطلوبهم بأدلة أقواها أن الواجب تعالى لما كان عالما بذاته وذاته مبدأ لصدور جميع الأشياء فيجب أن يكون عالما بجميعها علما متحققا في مرتبة ذاته مقدما على صدور الأشياء لا في مرتبة صدورها وإلا لم يكن عالما بالأشياء باعتبار ذاته بل باعتبار ذوات الأشياء فلا يكون له علم بغيره هو صفة كمالية في حقه وهو محال ، فزعموا أن علمه بمجعولاته عبارة عن كونه مبدأ مجعولاته المتميزة في الخارج ومبدأ تمييز الشيء يكون علما به إذ العلم ليس إلا مبدأ التميز فإذاً ذاته تعالى علم بما سواه .

وأورد عليه بأنه لما كانت العلة مباينة للمعلول مغايرة له في الوجود فلا يكون حضورها حضوره وما لم يحضر الشيء عند الدرك لا يكون مشعورا به بمجرد كونه مبدأ امتيازه على أن قياس العلة على الصورة وإزالة الاستبعاد بذلك مستبعد جدا إذ الصورة شبح المعلول ومثاله على ما هو الحق عندنا ، أو عين ماهية المعلول وليست العلة حقيقة المعلول فإذا لم تكن العلة عين المعلول فلا يكون العلم بالعلة هو العلم بالمعلول وسيأتي بيان ذلك إنشاء اللّه تعالى .

وقولهم أن ذاته تعالى علم إجمالي بالأشياء بمعنى أنه بخصوصياتها لا على وجه التميز فإن العلم شيء والتميز شيء آخر والأول لا يوجب والثاني

مردود بأنا نعلم بداهة أنه لا يمكن أن يعلم معلومات متباينة الحقائق بخصوصياتها بحقيقة واحدة مباينة لجميعها وإن فرضنا أنه لم يتميز بعضها عن بعض في نظر العالم ، واعلم يا أخي أنّا إذا أردنا أن نبين جميع المذاهب في العلم مع أدلتهم وتفصيلات ردهم لطال بنا الكلام فالأولى الكف عن ذكرها ونكتفي بما ذهب إليه المصنف تبعا لبعض الفلاسفة ونبين بطلان ما ذهب إليه .

قال: والحق أنه تعالى عالم بذاته وبما سواه في مرتبة ذاته لأن العلم صفة كمال لا تقتضي نقص صاحبها وكل ما هو كذلك فهو ممكن في حقه تعالى فهو واجب له تعالى مضافا إلى دلالة أحكام أفعاله وتجرده ونحو ذلك عليه ومثل ذلك عينية العلم وكذلك ساير صفات الذات كالقدرة والحياة وقد أشرنا أن النقل أيضا يقتضي ذلك فيجب أن يعتقد المكلف بأنه عالم بالأشياء قبلها كالعلم بها بعد إيجادها .

أقول : نعم يجب على المكلف أن يعتقد أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه شيئا ، وعلمه بالشيء قبل كونه عين علمه بعد كونه ، كما هو مذهب أئمتنا عليهم السلام فإنه يعلم الأشياء بذاته في رتبة أماكنها ورتبة حدوثها ، لا أنه يعلم الأشياء في ذاته لتكون ذاته ظرفا للأشياء كما يلوح من عبارة المصنف في قوله (عالم بذاته وبما سواه في مرتبة ذاته) وهذا يخالف مذهب أهل البيت ، والذي يطابق مذهبهم هو أنه تعالى يعلم الأشياء بذاته في رتبة وجودها في أماكنها وأزمانها لأنه سبحانه لا ينتقل من حال إلى حال ولا تجري عليه الأحوال فليس له مضي ولا حال ولا استقبال ، لأن كل ذلك من الزمان وهو ليس زمانيا ، لكن لا على ما ذهب

إليه المصنف في قوله أنه هو العلة والعلم بالعلة مستلزم للعلم بالمعلول كما ستعرفه فإن ذلك يخالف مذهب أهل البيت .

أما أولا فلأن المعلول من لوازم ذات العلة ومن ذلك قالوا يمتنع تخلف المعلول عن العلة التامة ، وليس الخلق من لوازم ذات الحق .

وأما ثانيا فلأن المعلول مندرج في العلة اندراج اللوازم في الملزومات ، ولا يندرج شيء من الخلق في ذات الحق أبدا وستعرف ذلك أعم من أن يكون الاندراج ذكريا أو عينيا ، وسيأتي تفصيل ذلك إنشاء اللّه .

وأما نحن فنقول بما قال الأئمة عليهم السلام من أنه سبحانه يعلم الشيء قبل كونه شيئا ولا نعلم كيف ذلك لأن علمه عين ذاته ، ولا نعلم ذاته بوجه من الوجوه لأن العلم بالشيء فرع الإحاطة والحق لا يحاط فإذاً ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيِّ القَيُّوم ﴾[1] .

قال: قال الشيخ المعاصر في رسالة" حياة النفس" في مبحث علم اللّه تعالى بهذه العبارة (وهو قسمان، علم قديم وعلم حادث، وهو ألواح المخلوقات كالقلم، فأما العلم القديم فهو ذاته تعالى بلا مغايرة ولو بالاعتبار لأن هذا العلم لو كان حادثا كان تعالى خاليا منه قبل حدوثه، فيجب أن يكون قديما، ولايخلو إما أن يكون هو ذاته بلا مغايرة ثبت المطلوب، وإن كان غير ذاته تعددت القدماء وهو باطل، وأما العلم الحادث فهو حادث بحدوث المعلوم لأنه لو كان قبل المعلوم لم يكن علما لأن العلم الحادث شرط تحققه وتعلقه أن يكون مطابقا للمعلوم وإذا لم يوجد المعلوم لم تحصل المطابقة التي هي شرطه، وأن يكون مقترنا بالمعلوم وقبله لم يتحقق الاقتران وأن يكون واقعا على المعلوم وقبله لم يتحقق الوقوع، وهذا العلم الحادث وهو فعله ومن

(١) طه ١١٠ - ١١١

جملة مخلوقاته، وسميناه علما لله تبعا لأئمتنا واقتداء بكتاب الله تعالى حيث قال ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾[1] وقال ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾[2] .

أقول : مراده من الشيخ المعاصر هو شيخنا وأستاذنا ومن إليه في كل حق استنادنا الشيخ الأوحد والفرد الأمجد حجة اللّه على الإسلام والمسلمين وركن المؤمنين الممتحنين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الإحسائي أطال اللّه بقاه وجعلنا في كل مكروه ومحذور فداه ، ومعنى ما ذكره أطال اللّه بقاه في تقسيم العلم إلى القديم وإلى الحادث هو أن اللّه سبحانه عالم بجميع الأشياء كليها وجزئيها ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو عالم بالأشياء قبل إيجادها وبعد إيجادها على حد سواء ، فعلمه بها قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها ولا نعلم كيفية علمه بالأشياء ولا كيف لعلمه كما أنه لا كيف له ، لأن علمه عين ذاته وذاته مجهولة الكنه فلا يدركه شيء بكل أنحاء الإدراك لا وهما ولا عقلا ولا حسا فالطريق إليه مسدود والطلب مردود ، وهذا هو المعروف من ضرورة مذهب أهل البيت ، وله سبحانه أيضا علم آخر وهو في ملكه ، وإنما سميناه علما لأنه سبحانه سماه علما في كتابه الكريم والأئمة عليهم السلام أيضا سموه علما كما في كثير من الروايات ، أما الآيات فمنها قوله تعالى ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾[3] ولا يجوز أن يكون المراد من هذا العلم هو علمه الذاتي لأنه لا يمكن الإحاطة به سبحانه بوجه من الوجوه فلا يجوز أن يحاط إذا شاء ، ومنها قوله تعالى حكاية عن موسى

---

(١) طه ٥٢

(٢) ق ٤

(٣) البقرة ٢٥٥

﴿قال علمها عند ربّي في كتاب ﴾[1] لما سأله فرعون ما بال القرون الأولى ولا يجوز أن يكون المراد من هذا العلم علمه الذاتي لأن هذا العلم في كتاب وهو سبحانه لا يكون في شيء حتى يستلزم تركيبه وحدوثه ، ومنها قوله تعالى ﴿ يعلم ما في السماء والأرض إنّ ذلك في كتاب ﴾[2] ومنها قوله تعالى ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾[3] ومنها قوله تعالى ﴿ فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ﴾[4] وأمثال ذلك كثيرة ، ولا يجوز أن يكون المراد منها علمه الذي هو عين ذاته لأنه سبحانه يعلم الأشياء قبل وجودها وبعد وجودها على حد سواء ، والعلم الذي في هذه الآيات يستفاد منه الاستقبال وهو سبحانه ليس له مضي ولا حال ولا استقبال .

وأما الأدعية والروايات فمنها ما في دعاء السحر من شهر رمضان (اللّهم إني أسألك من علمك بأنفذه وكل علمك نافذ اللّهم إني أسألك بعلمك كله)[5] فلو كان المراد من هذا العلم هو العلم الذاتي للزم تجزئة الذات بالنافذية والأنفذية والتجزئة مستلزمة للتركيب والتركيب مستلزم للحدوث ، ومنها في المقياس(وباسمك الذي تعلم به عدد أقطار الأمطار) ومن المعلوم أن اسمه سبحانه وتعالى غيره فكان بسبب الاسم يعلم ، ولا يجوز أن يكون المراد به علمه الذاتي لأن ذاته لا يستفيد العلم من غيره ليكون جاهلا قبل أن يكون عالما وذلك من صفات الحوادث ، ومنها ما في رواية جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام . . إلى أن قال (ونحن حكمه

---

(١) طه ٥٢

(٢) الحج ٧٠

(٣) الحديد ٢٥

(٤) العنكبوت ٣

(٥) إقبال الأعمال ٣٣

ونحن حقه ونحن أمره ونحن عينه ونحن علمه ... الخ) ومنها (إن لله علمين علم علمه الملائكة وعلم استأثره في الغيب عنده)[1] .

وفي البحار عن البصائر بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال (إن لله علما عاما وعلما خاصا ، فأما الخاص فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وأما علمه العام الذي اطلعت عليه الملائكة المقربون و الأنبياء المرسلون فقد دفع ذلك كله إلينا)[2] .

وفيه بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال (إن لله علمين علم عنده لم يطلع عليه أحدا من خلقه وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا)[3] .

وفيه بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال (إن لله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه)[4] .

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال (إن لله علما لا يعلمه غيره وعلما قد أعلمه ملائكته وأنبيائه ورسله فنحن نعلمه)[5] .

وفيه عنه أيضا قال (إن لله علما لا يعلمه إلا هو وعلما تعلمه الملائكة)[6] .

وفي الكافي أيضا أمثال هذه الروايات كثيرة .

---

(١) في بصائرالدرجات ٢١عن الأصبغ بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول (إن لله علمين علم استأثر به في غيبه فلم يطلع عليه نبيا من أنبيائه و لا ملكا من ملائكته و ذلك قول الله تعالى إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ و له علم قد اطلع عليه ملائكته .. إلخ) .

(٢) بحارالأنوار ٢٦ / ١٦٣

(٣) بحارالأنوار ٢٦ / ١٦٤

(٤)بحارالأنوار ٢٦ / ١٦٣

(٥) بحارالأنوار ٢٦ / ١٦٤

(٦) بحارالأنوار ٢٦ / ١٦٤

وبالجملة إن إطلاق العلم على غير اللّه مشحون في الكتاب والسنة والروايات كثيرة في جميع كتب الأصحاب ولا ينكره أحد من العلماء ، والعلم الذي هو غير اللّه لا يكون إلا حادثا لأن ما سوى اللّه كله حادث ، وأما نسبة هذا العلم إلى ذاته المقدسة فلأجل شرافته ، كما قال سبحانه (الكَعْبَةُ بَيْتِي)[1] ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[2] وأضرابها كثيرة ، وهذا العلم الحادث يجب أن يكون مطابقا للمعلوم وإلا لم يكن علما لأنك إنما تعرف الطويل بالطول ولا تعرفه بالعرض فإذا عرفته بالعرض لم تكن عالما به يقينا ، ولأنك إنما تعرف زيدا بزيد ولا تعرف زيدا بعمرو ، فإذا عرفته بعمرو مثلا لم تكن عارفا لزيد أصلا ، ويجب أن يكون واقعا على المعلوم ومقترنا به وإلا لا يصح العلم بدونهما وهذا العلم الحادث هو فعل اللّه ومفعولاته كاللوح والقلم ونفوس الخلائق أجمعين ، ولا يجوز أن يكون هذا العلم الحادث هو العلم القديم لما عرفت ولأن اللّه سبحانه لا تسبقه الأحوال ولا يجري عليه مضي ولا حال ولا استقبال ولا نعلم علمه لأنّا لا نعرف ذاته أبدا ، ولقد ذكر الشيخ أطال اللّه بقاه في تحقيق هذه المسألة في أجوبة المسائل حيث سأله سائل عن العلم يعجبني ذكرها إظهارا للمحجة وإتماما للحجة .

قال السائل قد سمعنا من مشايخنا وقرأنا في أكثر كتب المحققين أن علم اللّه سبحانه بالكائنات كان قبل وجودها فلا حادث إلا وقد سبق علمه الأزلي به ولا ينكره أحد من أهل الملل من زمان آدم عليه السلام إلى انقضاء زمان التكليف ، إلا من ابتدع في الإسلام ، ومثل هذا لا يعد من المسلمين ، نعم يكون المراد بهذا العلم (العلم الأزلي) الذي هو ذات اللّه ، وأما العلوم

(١) مستدرك الوسائل ٩ / ٣٥٩

(٢) الحجر٢٩

الحادثة كاللوح والقلم والعرش والكرسي وأنفس الملائكة والخلق فالكلام فيه مختلف ويأتي الإشارة إلى ذلك .

قال السائل : ولكن قولكم كل في زمانه ومكانه وهيئته ، فالمعلوم الذي يتعلق به العلم الحادث أي شيء هو غير الذي سبق علمه الأزلي به أو عينه .

قال : أدام اللّه بركاته في الجواب .

أقول : اعلم أن المعلوم الذي يتعلق به العلم الحادث هو المعلوم الحادث وفيه ثلاثة أقوال لعلماء الإسلام ، ثم ذكر الأقوال .

وقال : والحاصل أن العلم الحادث يتعلق بالمعلوم الحادث والعلم الحادث هو كاللوح المحفوظ قال تعالى ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** ﴾[1] ، فقوله تعالى ﴿ **عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ** ﴾ مثل قولك الحساب الذي بيننا علمه عندي في الدفتر وهذا ظاهر .

قال السائل وأيضا فتقول هل معنى الحادث أنه تعالى يعلم الأشياء بعد وجودها بمعنى أنه تعالى يوجد لنفسه علما بها ثم يوجدها .

قال : جعلنا اللّه فداه ، أقول : معنى العلم الحادث أنه يثبت عنده في ملكه ضبط الأشياء وحفظ صفاتها ومقاديرها وهيئاتها وآجالها وأرزاقها وما أشبه ذلك مع وجودها لا بعد وجودها ، بمعنى أنه يوجد في ملكه العلم بها وضبط حدودها حين يوجدها لأنه يوجد لنفسه علما بها لأنه عالم بها قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها فكيف يوجد لنفسه علما بها وأي حاجة له بذلك إذ لم يفقد من جميع حدودها وأحوالها من ملكه شيئا قبل أن يوجد وقبل أن يكون شيئا مذكورا ، ومثال ذلك أنك يكون بينك وبين زيد حساب

---

(١) طه ٥١ - ٥٢

في بعض المعاملة فتكتبه في الدفتر وإن كنت أنت غير ناس للحساب ، ولكن لاحتمال أن ينسى زيد أو يتناسى توصلا إلى إنكار أوليتهم بالوفاء ، إذا علم أنك ضابطه عليه بحيث لو صدر منه ما يوهم الإنكار أو الاستفهام قلت له أنا عندي علم الحساب الذي بيننا في الدفتر فيكون أردع له عن الإنكار من قولك أنا أعلم الحساب فإنه يشكك في الكلام الثاني دون الكلام الأول ، ولهذا لما قال فرعون ﴿ **فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى** ﴾ قال له موسى ﴿ **عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** ﴾ وهذا هو السر والنكتة في التقييد بقوله ﴿ **فِي كِتَابٍ** ﴾ .

ومعنى قولنا أن لله علما حادثا أنه حين خلقها خلق لوازمها وملزوماتها وكل ما يترتب على حدوثها ، فما كان منها شرطا خلقه تعالى مع خلقه لها لأن الشرط من لوازم المشروط ولا يكون اللازم قبل الملزوم لأنه في الحقيقة صفة للملزوم ولا تكون الصفة قبل الموصوف ولا بعده لأنها شرط المشروط متوقف على شرطه فلا بد أن يكون معه كالكسر والانكسار ، وهو سبحانه عالم بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها فلا يكون محتاجا في علمه بها إلى أن يخلق له علما بها وإلا لكان قبل أن يخلق ذلك العلم جاهلا بها وهذا اعتقاد الجاهل به تعالى ، لأنه لم يفقد شيئا منها من ملكه فعلمه في الأزل بحيث لا يحتمل الزيادة والنقصان بهذه الإمكان ولأنه لا يستقبل ولا ينتظر لأن المستقبِل فاقد في الماضي والحال وتعالى العظيم المتعال عن تغير الأحوال فعله بكل شيء من خلقه ذاته البسيط المجردة فلو فقد من علمه ذرة نقصت ذاته تعالى ، لكن المعلومات ليست في الأزل لأن الأزل هو الله سبحانه ولا يكون في ذاته شيء ، وإنما المعلومات في أماكن حدودها

من الحدوث وأوقات وجودها من الحدوث وأوقات وجودها من الإمكان وهو بكل شيء محيط .

فيا مسلم صحح إسلامك باتباعي وإياك وأن تحرق بنار الكفر من مخالفتي فإني ما أنطق بهوى نفسي وإنما أنطق بهدى من اللّه باتباعي لأئمة الهدى عليهم السلام .

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا
وإن لم يكن فهم فيأخذه عنا
فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد
عليه وكن في الحال فيه كما كنا
فمنه إلينا ما تلونا عليكم
ومنا إليكم ما وهبناكم عنا

وساق الكلام إلى آخره ، انتهى ما أردنا نقله مما أفاد أدام اللّه ظلاله على رؤوس العباد ، ولعمري أنه كلام متين وجوهر ثمين يليق أن يكتب بالنور على وجنات خدود الحور .

قال: أقول هذا مع كونه خلاف الكتاب والسنة ونحوهما من جهة إطلاق العلم على الصور اللوحية ونحوها لا محلها وظروفها غفلة عن أقسام العلم.

أقول : قد عرفت تطابق ما ذكر شيخنا أدام اللّه حراسته لصريح الكتاب والسنة بما لا مزيد عليه فكلامه والكتاب والسنة متطابقة بأشدّ التطابق ، فما أجهل المصنف حيث قال بمخالفته للكتاب والسنة .

وقوله (لا محلها وظروفها) .

أقول : قال الإمام عليه السلام (العرش والكرسي بابان من العلم) فقد أطلق العلم على العرش والكرسي ، والكرسي هو اللوح المحفوظ لما صرحت به

أخبار أهل الأسرار عليهم سلام اللّه في الأكوار والأدوار والأطوار والأوطار كما لا يخفى على من جاس خلال تلك الديار .

وقوله (غفلة عن أقسام العلم) .

هذا ليس غفلة عن المصنف حيث لم يميز بين أقسام العلم حتى قال أن علم اللّه بالأشياء هو علم العلة بمعلولاتها ، وعلم النفس بمقتضياتها فقد شبه علمه بعلم المخلوقين وعلمه عين ذاته فشبهه بالخلق ، وقال اللّه في الحديث القدسي (ما آمن بي من شبهني بخلقي) فليس ما ذهب إليه إلا التشبيه .

قال: لأن العلم قد يكون حصوليا يحصل بحصول صورة المعلوم في العالم، وقد يكون حضويا حاصلا بحضور المعلوم بنفسه عند العالم مع المغايرة بينهما أو بدونها بمعنى عدم الغيبوبة، وقد يكون حضوريا حاصلا بحضور علة المعلوم عند العالم مع المغايرة كما في العلم بالنار الحاضرة بالنسبة إلى الحرارة التي لم تحس، فإنه إذا علم كنه النار يعلم حرارتها وغيرها من لوازمها ومعلولاتها، أو بدون المغايرة كما إذا علمنا نفسنا بكنهها علما موجبا للعلم بمقتضياتها بمعنى عدم الغيبوبة .

أقول : العلماء اختلفوا في تعريف العلم وليس اختلافهم إلا في العلم الحادث ولو أردنا ذكر الاختلاف وبيان الأقوال وتحقيق الحق لطال بنا الكلام فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا ، وأما قول المصنف في تعريف أقسام العلم ما يريد أن علم الواجب أحد هذه الأقسام ولذلك .

قال: وعلم الواجب بالنسبة إلى الممكن قبل الإيجاد من هذا القبيل فيكفي وجود ذات العلة في حصول العلم بالمعلول من غير أن يحتاج إلى القول بأن للممكن نحوا من الوجود في مرتبة وجود العلة وهو سبب تحقق العلم

لاستلزام ذلك على وجه القول بوحدة الوجود كما يقول الصوفية خذلهم الله ونحن من ذلك براء .

أقول : علم الواجب سبحانه بالنسبة إلى الممكنات بأسرها قبل وجودها وبعد وجودها على حد سواء وعلمه عين ذاته فلا ندركه بوجه من الوجوه ، وأما قول المصنف أن علمه بالأشياء علم العلة بالمعلول فتقليد لبعض الفلاسفة حيث قالوا أن تعقله تعالى لذاته تعقل لجميع ما سواه وتعقله لذاته مقدم على وجود ما سواه إلى أن قالوا وهذا هو العلم الكمالي التفصيلي من وجه والإجمالي من وجه آخر وتلقاه المصنف بالقبول حيث قال في آخر ذكر الأقوال فريق في الجنة وفريق في السعير ، ومراده فريق في الجنة أهل هذا القول والشاهد على ذلك قوله فيما سبق في حمل قوله تعالى ﴿ ولما يعلم الله ﴾ على عدم حصول الامتياز الخارجي ، ليت شعري هل عند الله إجمال وتفصيل ، ومعنى قوله على عدم حصول الامتياز الخارجي أن الذات يعلم الأشياء في مرتبة الذات إجمالا و بعد ظهور الأشياء يعلم ذلك تفصيلا في الخارج لامتياز الأشياء بعضها عن بعض ، فعلى هذا يلزم أن لا يعلم الحق تفاصيل الأمور الخارجية إلا بعد وجودها في الخارج فيكون في مرتبة ذاته جاهلا لتفاصيل الأشياء ويكون علمه التفصيلي بالأشياء مستفادا من الأشياء وهذا مخالف مذهب الأئمة .

ثم إن قوله(علمه بالأشياء كعلم العلة بالمعلول) باطل لأنا نقول أن العلة تعلم المعلومات على ما هي عليها أم تعلمها على خلاف ما هي عليها ، فإن كان الأول لزم أن لا تكون العلة عالمة بالمعلولات في رتبة ذاتها لأن العلة واحدة بالبداهة والمعلولات متكثرة عيانا لا يحتاج إلى بيان والوحدة مخالفة

للكثرة والعلم لا بد وأن يكون مطابقا للمعلوم وإلا لم يكن علما كما أن العلم بالصفرة لا يكون العلم بالحمرة والخضرة بالبداهة فإذاً لا تكون العلة عالمة في مرتبة ذاتها لمعلولاتها .

وإن كان الثاني لا يكون العلم متحققا أصلا للمخالفة ، وإذا كان ذلك كذلك فيجب أن تكون المعلولات في رتبة ذات العلة حتى تكون العلة في ذاتها عالمة بها ، فإذا كانت المعلولات في رتبة العلة لم تكن معلولا بل هي عين العلة وهذا القول هو القول بوحدة الوجود ، فقد كر المصنف إلى ما فر عنه ، فلا يصح أن يكون علم الله سبحانه بالأشياء كعلم العلة بالمعلول ، ثم أن الخضرة والحمرة والصفرة متباينة في حقيقتها فكيف يكون العلم بأحدها هو العلم بالآخر ، ثم أن للعلة رتبتين رتبة لا تلاحظ فيها إلا ذاتها ولا تذكر شيئا من معلولاتها أبدا كما أنك إذا لاحظت نفسك وكشفت سبحات الجلال فلا تلاحظ إلا نفسك ولا تذكر إلا نفسك ولا تذكر في هذه الحالة شيئا من مقتضيات نفسك أبدا بل أنت ذاهل عن الشئونات والمقتضيات وهذا ظاهر عند كل أحد إذا تفطن ، وتارة يذهل عن تلك الحالة ويتنزل إلى مقام دون ذلك المقام ويذكر في تلك الحالة مقتضيات حاله وشئوناته ولا يحصل ذلك إلا بعد تمام الذهول عن ملاحظة نفسه في مرتبة نفسه ، ولا يحصل ذلك إلا في المرتبة الثانية التي هي التعلق بالمقتضيات والشئونات ، فكيف يصح أن يكون تعقل العلة ذاتها هي عبارة عن تعقل معلولاتها في ذاتها ، اللّهم إلا أن يقال أن المعلولات موجودة في رتبة العلة وهذا هو القول بوحدة الوجود والمصنف يلزمه القول بذلك لقوله أن علمه تعالى بالأشياء كعلم العلة بمعلولاتها ، وهذا مخالف لمذهب أهل البيت ومطابق لمذهب

الصوفية خذلهم اللّه ، فقوله نحن من ذلك براء قضية كاذبة لأن كلامه يأبى عن صدق قوله .

قال: وإطلاق العلة على ذات اللّه تعالى صحيح أما الناقصة فلنقص المعلول وأما التامة فبملاحظة المشية والإرادة .

أقول : لا يجوز إطلاق العلة على اللّه سبحانه ، أما أولا فلما عرفت من أن أسماء اللّه تعالى توقيفية ، وهو ما سمى نفسه بالعلة بل المعهود من مذهب أهل البيت إطلاق العلة على غير ذات اللّه تعالى كما في الخطبة اليتيمية لمولانا أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب عليه السلام قال (علة ما صنع صنعه وهو لا علة له) وفي دعاء العديلة الذي يقرؤه المسلمون بأجمعهم عند الموت والمؤمنون في كل صباح لبيان معتقداتهم قال (كان عليما قبل إيجاد العلم والعلة وكان قويا قبل إيجاده القوه والقدرة) فعلى هذا لا يجوز إطلاق العلة على اللّه .

وأما ثانيا فلأن العلة والمعلول مقترنان من حيثية العلية والمعلولية بكل أنحاء الاقتران وقد اتفق العقلاء على حدوث الأكوان الأربعة وهي "الاجتماع ، والافتراق ، والحركة والسكون " والاقتران مستلزم للكل ، فلو كان الحق سبحانه بذاته علة لوجود الأشياء لكان مقترنا بذاته بالأشياء والاقتران من صفة الحدوث .

وأما ثالثا فللزوم كون الخلق من لوازم ذات الحق وذلك يستلزم القول باستحالة انفكاك الخلق عن الحق وهو مستلزم للقول بالقدم فافهم مذهب أئمتك عليهم السلام ، ثم اختر لنفسك ما تحلو .

قال: وعلى ما ذكره يلزم إيجاد المصنوع جهلا ووقوع العلم بعد ذلك تعالى اللّه علوا كبيرا .

أقول : ما أجهل هذا المعترض وكيف يقول بهذا الكلام مع أن شيخنا بيّن

ونحن أيضا بيّنّا بأن اللّه سبحانه عالم بالأشياء قبل كونها وعلمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها ولو لم يكن كذلك للزمه الانتقال من حال وهو من صفات الزمانيات ومن تطري عليه الأحوال وهو سبحانه ليس له مضي ولا حال ولا استقبال فكيف لا يكون عالما بالأشياء قبل إيجادها ، وبيّنّا معنى الحادث بأكمل بيان يعرفه أرباب الكمال وقد صرحنا بأن علمه عين ذاته ولا نعلمه بالكيفية وليس له كيفية ، وقلنا أن الطريق إليه مسدود والطلب مردود ، والمصنف غفل عما يرد عليه كما نبهتك على بعضها وقال بهذا الكلام فيا سبحان اللّه لا يقول هذا الكلام بعد البيان جاهل فضلا عن الفاضل ، فكيف يلزم على ذكرنا إيجاد المصنوع جهلا ووقوع العلم بعد ذلك ، تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا .

قال: مضافا إلى أن القول بأن العلم نفس المعلوم ينافي قوله أنه حادث بحدوثه وأن شرطه أن يكون مطابقا للمعلوم ومقترنا به وواقعا عليه لعدم تصور مطابقة الشيء لنفسه واقترانه بها ووقوعه عليها فهذا أيضا يوهم التدليس والطفرة .

أقول : المصنف اعترض هذا الاعتراض في غير هذه الرسالة أيضا وذكر أكثر ما بيّن في هذه الرسالة في ذلك الاعتراض ، وأجابه سيدي وسندي وأستاذي وسنادي سيد الأفاضل والأعاظم السيد الأجل السيد كاظم أطال اللّه بقاه وبلغه ما يتمناه بأكمل بيان بحيث لا يبقى لأحد شبهة فيه فمن أراد تفصيل ذلك فلينظر إلى رسالته وإني أذكر ما أجاب عن هذه الفقرة .

قال أطال اللّه بقاه (أقول أما القول بأن العلم نفس المعلوم فهو يؤيد ويشيد القول بأن العلم الحادث حادث بحدوث المعلوم بل هو العلة لذلك

لأن المعلوم إذا كان حادثا والعلم عينه فبالضرورة يكون العلم حادثا فلا تنافي بين القولين بل كمال التوافق بينهما ، نعم إذا قيل أن العلم غير المعلوم ربما لا يستلزم حدوث أحدهما حدوث الآخر أو تساوقهما في الوجود وقد قلنا مكررا أن العلم الذي هو نفس المعلوم هو في الممكن المخلوق وأما القديم سبحانه فعلمه ذاته ومعلوماته الممكنات في مراتبها وأماكنها وأوقاتها) ، وساق الكلام إلى أن قال (وقوله لعدم تصور مطابقة الشيء لنفسه واقترانه بها ووقوعه عليها ، جوابه أنه قد سبق منا أن بينهما أي بين المعلوم والعلم تغاير بالجهات وتلك الجهات حالة في الشيء الواحد فإن كون الشيء علما ومعلوما وعالما صفات له والصفة تغاير الذات ، لكن الذات الواحدة قد تكون محلا لصفات كثيرة متغايرة متخالفة الأحكام فمن حيث المغايرة بين العلم والمعلوم يشترط بينهما المقارنة والوقوع والمطابقة ، ومن جهة كونهما في شيء واحد وموضوع واحد قلنا أن العلم نفس المعلوم يعني أن الشيء من حيث ظهوره للعالم علم ومن حيث كونه ظاهرا له معلوم للعالم وهو يشمل حصوله له وحضوره عنده وانكشافه لديه وهذا الظهور قائم بالمعلوم كما سبق ، وليس كما يزعمون أن العلم هو الصورة الحاصلة في النفس والمعلوم هو العين الخارجي حتى يكون كل واحد له موضوع ومحل آخر ، وقد تقرر عند أهل العلم أن الجهات والإضافات والصفات إذا كانت في محل واحد متعدد الجهات فيحكمون عليها بالوحدة والاتحاد وإن كانت في محال متعددة يحكمون عليها بالكثرة والاختلاف ، فإذا حكمنا على العلم والمعلوم بأنهما متغايران بالاعتبار صح القول بالمطابقة والاقتران والوقوع لأن التغاير الاعتباري الإضافي كاف في أمثال هذه المقامات وقد صرح العلماء بذلك عند قولهم في العلم أنه إضافة واعترضوا على القول

بالإضافة في علم الشيء بنفسه وأجابوا بمثل ما ذكرنا وهو مذكور في أكثر كتب الكلامية لاسيما التجريد وشروحه والمحصل وشرحه وغيرهما .

وأما قوله فهذا أيضا تدليس فليس له عندنا جواب والله ولي الحساب وإليه المرجع والمآب .

قال: فإن قلت مراده أنه يثبت بعد وجود الأشياء أحوالها كأرزاقها وآجالها في ملكه كاللوح بمعنى أنه يوجد فيه العلم بها وضبط حدودها حين يوجدها لا أنه يوجد لنفسه علما بها لأنه عالم بها قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها كما إذا كان بينك وبين زيد حساب تكون عالما به غير ناس له ومع ذلك تكتبه في الدفتر لكونه أردع عن الإنكار، ولذا قال موسى لفرعون ﴿في كتاب لا يضل﴾ ، قلت: المراد أن ظاهر كلامه يقتضي ذلك من غير قرينة صارفة، وبيان المراد من الخارج لا يدفع الإيراد فإنه موجب للشبهة لأهل الشريعة .

أقول : قد عرفت سابقا بما أفاد شيخنا أطال الله بقاه في جواب السائل بأن المراد من العلم الحادث وأنه في الكتاب مثل قولك الحساب الذي بيننا علمه عندي في الدفتر وعرفت تفصيل البيان فلا نعيد ذكره ، فلو قال الشيخ مرادي من هذه العبارة هذا المعنى كيف يمكنك دفعه واللفظ أيضا يحتمل ذلك المعنى كما عرفت ، أيجوز في المذهب أن يكذب ويقال له ليس هذا مرادك لأن كلامك يحتمل غير هذا المعنى ؟ مع أنه أطال الله بقاه صرح بالمراد حيث قال والعلم الحادث هو فعله ومن جملة مخلوقاته وسميناه علما لله تعالى تبعا لأئمتنا عليهم السلام واقتداء بكتاب الله حيث قال ﴿ **عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** ﴾ فما أجهل المصنف في فهم العبارة حيث قال أن ظاهر كلامه يقتضي ذلك من غير قرينة صارفة وأي قرينة أعظم من بيانه فاعتبروا يا أولي الأبصار .

قال: وبالجملة فالعاقل إن عجز عما ذكرنا لا بدأن يعتقد أنه عالم بالأشياء قبلها وإن لم يعلم كيفية علمها لا أن يقول بمقالته فإن ذلك لو لم يكن بيّن الفساد وبعيدا عن الصواب فلا أقل من كونه محل الارتياب .

أقول : إن العاقل لا بد أن يعتقد بحقيقة ما قاله شيخنا وأستاذنا أدام اللّه بركاته لأنه الحق الحقيق ومطابق لمذهب أهل العصمة سلام اللّه عليهم أجمعين ، ويعتقد ببطلان ما ذهب إليه المصنف من القول بصحة إطلاق العلة على اللّه سبحانه وكون علمه بالأشياء علم العلة بمعلولاتها وعلم العلة بالمعلولات في مرتبة العلة إجمالي من وجه وتفصيلي من وجه آخر لأن ذلك كما عرفت بيّن الفساد وبعيد عن الصواب ومخالف لمذهب أهل البيت الأطياب عليهم سلام اللّه في كل باب وإلى اللّه المرجع والمآب .

المقام الخامس

قال: المقام الخامس: أن واجب الوجود الموصوف بالصفات المذكورة واحد في الذات والصفات وهو الله الذي لا إله إلا هو وليس له شريك في الذات والصفات ردا على المشركين كالثنوية القائلين باليزدان وأهرمن أو النور والظلمة ومن اتخذ آلهة ثلاثة وأمثالهم .

أقول : لما عرفت أن صفاته الذاتية عين الذات أراد أن يبين أن واجب الوجود بالذات والصفات واحد من جميع الجهات خلافا للثنوية القائلين باليزدان وأهرمن وهم المجوس ، والقائلين بالنور والظلمة وهم فرق ثلاثة (الديصانية ـ والمانوية ـ والمرقونية) ، فالديصانية أصحاب ديصان وهم أثبتوا أصلين نورا وظلاما فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضر وفتن وقبيح فمن الظلام ، وزعموا أن النور حي عالم قادر حساس دراك ومنه تكون الحركة والحياة ، والظلام ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل لها ولا تمييز ، وزعموا أن الشر يقع منه طباعا وزعموا أن النور جنس واحد وكذلك الظلام جنس واحد وإن إدراك النور إدراك متفق وأن سمعه وبصره هو حواسه وإنما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنهما في نفسهما شيئان مختلفان ، وزعموا أن اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجبة وإنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ووجده طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب وكذلك تقول في لون الظلمة وطعمها

ورائحتها ومحبتها ، وزعموا أن النور بياض كله وأن الظلمة سواد كلها ، وزعموا أن النور لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحة منه وأن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحة منها ، واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم أن النور دخل الظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها وأحب أن يرفعها ويلينها ثم يتخلص منها وليس ذلك لاختلاف جسمها ولكن كما أن المنشار جنسه حديد وصفحته لينة وأسنانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فيلطف النور بلينه حتى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول إلى كمال ووجود إلا بلين وخشونة ، وقال بعضهم بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صحيفة فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من وجل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا فيه فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه ، وقال بعضهم أن النور إنما دخل الظلام اختيارا ليصلحها ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه ، فلما دخل فثبت به زمانا فصار يفعل الجور والقبيح اضطرارا لا اختيارا ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضروري وبين الفعل الاختياري .

الثاني مذهب المانوية أصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمان شابور ابن أردشير وذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، حكى محمد هارون المعروف بأبي عيسى الوراق أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب

من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وأنكر وجود شيء لا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان والخير والشر متحاذيان تحاذي الشخص والظل ، والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حليمة نافعة عالمة ، وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتفاق ، وجهته فوق وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال ، وزعم بعضهم أنه بجنب الظلمة وأجناسه خمسة أربعة منها أبدان والخامسة روحها فالأبدان النار والريح والنور والماء وروحها النسيم وهي تتحرك في هذه الأبدان وصفاته حسنة خيرة طاهرة زكية ، وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو وأرض ، وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها طيبة أطيب رائحة و ألوانها ألوان قوس قزح ، وقال بعضهم ولا شيء إلا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع أرض النور وهي خمسة وهناك جسم آخر ألطف منه وهو الجو وهو نفس النور وجسم آخر ألطف منه وهو النسيم وهو روح النور ، وقال لم يزل يولد ملائكة وآلهة أولياء ليس على سبيل المناكحة بل كما تتولد الحكمة من الحكيم والنطق الطيب من الناطق ، وملك ذلك العالم روحه ويجمع عالمه الخير والحمل والنور ، وأما الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر ونفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارة جاهلة ، وفعلها الشر والفساد والضر والغم والتشويش والاختلاف ، وجهتها تحت وأكثرهم على أنها منحطة من جانب

الجنوب ، وزعم بعضهم أنها بجنب النور وأجناسها خمسة ، أربعة منها أبدان والخامسة روحها ، فالأبدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهي تتحرك في هذه الأبدان ، وأما صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة ثم ذكر اختلاف الأقوال فيها إلى آخره .

الثالث المرقوبية أثبتوا أصلين متضادين ، أحدهما النور والثاني الظلمة وأثبتوا أصلا ثالثا وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وقالوا الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم إلى آخر ما قالوا .

وقد أبطل مولانا الصادق عليه السلام هذه المذاهب السخيفة بقوله عليه السلام في جواب الزنديق حين سأله عن قول من زعم أن الله لم يزل معه طينة موذية فلم يستطع التفصي منها إلا بامتزاجه بها ودخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء قال عليه السلام (سبحان الله وتعالى ما أعجز إلها يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصي من الطينة ، إن كانت الطينة حية أزلية فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبرا العالم من أنفسهما ، فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم والميت لا يجيء منه حي هذه مقالة الديصانية أشد الزنادقة قولا وأهملهم مثلا نظروا في كتب قد صنفتها أوائلهم وحبروها لهم بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ولا حجة توجب إثبات ما ادعوا كل ذلك خلافا على الله وعلى رسله وتكذيبا بما جاءوا به عن الله فأما من زعم أن الأبدان ظلمة والأرواح نور وأن النور لا يعمل الشر والظلمة لا تعمل الخير فلا يجب عليهم أن يلوموا أحدا على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة وإن ذلك على

الظلمة غير مستنكر لأن ذلك فعلها ولا له أن يدعو ربا ولا يتضرع إليه لأن النور رب والرب لا يتضرع إلى نفسه ولا يستعيذ بغيره ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول أحسنت وأسأت لأن الإساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها والإحسان من النور ولا يقول النور لنفسه أحسنت يا محسن وليس هناك ثالث ، فكانت الظلمة على قياس قولهم أحكم فعلا وأتقن تدبيرا وأعز أركانا من النور لأن الأبدان محكمة فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة وكل شيء يرى ظاهرا من الظهر والأشجار والثمار والطير والدواب يجب أن يكون إلها ثم حبست النور في حبسها والدولة لها وما ادعوا بأن العاقبة سوف تكون للنور فدعوى وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل لأنه أسير وليس له سلطان فلا فعل له ولا تدبير وإن كان له مع الظلمة تدبير فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة فإنه يظهر في هذا العالم إحسان وخير مع فساد وشر فهذا يدل على أن الظلمة تحسن الخير وتفعله كما تحسن الشر وتفعله فإن قالوا محال ذلك فلا نور يثبت ولا ظلمة وبطلت دعواهم ويرجع الأمر إلى أن الله واحد وما سواه باطل فهذه مقالة ماني الزنديق وأصحابه وأما من قال النور والظلمة بينهما حكم فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم لأنه لا يحتاج إلى الحاكم إلا مغلوب أو جاهل أو مظلوم وهذه مقالة المدقونية والحكاية عنهم تطول ، قال فما قصة ماني ، قال متفحص أخذ بعض المجوسية فشابها ببعض النصرانية فأخطأ الملتين ولم يصب مذهبا واحدا منهما وزعم أن العالم دبر من إلهين نور وظلمة وأن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه فكذبته النصارى وقبلته المجوس)[1] . الحديث

(١) بحارالأنوار ٣ / ٢٠٩ - ٢١١

والقائلون بتثليث الآلهة وهم النصارى حيث قالوا أن اللّه ثالث ثلاثة وقالوا بلاهوتية الثلاثة وهم الأب والابن وروح القدس الذي حل في مريم وسموهم بالأقانيم الثلاثة ، قال فيلبس في كتابه (والثالوث أم التثليث في اللّه معناه هو أن الأقانيم في اللّه ليسوا أقل ولا أكثر من ثلاثة أقانيم) قال (ونقول أن الثالوث واحد لأن عدد التثليث واحد ولا يكثر أقانيم اللّه فوق الثلاثة فهو اسم التوحيد ، اسم مقابل لاسم التثليث والثالوث ، ونقول أن جوهر اللّه واللاهوت واحد ، ونقول أن الأقانيم ثلاثة لأن الأقانيم تكثر بلا تكثير الجوهر واللاهوت يكون دائما أبديا واحدا ولا يكثر بكثرة الأقانيم ، ولأجل ذلك قال ماراثاناسيوس في قانون الإيمان قائلا نكرم إلها واحد في التثليث والتثليث في التوحيد فباسم الثالوث يعني الثلاثة أقانيم اللّه) .

وبالجملة هم يقولون بوحدة اللاهوتية وتثليث الأقانيم التي هي عين اللاهوتية وسيأتي بطلان ما ذهبوا إليه في أدلة التوحيد .

قوله وأمثالهم يعني من قال بتعدد الآلهة غير هؤلاء كالحربانيين فإنهم ذهبوا إلى إثبات خمسة من القدماء ، الذات البحت والنفس والهيولى والدهر والخلا ، وببيان تفصيل مذهبهم وأدلتهم يطول الكلام .

قال: كما قال اللّه تعالى ﴿ لا إلهَ إلاَّ هُوَ ﴾[1] **وقال تعالى ﴿ وَإلهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ ﴾**[2] **وقال تعالى ﴿ لوْكانَ فيهِما آلهَةٌ إلاَّ اللهُ لفَسَدَتا ﴾**[3] .

أقول : أخذ في الرد على المشركين واستدل على التوحيد بهذه الآيات

(١) آل عمران ٢
(٢) البقرة ١٦٣
(٣) الأنبياء ٢٢

وقوله تعالى ﴿ **لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ هذا دليل على امتناع اجتماع المؤثرين على أثر واحد فلو اجتمعا وأثر في الأثر لفسد الأثر ولخرج عما كان عليه ، وإذا أردت معرفة ذلك فأمثل لك مثالا تقريبيا لتفهم ذلك وهو أنك إذا وضعت السراج في طرف و قابلت السراج جسما كثيفا فترى أنه يقع من الجسم الكثيف ظل كثيف في غاية الظلمة والكثافة ، وإذا وضعت سراجا آخر في طرف يقع من شعاعه على ذلك الظل المنبعث من ذلك الجسم الكثيف قليلا فترى ذلك الكثيف تضعف كثافته وتميل إلى الضياء فخرج ذلك الظل عما كان عليه أولا في مرتبة حقيقته ففسدت حقيقته وهذا معنى دقيق جدا لا يطلع عليه إلا الأقلون ، وأما وجه استدلال الآية بحسب الظاهر فظاهر لا يحتاج إلى بيان .

قال: وقال تعالى ﴿ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾[1] .

أقول : هذا الدليل اشتهر بدليل التمانع وتقريره أن وجوب الوجود يستلزم القوة والقدرة على جميع الممكنات قوة كاملة بحيث يقدر على إيجاده ودفع ما يضاده مطلقا ، وعدم القدرة على هذا الوجه نقص والنقص عليه تعالى محال ضرورة ، فلو كان في الوجود واجبين لكانا قويين وقوتهما تستلزم عدم قوتهما لأن قوة كل منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريده نفسه من الممكنات والمدفوع غير قوي بهذا المعنى الذي زعمنا أنه لازم لسلب النقص .

وللفاضل الدواني تقرير آخر لبرهان التمانع وهو أنه لا يخلو أن يكون قدرة

(١) المؤمنون ٩١

كل واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم أو لا شيء منهما كاف أو أحدهما كاف فقط ، وعلى الأول يلزم اجتماع المؤثرين التامين على معلول واحد ، وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنهما لا يمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر ، وعلى الثالث لا يكون الآخر خالقا فلا يكون إلها ﴿ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ** ﴾[1] .

لا يقال إنما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أما إذا كان كل منهما قادرا على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتفقا على الإيجاد بالاشتراك فلا يلزم العجز ، كما أن القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها وذلك لا يستلزم عجزهما لأن إرادتهما تعلقت بالاشتراك ، وإنما يلزم العجز لو أراد الاستقلال ولم يحصل .

لأنا نقول تعلق إرادة كل منهما إن كان كافيا لزم المحذور الأول ، وإن لم يكن كافيا لزم المحذور الثاني ، والملازمتان بينتان لا تقبلان المنع ، وما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسندية إذ في هذه الصورة ينقص ميل كل واحد منهما من الميل الذي يستقل في الحمل قدر ما يتم الميل الصادر من الآخر حتى تنقل الخشبة بمجموع الميلين وليس كل واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلا مستقلا ، وفي مبحثنا هذا ليس المؤثر إلا تعلق القدرة والإرادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في شيء منهما .

قال: وقال الله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1] .

أقول : روى الكليني في الكافي بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي

---

(١) النحل ١٧

(٢) الإخلاص ١ - ٤

عبدالله عليه السلام قال (إنَّ اليَـهُودَ سَأَلوا رَسُول الله صلى الله عليه وآله فَقَالوا انْسبْ لنَا رَبَّكَ فَلبِثَ ثَلاثا لا يُجِيبُهُمْ ثُمَّ نَزلَتْ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ إلى آخِرِهَا)[١] واعلم أنّا لو أردنا شرح هذه السورة على التفصيل لطال بنا الكلام فاقتصرنا على بعض الروايات الواردة فيها .

في التوحيد روى الصدوق بإسناده عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ قال (﴿ قُلْ ﴾ أي أظهر ما أوحينا إليك و نبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد و هو اسم مكنى مشار إلى غائب ، فالهاء تنبيه على معنى ثابت و الواو إشارة إلى الغائب عن الحواس ، كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه و ندركه ولا نأله فيه فأنزل الله تبارك و تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فالهاء تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس وأنه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس)[٢] .

حدثني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال (رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت له علمني شيئا أنصر به على الأعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي يا علي علمت الاسم الأعظم و كان على لساني يوم بدر وإن أمير المؤمنين عليه السلام قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لي

(١) الكافي ١ / ٩١

(٢) التوحيد ٨٨

وانصرني على القوم الكافرين و كان علي عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد ، فقال له عمار بن ياسر يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الأعظم و عماد التوحيد لله لا إله إلا هو ثم قرأ ﴿ **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ** ﴾ و أواخر الحشر ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال ، قال وقال أمير المؤمنين عليه السلام الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق و يؤله إليه والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام و الخطرات)[1]

قال الباقر عليه السلام (اللّه معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك مائيته الإحاطة بكيفيته ، ويقول العرب أله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علما ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه فالإله هو المستور عن حواس الخلق)[2] .

قال الباقر عليه السلام (الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله ﴿ **اللهُ أَحَدٌ** ﴾ أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه)[3] .

قال الباقر عليه السلام (وحدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنه قال الصَّمَدُ الذي لا جوف له والصمد الذي قد انتهى سؤدده

(١) بحار الأنوار ٣ / ٢٢٢
(٢) التوحيد ٨٩
(٣) بحار الأنوار ٣ / ٢٢٢

والصَّمَدُ الذي لا يأكل ولا يشرب والصَّمَدُ الذي لا ينام والصَّمَدُ الدائم الذي لم يزل و لا يزال)[1] .

قال الباقر عليه السلام كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول (الصَّمَدُ القائم بنفسه الغني عن غيره)[2] .

و قال الباقر عليه السلام (الصَّمَدُ السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناه)[3]

و قال وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد فقال (الصَّمَدُ الذي لا شريك له و لا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء)[4]

قال وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي عليه السلام (الصَّمَدُ الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون و الصَّمَدُ الذي أبدع الأشياء فخلقها أضدادا وأشكالا وأزواجا وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند)[5] .

قال وهب بن وهب القرشي وحدثني أيضا الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليه السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد فكتب إليهم (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار و إنه سبحانه قد فسر الصمد فقال ﴿ **اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ** ﴾ ثم فسره فقال ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ ﴿ **لَمْ يَلِدْ** ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البداوات كالسنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) بحار الأنوار ٣ / ٢٢٣ .

لطيف ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء و الدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب وكالنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الأشياء وخالقها و منشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم اللهُ الصَّمَدُ الذي لمْ يَلدْ وَلمْ يُولدْ عالمُ الغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ الكَبِيرُ المُتَعال وَلمْ يَكُنْ لهُ كُفُواً أَحَدٌ)[1] الحديث .

قال وعن الصادق عليه السلام بعد سؤال الزنديق لم لا يجوز أن يكون الصانع العالم أكثر من واحد قال أبو عبدالله عليه السلام (لا يخلو قولك أنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا ، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه و يتفرد بالربوبية ، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، وإن قلت أنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد)[2]

أقول : هذا إشارة إلى برهان التمانع وقد عرفت فيما مضى فلا نعيده .

---

(١) بحار الأنوار ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤

(٢) بحارالأنوار ٣ / ٢٣٠ .

قال: وزيد في بعض الأخبار وإن ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما، وإن ادعيت ثلاثة لزم كما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهما فرجتان فتكون خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا يتناهى له في الكثرة إلى غير ذلك من النقل المطابق للعقل.

أقول: هذا دليل آخر على التوحيد ويسمى بدليل الفرجة ومعناه أنك إذا ادعيت بكون تعدد الآلهة لزمك إثبات فرجة بينهما لأن الاثنين لا يتمايزان عن الآخر إلا بمميز فاصل بينهما حتى يكونا اثنين لامتناع الاثنينية بلا مميز بينهما وذلك المميز لا بد أن يكون وجوديا داخلا في حقيقتهما إذ لا يجوز التعدد مع اتفاق في تمام الحقيقة ولا يجوز أن يكون ذلك المميز ذا حقيقة يصح انفكاكها عن الوجود وخلوها عنه وإلا لكان معلولا محتاجا إلى المبدأ فلا يكون مبدأ ولا داخلا فيه فيكون الفاصل المميز بينهما قديما موجودا بذاته كالمتفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميز الوجودي اثنين لا واحد أو يكون الاثنان اللذان ادعيتهما ثلاثة، فإن قلت به وادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقق المميز بين الثلاثة ولا بد من مميزين وجوديين حتى يكون بين الثلاثة فرجتان ولا بد من كونهما قديمتين كما مر فيكونوا خمسة وهكذا ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة، أي يتناهى الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة وذلك باطل لأن الكثرة متقومة بالوحدة فلولاها لما وجدت، فلو قلنا بالتعدد من دون استناد إلى وحدة لزم أن لا تكون موجودة رأسا لأن أصل العدد هو الواحد وإن كان الواحد خارجا من العدد كما برهن في محله والكثرة متفرعة على الوحدة إذ لا تتصور الكثرة بدون الوحدة فافهم.

قال: لأن العقل يحكم بأن التعدد مفهوم من المفاهيم وكل مفهوم إما

واجب أو ممكن أو ممتنع، لا سبيل إلى الأول وإلا يلزم عدم وجوب الواجب أصلا لأن وجود التعدد لو كان لكان بمقتضى ذات الواجب لئلا يلزم المعلولية في الواجب فيكون وجود الواجب من غير تعدد محالا وإلا يلزم عدم اللزوم أو انفكاك اللازم عن الملزوم فيلزم عدم تحققه في أفراده لأنه في كل فرد واحد فيلزم ما ذكر وهو محال .

أقول : لأن المفروض تعدد الواجب فيكون الوجوب هو التعدد من حيث التعدد وإذا كان كذلك لزم أن لا يتحقق الوجوب في الأفراد فالفرد على هذا التقدير لا يكون واجبا وهذا خلف .

قال: ولا سبيل إلى الثاني وإلا يلزم إمكان الواجب الذي يحصل به التعدد وهو أيضا محال لاستحالة اجتماع النقيضين .

أقول : لأنك فرضت إمكان التعدد في الوجوب فكان الوجوب متصفا بصفة الإمكان وذلك يستدعي اجتماع النقيضين وهو الوجوب واللاوجوب فكان الوجوب متصفا باللاوجوب الذي هو الإمكان فكان مركبا من الوجوب والإمكان فإذا صح تركيبه خرج من صقع الوجوب الذي ينافي التركيب فلا يكون التعدد واجبا بل صح إمكانه وإمكانه مستلزم لاجتماع النقيضين وهو باطل .

قال: فتعين الثالث وهو كون التعدد ممتنعا وهو المطلوب .

أقول : لانحصار الأمر في هذه الشقوق الثلاثة فإذا ثبت بطلان الشقين الأولين تعين الشق الثالث وهو امتناع التعدد فافهم .

قال: إلى غير ذلك من الأدلة العقلية.

أقول : براهين التوحيد كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم فمن أراد الاطلاع

على تفصيل البراهين والأدلة فلينظر في المطولات ولنذكر نحن دليلا مما ذكر الأصحاب على التوحيد ، وهو أنه إذا تعدد الواجب لذاته فلا بد من امتياز كل واحد منهما عن الآخر ، فإما أن يكون امتياز كل منهما عن الآخر بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولا عليهما بالحمل العرضي وكل عارض معلول للمعروض فرجع إلى كون كل منهما علة لوجوب وجوده وقد بان بطلانه ، وإما يكون الامتياز بالأمر الزايد على ذاتيهما فذلك الزايد إما أن يكون معلولا لذاتيهما فهو مستحيل لأن الذاتين إن كانتا واحدة كان التعين أيضا واحدا مشتركا فلا تعدد لا ذاتا ولا تعينا والمفروض خلافه وهذا خلف ، وإن كانتا متعددة كان وجوب الوجود أعني الوجود المتأكد عارضا لهما وقد تبين فيما سبق بطلانه من أن وجود الواجب لا يزيد على ذاته ، وإما أن يكون معلولا لغيرهما لزم الافتقار إلى الغير في التعين وكل مفتقر إلى غيره في تعينه يكون مفتقرا إليه في وجوده فيكون ممكنا لا واجبا .

وأورد عليه أن معنى قولكم وجوب الوجود عين ذاته إن أردتم به أن هذا المفهوم المعلوم لكل أحد عين ذاته تعالى فهذا مما لا يتفوه به رجل عاقل ، وإن أردتم كون ذات الواجب بحيث يكون بذاته مبدأ انتزاع الوجود بخلاف الممكنات إذ ذاتها بذاتها غير كافية في كونها مبدأ هذا الانتزاع بل بسبب تأثير الفاعل فيها فلم لا يجوز أن يكون في الوجود شيئان كل منهما بذاته مصداق هذا المفهوم ومنشأ انتزاعه ، فإن قيل قد ثبت أن الذي يكون بذاته مبدأ انتزاع الوجود المشترك لا بد أن يكون وجوده الخاص وتعينه الذي هو عين ذلك الوجود غير زائد على ذاته ، فالوجود الخاص الواجبي عين هويته الشخصية فلا يمكن اشتراكه وتعدده ، فيرد عليه الشبهة المشهورة المنسوبة

إلى ابن كمونة بأن العقل لا يأبى بأول نظرة أن يكون هناك هويتان بسيطتان لا يمكن للعقل تحليل شيء منهما إلى ماهية ووجود ، بل يكون كل منهما موجودا بسيطا مستغنيا عن العلة ، ولذلك قيل أن في كلام الحكماء في هذا المقام مغالطة نشأت من الاشتباه بين المفهوم والفرد فإنهم حيث ذكروا أن وجوده تعالى عين ذاته أرادوا به الأمر الحقيقي القائم بذاته حتى يجوز أن يكون عين ذاته تعالى وحيث برهنوا على التوحيد بأن وجوده عين ذاته فلا يمكن اشتراكه أرادوا به المفهوم إذ لو أرادوا به الوجود الخاص القائم بذاته لم يتم برهان التوحيد لجواز أن يكون وجودان خاصان قائمان بذاتهما يكون امتيازهما بذاتهما فيكون كل منهما وجودا خاصا متعينا بذاته ويكون هوية كل منهما ووجوده الخاص عين ذاته على نحو ما يقولون على تقدير الوحدة .

أقول : قد عرفت مما أسلفنا آنفا أن الكلام في وجوب الوجود ليس بحسب المفهوم وإلا لكان وجوب الوجود ظاهرا لكل أحد بحقيقته فلا يكون الكلام إلا في الحقيقة والمصداق .

وأما ما أورده المعترض بقوله فلم لا يجوز أن يكون في الوجود شيئان كل منهما بذاته مصداق هذا المفهوم . . .الخ ، فقد عرفت بطلانه بأن الذي يكون مبدأ الانتزاع لا بد أن يكون وجوده عين ذاته .

وقولنا يكون مبدأ الانتزاع بفعله لا بذاته فافهم ، وإذا كان وجوده عين ذاته فلا يمكن اشتراكه وقوله فيرد عليه الشبهة المشهورة المنسوبة إلى ابن كمونه . . . الخ .

أقول : لا يرد شيء من هذه الشبهة على هذا الدليل لأنه فرض أن يكون هويتان بسيطتان كل واحد منهما ممتاز عن الآخر بذاته لا بأمر زائد وإطلاق

الموجود به والوجوب والقدم يكون عليهما بالعرض لا بالذات كالماشي بالنسبة إلى الإنسان والحيوان مثلا .

فنقول له إن الأمر العرضي خارج من الذات يقينا إذ لو كان داخلا لكان جزءا منها فالعارض غير الذات فلا بد أن يكونا هما في الحقيقة غير موجودين لأن الموجودية أمر عارض لهما ، وكذلك لم يكونا قديمين لأن القدم أمر عرضي والعرضي خارج عن الحقيقة ، وإذ لم يكونا موجودين كانا معدومين وإذ لم يكونا قديمين كانا حادثين وهذا ما كنا نبغي ، وإذا كانا معدومين وحادثين رجعنا إلى إثبات موجود قديم ، هذا إذا قلنا أن هذه الصفات تحمل عليهما بالعرض ، وأما إذا كان ذلك في الحقيقة وبحسب الذات صح اشتراكهما وافتقرا إلى ما به الامتياز فلزم تركيبهما مما به الاشتراك وما به الامتياز ، وقد قام الدليل على أن كل مركب محتاج وكل محتاج ممكن لأن المركب يفتقر في وجوده وتحققه إلى وجود الأجزاء وتحققها وقبلية أجزائها منه ولو بحسب الرتبة فرجعنا إلى إثبات واجب يسد فقره .

وقول القائل أن في كلام الحكماء في هذا المقام مغالطة نشأت بين المفهوم والفرد . . . الخ .

أقول : هذه مغالطة نشأت من عدم فهم كلام الحكماء لأنهم لم يريدوا من المفهوم إلا عنوان المصداق بحيث لا يكون بينهما مغايرة في التفهيم والتفهم أصلا لا اعتبارا ولا تحققا ، نعم تكون المغايرة بحسب ذاتيهما لا بحسب التعريف والتعرف ، ولنمثل لك مثالا حتى تكون على بصيرة في أمرك فإذا كان زيد مثلا في مكان لا تستطيع الوصول إليه بوجه من الوجوه ولا بد لك من معرفته بصورته وضعوا لك مرآة حتى انعكست صورته فيها فرأيته فإنك ترى الصورة ولم تكن ملتفتا إلى نفس الصورة وإلا لما رأيت

العاكس فيها فعند عدم التفاتك إلى نفس الصورة من حيث أنها صورة تكون رأيت للعاكس ، ففي هذه الحالة لم يكن بين الصورة والشاخص مغايرة بحسب التعريف والتعرف فكذلك حكم المفهوم والمصداق فلم يكن بينهما مغايرة إلا بحسب الذات ، فإذا قالوا أن وجوده عين ذاته فلا يمكن اشتراكه أيضا أرادوا به الأمر الحقيقي ، ولما كان فهم ذلك صعبا عليهم أتوا بالمفاهيم وإن كانت المفاهيم لا تسمن ولا تغني من جوع ونعم ما قيل .

تعرضت عن قول بليلى وتارة   بهند فلا ليلى عنيت ولا هند

فسميتها ليلى وسميت دارها   بنجد فلا ليلى أردت ولا نجد

لأن الذات البحت البات لا تدخل في التصور بوجه من الوجوه فليس لها مفهوم ولا يشابههما شيء ليس كمثلها شيء فكيف يتحقق لها مفهوما حتى ندركها بمفهومها ، ومرجع كلامنا سابقا ليس إلا التعبير عن نفسي إذ كنت مسئولا وإفهاما لك إذ كنت سائلا ، وإلا هناك ضاع الكلام فلا كلام ولا سكوت معجب .

ثم إذا أردت الدليل على وحدته سبحانه فانظر إلى وحدة هذا العالم مع اختلاف أجزائه وجزئياته ومع هذه الكثرة هو واحد ، تقول العالم واحد وما سوى اللّه واحد ، حتى تكون وحدة هذا العالم دليلا على وحدته سبحانه ويشهد بأن المدبر لهذا العالم واحد فاشرب صافيا وافهم راشدا .

قال: اعلم أن المكلف بعد إثبات إمكان الوجود وثبوته على وجه الوجوب واستحقاق لعبودية اللّه ، ونفي الثلاثة لغيره المتوهم ونفيه حتى باعتبار الذات والصفات ونفي التكثير باعتبار الأجزاء العقلية والخارجية كما مر إليه الإشارة، وباعتقاد ذلك يتحقق التوحيد ومراتب التوحيد خمس" توحيد

الذات وتوحيد الصفات، وتوحيد الذات والصفات، وتوحيد الأفعال وتوحيد العبادة"، فقوله تعالى ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ﴾[1] إشارة إلى توحيد الذات، وكذا قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2] وقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] إشارة إلى توحيد الصفات، وكذا قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[4] وقوله تعالى ﴿أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمواتِ﴾[5] وقوله تعالى ﴿هذا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[6] إشارة إلى توحيد الأفعال، وقوله تعالى ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[7] إشارة إلى أنه منفرد بالعبادة، ومن قوله عليه السلام (كمال التوحيد نفي الصفات عنه)[8] إشارة إلى نفي الذات والصفات .

أقول : لا بد للمكلف بعد إثبات التوحيد على ما قررنا لك من أن الذات البحت البات واحد من جميع الجهات في الذات وفي الصفات ولا يشوبه تركيب ولا كثرة بوجه من الوجوه ، لا على ما ذهب إليه المصنف من أن الذات يتشعب والكلام صفة قديمة والإرادة أيضا كذلك ، لأنه كلام خارج عن طريقة أهل العصمة كما عرفت .

وأن للتوحيد مراتب خمس كما قرره المصنف هذا تقسيم التوحيد على وجه كلي وإلا تبلغ مراتب التوحيد إلى ما لا نهاية له في السلاسل الطولية والعرضية من مراتب الموجودات إذ لكل نفس من الأنفاس طريق خاص

---

(١) النحل ٥١
(٢) الإخلاص ١
(٣) فاطر ١١
(٤) الإخلاص ٤
(٥) سبأ ٢٧
(٦) لقمان ١١
(٧) الكهف ١١٠
(٨) بحار الأنوار ٤ / ٢٨٤

إلى توحيده بقدر استعدادها وقابليتها على حسب ما أثر فيها اسمه سبحانه ، لأن الأسماء هي المربيات للأنفاس كما قال أهل العصمة في الأدعية(وباسمك الذي خلقت به كذا وكذا . . . وباسمك الذي قام به السموات والأرضون وباسمك الذي فلقت يه البحر لموسى) وأمثال ذلك ، فإن الأسماء هي أرباب الأنواع فإفاضة الأسماء على الأنفاس كإفاضة المنير على الشعاع والمراد من الأسماء هي الأسماء المعنوية لا الأسماء اللفظية فافهم .

الباب الثاني

في العدل



الباب الثاني
في العدل

قال : الباب الثاني في الأصل الثاني وهو العدل الذي هو كمال الواجب في الأفعال ، وهو بحسب المعنى التصوري عبارة عن كون أفعاله تعالى على حد الاعتدال ، وعلى وجه التوسط بين الإفراط والتفريط ، وبحسب المعنى التصديقي عبارة عما يجب تصديقه بالجنان وإقراره باللسان ، وهو أن اللّه تعالى عادل وفي جميع أفعاله كامل ، وعن الظلم منزه ومبعد ، وعن القبح والشرور معرى ومجرد ، وجميع أفعاله حسنة معللة بالأغراض والفائدة التي هي إلى العباد عائدة ، وأنه تعالى صاحب اللطف عليهم وأفعاله على وفق مصالحهم ، وقد خلق العباد مع الاختيار من غير تفويض وإجبار .

اعلم أن فيما ذكرنا هنا إشارة إلى كمال الواجب في الأفعال ، ووجوب الاعتقاد بأن أفعاله المتعلقة بالعباد في الدارين على حد التساوي والاعتدال ، وأن التكليف على قدر الطاقة ، والعقاب على قدر المعصية ، لأنه غني من الظلم والحاجة مع إمكان العفو بنحو الشفاعة ، وإنه ليس فيها شائبة الظلم والقبح والشر والمفسدة ، بل كلها مع الحسن والمصلحة والفائدة التي تكون إلى العباد عائدة ، وإنه تعالى عادل في أفعال العباد ، بمعنى أنه خلقهم مع القدرة والاختيار ، فإن أطاعوا فباختيارهم بحيث لو شاءوا عصوا ، فلما اختاروا الطاعة أجرى عليها لازمها وهو استحقاق الثواب ، وإن عصوا فباختيارهم بحيث لو شاءوا أطاعوا ، ولما اختاروا المعصية أجرى عليها

لازمها، وهو استحقاق العقاب مع جواز العفو، وليس الأمر على وجه التفويض بأن لم يكن له أمر في أفعالهم حتى يكون معزولا عن سلطانه، ولا على وجه الإجبار بأن لم يكن للعبد دخل فيها ، وإلا لما استحق ثوابا وعقابا، ولكان العقاب ظلما ، بل الإقدار من الله بأن خلقهم قادرين على الفعل والترك، فهو العلة البعيدة والمباشرة من العبد فهو العلة القريبة فليس العلية منحصرة فيه تعالى كما يقول أهل الإفراط وهم الأشاعرة ، ولا منحصرة في العبد كما يقوله أهل التفريط وهم المعتزلة ، بل الأمر بين الأمرين كما هو المذهب الجعفري ومر إليه الإشارة.

أقول : إنما يثبت الاختيار لله سبحانه بمعنى أنه إن شاء فعل وإن شاء ترك كما هو مذهب أهل العصمة على ما قررنا من أن الإرادة من صفات الأفعال لا على ما ذهب إليه المصنف من كون الإرادة من صفات الذات ، ويلزمه على هذا أن لا يقول أن اللّه سبحانه فاعل مختار كما هو مذهب الأشاعرة خذلهم اللّه .

ثم اعلم أنه اتفقت كلمة أهل الإسلام بل أرباب الأديان من أهل التوحيد على أن اللّه لا يوصف بالظلم ، وإنه لا يظلم مثقال ذرة ، وأن الشر ليس من اللّه مع أن الكل من عند اللّه ، وأنه لا يفعل القبيح ولا يرضى لعباده الكفر ، وأنه لا يضطر في فعله بل يجب اتصافه بالاختيار مطلقا ، ثم إن المسلمين اتفقوا واجتمعوا على أن القول بذلك من ضروريات الدين ، وأن المنكر لهذا القول خارج عن زمرة المسلمين ، فبعد ذلك الاتفاق افترقوا فأكثرهم على نفي الاسم وإثبات المسمى في الأربعة الأُوَل وهي أنه تعالى لا يوصف بالظلم ، وأن الشر ليس منه ، وأنه لا يفعل القبيح ، ولا يرضى لعباده الكفر فقالوا بأفواههم ما ليس في قلوب .

وأما الخامس أعني اتصافه بالاختيار فقد اتفق المسلمون على وجوب اتصافه به فزعم بعضهم أن الاختيار الثابت هو المقابل للإيجاب الطبيعي أي ما يصح معه الفعل والترك بالنظر إلى الذات ، فيكفي عندهم في حقيقة الشرايع كون أفعاله على طبق المصلحة وإن كانت لازمة له ، وذهب فريق إلى القول بالاختيار الذي هو مقابل الإيجاب ، بمعنى امتناع الانفكاك أيضا ، وهو ما يصح معه الفعل والترك بالنظر إلى الداعي في وقت ولا ينافيه الوجوب السابق في وقت آخر ، وإنما المنافي وجوب ذلك في جميع الأوقات ، وذهب قوم إلى أن اللزوم والوجوب السابق لا سبيل لهما في ساحة عظمته سبحانه ، وأنه تعالى لا يلزمه شيء من الأشياء ولا يلزم هو شيئا من الأشياء ، وقالوا أن الاختيار اللائق لجنابه تعالى هو ما يصح معه الفعل والترك بالنظر إلى الذات وإلى الداعي والشرائط ونفوا عنه الإيجاب بجميع أنحائه ، وهذا هو المذهب الصحيح المطابق الصريح ، والدليل على ذلك ما أسلفنا من حدوث الإرادة وأنه سبحانه لا يلزمه شيء ، فليست الأشياء من لوازم ذاته تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا ، لأنها لو كانت من لوازم ذاته لزم قدمها وذلك مخالف لضرورة المسلمين ،لأنه هو المتفرد بالأزلية والأبدية وكل ما سواه هالك متصرم متجدد في كل آن قال تعالى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾[1] فإذا كانت الإرادة من صفات فعله ، وهو سبحانه عالم بالأشياء كليها وجزئيها عاليها ودانيها ، وأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وعلمه بالأشياء قبل كونها كعلمه بها بعد كونها ، أي علمه بالأشياء على حد سواء ، ولا يغيب عنه شيء ولا يفوته شيء ولا يجهل شيء ولا يتجدد علمه ، ولا يستفيد من الأشياء علما ، لزم

---

(١) القصص ٨٨

على هذا القول بأنه عادل و فاعل مختار ، بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، كما هو الحق الحقيق المطابق للتحقيق ، وستعرف ذلك في مطاوي كلماتنا إن شاء اللّه تعالى .

قال : ففي هذا الأصل أيضا خمس مقامات .

المقام الأول

المقام الأول أن أفعال الله تعالى كلها حتى التكليف حسنة بالحسن العقلي ولو بالحسن العرضي خالية عن الشرور والقبايح والظلم .

أقول : اختلف أهل العلم من المسلمين في أن الحسن والقبح هل هما عقليان أو شرعيان ، فذهب أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم أجمعين والمعتزلة إلى الأول ، والأشاعرة إلى الثاني .

لنا أنه لو كان مدرك الحسن والقبح هو الشرع وحده لزم أن لا يتحققا بدونه لكن اللازم باطل فالملزوم مثله .

بيان الملازمة أنه على ذلك التقدير يكون الشرع علة في ثبوتهما وشرطا في تحققهما ، ويستحيل وجود المعلول بدون وجود العلة ، ووجود المشروط بدون الشرط ، فعلى تقدير أنهما شرعيان يجب أن لا يتحققا إلا به ، وبيان بطلان اللازم أن من لا يعتقد الشرع من أصناف الكفار كالبراهمة والطبيعيين وسائر الملاحدة يجزمون ويقطعون بحسن الصدق وقبح الكذب ووجوب شكر المنعم ، ويذمون فاعل الكذب وتارك الشكر ويمدحون فاعله وفاعل الحسن من غير توقف ولا يعتقدون الشرع .

فإن قيل جاز أن يكون المدرك لذلك طباعهم ، قلنا الطباع مختلفة فلو كانت المدركة هي الطباع لما تحقق اتفاقهم فيه ، لكن الأمر ليس كذلك فلا يكون إلا عقليا ، فإن قيل إنه يجوز ثبوت ذلك بشريعة سابقة عندهم

ونسختها شريعتنا ، قلنا أنا نجد هذا الحكم عند من ينفي الشرايع ويقبح النبوات ، فلا يكون ذلك الوهم حاصلا بالنسبة إليه ، وأيضا قولنا في إثبات هذا المطلوب أنهما إذا كانا شرعيين لزم الدور لأن ثبوت الشرايع وحقيقتها متوقفة على استحسان العقل ، فإذا كانا هما شرعيين لزم إثبات هذا الاستحسان بدليل شرعي وهذا هو الدور .

وأما ما قيل بأن العقل لا يدرك حسن الصوم في آخر شهر شعبان وقبح صوم أول يوم من شوال مثلا ، جوابه : أن عقولنا لما كانت مشوبة بالأعراض ولم تكن باقية على صفائها الأصلي لم ندرك ذلك بعقولنا ، ولذلك احتجنا إلى معلم رباني حتى يبين لنا الأشياء حسنها من قبيحها وجيدها من رديها ، فيكون الشرع كاشفا عن الواقع فافهم .

وقوله (أفعال اللّه تعالى كلها حتى التكليف حسنة) .

اعلم أنه لما كانت الأشياء في حد ذاتها لها حسن وقبح بحسب صورتها ، وإن كان الحسن و القبح محقق لبعضها بالعرض كالكذب النافع مثلا ، فإن حسنه لا يكون إلا بالعرض لأنه في حد ذاته قبيح و هكذا ما يضاهيه ، فالحسن والقبح ترجع إلى الأشياء في حد ذاتها ، وليس ذلك بمحض جعل الجاعل بل يكون جعل الجاعل بمقتضى ذواتها وقابلياتها .

فإن قيل أن القابليات هل هي مخلوقة أم لا ، وعلى الأول يلزم أن لا يكون ذلك إلا بجعل الجاعل إياها ، وعلى الثاني يلزم تعدد القدماء وهو باطل لأدلة التوحيد ، فلم يبق إلا الشق الأول وهو كون القابليات بمقتضى جعل الجاعل .

قلنا إن القابليات هي من صفات الذوات و هي صور لها ، والصورة لا تقوم إلا بالمادة ولا بد من تقدم المادة على الصورة ، و المادة بلا صورة لا حكم

لها أبدا ولا توصف بالحسن والقبح ، فالحسن و القبح لا يتحققان إلا في الصورة و هما بمقتضى الصورة ، ومن المعلوم أن الجعل لا يتعلق بالصورة إلا بواسطة المادة ، فالصورة لا تكون إلا بمقتضى المادة لأن الصورة هي تعين المادة ، فلولا المادة لم توجد الصورة ولولا الصورة لم تظهر المادة ، فجعل الجاعل إياها لم تكن إلا بأمر بين الأمرين ، ولنمثل لك مثالا تفهم ذلك إن شاء اللّه ، فانظر إلى الكسر والانكسار فالكسر مادة للانكسار والانكسار انفعاله وصورته ، و لذلك تقول كسرته فانكسر ، فالانكسار الذي هو انفعال الكسر والصورة له ما وجدت إلا بالكسر وما كان قبل الكسر شيئا مذكورا ، فحين وجد الكسر وجد الانكسار دفعة واحدة ، وهما متساوقان في الوجود إلا أن الكسر متقدم على الانكسار رتبة لا زمانا ، فالحسن والقبح يوجدان بإيجاد الشيء أعني المادة ، ولم يكونا قبل ذلك شيئا مذكورا ويتعلق الجعل بهما ثانيا وبالعرض وبالمادة أولا وبالذات فتبصر .

وقوله (خالية من الشرور . . .إلخ) .

اختلف الحكماء في أن الشر هل هو أمر عدمي أو وجودي ، فجمهور الحكماء على الأول ، والذي يظهر من طريقة أهل البيت أن الشر أمر وجودي كما في الكافي عن الإمام عليه السلام أنه قال (إِنَّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام وَأَنْزَلَ عَلَيْه فِي التَّوْرَاة أَنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُحِبُّ فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْه وَأَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الشَّرَّ وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُرِيدُهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُه عَلَى يَدَيْهِ)[1] وقال اللّه تعالى ﴿ **جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾[2] وأمثال ذلك كثيرة

(١) الكافي ١ / ١٥٤
(٢) الأنعام ١

. و الظلمة لا تطلق إلا على الشرور ، وبالجملة إن الشر أمر وجودي متحقق في الخارج ولكنه من مقتضيات الصورة كما أن الخير أيضا كذلك ، لأن المادة من حيث هي كذلك لا توصف بحسن ولا قبح ولا خير ولا شر والصورة القائمة بالمادة قال اللّه تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾[1] وإذا أردت معرفة ذلك طبق الآية بالمثال المذكور تجد الأمر واضحا ولا قوة إلا باللّه .

قال : ويدل على ذلك أولا العقل الذي هو البرهان القاطع لأن اللّه تعالى عالم غني فيمتنع صدور الظلم والقبيح عنه تعالى وإلا يلزم الترجيح بلا مرجح بل ترجيح المرجوح فيكون موردا للذم لأن الظلم إما لدفع المفسدة أو لجلب المنفعة أو للجهل والسفاهة ، ومع عدم تصور شيء من ذلك في حق العالم الغني تتوجه المذمة .

أقول : لما ثبت كونه تعالى عالما بالأشياء كليها وجزئيها ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، لا يتوجه إليه فعل الظلم والقبيح ، لأن ارتكاب الظلم لا يكون إلا من جهالة أو سفه أو احتياج ، وكل ذلك لا يجوز على اللّه لأنه العالم الحق والغني المطلق ، فعند ارتكابه للظلم والقبيح يكون موردا للمذمة ، فيمتنع صدور الظلم والقبيح عنه تعالى ، وإلا يلزم أحد المفاسد المذكورة ويلزم عليه الترجيح من غير مرجح وذلك مما أطبق العقلاء على امتناعه ، لأنه إذا رجح إما أن يكون بمقتضى قابليتها كما قال تعالى ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾[2] فيكون فيض الفياض المطلق على الكل على حد سوآء ، ولكن الفيض لا يصل إلى

(١) الفرقان ٤٥
(٢) الرعد ١٧

الشيء إلا بقدر قابليته واستعداده ، مثاله ما قيل :

أرى الإحسان عند الحر دينا وعند النذل منقصة وذما
كقطر الماء في الأصداف درا وفي بطن الأفاعي صار سما

وهو الحق ، وإما أن لا يكون ترجيحه بقابليته بل من الجاعل ، يلزم الترجيح بلا مرجح ولا يجوزه أحد عليه سبحانه ، فثبت أنه سبحانه لا يعطي للأشياء إلا ما اقتضتها ذواتها عند جعلها بمقتضى قوابلها واستعداداتها فتبصر .

قال : وثانيا النقل الذي هو النور الساطع من الآيات والأخبار قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ﴾[2] وقال ﴿ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات النافية للظلم عنه تعالى المثبتة لعدالته .

وروي عن الرضا عليه السلام أنه قال (خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له يا غلام ممن المعصية فقال عليه السلام لا تخلو من ثلاثة إما أن تكون من الله عز وجل وليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه ، وإما أن تكون من الله عز و جل ومن العبد فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف ، وإما أن تكون من العبد

---

(١) النساء ٤٠
(٢) يونس ٤٤
(٣) الأنفال ٥١
(٤) آل عمران ١٨
(٥) الرعد ١١

وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفا عنه فبكرمه وجوده)[1] إلى غير ذلك من الأخبار ، وفي هذا المقام يرد على الأشاعرة في قولهم بكون الحسن والقبح سميعين شرعيين .

أقول : إن الآيات والأخبار بهذا المعنى كثيرة جدا يطول بذكرها الكلام .

وقوله (يرد على الأشاعرة . . . إلخ) ، نعم يرد عليهم ذلك لأنهم إنما أثبتوا الحسن والقبح من الشرع وبالشرع والشارع هو اللّه تعالى كما هو المذهب المختار لقوله تعالى ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ** ﴾[2] الخ ، فيكون الحسن والقبح بمقتضى جعل الجاعل من حيث الجعل لا من حيثية اقتضاء القوابل والاستعدادات ، فعلى ذلك يستلزم الترجيح بلا مرجح وترجيح المرجوح على الراجح ، وذلك مخالف لحكم الضرورة كما عرفت .

وليعلم أن الرواية التي ذكرها المصنف في هذا المقام ليست في محلها ، لأنه أراد في هذا المقام إثبات الاختيار لله تعالى لا إثبات اختيار العباد ، اللّهم إلا أن يقال أن فيها نفي الظلم عن اللّه واستدل بها .

---

(١) بحار الإنوار ٥ / ٤

(٢) الشورى ١٣

المقام الثاني

قال : المقام الثاني ، إن اللّه تعالى أوجد العباد قادرين على الفعل والترك من غير جبر وتفويض في الأمور ، بل الأمر بين الأمرين ، يدل على ذلك أولا العقل من جهة استلزام الجبر، كونه تعالى ظالما في تعذيب من يحمله على المعاصي كالقتل والزنا والشرك وغير ذلك، واستلزام التفويض مضافا إلى وهن السلطنة صيرورة الممكن واجبا بالنسبة إلى الوجود بعد الوجود الذي يكون البقاء عبارة عنه ، وهو محال من جهة استحالة انقلاب الماهية وامتناع تعدد الواجب وكون الاختيار هو الإمكان ، فيكون العبد فاعلا للفعل بالمباشرة والعلية القريبة ولكن بواسطة إقدار اللّه وإبقائه ، ونحو ذلك فلا يكون مخلوق اللّه ولا مفوضا إلى العبد بل يكون الأمر بين الأمرين .

أقول : اختلف المسلمون في أفعال العباد الصادرة عنهم ، فمنهم من ذهب إلى ثبوت الجبر وهم أيضا على أقسام ، فمنهم من ذهب إلى أن العبد لا يقدر على شيء من أفعاله أبدا ، ولا يفرقون بين حركة الماشي وحركة المرتعش أصلا وهذا منسوب إلى جهم بن صفوان الترمدي ومن تبعه ، ومنهم من ذهب إلى أن العبد له قدرة لكنها غير مؤثرة في أفعاله لغلبة قدرة اللّه تعالى عليها ويفرقون بين الحركتين ، فأفعال العباد صادرة عن اللّه وهم الأشاعرة ، ومنهم من قال بأن قدرة العباد مؤثرة في أفعالهم وهي صادرة عنهم ، وواجبة بالوجوب السابق من جهة علله الموجبة المنتهية إلى الواجب وهذا منسوب إلى أبي الحسن البصري من المعتزلة ، ومن المسلمين من ذهب

إلى أن أفعال العباد صادرة عنهم بالاستقلال ليست هي بقدرة من اللّه ، واللّه سبحانه خلقهم قادرين على الفعل والترك وفوض إليهم الأمر ، فالعبد يفعل بالاستقلال وليس لقدرة اللّه فيه مدخلية أصلا وهم المعتزلة ، وفي الخبر عن أهل بيت العصمة عليهم السلام (إن المفوضة قوم أرادوا أن يصفوا اللّه بعدله فأخرجوه من سلطانه)[1] ، ومن المسلمين من ذهب إلى ثبوت الاختيار للعباد في أفعالهم الصادرة عنهم بقدرة من اللّه بمعنى أنه سبحانه إن شاء خلى سبيلهم وإن شاء منعهم وحال بينهم وبينهما ، فالكل مقهور تحت قدرته ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون بتدبير منهم ، فهم الفاعلون حقيقة بقدرة اللّه ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه وهذا مذهب الأئمة عليهم السلام ومن تبعهم وهو الأمر بين الأمرين .

وتحقيق ذلك أنه لولا إفاضة الحق للخلق لاستحال وجودهم ، لأنه مع قطع النظر عن إفاضة الحق عدم محض وليس بحت ، ولولا وجود الخلق لاستحال وجود أفعالهم وشئوناتهم وأحوالهم وأوضاعهم ، فهذه الأفاعيل تصدر عن الخلق بالحق ، وكل هذه الأفاعيل مخلوقة لله لكن بواسطة خلقه قال تعالى ﴿ **خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[2] وقال ﴿ **مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾[3] وقال ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ** ﴾[4] وقال ﴿ **أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾[5] وقال ﴿ **أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُونَ** ﴾[6] وقال ﴿ **أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ** ﴾[7] لكن كل ذلك بالأمر بين الأمرين

---

(١) في فقه الرضا ٣٤٩ (مساكين القدية أرادوا أن يصفوا الله عز وجل بعدله فأخرجوه من قدته وسلطانه)
(٢) الصافات ٩٦
(٣) الأنفال ١٧
(٤) التوبة ١٤
(٥) الواقعة ٦٤
(٦) الواقعة ٧٢
(٧) الواقعة ٦٩

لا بالجبر والتفويض ، فإن الجبر يستلزم الظلم والظلم لا ينشأ إلا عن الاحتياج والاحتياج دليل الإمكان والحدوث ، ولأن الجبر يستلزم الكذب والافتراء على اللّه وإنكار الشرايع وذلك على حد الشرك باللّه ، والتفويض يستلزم انقلاب ماهية الإمكان إلى الوجوب ، وبطلانه لا يحتاج إلى بيان فادحض حجتك أيها الجبري ، فإن الفعل ثابت لك بمباشرتك إياه وقيامه بك لأن الفعل لا يتحقق إلا بك ولا يقوم إلا بك ، ولأن الخلق لو كانوا بمنزلة الآلات لهذه الأفاعيل لكانت هذه الأفاعيل هي الغايات لوجودات الخلايق لأنهم بمنزلة الآلات ، ومن المستبين عكسه عند كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وأسكن جأشتك أيها القدري فإن الفعل مسلوب عنك مع قطع النظر من إفاضة الحق لأنك موجود باللّه وقادر باللّه ولأن الخلق لو كانوا مفوضين في إصدار هذه الأفاعيل لزم التعطيل ، وذلك مستلزم للشرك ولكانوا مستقلين في الوجود ولزم انقلاب حقيقة الممكن إلى الوجوب ، وذلك مستلزم للقول بتعدد الآلهة ، وذلك بين الفساد لأدلة التوحيد .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الذي ذهب إليه المصنف هو القول بالجبر لا بالأمر بين الأمرين ، لأنه قرر في استدلاله محال بل الإقدار من اللّه بأن خلقهم قادرين على الفعل والترك فهو العلة البعيدة ، والمباشرة من العبد فهو العلة القريبة ، فليس العلية منحصرة فيه ، وهذا المذهب مطابق لما ذهب إليه أبو الحسن البصري من المعتزلة ومن تبعه ، حيث قالوا أن قدرة العبد مؤثرة في أفعاله وهي صادرة عنه وواجبة بالوجوب السابق من جهة علله الموجبة المنتهية إلى الواجب ، بحيث لا يطيق عدم التأثر فجعل هناك علتين

موجبتين قريبة وبعيدة ، فالعلة القريبة هي العبد والعلة البعيدة هي الحق سبحانه ، وقولنا أنه يقول بالعلة الموجبة لقوله في بيان علمه سبحانه بأنه هو العلة وإطلاق العلة عليه صحيح ، أما الناقصة فلنقص المعلول ، وأما التامة فبمشيته وإرادته ، وجعل الذات سبحانه علة ناقصة يستلزم احتياجه لنقصانه في إصدار الأشياء والاحتياج علة الحدوث ، وكون الذات علة تامة يستلزم قدم العالم لأن العقلاء اتفقوا على استحالة تخلف المعلول عن العلة التامة ، حيث قالوا إن العلة التامة ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم ، وتخلف المعلول يستلزم نقصان العلة فعند ذلك يكون الحق سبحانه فاعلا موجبا لا فاعلا مختارا ، لأن المعلول إذا لم يتخلف عن العلة في الوجود كانت العلة موجبة لاستحالة التخلف ، وإذا صح استحالة التخلف صح إيجابه ، وذلك مخالف لضرورة الدين ومذهب المسلمين حيث انعقد دين الإسلام على أن اللّه فاعل مختار ، بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وهذا لا يصح على صحة القول بأنه سبحانه هو العلة فتبصر .

ثم اعلم أن العبد لا يفعل إلا بتقدير اللّه وتدبير من نفسه ، فالعبد يدبر واللّه يقدر بتدبير العبد ، فيكون التقدير روحا للتدبير قال عليه السلام (القدر في أفعال العباد كالروح في الجسد) ، فإذا عرفت ذلك عرفت معنى ﴿ **ما تَشاؤُنَ إِلا أَنْ يَشاءَ اللّهُ** ﴾[1] وعرفت معنى ما قاله عليه السلام (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة بمشية إرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر)[2] ، ومعنى أنه سبحانه يقدر بفعل العبد ليس ما توهمه البعض أن مشية اللّه تابعة لمشيتنا ، بل مشيتنا تابعة لمشيته تبعية الجسد للروح .

(١) الإنسان ٣٠

(٢) بحار الأنوار ٥ / ٢١١

قال : وثانيا النقل كما قال تعالى ﴿ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ ﴾[1] وقال تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا ﴾[3] وقال تعالى ﴿ الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ إنما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[5] وقال تعالى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[6] وقال تعالى ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات ، والآيات الدالة على خلاف ذلك كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾[8] وقوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾[9] وقوله تعالى ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ ﴾[10] ونحو ذلك محمولة على كون الضلالة بالاختيار ، كالطبيعة الشبيهة بالوصف الخلقي المجبول عليه كقلوب البهائم ، أو على رسم قلوبهم بما يعلم به الملائكة ضلالتهم ، وعدم اختيارهم الإيمان فيذمونهم ويمدحون عليهم حتى كان اللّه تعالى شهد على ذلك إلى غير ذلك من المحامل ، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال (الناس في القدر على ثلاثة أوجه رجل زعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عز وجل في حكمه وهو كافر ، ورجل يزعم أن الأمر مفوض

(١) البقرة ٢٥٦
(٢) الرحمن ٢٩
(٣) النحل ٣٤
(٤) غافر ١٧
(٥) الطور ١٦
(٦) الطور ١٩
(٧) النجم ٣١
(٨) الزمر ٣٦ - ٣٧
(٩) الجاثية ٢٣
(١٠) النحل ١٠٨

إليهم فهذا وهن الله في سلطانه فهو كافر ، ورجل يقول إن الله عز وجل كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ)[1] .

أقول : لما بلغ إلى هذه الرواية فبالحري أن نذكر بعض الشبهات لإمام المشككين في جواز التكليف بما لا يطاق مع أجوبتها .

الشبه الأولى : إن العلم بعدم الإيمان وأصل وجود الإيمان متنافيان لذاتيهما كالحركة والسكون وذلك العلم بعدم الإيمان لا يكون علما إلا مع عدم الإيمان وهو ووجود الإيمان منافيان ، فالعلم بعدم الإيمان مناف لوجود الإيمان ، فكما أن الأمر بالجمع بين الحركة والسكون أمر بإيجاد ما يمتنع فكذلك هنا ، ثم نقول إن اللّه كان عالما في الأزل بأن أبا لهب لا يؤمن ثم أنه أمره بذلك ، فكان هذا أمرا بالجمع بين المتنافيين ، ثم قال والقول بتكليف ما لا يطاق لازم عليكم في مسألة العلم يا أرباب الاعتزال ، كما أنه لازم علينا في مسألة خلق الأفعال ولو أن جملة العقلاء اجتمعوا وأرادوا أن يوردوا على هذا الكلام صرفا لما قدروا عليه إلا أن يلزموا مذهب هشام بن الحكم ، وهو أن اللّه تعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها لا بالوجود ولا بالعدم .

الشبهة الثانية : أن اللّه تعالى قال ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾[2] فأولئك الذين أخبر اللّه عنهم بهذا الخبر لو آمنوا لانقلب هذا الخبر كذبا ، والكذب محال على اللّه والمفضي إلى المحال محال فكان صدور الإيمان محالا مع أن اللّه يأمرهم بالإيمان .

الشبهة الثالثة : أنه تعالى كلف أبا لهب بأن يؤمن ومن جملة الإيمان

---

(١) بحار الأنوار ٥ / ٩

(٢) البقرة ٦

تصديق اللّه فيما أخبر عنه أن أبا لهب لا يؤمن ، فقد صار أبو لهب مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين .

والجواب على ما قاله بعض الأفاضل عن الأول بأنه إن أراد بالتنافي أن يكون رفع كل منهما من أجزاء العلة التامة للآخر فالدليل لا يدل علي ، لأنا لا نسلم أن انتفاء الإيمان وتحقق الإيمان متنافيان بهذا المعنى ، ولو سلم فلا نسلم أنه يستلزم أن يكون العلم بانتفاء الإيمان مناف لتحقق الإيمان بهذا المعنى ، وإن أراد أعم من ذلك بطل قوله ، فكما أن الأمر بالجمع . . .الخ ، لأنه إن أراد بالجمع بين المتنافين بالأمر بكل منهما فليس المشبه كالمشبه به ، وإن أراد أعم من ذلك فتحقق الإيمان ليس مما لا يطاق ، لأنه ليس ممتنعا بالذات ولا ممتنعا لفقد شيء من علته التامة ، والامتناع باعتبار آخر لا ينافي القدرة ولا الاستقلال بالقدرة ، وإلا يلزم أن لا يكون اللّه سبحانه قادرا بالاستقلال ، لكونه تعالى عالما بأفعاله وتروكه .

وعن الثاني بهذا الجواب .

وعن الثالث إن هذا خروج عن محل النزاع ، فإن النزاع إنما هو في التكليف بالفعل الذي حصر وقته ، لا التكليف بالفعل المعلق على الشرط مقدم عليه زمانا منتظرا من المكلف غير حاصل بعد كتكليف صاحب الحدث بالصلاة فإنه يتعلق بالممكن الغير المقدور بناء على أن القدرة لا تتحقق في العباد قبل وقت الفعل عندنا ، فربما تعلق أيضا بالمحال في نفسه إذا كان منشؤه سوء اختيار المكلف وإخبار اللّه عنه ، والحاصل أن الإيمان من أفعال القلب ومصداقه الجوارح وهي مرتبة زمانا ، حتى أن قول لا إله إلا اللّه مركب من حروف مرتبة زمانا فإن أراد بقوله فقد صار أبو لهب مكلف . . . الخ ، إن إيمان أبي لهب بأنه لا يؤمن جزء من الإيمان غير

مسبوق زمانا بجزء آخر منه ، فدليله لا يثبت مدعاه وإن أراد أعم من ذلك فلا نعيده محل النزاع انتهى .

أقول : هذا الجواب صحيح لا غبار عليه لأنا نقول أن اللّه سبحانه كان عالما بأن أبا لهب لا يؤمن باختياره مع القدرة على الإيمان ، لأن كلا الأمرين ممكن في حقه وهو سبحانه يعلمه على ما هو عليه وما يمكن في حقه فعلمه بهاتين الحالتين إشراقي في مقام التعلق بهما ، وليس كل واحدة منهما عين الآخر حتى يحكم بتنافي العلم بهما ، والتنافي لا يتحقق إلا في الحكم بالاتحاد والأمر ليس كذلك ، و إنما علمه سبحانه بإيمان أبي لهب وعدم إيمانه كعلمه بزيد وعمرو ، فإن علمه بزيد لا ينافي علمه بعمرو ، فعند عدم إيمانه كان قادرا على أن يؤمن ، وتكليفه بالإيمان عند عدم الإيمان من باب الاختيار والابتلاء لوجود الاختيار ، لئلا يقوم على اللّه حجة بعد الرسل حتى يحتج بها على اللّه يوم فصل القضاء ، و سيأتي تفصيل ذلك إن شاء اللّه فهذه الحجة تكون جوابا لجميع الشبهات فافهم .

قال : وعن الرضا عليه السلام **أنه قال بعد السؤال عن قول اللّه عز وجل ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ قال (الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾)**[1] .

أقول : هذا بيان سر الوجود في أن الموجودات بأسرها إنما تطري عليهم السعادة والشقاوة بقبولهم بحسب قابلياتهم ، كما عرفت منا سابقا من أن السعادة والشقاوة من مقتضيات القوابل التي هي الماهيات ، أعني الصور والصور لا توجد إلا بالمادة كما هو مذهب أهل البيت من أن الصور متفرعة

(١) بحار الأنوار ٥ / ٢٠١

على المواد وأن المادة هي الأصل والصورة هي الفرع ، خلافا لبعض الحكماء حيث ذهبوا إلى العكس ، و من ذلك قالوا أن الأجناس متقومة بالفصول وذلك غير معقول عند أرباب العقول إن لم يقصدوا من تقوم الأجناس بالفصول التقوم في التماير لا بحسب الحقيقة ، وقد ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ((إن) المؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمه ، أبوه النور وأمه الرحمة)[1] ، قال النبي ﷺ (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه (أي نوره) الذي خلق منه)[2] الحديث .

و من المعلوم عند أهل العلوم أن مدخول (من) هي المادة كما تقول صنعت الخاتم من فضة وصنعت السرير من خشب ونسجت الثوب من القطن ، فمدخول (من) الذي هو النور مادة المؤمن والرحمة صورته والنور أب المؤمن ، و من المعلوم أن الأب هو الأصل في التقوم ، فتكون الفصول متقومة بالأجناس في التحقق ، وتكون الأجناس متقومة بالفصول في التمايز منشأ التمايز هو الصورة لا غير ، ولا يصح الحكم على المادة إلا بواسطة الصورة ، و بالجملة فإن الأحكام تدور مدار الصورة أينما كانت وأينما لم تكن فافهم .

و الكفر والإيمان من مقتضيات الصورة ، فالمادة إذا لبست صورة الكفر تحكم بالكفر وإذا لبست صورة الإيمان تحكم بالإيمان ، فيكون الكافر كافرا بقبوله لصورة الكفر فيجري عليه أحكام الكفر ، و كذلك المؤمن يكون مؤمنا بقبوله و اختياره ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ** ﴾[3] فلما قبل الكافر الكفر باختياره طبع اللّه عليه لأنه سبحانه عادل ، و معنى

---

(١) بصائر الدرجات ٧٩ ولم نجد كلمة(إن) في المصدر

(٢) بحار الأنوار ٦٤ / ٧٥ ولم نجد (أي نوره) .

(٣) النساء ١٥٥

العدل أنه سبحانه استوى برحمانيته على عرشه فأعطى كل شيء خلقه ، وأدى كل ذي حق حقه ، وساق إلى كل مخلوق رزقه ، فإعطاء كل ذي حق حقه هو معنى العدل المنسوب إلى اللّه ، فهو يفيض وكل يقبل الفيض بقدر استعداده قال اللّه تعالى ﴿ **وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها** ﴾[1] ولما خلقهم ومكن لهم سبيل أداء المأمور وسهل لهم اجتناب سبيل المحذور كلفهم بالإيمان ، فمنهم من قبل ذلك بقبوله واختياره ، ومنهم من أنكر ولم يقبل باختياره قال اللّه تعالى ﴿ **وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[2] أي طريق الهداية والضلالة فتبصر .

قال : وروى يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال (دخلت على علي ابن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه، فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر من زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك، فقلت له يا ابن رسول الله فما أمر بين أمرين ، فقال وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه، فقلت له فهل لله عز و جل مشية وإرادة في ذلك ، فقال أما الطاعات فإرادة الله ومشيته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها وإرادته ومشيته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها، قلت فلله عز وجل فيها القضاء، قال نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشر إلا ولله فيه قضاء، قلت فما معنى هذا القضاء قال الحكم عليهم بما يستحقونه على

---

(١) الرعد ١٧

(٢) البلد ١٠

أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة)[1] إلى غير ذلك من الأخبار، وفي بعضها تفسير التفويض بتفويضه تعالى إلى العباد واختيار أمره ونهيه وهو المشهور من المفوضة.

أقول : اختلف أصحابنا في معنى الأمر بين الأمرين ولقد رأيت قريبا من خمسة عشر قول فيه لكن مرجع الكل إلى ما نذكره .

قال بعض الأفاضل أن معناه أنه ليس بمجبور على جميع أفعاله بحيث لا يبقى له اختيار في شيء منها ، ولا مفوض في جميعها بحيث يكون له القدرة والاختيار على كل شيء منها ، بل بعضها يقع باختياره ويكون فعله بالحقيقة ، وبعضها واقع عليه بغير اختياره ويكون محلا قابلا لها ولا يكون فعله على الحقيقة وإن صح نسبتها إليه على سبيل المجاز من حيث كونه محلا لها .

وقال بعضهم ما قاله المصنف من إثبات علتين موجبتين أحدهما قريبة وهو العبد وأحدهما بعيدة وهو المعبود .

وقال بعضهم بما قلنا تبعا لأئمتنا وساداتنا .

أما المذهبين الأولين ففسادهما ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

فإذا عرفت هذا فاعلم بأنه لا يقع شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة كما بينا سابقا ، ولكن في الطاعات والحسنات تزيد على السبعة رضا اللّه سبحانه ، وفي المعاصي و السيئات سخط اللّه .

فإن قيل لو كان الأمر كذلك لزم أن يكون الحق سبحانه مريدا للكفر ، فإذا كان مريدا للكفر لزم عدم إمكان التخلف عما أراد ، فالكافر لا يكون كافرا إلا إذا أراد اللّه وقدر له ، فلا يمكن أن لا يكون كافرا فكيف يصح الاختيار

---

(١) بحار الأنوار ٥ / ١١

الذي هو القدرة على الفعل والترك ثم أراد العبد شيئا وأراد اللّه منه خلاف ذلك ، فأما أن لا يقدر العبد على ما أراد فلزم ما قلنا ، وإما يقدر على ما يريد وعمل بما يريد فقد غلبت إرادة العبد على إرادة الحق واستحالته ظاهر جدا .

قلنا إن لله إرادتين إرادة حتم وإرادة عزم ، أما الإرادة الحتمية فأوجب على نفسه أن لا يجبر أحدا من خلقه ويفيض عليهم بقابلياتهم واستعداداتهم ، ويعطيهم كلما سألوا وأرادوا بألسنة حالهم من الفياض المطلق والواجب الحق فكل ما أرادوا أعطاهم ، وهذا معنى قوله عليه السلام (لو كشف الغطاء لما اخترتم إلا الواقع) فبهذه الإرادة أراد الكفر للكافر حسب ما اقتضته قابلية الكافر ، فأعطاه الكفر وأراد له الكفر بقبوله الكفر ، فكذلك المؤمن ، وأما الإرادة العزمية فأحب العباد باختيارهم من دون إكراه يفعلون مقتضى محبته ورضاه فإذا ليفعلوا ذلك باختيارهم كان الحق مريدا لذلك باختيارهم فافهم فإن ذلك من غوامض الأسرار لا يطلع عليه إلا من اختصه اللّه بكرامته ، وإذا عرفت ذلك ارتفع عنك جميع الشبهات ، ويؤيد ما قلنا الروايات الواردة في هذا الباب ، فمنها ما رواه الكليني رحمه الله في الكافي بإسناده عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ (قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام شَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَأَحَبَّ قَالَ لا قُلْتُ وَكَيْفَ شَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى وَلَمْ يُحِبَّ قَالَ هَكَذَا خَرَجَ إِلَيْنَا)[1] .

وفيه بإسناده عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ شَاءَ وَأَرَادَ وَلَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ شَاءَ أَنْ لا يَكُونَ شَيْءٌ إِلا بِعِلْمِهِ وَأَرَادَ مِثْلَ

(١) الكافي ١ / ١٥٠

ذَلِكَ وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)[١] .

وفيه بإسناده إلى الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ (إِنَّ لِلَّهِ إِرَادَتَيْنِ وَمَشِيئَتَيْنِ إِرَادَةَ حَتْمٍ وَإِرَادَةَ عَزْمٍ يَنْهَى وَهُوَ يَشَاءُ وَيَأْمُرُ وَهُوَ لا يَشَاءُ أَوَمَا رَأَيْتَ أَنَّهُ نَهَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ أَنْ يَأْكُلا مِنَ الشَّجَرَةِ وَشَاءَ ذَلِكَ وَلَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَأْكُلا لَمَا غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُمَا مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ إِسْمَاعِيلَ وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَذْبَحَهُ وَلَوْ شَاءَ لَمَا غَلَبَتْ مَشِيئَةُ إِبْرَاهِيمَ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى)[٢] .

وبالجملة إن الأعمال والأفعال والأحوال والصفات وكل ما في الوجود من الصفات والذوات لا تكون إلا بمشية اللّه وقدره وقضائه ، ولكن في الطاعات يزيد على ذلك رضاه ، وفي المعاصي والسيئات عدم رضاه ، وليعلم أنه ما أصابك من حسنة فهو من اللّه ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك فلا تلوم إلا نفسك وإن كان الكل بتقدير من اللّه ، لكن تقدير الحق لا يكون إلا بتدبيرك كما عرفت سابقا ، والسر في ذلك أن الطاعة هي جهة الاستنارة بنور اللّه ، فكلما تمحضت في طاعته استنار قلبك بنوره فكنت مستضيئا بنوره ، وهكذا تترقى في الاستنارة حتى تصل إلى مقام المحبة ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي (لازال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش)[٣] فالنور الذي يظهر لك عند الطاعة ليس لك بل منه ، ولذلك تنسب ذلك النور إليه ، والمعصية هي

---

(١) الكافي ١ / ١٥١

(٢) الكافي ١ / ١٥١

(٣) في جامع الأخبار ص٨١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله (قال الله عز و جل ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فكنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها و لئن سألني أعطيته و إن استعاذني لأعيذنه) .

جهة الإدبار عن اللّه والإقبال إلى الظلمة المبعدة عن اللّه ، فكلما بعد العبد عن الرب استمد من الظلمة حتى انصبغ بكليته من الظلمة ، أعاذنا اللّه وإياكم منها بحق محمد وآله الطاهرين ، فهذه الظلمة هي من جهة نفسه ، ولنوضح لك الكلام حتى تفهم المرام .

اعلم أن العبد مخلوق من طينتين من العليين والسجين ، ومن النور والظلمة ، ومن الخير والشر ، ومن الإيجاد والانوجاد إلى غير ذلك من الأسماء ، فهاتان الجهتان تسمى عند أهل الإيمان بالجهة من النفس ، يعني للشيء اعتباران ، اعتبار من ربه بمعنى عدم ملاحظة وجوده من حيث نفسه بل ملاحظته من حيث أنه أثر من آثار اللّه سبحانه ، فلا يكون بهذا الاعتبار محجوبا عن رب الأرباب ، ففي هذه الحالة هو نور ولكن أصل هذا النور من منور النور والطاعات والأعمال الصادرة عنه كلها ، ونور استناد النور لا يكون إلا بالمنير فمن هذه الجهة تنسب الحسنات إلى اللّه .

وله اعتبار من جهة نفسه ، أي ملاحظة وجوده من حيث نفسه ، ففي هذه الحالة هو محجوب عن ربه ، وملاحظته لنفسه من حيث نفسه رأس كل خطيئة ، فالأشياء والأعمال التي تصدر عنه في تلك الحالة كلها سيئات ومعاصي ، فلا تستند هذه المعاصي إلا إلى مبدئها التي هي منها وهي جهة الظلمة والإدبار عن الحق ، فمن ذلك تستند المعاصي إلى العاصي ، قال تعالى في الحديث القدسي (يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي)[1] .

ولنمثل لك مثالا لتعرف ذلك ، فانظر إلى الجدار إذا وقعت عليه أشعة

(١) الكافي ١ / ١٥٧

الشمس فترى جهته المقبلة على الشمس مستضيئة مستنيرة ، وترى جهته المدبرة عن الشمس تنبعث منها ظلا وهي مظلمة مكدرة ، فهذا النور والظل كلاهما منبعثان من الجدار بإشراق الشمس ، ويدور النور والظل مدار الشمس حيث ما دارت ، لكن ظلمة الظل ليست من الشمس ولا تنسب إليها ، والنور بالعكس ، وإن كان النور والظل لا يوجدان إلا بالشمس من الجدار ، فتقول الشمس للجدار يا جدار أنا أولى بنورك منك وأنت أولى بالظل مني فتفطن ، فكذلك أفعال العباد كلها لا تكون إلا باللّه ، ولكن اللّه أولى بالحسنات من العباد ، والعباد أولى بالسيئات من اللّه .

قال : وفي هذا المقام يرد على الأشاعرة القائلين بالجبر والمعتزلين القائلين بالتفويض وأمثالهم .

أقول : وفي هذا المقام أيضا يرد عليك أيها المصنف ، حيث تقول بمقالة المجبرة الذين لم يقولوا بقول أهل الجنة ، ولا بقول أهل النار ، ولا بقول إبليس فإن أهل الجنة قالوا ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾[1] وقال أهل النار ﴿ **رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ** ﴾[2] وقال إبليس ﴿ **رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي** ﴾[3] لأنك تقول بالعلتين الموجبتين ، أحدهما بعيدة هو الرب والأخرى قريبة وهو العبد ، والروايات التي أوردتها ليست هي لك بل هي عليك ، ولا قوة إلا باللّه .

---

(١) الأعراف ٤٣

(٢) المؤمنون ١٠٦

(٣) الحجر ٣٩

المقام الثالث

قال : المقام الثالث أن أفعال اللّه تعالى كلها معللة بالأغراض العائدة إلى العباد في النشأة الآخرة، يدل على ذلك أولا العقل من جهة أن الفعل بلا غرض يستلزم الترجيح بلا مرجح وصدور العبث والقبح ، ورجوع الغرض إليه يستلزم الاستكمال وهو في حقه تعالى محال، فيكون فعله معللا بالغرض العائد إلى العبد كالاستعداد لإفاضة الفيض الأبدي الأخروي ، لكون الدنيوي مشوبا بالآلام بل دفع الايلام ، ولهذا لم يجعل في سيد البشر وغيره من الأنبياء والأوصياء.

أقول : لما عرفت سابقا فيما أسلفنا بأن اللّه سبحانه عالم بالأشياء كليها وجزئيها والعالم لا يجهل شيئا من الأشياء ، وأنه سبحانه غني مطلق لا يشوبه جهة الفقر بوجه من الوجوه ، فاعلم أنه لا يخلق الخلق عبثا لأن صدور العبث عن الحكيم قبيح ، ويمتنع صدور القبيح عنه لأنه عالم ، فلا بد أن يكون خلقة الخلق لغاية تكون هي العلة لوجودهم وإيجادهم خلافا للأشاعرة حيث لم يجعلوا لفعله غاية ولا فائدة ، وقالوا أن الفعل بالإرادة إنما يفعل من حيث يقصد وجود ذلك الغرض ، وذلك يقتضي كونه مستكملا بذلك الوجود على ما يلائم معنى الفاعل المختار ، باعتبار الشاهد من حيث أن فاعليته تتم بماهية ذلك الغرض ، وذلك لو نسب إلى الحق لكان ناقصا في فاعليته ، وأجيب بأنا لا نسلم أن فعل الكمال مستلزم للاستكمال بل هو كمال باعتبار دلالته عليه ، فإن الفعل الكامل في حد ذاته دليل على

كمال فاعله ، إذ لا يقال للأستاذ أنه مستكمل بفعل الصنعة الكاملة بل إنما يشهد العقل بأن صدورها منه دليل على كماله في تلك الصنعة قبل الصنعة ، إذ لولا كونه كاملا في حد ذاته لما صدر عنه الصنعة الكاملة ، فلا يلزم منه أن يكون مستكملا بفعلها ، فالغاية لابد أن لا تكون لذاته سبحانه لأنه هو الغني المطلق ، فإذا كانت الغاية راجعة إلى ذاته حتى يكون مستكملا بها لزم الفقر ، والفقر مستلزم لحدوثه ، فلا بد من وجود غاية تكون راجعة إلى خلقه ، فاختلف الناس في الغاية ، فالصوفية ذهبوا إلى أن الغاية في إيجاد الخلق أنه تعالى أراد أن يرى ذاته في مرايا الإمكان والأعيان ليرى بها نفسه فتكون تلك الأعيان هي مجالي تجليه الذاتي من غير لزوم فقر واستكمال ، ومثلوا لمطلوبهم مثالا ، أن الجميلة الحسناء تعلم أن صورتها حسنة في غاية الحسن والجمال ، ومع علمها بحسنها تنظر في المرآة لترى حسنها وجمالها ولم ترد من هذه الرؤية شيئا من حسنها وجمالها ، ومن ثم قالوا أن العالم صورة الحق ، أي على صورة الحق ، ولذلك قال قائلهم لا آدم في الكون ولا إبليس لا ملك سليمان ولا بلقيس ، فالعالم صورة وأنت المعنى يا من هو للقلوب مغناطيس ، وقد ذكر ابن أبي جمهور الإحسائي في كتابه المجلي نقلا عن الغزالي وابن الأعرابي صاحب الفتوحات قال : قال الغزالي وابن الأعرابي وغيرهما من أرباب الذوق ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ، إذ لو كان للزم بخله تعالى أو عجزه وكلاهما محال ، فثبت أنه ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم وكيف لا يكون كذلك وهو مخلوق على صورته لقوله عليه السلام (خلق الله آدم على صورته)[1] وآدم يصدق على الإنسان الكبير وعلى الإنسان الصغير ، وكلما

(١) بحار الأنوار ١١ / ١١١

هو على صورته لا يكون أكمل منه ولا أبدع ولا أعظم ولا أنفس ، وذكر أيضا فيه نقلا عن صاحب جامع الأسرار السيد حيدر علي العاملي قال : قال الفاضل المتأخر قطب الدين سيد حيدر : وكيف لا يكون العالم على أكمل الوجوه وأتمها وهو على صورته لقوله عليه السلام (خلق اللّه آدم على صورته) والمراد بآدم إن كان الإنسان الكبير الكلي فهو العالم بأسره ، وإن كان العالم الصغير الجزئي فهو ولده الشخصي ، لقولهم العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير ، وعند التحقيق الإجمالي ليس له غير هذين المظهرين المعظمين وجميع المظاهر مندرجة في ضمنها ، ومن هذا قيل ليس في الوجود سوى اللّه وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فالكل هو وبه وعنه وإليه وله ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[1] وعند التحقيق العالم والإنسان اسمان من أسمائه صورة ومعنى ، كما أنهما معا مظهرا من مظاهره لأنهما في حكمي الظاهر والباطن والأول والآخر ، ولهذا أنهما خلقا على صورته وتعينا بخلافته وصارا مظهرا لذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه ، لقوله عليه السلام (من رآني فقد رأى الحق)[2] . انتهى .

أقول : لو كانت الغاية في الإيجاد أن الحق أراد أن يرى نفسه في مرايا الإمكان والأعيان لزم احتياجه وفقره إلى ذلك ، وهو مناف لوجوب الوجود ، وتمثالهم بالجميلة الحسناء . . . الخ . أن الجميلة الحسناء إذا نظرت في المرآة وشاهدت حسنها وجمالها تزيد لها سرورا وبهجة ولذة لم تكن حاصلة لها قبل تلك المشاهدة ، وذلك لا يجري على الحق لأنه متعال عن البهجة والسرور واللذة والألم وسائر الأحوال ، لأن طريان تلك الأحوال مستلزم لحدوثه لانتقاله من حال إلى حال وهو لا يسبقه حال حالا .

---

(١) الحديد ٣

(٢) بحار الأنوار ٥٨ / ٢٣٤

وأما قولهم أن العالم على صورة الحق ... الخ . يستلزم أن يكون الحق مركبا من صورة ومادة ، وقد قام الدليل على أن كل مركب حادث ، فليس للحق صورة ولا مادة ، فإن المادة والصورة من أحكام الجواهر والأعراض ، والحق سبحانه ليس بجوهر ولا عرض ، وليس ذاته صورة لأن الصورة من صفة الخلق وهو منزه عن صفاتهم ، وأما الاستدلال بالرواية فالرواية صحيحة لتقرير مولانا الرضا عليه السلام ، لكن رأيت لهذه الرواية معاني عديدة منها ما قاله مولانا الرضا عليه السلام أن الرواية ما وردت هكذا فإنهم أخذوا بعضا وأسقطوا بعضا فذكر تمام الرواية ما معناها(أن النبي صلى الله عليه وآله مر يوما على سكة فرأى رجلين يقول أحدهما للآخر قبح اللّه صورتك وصورة من يشابهك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله لا تقل هكذا إن اللّه خلق آدم على صورته)[1] ومنها أن الضمير راجع إلى آدم يعني خلق آدم على صورة ، ومنها أن اللّه تعالى خلق صورة ونسبها إلى نفسه لشرافتها كما قال (الكعبة بيتي)[2] ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾[3] وغير ذلك ، وخلق آدم على تلك الصورة التي نسبها إلى نفسه ، ويدل على ذلك قول علي عليه السلام لما سئل عن العالم العلوي قال(صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد)[4] وتلك الصور هياكل التوحيد كما في حديث كميل لما سأل عن الحقيقة قال عليه السلام (مالك والحقيقة ، ... إلى أن قال نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) وهياكل التوحيد هم الأئمة عليهم السلام ، حيث خلق اللّه

---

(١) في الاحتجاج ٢ / ٤١٠ أن رسول الله مر برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه قبح الله وجهك و وجه من يشبهك فقال له صلى الله عليه وآله يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإن الله عز و جل خلق آدم على صورته .

(٢) مستدرك الوسائل ٩ / ٣٥٩

(٣) الحجر ٢٩

(٤) الصراط المستقيم ١ / ٢٢٢

آدم على صورتهم ، ولما لم يكن لهم حكم غير حكم اللّه ومتمحضين في رضاه نسبهم الله إلى نفسه ، ولذلك ورد في تفسير آية ﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾[1] قال عليه السلام (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسَفُونَ وَيَرْضَوْنَ وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِهِ وَسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِهِ)[2] ، وبالجملة هذه المعاني كلها محتملة في حل هذه الرواية ، وليس معناها ما ذهب إليه الصوفية خذلهم اللّه ، وكذلك الرواية الأخيرة أعني قوله عليه السلام (من رآني فقد رأى الحق) والأئمة عليهم السلام ذهبوا إلى أن الغاية هي العبادة وهي المعرفة كما سيأتي .

ولقد سمعت ممن أثق به كلاما عجيبا عن بعض الحكماء وأظن أنه أرسطا طاليس الحكيم ، سئلوا عنه : لم خلق اللّه الخلق قال في الجواب : إظهارا لكرمه وفضله ، قالوا : لو كان ذلك من محض الجود والفضل فلم يميتهم ويفنيهم ولم يبقهم على هذه الحالة ، قال : إنما يكسرهم ليصيغهم صيغة لا تحتمل الكسر ، وسنذكر هذا الكلام في مسألة المعاد إن شاء اللّه .

والحاصل أن اللّه ما خلق الخلق إلا بجوده وفضله وفيضه لمعرفته وعبادته .

وقوله (لكون الدنيوي مشوبا بالآلام بل دفع الإيلام ولهذا لم يجعل في سيد البشر وغيره من الأنبياء والأوصياء) .

أقول : يريد أن الفيض الدنيوي مشوب بالآلام ، وإن كان قصده أن الفيض باعتبار أنه فيض مشوب بالآلام فلا نسلم لأن الفيض لا يشوب بالآلام من حيث أنه فيض ، وإن كان قصده باعتبار المحل نعم صحيح ، فحيث أنهم عليهم السلام أعرضوا عن قبول المحل أعني الدنيا أعرضوا عن الفيض المتعلق بها يدل على تواتر عنهم عليهم السلام ، بل وإعراضهم من

(١) الزخرف ٥٥

(٢) الكافي ١ / ١٤٤

ضرورة الدين لأن المسلمين بل والكافرين أيضا يقرون بأن النبي والأئمة هم معرضون عن الدنيا وعن ضرارة بن ضمرة الكفاني قال : قال لي معاوية لعنه اللّه : صف لي عليا ، قلت (أشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن أسمعه وهو يقول يا دنيا دنية أ بي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيها فعمرك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه آه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق وعظم المورد فوكفت دموع معاوية على لحيته فنشفها بكمه واختنق القوم بالبكاء ثم قال كان والله أبو الحسن كذلك)[1]

ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت له الأعداء

وبالجملة هم عليهم السلام سدلوا عن الدنيا ثوبا ، وطووا عنها كشحا ، وهذا معروف لا يحتاج إلى بيان .

قال : وثانيا النقل كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾[4] ، وقال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾[5] ، وقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[6] وقال تعالى ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ

(١) بحارالأنوار ٤١ / ١٢٠
(٢) الذاريات ٥٦
(٣) البقره ٢٩
(٤) الانبياء ١٦
(٥) المومنين ١١٥
(٦) ص ٢٧

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، وعن مولانا الحسين بن علي عليه السلام أنه قال (أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه فقال له رجل يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)[2] يعني أن معرفة الله لا تتم إلا بمعرفة إمام الزمان أو لا تنفع إلا بها أو لا تحصل إلا بها، لأنه السبيل إلى الله.

أقول : أما معنى الآيات فظاهر ، وأما معنى الرواية فالقول أن الأئمة عليهم السلام هم أركان التوحيد ، يعني لا يتم التوحيد إلا بهم ، ولذلك قال مولانا القائم عجل الله فرجه ورزقنا توفيق طاعته في دعاء الرجبية ذكره الشيخ في المصباح (اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك ، المأمونون على سرك ، المستبشرون بأمرك ، الواصفون لقدرتك ، المعلنون لعظمتك ، أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم أركانا لتوحيدك ... الخ)[3] ، وفي الزيارة الجامعة (أركانا لتوحيده)[4] وعن الرضا عليه السلام (من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة بشرطها وشروطها وأنا من شروطها)[5] ، فإذا لم يكن الموحد قائلا بهم سلام الله عليهم أجمعين لم يكن موحدا حقيقة ، لأن ركن الشيء عبارة عن قولهم تحقق الشيء ، فإذا لم يكن الركن لم يتحقق الشيء .

وقوله(لا تحصل إلا بها لأنه السبيل ... إلخ) هذا أيضا حق لأنهم

(١) الجاثيه ٢٢
(٢) علل الشرائع ١ / ٩
(٣) المصباح للكفعمي ٥٢٩
(٤) الزيارة الجامعة الكبيرة
(٥) في عوالي اللآلي ٤ / ٩٤ (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ثم ضرب راحلته وسار قليلا و الناس خلفه ثم التفت إليهم ثم قال بشرطها و شروطها و أنا من شروطها) .

عليهم السلام هم السبيل الأعظم والصراط الأقوم ، قال أمير المؤمنين عليه السلام (لا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا)[(١)] فحصر المعرفة بسبيل معرفتهم ومن ذلك قولهم عليهم السلام(لولانا ما عرف اللّه ، ولولانا ما عبد اللّه) ومن ذلك تأويل قوله تعالى ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾[(٢)] فسبيل الرب هو علي عليه السلام ، فإن النبي صلى الله عليه وآله بعث ليدعو الناس إلى ولاية علي عليه السلام ، وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين ، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (ليلة أسري بي إلى السماء أمرني اللّه أن أسأل عن الأنبياء لماذا بعثوا؟ فسألتهم فأجابوني : إنا بعثنا لندعوا الخلق إلى التوحيد وإلى نبوتك وإلى ولاية وصيك وخليفتك أمير المؤمنين عليه السلام)[(٣)] وسيجيء لهذا مزيد بيان إن شاء اللّه .

قال: وعن الصادق عليه السلام أنه قال (إن الله تبارك و تعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد)[(٤)] ، وعن الصادق عليه السلام أنه قال (لم يجعل شيء إلا لشيء)[(٥)] .

أقول وأمثال ذلك كثيرة في الأخبار كما لا يخفى على من تتبع الآثار .

---

(١) الكافي ١ / ١٨٤

(٢) النحل ١٢٥

(٣) في بحار الأنوار ١٥ / ٢٤٧ قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله عز وجل إلي أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا عليما بعثوا ، فقلت على ما بعثتم ، قالوا : على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما) .

(٤) بحار الأنوار ٥ / ٣١٣

(٥) بحار الأنوار ٦ / ١١٠

قال : وفي الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[1] .

أقول : يزعم المصنف وأحزابه أن قوله(كنت كنزا مخفيا) يعني الذات المقدسة ، وهو غلط لأن الذات البحت البات لا يعبر عنها بعبارة ، ولا تتطرق عليها الأحوال في كونها مخفية وأرادت أن تظهر ، بل الحق أن الحق سبحانه لا ينتقل من حال إلى حال ، كان كنزا مخفيا والآن على ما عليه كان ، بل المعنى أنه كان ليس على ما نحن نعرفه ، لأنه كان بلا كان ويكون بلا يكون كما كان بلا كان ، وأما الكنز المخفي فهو مقام فاعليته الظاهرة بالتكلم عين ذاته ، ولذلك عبر عنه بـ (كنت) ، فالتاء في قوله (كنت) إشارة إلي مرتبة ظهوره بالتكلم بفعله ، لأن(كنت)صيغة المتكلم ، والمتكلم من صفاته الفعلية لا الذاتية ، بل هذه التاء في (كنت) هي مقام (أنا) في قوله تعالى(يابن آدم اعرف نفسك تعرف ربك ظاهرك للفناء وباطنك أنا) وهذا المقام من مقامات خلقه ، فلا يجوز أن يكون هذا المقام عين الذات ، وهذا المقام هو الذي ذكره القائم عليه السلام في دعاء الرجبية (وبمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتقها بيدك ، بدؤها منك وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد ، فبهم ملأت سمائك وأرضك ، حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)[2] الدعاء ، وقوله عليه السلام(لا فرق بينك وبينها) يعني في التعريف والتعرف ، لا في الحقيقة والذات - تعالى عما يصفه المشبهون وينعته الواصفون- لأن تلك المقامات آيات

---

(١) بحار الأنوار ٨٤ / ١٩٨

(٢) المصباح ٥٢٩

توحيده ، قال تعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[2] أي موجود في غيبتك وفي حضرتك ، فإن الآيات هي الآثار فإذا نظرت إلى الآثار نظرت إلى المؤثر الذي ظهر في الآثار بالآثار للآثار ، لأن الأثر يشابه صفة مؤثره ، والمؤثر مؤثر في رتبة أثره لا في مرتبة ذاته ، فإن ذات الحق تعالى أن يكون مرتبطا لغيره ، والأثر يدل على المؤثر بما أثر في الأثر ، يعني في رتبة الأثر لا في رتبة ذاته ، لأن ذاته مجهولة الكنه ، فلا يدرك بإدراك ولا يوصف بتوصيف ونعم ما قال ابن أبي الحديد :

يا مبدع الأكوان لست لسرك المكنون أمجد
تاه الأنام لسبكهم فلذاك صاح للقوم عربد
ونجى من الشرك الكثيف مهذب العزمات مفرد
تالله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
عرفوا ولا جبرئيل وهو إلى محل القدس يصعد
كلا ولا النفس البسيطة ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير أنك أوحدي الذات سرمد
وجدوا إضافات وسلبا والحقيقة ليس توجد
ورأوا وجودا واجبا يفنى الزمان وليس ينفد
فليخسأ الحكماء عن عرش له الأملاك سجد
من أنت يا أرسطو ومن أفلاط قبلك يامبلد
ومن ابن سينا حين قررما بناه له وشيد
ما أنتم إلا كالفراش رأى الشهاب وقد توقد
فدنى فأحرق نفسه ولو اهتدى رشدا لأبعد

(١) فصلت ٥٣

وقال أمير المؤمنين وسيد الوصيين (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه والطلب إلى شكله فالطريق مسدود والطلب مردود) ، وقال مولانا سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة (يا من استوى برحمانيته على العرش فصار العرش غيبا في رحمانيته كما أن العوالم صارت غيبا في عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار)[1] .

وبالجملة إن مقام (كنت) من مقامات خلقه ، والكنز المخفي مخزن فاعليته ، وأحببت أن أعرف مرتبة محبته الخلقية ، أعني في رتبة المفعول المطلق ، وتفسير هذا الحديث الشريف على كمال ما ينبغي يؤول إلى إطناب في الكلام ، والكلام يحتاج إلى الاختصار والاقتصار في المقام ، والحاصل أن العلة في خلق الخلق ليست إلا المعرفة ، والمعرفة لا تقع على أمر حادث فاشرب صافيا .

قال : إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على ما ذكر من العقل والنقل ، وفي هذا المقام يرد على الأشاعرة في قولهم بعدم العلة الغائية والمحركة للفاعل على الفعل في أفعاله تعالى لكفاية كونها ذات فائدة في عدم كونها لغوا وعبثا وفيه ما فيه .

أقول : نعم هذا ظاهر أنا لما أثبتنا بالأدلة العقلية والنقلية أن أفعاله تعالى كلها معللة بالأغراض ، وأنه تعالى لا يفعل عبثا ، يرد على الأشاعرة حيث ذهبوا إلى عدم تعليل أفعاله كما عرفت ، وعرفت جوابهم ولا قوة إلا بالله .

(١) دعاء عرفة لمولانا سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام .

المقام الرابع

قال : المقام الرابع أن أفعال اللّه مترتبة على اللطف المقرب إلى الطاعات المبعد عن المعاصي المتمم للغرض ، الذي لا يصح أن يكون فعل الواجب تعالى خاليا عنه ، يدل على ذلك أولا العقل لأن اللطف متم للغرض اللازم فهو لازم، وتركه نقص وقبيح .

أقول : لما ثبت أن جميع أفعاله سبحانه محكمة متقنة على وفق المصالح والحكم وخلق الإنسان لأجل معرفته وعبادته ، فخلق لهم جميع أسباب التوصل إلى معرفته وعبادته من جميع الشرائط والمعدات والمكملات والمتممات ، والقدرة على جميع ذلك بالاختيار ، فجعل فيهم أسباب الإتيان وعدم الإتيان وذلك بمقتضى الاختيار ، لأن الاختيار عبارة عن وجود ميلين متعاكسين في الحركة بمقتضى الضدية ، وذلك أن اللّه سبحانه خلقهم من طينتين ، يعني من العليين والسجين ، فأخذ قبضة من العليين وقبض قبضة من السجين ، فعركهما وصلصلهما وجعلهما شيئا واحدا وهو الشخص المكلف ، فوجد فيه ميلان متعاكسان ، أحدهما يميل إلى النور والآخر إلى الظلمة ، فكلما مال إلى جهة من الميلين تبعه الآخر بالتبع ، يعني أن المكلف إذا مال إلى جهة العبادات والطاعات اشتدت فيه جهة النور وتبعته الظلمة حتى استنارت بنوره وضعفت جهتها ، فكان ميلها إلى النور بالتبع والعرض ، وكلما مال المكلف إلى جهة المعاصي والسيئات اشتدت جهة الظلمة فتبعها النور حتى انصبغ بصبغتها ، وبالجملة كلما مال إلى جهة تبعتها الجهة الأخرى حتى انصبغت بصبغها ، لا أن الجهة

الأخرى تضمحل بالكلية ، وكيف يكون ذلك لأن قوام الشيء بهما متحقق ، فإذا انعدمت إحدى الجهتين انعدم الشخص المكلف ، وبعد تحقق هذين الميلين صح وقوع التكليف ، فكلف الشخص وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين وهادين إلى الطريق الواضح والسبيل اللايح ، توصلا إلى العمل بمقتضيات محبته ورضاه ، وليس ذلك إلا من باب العناية واللطف ، إتماما للحجة وإكمالا للمحجة ، ومن ذلك وجود حجة في العالم كي ما إن زاد المؤمنون ردهم وإن نقصوا أتمه لهم ، كل ذلك لأجل إراءة الطريق وتبيان الحق على التحقيق ، فكان ذلك متمما للغرض اللازم الذي هو عبارة عن الوصول إلى أعلى مدارج الترقيات ، والفوز إلى أسنى معارج الدرجات .

قال : وثانيا النقل كما قال تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] وعن الصادق عليه السلام قال (ما زالت الأرض إلا ولله تعالى فيها حجة يعرف الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله ولا ينقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوما قبل يوم القيامة فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة أولئك شرار من خلق الله وهم الذين عليهم تقوم القيامة)[4] إلى غير ذلك من الأدلة العقلية والنقلية .

أقول : يأتي تفصيل الأدلة النقلية في مبحث الاضطرار إلى الحجة وستعرفه إن شاء الله تعالى .

---

(١) الملك ٢
(٢) النور ١٠
(٣) المائده ٦
(٤) بصائر الدرجات ٤٨٤

المقام الخامس

قال : المقام الخامس أن أفعال اللّه تعالى تكون على الوجه الأصلح بحال العباد، إما بالمصلحة الخاصة أو العامة، ويدل على ذلك أولا العقل، لأن الداعي على إيجاد الأصلح وهو ذات المبدء الفياض موجود، والمانع عند عدم ترتب المفسدة مفقود.

أقول : يريد أن الداعي على الإيجاد ليس إلا ذات الحق سبحانه ، وهو مخالف لضرورة مذهب أهل بيت العصمة عليهم السلام ، وأما مذهب أهل البيت عليهم السلام أن الداعي هو فيضه سبحانه بفعله وكرمه وبمشيته التي هي من مراتب فعله بمقتضى قوابل الممكنات ، لأن الفعل له مراتب في نفسه بحسب تعلقه إلى المفعولات ، لا في نفسه بحسب نفسه ، فإذا تعلق الفعل على الوجود أعني وجود الشيء يسمى مشية ، وإذا تعلق بعينه أي تعين ذلك الوجود يسمى إرادة ، وإذا تعلق بمقام حدوده وهندسته يسمى قدرا ، وإذا تعلق بتركبه يعني تركب تلك الهندسة يسمى قضاء ، وفي رتبة القضاء يتحقق البداء يعني إن شاء أبداه ، وإذا وقع القضاء على الإمضاء فلا بداء ، يدل على ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عنه عليه السلام (إن اللّه بما شاء وأراد وقدر وقضى وأمضى ، فبعلمه كانت المشية ، وبمشيته كانت الإرادة ، وبإرادته كان القدر ، وبقدره كان القضاء ، وإذا وقع القضاء على الإمضاء فلا بد الحدث)[1] .

(١) في الكافي ١ / ١٤٨ هكذا (قالَ سُئلَ العَالِمُ عليه السلام كيْفَ علِمُ اللّه قالَ عَلِمَ وَ شاء وَ أرادَ وَ قدَّرَ وَقضَى وَ أمْضَى فَأَمْضَى مَا قَضَى وَ قَضَى مَا قَدَّرَ وَ قَدَّرَ مَا أَرادَ فَبِعِلْمِه كَانَت الْمَشِيئَةُ وَ بِمَشِيئَته كَانَت الإرَادَةُ وَ بإِرَادَته كَانَ التَّقْدِيرُ وَ بِتَقْدِيرِه كَانَ الْقَضَاءُ وَ بِقَضَائه كَانَ الإمْضَاءُ وَ الْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَة وَ الْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ وَ الإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاء بِالإِمْضَاءِ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ وَ فِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الأَشْيَاءِ فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالإِمْضَاءِ فَلا بَدَاء) .

وبالجملة لو كان الحق سبحانه بذاته داعيا على الإيجاد لكان فاعلا موجبا ، وذلك زندقة وإلحاد ، لأن الداعي هو الفاعل وهو موجود ولا داعي سواه ، والمانع أيضا مفقود لأن الحق لا يمنعه مانع البتة ، وذلك يتحقق له أزلا وأبدا ، فيجب وجود العالم أزلا وأبدا ولا يتغير بوجه من الوجوه ، وهذا مخالف لمذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين .

قال : ولأن الاختيار الأصلح عند عدم المصلحة وعدم ترتب المفسدة ترجيح للمرجوح ، وهو قبيح يمتنع صدوره عن الله تعالى لأنه مورد الذم، فتكون جميع أفعاله على وفق الأصلح ، حتى وجود الكفار والشيطان وغير ذلك، لكونه من مقتضيات خلود الجنة، فالله أفاض الفيض والكفار اختاروا بسوء اختيارهم ما استحقوا بسببه خلود النار، مع أنه من جهة كونه سببا لترتيب مصلحة الكل، وحصول كمال اللذة لأهل الآخرة له مصلحة زائدة.

أقول : هذا متفرع على ما أصلناه سابقا من أنه تعالى عالم بالأشياء كليها وجزئيها فلا يفعل القبيح ، لأن ذلك ترجيح المرجوح على الراجح .

وقوله (حتى وجود الكفار والشيطان . . . الخ) هذا يصح على ما قررناه سابقا أن الكافر كان كافرا بقبوله الكفر ، والقابليات إنما توجد بجعل الجاعل بسبب اقتضاء المادة ، لا من حيث جعل الجاعل في حد ذاتها ، ولا أظن أن المصنف يقول به ، فيرد عليه أنه سبحانه خلق الكافر والشيطان بمقتضى جعله ، وهو خلاف مذهب أهل البيت .

وقوله (من مقتضيات خلود الجنة) يريد أن وجود الكفار والشياطين سبب لخلود أهل الجنة ، لأن المطيعين إذا عرفوا بأن الكفار هم مبعدون عن طريق الحق أعرضوا عنهم ، وسلكوا مسالك الطاعات على خلاف مناهج

المعاصي ، لأن الأشياء إنما تعرف بأضدادها ، وهذا كلام صحيح بحسب الظاهر وعند العوام ، ولكن في الحقيقة لا يسمن ولا يغني من جوع ، لأن الكلام في أصل وجود الكفار والشيطان ، ولماذا كان الكافر كافرا والشيطان شيطانا ، ولماذا كلفهم وما السر في التكليف ، وما السر في أن الكافر قبل الكفر وحاد عن سبيل الهداية ، وكل ذلك لا يتحقق إلا بما حققناه سابقا ، فراجع تفهم إن شاء اللّه .

قال : وثانيا النقل كما روي أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام (فرض الله تعالى الإيمان تطهيرا من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والزكاة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الحق والحج تقوية للدين والجهاد عز الإسلام والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الأرحام منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء وإقامة الحدود إعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة إيجابا للعفة وترك الزناء تحقيقا للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا عن المجاهدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام أمانا من المخاوف والأمانة نظاما للأمة والطاعة تعظيما للسلطان)[1] إلى غير ذلك من الأدلة.

أقول لما بلغ الكلام إلى أسرار التكاليف فبالحري أن نشير بالإشارة الإجمالية إلى بعض أسرارها حسب ما وفقنا اللّه سبحانه لفهمه .

فنقول الإيمان عبارة عن الرضا بقضاء اللّه ، والتفويض إلى اللّه ، والتسليم لأمر اللّه ، كما نطق به صريح الأخبار ، فمن ذلك ما رواه الكليني رحمه الله في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال (بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي

(١) المناقب ٢ / ٣٧٧

بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ لَقِيَهُ رَكْبٌ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ مَا أَنْتُمْ فَقَالُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكُمْ قَالُوا الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ وَالتَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْبِيَاءَ فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَلا تَبْنُوا مَا لا تَسْكُنُونَ وَلا تَجْمَعُوا مَا لا تَأْكُلُونَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1] الحديث فإذا كان هذا حقيقة الإيمان فلا يزال المؤمن ينظر بنور اللّه ، ولا يغفل عن اللّه طرفة عين ، ولا يعصي اللّه أبدا ، فإذا كان كذلك فقد طهر عن جميع الأرجاس والأدناس والشرك والوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

وهذا معنى قوله عليه السلام (فرض اللّه الإيمان تطهيرا من الشرك) ، والعبد إذا لم يكن شاغلا باللّه عن غيره فهو مشرك بحسب الحقيقة ، إذ هو يصغ لغير اللّه ، وقال عليه السلام (مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ)[2] وقال عليه السلام (كل شيء يشغلك عن ربك فهو صنمك) فتبصر ولا تكن ذاهلا عن الحق طرفة عين ، فإن الذهول عنه سواد الوجه في الدارين ، وليس كل من يدعي الإيمان يقبل عنه ، لأن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نور ، فإن الإيمان له شروط وعلائم كما ورد عن أهل العصمة عليهم السلام في نهج البلاغة ، وفي الكافي بإسنادهما عن علي عليه السلام قال (الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَع دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ فَالصَّبْرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَع شُعَبٍ عَلَى الشَّوْقِ وَالإِشْفَاقِ وَالزُّهْدِ وَالتَّرَقُّبِ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ

(١) الكافي ٢ / ٥٢
(٢) الكافي ٦ / ٤٣٤

وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْيَقِينُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ وَمَعْرِفَةِ الْعِبْرَةِ وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ فَمَنْ أَبْصَرَ الْفِطْنَةَ عَرَفَ الْحِكْمَةَ وَمَنْ تَأَوَّلَ الْحِكْمَةَ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ عَرَفَ السُّنَّةَ وَمَنْ عَرَفَ السُّنَّةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ مَعَ الأَوَّلِينَ وَاهْتَدَى إِلَى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَنَظَرَ إِلَى مَنْ نَجَا بِمَا نَجَا وَمَنْ هَلَكَ بِمَا هَلَكَ وَإِنَّمَا أَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ أَهْلَكَ بِمَعْصِيَتِه وَأَنْجَى مَنْ أَنْجَى بِطَاعَتِه وَالْعَدْلُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ غَامِضِ الْفَهْمِ وَغَمْرِ الْعِلْمِ وَزَهْرَةِ الْحُكْمِ وَرَوْضَةِ الْحِلْمِ فَمَنْ فَهِمَ فَسَّرَ جَمِيعَ الْعِلْمِ وَمَنْ عَلِمَ عَرَفَ شَرَائِعَ الْحُكْمِ وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِه وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً وَالْجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ وَشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهْرَ الْمُؤْمِنِ وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ وَأَمِنَ كَيْدَهُ وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْه وَمَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ غَضِبَ لِلَّهِ وَمَنْ غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ فَذَلِكَ الإِيمَانُ وَدَعَائِمُهُ وَشُعَبُهُ)[1] .

(١) الكافي ٢ / ٥٠

فصل في الصلاة

والصلاة إما مشتقة من الوصل ، فتكون سببا للوصول إلى الحق سبحانه ، يدل على ذلك ما قال ﷺ (الصلوة معراج المؤمن)[1] فيعرج بها المؤمن إلى الغاية القصوى والعزة العليا ، ويتنزه عن الوقوف في مقامات الطبيعة المبعدة عن الحق سبحانه ، لأن الطبيعة ومقاماتها حجب عن مشاهدة الحق تعالى ، وهي على خلاف الكينونة التي هي نهاية الوصول إلى مقامات المحبة التي لانهاية لها ، لما قال في الحديث القدسي(ليس لمحبتي غاية ولانهاية)[2] ، يدل على أن الطبيعة هي مخالفة للكينونة ما ورد في الحديث القدسي مخاطبا لآدم عليه السلام (يا آدم بروحي نطقت وبضعف طبيعتك تكلفت روحك من روحي وطبيعتك على خلاف كينونتي)[3] فإذا أعرض السالك عن ملاحظة الطبيعة فقد ترقى إلى مشاهدة الحق في مقامات الوصول إليه .

وإما أن تكون مشتقة من الصلة ، يعني عوائد فيض الفياض المطلق على سبيل الإطلاق برحمته التي وسعت كل شيء ، فتكون مياه الرحمة التي هي العائدة مطفئة لنيران البعد والمفارقة ، يدل على ذلك ما ورد أن الصلاة إذا جاء وقتها في السماء ملك ينادي (أيها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم)[4] أي النيران التي أوقدتموها من

---

(١) بحار الأنوار ٧٩ / ٣٠

(٢) إرشاد القلوب ١ / ١٩٩

(٣) الكافي ٢ / ٨

(٤) الفقيه ١ / ٢٠٨

التوجه إلى غير اللّه ، أطفؤها بتوجهكم إلى اللّه بسبب عوائد الرحمة ومياه الفضل التي لا تحصل إلا بالتوجه إلى اللّه .

وإما أن تكون مشتقة من الصلوان يعني المتابعة حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، فتكون عبارة عن متابعة الولي المطلق صاحب الولاية المطلقة ، فتكون حينئذ هي الولاية ، يدل على ذلك قول علي عليه السلام (الصلوة ولايتي) ، ولذلك قال اللّه تعالى ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾[1] والصلاة إذا أردت منها المتابعة التامة لا تحصل إلا في صاحب الولاية ، قال علي عليه السلام (أنا صلوة المؤمن)[2] فالصلاة حقيقة عبارة عن الولاية ، فالناس كلهم مكلفون بالصلاة يعني الولاية ، ولذلك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما معناه (ليلة أسري بي إلى السماء أمرني الجبار أن أسأل الأنبياء لماذا بعثوا فسألتهم فقالوا : إنا بعثنا للإقرار بالربوبية لله ، والنبوة لك ، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام)[3] والإقرار بالربوبية والنبوة منطوي في الإقرار بالولاية لعلي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ولده عليهم الصلاة والسلام .

وإما أن تكون مشتقة من التصلية بمعنى تقويم العود بالنار أي نار المحبة ، فإنها إذا اتصلت بشيء قومته إلى الاعتدال التام ، وأحرقت كل شيء يدعو إلى خلاف ذلك ، يدل على ذلك تأويل قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾[4] وإن كان تأويل الآية الشريفة للوجه السابق أعني الولاية أنسب ، وأما هنا فلما كان التوجه إلى الحق مستلزما لنفي ماعداه

---

(١) البقرة ٤٥

(٢) الفضائل ٨٣

(٣) قد مر ذكر تمام هذا الحديث في حاشية سابقة فراجع .

(٤) العنكبوت ٤٥

وإحراق ما سواه ، لأنه حين التوجه يعرض عن ذكر جميع ما سواه وإلا لم يكن متوجها إليه حقيقة ، فبالتوجه التام يحترق ذكر الغير بالكلية ناسب اشتقاقها من التصلية ، وهذا المعنى ليس حظ كل من رام مرامه بل إنما هو حظ أولوا الأفئدة الواقفون مقامه .

فصل في سر البلوغ

تجب الصلاة على كل بالغ عاقل إجماعا من المسلمين ، لأن قبل البلوغ لم يكن مكلفا لعدم تخالف الظاهر والباطن والشهادة والغيب ، لأن اللّه سبحانه كلف الخلق في عالم الذر حين ما أكمل لهم العقل ، بحيث أدركوا ما كلفهم وأراد منهم ، فأجاب من أجاب بقبوله واختياره وإدراكه للحسنات ، وأنكر من أنكر بقبوله واختياره وإدراكه للحسنات والسيئات والمعاصي والطاعات ، وبالجملة فلا يتعلق التكليف إلا بعد البلوغ وتمام الشعور ، قال الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام لما سأله المنصور عن الصلاة وحدودها(للصَّلاة أَرْبَعَةُ آلاف حَدٍّ لَسْتَ تُؤَاخَذُ بِهَا فَقَالَ أَخْبِرْنِي بِمَا لا يَحِلُّ تَرْكُهُ وَلا تَتِمُّ الصَّلاةُ إلا بِهِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللَّه عليه السلام لا تَتِمُّ الصَّلاةُ إِلا لِذِي طُهْرٍ سَابِغٍ وَتَمَامٍ بَالِغٍ غَيْرِ نَازِعٍ وَلا زَائِغٍ عَرَفَ فَوَقَفَ وَأَخْبَتَ فَثَبَتَ فَهُوَوَاقِفٌ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالطَّمَعِ وَالصَّبْرِ وَالْجَزَعِ كَأَنَّ الْوَعْدَ لَهُ صُنِعَ وَالوَعِيدَ بِهِ وَقَعَ بَذَلَ عِرْضَهُ وَيُمَثِّلُ غَرَضَهُ وَبَذَلَ فِي اللَّهِ الْمُهْجَةَ وَتَنَكَّبَ إِلَيْهِ الْمَحَجَّةَ غَيْرَ مُرْتَغِمٍ بِارْتِغَامٍ يَقْطَعُ عَلائِقَ الاهْتِمَامِ بِعَيْنِ مَنْ لَهُ قَصَدَ وَإِلَيْهِ وَفَدَ وَمِنْهُ اسْتَرْفَدَ فَإِذَا أَتَى بِذَلِكَ كَانَتْ هِيَ الصَّلَاةَ الَّتِي بِهَا أُمِرَ وَعَنْهَا أُخْبِرَ وَأَنَّهَا هِيَ الصَّلاةُ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَالْتَفَتَ الْمَنْصُورُ إِلَى أَبِي عَبْدِاللَّه عليه السلام فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِاللَّه لا نَزَالُ مِنْ بَحْرِكَ نَغْتَرِفُ وَإِلَيْكَ نَزْدَلِفُ تُبَصِّرُ مِنَ الْعَمَى وَتَجْلُو بِنُورِكَ الطَّخْيَاءَ فَنَحْنُ نَعُومُ فِي سُبُحَاتِ قُدْسِكَ وَطَامِي بَحْرِكَ)[1] ولعمري في هذه الكلمات جميع أسرار الطهارة والصلوة ، وسنذكر ذلك إن شاء اللّه في فصول .

---

(١) كنز الفوائد ٢ / ٢٢٣

فصل في سر الطهارة

الطهارة وهي لغة النظافة والنزاهة ، وحقيقة النظافة عن تلوث ذكر الغير فاغتسل عن ذكر الغير وملاحظة الغير الذي هو أصل الذنوب ، فطهر قلبك عن الشكوك والارتياب ، وتوجه إلى رب الأرباب على طهر من ملازمة ملاحظة الأغيار ، فإن الأغيار تورث الأكدار وتحجب عن مشاهدة تلك الأنوار ، وهذه الطهارة الظاهرية دليل على وجود الطهارة الباطنية ، فإذا تقدمت إلى الماء الذي يطهرك فاذكر رحمة اللّه التي تطهرك من الذنوب ، وأقبل إلى اللّه بالتوبة والإنابة عن جميع الذنوب قال الصادق عليه السلام (إِذَا أَرَدْتَ الطَّهَارَةَ وَالْوُضُوءَ فَتَقَدَّمْ إِلَى الْمَاءِ تَقَدُّمَكَ إِلَى رَحْمَةِ اللّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ الْمَاءَ مِفْتَاحَ قُرْبِهِ وَمُنَاجَاتِهِ وَدَلِيلاً إِلَى بِسَاطِ خِدْمَتِهِ وَكَمَا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تُطَهِّرُ ذُنُوبَ الْعِبَادِ كَذَلِكَ النَّجَاسَاتُ الظَّاهِرَةُ يُطَهِّرُهَا الْمَاءُ لا غَيْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً** ﴾ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾ فَكَمَا أَحْيَا بِهِ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا كَذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ جَعَلَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَالطَّاعَاتِ وَتَفَكَّرْ فِي صَفَاءِ الْمَاءِ وَرِقَّتِهِ وَطُهْرِهِ وَبَرَكَتِهِ وَلَطِيفِ امْتِزَاجِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَاسْتَعْمِلْهُ فِي تَطْهِيرِ الأَعْضَاءِ الَّتِي أَمَرَكَ اللَّهُ بِتَطْهِيرِهَا وَتَعَبَّدَكَ بِأَدَائِهَا فِي فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ فَإِنَّ تَحْتَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَوَائِدَ كَثِيرَةً فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا بِالْحُرْمَةِ انْفَجَرَتْ لَكَ عُيُونُ فَوَائِدِهِ عَنْ قَرِيبٍ ثُمَّ عَاشِرْ خَلْقَ اللَّهِ كَامْتِزَاجِ الْمَاءِ بِالأَشْيَاءِ يُؤَدِّي كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ وَلا يَتَغَيَّرُ عَنْ مَعْنَاهُ مُعْتَبِراً لِقَوْلِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الْمُخْلِصِ كَمَثَلِ الْمَاءِ ولْتَكُنْ صَفْوَتُكَ مَعَ اللَّه تَعَالَى فِي جَمِيع طَاعَتِكَ كَصَفْوَةِ الْمَاءِ حِينَ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَسَمَّاهُ طَهُوراً وَطَهِّرْ قَلْبَكَ بِالتَّقْوَى وَالْيَقِينِ عِنْدَ طَهَارَةِ جَوَارِحِكَ بِالْمَاءِ)[1] .

(١) مصباح الشريعة ١٢٨

فصل في سر الخروج إلى المسجد

فإذا تطهرت وتوضأت فاخرج من بيتك إلى المسجد ، واعلم أنك تقبل بوجهك إلى سلطان عظيم ، والخروج من البيت عبارة عن قطع الهموم المتعلقة بأمور الدنيا فاخرج عن الدنيا ، والدخول إلى المسجد عبارة عن الانقطاع إلى اللّه والدخول في كنف رحمة اللّه ، مستخلصا من الدنيا وما فيها ، فاقطع عنك التعلقات وبادر إلى المناجاة وفز بالسعادة ، وليكن خروجك من دارك يعني خروج روحك من بدنك إلى التوجه بجناب كبريائه خروج من ليس له رجاء الرجوع إلى داره ، يعني رجوع الروح إلى بدنه ، فمت بالطبيعة حتى تحيى بالحياة الدائمة السرمدية ، لتعرف سر ما قال ﷺ(موتوا قبل أن تموتوا)[1] فاخرج من دارك للطاعة أو سبب من أسباب الدين ، والزم السكينة والوقار ، ولا يكن خروجك لأجل المعصية أو لسبب من أسبابها ، قال مولانا الصادق عليه السلام (إذا خرجت من منزلك فاخرج خروج من لا يعود ولا يكن خروجك إلا لطاعة أو في سبب من أسباب الدين والزم السكينة والوقار واذكر الله سرا وجهرا سأل بعض أصحاب أبي ذر أهل داره عنه فقالت خرج فقال يعود قالت متى يرجع من روحه بيد غيره ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، واعتبر بخلق الله برهم و فاجرهم أين ما مضيت واسأل الله أن يجعلك من خواص عباده وأن يجعلك من الصالحين ويلحقك بالماضين منهم ويحشرك في زمرتهم واحمده واشكره على ما عصمك من الشهوات وجنبك من قبيح أفعال المجرمين وغض بصرك من

الشهوات و مواضع النهي ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ وراقب الله في كل خطوة كأنك على الصراط جائز ولا تكن لفاتا وافش السلام بأهله مبتدئا ومجيبا وأعن من استعان بك في حق و أرشد الضال ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وإذا رجعت ودخلت منزلك فادخل دخول الميت في قبره حيث ليس له همة إلا رحمة الله تعالى وعفوه)[1] .

(١) مصباح الشريعة ٢٦

فصل في سر دخول المساجد

وإذا بلغت باب المسجد فاستشعر بنفسك فإنك واقف بباب حظيرة القدس ومحفل الأنس ، فاذكر الله وحده وأعرض عن ذكر ما سواه ، فإنك واقف بباب دار الملك وتستأذن الدخول إليه ، وتوجه بكليتك إليه سبحانه حتى تسمع قول القائل ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[1] فانخلع عن النفس وشهواتها ومقتضياتها ، حتى يظهرك من نور تجليه ، وتستعين به على اندكاك جبل إنيتك ، واضمحلال جبال ماهيتك وطبيعتك ، وتصل إلى مقام الجمال بكشف سبحات الجلال ، وتستأنس بذكر المحبوب في ظلال قدسه ، وهذا بساط لا يطؤه إلا المقربون قال مولانا الصادق عليه السلام (إِذَا بَلَغْتَ بَابَ الْمَسْجِد فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ قَصَدْتَ بَابَ مَلك عَظيم مَا يَطَأُ بِسَاطَهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ وَلا يُؤْذَنُ لُمجَالَسَته إِلا الصِّدِّيقُونَ فَهَبِ الْقُدُومَ إِلَى بِسَاطه هَيْبَةَ الْمَلك فَإِنَّكَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيم إِنْ غَفَلْتَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَادرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ منَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ مَعَكَ وَبِكَ فَإِنْ عَطَفَ عَلَيْكَ بِرَحْمَته وَفَضْله قبلَ منْكَ يَسيرَ الطَّاعَة وَأَجْزَلَ لَكَ عَلَيْهَا ثَوَاباً كَثيراً وَإِنْ طَالَبَكَ باسْتحْقَاق الصِّدْق وَالإِخْلاص عَدْلا بكَ حَجَبَكَ وَرَدَّ طَاعَتَكَ وَإِنْ كَثُرَتْ وَهُوَفَعَّالٌ لَما يُريدُ وَاعْتَرفْ بعَجْزكَ وَتَقْصيركَ وَانْكسَاركَ وَفَقْركَ بَيْنَ يَدَيْه فَإِنَّكَ قَدْ تَوَجَّهْتَ للْعبَادَة وَالْمُؤَانَسَة به وَاعْرضْ أَسْرَارَكَ عَلَيْه وَلْتَعْلَمْ أَنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيْه أَسْرَارُ الْخَلْق أَجْمَعينَ وَعَلانيَتُهُمْ وَكُنْ كَأَفْقَر عبَاده بَيْنَ يَدَيْه وَأَخْلِ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شَاغلٍ يَحْجُبُكَ عَنْ رَبِّكَ فَإِنَّهُ لا يَقْبَلُ إِلا الأَطْهَرَ وَالأَخْلَصَ وَانْظُرْ منْ أَيِّ

(١) طه ١٢

ديوَان يُخْرَجُ اسْمُكَ فَإِنْ ذُقْتَ حَلاوَةَ مُنَاجَاته و لَذيذَ مُخَاطَبَاته و شَرِبْتَ بكَأْسِ رَحْمَته وكَرَامَاته منْ حُسْنِ إقْبَاله عَلَيْكَ وَإجَابَته فَقَدْ صَلَحْتَ لخدْمَته فَادْخُلْ فَلَكَ الإذْنُ وَالأَمَانُ وَإلا فَقِفْ وُقُوفَ مَن انْقَطَعَ عَنْهُ الْحِيَلُ وَقَصرَ عَنْهُ الأَمَلُ وَقَضَى عَلَيْه الأَجَلُ فَإِنْ عَلمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ منْ قَلْبكَ صدْقَ الالْتجَاء إلَيْه نَظَرَ إلَيْكَ بعَيْنِ الرَّأْفَة وَالرَّحْمَة وَاللُّطْف وَوَفَّقَكَ لمَا يُحبُّ وَيَرْضَى فَإنَّهُ كَرِيمٌ يُحبُّ الْكَرَامَةَ لعبَاده الْمُضْطَرِّينَ إلَيْه الْمُحْتَرِقِينَ عَلَى بَابه لطَلَب مَرْضَاته قَالَ تَعَالَى ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾)[1] .

(١) مصباح الشريعة ١٣٠

فصل في سر استقبال القبلة

فإذا دخلت المسجد فاستقبل القبلة، وتوجه إلى اللّه المعبود، وتوجه بوجهك إلى كعبة المقصود، واعلم أن اللّه سبحانه ليس له جهة وجهة حتى يتوجه بها إليه، بل هو في كل جهة بلا جهة بوجهه، وهو قوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] ولكن جعل الكعبة قبلة لك حتى يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على وجهه، كما أمرنا باتباع أبوابه، واعلم أن الكعبة إنما جعلت قبلة للخلق لأنها مولد أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يتوجه إلى اللّه إلا به، فمن حيث ظهر بولادته فيه جعلت قبلة ليتوجه إليه لأنه وجه اللّه، ولا يتوجه إلى اللّه إلا به، فهو وجهه المضي وجنبه العلي واسمه الرضي كما في الزيارات والروايات فافهم فإني أشرت إلى سر لا يهتدي إليه إلا الأقلون.

وإذا استقبلت القبلة فكن آيسا عن كل ما سواه إلى اللّه، واستعد لمشاهدة الأنوار قال مولانا الصادق عليه السلام(إِذَا اسْتَقْبَلْتَ الْقِبْلَةَ فَانْسَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَالْخَلْقَ وَمَا هُمْ فِيه، وَاسْتَفْرِغْ قَلْبَكَ مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّه، وَعَايِنْ بِسِرِّكَ عَظَمَةَ اللَّه وَاذْكُرْ وُقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْه يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّه مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَقِفْ عَلَى قَدَمِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَإِذَا كَبَّرْتَ فَاسْتَصْغِرْ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالثَّرَى دُونَ كِبْرِيَائِه فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اطَّلَعَ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ وَهُوَيُكَبِّرُ وَفِي قَلْبِه عَارِضٌ عَنْ حَقِيقَةِ تَكْبِيرِه قَالَ يَا كَاذِبُ أَ تَخْدَعُنِي وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَحْرِمَنَّكَ حَلاوَةَ ذِكْرِي وَلأَحْجُبَنَّكَ عَنْ

(١) البقرة ١١٥

قُرْبِي وَالْمُسَارَّةَ بِمُنَاجَاتِي وَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى خِدْمَتِكَ وَهُوَغَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِكَ وَدُعَائِكَ وَإِنَّمَا دَعَاكَ بِفَضْلِهِ لِيَرْحَمَكَ وَيُبْعِدَكَ مِنْ عُقُوبَتِهِ وَيَنْشُرَ عَلَيْكَ مِنْ بَرَكَاتِ حَنَانِيَّتِهِ وَيَهْدِيَكَ إِلَى سَبِيلِ رِضَاهُ وَيَفْتَحَ عَلَيْكَ بَابَ مَغْفِرَتِهِ)[1] .

(١) مستدرك الوسائل ٤ / ٩٥

فصل في سر الأذان والإقامة

فإذا استقبلت القبلة ، فاستعد للعروج إلى مرقاك ، وتوجه إلى حضرة مولاك ، فاخرق السموات بالأذان والإقامة ، فإن الأذان والإقامة مفتاحان لافتتاح أبوابها ، فافتح أبوابها واعرج إلى مولاك ، واجعلهما سببا لمرقاك ، يبين ذلك ما رواه الصدوق في العلل بإسناده عن أبي محمد بن النعمان ومؤمن الطاق وعمر بن أذينة عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال(يا عمر ابن أذينة ما ترى هذه الناصبة في أذانهم وصلاتهم فقلت جعلت فداك إنهم يقولون إن أبي بن كعب الأنصاري رآه في النوم ، فقال كذبوا والله إن الله تبارك و تعالى أعز من أن يرى في النوم ، وقال أبو عبدالله عليه السلام إن الله العزيز الجبار عرج بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى سمائه سبعا أما أولهن فبارك عليه والثانية علمه فيها فرضه فأنزل الله العزيز الجبار عليه محملا من نور فيه أربعون نوعا من أنواع النور كانت محدقة حول العرش عرشه تبارك وتعالى تغشى أبصار الناظرين أما واحد منها فأصفر فمن أجل ذلك اصفرت الصفرة وواحد منها أحمر فمن أجل ذلك احمرت الحمرة وواحد منها أبيض فمن أجل ذلك ابيض البياض والباقي على عدد سائر ما خلق من الأنوار والألوان في ذلك المحمل حلق وسلاسل من فضة فجلس عليه ثم عرج إلى السماء الدنيا فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء ثم خرت سجدا فقالت سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا فقال جبرئيل عليه السلام الله

أكبر الله أكبر فسكتت الملائكة وفتحت أبواب السماء واجتمعت الملائكة ثم جاءت فسلمت على النبي ﷺ أفواجا ثم قالت يا محمد كيف أخوك قال بخير قالت فإن أدركته فأقرئه منا السلام فقال النبي ﷺ أتعرفونه فقالوا كيف لم نعرفه و قد أخذ الله عز وجل ميثاقك وميثاقه منا وإنا لنصلي عليك وعليه ثم زاده أربعين نوعا من أنواع النور لا يشبه شيء منه ذلك النور الأول وزاده في محمله حلقا وسلاسل ثم عرج به إلى السماء الثانية فلما قرب من باب السماء تنافرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجدا وقالت سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا فقال جبرئيل عليه السلام أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت يا جبرئيل من هذا الذي معك فقال هذا محمد ﷺ قالوا قد بعث قال نعم قال رسول الله ﷺ فخرجوا إلى شبه المعانيق فسلموا علي وقالوا أقرئ أخاك السلام فقلت هل تعرفونه قالوا نعم و كيف لا نعرفه وقد أخذ الله ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا وإنا لنتصفح وجوه شيعته في كل يوم خمسا يعنون في كل وقت صلاة قال رسول الله ﷺ ثم زادني ربي تعالى أربعين نوعا من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأول وزادني حلقا وسلاسل ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجدا وقالت سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا فقال جبرئيل عليه السلام أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت مرحبا بالأول ومرحبا بالآخر ومرحبا بالحاشر ومرحبا بالناشر محمد خاتم النبيين وعلي خير الوصيين فقال رسول

الله ﷺ سلموا علي وسألوني عن علي أخي فقلت هو في الأرض خليفتي أو تعرفونه قالوا نعم وكيف لا نعرفه وقد نحج البيت المعمور في كل سنة مرة وعليه رق أبيض فيه اسم محمد ﷺ وعلي والحسن الحسين والأئمة وشيعتهم إلى يوم القيامة وإنا لنبارك على رءوسهم بأيدينا ثم زادني ربي تعالى أربعين نوعا من أنواع النور لا تشبه شيئا من تلك الأنوار الأول وزادني حلقا وسلاسل ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئا وسمعت دويا كأنه في الصدور واجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء وخرجت إلي معانيق فقال جبرئيل عليه السلام حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح فقالت الملائكة صوتين مقرونين بمحمد تقوم الصلاة و بعلي الفلاح فقال جبرئيل قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقالت الملائكة هي لشيعته أقاموها إلى يوم القيامة ثم اجتمعت الملائكة فقالوا للنبي أين تركت أخاك وكيف هو فقال لهم أتعرفونه فقالوا نعم نعرفه وشيعته وهو نور حول عرش الله وإن في البيت المعمور لرقا من نور فيه كتاب من نور فيه اسم محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة وشيعتهم لا يزيد فيهم رجل ولا ينقص منهم رجل إنه لميثاقنا الذي أخذ علينا وإنه ليقرأ علينا في كل يوم جمعة)[1] و أخذنا موضع الحاجة من الرواية ، وشرح هذه الرواية على كمال ما ينبغي مما لا يسعه المقام .

---

(١) علل الشرايع ٢ / ٣١٢

فصل في سر النية

فإذا أقمت كما بيناه فاستقم كما أمرت ، وانو للدخول في الصلاة ، واعلم أن النية في العمل بمنزلة الروح في الجسد ، فكما توجهت بظاهرك للإقبال إلى حضرة ذي الجلال ، ينبغي أن تتوجه بباطنك إلى من هو عالم بظاهرك وباطنك ، حتى يصدق عليك أنك توجهت بكليتك إليه ، ثم اعلم أن العمل هو ظاهر النية ، يعني أن النية تنزلت في عالم الظاهر فكانت عملا بالأركان ، والنية عمل القلب وهي شرط العمل ، والعمل لا يتحقق إلا بالنية ، ولذلك قال ﷺ (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى)[1] ويدل على شرطيتها قوله ﷺ (نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ)[2] فافهم .

(١) التهذيب ١ / ٨٣
(٢) الكافي ٢ / ٨٤

فصل في سر التكبير

فإذا نويت الدخول في الصلاة فكبر تكبيرة الإحرام ، واخرق بها حجاب الأجسام ، لأن التكبير في محل الكبرياء ومظهرها عالم الأجسام ، ولذلك قال عليه السلام (عريض الكبرياء)[1] فالكبرياء ظاهرة في عالم الأجسام ومعنى اللّه أكبر ، أكبر من أن يوصف ، فكما حرم عليك اشتغال حواسك الظاهرية لملاحظة الغير والتفات الغير ، فكذلك حرم اشتغال حواسك الباطنية لملاحظة الغير ، فكن مشغولا بالحق عن الخلق ، وتوجه إليه بكليتك .

---

(١) الإقبال ٦٩٠

فصل في سر القراءة

فإذا كبرت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وابدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ، واخرق بقراءتك حجاب عالم النفوس ، لأن الحمد يفصّل مراتب الوجود ، وتفصيل مراتب الوجود لا تكون إلا في عالم النفوس ، لأن الامتياز لم يحصل إلا هناك ، واقرأ الحمد بالخضوع والخشوع ، قال الصادق عليه السلام (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَخْضَعْ لِلَّه وَلَمْ يَرِقَّ قَلْبُهُ وَلا يَكْتَسِي حُزْناً وَوَجَلا فِي سَرِّهِ فَقَدِ اسْتَهَانَ بِعِظَمِ شَأْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً)[1] واعلم أن الحمد هي سر الوجود ، وآية الملك المعبود ، وفيها تفصيل كل شيء لما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام (كلما في الكتب المنزلة في القرآن ، وكلما في القرآن في الحمد ، وكلما في الحمد في البسملة ، وكلما في البسملة في الباء ، وقال علي عليه السلام أنا النقطة تحت الباء) ، واعلم أن البسملة بيان سر الباء ، والحمد تفصيل البسملة ، ولو أردنا شرح هذا الكلام لطال بنا الكلام وذهلنا عن المقام .

وبالجملة الحمد هي سبع آيات وهي السبع المثاني ، وإذا كررت في الصلاة كانت الآيات أربعة عشرة ، وفيها سر كون المعصومين أربعة عشر ، فالحمد بحسب الظاهر مثلث الكيان ومربع الكيفية ، يعني مادته ثلاثة أحرف الحاء والميم والدال ، وصورته مربعة يعني ليس في حروفها إلا مخرج الربع ، وذلك أن الدال أربعة وإذا كررتها تكون ثمانية ويستنطق الحاء وإذا

(١) مصباح الشريعة ٢٨

كررتها وأظهرتها في المراتب الخمس للتوحيد يستنطق الميم ، فإذا خرجت الصورة في المادة تكون اثني عشر ، وذلك سر أن الأئمة اثني عشر ، وإذا جمعت المادة والصورة معا تحصل العدد الكامل أعني السبعة ، فإذا ثنيت بملاحظة عالم الغيب والشهادة والظاهر والباطن تكون أربعة عشر ، وهو سر كون المعصومين أربعة عشر ، والحمد شرح أحوالهم فافهم .

ثم اعلم أن الحمد يشرح أحوال الموجودات بأسرها ، فنصفه لبيان أسرار الربوبية ونصفه شرح مراتب العبودية ، فقولك ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[1] يبين سر أسماء اللّه واشتقاقها من مباديها ، وظهوره بفعله في مراتب الأعيان ، وتجليه في مجالي الإمكان والأكوان ، وقولك ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[2] يشرح مراتب سر الوجود ، والأمر بين أمرين ، وسر وجود القوابل والمقبولات ، وقولك ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[3] يشرح صفة تعلق الحق بصفته الرحمانية ، واستوائه على عرشه ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ويبين سر أن الكل على صراط مستقيم ، وسر ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، وهذا الصراط المستقيم هو إعطاء كل ذي حق حقه ، والسوق إلى كل مخلوق رزقه ، وإفاضة الحق على كل واحد من الخلق بقدر قابليته واستعداده ، قال تعالى ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾[4] ، ولا يتوهم أن الصراط المستقيم هو صراط الحق ، لا بل هو أعم من الحق والباطل ، قال تعالى ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ**

(١) الفاتحة ٢ - ٤

(٢) الفاتحة ٥

(٣) الفاتحة ٦

(٤) الرعد ١٧

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] بالآخرة ﴿ **وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً** ﴾[2] وقولك ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾[3] يشرح ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[4] ، فالكل على صراط مستقيم بالمعنى الذي ذكرنا .

واعلم أن الصدوق رحمه الله ذكر في العلل في الباب الذي ذكر فيه علل فضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام أنه قال(فإن قال فلم بدأ بالحمد في كل قراءة دون سائر السور قيل لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك قوله عز وجل ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ إنما هو أداء لما أوجب الله على خلقه من الشكر لما وفق عبده للخير ، ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ تمجيدا له وتحميدا وإقرارا بأنه هو الخالق المالك لا غير ،﴿ **الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ** ﴾ استعطاف و ذكر لربه و نعمائه على جميع خلقه ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا ،﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ رغبة و تقربا إلى الله وإخلاصا بالعمل له دون غيره ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه ونصره ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ استرشادا لأدبه و معتصما بحبله و استزادة في المعرفة بربه وبعظمته وكبريائه ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ توكيدا في السؤال والرغبة وذكر لما قد تقدم من نعمه على أوليائه و رغبة في مثل تلك النعم ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ استعاذة

---

(١) الأنعام ١٢٥
(٢) الأنعام ١٢٦
(٣) الفاتحة ٧
(٤) الفاتحة ٦

من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به و بأمره ونهيه ﴿ **وَلا الضَّالِّين** ﴾ اعتصاما من أن يكون من الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء)[1] .

وجه آخر للشيخ رجب البرسي صاحب مشارق الأنوار في تفسير السورة المباركة ، قال اعلم أن سر الكتب الإلهية ، وسر النبوة والولاية والاسم الأكبر وأسرار الغيب في فاتحة الكتاب ، وسر الفاتحة في مفتاحها وهو بسم اللّه الرحمن الرحيم وفيها إشارات ثلاث ، الأولى قوله سبحانه ﴿ **إذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرآنِ وَحْدَهُ** ﴾[2] والمراد من الذكر والوحدة قوله بسم اللّه الرحمن الرحيم ، لأنها ذكر اللّه وحده ، الثانية أن عدد حروفها تسعة عشر فهي محتوية على الوحدة والتوحيد والوحدانية ، والواحد صفة الأحد ، فالواحد هو النور الأول وهذا ذكر الذات بظاهر اسمها الأعظم ، الثالثة قوله بسم اللّه إشارة إلى باطن السين وسر السين الذي بين الباء والميم الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام (أنا باطن السين أنا سر السين) ، وهو الاسم المخزون وهو باطن الاسم الأعظم ، أما سر الباء فإنها للنبوة والنقطة للولاية لقوله عليه السلام (أنا النقطة تحت الباء) ، والسين عدد حروفه مائة وعشرون وهي اسم علي عليه السلام ، وحروف الباء والميم عددها اثنان وتسعون وهي اسم محمد صلى الله عليه وآله ، ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ نشهد أن جميع المحامد بجوامع الكلم من كل مادح وحامد فإنها لله رب العالمين ، يستحقها ويستوجبها ويجزي عليها عدلا وقسطا ، ﴿ **الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ** ﴾ الذي طوق بإحسانه أهل سماواته وأرضه ، وأخرجهم بلطفه من كتم العدم ، وأفاض عليهم من سحائب كرمه

---

(١) علل الشرايع ١ / ٢٦٠

(٢) الإسراء ٤٦

فرائض النعم ونوافلها ، ووسعهم بجوده وإيجاده ومنه فهو ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ الذي كل شيء ملكه ومملوكه ، فله الملك للعباد والعدل في المعاد ، لكنه يملك من أراد وإن تقطعت أكباد ذوي العناد ، وإذا قلنا ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ نقر بأن الموصوف بهذه الصفات هو المعبود بالحق ، فنقول هناك ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ نسأل بعد الحمد أن يهدينا إلى حب علي عليه السلام ، لأنه الصراط المستقيم ، ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ وهم آل محمد الذين لأجلهم خلق الكون والمكان ، ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ وهم أعداؤهم الذين يبدل الله صورهم عند الموت ، ﴿ **ولا الضالين** ﴾ وهم شيعة أعدائهم انتهى .

أقول : هذا وجه ظاهري لا غبار عليه ، ولكن قوله أما سر الباء فإنها للنبوة والنقطة للولاية خلاف التحقيق ، لأن مقام النبوة مقام الألف ، والباء مقام الولاية ، وقوله عليه السلام (أنا النقطة تحت الباء) يريد أن امتياز الباء عن الألف ليس إلا بالنقطة ، فقوام الباء لا يكون إلا بالنقطة ، فالباء أول مراتب تعيين الألف ، والنفس الكلية أول مراتب تعيين العقل الكلي ، الذي هو عقل محمد صلى الله عليه وآله ، وقوله السين عدد حروفه مائة وعشرون يعني بذلك عدد الزبر والبينات فيطابق عدد زبر اسم علي عليه السلام إذا جعلت الياء مشددة فتكون يائين ، وقوله الباء والميم عددها اثنان وتسعون يريد بذلك زبر الباء مع الميم زبرها وبيناتها فيطابق اسم محمد صلى الله عليه وآله ، ولنا وجوه عجيبة في تفسير هذه السورة المباركة يطول بذكرها الكلام .

فإذا قرأت سورة الحمد فابدأ بسورة إنا أنزلناه في ليلة القدر فإن فيها شرح صدور الأئمة عن فاطمة وعلي عليهما السلام فقوله ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ [1] يعني أنزلنا عليا في ليلة القدر هي فاطمة ، والهاء في إنا أنزلناه

(١) القدر ١

إذا أشبعت تكون هو ، وإذا رقيتها إلى العشرات تكون مائة عشرة فتطابق اسم علي ، والليلة هي مقام البرودة وطبع المؤنث ، وهي محل ظهور النجوم ، يعني النجوم لا تظهر إلا بالليل ، فهي بهذه الرتبة مواقع النجوم وهي فاطمة عليها السلام ، وظهر الأئمة عليهم السلام بها وبمزاوجة علي عليه السلام بها ، وهو تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ﴾ يعني يا محمد ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ ﴾ الذي هو علي عليه السلام ﴿ الْحَجَرَ ﴾ الذي هو فاطمة ، ﴿ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾ يعني اثني عشر إمام ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[(١)] ومن جملة الاثني عشر علي أيضا ، وهذا سر لا يهتدي إليه إلا الأقلون ، ويعلم ذلك من قوله تعالى ﴿ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[(٢)] وقد فسر الأئمة عليهم السلام السبع المثاني بالمعصومين الذين أحدهم محمد صلى الله عليه وآله ، وسر ذلك أن إعطاء الشيء نفسه أكمل في الحجة وأبلغ في النعمة ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[(٣)] يعني أن ليلة القدر التي هي عبارة عن فاطمة عليها السلام ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ التي هي مراتب الوجود الكوني ، والألف لجهة الكثرة لا لخصوصية العدد ، والشهر عبارة عن مراتب القابليات التي هي ثلاثون ، لأن كل شيء إنما خلق من عشر قبضات ، تسعة منها من الأفلاك التسعة والعاشرة من العناصر ، ودارت تلك القبضات في دورة العناصر والمعادن والنبات فكان عدد القوابل ، وذلك سر قوله تعالى ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[(٤)] والعشرة تمام الأربعين لمرتبة

(١) الأعراف ١٦٠

(٢) الحجر٨٧

(٣) القدر ٢ - ٣

(٤) الأعراف ١٤٢

المقبول ، وإنما لم يذكر مرتبة المقبول لأن طبيعة المؤنث باردة ، والبرودة من طبيعة القابل ، قال تعالى ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ يعني الأئمة واحد بعد واحد ، والملائكة هم العبيد كما يقال فلان سيئ الملائكة وفلان حسن الملائكة أي سيئ الصنع لعبده وهم سلام الله عليهم عباد مكرمون ، والروح هو أمير المؤمنين عليه السلام ، قال عليه السلام (أنا الروح من أمر ربي) ونزول الأئمة فيها لا على ما تعرفه الناس ، بل على غير ما يعرفونه هو أمر معنوي ، ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[٢] يعني تولد الحسين عليه السلام وفيه أسرار عجيبة .

وأما بحسب الظاهر فقوله تعالى ﴿ إِنا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ يعني القرآن في ليلة القدر وهي ليلة من شهر رمضان ، وقوله تعالى ﴿ وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ بيان تعظيمها ، وقوله تعالى ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ يريد أن ليلة القدر هي ليلة يقدر فيها الأرزاق والآجال والحياة والممات ، وساير ما يحتاج إليه الناس ، وتلك الليلة خير من ألف شهر فسر بدولة بني أمية لعنهم الله ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ فالملائكة والروح الذي هو روح القدس رجل من الروحانيين لا يزال بوجه مع الأنبياء ، وبكليته مع النبي والأئمة يسددهم ويبين لهم فالملائكة والروح ينزلون من السماء في كل ليلة قدر على إمام الزمان ، ويخبرونه عن الأمور الآتية التي تقع في تلك السنة ويزداد بذلك علم الإمام عليه السلام ، وفي معنى علم الإمام سنؤلف رسالة إن شاء الله ونبين فيها معنى هذه السورة المباركة ، وقوله تعالى ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ يعني السلامة عن الآفات والعاهات .

---

(١) القدر ٤

واعلم يا أخي أن الأولى أن تقرأ في الركعة الأولى عقيب سورة الحمد هذه السورة المباركة ، كما فعل مولانا الرضا عليه السلام ، وعقيب الحمد في الركعة الثانية سورة التوحيد ، وقد عرفت معناها فيما سبق في التوحيد فراجع ، ثم اعلم أني ما ذكرت هنا إلا ما ورد عن الأئمة الأطياب في هذا الباب ، وما تكلمت إلا بما كان أدلته عندي من كلماتهم ، فلو أردت بيان الأحاديث لاحتاج الكلام إلى الإطناب ، والاقتصار أولى من الإطناب في هذا الباب .

فصل في سر الركوع

وإذا قرأت الحمد والسورة فاهوي إلى الركوع ، فاخرق بركوعك عالم الأرواح ، فإنك تعرج بصلاتك إلى ربك ، وسرها وآدابها يظهر من كلام مولانا الصادق عليه السلام قال عليه السلام (لا يَرْكَعُ عَبْدٌ للَّه رُكُوعاً عَلَى الحْقيقَة إلا زَيَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنُور بَهَائه وَأَظَلَّهُ في ظلِّ كِبْرِيَائه وَكَسَاهُ كسْوَةَ أَصْفيَائه وَالرُّكُوعُ أَوَّلٌ وَالسُّجُودُ ثَانٍ فَمَنْ أَتَى بِالأَوَّل صَلَحَ للثَّاني وَفي الرُّكُوع أَدَبٌ وَفي السُّجُود قُرْبٌ وَمَنْ لا يُحْسنُ الأَدَبَ لا يَصْلُحُ للْقُرْب فَارْكَعْ رُكُوعَ خَاشع للَّه بقَلْبه مُتَذَلِّل وَجِل تَحْتَ سُلْطَانه خَافض لَهُ بِجَوَارِحه خَفْضَ خَائف حَزِنٍ عَلَى مَا يَفُوتُهُ منْ فَائدَة الرَّاكعينَ يُحْكَى ، عَنِ الرَّبيع بْنِ خَيْثَم كَانَ يَسْهَرُ اللَّيْلَ إِلَى الْفَجْرِ في رَكْعَة وَاحدَة فَإِذَا هُوَأَصْبَحَ يَزْفرُ وَقَالَ آه سَبَقَ الْمُخْلصُونَ وَقُطعَ بِنَا وَاسْتَوْف رُكُوعَكَ بِاسْتوَاء ظَهْرِكَ وَانْحَطَّ عَنْ همَّتكَ في الْقيَام بخدْمَته إلا بِعَوْنه وَفرّ بِالْقَلْب منْ وَسَاوس الشَّيْطَان وَخَدَائعه وَمَكَايده فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ عبَادَهُ بقَدْر تَوَاضُعهمْ لَهُ وَيَهْديهمْ إِلَى أُصُول التَّوَاضُع وَالخُضُوع وَالخُشُوع بِقَدْرِ اطِّلاع عَظَمَته عَلَى سَرَائِرِهِمْ)[1]

---

(١) مصباح الشريعة ٩٠ - ٩١

فصل في سر السجود

فإذا خرقت بركوعك حجاب الرقائق ، أعني عالم الأرواح ، فاهوي إلى السجود واخرق بسجودك حجاب الدرة البيضاء ، أعني عالم العقول ، واذكر سر ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[1] واذكر سر ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[2] وفي السجدة الثانية اخرق حجاب وجه الأسفل من عالم الفؤاد ، فيتضح لك سر قوله عليه السلام (لنا مع الله حالات) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)[3] وترى في هذا المقام أن الكل عدم بحت وليس محض عند ظهور عظمته وقدرته ، وأما آدابها فقال الصادق عليه السلام (مَا خَسِرَ وَاللَّهِ مَنْ أَتَى بِحَقِيقَةِ السُّجُودِ وَلَوْ كَانَ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَمَا أَفْلَحَ مَنْ خَلا بِرَبِّهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحَالِ شَبِيهاً بِمُخَادِعٍ لِنَفْسِهِ غَافِلٍ لاهٍ عَمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لِلسَّاجِدِينَ مِنْ أُنْسِ الْعَاجِلِ وَرَاحَةِ الآجِلِ وَلا بَعُدَ أَبَداً مِنَ اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ تَقَرُّبَهُ فِي السُّجُودِ وَلا قَرُبَ إِلَيْهِ أَبَداً مَنْ أَسَاءَ أَدَبَهُ وَضَيَّعَ حُرْمَتَهُ بِتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِسِوَاهُ فِي حَالِ سُجُودِهِ فَاسْجُدْ سُجُودَ مُتَوَاضِعٍ ذَلِيلٍ عَلِمَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ يَطَؤُهُ الْخَلْقُ وَأَنَّهُ رُكِّبَ مِنْ نُطْفَةٍ يَسْتَقْذِرُهَا كُلُّ أَحَدٍ وَكُوِّنَ وَلَمْ يَكُنْ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَعْنَى السُّجُودِ سَبَبَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَالسِّرِّ وَالرُّوحِ فَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ بَعُدَ عَنْ غَيْرِهِ أَلا تَرَى فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ لا يَسْتَوِي حَالُ السُّجُودِ إِلا بِالتَّوَارِي عَنْ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ وَالاحْتِجَابِ عَنْ كُلِّ مَا تَرَاهُ الْعُيُونُ كَذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ

---

(١) طه٥٥

(٢) الأعراف ٢٩

(٣) بحار الأنوار ١٨ / ٣٦٠

الْبَاطِنِ فَمَنْ كَانَ قَلبهُ مُتَعَلِّقاً فِي صَلاته بِشَيْءٍ دُونَ اللَّه فَهُوَقَرِيبٌ مِنْ ذَلكَ الشَّيْءِ بَعِيدٌ عَنْ حَقِيقَة مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ فِي صَلاته قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ وَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا أَطَّلِعُ عَلَى قَلْبِ عَبْد فَأَعْلَمَ مِنْهُ حُبَّ الإِخْلاصِ لِطَاعَتِي لِوَجْهِي وَابْتغَاءِ مَرْضَاتِي إِلا تَوَلَّيْتُ تَقْوِيمَهُ وَسِيَاسَتَهُ وَمَنِ اشْتَغَلَ فِي صَلاته بِغَيْرِي فَهُوَمِنَ الْمُسْتَهْزِءِينَ بِنَفْسِهِ وَمَكْتُوبٌ اسْمُهُ فِي دِيوَانِ الْخَاسِرِينَ)[1] .

(١) مصباح الشريعة ٩١

فصل في سر التشهد

وإذا سجدت السجدتين وفصلت بينهما بجلوس فقم إلى الركعة الثانية ، ﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[1] وافعل كما فهمت ، لكي تخرق بالقيامين حجاب المقامين ، أعني مقام الإجمال والتفصيل والغيب والشهادة ، فاجلس بعد السجدتين جاثيا تذكر حال يوم القيامة وأهوالها ، وجلوسك عند ربك للحساب بين يدي ولي الحساب الذي إليه الإياب ، وانظر في كتابك الذي جمعته من أعمالك ، يقرؤه ولي الحساب كأنه كان معك في كل باب ، وقل جاثيا(أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، اللّهم صلي على محمد وآل محمد) ، فمقام التشهد أول مقام رجوعك عن معراجك ، وأول سفرك في الخلق بالحق فهناك تحاسب ، ثم اعلم أن التشهد ثناء على اللّه كما قال الصادق عليه السلام (التَّشَهُّدُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّه فَكُنْ عَبْداً لَهُ بِالسِّرِّ خَاضِعاً لَهُ بِالْفِعْلِ كَمَا أَنَّكَ عَبْدٌ لَهُ بِالْقَوْلِ وَالدَّعْوَى وَصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ صِدْقِ سِرِّكَ فَإِنَّهُ خَلَقَكَ عَبْداً وَأَمَرَكَ أَنْ تَعْبُدَهُ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ وَجَوَارِحِكَ وَأَنْ تُحَقِّقَ عُبُودِيَّتَكَ لَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ لَكَ وَتَعْلَمَ أَنَّ نَوَاصِيَ الْخَلْقِ بِيَدِهِ فَلَيْسَ لَهُمْ نَفَسٌ وَلا لَحْظَةٌ إِلا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيَّتِهِ وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِتْيَانِ أَقَلِّ شَيْءٍ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلا بِإِذْنِهِ وَإِرَادَتِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ فَكُنْ لَهُ عَبْداً شَاكِراً ذَاكِراً بِالْقَوْلِ وَالدَّعْوَى وَصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ سِرِّكَ فَإِنَّهُ خَلَقَكَ وَعَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةٌ وَمَشِيَّةٌ لأَحَدٍ إِلا بِسَابِقِ

(١) الشورى ١٥

إِرَادَتِهِ وَمَشِيَّتِهِ فَاسْتَعْمِلِ الْعُبُودِيَّةَ فِي الرِّضَا بِحِكْمَتِهِ وَبِالْعِبَادَةِ فِي أَدَاءِ أَوَامِرِهِ وَقَدْ أَمَرَكَ بِالصَّلاةِ عَلَى حَبِيبِهِ مُحَمَّد ﷺ فَأَوْصِلْ صَلاتَهُ بِصَلاتِهِ وَطَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَشَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ وَانْظُرْ إِلَى أَنْ لا تَفُوتَكَ بَرَكَاتُ مَعْرِفَةِ حُرْمَتِهِ فَتُحْرَمَ عَنْ فَائِدَةِ صَلاتِهِ وَأَمْرِهِ بِالاسْتِغْفَارِ لَكَ وَالشَّفَاعَةِ فِيكَ إِنْ أَتَيْتَ بِالْوَاجِبِ فِي الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالسُّنَنِ وَالآدَابِ وَتَعْلَمَ جَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[1] .

---

(١) مصباح الشريعة ٩٣

فصل في سر التسليم

وإذا فرغت من التشهد فسلم ، وذلك لأنك إذا فرغت من الحساب تقول (السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته) ، يعني تسليم ما أوجب اللّه علي من فضله وكرمه من الجنة وساير الكرامات عليك أيها النبي ، لأن النبي هو قسيم الجنة والنار ، وهو الذي يعطي فضل كل ذي فضل بأمير المؤمنين وسيد الوصيين عليهما أفضل صلوات المصلين ، ثم تحكي ما يقول النبي ﷺ (السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين) ، يعني الأئمة عليهم السلام ، فإنهم أولياء اللّه الملك المعبود ، وشفعاء اليوم الموعود وشاهد كل مشهود والواقفون بباب الفيض في الصدور والورود ، فيفيضون على كل من دخل في ساحة الوجود من مفقود وموجود ، فتقول (السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته) ، قال الصادق عليه السلام (مَعْنَى السَّلامِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ الأَمَانُ أَيْ مَنْ أَدَّى أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ خَاضِعاً لِلَّهِ خَاشِعاً فِيهِ فَلَهُ الأَمَانُ مِنْ بَلاءِ الدُّنْيَا وَبَرَاءَةٌ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ وَالسَّلامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْدَعَهُ خَلْقَهُ لِيَسْتَعْمِلُوا مَعْنَاهُ فِي الْمُعَامَلاتِ وَالأَمَانَاتِ وَالإِضَافَاتِ وَتَصْدِيقِ مُصَاحَبَتِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَصِحَّةِ مُعَاشَرَتِهِمْ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَ السَّلامَ مَوْضِعَهُ وَتُؤَدِّيَ مَعْنَاهُ فَاتَّقِ اللَّهَ وَلْيَسْلَمْ مِنْكَ دِينُكَ وَقَلْبُكَ وَعَقْلُكَ وَلا تُدَنِّسْهَا بِظُلْمَةِ الْمَعَاصِي وَلْتَسْلَمْ حَفَظَتُكَ أَنْ لا تُبْرِمَهُمْ وَتُمِلَّهُمْ وَتُوحِشَهُمْ مِنْكَ بِسُوءِ مُعَامَلَتِكَ مَعَهُمْ ثُمَّ صَدِيقُكَ ثُمَّ عَدُوُّكَ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ فَالأَبْعَدُ أَوْلَى وَمَنْ لا يَضَعِ السَّلامَ مَوَاضِعَهُ فَلا سَلامَ وَلا سَلَّمَ وَكَانَ كَاذِباً

فِي سَلامِهِ وَإِنْ أَفْشَاهُ فِي الخَلْقِ وَاعْلَمْ أَنَّ الخَلْقَ بَيْنَ فِتَنٍ وَمِحَنٍ فِي الدُّنْيَا إِمَّا مُبْتَلًى بِالنِّعْمَةِ لِيَظْهَرَ شُكْرُهُ وَإِمَّا مُبْتَلًى بِالشِّدَّةِ لِيَظْهَرَ صَبْرُهُ وَالْكَرَامَةُ فِي طَاعَتِهِ وَالْهَوَانُ فِي مَعْصِيَتِهِ وَلا سَبِيلَ إِلَى رِضْوَانِهِ إلا بِفَضْلِهِ وَلا وَسِيلَةَ إِلَى طَاعَتِهِ إلا بِتَوْفِيقِهِ ولا شَفِيعَ إِلَيْهِ إلا بِإِذْنِهِ وَرَحْمَتِهِ)[1] .

(١) مصباح الشريعة ٩٥

فصل في سر الصوم

الصوم في اللغة عبارة عن الإمساك ، ومنه يقال الصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام ، قال ابن دريد كل شيء مكث حركته فقد صام صوما ، قال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت
العجاج وأخرى بغلك اللجما

أي قيام وصامت الريح أي ركدت ، وصامت الشمس إذا استوت في منتصف النهار ، وشرعا عبارة عن الإمساك عن الأشياء المخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص ، وحقيقة عبارة عن الإمساك من غير ذكر اللّه ، فإذا أمسك عن ملاحظة الأغيار فقد صلح لمشاهدة الأنوار وجاس خلال ديار الأسرار ، فلا بد أن يمسك بحواسه الظاهرة عن مشاهدة ما حرم اللّه بأنه لا ينظر بعينه إلى ما حرم اللّه رؤيته ، ولا يستمع إلى ما نهى اللّه عن استماعه ، ويحفظ باطنه عن الاشتغال بغير ذكر اللّه ويتوجه إلى اللّه بكليته ، يعني بظاهره وباطنه ، قال مولانا الصادق عليه السلام (قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَحِجَابٌ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَإِذَا صُمْتَ فَانْوِ بِصَوْمِكَ كَفَّ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَطْعَ الْهِمَّةِ عَنْ خُطُوَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْزِلْ نَفْسَكَ مَنْزِلَةَ الْمَرْضَى لا تَشْتَهِي طَعَاماً وَلا شَرَاباً وَتَوَقَّعْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ شِفَاءَكَ مِنْ مَرَضِ الذُّنُوبِ وَطَهِّرْ بَاطِنَكَ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ وَغَفْلَةٍ وَظُلْمَةٍ يَقْطَعُكَ عَنْ مَعْنَى الإِخْلاصِ لِوَجْهِ اللَّهِ)[1] ، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله (قال اللّه تعالى الصوم لي وأجزي به)[1] فالصوم يميت مواد النفس

(١) مصباح الشريعة ١٣٥

وشهوة الطبع ، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح ، وعمارة الظاهر والباطن ، والشكر إلى النعم والإحسان إلى الفقراء ، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى اللّه ، وسبب انكسار الهم وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات ، وفيه من الفوائد ما لا يحصى ، وكفى بما ذكرناه لمن عقل ووفق لاستعماله .

أقول لو أردنا شرح الحديث لانجر إلى الإطناب ، والاختصار خير من الإطناب في هذا الباب ، لأن الخيرات كلها عند اللّه سبحانه ، فإذا أقبل العبد إلى اللّه أفاض اللّه عليه من فضله بقدر إقباله إليه ، والشرور كلها موجودة عند الادبار عن اللّه ، فكلما أدبر العبد عن ربه أقبل إليه الشرور ، والصوم عبارة عن الادبار التام عن الغير والإقبال التام على اللّه سبحانه بكليته ، فتتوجه إليه الخيرات بكليته ، واعلم أن الظاهر والباطن لا يعتمران إلا بالتوجه إليه ، فلابد من هذا التوجه حتى يعتمر الإنسان ، ولذلك أمر اللّه بالصيام إصلاحا لما فسد من الطبائع وخمد من إفراطه ، وهذا دليل على وجوب صوم الباطن لأن الظاهر عنوان الباطن ولا قوة إلا باللّه .

(١) الفقيه ٢ / ٧٥

فصل في سر الزكاة

قال صاحب المجلي فهي تكون على السالك ومنه لأن فيه أصنافا من العوالم ، فأهل السمع العلماء ، وأهل البصر الحكماء ، وأهل الشم السالكون ، وأهل الشوق المكاشفون ، وأهل اللمس الخلاصة في عالم الغيب والحس المشتركة ، وأهل العلوم العلوية والسفلية والخيال أهل الاستعداد ، والذائقة القابلين اللطائف ، والذاكرة أهل النبوة ، والحافظة أهل الولاية ، والمفكرة أهل المستغرقين في الحقائق وبحار فنون الملك ، والمصورة الطالب على اختلاف تقرباتها ، والعقل أهل الرسالة والتدبير والسياسة للخلق ، فعلى السالك إخراج الزكاة منهم عليه ، فزكاته من العين شغلها بالاعتبار وعليها تحقيق الاعتبار من غير هوى ، ومن السمع إعداده للوعي وعليه الإصغاء للحكم الربانية والمعارف الإلهية ، ومن الشم تصفية غير الملائمات وعليه أن يملأ جوفه بما حمل إليه من اللطف الرباني والعطر الروحاني ، ومن الذوق حفظ الشافي ولفظ المنافي وعليه التحفظ والمراعاة لهما ، ومن اللمس الانبعاث في ألطف الحركات لأشرف المطلوبات وعليه سرعة الانتقال ، ومن الحس المشترك إعداده لموارد الحواس وعليه صحة الملاقاة ، ومن الخيال تجريد صقله وحضوره وعليه قبول مايرد عليه من الحس المشترك يقظة ونوما ، ومن الحافظة اتساعها للقبول وعليها النصرة في سائر المسالك بسرعة الاستحضار ، ومن الذاكرة دوام الذكر ولطف التذكر وعليها أن لا يخجل اللسان في البيان ، ومن المفكرة حسن التصور واستنزال صور الجمال الإلهي

في حلل البهاء الروحاني وعليها الاستغراق بالعلوم من تيار الفكر وإحضاره إلى ساحل الذكر ، ومن النفس أحكام النقل بما وجب من العقل وعليها القبول للأمور الواردة من فوقها لتتدرج إلى العقل ، ومن العقل رضاؤه وعليه الامتثال في الإقبال على اللّه تعالى الإدبار عما سواه . انتهى .

أقول وكما تجب الزكاة في عالم الظاهر في الأنعام الثلاثة الإبل والبقر والغنم ، والغلات الأربع الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، والنقدين الذهب والفضة ، فكذلك تجب في عالم الباطن المشتمل لمراتب الإنسان ، فالإبل في التأويل هي النفس وزكاتها إقبالها إلى العقل ، لأن العقل لا يغفل عن التوجه إلى اللّه طرفة عين ، والبقر في التأويل هي الروح وزكاتها مرابطة النفس بالعقل ، والغنم في التأويل الطبيعة وزكاتها عدم ملاحظة نفسها ، والغلات الأربع هي العلوم المستقرة في لوح النفس وزكاتها هداية الغير إلى الحق سبحانه ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، والنقدين الذهب ويراد به الشمس وهي الوجود ، والفضة ويراد بها القمر وهي الصورة ، فتجب الزكاة على كل واحدة منها لعدم تخالف الظاهر والباطن ، فزكاة الوجود الإفاضة إلى الصورة بأمر اللّه ، وزكاة الصورة القيام بأداء أوامر الوجود والاجتناب عما نهى الوجود ، لأن الوجود لم يزل مقبلا على اللّه ولا يغفل عنه طرفة عين ، فإذا عملت الصورة بمقتضيات الوجود فقد عملت بمقتضيات أوامر الحق سبحانه ، والصورة تشتمل على الحدود لأنها نفس الحدود ، والحدود هي الحواس في الإنسان ، وتجب إخراج الزكاة على كل واحد من الحواس ، قال مولانا الصادق عليه السلام (عَلَى كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِكَ زَكَاةٌ وَاجِبَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ عَلَى كُلِّ مَنْبِتِ شَعرٍ مِنْ شَعْرِكَ بَلْ عَلَى كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِكَ زَكَاةٌ ، فَزَكَاةُ

الْعَيْنِ النَّظْرَةُ بِالْعِبْرَةِ وَالْغَضُّ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَا يُضَاهِيهَا ، وَزَكَاةُ الأُذُنِ اسْتِمَاعُ الْعِلْمِ وَالحِكْمَةِ وَالْقُرْآنِ وَفَوَائِدِ الدِّينِ مِنَ الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَمَا فِيهِ نَجَاتُكَ وَالإِعْرَاضُ عَمَّا هُوَضِدُّهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَأَشْبَاهِهَا ، وَزَكَاةُ اللِّسَانِ النُّصْحُ لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّيَقُّظُ لِلْغَافِلِينَ وكَثْرَةُ التَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ وَغَيْرِهَا ، وَزَكَاةُ الْيَدِ الْبَذْلُ وَالْعَطَاءُ وَالسَّخَاءُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ وَتَحْرِيكُهَا بِكِتَابَةِ الْعِلْمِ وَمَنَافِعَ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْقَبْضُ عَنِ الشُّرُورِ ، وَزَكَاةُ الرِّجْلِ السَّعْيُ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ وَمَجَالِسِ الذِّكْرِ وَإِصْلاحِ النَّاسِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالْجِهَادِ وَمَا فِيهِ صَلاحُ قَلْبِكَ وَسَلامَةُ دِينِكَ ، هَذَا مِمَّا يَحْتَمِلُ الْقُلُوبُ فَهْمَهُ وَالنُّفُوسُ اسْتِعْمَالَهُ وَمَا لا يُشْرِفُ عَلَيْهِ إِلا عِبَادُهُ الْمُخْلِصُونَ وَالْمُقَرَّبُونَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَهُمْ أَرْبَابُهُ وَهُوَشِعَارُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ)[1] .

---

(١) مصباح الشريعة ٥١

فصل في سر الحج

الحج في اللغة القصد ، وفي الشرع القصد المخصوص لأداء المناسك المخصوصة ، وهو يجب على المستطيع من الرجال والنساء والخنثى ، وشرط وجوبه البلوغ والعقل والحرية والزاد والراحلة ، وشرط صحته الإسلام ، وذلك أن اللّه سبحانه لم يكلف الخلق إلا بعد تمام الشعور والإدراك والاستطاعة كما في عالم الذر ، والقيام بأداء المناسك المعروفة المخصوصة إشارة إلى أسرار عجيبة لا يحتملها إلا المؤمن الذي قال عليه السلام في حقه (المؤمن أعز من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت الأحمر)[1] ونحن نشير بعون اللّه إلى بعض منها .

فاعلم أن من أراد الحج وبلغ مقام الإحرام يجب عليه الإحرام ولبس ثوبي الإحرام الكائنين من جنس ما يصلي فيه المحرم وذلك علامة التوجه إلى اللّه ، فعند التوجه إلى حضرة القدس يحرم على السالك ملاحظة الغير ، ولبس الثوبين علامة قطع النظر عن التزين بزينة الدنيا ولبس زبرجها فعند ذلك يكون السالك كالميت والثوبان كفنه ، فإنه يتكفن ويحرم إلى التوجه إلى ربه قائلا (لبيك اللّهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك) وهو إشارة إلى أن الحق سبحانه بلطفه وكرمه ينادي عباده ويحثهم على التوجه إليه ، و(لبيك) هو الجواب لدعوة الحق ، وأما اختصاصه هنا فإن اللّه سبحانه أمر إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام لما بنى البيت بأن يؤذن في الناس بالحج فأجابه الناس ومن كان في أصلاب الرجال

(١) بحار الأنوار ٦٤ / ١٥٩

وأرحام النساء ، ثم بعد ذلك يجب عليه الوقوف بعرفات لأنه إذا قطع النظر عن مشاهدة الخلق وحرم على نفسه ملاحظتهم فقد بلغ مقام المعرفة ، فيقف مقام معرفة الحق بالخلق قائلا (إلهي تعرفت إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء) وقائلا (إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير)[1] ، ثم بعد الوقوف بعرفات امض إلى المشعر الحرام ذلك إشارة إلى رتبة فناء الغير والنفس بالكلية ، فيحرم الشعور والشعور بحرمة المشعور فلا تستشعر بنفسك أبدا ، فيتحقق الفناء المحض والبقاء في الفناء ، فيقف مقام المعرفة الحقيقية التي قال مولانا القائم عجل الله فرجه (وبمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان ، يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتقها بيدك ، بدؤها منك وعودها إليك)[2] ، وقوله عليه السلام (لا فرق بينك وبينها) يعني في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات ، لأن الحق سبحانه في مرتبة ذاته لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ثم إذا بلغت ما فرض الله عليك وعملت به فاذهب إلى منى ، وهو الرجوع إلى مرتبة ملاحظة الخلق بعين الله في الخلق ، واشتغل برمي جمرة العقبة إشارة إلى رمي جمرات الشوق إلى مراتب التعينات في ملاحظته للماهيات ، ولذلك تذبح الذبيحة أي النفس وقواها ومشاعرها بالكلية ، يعني لا تلتفت إليها من حيث نفسها بوجه من الوجوه ، ثم الخلق وسائر ما

(١) دعاء عرفة لمولانا الحسين عليه السلام

(٢) المصباح ٥٢٩

فرض اللّه سبحانه ، ثم استعد لطواف الحج ، واعلم أن مناسك الحج تشرح الأسفار الأربعة التي هيَ من الخلق إلى الخلق ، ومن الخلق إلى الحق ، ومن الحق بالحق ، ومن الحق إلى الخلق ، ولو أردنا شـــرح كل منسك من المناسك لطال بنا الكلام ، ولنكتفي ببيان بعض أسراره بما بيّن سيدي وسندي ، ومن إليه في كل حق مستندي ، سند الأفاضل والأعاظم السيد كاظم أطال اللّه بقاه وسلمه وأبقاه في أسرار الحج .

قال روى الصدوق رحمه اللّه في الفقيه بإسناده عن النبي ﷺ (سُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةً لأَنَّهَا وَسَطُ الدُّنْيَا .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَتْ كَعْبَةً لأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ وَصَارَتْ مُرَبَّعَةً لأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَمُرَبَّعٌ وَصَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً لأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ وَهُوَمُرَبَّعٌ وَصَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً لأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الإِسْلامُ أَرْبَعٌ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

وَسُمِّيَ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامَ لأَنَّهُ حُرِّمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَدْخُلُوهُ .

وَسُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقَ لأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنَ الْغَرَقِ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ سُمِّيَ الْعَتِيقَ لأَنَّهُ بَيْتٌ عَتِيقٌ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ .

وَوُضِعَ الْبَـيْتُ فِي وَسَطِ الأَرْضِ لأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْ تَحْتِـهِ دُحِـيَتِ الأَرْضُ وَلِيَكُونَ الْفَرْضُ لأَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي ذَلِكَ سَوَاءً وَإِنَّمَا يُقَبَّلُ الْحَجَرُ وَيُسْتَلَمُ لِيُؤَدَّى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ وَإِنَّمَا وَضَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَجَرَ فِي الرُّكْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَلَمْ يَضَعْهُ فِي غَيْرِهِ لأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ أَخَذَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَجَرَتِ السُّنَّةُ بِالتَّكْبِيرِ وَاسْتِقْبَالِ الرُّكْنِ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ مِنَ الصَّفَا لأَنَّهُ لَمَّا نَظَرَ آدَمُ عليه السلام

مِنَ الصَّفَا وَقَدْ وُضِعَ الْحَجَرُ فِي الرُّكْنِ كَبَّرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهَلَّلَهُ وَمَجَّدَهُ وَإِنَّمَا جُعِلَ الْمِيثَاقُ فِي الْحَجَرِ لأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ وَلِعَلِيٍّ عليه السلام بِالْوَصِيَّةِ اصْطَكَّتْ فَرَائِصُ الْمَلائِكَةِ وَأَوَّلُ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الإِقْرَارِ بِذَلِكَ الْحَجَرُ فَلِذَلِكَ اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَلْقَمَهُ الْمِيثَاقَ وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ نَاطِقٌ وَعَيْنٌ نَاظِرَةٌ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ وَافَاهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ وَحَفِظَ الْمِيثَاقَ وَإِنَّمَا أُخْرِجَ الْحَجَرُ مِنَ الْجَنَّةِ لِيَذْكُرَ آدَمُ عليه السلام مَا نَسِيَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَصَارَ الْحَرَمُ مِقْدَارَ مَا هُوَ لَمْ يَكُنْ أَقَلَّ وَلا أَكْثَرَ لأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَهْبَطَ عَلَى آدَمَ عليه السلام يَاقُوتَةً حَمْرَاءَ فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ فَكَانَ يَطُوفُ بِهَا آدَمُ عليه السلام وَكَانَ ضَوْؤُهَا يَبْلُغُ مَوْضِعَ الأَعْلامِ فَعُلِّمَتِ الأَعْلامُ عَلَى ضَوْئِهَا فَجَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَرَماً وَإِنَّمَا يُسْتَلَمُ الْحَجَرُ لأَنَّ مَوَاثِيقَ الْخَلائِقِ فِيهِ وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ فَاسْوَدَّ مِنْ خَطَايَا بَنِي آدَمَ وَلَوْ لا مَا مَسَّهُ مِنْ أَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا مَسَّهُ ذُو عَاهَةٍ إِلا بَرَأَ.

وَسُمِّيَ الْحَطِيمُ حَطِيماً لأَنَّ النَّاسَ يَحْطِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً هُنَالِكَ وَصَارَ النَّاسُ يَسْتَلِمُونَ الْحَجَرَ وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ وَلا يَسْتَلِمُونَ الرُّكْنَيْنِ الآخَرَيْنِ لأَنَّ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْتَلَمَ مَا عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ وَإِنَّمَا صَارَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَنْ يَسَارِهِ لأَنَّ لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مَقَاماً فِي الْقِيَامَةِ وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ مَقَاماً فَمَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَنْ شِمَالِ عَرْشِهِ فَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَقَامِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَرْشُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ وَصَارَ الرُّكْنُ الشَّامِيُّ مُتَحَرِّكاً فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لأَنَّ الرِّيحَ مَسْجُونَةٌ تَحْتَهُ وَإِنَّمَا صَارَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعاً يُصْعَدُ إِلَيْهِ بِالدَّرَجِ لأَنَّهُ لَمَّا هَدَمَ الْحَجَّاجُ

الْكَعْبَةَ فَرَّقَ النَّاسُ تُرَابَهَا فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَبْنُوهَا خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ حَيَّةٌ فَمَنَعَت النَّاسَ الْبِنَاءَ فَأُتِيَ الْحَجَّاجُ فَأُخْبِرَ فَسَأَلَ الْحَجَّاجُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ مُرِ النَّاسَ أَنْ لا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً إِلا رَدَّهُ فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ حِيطَانُهُ أَمَرَ بِالتُّرَابِ فَأُلْقِيَ فِي جَوْفِهِ فَلِذَلِكَ صَارَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعاً يُصْعَدُ إِلَيْهِ بِالدَّرَجِ وَصَارَ النَّاسُ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْحِجْرِ وَلا يَطُوفُونَ فِيهِ لأَنَّ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ دُفِنَتْ فِي الْحِجْرِ فَفِيهِ قَبْرُهَا فَطِيفَ كَذَلِكَ كَيْلا يُوطَأَ قَبْرُهَا .

وَرُوِيَ أَنَّ فِيهِ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَمَا فِي الْحِجْرِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيْتِ وَلا قُلامَةُ ظُفُرٍ .

وَسُمِّيَتْ بَكَّةَ لأَنَّ النَّاسَ يَبُكُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِيهَا بِالأَيْدِي .

وَرُوِيَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بَكَّةَ لِبُكَاءِ النَّاسِ حَوْلَهَا وَفِيهَا .

وَبَكَّةُ هُوَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْقَرْيَةُ مَكَّةُ وَإِنَّمَا لا يُسْتَحَبُّ الْهَدْيُ إِلَى الْكَعْبَةِ لأَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْحَجَبَةِ دُونَ الْمَسَاكِينِ وَالْكَعْبَةُ لا تَأْكُلُ وَلا تَشْرَبُ وَمَا جُعِلَ هَدْياً لَهَا فَهُوَ لِزُوَّارِهَا .

وَرُوِيَ أَنَّهُ يُنَادَى عَلَى الْحِجْرِ أَلا مَنِ انْقَطَعَتْ بِهِ النَّفَقَةُ فَلْيَحْضُرْ فَيُدْفَعَ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا هَدَمَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ لأَنَّ السَّيْلَ كَانَ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ فَيَدْخُلُهَا فَانْصَدَعَتْ .

وَسُئِلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يُصْنَعَ عَلَى دُورِ مَكَّةَ أَبْوَابٌ لأَنَّ لِلْحَاجِّ أَنْ يَنْزِلُوا مَعَهُمْ فِي دُورِهِمْ فِي سَاحَةِ الدَّارِ حَتَّى يَقْضُوا مَنَاسِكَهُمْ فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ لِدُورِ مَكَّةَ أَبْوَاباً مُعَاوِيَةُ وَيُكْرَهُ الْمُقَامُ بِمَكَّةَ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أُخْرِجَ عَنْهَا وَالْمُقِيمُ بِهَا يَقْسُو قَلْبُهُ حَتَّى يَأْتِيَ فِيهَا مَا يَأْتِي فِي غَيْرِهَا وَلَمْ يَعْذُبْ مَاءُ زَمْزَمَ

لأَنَّهَا بَغتْ عَلَى الْمِيَاه فَأَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهَا عَيْناً مِنْ صَبِرٍ وَإِنَّمَا صَارَ مَاءُ زَمْزَمَ يَعْذُبُ فِي وَقْت دُونَ وَقْت لأَنَّهُ يَجْرِي إِلَيْهَا عَيْنٌ مِنْ تَحْتِ الْحَجْرِ فَإِذَا غَلَبَتْ مَاءُ الْعَيْنِ عَذُبَ مَاءُ زَمْزَمَ وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّفَا صَفًا لإِنَّ الْمُصْطَفَى آدَمَ عليه السلام هَبطَ عَلَيْه فَقُطعَ لِلْجَبَلِ اسْمٌ مِنِ اسْمِ آدَمَ عليه السلام لقَوْلِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً** ﴾ وَهَبَطَتْ حَوَّاءُ عَلَى الْمَرْوَةِ فَسُمِّيَتِ الْمَرْوَةَ لأَنَّ الْمَرْأَةَ هَبطَتْ عَلَيْه فَقُطعَ لِلْجَبَلِ اسْمٌ مِنِ اسْمِ الْمَرْأَة .

وَحُرِّمَ الْمَسْجِدُ لِعِلَّةِ الْكَعْبَةِ وَحُرِّمَ الْحَرَمُ لِعِلَّةِ الْمَسْجِدِ وَوَجَبَ الإِحْرَامُ لِعِلَّةِ الْحَرَم .

وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْكَعْبَةَ قِبْلَةً لأَهْلِ الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ الْمَسْجِدَ قِبْلَةً لأَهْلِ الْحَرَمِ وَجَعَلَ الْحَرَمَ قِبْلَةً لأَهْلِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا جُعِلَت التَّلْبِيَةُ لأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَالَ لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا** ﴾ فَنَادَى فَأُجِيبَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ يُلَبُّونَ .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ الأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الدَّارِمِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنِ التَّلْبِيَةِ وَعِلَّتِهَا فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ إِذَا أَحْرَمُوا نَادَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ عِبَادِي وَإِمَائِي لأُحَرِّمَنَّكُمْ عَلَى النَّارِ كَمَا أَحْرَمْتُمْ لِي فَقَوْلُهُمْ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ إِجَابَةٌ لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِدَائِه لَهُمْ .

وَإِنَّمَا جُعِلَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لأَنَّ الشَّيْطَانَ تَرَاءَى لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي الْوَادِي فَسَعَى وَهُوَ مَنَازِلُ الشَّيَاطِينِ وَإِنَّمَا صَارَ الْمَسْعَى أَحَبَّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لأَنَّهُ يَذِلُّ فِيه كُلُّ جَبَّار .

وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِعَرَفَاتٍ مَاءٌ وَكَانُوا يَسْتَقُونَ مِنْ مَكَّةَ

مِنَ الْمَاءِ لِرِيِّهِمْ وَكَانَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَرَوَّيْتُمْ تَرَوَّيْتُمْ فَسُمِّيَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ لِذَلِكَ وَسُمِّيَتْ عَرَفَةُ عَرَفَةَ لأَنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام قَالَ لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام هُنَاكَ اعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ وَاعْرِفْ مَنَاسِكَكَ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ عَرَفَةَ وَسُمِّيَ الْمَشْعَرُ مُزْدَلِفَةَ لأَنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام قَالَ لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِعَرَفَاتٍ يَا إِبْرَاهِيمُ ازْدَلِفْ إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ فَسُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةَ لِذَلِكَ وَسُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةُ جَمْعاً لأَنَّهُ يُجْمَعُ فِيهَا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ .

وَسُمِّيَتْ مِنًى مِنًى لأَنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام أَتَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ تَمَنَّ يَا إِبْرَاهِيمُ وَكَانَتْ تُسَمَّى مُنًى فَسَمَّاهَا النَّاسُ مِنًى .

وَرُوِيَ إِنَّهَا سُمِّيَتْ مِنًى لأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام تَمَنَّى هُنَاكَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَكَانَ ابْنِهِ كَبْشاً يَأْمُرُهُ بِذَبْحِهِ فِدْيَةً لَهُ .

وَسُمِّيَ الْخَيْفُ خَيْفاً لأَنَّهُ مُرْتَفِعٌ عَنِ الْوَادِي وَكُلُّ مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْوَادِي سُمِّيَ خَيْفاً .

وَإِنَّمَا صُيِّرَ الْمَوْقِفُ بِالْمَشْعَرِ وَلَمْ يُصَيَّرْ بِالْحَرَمِ لأَنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ وَالْحَرَمَ حِجَابُهُ وَالْمَشْعَرَ بَابُهُ فَلَمَّا قَصَدَهُ الزَّائِرُونَ أَوْقَفَهُمْ بِالْبَابِ يَتَضَرَّعُونَ حَتَّى أَذِنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ ثُمَّ أَوْقَفَهُمْ بِالْحِجَابِ الثَّانِي وَهُوَ مُزْدَلِفَةُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى طُولِ تَضَرُّعِهِمْ أَمَرَهُمْ بِتَقَرُّبِ قُرْبَانِهِمْ فَلَمَّا قَرَّبُوا وَقَضَوْا تَفَثَهُمْ وَتَطَهَّرُوا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ حِجَاباً دُونَهُ أَمَرَهُمْ بِالزِّيَارَةِ عَلَى طَهَارَةٍ وَإِنَّمَا كُرِهَ الصِّيَامُ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لأَنَّ الْقَوْمَ زُوَّارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُمْ فِي ضِيَافَتِهِ وَلا يَنْبَغِي لِضَيْفٍ أَنْ يَصُومَ عِنْدَ مَنْ زَارَهُ وَأَضَافَهُ وَرُوِيَ أَنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَبِعَالٍ .

وَمَثَلُ التَّعَلُّقِ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ مَثَلُ الرَّجُلِ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ جِنَايَةٌ فَيَتَعَلَّقُ بِثَوْبِهِ وَيَسْتَخْذِي لَهُ رَجَاءَ أَنْ يَهَبَ لَهُ جُرْمَهُ وَإِنَّمَا صَارَ الْحَاجُّ لا

يُكْتَبُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ يَحْلِقُ رَأْسَهُ لأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَاحَ لِلْمُشْرِكِينَ الأَشْهُرَ الْحُرُمَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إِذْ يَقُولُ ﴿ **فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** ﴾ فَمِنْ ثَمَّ وُهِبَ لِمَنْ يَحُجُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَيْتَ مَسْكُ الذُّنُوبِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

وَإِنَّمَا يُكْرَهُ الاحْتِبَاءُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ تَعْظِيماً لِلْكَعْبَةِ

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْحَجُّ الأَكْبَرَ لأَنَّهَا كَانَتْ سَنَةً حَجَّ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَلَمْ يَحُجَّ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَ تِلْكَ السَّنَةِ .

وَإِنَّمَا صَارَ التَّكْبِيرُ بِمِنًى فِي دُبُرِ خَمْسَ عَشْرَةَ صَلاةً وَبِالأَمْصَارِ فِي دُبُرِ عَشَرَةِ صَلَوَاتٍ لأَنَّهُ إِذَا نَفَرَ النَّاسُ فِي النَّفْرِ الأَوَّلِ أَمْسَكَ أَهْلُ الأَمْصَارِ عَنِ التَّكْبِيرِ وَكَبَّرَ أَهْلُ مِنًى مَا دَامُوا بِمِنًى إِلَى النَّفْرِ الأَخِيرِ .

وَإِنَّمَا صَارَ فِي النَّاسِ مَنْ يَحُجُّ حَجَّةً وَفِيهِمْ مَنْ يَحُجُّ أَكْثَرَ وَفِيهِمْ مَنْ لا يَحُجُّ لأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا نَادَى هَلُمَّ إِلَى الْحَجِّ أَسْمَعَ مَنْ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَبَّى النَّاسُ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ فَمَنْ لَبَّى عَشْراً حَجَّ عَشْراً وَمَنْ لَبَّى خَمْساً حَجَّ خَمْساً وَمَنْ لَبَّى أَكْثَرَ فَبِعَدَدِ ذَلِكَ وَمَنْ لَبَّى وَاحِداً حَجَّ وَاحِداً وَمَنْ لَمْ يُلَبِّ لَمْ يَحُجَّ .

وَسُمِّيَ الأَبْطَحُ أَبْطَحاً لأَنَّ آدَمَ عليه السلام أُمِرَ أَنْ يَنْبَطِحَ فِي بَطْحَاءِ جَمْعٍ فَانْبَطَحَ حَتَّى انْفَجَرَ الصُّبْحُ وَإِنَّمَا أُمِرَ آدَمُ عليه السلام بِالاعْتِرَافِ لِيَكُونَ سُنَّةً فِي وُلْدِهِ وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِلْعَبَّاسِ أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ لَيَالِيَ مِنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَإِنَّمَا أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الشَّجَرَةِ لأَنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَكَانَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي بِحِذَاءِ الشَّجَرَةِ نُودِيَ يَا مُحَمَّدُ قَالَ لَبَّيْكَ قَالَ أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَيْتُ وَوَجَدْتُكَ ضَالا فَهَدَيْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ

وَالْمُلْكُ لَكَ لا شَرِيكَ لَكَ فَلِذَلِكَ أَحْرَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ دُونَ الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا وَأَمَّا تَقْلِيدُ الْبُدْنِ فَلِيُعْرَفَ أَنَّهَا بَدَنَةٌ وَيَعْرِفُهَا صَاحِبُهَا بِنَعْلِهِ الَّذِي يُقَلِّدُهَا بِهِ وَالإِشْعَارُ إِنَّمَا أُمِرَ بِهِ لِيَحْرُمَ ظَهْرُهَا عَلَى صَاحِبِهَا مِنْ حَيْثُ أَشْعَرَهَا وَلا يَسْتَطِيعَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَتَسَنَّمَهَا .

وَإِنَّمَا أُمِرَ بِرَمْيِ الْجِمَارِ لأَنَّ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ كَانَ يَتَرَاءَى لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَوْضِعِ الْجِمَارِ فَيَرْجُمُهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فَجَرَتْ بِذَلِكَ السُّنَّةُ وَرُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ رَمَى الْجِمَارَ آدَمُ عليه السلام ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الأَضْحَى لِتَشْبَعَ مَسَاكِينُكُمْ مِنَ اللَّحْمِ فَأَطْعِمُوهُمْ وَالْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تُجْزِي الْبَقَرَةُ عَنْ خَمْسَةِ نَفَرٍ لأَنَّ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ السَّامِرِيُّ بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ كَانُوا خَمْسَةَ أَنْفُسٍ وَهُمُ الَّذِينَ ذَبَحُوا الْبَقَرَةَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَبْحِهَا وَهُمْ أُذَيْنُونَةُ وَأَخُوهُ مَيْذُونَةُ وَابْنُ أَخِيهِ وَابْنَتُهُ وَامْرَأَتُهُ وَإِنَّمَا يُجْزِي الْجَذَعُ مِنَ الضَّأْنِ فِي الأُضْحِيَّةِ وَلا يُجْزِي الْجَذَعُ مِنَ الْمَعْزِ لأَنَّ الْجَذَعَ مِنَ الضَّأْنِ يَلْقَحُ وَالْجَذَعَ مِنَ الْمَعْزِ لا يَلْقَحُ وَإِنَّمَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْفَعَ الضَّحِيَّةَ إِلَى مَنْ يَسْلُخُهَا بِجِلْدِهَا لأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ ﴿ **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا** ﴾ وَالْجِلْدُ لا يُؤْكَلُ وَلا يُطْعَمُ وَلا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْهَدْيِ وَلَمْ يَبِتْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِمَكَّةَ بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ مِنْهَا)[1] ، انتهى ما ذكره أطال الله بقاه وسلمه وأبقاه .

أقول : وأما تأويل مراتب مناسك الحج فقد ذكرها مولانا الصادق عليه السلام قال(إِذَا أَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَحِجَابٍ وَفَوِّضْ أُمُورَكَ إِلَى خَالِقِهَا وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ وَسَلِّمْ لِقَضَائِهِ

(١) الفقيه ٢ / ١٩٠ – ٢٠١

وَحُكْمِهِ وَقَدَرِهِ وَدَعِ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةَ وَالْخَلْقَ وَاخْرُجْ مِنْ حُقُوقٍ تَلْزَمُكَ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَلا تَعْتَمِدْ عَلَى زَادِكَ وَرَاحِلَتِكَ وَأَصْحَابِكَ وَقُوَّتِكَ وَشَبَابِكَ وَمَالِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ عَدُوّاً وَوَبَالا فَإِنَّ مَنِ ادَّعَى رِضَى اللَّهِ وَاعْتَمَدَ عَلَى مَا سِوَاهُ صَيَّرَهُ عَلَيْهِ وَبَالا وَعَدُوّاً لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُوَّةٌ وَلا حِيلَةٌ وَلا لأَحَدٍ إلا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ فَاسْتَعِدَّ اسْتِعْدَادَ مَنْ لا يَرْجُو الرُّجُوعَ وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ وَرَاعِ أَوْقَاتَ فَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الأَدَبِ وَالاحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالشَّفَقَةِ وَالسَّخَاوَةِ وَإِيثَارِ الزَّادِ عَلَى دَوَامِ الأَوْقَاتِ ثُمَّ اغْسِلْ بِمَاءِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ ذُنُوبَكَ وَالْبَسْ كِسْوَةَ الصِّدْقِ وَالصَّفَا وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَأَحْرِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمْنَعُكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَحْجُبُكَ عَنْ طَاعَتِهِ وَلَبِّ بِمَعْنَى إِجَابَةٍ صَادِقَةٍ صَافِيَةٍ خَالِصَةٍ زَاكِيَةٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي دَعْوَتِكَ مُتَمَسِّكاً بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَطُفْ بِقَلْبِكَ مَعَ الْمَلائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ كَطَوَافِكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَهَرْوِلْ هَرَباً مِنْ هَوَاكَ وَتَبَرَّأْ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَاخْرُجْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَزَلاتِكَ بِخُرُوجِكَ إِلَى مِنًى وَلا تَتَمَنَّ مَا لا يَحِلُّ لَكَ وَلا تَسْتَحِقُّهُ وَاعْتَرِفْ بِالْخَطَايَا بِعَرَفَاتٍ وَجَدِّدْ عَهْدَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ وَاتَّقِهِ بِمُزْدَلِفَةَ وَاصْعَدْ بِرُوحِكَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى بِصُعُودِكَ إِلَى الْجَبَلِ وَاذْبَحْ حَنْجَرَةَ الْهَوَى وَالطَّمَعِ عَنْكَ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَارْمِ الشَّهَوَاتِ وَالْخَسَاسَةَ وَالدَّنَاءَةَ وَالذَّمِيمَةَ عِنْدَ رَمْيِ الْجِمَارِ وَاحْلِقِ الْعُيُوبَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ بِحَلْقِ شَعْرِكَ وَادْخُلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَكَنَفِهِ وَسَتْرِهِ وَكَلاءَتِهِ مِنْ مُتَابَعَةِ مُرَادِكَ بِدُخُولِ الْحَرَمِ وَدُخُولِ الْبَيْتِ مُتَحَقِّقاً لِتَعْظِيمِ صَاحِبِهِ وَمَعْرِفَةِ جَلالِهِ وَسُلْطَانِهِ وَاسْتَلِمِ الْحَجَرَ رِضًى بِقِسْمَتِهِ وَخُضُوعاً لِعِزَّتِهِ وَدَعْ مَا سِوَاهُ بِطَوَافِ الْوَدَاعِ وَأَصْفِ رُوحَكَ وَسِرَّكَ لِلِقَائِهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ بِوُقُوفِكَ عَلَى الصَّفَا وَكُنْ بِمَرْأًى مِنَ اللَّهِ نَقِيّاً عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَاسْتَقِمْ عَلَى شَرْطِ حَجَّتِكَ هَذِهِ وَوَفَاءِ عَهْدِكَ الَّذِي عُوهِدْتَ بِهِ مَعَ

رَبِّكَ وَأُوجِبْتَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الْحَجَّ وَلَمْ يَخُصَّهُ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾ وَلا شَرَعَ نَبِيُّهُ ﷺ سُنَّةً فِي خلال الْمَنَاسِك عَلَى تَرْتِيبِ مَا شَرَعَهُ إِلا لِلاسْتِعْدَادِ وَالإِشَارَةِ إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَفَضْلِ بَيَانِ السَّبْقِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَهْلُهَا وَدُخُولِ النَّارِ أَهْلُهَا بِمُشَاهَدَةِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لأُولِي الأَلْبَابِ وَأُولِي النُّهَى)[١]

(١) مصباح الشريعة ٤٧

فصل في سر الجهاد

والجهاد على أربع شعب كما ذكرنا سابقا في حقيقة الإيمان ، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق وشنآن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده ، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ، ومن شنا الفاسقين غضب لله ومن غضب لله غضب اللّه له ، فهذا هو الجهاد هذا بحسب الظاهر ، وفي الحقيقة الجهاد عبارة عن المجاهدة مع النفس وجنودها ، ولذلك قال رسول اللّه ﷺ لما رجع من غزوة من غزواته (رجعنا من الجهاد الأصغر وبقي لنا الجهاد الأكبر ، قيل يا رسول اللّه فما الجهاد الأكبر ، قال ﷺ جهاد النفس)[1] نقلت الحديث بالمعنى .

وبالجملة إن الجهاد الحقيقي هو مجاهدتك مع النفس ، بحيث يكون العقل غالبا عليها قاهرا لها ، فإذا جاهدت معها حتى غلبت عساكرها وفرقت جنودها وصارت تحت أمر العقل فقد تم الأمر وحصل نظام البلد وقامت كلمة الإسلام على كلمة الكفر ، فتكون بعد ذلك بمنزلة الكلب المعلم يجوز أكل صيدها ، لأنها مقهورة تحت العقل ومطيعة له فهي تكون بمنزلة يده ، ولا يجوز قبل ذلك أكل صيدها ، فإنها إذا لم تكن بهذه المثابة لم تكن مؤمنة باللّه ، ومجاهدة النفس لا تتحقق إلا إذا أمت النفس وأزلت

(١) في الأمالي للصدوق ٤٦٦ قال أمير المؤمنين عليه السلام إن رسول الله ﷺ بعث سرية فلما رجعوا قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقي عليهم الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله و ما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس ثم قال ﷺ أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه .

عنها شهواتها ومقتضياتها ، وذلك لا يحصل إلا بالرياضة الواردة عن أهل بيت العصمة ، والمجاهدات الشرعية يطول بذكرها الكلام ، قال مولانا الصادق عليه السلام (طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه ومن هزم جند هواه ظفر برضا الله ومن جاور عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الرب من النفس والهوى وليس لقتلهما في قطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمإ بالنهار والسهر بالليل فإن مات صاحبه مات شهيدا وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى الرضوان الأكبر قال الله عز وجل ﴿ **وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ وإذا رأيت مجتهدا أبلغ منك في الاجتهاد فوبخ نفسك ولمها وعيرها وحثها على الازدياد عليه واجعل لها زماما من الأمر وعنانا من النهي وسقها كالرائض للفاره [الفاره]الذي لا يذهب عليه خطوة منها إلا و قد صحح أولها وآخرها و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي حتى يتورم قدماه و يقول أفلا أكون عبدا شكورا أراد أن يعتبر به أمته فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرياضة بحال ألا وإنك لو وجدت حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضأت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة و لو قطعت إربا إربا فما أعرض من أعرض عنها إلا بحرمان فوائد السبق من العصمة والتوفيق)[1] .

(١) بحار الأنوار ٦٧ / ٦٩

فصل في سر الأمر بالمعروف

في الأمر بالمعروف قال الصادق عليه السلام (مَنْ لَمْ يَنْسَلِخْ عَنْ هَوَاجِسِهِ وَلَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْ آفَاتِ نَفْسِهِ وَشَهَوَاتِهَا وَلَمْ يَهْزِم الشَّيْطَانَ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي كَنَفِ اللَّهِ وَأَمَانِ عِصْمَتِهِ لا يَصْلُحُ لَهُ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَكُلَّمَا أَظْهَرَ أَمْراً كَانَ حُجَّةً عَلَيْهِ وَلا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ وَيُقَالُ لَهُ يَا خَائِنُ أَتُطَالِبُ خَلْقِي بِمَا خُنْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَأَرْخَيْتَ عَنْهُ عِنَانَكَ) .

وروي (أَنَّ ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ سَأَلَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ فَقَالَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ أَمْرَ الْعَامَّةِ)[1] .

وصاحب الأمر بالمعروف يحتاج بأن يكون عالما بالحلال والحرام ، فارغا من حاجة نفسه مما يأمرهم وينهاهم عنه ، ناصحا للخلق رحيما بهم داعيا لهم باللطف وحسن البيان ، عارفا بنقاوة أخلاقهم لينزل كلامه منزلته ، بصيرا بمكر النفس ومكائد الشيطان ، صابرا على ما يلحقه ، لا يكافيهم ولا يشكر منهم ، ولا يستعمل الحمية ولا تغليظ لنفسه ، مستعينا بالله ومبتغيا لوجهه فإن خالفوه وجفوه صبر وإن اتقوا وقبلوا عنه شكر مفوضا أمره إلى الله ناظرا إلى عيبه ، ومن هذا يا أخي يعلم النهي عن المنكر ، وفي الحقيقة الأمر

(١) مصباح الشريعة ١٨

بالمعروف عبارة عن الدعوة إلى ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ، والنهي عن المنكر ذود الخلق عن متابعة مخالفيهم وأعدائهم .

واعلم يا أخي أصلحك اللّه أن ساير التكاليف وأسرارها يعرف مما ذكرنا في هذه الأسرار ، وأن التكاليف كلها راجعة إلى الدعوة إلى اللّه ومتابعة العقل ومتابعة النبي والولي ، والخيرات كلها متشعبة عن الولي ﷺ فلا نحتاج إلى بيان تفاصيل أسرار سائر العبادات ، لأن ذلك يؤول إلى الإطناب ومقصودنا الإشارة والاقتصار في هذا الكتاب .


الباب الثالث
في النبوة





الباب الثالث في النبوة

قال: وهي بحسب المعنى التصوري عبارة عن كون البشر المعصوم نبيا ومخبرا عن أحكام اللّه المتعلقة بأفعال العباد بالوحي، وبعد إثبات النبوة بالمعجزة ونحوها مع الرياسة الإلهية الأصلية على المكلف في الدين والدنيا، وبحسب المعنى التصديقي عبارة عما يجب تصديقه بالجنان وإقراره باللسان، وهو أن نبينا محمد بن عبداللّه بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف المنتهي إلى عدنان رسول اللّه المبعوث بعد سائر الأنبياء عليهم السلام على سبيل اللزوم العقلي إلى الإنس والجان مع المعجزات التي منها المعراج الجسماني وشق القمر والقرآن، وهو معصوم كسائر الأنبياء عن العصيان والنسيان ومطهر عن النقائص التي يتنفر من أجلها الإنسان، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وخير الخلق أجمعين وخاتم النبيين، ودينه باقي إلى يوم الدين، وله إذن شفاعة العاصين .

أقول : النبي مأخوذ عن النبأ وهو الخبر ، قلبت الهمزة ياء ولذلك ترى قوما من أهل الحجاز حققوا الهمزة في الكلام ولم يبدلوها ، ومن ذلك قيل في مدح النبي صلى الله عليه وآله :

يا خاتم النبآء إنك مرسل بالحق خير هدى الإله هداكا

والنبأ هو الخبر والنبي على صيغة فعيل هو المخبر ، وفي الاصطلاح هو المخبر عن اللّه بغير واسطة أحد من البشر ، قال شيخنا وأستاذنا ومن إليه

في كل حق أستنادنا شيخ الموحدين وعز الإسلام والمسلمين حجة اللّه على العالمين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الإحسائي أعزه اللّه وأبقاه وجعلنا في كل مكروه فداه في شرحه على الزيارة الجامعة (النبوة الإخبار عن مراد اللّه بغير واسطة أحد من البشر ، وقيل النبوة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية والمعارف الربانية ، وهي الإخبار من ذات الحق وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وتنقسم إلى نبوة تعريف وهي الإخبار والإنباء من معرفة الذات والصفات والأسماء والأفعال ، وإلى نبوة تشريع وهي ذلك مع زيادة الأحكام والتأديب بالأخلاق الحميدة والتعليم بالأحكام والقياس بالسياسة وتسمى هذه رسالة ، وقيل النبوة هي قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات من جوهر العقل الأول ، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستعدين .

أقول : الفرق بين النبي والرسول أن النبوة أعم من الرسالة إذ كل رسول نبي ولا كذلك العكس ، ويظهر ذلك عما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في الفرق بين النبي والرسول والمحدث ، فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام بإسناده عَنْ زُرَارَةَ قَالَ (سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً** ﴾ مَا الرَّسُولُ وَمَا النَّبِيُّ قَالَ النَّبِيُّ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلا يُعَايِنُ الْمَلَكَ ، وَ الرَّسُولُ الَّذِي يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى فِي الْمَنَامِ وَيُعَايِنُ الْمَلَكَ ، قُلْتُ : الإِمَامُ مَا مَنْزِلَتُهُ ، قَالَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلا يَرَى وَلا يُعَايِنُ الْمَلَكَ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ** ﴾ وَلا مُحَدَّثٍ)[1] .

(١) الكافي ١ / ١٧٦

ثم اعلم أن الأنبياء والرسل لهم مراتب في الوجود ولهم طبقات كما ورد عن أهل العصمة عليهم السلام (الأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ فَنَبِيٌّ مُنَبَّأٌ فِي نَفْسِهِ لا يَعْدُو غَيْرَهَا وَنَبِيٌّ يَرَى فِي النَّوْمِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلا يُعَايِنُهُ فِي الْيَقَظَةِ وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَى أَحَدٍ وَعَلَيْهِ إِمَامٌ مِثْلُ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى لُوطٍ عليهما السلام وَنَبِيٌّ يَرَى فِي مَنَامِهِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيُعَايِنُ الْمَلَكَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَى طَائِفَةٍ قَلُّوا أَوْ كَثُرُوا كَيُونُسَ قَالَ اللَّهُ لِيُونُسَ ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ﴾ قَالَ يَزِيدُونَ ثَلاثِينَ أَلْفاً وَعَلَيْهِ إِمَامٌ وَالَّذِي يَرَى فِي نَوْمِهِ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيُعَايِنُ فِي الْيَقَظَةِ وَهُوَ إِمَامٌ مِثْلُ أُولِي الْعَزْمِ وَ قَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام نَبِيّاً وَ لَيْسَ بِإِمَامٍ حَتَّى قَالَ اللَّهُ ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** ﴾ فَقَالَ اللَّهُ ﴿ **لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ مَنْ عَبَدَ صَنَماً أَوْ وَثَناً لا يَكُونُ إِمَاماً)[1] الحديث ، ولا تعارض بين الروايتين لأن كل واحدة من النبوة والرسالة تطلق على الآخر .

وبالجملة لا تثبت النبوة إلا بثلاثة أشياء الأول إظهار المعجزة ، والثاني أن لا يدعي ما تنكره العقول ظاهرا كما يقول أن الواجب أكثر من واحد أو غير ذلك ، الثالث أن تكون دعوته للعباد إلى طاعة اللّه والاجتناب عن معاصي اللّه وأمثال ذلك ، ويعرف ذلك مع اتفاق العقول عليه ، وستعرف إثبات نبوة نبينا صلى الله عليه وآله فيما نذكره بعد إن شاء اللّه تعالى .

قال: اعلم أن فيما ذكرنا هنا أيضا إشارة إلى أن اللّه تعالى لما كان غنيا مطلقا وخلق بمقتضى لطفه خلقا أحب أن يوصلهم إلى ما هو من مقتضيات الكرم والنعم، ولئلا يلزم العبث في إيجاد العالم، ولما كان حكيما وجب أن

(١) الكافي ١ / ١٧٤

يكون التفضل به جاريا على وفق الحكم، فكلف بما يحصل به الاستعداد لإيصال النعم ودفع النقم، ولما لم يكن للكل علم بما فيه صلاحهم ولا قابلية للتلقي بلا واسطة فرد من بني آدم، وجب بمقتضى اللطف أن يختار من خلقه من يقدر على التلقي والإلقاء إتماما للغرض الأهم، ولا يتم ذلك إلا بالعصمة المعلومة بالمعجزة المصدقة، والتنزه عما يوجب النفرة لئلا يكون للناس على اللّه حجة، فيجب بعث البشر المعصوم المخبر عن اللّه مع المعجزة، فكل من ادعى النبوة الممكنة وأتى بالمعجزة المصدقة فهو نبي بلا شبهة، وقد تواتر وتظافر أنه ظهر في مكة من كان اسمه محمد بن عبداللّه ﷺ، وادعى النبوة وأظهر اللّه على يده المعجزة المصدقة كالقرآن الذي عجز عن الإتيان بمثله جميع الأمة، فهو نبي بلا ريبة فحيث ادعى ختم النبوة وأجاز اللّه تعالى به أيضا، وهو خاتم النبيين ودينه باقي إلى يوم الدين .

أقول: احتج المليّون القائلون بوجوب بعثة الأنبياء على مطلوبهم بحجج، منها ما ذكرها المصنف وهي أن اللّه سبحانه خلق الخلق وأحب أن يوصلهم إلى النعيم الأبدي والفيض السرمدي، ولما لم يكن للكل استعداد لتلقي الفيض بلا واسطة وجب في الحكمة بعثة الأنبياء، وهذا لا يستقيم إلا على ما برهناه سابقا في مسألة القابليات من أن القوابل والاستعدادات إنما خلقت باقتضاء المادة بجعل الجاعل، فعند ذلك اختلفت القوابل فكان البعض أقرب من بعض إلى الحق بواسطة القابلية، والبعض أبعد من بعض، فلما تحقق القرب والبعد وجب في الحكمة أن يكون القريب واسطة في إيصال الفيض إلى الأبعد، لئلا يلزم الطفرة التي قضت الضرورة ببطلانها في سلسلة الوجود، وهذه الواسطة تتحقق في الشرع الوجودي

والوجود الشرعي ، فتكون متلقاة للفيض وموصلة للغير الذي دون مرتبتها ، وهذا الإيصال والتلقي يسمى بالنبوة .

واحتج قوم من العقلاء على وجوب البعثة ، بأن الإنسان مدني بالطبع ، يعني لا يمكن بقاؤه بدون جماعة ، إذ يحتاج في أمر معاشه من الغذاء واللباس والمسكن والأسلحة ، إبقاءً للبدن بالغذاء ، وصونا له عن نازلة الحر والبرد باللباس والمسكن ، وللأعداء والسباع بالمسكن والأسلحة إلى بني جنسه ، إذ هو لا يستقل بهذه الأمور وهي لا تتحقق إلا بمعاونته إياهم بمعاوضة ، بأن يقابل عملهم بعوض من النقود والأمتعة ، أومعاوضة بأن يعمل لهم في مقابلة عملهم ، وتلك المعارضة أو المعاوضة لكون الإنسان مجبولا على الشهو ة والغضب لا يتجردان من منازعة مفضية إلى العناد والمخاصمة المؤديين إلى مقابلة موجبة للفساد والخراب ، فوجب في حكم العناية الأزلية والحكمة الإلهية أن يكون بين الناس معاملة وعدل ، أي ضابط عدل شارع متميز باستحقاق الطاعة لاختصاصه بآيات تدل على أنه من عند اللّه لئلا يقع في وضع الشرع منازعة مفضية إلى الفساد ، بل هذا النزاع يكون أشد وأبلغ في الإفضاء إلى الفساد ، لأن ذلك يقع بين الإشراق من أهل العلم وغيرهم فذلك الشارع هو النبي ، واحتجوا أيضا بأدلة في حسن بعثة الأنبياء سنذكر بعضها في المقام الأول .

واحتجت البراهمة بأن ما جاء به النبي إن كان حسنا عند العقل فلا حاجة إلى النبي إذ يعلم بالعقل ، وإن كان قبيحا فلا يقبله العقلاء سواء جاء به النبي أو لا ، وأجابوا بأن ما يستحسنه العقل أو يستحقه من غير حاجة إلى التعلم قليل جدا كالصدق والعدل والكرم وشكر النعمة وقب

الكذب وقتل العمد والزنا والسرقة والإيلام والباقي من جملة ما لا يستقل به العقل بإدراكه بل نحتاج إلى نبي وإلا لرفع التنازع المذكور .

أقول : هذا جواب لا غبار عليه ، وأما الجواب الواقعي الحقيقي في دفع شبهة البراهمة أن كل شيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه ، وكل يقرأ حروف نفسه لقوله تعالى ﴿ **وَما مِنّا إِلا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ** ﴾[1] فلا يتجاوز الشيء عن حده ورتبته ، فإذا لم يتجاوز لم يمكنه إدراك ما هو أعلى منه رتبة في الوجود ، لأن الإدراك فرع الإحاطة ولا يمكن أن السافل يحيط بالعالي ، وإلا لزم انقلاب الحقيقتين إلى الأخرى بمعنى السافل عاليا والعالي سافلا وهذا خلف ، فلا يحيط السافل بالعالي بوجه من الوجوه ، ولما كان الحق سبحانه وراء ما لا يتناهى ولا يمكن لأحد معرفة ذاته وصفاته لأنه أعلى من كل شيء فلا يحيط به شيء ، وخلق الخلق لأجل المعرفة لأنها هي الغاية لوجود كل موجود كما أثبتنا سابقا من أنه تعالى لا يفعل إلا لغاية ، والغاية هي المعرفة ، وهي لا تحصل للعقول لأن العقول لا تدرك ما وراء ذاتها ، وهي محدودة بالحدود المعنوية ، فلا يمكنها إدراك غير المحدود بوجه من الوجوه ، فوجب أن يكون في الوجود واسطة يعرف المعرفة الحقيقية للناس بإخبار من اللّه لأن غيره لا يعرفه ، فلا بد أن يخبر عن نفسه وأسمائه وصفاته للخلق حتى يدعوه الخلق بما وصف لهم نفسه ، وذلك لا يمكن إلا بواسطة وهو النبي ، والعقل هو الحجة الباطنة المفطورة على الحكم بالحاجة إلى معلم رباني ، وتصديقه بعد تصحيح دعواه وتبيّن مدعاه به نعرف الصادق على اللّه فيصدقه والكاذب فيكذبه ، وهو آلة أعطيناها لمعرفة العبودية إلا لدرك

(١) الصافات ١٦٤

الربوبية ، فلما وجب في الحكمة وجود واسطة أعني نبي في الوجود فكل من ادعى النبوة وأتى بمعجزة تصدقها العقول فيه ، مع اقتران المعجزة بالشرائط الثلاثة المذكورة سابقا فهو نبي حقا ، وقد تواتر أن النبي ﷺ محمد بن عبد اللّه ﷺ ظهر في مكة وادعى النبوة ، وأظهر اللّه على يده المعاجز ، فهو نبي لا ريب فيه وستعرف ذلك في مطاوي كلماتنا إن شاء اللّه .

قال : ففي هذا الأصل أيضا خمس مقامات .

المقام الأول

الأول : في حسن بعث الله معصوما رسولا إلى المكلفين ووجوبه وبيان فوائده يدل على ذلك أولا العقل كما مر إليه الإشارة، فإن بعثة الأنبياء لطف متمم للغرض، موجهة اقتضائها تنبيه العقول وتقويتها في العقائد، وإرشاد الناس إلى المنافع الجسمانية والروحانية المعاشية والمعادية ومضارهم كذلك، وحفظ نوع الإنسان الذي هو مدني بالطبع، محتاج إلى الاجتماع في المكان والكون في المدينة لانتظام أمر المعاش والمعاد الموجب لوقوع الفتنة من جهة وقوع الغضب والشهوة المحتاج إلى مقنن القوانين الرافعة لها ولو بالقهر والغلبة المعلوم كونه من جانب الله وصاحب العصمة المتممة للغرض بالمعجزة .

أقول : قد عرفت تفصيل هذا القول فيما ذكرنا من احتجاج القوم ، ولهم أيضا أدلة لا بأس بذكرها :

الأول : لو فرض كيفية التشريع إلى الخلق فربما كل طائفة بوضع خاص فلا يكاد يتطابق أهل مدينة واحدة على شرع ، فربما أفضى ذلك إلى الفتن ووضع شريعة واحدة للأمة ينافي ذلك .

الثاني : أن الشيء ربما يكون حسنا عندنا وقبيح في نفس الأمر أو بالعكس ، فلا بد من البعثة حتى يميز لنا حسن الشيء من قبحه ، وهذا لا ينافي القول بأن الحسن والقبح عقليان لأن النبي يميز ويكشف عن الواقع ، ولما كانت جهات إدراكاتنا مختلفة فتارة ندرك بالعقل وتارة ندرك بالنفس الأمارة ، ولم تكن الادراكات متمايزة عندنا احتجنا إلى معلم رباني وهو

النبي حتى يميز الحق من الباطل والجيد من الرديء وهو النبي .

الثالث : يجب وجود النبي حتى يبين لنا العبادات من أنها ما هي وكم هي وكيف هي ، لأن العقل لا يدرك تفاصيل الجزئيات وكيفياتها .

الرابع : أن الأشياء الكائنة في هذا العالم بعضها دواء وبعضها داء ، يعني يتولد منه الداء وبعضها سم إلى غير ذلك من العقاقير ، والعقل لا يدرك كل ذلك من دون إخبار ، والتجارب لا تفي بمعرفتها على أن في التجربة يستلزم انعدام نفوس عديدة بالموت والهلاك ، فلا بد من وجود نبي يخبر عن الله حقائق هذه العقاقير ، ويبين خاصياتها وكيفياتها وأحوالها وأوضاعها وتأليفها وسائر عللها وأسبابها .

الخامس : إن الصناعات الموجودة لا يهتدي إليها أحد بعقله قبل أن يكتسب ، نعم بعد الكسب ربما يضيف إلى ذلك من المحسنات بعقله ، والناس كلهم محتاجون إلى هذه المكاسب ، فلا بد من وجود نبي حتى ينبئ ويلهم من عند الله ، ويعلم الناس لرفع احتياجهم ودوران معاشهم .

السادس : أن العقول متفاوتة في الإدراك بالنسبة إلى الأشخاص ، والعاقل الكامل الشامل المحيط لجميع الأسرار نادر بل لا يكاد يوجد فكيف بسائر الناس ، لأن الأسرار والحكم في مكان بعيد ﴿ **وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ** ﴾[1] فإذاً وجب في الحكمة وجود نبي حتى يبين الأسرار والحكم وسر التكاليف والتكاليف .

السابع : لولا وجود النبي لكان الإنسان المكلف خائفا لا يطمئن بشيء من إتيان العبادة وعدم الإتيان ، ولا يحصل له القطع بشيء مما يأتي من العبادة وذلك مناف للحكمة .

الثامن : ما ذهب إليه بعض العارفين من أن العالم كله بمنزلة رجل من الإنسان لعدم التخالف بين الإنسانين ، أي الإنسان الكبير الذي هو العالم

(١) سبأ ٥٢

والإنسان الصغير المعروف ، وكما للإنسان الصغير قلب وصدر ودماغ وسائر الآلات والأعضاء التي يطول بذكرها الكلام فكذلك في الإنسان الكبير ، فالنبي بمنزلة القلب في الإنسان ، وكما يجب وجود القلب في الإنسان لأن القلب محل تعلق النفس إلى البدن ، ويستمد القلب من النفس ويصل إلى البدن ويمد البدن ، فكذلك النبي محل نظر اللّه وهو يأخذ عن اللّه ويؤدي إلى الرعية ويجب وجوده في العالم .

التاسع : إن في حركات الكواكب والأفلاك تأثيرات واقعية في هذه السفليات ، ولا يحيط العقل بحقيقة التأثير حتى يعالج إذا وقعت حادثة في الأفلاك ، فتبطل بسبب تلك الحادثة النظام في السفليات كالكسوف والخسوف ، فإن كل واحد منهما يكون سببا لفساد النظام ، ولذلك أمر اللّه بالصلاة عند الكسوف والخسوف ليستد مسدها فلا يبطل النظام بسببها ، وذلك لا يعلم إلا بإلهام رباني ولا يوجد ذلك إلا في النبي ، فإذاً وجب وجود النبي .

إلى غير ذلك من الأدلة العقلية الحاكمة بوجوب البعثة .

قال : وثانيا النقل كما قال اللّه تعالى ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[4]

وروي عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِيقِ الَّذِي

---

(١) النساء ١٦٥

(٢) إبراهيم ٤

(٣) ابراهيم ١٠

(٤) الحديد ٢٥

سَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَّ الأَنْبِيَاءَ وَ الرُّسُلَ قَالَ (إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقاً صَانِعاً مُتَعَالِياً عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيماً مُتَعَالِياً لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَلا يُلامِسُوهُ فَيُبَاشِرَهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ وَيُحَاجَّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَ يَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَاؤُهُمْ فَثَبَتَ الآمِرُونَ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ وَالْمُعَبِّرُونَ عَنْهُ جَلَّ وَعَزَّ وَهُمُ الأَنْبِيَاءُ عليهم السلام وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ حُكَمَاءَ مُؤَدَّبِينَ بِالْحِكْمَةِ مَبْعُوثِينَ بِهَا غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّرْكِيبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلائِلِ وَالْبَرَاهِينِ لِكَيْلا تَخْلُوَ أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ)[1] ومثله الآخران مسندا ومرسلا .

أقول : أخذ هذه الرواية من العلل وقوله الآخران مسندا ومرسلا ما ذكرهما الصدوق بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سأله رجل فقال لأي شيء بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس فقال (لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وليكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ** ﴾)[2] .

وذكر أيضا بإسناده مرسلا عن الحسين بن نعيم الصحاف قال قلت لأبي

---

(١) علل الشرائع ١ / ١٢٠

(٢) علل الشرائع ١ / ١٢٠

عبدالله عليه السلام أيكون الرجل مؤمنا قد ثبت له الإيمان ثم ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر قال (إن الله هو العدل وإنما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله ولا يدعوا أحدا إلى الكفر ، قلت فيكون الرجل كافرا قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان ، قال إن الله عز وجل خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون إيمانا بشريعة ولا كفرا بجحود ثم ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجة لله عليهم فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهده)[1] ، سنذكر بعض ما ورد في هذا الباب عن الأئمة الأطياب .

ذكر الصدوق في العلل بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام في كلام له يقول فيه (الحمد لله المتحجب بالنور دون خلقه في الأفق الطامح والعز الشامخ والملك الباذخ فوق كل شيء علا ومن كل شيء دنا فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى وهو يرى وهو بالمنظر الأعلى فأحب الاختصاص بالتوحيد إذا احتجب بنوره وسما في علوه واستتر عن خلقه ليكون له الحجة البالغة وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوا وعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا ويوحدوه بالإلهية بعد ما عندوا)[2] .

وفيه أيضا بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال : سئل أبو عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عز وجل ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ فقال : كانوا أمة واحدة فبعث الله النبيين

(١) علل الشرائع ١ / ١٢١

(٢) علل الشرائع ١ / ١١٩

ليتخذ عليهم الحجة)[1] . وبالجملة إن الآيات والأخبار كثيرة في هذا المعنى فيطلب من مظانها في المطولات .

(١) علل الشرائع ١ / ١٢٠

المقام الثاني

قال : المقام الثاني في وجوب بشرية الأنبياء وعصمتهم وكونهم ذوي ملكة إلهية غير كسبية وذاتية ، مانعة عن صدور مطلق العصيان في صورتي العمد والنسيان مدة العمر لا على وجه الجبر والقهر بل تنزههم عن أسباب النفرة كالعيوب الجسمانية والأخلاق الذميمة النفسانية ورذالة القبيلة وأمثالها .

أقول : أطلق في قوله وجوب بشرية الأنبياء ولم يقيد بالمبعوثين إلى البشر وذلك غلط لأن المذهب الحق أن المخلوقين كلهم مكلفون لقوله سبحانه ﴿**وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾[1] ويجب إرسال الرسل إلى كل نوع من الأنواع من بني نوعهم لا من غيرهم لعموم قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ** ﴾[2] فإذا كان ذلك كذلك فيجب أن يبعث اللّه رسولا إلى الجن من الجن وإلى الإنس من الإنس وإلى الملك من الملك وإلى الحيوان من الحيوان وإلى الجماد من الجماد وهكذا إلى كل سلسلة من سلاسل الوجود من سنخها ، فلا يكون رسول الملائكة بشرا ولا يكون إلا من سنخ الملائكة لأن ذلك أكمل في الحجة ، يدل على ذكرنا أدلة بعثة البشر إلى البشر ، ولعلك تقول لو كان الأمر كما ذكرت فلا بد للجن من نبي حتى يخبرهم بالتكاليف ولا يجوز أن يكون نبيهم بشرا ، ومن المعلوم أن نبينا محمد ﷺ مبعوث على الإنس والجن بل وعلى كل مخلوق ومبروء ، فهذا يخالف ذاك .

فأقول ولا قوة إلا باللّه رسول اللّه ﷺ كان مبعوثا إلى جميع الخلق لكن

---

(١) الأنعام ٣٨

(٢) فاطر ٢٤

كان له حفاظ يتلقون الفيض عنه ﷺ ويؤدونه إلى طائفتهم وبني نوعهم ، فكان ذلك الحافظ له بمنزلة آلة كالبصر والقلب ، فإن البصر آلة لرؤية القلب والقلب هو الرائي حقيقة والبصر آلته ، ولذلك كثيرا ما أن القلب إذا لم يكن ملتفتا إلى نحو المرئي لم يره البصر وإن كان البصر واقعا عليه ، فصح أن الرائي ليس إلا القلب ، وإذا لم يكن البصر لم يكن رائيا لشيء فالبصر آلته ، وإن شئت نسبت الرؤية إلى البصر كما تقول رأى بصري فصح أن البصر هو الذي يبصر بالقلب وكذلك القلب يبصر بالبصر ، فكذلك في انبعاث النبي إلى جميع المخلوقات مما دخل في حيز التكليف فإنه ينبؤهم عن الوحي بآلة منهم ، فالمنبئ حقيقة هو النبي بذلك الرجل الذي هو بمنزلة الآلة ، وإن شئت قل إن الرجل هو المنبئ بالنبي فيصح نسبة النبوة لكليهما على سبيل الحقيقة ، وهذا جار في كل جنس من الأجناس وفي كل نوع من الأنواع فتبصر ، فقد أطلعتك على سر لم تكن سامعا له قبل ذلك ولا قوة إلا بالله .

ولعلك تقول أن تكليف الجماد وسائر البهائم والحيوانات والنباتات مما لا يجوزه العقل لفقدان شعورها فكيف تقول بذلك ؟

فأقول ولا قوة إلا بالله أن كلما دخل في الوجود لم يكن فاقدا للشعور أبدا ، كيف وقد قبل التكليف وقبل القبول للدخول في ساحة الوجود ، وقد أسلفنا في أن القابليات إنما وجدت بقبول الشيء ، وذلك لا يمكن إلا بعد الشعور والإدراك ، لكن الشعور يختلف في مراتب الأعيان لاختلاف مراتبهم في القبول ، فصح على هذا التقدير ثبوت الإدراك لجميع الموجودات من إنسان وملك وحجر ومدر وسائر الأشياء ، وإذا صح الإدراك صح التكليف ،

وإن شئت أن تطلع على هذا السر فاقرأ قوله سبحانه ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[1] وأمثال ذلك مما في الآيات ، وانظر في الأحاديث الواردة عن أهل العصمة عليهم السلام بأن اللّه سبحانه عرض ولايتنا على جميع المخلوقات وعرض ولايتنا على المياه فمن قبل حلى وعذب ومن لم يقبل فكان مرا ، وعرض ولايتنا على جميع الأحجار فمن قبل كان نوعا من أنواع الجواهر بقدر قبوله لولايتنا ومن أنكر فكان حصاة سوداء وصخرة صماء وأمثال ذلك ، وعرض اللّه ولايتنا على البقول والثمرات فمن قبلها كان طيب الرائحة والأكل ومن أنكر فكان نتن الرائحة والأكل وأمثال ذلك ، وعرض الولاية هو التكليف حقيقة ، وقد كلفهم اللّه سبحانه بولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين ، فإن لم يكونوا ذوات شعور وإدراك لا يجوز في الحكمة أن يكلفهم لتأويل قوله سبحانه ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ** ﴾[2] .

فثبت فيما بينا أنهم مكلفون وذوات شعور وإدراك ، وإنما أتيت بضمير ذوي العقول في إشارة إليها ليعلم أنها ذوات عقول فافهم راشدا .

ولست أقول أن الجمادات مكلفون مثلا بإتيان الصلاة بهذه الهيئة المخصوصة مع قيام وركوع وسجود وتشهد ، أو أنها مكلفة بغسل الجنابة والحيض أو بما يضاهيهما فإن ذلك لا يعقل أبدا ، بل أقول أن كل شيء مكلف بقدره ومرتبته وقابليته وإدراكه وشعوره ، فكما أن الإدراك يختلف في الموجودات بحسب القابليات فكذلك التكليف يختلف بحسب المراتب ، ولوشئت أن أفصل المقال في مقامات الحال لانجر إلى الكلال ، وإني اكتفيت بالإشارة والإشارة كافية لأهل البشارة .

---

(١) الإسراء ٤٤

(٢) يوسف ٧٩

وبالجملة معجب التقيد في قوله وجوب بشرية الأنبياء بالمبعوثين إلى البشر .

وأما وجوب عصمة الأنبياء فقد اختلف أهل الإسلام في ذلك ، فذهبت الإمامية إلى وجوب العصمة التي هي اللطف المانع للمكلف من ترك الواجبات وفعل المحرمات غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى ذلك اللطف ، وإلا لم يكن مكلفا ولم يستحق مدحا ولا ثوابا وإلا فلا يحصل لنا القطع بإخباره أنه من الوحي الإلهي ، وذهبت العامة وسائر فرق الإسلام إلى عدم وجوب العصمة قبل البعثة ، وأما بعد البعثة فمنهم من أخلف وأنكر ، والقائلون بوجوب العصمة بعد البعثة من المخالفين اختلفوا في العصمة وقالوا العصمة عدم إتيان الكفر والكبائر .

وبالجملة فقد وقع الخلاف في ذلك واحتج من قال بجواز صدور المعاصي عن الأنبياء بوجوه منها قوله تعالى مخاطبا لنبيه ﷺ ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ** ﴾[1] فإنها تدل على جواز صدور الذنب من النبي ﷺ لأن العفو إنما يرد بعد تحقق الذنب ، ومنها قوله تعالى ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾[2] فإنها صريحة في صدور الذنب عن سيد الأنبياء ، ومنها قوله تعالى ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** ﴾[3] يدل صريحا على أنه صدر عنه المعصية مع أنه نبي بالاتفاق ، ومنها قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾[4] فإنه كفر وقد صدر عن إبراهيم ، ومنها قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ** ﴾[5] وهو كذب والكذب ذنب .

---

(١) التوبة ٤٣
(٢) الفتح ٢
(٣) طه ١٢١
(٤) الأنعام ٧٧
(٥) الأنبياء ٦٣

ومنها قصة داود عليه السلام والطمع في امرأة أوريا وأمثال ذلك مما تشهد عليه الآيات المتشابهات ، وقد اتبعوها وجعلوها وركنوا إليها لأن في قلوبهم زيغ قال اللّه تعالى ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾[1] الآية .

فأما العامة العمياء القائلين بعدم العصمة فمذهبهم ظاهر ، وأما الذين قالوا بعدم جواز صدور الذنب عن الأنبياء بعد البعثة فقالوا إن الذنوب المنسوبة إلى الأنبياء كانت صادرة عنهم قبل بعثتهم ، وأما بعدها فما صدر عنهم معصية .

وأما نحن فنقول ولا قوة إلا باللّه بعدم جواز صدور الذنب عنهم قبل البعثة وحين البعثة وبعد البعثة على حد سواء لعدم الاعتماد بإخباره مع صدور الذنب مطلقا .

وأما الجواب عن هذه الآيات المتشابهات فنقول ولا قوة إلا باللّه إن الجواب عن الآية الأولى أنها نزلت من قبيل (إياك أعني واسمع يا جارة) خاطب اللّه تعالى بذلك نبيه وأراد به أمته ، وقال الطبرسي في جامع الجوامع (هذا من لطيف المعاتبة بدء بالعفو قبل العتاب) ، ويجوز العتاب من اللّه في غيره أولى لا سيما للأنبياء ، وليس كما قاله جار اللّه من أنه كناية عن الجناية ، وحاشا لسيد الأنبياء وخير بني آدم من أن تنسب إليه جناية .

وأما عن الثانية فقد قال مولانا الرضا في العيون في مجلس المأمون لعنه اللّه(لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنبا من رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) آل عمران ٧

لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنما فلما جاءهم ﷺ بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا ﴿ **أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنّ هذا لَشيْءٌ عُجابٌ وانطَلَقَ المَلأُ منهُمْ أنِ امْشُوا واصبِروا على آلهتِكُمْ إنّ هذا لَشيْءٌ يُرادُ ما سَمِعْنا بهذا في المِلّةِ الآخِرةِ إنْ هذا إلا اختِلاقٌ** ﴾ فلما فتح الله عز وجل على نبيه ﷺ مكة قال له يا محمد ﴿ **إنّا فتَحْنا لكَ مكةَ فتْحاً مُبِيناً ليَغْفِرَ لكَ اللهُ ما تقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخّرَ** ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورا بظهو ره عليهم)[1] انتهى .

أقول : ورد أيضا عنهم عليهم السلام أن المراد من قوله تعالى ﴿ **ليَغْفِرَ لكَ اللهُ ما تقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخّرَ** ﴾ ذنوب شيعة علي عليه السلام ، فإنه صلوات اللّه عليه وآله تحمل ذنوب الشيعة ليغفرها اللّه سبحانه ويدخلهم الجنة بشفاعته ﷺ .

وأما عن الثالثة بأن ذلك ليس معصية بل هو ترك الأولى لأنه عليه السلام لم يأكل من تلك الشجرة المنهية عنها بل أكل من نوعها ، ولم يكن نوع تلك الشجرة منهيا عنه بل إنما هو شخص الشجرة وهو ما أكل منها ، ولذلك تقول أنه ترك الأولى بأكله من نوع تلك الشجرة ، فإن قيل إنكم قررتم سابقا في معنى العصمة أنها هي لطف المانعة . . الخ ، فلما أراد أن يأكل آدم من نوع تلك الشجرة لم ما نهاه ذلك اللطف عن الأكل .

قلنا : نحن قررنا بأن اللطف مانعة بالاختيار والقدرة مع المنع والترك وله الفعل والترك ، ولأنه لم يأكل منها كما عرفت ولمصالح أخر ، منها أن عمل

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٠٢

آدم كان سببا لنزوله إلى هذا العالم وسببا لعمارة العالم كما قال في الحديث القدسي (إني جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم) .

وأما عن الرابعة فإن إبراهيم على نبينا وآله و عليه السلام كان مبعوثا إلى طوائف منهم عبدة الزهرة وعبدة القمر ومنهم عبدة الشمس فلما ظهر أراد أن يبطل مذاهبهم الثلاثة فقال ذلك على سبيل الإنكار لا على سبيل الإخبار عن معتقده .

وأما عن الخامسة فقد ذكر شيخنا وأستاذنا ومن إليه في كل حق استنادنا ، الشيخ الأوحد والفرد الأمجد عز الإسلام والمسلمين ، وركن المؤمنين الممتحنين وزين الموحدين مولانا ومقتدانا الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الإحسائي أطال اللّه بقاه وجعلنا في كل مكروه ومحذور فداه الجواب عنهما بوجهين :

أحدهما : أن إبراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستهزاء بالكفار ، كما لو قلت لصاحبك وهو أمي وتعتقد أنه لم يقدر على الكتابة أنت كتبت هذا على سبيل الاستهزاء .

وثانيهما : إن إسناد الفعل إلى الكبير إسناد الفعل إلى السبب لأن تعظيم الكفار لك للصنم حمل إبراهيم عليه السلام على أن يجعلوهم جذاذا .

قال : أقول وفيه وجه ثالث وهو تقديم الجزاء على الشرط إبهاما لهم وتنبيها لهم على إنهم إذا كانوا لا ينطقون بل هم جماد فإنهم لا ينفعونهم شيئا ولا يضرونهم ، فلم يعبدون ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم ، فلما نبههم تنبهو ا وقالوا لأنفسهم إنكم إذا لظالمون ، ثم رجعوا عن التنبيه إلى اتباع طريقة آبائهم وإلى العصبية ، ولو لم ينسب ذلك الفعل إلى الكبير لما نبهو ا

على خطئهم في عبادتهم لأصنامهم وإن كانوا لا ينتفعون بذلك ولكن إقامة الحجة عليهم .

وأما عن السادسة فإن هذه القصة ليست كما ذهبوا إليها بل الثابت من قصته ما رواه في العيون عن مولانا الرضا عليه السلام في مجلس المأمون لعنه الله (سأل الرضا عليه السلام علي بن محمد بن الجهم فقال ما يقول من قبلكم في داود عليه السلام فقال : يقولون إن داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان فاطلع داود في أثره فإذا بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هو اها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام الحرب فقدم أوريا فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم فقتل أوريا وتزوج بامرأته ، قال : فضرب على جبهته وقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد نسبتم نبيا من أنبياء الله على التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل ، فقال : يا ابن رسول الله ما كانت خطيئته ، فقال : ويحك إن داود ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقا هو أعلم مني فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسوروا المحراب فقالا ﴿ **خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ** ﴾ فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال ﴿ **لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ** ﴾ ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له ما يقول

فكان هذا خطيئة داود لا ما ذهبتم إليه أ لا تسمع الله عز وجل يقول ﴿ **يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ** ﴾ الآية ، فقال : يا ابن رسول الله فما قصته مع أوريا ، قال الرضا عليه السلام : إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أوقتل لا تتزوج بعده أبدا وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه)[1] .

وذكر أن داود عليه السلام كتب إلى صاحبه أن لا يقدم أوريا بين يدي التابوت ورد فقدم إلى أهله ومكث ثمانية أيام ثم مات .

وبالجملة فكذلك سائر الآيات من المتشابهات فإنها مؤولة مثل قوله تعالى ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدى** ﴾[2] وأمثالها ، فإن معنى الضلالة ها هنا عين معنى الضلالة في قوله عليه السلام قَالَ (الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ)[3] ومن أراد الإطلاع على تفصيل الأقوال في العصمة وعدم العصمة فليطلب رسالة العصمة لشيخي وسندي ومن إليه في كل حق مستندي ، عز الإسلام والمسلمين وركن المؤمنين الممتحنين وزين الموحدين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين أطال الله بقاه وسلمه وأبقاه .

قال : يدل على ذلك أولا العقل لأن بعث البشر المعصوم المرقوم لطف لعدم ارتباط الجميع بالملك لو لم ندع عدم الإمكان إلا فيمن شذ وندر فلا بد من البعثة إتماما للغرض والحجة مضافا إلى غيره مرجوح .

أقول : هذا الكلام موجه بحسب الظاهر بأن الجميع ليس لهم ارتباط بالملك ، فلو بعث الله ملكا لم يستطيعوا أن يتلقوا منه لأن الملائكة في مقام

---

(١) قصص الأنبياء للجزائري ٣٤٤
(٢) الضحى ٧
(٣)الكافي ٨ / ١٦٧

البساطة بالنسبة إلى الإنسان ، والإنسان مركب وتركيبه أشد من الملائكة ، والتركيب ليس مرتبطا للبسيط من جهة التركيب والبساطة ، فلو لم يبعث إليهم ما يناسبهم لم يتم المطلوب والغرض من البعثة .

وقوله (لعدم ارتباط الجميع بالملك) يريد أن الملك أعلى من مرتبة الإنسان لانغماره في التجرد والروحانية ، وقد ثبت أن المجردات أشرف من الماديات وأعلى رتبة ومرتبة كما يشاهد ذلك في الأرواح والأبدان ونسبة كل واحدة منها إلى كل واحدة منها ، وهذا صحيح لكن بحسب الظاهر وفي الباطن ليس الأمر كذلك لأن الملائكة مخلوقون من شعاع الإنسان ، فلا يكون الملك أشرف من الإنسان يدل على ذلك قوله عليه السلام (فسبحنا فسبحت شيعتنا فسبحت الملائكة) وإحقاق الحق في هذه المسألة يحتاج إلى بسط في الكلام وذلك مما لا يقتضيه المقام .

وبالجملة قد ثبت لنا بالأدلة العقلية والنقلية أن الشيعة أفضل من الملائكة لقوله صلى الله عليه وآله (أن سلمان أفضل من جبرائيل) وقوله عليه السلام(وإن الملائكة لخدامنا وخدام شيعتنا)[1] وروى الصدوق في العلل بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر ابن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين ابن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني ، قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل ، فقال : يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن

---

(١) علل الشرائع ١ / ٥

الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار)[1] الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

فإذا كان ذلك كذلك لم يجز في الحكمة أن الأخس يكون واسطة الفيض للأشرف ، ويتقدم على الأشرف للزوم الطفرة والضرورة قاضية ببطلانها ، فلا يجوز أن يكون المبعوث إلى الإنسان من سنخ الملائكة لأن الإنسان أشرف من الملائكة فلا يكون واسطة الفيض للإنسان ، والنبي هو الواسطة لإيصال الفيض أعم من الفيض الوجودي أو الشرعي .

ولعلك بعد ما قرع سمعك هذا التحقيق رجعت وقلت لوكان كذلك فما معنى ما ورد أن جبرائيل كان يأتي بالوحي وذلك من ضرورة الدين ، وهو يأخذ عن إسرافيل وهو يأخذ عن ميكائيل وهو يأخذ عن القلم وهو يأخذ عن ملك يقذفه اللّه في قلبه ، فإن ذلك مما ورد عن أهل العصمة فعلى ذلك يكون الملائكة واسطة لإيصال الفيض إلى النبي ﷺ وهذا يخالف ما قررت سابقا .

فأقول ولا قوة إلا باللّه ، هذا لا ينافي ما ذكرناه لأن الملائكة هنا بمنزلة الآلات للنبي يأخذون عن غيبه ويؤدون إلى شهادته ، وهم روابط الغيب والشهادة ويستمدون من باطنه ويمدون ظاهره ، ولنمثل لك مثالا تعرفه به فانظر إلى قلبك وبصرك فإن بصرك آلة للرؤية والقلب هو الرائي حقيقة ، ولذلك إذا لم تكن بقلبك ملتفتا إلى جهة المرئي لن تراه مادمت أنت كذلك ، وإذا كنت ملتفتا إليه فكنت رائيا له حقيقة فالقلب هو الرائي حقيقة ، وإنما تقع جهة الرؤية بالإبصار فإنك تمد بصرك إلى جهة المرئي

---

(١) علل الشرايع ١ / ٥

بالتفات قلبك وينطبع في الجليدية شبح ذلك المرئي فيراه قلبك ، فالبصر هو الواسطة التي هي بمنزلة الآلة ، فيأخذ قوة الإبصار عن القلب ويمد القلب بالإبصار فكذلك النبي والملك ، وبهذا تستبصر أمرك ولا قوة إلا بالله ، فلا يكون تنافيا بين ما ذكرنا وبين هذه القاعدة .

ونمثل لك مثالا آخر ولا قوة إلا بالله وهو أن خواطرك الواردة عليك وعلى قلبك إنما يرد من القلب وترد إلى القلب وهي وردت من القلب ، فهي من القلب وإلى القلب فتفطن ، فإذا عرفت ذلك عرفت كيفية إتيان جبرائيل والملائكة بالوحي فلا تنافي بين القاعدتين .

فلهذا لا يجوز أن يكون نبي الإنسان من الملائكة ، ولذلك قال تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾[1] فإن مدخول (لو) يفيد الامتناع وهو ينبئ عن عدم الجواز بمقتضى الأسباب ، ولوأراد أن يبعث إليهم الملك لجعله بشرا ، فلم يكن ملكا حيث كان بشر فيلزم انقلاب الماهية ، ولا يجوز ذلك بمقتضى الأسباب لقوله تعالى ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾[2] فافهم .

قال : وثانيا النقل كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾[4] .

أقول : الآية الثانية لا مدخلية لها في كون النبي يجب أن يكون من البشر ، بل إنما يبين بعد ما ثبت بغير هذه الآية وجوب بعث البشر وكيفية

(١) الأنعام ٩
(٢) الصافات ١٦٤ – ١٦٦
(٣) النحل ٤٣
(٤) الشورى ٥١

إيصال الشرايع والتكاليف إلى ذلك النبي ، وذاك لا يكون إلا بالوحي أو من وراء حجاب أو يرسل الملائكة ، ومعنى هذه الآية الكريمة أن اللّه لا يظهر بذاته لأحد أبدا ، ولا يعرف نفسه إلا بلسان أنبيائه صلوات اللّه عليهم ، وإيصال تلك المعرفة والبيان لا تكون إلا بواحد من هذه الثلاثة ، أعني الوحي وهو الإلهام ، والقذف في القلوب وهو يكون بلا واسطة أومن وراء حجاب ، كتكليمه موسى عليه السلام من الشجرة فإن المتكلم هو اللّه سبحانه بلسان الشجرة فكانت الشجرة بهذه الملاحظة هي لسان اللّه ، أو يرسل رسولا كجبرائيل ولا دلالة في هذه الآية على وجوب كون البشر نبيا . . .

قال : وقال تعالى **﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾**(١) وقال تعالى **﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾**(٢) وقال تعالى **﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾**(٣) وقال **﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾**(٤) وقال تعالى بعد ذكر بعض من الأنبياء **﴿ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾**(٥)

أقول : ظاهر هذه الآيات الباهرات ليست ناصة على مطلبه ، ولا فيها دلالة على ما يريد ، لأن مقصوده تعيين إرسال البشر إلى البشر والسر في ذلك ، اللّهم إلا أن نتكلف ونؤول الآيات ونقول إنها تدل على المطلوب بانضمام أدلة أخر ، وهي أن اللّه سبحانه أخبر بإرسال الرسل من البشر إلى

---

(١) إبراهيم ١١
(٢) البقره ١٢٤
(٣) آل عمران ٣٣ - ٣٤
(٤) الأنعام ٩٠
(٥) الأنعام ٨٦ - ٨٧

البشر ، واللّه عز وجل حكيم ولا يفعل المرجوح في الواقع ، لأن ذلك ينشأ عن الجهل واللّه سبحانه عالم بكل شيء ولا يجهل شيئا ، فلا يفعل إلا الراجح في الواقع ونفس الأمر ، فكونه أخبر عن ذلك منبئا عن كونهم أنبياء ، وكونهم أنبياء لا يكون إلا المرجح في الواقع ، والمرجح لابد وأن يكون من عند ذلك الشيء لا من عند اللّه كما قررنا ذلك سابقا فراجع تفهم .

وبالجملة فإن فعله يدل على رجحان ذلك الفعل في الواقع ، وهو لا يفعل إلا الراجح ولا يترك إلا المرجوح فافهم ، فإنا لوتكلفنا وقلنا أن هذه الآيات تصلح أن تكون دليلا على مطلوبه لا تكتم إلا بانضمام أدلة أخر ، وذلك يحتاج إلى التأويل كما لا يخفى على العارف بأسرار التنزيل .

المقام الثالث

قال : المقام الثالث في لزوم اقتران النبي بالمعجزات التي هي أمر واقعي خارق للعادة، بسبب كونه بلا توسط سبب أرضي أوسماوي أومركب، وكونه مما لا يتمكن الخلق على تحصيلها بالتكسب والتعلم ونحو ذلك كما في الحوادث العادية المسببة عن سبب تلك الأسباب ، جليا كان السبب أوخفيا موجبا للأشياء بخارق العادة كما في أمثال الشعوذة ، مع كون ذلك الأمر الخارق للعادة مقترنا بادعاء نحو النبوة الممكنة مطابقا، فيمتاز عن الإرهاص والكرامة والسحر مفهوما ومصداقا .

أقول : المعجز هو أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرونا بالتحدي تصديقا له ، وإنما قيدنا بقولنا مع عدم المعارضة ليخرج السحر والشعوذة لأن معارضتهما ثابتة ، وقلنا مع التحدي وهو في اللغة المنازعة وهاهنا المنازعة في النبوة ، وقيل التحدي هو أن يطلب المتحدي عن القوم أن يطلبوا منه ما يظهر به عجزهم ليخرج الكرامات ، لأنها لا تكون مع التحدي والدعوى والإرهاص ، وهو العلامة على بعثة النبي قبل بعثته كالنور الذي ظهر في جبين عبد اللّه بن عبد المطلب ابن هاشم ، فإنه تأسيس لقاعدة النبوة ، يقال رحضت الحايط أي أسسته .

والكرامة هي أمر خارق للعادة مع عدم اقترانه بالتحدي ، ووقع النزاع بين المسلمين في جواز وقوع الكرامة من الأولياء ، فذهبت المعتزلة وأبو إسحاق الأسفرايني على عدم جواز وقوع الكرامة ، لأنه لوجازت الكرامة تميزت المعجزة عن غيرها والنبي من غيره .

والجواب عن ذلك أنا قلنا أن المعجزة لابد وأن تكون مقترنة بالتحدي دون الكرامة ، إذ لا يجوز للولي أن يدعي الخارق إذ لا فائدة فيه على يده كما ذكرتم ، بل يظهر منه بدون دعواه وهذا يدل أيضا على تقرير نبوة النبي عليه السلام ، لأن الكرامة إنما تظهر على يد من هو مؤمن معتقد للرسول تابعا له ، فلو لم تكن نبوته حقة لما ظهر الخارق على يد متابعه ومعتقده .

والسحر هو التصرف في الحس المشترك بحيث يخيل له أن هذا الأمر المشاهد في البصر مطابق الواقع وهو مخالف الواقع في الواقع ، ولتصرف الساحر في الحس المشترك توهم الناظر بأنه هو الواقع ، ولذلك قال تعالى ﴿فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾[1] .

فالفرق بين السحر والكرامة والمعجزة أن السحر ليس هو الأمر الواقعي بل هو تخيل يظهر للناظر بسبب تصرف في الحس المشترك ، والكرامة هو الأمر الواقعي الموجود في نفس الأمر غير مقترن بالتحدي ودعوى النبوة ، والمعجزة هي الأمر الواقعي والموجود في الخارج مع اقترانه بالتحدي ودعوى النبوة .

وقوله (بسبب كونه بلا توسط سبب أرضي أو سماوي أو مركب) ما أدري ما يعني بذلك إن أراد أنه يظهر على يده بلا سبب فهو غلط ، لأن الأشياء إنما تجري على الأسباب ، وأن اللّه سبحانه أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها ، والأسباب لا تخرج من أسباب السماوي والأرضي .

ونقول سبب وقوع المعجزة تصديق النبي ، والمعجزة لا تظهر إلا في شيء موجود يكون متحققا في الخارج ، فتوسط السبب مما لابد منه في كل شيء .

وقوله (مما لا يتمكن الخلق على تحصيله بالتكسب) فهو حق لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه .

---

(١) طه ٦٦

قال : يدل على ذلك أولا العقل لأن اللطف الواجب المقتضي لبعث البشر المعصوم موقوف على تعريف ذلك المعصوم ولا يتم إلا به، وذلك لا يتم إلا بالمعجزات المصدقة لخفاء العصمة وتوقف ظهورها على تصديق الله له بالمعجزة، فيكون الاقتران بها لازما مع أنه راجح وتركه مرجوح واختيار المرجوح قبيح . . .

أقول : لابد من اقتران المعجزة بدعوة النبوة حتى يمتاز الصادق عن الكاذب ليتم الغرض الأصلي ، لأنه لو لم يكن كذلك لم يتم المقصود وليظهر عصمته بعد ظهور المعجزة ، لأن العصمة أمر خفي لا يهتدي إليه كل أحد من الناس حتى يصدقه بدعوته ، فلما بانت المعجزة بانت العصمة ، ولما بانت العصمة تعين وجوب اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، لأنه لا يقول إلا بما أمر اللّه به ولا ينهى إلا عما نهى اللّه عنه فأمره أمر اللّه ونهيه نهي اللّه ، لأنه متمحض في إرادته ولذلك قال اللّه تعالى ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾[2] فالنبي في الحقيقة هو لسان اللّه المبين لإرادة اللّه حينئذ فيوجب اتباعه إتباع اللّه . . .

قال : وثانيا النقل كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[3] ونحوذلك ، وعن أبي بصير قال : (قلت لأبي عبد الله عليه السلام لأي علة أعطى الله عز وجل أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة، فقال : ليكون دليلا على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب)[4] ونحوذلك .

أقول : الآيات والروايات بهذا المعنى كثيرة جدا فلتطلب من مظانها .

---
(١) النساء ٨٠
(٢) آل عمران ٣١
(٣) الإسراء ١٠١
(٤) العلل ١٢٢/١

المقام الرابع

قال : المقام الرابع : أن محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ رسول الله ونبيه المعصوم المنزه المقترن بالمعجزات التي منها المعراج الجسماني وشق القمر والقرآن، يدل على ذلك أنه ﷺ ادعى النبوة الممكنة ، وأتى على طبقها المعجزة كالقرآن الذي عجز عن معارضته الفصحاء كفصحاء عدنان فهو حق ، أما الصغرى فللتظافر القطعي ، وأما الكبرى فللبرهان العقلي لقبح صدور المعجزة عن يد الكاذب لاستلزامه فوت الغرض والإغراء بالجهل والإضلال ...

أقول : لما كان المقصود من بحث النبوة إثبات نبوة نبينا محمد بن عبد الله ﷺ فنقول ولا قوة إلا بالله أنه رسول الله خلافا لليهود والنصارى والمجوس ، ودليلنا على ذلك من وجهين .

الأول : أنه ادعى النبوة وأظهر الله على يده المعجزات القاهرات والآيات الباهرات .

والثاني : إخبار الأنبياء المتقدمين .

أما الأول فلأنه صلوات الله عليه وآله ادعى النبوة وعلم ذلك بالتواتر القطعي وأتى بالمعجزات ، منها أنه صلوات الله عليه وآله أراهم آيات جميع الأنبياء ، ومنها إخبار المغيبات ، ومنها إنطاق الجبل الوعر بشهادة نبوته ، وكذلك نطق الأحجار ، ومنها انقلاع الجبل من مكانه ومجيئه إليه صلوات الله عليه وآله ، ومنها تنطق البعير وشهادته له ، ومنها أنه سير الله السم في

جوفه بردا وسلاما لما سمته الخيبرية ، ومنها أنه انفجرت من أصابعه عيون الماء لما أصاب أصحابه الظمأ حين نزل الحديبية ، ومنها أنه تفجرت اثنتا عشرة عينا من تحت سهمه في الحديبية ، ومنها أنه نصب يده في ميضاة ففاضت بالماء وارتفع حتى توضأ منه ثمانية آلاف رجل ، ومنها مخاطبته الشاة المسمومة إياه لما نزل بالطائف فقالت يا رسول اللّه لا تأكلني فإني مسمومة ، ومنها تسبيح الحصى في كفه صلوات اللّه عليه وآله ، ومنها أنه كلمه الموتى من بعد موتهم واستغاثتهم به بما خافوا تبعته ، ومنها إحياء الموتى في الجبانة ، ومنها حنين الجذع ، ومنها انشقاق القمر ، ومنها المعراج الجسماني ، ومنها القرآن إلى غير ذلك من معجزاته صلوات اللّه عليه وآله ، وقد ذكر العلماء من معجزاته ما يزيد على الألف وإلا حادوا إن لم تكن متواترة إلا أن مجموعها بلغ حدا لا يمكن إنكاره ، والباقي من معجزاته في هذه الأزمان القرآن المجيد ، الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[1] ، وهو يبقى إلى أبد الأبد ودهر السرمد ، وهو أجلى معجزة لإثبات نبوته وإعجازه من وجوه .

منها اشتماله على الفصاحة والبلاغة التي عجز جميع الفصحاء عن إتيان مثله ، وإتيان سورة من مثله فإن له تركيبا خارجا من تركيب أساليب ألفاظهم وأشعارهم وخطبهم ، فهو خارج عن النظم والنثر ومحتويا لجميع أنحاء الفصاحة والبلاغة ، فأتى به معجزة مقرونة بالتحدي ، وخيّرهم بين المعارضة والمحاربة فدعاهم العجز عن المعارضة إلى المقاتلة والمحاربة وقد كانوا أهل الفصاحة والبلاغة ، وكان افتخارهم فيما بينهم بإتيان كلمات فصيحة

---

(١) فصلت ٤٢

بليغة فالعدول عن المعارضة إلى المحاربة دليل على عجزهم وعدم قدرتهم على معارضته ، لأن من له أدنى مسكة لا يختار المحاربة والسبي وقتل النفوس على المعارضة بالبداهة .

لا يقال أنهم عارضوه ولم يتمكنوا من إظهاره .

لأنا نقول لوتمكنوا من معارضته وعارضوه لبلغ إلينا تواترا بل وكان أشهر من القرآن ، لأن مثل هذا الأمر العظيم يستحيل إخفاؤه كما يستحيل إخفاء القرآن ، لأن فيه إبطال ما جاء به صاحب القرآن وتخريب بنيانه ، ولاشتهر أمره بحيث لا يخفى على جاهل ، هذا وقد بلغنا تواترا أنه تحدى ولم يستطع أحد معارضته إلى الآن ، ولن يقدر أحد إتيان مثله أبد الأبد ودهر السرمد ، فكل من له سعال فليسعل ﴿ **وَما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللّهِ وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ** ﴾[(١)]

ولقد اجتمع رؤساء الزنادقة عبد الكريم ابن أبي العوجاء ، وأبوشاكر الديصاني وعبد الملك البصري وابن المقفع عند بيت اللّه الحرام في أيام خلافة بني عباس يستهزئون بالحاج ويطعنون على القرآن ، فقال ابن أبي العوجاء (تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد ﷺ وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه ، فاتفقوا على ذلك وافترقوا فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام فقال ابن أبي العوجاء : أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً** ﴾ فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئا

(١) يونس ٣٧ - ٣٨

فشغلتني هذه الآية عن التفكر فيما سواها ، فقال عبدالملك : وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوب** ﴾ ولم أقدر على الإتيان بمثلها ، فقال أبوشاكر : وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية ﴿ **لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلا اللّهُ لَفَسَدَتا** ﴾ لم أقدر على الإتيان بمثلها ، فقال ابن المقفع : يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية ﴿ **وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ ولم أبلغ غاية المعرفة بها ولم أقدر على الإتيان بمثلها ، قال هشام بن الحكم فبينما هم في ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا إلى جعفر بن محمد عليه السلام والله ما رأيناه قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته ثم تفرقوا مقرين بالعجز)[1] .

وبالجملة لم يستطع أحد إتيان شيء يعارض القرآن .

ومنها اشتماله على أخبار الأنبياء وقصصهم وحكاياتهم التي كانت مخفية على الناس ، ومنها اشتماله على أخبار المغيبات كقوله تعالى ﴿ **الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ** ﴾[2] الآية وقد أجمع أهل السير والتواريخ على وقوع الأمر ، كما أخبر إلى غير ذلك من

(١) الاحتجاج ٢ / ٣٧٧
(٢) الروم ١ - ٤

أخبار المغيبات ، وكقوله تعالى ﴿ **لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾[1] فإنه أخبر عن عدم إتيان مثله أبد الأبد ودهر السرمد ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ** ﴾[2] فإنه سبحانه أخبر أنه لن يقدر أحد على إتيان سورة من مثله ، ولن لنفي التأبيد ، وقد مضى من أيام هجرة الرسول صلوات اللّه عليه وآله ما يزيد على ألف ومائتين وأربعين ولم يدع أحد أنه أتى فلان بمثل القرآن أو مثل بعض آية من القرآن ، وهذا الحكم يجري إلى أبد الآبدين ، ومثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن عالم بالأحوال الماضية والمستقبلة ليخبر عن الاستقبال على كمال الاستقلال فهذه الآيات تشهد على اشتمال القرآن بالإخبار عن المغيبات وكذلك سائر الآيات المخبرة عن الأمور الآتية .

وأما الثاني فلإخبار الأنبياء المتقدمين فقد أخبر يوحنا الديلمي في الإنجيل بأن المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشرني به بأنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به .

وفي الإنجيل قال عيسى (إني ذاهب إلى ربكم وربي والبارقليطا جائي هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له ، وهو الذي يفسر لكم كل شيء وهو الذي يبدي فضائح الأمم وهو الذي يكسر عمود الكفر)[1] .

وفي الإنجيل (إن بن البر ذاهب والبارقليطا جائي من بعده وهو يخفف

(١) الإسراء ٨٨

(٢) البقرة ٢٣ - ٢٤

(٣) البحار ١٠ / ٣٠٥

الآصار ويفسر لكم كل شيء يشهد لي كما شهدت له ، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل)[١] .

وفي كتاب شعيا عليه السلام (يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابسا جلابيب النور ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر)[٢]

وفي كتاب حقوق النبي عليه السلام (جاء اللّه بالبيان من جبل فاران وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأمته يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس)[٣] .

وفي زبور داود عليه السلام (اللّهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة)[٤] .

وفي التوراة (إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جدا جدا تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فإن بأيديهم سيوفا ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض)[٥]

وأوصى موسى بني إسرائيل فقال لهم (سيأتي نبي من إخوانكم فبه فصدقوا ومنه فاسمعوا فهل تعلم أن لبني إسرائيل أخوة غير ولد إسماعيل)[٦]

وفي التوراة (جاء النور من جبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران)[٧] .

إلى غير ذلك من أخبار الأنبياء مما يطول بنقلها الكلام .

---

(١) البحار ١٥ / ٢٣١
(٢) البحار ١٤ / ١٦٢
(٣) البحار ١٠ / ٣٠٨
(٤) البحار ١٠ / ٣٠٥
(٥) البحار ١٠ / ٣٠٥
(٦) البحار ١٠ / ٣٠٧
(٧) البحار ١٠ / ٣٠٨

وبالجملة فنبوته صلوات اللّه عليه وآله مما لا ريب فيه والمنكر إن نظر بعين الإنصاف وجد الأمر ظاهرا على ما بيناه ولا قوة إلا باللّه .

احتج اليهود ومن حذا حذوهم إنكار النبوة لنبينا ﷺ بعدم جواز نسخ الشريعة ومن ذلك قولهم باستحالة البداء على اللّه لاستدلالهم بجفاف القلم بما هو كائن فإذا صح البداء صح تغييره وإذا صح تغييره صح حدوثه سبحانه ، وأما استحالة النسخ فلأن اللّه سبحانه كامل وكل أفعاله كاملة محكمة متقنة ومن جملة أفعاله خلق الخلق للكمال وإرسال الأنبياء والشريعة لتكملتهم فلوجاز وقوع النسخ كان فعله ناقصا غير كامل وهذا خلف ويلزم منه جهله أوبخله مع عدم الجهل أو الإغراء بالجهل ، وأصل دليلهم أن الشيء الممكن ما لم يترجح لم يوجد فإن ترجح في الواقع ونفس الأمر كان الخلق مكلفا بإتيانه على نحو الوجوب وهذا الشيء الذي وجب ترجح وجوده بمرجح وهو في الواقع عند اللّه كذلك ، فما كان عند اللّه كذلك بحسب الواقع ونفس الأمر استحال تغيره عن تلك الحالة التي هو عليها من التراجح إذ ثبوته رجحانه ونسخه مرجوحيته والشيء الواحد يستحيل في حد ذاته أن يكون راجحا ومرجوحا وهل هو إلا جمع بين الضدين فإذا استحال النسخ استحال وجود شريعة غير شريعة موسى عليه السلام .

فنقول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم إن دليلهم يخيل في بادي النظر كالسحر فما جاءوا به من السحر فإن اللّه سيبطله ولا قوة إلا باللّه ، فاعلم أن النسخ هو بداء تشريعي كما أن البداء نسخ وجودي وهو عبارة عن امتداد حكم الشيء إلى انتهاء زمانه في الوجود ، والحكم يتبع صفة الشيء لا عين ذات الشيء فالشيء الواحد يتحقق له صفات متعددة ويتلبس لباسا عديدة

بحسب الأحوال والأوضاع ، فالنسخ إنما يجري على الشيء باعتبار الصفة إذ محل اعتبار هذه الصفة في هذا الآن لا في غيره ولا مدخلية للنسخ في حد ذات الشيء ، وكذلك البداء بالنسبة إلى اللّه معناه الإبداء لا الابتداء حتى يلزم جهله ولا ينافي ذلك جفاف القلم فإنه جف عند اللّه كما ورد عن النبي ﷺ (جف القلم بما هو كائن)[1] في جوابه لسراقة بن مالك ، والبداء هو إظهار ذلك الشيء للغير ولذلك قيل غيبني إذا بدا إذا بدا غيبني ومن ذلك ورد في تفسير البداء عن أهل بيت العصمة بأنه شئون يبديها ولا يبتديها ولما لم يتفطن بعض أهل الزيغ بهذه الدقيقة تبعوا اليهود في إنكار البداء وقالوا تبعا لليهود ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا** ﴾[2] فلوكان اللّه سبحانه على ما زعموا لخرج عن سلطانه ولكان معزولا عن تسلطه وقهره واستيلائه على جميع خلقه ، ولعمري لوكان كما زعموا للزم اختلاف الأحوال وانتقاله من حال إلى حال لأن حين خلق الخلق والإفاضة غير زمان عدم الإفاضة وخلق الخلق فطري عليه الحالات وإذا صح عليه طريان الحالات صح حدوثه فبطل ما تمسكوا به وصح بأن اللّه لا يشغله شأن عن شأن وكل يوم هو في شأن مع صحة جفاف القلم بما هو كائن ، لأنه سبحانه لا ينتظر لشيء وإلا للزمه الانتقال من حال إلى حال ولا خلق ففرغ واستراح من بعث الخلق كما زعمه اليهود للزوم طريان الأحوال ، وكل ذلك من صفات الحدوث وهو سبحانه ببديع صنعه أجراه ولا يجري عليه ما هو أجراه فلا تسبقه الأحوال ولا يجري عليه ماضي ولا حال ولا استقبال .

وقولهم (وهذا الشيء الذي وجب ترجح وجوده . . الخ) غلط صرف

(١) علل الشرايع ٢ / ٣٤٨
(٢) المائدة ٦٤

لأنك عرفت أن الأحكام بأسرها تدور مدار الصفات والصفات ليست هي عين الذات حتى ترفع الذات بارتفاع الصفات ولا تكون مرجوحة عند مرجوحية الصفات فإن رجحان تلك الصفات إنما هي تتحقق في رتبتها لا في رتبة الذات ، فالشيء الواحد يجوز في آنين أن يكون راجحا ومرجوحا بل وفي آن واحد راجحا من وجه ومرجوحا من وجه فمن هذا يصح وقوع النسخ لأن النسخ انتهاء استمرار الحكم فإن اللّه سبحانه لم يخلق شيئا إلا لما هو عليه كما عرفت سابقا ، واقتضى ظهور ذلك الشيء في الزمان الفلاني دون غيره وأعطاه اللّه سبحانه ذلك بقابليته .

وقولهم (يلزم جهله) غلط صرف إذ الجهل إنما يلزم إذا لم يكن محيطا بجميع الحالات والشؤونات والمقتضيات ، والأمر ليس كذلك لأنه سبحانه عالم بالأشياء الفائتة والآتية والباقية والفانية كليها وجزئيها في أزمنتها وأمكنتها قبل وجودها وحين وجودها وبعد وجودها على حد سواء لأنه يتنزه عن الانتقال من حال إلى حال ، واللّه تعالى إنما جعل البداء ليبين أنه هو الفعال لما يشاء كما قال ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾[1] من بداء لو غير ذلك ما كان لهم الخيرة في نفي البداء عنه والاعتراض عليه بمثل هذه الخرافات والخطب الواهية بعد علمهم بقوله تعالى ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾[2] .

قولهم (بعث الأنبياء لتكملتهم ... الخ) نعم إن اللّه لم يخلق الخلق إلا لأجل تكملتهم وترقيتهم إلى مراتب المعارف ، لكن لما كان اللّه سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها لأنه حكيم وجرت الحكمة بأن لا يجبر أحدا من

---

(١) القصص ٦٨

(٢) الأنبياء ٢٣

الخلق بل يكلفهم بما يطيقون ، وبنية الخلق والعالم وإدراك الخلق للأشياء كل آن يزداد قوة فيكون بذلك اختلاف تكاليفهم لأن التكليف يتغير بتغير الموضوع فإذا تغير الموضوع تغير الحكم وتغير الموضوع مما لا يحتاج إلى بيان إذ هو من المعقولات الثانوية والبديهيات الأولية ، فإذا صح تغيير الموضوع وجب تغيير الحكم والتكليف ولا نعني بالنسخ إلا ذلك ، فالكمال المطلق وجوب وجود النسخ في الشرايع والتكاليف ويدل على صحة ما قلنا نسخ الشرايع التي كانت قبل زمان موسى مثل شريعة آدم عليه السلام فإنها كانت باقية إلى زمان نوح عليه السلام فنسخت بشريعة نوح عليه السلام وبقيت شريعة نوح عليه السلام إلى زمان إبراهيم عليه السلام فنسخت بشريعة إبراهيم عليه السلام وبقيت شريعة إبراهيم عليه السلام إلى زمان موسى عليه السلام فنسخت بشريعته وهكذا شريعة موسى عليه السلام نسخت بشريعة عيسى عليه السلام وشريعة عيسى عليه السلام بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله ، ولا يستطيع أحد من الخلق إنكار وقوع النسخ في الشرايع ضرورة ، إن مذهب النصارى وطريقتهم غير اليهود وكذا اليهود مذهبهم ودينهم وقبلتهم غير النصارى والمجوس وكذلك المجوس طريقتهم مخالفة لطريقة النصارى واليهود فإن لم يكن النسخ موجودا في الشرايع فلم تكن الشرايع إلا شريعة واحدة وطريقة واحدة وهذا خلف ، فثبت وجود الشرايع وثبت بوجود الشرايع وقوع النسخ وهذا مما لا يحتاج إلى بيان ، فالدليل إنما يدل على جواز وقوع النسخ في جميع الأزمان والأديان إلا في شريعة نبينا صلى الله عليه وآله بعد رحلته من الدنيا لأنه خاتم الأنبياء ، ومعنى الختمية لا يتحقق إلا فيما لا يجوز بعده وجود شيء وهذا ظاهر من مفهوم الخاتمية وهو أخبر عن الله بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته باقية إلى يوم الدين .

وقد ذكر سيدي وسندي ومن إليه في كل حق مستندي سيد الأفاضل والأعاظم السيد كاظم أطال اللّه بقاه وسلمه وأبقاه في رسالته الموضوعة في إثبات النبوة الخاصة كلاما في استحالة نسخ شريعته ﷺ ووجوب كون الشرايع ستة يعجبني ذكره قال أطال اللّه بقاه (ولما ثبت في محله أن تمام الشيء لا يكون إلا بالستة ولذا كانت الستة هي العدد التام ، وثبت أيضا أن العالم عالمان عالم الغيب وعالم الشهادة ، ودلت الأدلة العقلية على أنهما متطابقان كما ذكرنا في أجوبة بعض المسائل ، وعالم الشهادة بلغ غايته من التمام ، وهو البلوغ في مرتبة الإنسانية التي هي أشرف المراتب وأعلاها ، وأقصى الغايات وأسناها في ستة أطوار ، طور المعادن وطور النباتات وطور الحيوانات من البهائم وطور الملائكة وطور الجن وطور الإنسان ، وفي هذه الستة تمت وكملت حتى صلحت لظهو ر الدولة المباركة الإنسانية ، فاستدعت ظهور آدم عليه السلام ، وكذلك نضج البنية الإنسانية لا يكون إلا بستة أطوار ، طور النطفة وطور العلقة وطور المضغة وطور العظام وطور اكتساء اللحم وطور إنشاء الخلق الآخر ، وكذلك نضج الشيء حتى يظهر مشروح العلل ومبين الأسباب لا يكون إلا بستة أيام يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وجب أن يكون نضج عالم الغيب وعالم الأرواح لا يتم حتى يستدعي ظهور الإنسان الكامل وآدم الأول إلا بستة أطوار ، ولما كانت الأطوار الشهودية سبب نضجها وتمامها الأسباب الظاهرية من الفصول الأربعة والمادة والصورة والطبائع والقرانات الجسمانية ، كانت الأطوار الغيبية سبب نضجها وتمامها الأسباب المعنوية والطبائع الروحانية الحقيقية ، وهي الأعمال والأفعال وأنحاء التوجهات إلى الحق

سبحانه وتعالى والميولات الذاتية والعرضية والحقية والخلقية وغيرها من الأحوال ، وكما أن الأسباب الشهودية لها مبادئ من الأفلاك والكواكب ، كذلك الأسباب الغيبية تكون لها مبادئ من الحجج الإلهية الظاهرة بالهياكل البشرية كما قدمنا ذكره وبيانه ، ولما كانت هذه الأطوار الستة كل طور إذا انتقل إلى طور آخر تنتقل جميع أحكامه إلى الأحكام الأخر وتبطل الأحكام الأولى عند هذا الموضوع المتغير ، ألا ترى النطفة فإنها ماء أبيض غليظ فإذا صارت علقة يبطل البياض وتأتي الحمرة ، وكذلك حكم العلقة إذا جاء طور المضغة كارتفاع حكم المضغة عند طور العظام وهكذا إلى ولوج الروح ، وبعد ذلك لا يرتفع حكمه أبدا إلا أنه يختلف اختلافا شديدا مع بقاء الأصل والموضوع ، إلى أن يبلغ الولد ويكون حكما لا اختلاف فيه إلى أن يكبر ويهرم ويموت ويعود إلى عالم آخر محفوظ فيه ، والروح وأحكامها فلا ترتفع أحكامها أبدا كما أن ذات الروح لا ترفع وإن اختلف أحوالها وذلك واضح معلوم ، ولما كانت الشرايع بالضرورة هي أحكام إلهية تحملها حججه وسفراؤه إلى المخلوقين المكلفين حسب اقتضاء أرواحهم وميولات كينوناتهم ، وهي لما وجب أن يكمل ويتم بعد ستة أطوار وجب أن يطرأ النسخ على الشرايع خمس مرات ، والشريعة السادسة يجب أن تكون باقية وثابتة على الدوام إلى يوم القيام ، بل وما بعده من السنين والأعوام أبد الأبد ودهر السرمد ، لبقاء الموضوع المستدعي للحكم والفيض الخاص به ، ونسخ كل شريعة تنبئ عن نضج بنية العالم وقوتها بمرتبة أو بمرتبتين أو ثلاث ، كما أن رفع حكم العلقة وصيرورتها مضغة ينبئ عن قوة الجنين ونضج بنيته ، وكلما تقوى البنية تقرب إلى التحمل لإشراق تلك الأنوار الإلهية ، التي كانت

هذه الحجج مقدمة لظهورها وممكنة للقوابل للمعان نورها ، ولأن الأصل والمقصود بالذات ظهور تلك الحقائق المقدسة المنورة ، وبهم احتج اللّه سبحانه على خلقه وعرف بريته صفاته وأسماءه ، ولكنه قد حصل مانع لظهورهم وهو عدم تحمل العالم لعدم نضج بنيته النضج التام فظهروا بحججهم ووسائطهم وهم الأنبياء عن أهل الرتبة الثانية إلى أن جرى النسخ ، فبعد إتمام الخامسة في السادسة يجب أن يظهر روح العالم الوجود المقتضي ورفع المانع ، وذلك الروح هو أولئك الأربعة عشر الذين بهم قوام الخلق ، كما أن بالروح قوام البدن وتظهر الروح بعد نضج البدن وقوته لتحمله وذلك إذا مرت عليه ستة أطوار ، وكذلك إذا ظهرت الشرايع الستة يجب أن يكون حامل الشريعة السادسة هو ذلك النير الأعظم والنور الأقدم ، فيجب أن لا تنسخ شريعته ولا يطفأ نوره ولا تخفى حجته . .) انتهى ما أفاد ولقد أجاد فيما أفاد .

وبالجملة قد ثبت مما بيننا أن محمدا رسول اللّه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته باقية إلى يوم الدين .

قال : مضافا إلى النقل كما قال اللّه تعالى ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾[3] وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾[4] وقال تعالى ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً ﴾[5] وقال

(١) آل عمران ١٤٤
(٢)محمد ٢
(٣)الفتح ٢٩
(٤)الأعراف ١٥٧
(٥)الأحزاب ٤٥ - ٤٦

تعالى ﴿ لا ينالُ عهدي الظالمينَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّركُم تطهيراً ﴾[2] وقال تعالى ﴿وإن كُنتُم في ريبٍ ممَّا نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله ﴾[3] وقال تعالى ﴿ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كانَ بعضُهُم لبعضٍ ظهيراً ﴾[4] وقال تعالى ﴿ ما ضلَّ صاحبُكُم وما غوى ❖ وما ينطقُ عنِ الهوى ❖ إنْ هوَ إلاَّ وحيٌ يوحى ❖ علَّمهُ شديدُ القوى ❖ ذو مرَّةٍ فاستوى ❖ وهوَ بالأفقِ الأعلى ❖ ثمَّ دنا فتدلَّى ❖ فكانَ قابَ قوسينِ أو أدنى ❖ فأوحى إلى عبدهِ ما أوحى ❖ ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى ﴾[5] وقال تعالى ﴿اقتربتِ السَّاعةُ وانشقَّ القمرُ ﴾[6] وقد روي عن الباقر والصادق عليهما السلام في حديث المعراج ما حاصله أن جبرائيل وميكائيل وإسرافيل جاءوا بالبراق الذي هو أصغر من البغل وأكبر من الحمار مضطرب الأذنين عينه في حافره وخطاه مد بصره إذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه حدب العرف الأيمن له جناحان من خلفه وفخذه وهي دابة من دواب الجنة أحسن الدواب لونا، لوأذن الله تعالى لجالت الدنيا والآخرة في جرية واحدة، خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل إلى رسول الله ﷺ وهو نائم في مكة في دار أم هاني أخت علي بن أبي طالب على قول فقال جبرائيل قم يا محمد فقام وخرج معه إلى الباب فأخذ واحد باللجام وواحد بالركاب، وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق، فلطمها جبرائيل عليه السلام

(١) البقره ١٢٤
(٢) الأحزاب ٣٣
(٣) البقره ٢٣
(٤) الإسراء ٨٨
(٥) النجم من ٢ - ١١
(٦) القمر ١

ثم قال اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعد مثله، فركب ﷺ إلى بيت المقدس وناداه في مسيره مناد عن يمينه فلم يجبه ولم يلتفت إليه وإلا لتهودت أمته بعده لكون المنادي داعي اليهود، ثم ناداه مناد آخر عن يساره وهو داعي النصارى فلم يجبه ولم يلتفت إليه وإلا لتنصرت أمته بعده، ثم استقبلته امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت يا محمد تنظرني حتى أكلمك فلم يلتفت إليها فلو كلمها لاختارت أمته الدنيا على الآخرة، ثم سمع صوتا أفزعه قال جبرائيل عليه السلام هو صوت صخرة قذفتها على شفير جهنم واستقرت بعد سنين، فلما انتهى إلى بيت المقدس نزلت ملائكة للبشارة من رب العزة، وعرض عليه جبرائيل محاريب الأنبياء وآثارهم ومنازلهم، فربط البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها، فوجد إبراهيم وموسى وعيسى في من شاء الله من الأنبياء، فلما استووا أخذ جبرائيل وقدمه صلى الله عليهم فصلى، وركب وصعد إلى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة تحته سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك، فقال يا جبرائيل من هذا معك فقال محمد ﷺ، ثم فتح الباب فدخل فرأى عجائبها فسلم عليه واستغفر له وقال مرحبا بالأخ الصالح، وملائكته يصلون عليه ضاحكين مستبشرين عليه، حتى لقيه ملك عظيم كريه المنظر ظاهر الغضب فدعا له إلا أنه لم يضحك فقال يا جبرائيل من هذا فإني قد فزعت منه، فقال كلنا نفزع منه هذا خازن النار لم يضحك قط، فطلب إراءة النار فكشف عنها غطاءها وفتح بابا منها فخرج منها لهب ساطع في السماء فهاب فسد، ثم صعد إلى السماء الثانية فرأى فيها عيسى ويحيى، ثم صعد إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف، ثم صعد

إلى الرابعة فرأى إدريس، ثم صعد إلى الخامسة فرأى هارون، ثم صعد إلى السادسة فرأى إبراهيم، ثم صعد إلى أعلى عليين قرب العرش فرأى الجنة، فكلمه ربه بما كلمه بلسان علي بن أبي طالب عليه السلام قائلا بأني لم أجد في قلبك أحب منه، ثم رجع إلى مكة فلما أصبح حدث بما وقع فكذبه أبو جهل والمشركون، فأخبرهم بما اطلع من أمور الغيب فلم ينفع.

أقول : أما الأدلة النقلية فكثيرة جدا لكنها لا تفيد إلا بعد ثبوت نبوته صلى الله عليه وآله ، لكن مقصود المصنف من إيراد هذه الآيات ذكر قصة المعراج ، وذلك لأجل أمر تعرفه سريعا ، ولكنني إن شاء اللّه أبسط الكلام ولا قوة إلا باللّه .

في الاحتجاج بإسناده عن ابن عباس قال (قالت اليهود موسى خير منك ، قال النبي صلى الله عليه وآله ولم ، قالوا لأن الله عز وجل كلمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء ، فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك ، قالوا وما ذاك ، قال صلى الله عليه وآله هو قوله عز وجل ﴿ **سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ** ﴾ وحملت على جناح جبرئيل حتى انتهيت إلى السماء السابعة فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنة المأوى حتى تعلقت بساق العرش فنوديت من ساق العرش إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرءوف الرحيم ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني فهذا أفضل من ذلك قالت اليهو د صدقت يا محمد)[1] .

وفي الكافي بإسناده عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ(سَأَلَ أَبُوبَصِيرٍ أَبَا عَبْدِاللَّهِ عليه السلام وَأَنَا حَاضِرٌ فَقَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ كَمْ عُرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ مَرَّتَيْنِ فَأَوْقَفَهُ جَبْرَئِيلُ مَوْقِفاً فَقَالَ لَهُ مَكَانَكَ يَا مُحَمَّدُ فَلَقَدْ وَقَفْتَ مَوْقِفاً مَا وَقَفَهُ مَلَكٌ قَطُّ وَلا نَبِيٌّ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي فَقَالَ يَا جَبْرَئِيلُ وَكَيْفَ يُصَلِّي قَالَ

(١) الاحتجاج ١ / ٤٨

يَقُولُ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ أَنَا رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي فَقَالَ اللَّهُمَّ عَفْوَكَ عَفْوَكَ قَالَ وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ قاب قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَقَالَ لَهُ أَبُوبَصِيرٍ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى قَالَ مَا بَيْنَ سِيَتِهَا إِلَى رَأْسِهَا فَقَالَ كَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلأْلأُ يَخْفِقُ وَ لا أَعْلَمُهُ إِلا وَقَدْ قَالَ زَبَرْجَدٌ فَنَظَرَ فِي مِثْلِ سَمِّ الإِبْرَةِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْعَظَمَةِ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا مُحَمَّدُ قَالَ لَبَّيْكَ رَبِّي قَالَ مَنْ لأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُوعَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لأَبِي بَصِيرٍ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا جَاءَتْ وَلايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الأَرْضِ وَ لَكِنْ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ مُشَافَهَةً)[1] .

وفي الاحتجاج عن النبي صلى الله عليه وآله قال لليهود حين قالوا له سليمان خير منك قال صلى الله عليه وآله (ولم ذاك قالوا لأن الله عز وجل سخر له الشياطين والإنس والجن والطير والرياح والسباع ، فقال النبي صلى الله عليه وآله فقد سخر الله لي البراق وهو خير من الدنيا بحذافيرها وهي دابة من دواب الجنة وجهها مثل وجه آدمي وحوافرها مثل حوافر الخيل وذنبها مثل ذنب البقر وفوق الحمار ودون البغل وسرجه من ياقوتة حمراء وركابه من درة بيضاء مزمومة بألف زمام من ذهب عليه جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد مكتوب بين عينيه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمدا رسول الله ، قالت اليهود صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة وهذا خير من ذلك يا محمد)[2] .

وذكر الأميرزا محمد القمي في تفسيره نقلا عن إبان عن عبدالله ابن عطا عن أبي جعفر عليه السلام قال (أتى جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله بالبراق وهو

---

(١) الكافي ١ / ٤٤٢

(٢) الاحتجاج ١ / ٤٩

أصغر من البغل وأكبر من الحمار مضطرب الأذنين ، عينه في حافره وخطاه مد بصره ، فإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه ، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه ، أهدب العرف الأيمن ، له جناحان من خلفه)[1] .

وفي العيون عن رسول اللّه ﷺ قال (إن الله سخر لي البراق وهي دابة من دواب الجنة ليست بالقصير ولا بالطويل فلو أن الله تعالى أذن لها لجالت الدنيا والآخرة في جرية واحدة وهي أحسن الدواب لونا)[2] .

وفي تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام (قال لما أسري بالنبي ﷺ أتي بالبراق ومعها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، قال فأمسك له واحد بالركاب ، وأمسك الآخر باللجام ، وسوى عليه الآخر ثيابه فلما ركبها تضعضعت ، فلطمها جبرئيل عليه السلام وقال لها قري يا براق فما ركبك أحد قبله مثله ، ولا يركبك أحد بعده مثله)[3] .

وفي تفسير علي ابن إبراهيم عن الصادق عليه السلام عن رسول اللّه ﷺ قال (بينا أنا راقد بالأبطح وعلي عن يميني وجعفر عن يساري وحمزة بين يدي وإذا أنا بخفق أجنحة الملائكة وقائل منهم يقول إلى أيهم بعثت يا جبرئيل فقال إلى هذا وأشار إلي ثم قال هو سيد ولد آدم وحواء وهذا وصيه ووزيره وختنه وخليفته في أمته وهذا عمه سيد الشهداء حمزة وهذا ابن عمه جعفر له جناحان خصيبان يطير بهما في الجنة مع الملائكة دعه فلتنم عيناه ولتسمع أذناه وليعي قلبه واضربوا له مثلا ملك بنى دارا واتخذ مأدبة وبعث داعيا ، فقال النبي ﷺ فالملك الله والدار الدنيا والمأدبة الجنة والداعي أنا ،

(١) البحار ١٨ / ٣١١
(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٣١ - ٣٢
(٣) تفسير العياشي ٢ / ٢٧٦

قال ثم أدركه جبرائيل بالبراق وأسرى به إلى بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء فصلى فيها ورده من ليلته إلى مكة فمر في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية فشرب منه وأهرق باقي ذلك وقد كانوا أضلوا بعيرا لهم وكانوا يطلبونه فلما أصبح قال لقريش إن الله قد أسرى بي في هذه الليلة إلى بيت المقدس فعرض علي محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء وإني مررت بعير لكم في موضع كذا وكذا وإذا لهم ماء في آنية فشربت منه وأهرقت باقي ذلك وقد كانوا أضلوا بعيرا لهم ، فقال أبوجهل لعنه الله قد أمكنكم الفرصة من محمد سلوه كم الأساطين فيها والقناديل ، فقالوا يا محمد إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه فجاء جبرئيل فعلق صورة البيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه فلما أخبرهم قالوا حتى تجيء العير ونسألهم عما قلت ، فقال لهم وتصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر ، فلما أصبحوا وأقبل ينظرون إلى العقبة ويقولون هذه الشمس تطلع الساعة فبيناهم كذلك إذ طلعت العير مع طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر فسألوهم عما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا لقد كان هذا ، ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا ووضعنا ماء وأصبحنا وقد أهريق الماء فلم يزدهم ذلك إلا عتوا)[1] .

وفي تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي بردة الأسلمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام (يا علي إن الله أشهدك معي في سبعة مواطن أما أول ذلك فليلة أسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل أين أخوك

(١) تفسيرالقمي ٢ / ١٣

فقلت خلفته ورائي قال ادع الله فليأتك به فدعوت الله وإذا مثالك معي ، وإذ الملائكة وقوف صفوف ، فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هم الذين يباهيهم الله بك يوم القيامة ، فدنوت فنطقت بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة ، والثاني حين أسري بي في المرة الثانية فقال لي جبرئيل أين أخوك قلت خلفته ورائي قال ادع الله فليأتك به فدعوت فإذا مثالك معي فكشط لي عن سبع سموات حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها ، والثالث حين بعثت إلى الجن فقال لي جبرئيل أين أخوك قلت خلفته ورائي فقال ادع الله فليأتك به فدعوت الله فإذا أنت معي فما قلت لهم شيئا ولا ردوا علي شيئا إلا سمعته ، والرابع خصصنا بليلة القدر وليست لأحد غيرنا ، والخامس دعوت الله فيك وأعطاني فيك كل شيء إلا النبوة فإنه قال خصصتك يا محمد بها وختمتها بك ، وأما السادس لما أسري بي إلى السماء جمع الله لي النبيين فصليت بهم ومثالك خلفي)[1] .

وفيه أيضا بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال (جاء جبرئيل ميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ واحد باللجام وواحد بالركاب وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها جبرئيل ثم قال لها اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله ، قال فرقت به ورفعته ارتفاعا ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الآيات من السماء والأرض ، قال فبينا أنا في مسيري إذ نادى مناد عن يميني يا محمد فلم أجبه ولم ألتفت إليه ثم ناداني مناد عن يساري يا محمد فلم أجبه ولم ألتفت إليه ثم استقبلتني امرأة كاشفة عن ذراعيها وعليها من كل زينة الدنيا فقالت يا محمد أنظرني حتى أكلمك فلم ألتفت إليها ثم سرت فسمعت صوتا

(١) تفسيرالقمي ٢ / ٣٣٥

أفزعني فجاوزت به فنزل بي جبرئيل ، فقال صل فصليت فقال أ تدري أين صليت فقلت لا فقال صليت بطيبة وإليها مهاجرتك ، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي انزل وصل فنزلت وصليت ، فقال لي أتدري أين صليت فقلت لا ، فقال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي انزل فصل فنزلت وصليت فقال لي أتدري أين صليت فقلت لا ، قال صليت في بيت لحم بناحية بيت المقدس ، حيث ولد عيسى ابن مريم عليه السلام ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى بيت المقدس فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها فدخلت المسجد ومعي جبرئيل إلى جنبي فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله قد جمعوا إلي وأقمت الصلاة ولا أشك إلا وجبرئيل استقدمنا ، فلما استووا أخذ جبرئيل عليه السلام بعضدي فقدمني فأممتهم ولا فخر ، ثم أتاني الخازن بثلاث أواني ، إناء فيه لبن وإناء فيه ماء وإناء فيه خمر ، فسمعت قائلا يقول إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته وإن أخذ اللبن هدي وهديت أمته ، فأخذت اللبن فشربت منه فقال جبرئيل هديت وهديت أمتك ثم قال لي ما ذا رأيت في مسيرك فقلت ناداني مناد عن يميني فقال لي أوأجبته فقلت لا ولم ألتفت إليه ، فقال ذاك داعي اليهو د لو أجبته لتهو دت أمتك من بعدك ثم قال ماذا رأيت فقلت ناداني مناد عن يساري فقال أوأجبته فقلت لا ولم ألتفت إليه ، فقال ذاك داعي النصارى لو أجبته لتنصرت أمتك من بعدك ثم قال ماذا استقبلك فقلت لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة فقالت يا محمد أنظرني حتى أكلمك ، فقال لي أفكلمتها فقلت لم أكلمها ولم ألتفت

إليها ، فقال تلك الدنيا ولو كلمتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ، ثم سمعت صوتا أفزعني فقال جبرئيل أتسمع يا محمد قلت نعم قال هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاما فهذا حين استقرت ، قالوا فما ضحك رسول الله ﷺ حتى قبض ، قال فصعد جبرئيل وصعدت معه إلى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة التي قال الله عز وجل ﴿ **إِلا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** ﴾ وتحته سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك ، فقال يا جبرئيل من هذا معك فقال محمد ﷺ قال أوقد بعث قال نعم ففتح الباب فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحبا بالأخ الناصح والنبي الصالح وتلقتني الملائكة حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا كان ضاحكا مستبشرا حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقا منه كريه المنظر ظاهر الغضب ، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار وما رأيت ممن ضحك من الملائكة ، فقلت من هذا يا جبرئيل فإني قد فزعت فقال يجوز أن تفزع منه ، وكلنا نفزع منه هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظا على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكا لأحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام وبشرني بالجنة ، فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله ﴿ **مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ ألا تأمره أن يريني النار فقال له جبرئيل يا مالك أر محمدا النار ، فكشف عنها غطاءها وفتح بابا منها ، فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت فارتعدت حتى ظننت ليتناولني

مما رأيت ، فقلت له يا جبرئيل قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها ، فقال لها ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . ثم مضيت فرأيت رجلا أدما جسيما فقلت من هذا يا جبرئيل ، فقال هذا أبوك آدم فإذا هو يعرض عليه ذريته فيقول روح طيب وريح طيبة من جسد طيب ثم تلا رسول الله ﷺ سورة المطففين على رأس سبع عشرة آية ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ** ﴾ إلى آخرها ، قال فسلمت على أبي آدم وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي ، وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح والمبعوث في الزمن الصالح . ثم مررت بملك من الملائكة وهو جالس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه ولا يلتفت يمينا ولا شمالا مقبلا عليه كهيئة الحزين فقلت من هذا يا جبرئيل فقال هذا ملك الموت دائب في قبض الأرواح فقلت يا جبرئيل أدنني منه حتى أكلمه ، فأدناني منه فسلمت عليه ، وقال له جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال أبشر يا محمد فإني أرى الخير كله في أمتك فقلت الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته علي ، فقال جبرئيل هو أشد الملائكة عملا فقلت أكل من مات أوهو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه قال نعم قلت تراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك فقال نعم ، فقال ملك الموت ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني منها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء وما من دار إلا وأنا أتصفحها كل يوم خمس مرات وأقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم لا تبكوا عليه فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد ، فقال رسول الله ﷺ كفى بالموت طامة يا

جبرئيل فقال جبرئيل إن ما بعد الموت أطم وأطم من الموت . قال ثم مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث يأكلون الخبيث ويدعون الطيب ، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من أمتك يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ ثم رأيت ملكا من الملائكة جعل الله أمره عجبا نصف جسده نار والنصف الآخر ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو ينادي بصوت رفيع يقول سبحان الذي كف حر هذه النار فلا تذيب الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين ، فقلت من هذا يا جبرئيل فقال هذا ملك وكله الله بأكناف السماوات وأطراف الأرضين وهو أنصح ملائكة الله تعالى لأهل الأرض من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق ، وملكان يناديان في السماء أحدهما يقول اللهم أعط كل منفق خلفا والآخر يقول اللهم أعط كل ممسك تلفا . ثم مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل يقرض اللحم من جنوبهم ويلقى في أفواههم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الهمازون اللمازون ، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر ، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء ، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم ، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس فإذا هم مثل آل

فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة ، قال ثم مضيت فإذا أنا بنسوان معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم ثم قال رسول الله ﷺ اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عوراتهم وأكل خزائنهم . قال ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله فسألت جبرئيل عنهم ، فقال كما ترى خلقوا إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتهم خوفا من الله خشوعا فسلمت عليهم فردوا علي إيماء برؤوسهم لا ينظرون إلي من الخشوع فقال لهم جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولا ونبيا وهو خاتم النبيين وسيدهم أفلا تكلمونه قال فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا علي بالسلام وأكرموني وبشروني بالخير لي ولأمتي . قال ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها رجلان متشابهان فقلت من هذان يا جبرئيل فقال لي أبناء الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فسلمت عليهما وسلما علي واستغفرت لهما واستغفرا لي وقالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح وإذا فيها من الملائكة مثل ما في السماء الأولى وعليهم الخشوع قد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلا يسبح لله ويحمده بأصوات مختلفة . ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل فضل حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم فقلت من هذا يا

جبرئيل فقال هذا أخوك يوسف فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح والمبعوث في الزمن الصالح ، وإذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثل ما وصفت في السماء الأولى والثانية ، وقال لهم جبرائيل في أمري ما قال للآخرين وصنعوا بي مثل ما صنع الآخرون . ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها رجل ، قلت من هذا يا جبرئيل قال هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة عليهم من الخشوع مثل ما في السماوات ، فبشروني بالخير لي ولأمتي ، ثم رأيت ملكا جالسا على سرير تحت يديه سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك فوقع في نفس رسول الله ﷺ أنه هو ، فصاح به جبرئيل فقال قم فهو قائم إلى يوم القيامة ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم العين لم أر كهلا أعظم منه حوله ثلة من أمته فأعجبتني كثرتهم فقلت من هذا يا جبرئيل ، قال هذا المحبب في قومه هارون بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات . ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل أدم طويل عليه سمرة ولولا أن عليه قميصين لنفذ شعره منهما فسمعته يقول تزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله وهذا رجل أكرم على الله مني فقلت من هذا يا جبرائيل قال هذا أخوك موسى بن عمران ، فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات . ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا يا محمد احتجم وأمر أمتك بالحجامة ، وإذا فيها رجل أشمط الرأس

واللحية جالس على كرسي فقلت يا جبرئيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله فقال هذا أبوك إبراهيم وهذا محلك ومحل من اتقى من أمتك ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ قال ﷺ فسلمت عليه وسلم علي وقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح والمبعوث في الزمن الصالح وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات ، فبشروني بالخير لي ولأمتي . قال رسول الله ﷺ ورأيت في السماء السابعة بحارا من نور يتلألأ يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار وفيها بحار مظلمة وبحار ثلج ورعد فلما فزعت ورأيت هؤلاء سألت جبرئيل فقال أبشر يا محمد واشكر كرامة ربك واشكر الله بما صنع إليك قال فثبتني الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرئيل وتعجبي ، فقال جبرئيل يا محمد أتعظم ما ترى إنما هذا خلق من ربك فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى ، وما لا ترى أعظم من هذا من خلق ربك ، إن بين الله وبين خلقه سبعون [تسعون]ألف حجاب وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من الغمام وحجاب من الماء ، قال ورأيت من العجائب التي خلق الله سبحانه وسخر به على ما أراده ديكا رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ورأسه عند العرش وملكا من ملائكة الله خلقه كما أراد رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ثم أقبل مصعدا حتى خرج في الهو اء إلى السماء السابعة وانتهى فيها مصعدا حتى استقر قرنه إلى قرب العرش وهو يقول سبحان ربي حيث ما كنت لا تدري أين ربك من عظم شأنه وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب فإذا كان في

السحر ذلك الديك نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول سبحان الله الملك القدوس ، سبحان الله الكبير المتعال ، لا إله إلا الله الحي القيوم ، وإذا قال ذلك سبحت ديوك الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت ديوك الأرض كلها ولذلك الديك زغب أخضر وريش أبيض كأشد بياض ما رأيته قط وله زغب أخضر أيضا تحت ريشه الأبيض كأشد خضرة ما رأيتها . ثم قال مضيت مع جبرئيل فدخلت البيت المعمور فصليت فيه ركعتين ومعي أناس من أصحابي عليهم ثياب جدد وآخرون عليهم ثياب خلقان فدخل أصحاب الجدد وحبس أصحاب الخلقان ثم خرجت فانقاد لي نهران نهر يسمى الكوثر ، ونهر يسمى الرحمة فشربت من الكوثر واغتسلت من الرحمة ثم انقادا لي جميعا حتى دخلت الجنة فإذا على حافتيها بيوتي وبيوت أزواجي وإذا ترابها كالمسك فإذا جارية تنغمس في أنهار الجنة فقلت لمن أنت يا جارية فقالت لزيد بن حارثة فبشرته بها حين أصبحت ، وإذا بطيرها كالبخت وإذا رمانها مثل الدلاء العظام ، وإذا شجرة لو أرسل طائر في أصلها ما دارها تسع مائة سنة ، وليس في الجنة منزل إلا وفيها فرع منها فقلت ما هذه يا جبرئيل فقال هذه شجرة طوبى ، قال الله ﴿ **طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾ قال رسول الله ﷺ فلما دخلت الجنة رجعت إلى نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار وهو لها وأعاجيبها قال هي سرادقات الحجب التي احتجب الله بها ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كل شيء فيه ، وانتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا الورقة منها تظل به أمة من الأمم فكنت منها كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ **قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** ﴾ فناداني ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ** ﴾

وقد كتبنا ذلك في سورة البقرة فقال رسول الله ﷺ يا رب أعطيت أنبياءك فضائل فأعطني ، فقال الله قد أعطيتك فيما أعطيتك كلمتين من تحت عرشي « لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى منك إلا إليك » قال وعلمتني الملائكة قولا أقوله إذا أصبحت وأمسيت (اللهم إن ظلمي أصبح مستجيرا بعفوك وذنبي أصبح مستجيرا بمغفرتك وذلي أصبح مستجيرا بعزك وفقري أصبح مستجيرا بغناك ووجهي الفاني البالي أصبح مستجيرا بوجهك الدائم الباقي الذي لا يفنى) ثم سمعت الأذان فإذا ملك يؤذن لم ير في السماء قبل تلك الليلة فقال الله أكبر الله أكبر فقال الله صدق عبدي أنا أكبر فقال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله فقال الله صدق عبدي أنا الله لا إله غيري ، فقال أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله فقال الله صدق عبدي أن محمدا عبدي ورسولي أنا بعثته وانتجبته ، فقال حي على الصلاة حي على الصلاة فقال صدق عبدي ودعا إلى فريضتي فمن مشى إليها راغبا فيها محتسبا كانت له كفارة لما مضى من ذنوبه ، فقال حي على الفلاح حي على الفلاح فقال الله هي الصلاح والنجاح والفلاح ، ثم أممت الملائكة في السماء كما أممت الأنبياء في بيت المقدس ، قال ثم غشيتني صبابة فخررت ساجدا فناداني ربي إني قد فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى أمتك فقم بها أنت في أمتك ، فقال رسول الله ﷺ فانحدرت حتى مررت على إبراهيم فلم يسألني عن شيء حتى انتهيت إلى موسى فقال ما صنعت يا محمد فقلت قال ربي فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى أمتك فقال موسى يا محمد إن أمتك آخر الأمم

وأضعفها وإن ربك لا يرد عليك شيئا وإن أمتك لا تستطيع أن تقوم بها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت إلى ربي حتى انتهيت إلى سدرة المنتهى فخررت ساجدا ثم قلت فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولا أطيق ذلك ولا أمتي فخفف عني فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع لا تطيق فرجعت إلى ربي فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع وفي كل رجعة أرجع إليه أخر ساجدا حتى رجع إلى عشر صلوات فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال لا تطيق فرجعت إلى ربي فوضع عني خمسا فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال لا تطيق فقلت قد استحييت من ربي ولكن أصبر عليها فناداني مناد كما صبرت عليها فهذه الخمس . بخمسين كل صلاة بعشر ، من هم من أمتك بحسنة يعملها كتبت له عشرة وإن لم يعمل كتبت واحدة ومن هم من أمتك بسيئة فعملها كتبت عليه واحدة وإن لم يعلمها لم أكتب عليه شيئا فقال الصادق عليه السلام جزى الله موسى عن هذه الأمة خيرا وهذا تفسير قول الله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ الآية)[1] .

قال : اعلم أن ظاهر الآيات والأخبار بل مقتضى الضرورة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرج بتمام جسمه الشريف إلى مقام قاب قوسين أوأدنى ، ولزوم الخرق والالتئام مضافا إلى منع امتناعها فيما دون الفلك الأعظم وهو العرش ، لعدم تمام دليل المانع في غير محدد الجهات كما بين في محله بل مطلقا ، لعموم قدرة الله غير مانع في المقام ، لأن المعراج الجسماني معجزة ، وكل معجزة لابد من كونها خارقة العادة ، وكونها مستندة إلى فعل الله القادر على ما يشاء الفعال لما يريد .

(١) تفسير القمي ٢ / ٤ - ١٢

أقول : قد ثبت لنا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن نبينا ﷺ عرج بتمام جسمه الشريف إلى الأفلاك ، وصعد بجسمه على العرش الأعظم ، وكان في رجليه نعليه ، حتى ورد أن العرش تشرف بنعليه صلوات اللّه عليه وآله وهذا اعتقادنا ، وأنه صلوات اللّه عليه وآله عرج في الليلة التي ذكرنا مجملا من أحوالها خلافا لبعض المسلمين ، فإن بعضهم ذهب إلى أنه عرج بروحه إلى السموات ، وبعضهم قال كان ذلك ما بين اليقضة والنوم كما نقل القاضي البيضاوي في تفسيره من العامة ، والمجلسي رحمه الله في كتاب حق اليقين .

وبالجملة إن القول بأن المعراج كان بين النوم واليقضة أو كان روحانيا خلاف مذهب الشيعة ، وخلاف الأدلة القطعية من العقلية والنقلية ، والقول بأن الخرق والالتئام لا يجوز في الفلكيات خلاف مذهب أهل البيت ، كما قال عليه السلام (تلك مقالة الزنادقة) وأدلتهم لا تجدي نفعا لهم في إثبات مطلوبهم فمن جملة ما استدلوا على امتناع الخرق والالتئام استحالة تداخل أجسام واستحالة وجود الخلا ، قال بعض من تصدى لبيانه أن الخلا لو أمكن لأمكن مسحه ضرورة أن الفرجة بين الأرض والسماء أكبر من الفرجة بين المدينتين ، وما بين المدينتين أعظم من بين جداري بين صفتين ، فلو أمكن الخلا أمكن مسحه ولو أمكن مسحه كان كما ولو كان كما لكان كما متصلا لاستحالة كونه كما منفصلا ولو كان كما متصلا كان متصلا بالجسم ضرورة أن الكم المتصل لا تقوم إلا بالجسم ، فثبت استحالة الخلا وكان العالم ملا ، وقد ثبت في محله وقوع جسمين في مكان واحد لاسيما إذا قلنا بأن المكان من جملة المشخصات .

ومن جملة ما استدلوا على مطلوبهم استحالة وجود مؤثرين تامين على أثر واحد ، وتقرير هذا الدليل أن الفلك بجميع أجزائه مؤثرة في العالم ، والعالم لا يقوم إلا بتأثير الكواكب والأفلاك ، فإذا جاز الخرق كانت تلك الأجزاء التي هي محل تلك الفرجة تداخلت في غير الأجزاء واتحدت معها في التداخل ، فكانت هي أيضا مؤثرة في الجرم الذي يليها من العالم ، وتلك الأجزاء الأولية أيضا تؤثر فيما يليها ويقابلها من العالم ، فقابلت الأجزاء كلها مع جزء من العالم الذي يحاذيها ، وهو اجتماع العلل على معلول واحد وذلك بديهي الاستحالة .

ومن جملة ما قالوا لو قلنا بجواز الخرق لزم فساد النظام لأن الأجزاء التي كانت مؤثرة فيما يحاذيها انتقلت وحصلت الفرجة في البين ، ومحل الفرجة غير مؤثرة فيما يحاذيها ، فلزم فساد المعلول .

ومن جملة ما قالوا أن الأفلاك حركاتها طبيعية وضعية والدليل على ذلك بساطتها ، وإذا كانت طبيعية استحال تخلفها عن مقتضى طبيعتها ، فلو حصل الخرق لتوقف كل أجزاء الفلك ، ففي هذه الصورة فسد كل هذا العالم .

وكل ذلك نشأ من تقليد الفلاسفة وعدم الغور في الأمور الخفية ، ولنشير إلى بعض أجوبة ما تمسكوا به فنقول ولا قوة إلا باللّه .

إن قولهم وجود الخلا محال بقول مطلق غلط محض ، لأنه ينافي عموم قدرة اللّه على أن الخلا من جميع مخلوقاته ، سلمنا استحالة وجود الخلا ما المانع من الخرق والالتئام ، فإن قلت تداخل الأجسام ، قلت لا يضرنا القول بذلك مع أنه يجوز ذلك لما ثبت لنا بالأدلة القاطعة ، فمن ذلك حكاية حبال السحرة وعصيهم وبلع كل ذلك عصى موسى من دون أن يتغير في

حجمها شيء وتلك الحبال والعصي الآن موجودة كامنة فيها كما نطقت به الأخبار الواردة عن الأئمة عليهم السلام .

وعلى القول بعدم جواز تداخل الأجسام ، نقول إن الأجسام لا تدخل بعضها في بعض ، ولا يكون جسمان في مكان واحد ، لأن المكان من جملة المشخصات على ما هو الحق ، فيكون جزء من المكين كما برهن في محله ، فلا يجتمع جسمان في مكان واحد فلا يتحقق التداخل .

والقول بأنها مؤثرة ويلزم توارد العلل على المعلول الواحد غلط ، لأن الأفلاك ليست مؤثرة في حد ذاتها بذاتها للعالم من دون اللّه ، بل المؤثر في هذا العالم وفي جميع العوالم العلوية والسفلية هو اللّه سبحانه لا غير ، نعم هو سبحانه يفعل بمقتضيات الأسباب ، قال عليه السلام (أبى اللّه أن يجري الأشياء إلا بأسبابها)[1] والأفلاك وحركاتها سبب لنضج العالم وترقيته وتصفيته كما هو مشروح في محله ، فالفاعل والمؤثر حقيقة هو اللّه لا غير ، وإذا أراد سبحانه أن يظهر فيه الخرق وشيء آخر أقام شيئا آخر في محل الفرجة ، فتكون هي مؤثرة باللّه عز وجل مكان تلك الأجزاء التي ذهبت وحصلت الفرجة من ذهابها ، ومن ذلك وجبت الصلاة عند الخسوف والكسوف ليجبر بها كسر ما حصل من الكسف والخسف لئلا يختل النظام وقد ثبت أيضا أن الشمس ردت ليوشع ابن نون ولسليمان بن داود عليهما السلام في الأمم الماضية ، وردت للنبي صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام مرتين ووقع انشقاق القمر وكل ذلك دليل على جواز الخرق والالتئام ، إذ لو كان محالا لاستحال ، وإذا عرفت ما ذكرنا عرفت فساد ما ذهبوا إليه .

---

(١) في الكافي ١ / ١٨٣(أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الأَشْيَاءَ إِلا بِأَسْبَابٍ) .

وأما قوله (ولزوم الخرق والالتئام مضافا إلى منع امتناعها) حق لعدم استحالة الخرق والالتئام في الأفلاك ، لأن الخالق الذي خلقها لا من شيء كان قبلها قادر على فتقها ورتقها .

وقوله(لعدم تمام دليل المانع في غير محدد الجهات كما بين في محله) .

أقول : من ليس له تحصيل في معرفة الفلكيات نعم ذهب بعضهم إلى ذلك من دون تدبر فيه ، بل الدليل الذي ذكروه لو تم لعم الفلكيات كلها لكون الكل لها مدخلية في النظام كما قال الفاضل المعاصر ملا علي نوري في رسالته الموضوعة في إثبات النبوة الخاصة ، فلو تم دليل الامتناع لكان شاملا لكل الأفلاك لكون الأفلاك بجميع أجزائها وجزئياتها مؤثرة في العالم .

قال : فاستبعاد ذلك واعتقاد خلاف ما ذكر عن العاقل بعيد .

أقول : نعم وقوع المعراج الجسماني مما لابد من الاعتقاد به ، والمنكر له خارج عن طريقة أهل الحق فالعاقل كيف ينكره ويعتقد خلافه .

قال : والعجب من الشيخ المعاصر قال في جواب السؤال عن معراج نبينا محمد ﷺ بجسمه من غير لزوم خرق والتئام، وعن معنى رؤية الأنبياء وصلواته بالملائكة وصلاة الرب ووقوفه ما يخالف ظاهر ذلك، حيث قال إن حقيقة المعراج هو العروج على ظاهره ولا جهل فيه، وإنما الجهل في معرفة جسد النبي ﷺ ، وفي معرفة الأفاعيل الإلهية وفي معرفة الخرق والالتئام .

فنقول : اعلم أن اللّه سبحانه خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة جسم محمد ﷺ وأهل بيته ، والفاضل إذا أطلق في الأخبار وفي عبارات العارفين

بالأسرار يراد بها الشعاع وهو واحد من سبعين ، مثلا جسم النبي ﷺ قرص الشمس ، وقلوب شيعتهم خلقوا من الشعاع الواقع على الأرض من قرص الشمس ، فإذا عرفت هذا عرفت أنه يصعد بجسمه ولا يكون خرق ولا التئام .

بقي شيء وهو أنا نقول الجسم هو كذلك ولكنه ليس الصورة البشرية التي تحس وهي متجسدة ، وحكمها حكم سائر الأجسام الجمادية والصعود بها يلزم منه الخرق والالتئام .

ونجيب بأن الصورة البشرية عند إرادة صعوده يجوز فيها احتمالان في الواقع هما سواء ، وفي الظاهر الأول أبعد عن العقول والآخر أقرب ، فالأول أن الصاعد كلما صعد ألقى منه عند كل رتبة مثلا ، فإذا أراد تجاوز الهواء ألقى ما فيه من الهواء فيها وإذا أراد تجاوز كرة النار ألقى ما فيه منها فيها ، وإذا رجع أخذ ماله من كرة النار فإذا وصل الهواء أخذ ماله من الهواء .

لا يقال على هذا إن هذا قول بعروج الروح خاصة ، لأنه إذا ألقى ما فيه عند كل رتبة لم يصل إلا الروح .

لأنا نقول إنا لو قلنا بذلك فالمراد أعراض ذلك ، لأن ذوات ذلك لو ألقاها بطلت بنيته وبنيته باقيه لا تنفك ، وإنما مرادنا الجسم بالنسبة إلى عالم الكون ، وإلا فهو على ما هو عليه من التجسد والتخطيط ، والثاني إن الصورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للجسم في لطافته وكثافته ، فإن الملك مثل جبرائيل إذا رجع في صورة البشر كصورة دحية بن خليفة الكلبي يخرج بقدر دحية ، مع أنه يملأ ما بين الأرض والسماء ، ولوشاء مر في ثقب الإبرة وأصغر ، لأن الأجسام اللطيفة النورانية تكون بحكم الأرواح ولا تزاحم

فيها ولا تضايق ، ولهذا يبلغ المعصوم عليه السلام من مشرق الدنيا إلى مغربها في أقل من طرفة عين ولا يستفز به السامع وهو ذلك بعينه فافهم .

وأما معرفة الأفاعيل الإلهية فلأنه إنما توهم من توهم أن العالم على وضع واحد لو اختل اختل النظام ، فإذا خرق حصل حال مروره فرجة بانحباس الأجزاء المختلفة ، فإذا وقف وقف جميع الفلك على أنه لا فرجة فيها ، ولا يمكن تخلل أجزائه ولا نلزمها فأين تذهب أجزاء الفرجة المفروضة ومع هذا كله فيلزم فساد النظام والالتئام إنما بانبساط الأجزاء إلى الفرجة ، ولا يكون ذلك إلا مع التخلل والترقق ولا يمكن فيه ذلك وأمثال ذلك وهذا جار على حسب أفاعيل العباد .

وأما الأفاعيل الإلهية على تقدير تسليم امتناع الخرق والالتئام ، فنقول على ظاهر العبارة أن المعراج معجز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعجز يجري فيه ما لا يجري في العادة وفيما تعرفه ، فيجوز أن الأجزاء التي بقدر جسمه الشريف حال عروجه فنيت في بقاء جسمه كما فنيت الحبال والعصي في جسم عصى موسى ، وكان جسمه الشريف قائما مقامها في إمداد العالم السفلي من أحكام الحياة في سماء الدنيا والفكر في الثانية والخيال في الثالثة والوجود في الرابعة والوهم في الخامسة والعلم في السادسة والعقل في السابعة والصور في الثامنة والتسخير والتقدير في التاسعة بحيث لا تفقد قوة منها ، لأن جسده هو علة في هذه الأسباب فهو أقوى منها قطعا ، وكلما تعدى شيئا رجع ما فتر منه بحيث لا يحصل خرق ولا التئام ، ويكون سيره في ذلك كله موازيا للخطوط الخارجة من مركز العالم إلى المحيط بها في كل ذلك فيدور معها على التوالي ، ولو قلنا أنه يسير على خط مستقيم جاز وكان

ما اعترضه من الأجزاء التي يكون اصطفافها بالنسبة إلى خط سيره مستقيم صوريا يكون مستهلكا في بقائه وعائدا بعد تجاوزه كما مر على حد واحد ، ولما كان جسده الشريف علة لوجود جميع الأجساد وجسمه علة لجميع الأجسام كان محيطا بجميعها ، فلا يكون منها جزء إلا وهو محيط به ، فكان ﷺ في عروجه محيطا لجميع الأجسام والأرواح والنفوس والعقول ، لأن عقله علة العقول وروحه علة الأرواح ونفسه علة النفوس إحاطة المنير بأشعته ، فمر في عروجه بكل شيء ورأى كل شيء كلا في رتبته ، لأن من غلب عليه الوهم مثلا رآه في السماء الخامسة ، ومن غلب عليه العلم رآه في السماء السادسة ، ومن غلب عليه العقل رآه في السماء السابعة ، ومعنى صلاته بالملائكة صلاة الظهر وهو إنما عرج بالليل لأن عروجه على سمت بدء الوجود الشمس قائمة على قمة الرأس في التاسع عشر من برج الحمل والسرطان طالع الدنيا فأول ما تحرك الفلك وجب فرض الظهر ، فهو أول فريضة وهو أول صلاة صلاها .

فإن قلت كيف تكون هذه أول صلاة صلاها وهو إنما عرج إلى السماء بعد النبوة بسنتين .

قلت : هذا في الزمان والتي صلاها ليلة المعراج في الدهر وذلك قبل خلق الأجسام بألفي عام ، وليلة المعراج عرج ﷺ في الزمان بجسده وفي الدهر بجسمه وفي السرمد بروحه بعروج واحد ، وصلى بالملائكة في الدهر وسبغ الوضوء من صاد وهو بحر تحت العرش ، وعروجه إنما كان بالليل بجسده وأما في جسمه الشريف فهو في النهار قبل الزوال بقليل قدر ألفي عام ، واعلم أن هذا الجواب ما يمكن بيانه لكل أحد ومن يجوز البيان له لا يكفي له ما

ذكر بل لابد من المشافهة ، لأن الفرق بين الزمان والدهر مما انسد بابه عن فحول العلماء وإن عبروا عنه بعبارة مأثورة عن الوحي ولكن أكثرهم لا يعلمون .

ومعنى صلاة الرب أن الاسم المربي له الذي هو روح العقل الأول وهو اسم اللّه البديع لقيه في أعلى مراتبه وهو مقام أو أدنى ، أعني فلك الولاية المطلقة وهو يصلي لله ، ومعنى آخر يصل ما أمر اللّه به أن يوصل يصل الولاية بالنبوة .

ومعنى صلاته بقول (سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي) وكان محمد ﷺ واقفا لانقطاع سيره واتصاله بذلك الرب ، فكان بينهما حجاب النفس المطمئنة حجاب من زبرجد ، وإن أريد بالرب هنا الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهو المشية جاز ، لأن الاسم البديع هو كينونة هذه الكلمة وهو الماء الأول وهذه الكلمة هي السحاب المتراكم الثقال ، وإن أريد به المعبود بالحق سبحانه فمعنى صلاته يصلي يفيض الرحمة التي هي صفة الرحمن ، وهي التي وسعت كل شيء ، وهي صفة الرحيم وهي الرحمة المكتوبة للمؤمنين ، ولهذا قال في الحديث ما معناه (من لأمتك يا محمد من بعدك قال اللّه أعلم قال اللّه تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام) انتهى ما ذكر من كلامه أعلى اللّه مقامه ، ولعمري هو كلام متين وجوهر ثمين يليق أن يكتب بالنور على وجنات الحور ، وسنشير إلى بعض ما أراد فيما أفاد .

قوله (اعلم أن اللّه خلق قلوب المؤمنين . . الخ) يريد أن قلوب المؤمنين إنما خلقت من فاضل طينته أي من شعاعه كما نطق به صريح الأخبار

والأدعية والزيارات عن أهل العصمة كما ستعرف إن شاء اللّه في مسألة الإمامة ، فمن ذلك قول الحجة عجل اللّه فرجه (اللهم إن شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا)[1] والفاضل إذا أطلق يراد به الشعاع ، وستعرف ذلك فيما بعد إن شاء اللّه ، لأن الخلق كلهم من أشعة أنوارهم لما ثبت في السلاسل الطولية فإن اللّه سبحانه أول ما خلق أنوار أهل البيت كما هو ضروري المذهب ، ولم يجعل لأحد في مثل ذلك نصيبا ، ثم خلق بواسطة أنوارهم حقائق الأنبياء ، وحقائق الأنبياء بالنسبة إليهم مثل نور الشمس بالنسبة إلى الشمس ، وهذا معنى ما ورد أنه ﷺ لما انغمس في بحر العظمة تقاطر منه مائة وأربعة وعشرون ألف قطرة ، يعني ترشح من بحر عظمته لما انغمس فيه ، وخلق حقائق الشيعة من أشعة أنوار الأنبياء ، كما أن الأنبياء خلقوا من أشعتهم عليهم السلام ، وهكذا سائر المراتب في الوجودات في السلاسل الطولية أحدها نور والآخر منير ، ولأجل ذلك أن الأنبياء لا يمكنهم الترقي في الصعود إلى مراتب الأئمة عليهم السلام وكذلك الشيعة لم يبلغوا مرتبة الأنبياء وإن بلغوا ما بلغوا لقوله تعالى ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** ﴾[2] ولأن الشيء لا يتجاوز حده وكل يقرأ حروف نفسه ، قال أمير المؤمنين عليه السلام (وإنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)[1] ولذلك لا يجوز تمني نيل رتبهم عليهم السلام كما نطق بذلك صريح الأخبار فلتطلب من مظانها كالكافي والبحار وغيرهما .

وبالجملة لا يمكن الصعود إلى مرتبتهم للزوم ذلك انقلاب الحقائق ، فلو جاز لخرج المنير عن كونه منيرا والنور عن كونه نورا فلا يبقى نور ومنير ، فإذاً وجب بقاء حقيقة النور على ما هي عليه وتكون أثرا للمنير كذلك المنير .

---

(١) بحارالأنوار ٥٣ / ٣٠٢

(٢) الصافات ١٦٤

قوله أنار اللّه برهانه (ولكنه ليس الصورة البشرية التي تحس وهي متجسدة . . . الخ) .

يريد أنه صلوات اللّه عليه وآله لا يخرق الأفلاك إذا صعد بجسمه الشريف لأن جسمه علة لوجود الأفلاك وألطف من الأفلاك (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) فيفنى أجزاء الفلك المتحاذية لجسمه فناء النور عند ظهور المنير ، فلا يلزم من ذلك خرق والتئام فجسمه يقوم مقامها في إيصال الفيوضات إلى السفليات ، ولكن هذه الصورة البشرية التي نريد بها النسب المتحققة بينه وبين الأشياء السفلية التي هي تحت فلك القمر ، لما كانت مقتضية للخرق والالتئام ألقاها ، كل شيء في مكانه وزمانه ، مثلا ألقى النسبة التي حصلت بينه وبين التراب في مرتبته ، والنسبة التي تحققت بينه وبين الهواء بسبب مجاورته ألقاها في مرتبتها ، وكذلك سائر النسب والمُثل بضم الميم .

وإذا أردت معرفة ذلك فاعلم أن الأعراض التي تعرض لجسم الإنسان على قسمين : الأول أن تعرض لذاته ، والثاني تعرض لصفاته .

أما الأول فهي إما أن تعرض للمادة والصورة أو لأحديهما خاصة دون الأخرى فالأول إن كان عروض تلك الأعراض موجبا للتغير الكلي أخرجه عما هو عليه ، كما إذا قطعت بالسيف نصف بدن زيد ، وإن لم يكن موجبا للتغير الكلي فلا يخرجه عما هو عليه ظاهرا لا حقيقة كما إذا قطعت إصبعه .

والثاني أيضا كذلك يعني مثل الشق الأول تغير المادة والصورة تتبعها ، والثالث كما الأول .

(١) بحار الأنوار ٢ / ٢٥٤

وأما القسم الثاني أعني عروض تلك الأعراض لصفاته لا لذاته فهو أيضا على قسمين ، الأول أن يكون موجبا للخروج عما هو عليه ، كطريان السواد مثلا على الجسم الأحمر ، فإنه إذا طرى السواد على الأحمر تغير الجسم باعتبار صفته لا باعتبار ذاته ، لأن ذاته هو هو والألوان خارجة عن ذاته ، والثاني أن لا يكون عروض الأعراض موجبا للخروج عما هو عليه لا ذاتا ولا صفة بوجه من الوجوه ، كما إنك إذا جاورت الحر الشديد مثلا انفتحت جميع مساماتك فيكون موجبا لخروج الأبخرة من باطنك ، وإذا جاورت البرد الشديد انسدت جميع مساماتك فتبقى الأبخرة في باطنك لا تخرج إلى الظاهر ، فهاتان الصورتان أعني الصفتان اللتان عرضتا لك من مجاورة الحر والبرد لا يكونان سببا للخروج عما أنت عليه بوجه من الوجوه ، لأن انفتاح المسامات وانسدادها لا توجب الخروج عن كونك أنت أنت ، فأنت أنت مع عروض هاتان النسبتان اللتان هما صورتان مغايرتان للآخر ، وكل واحدة من هاتين الصورتين عرضت لك فلم تخرجك عما أنت عليه ، إلا أنها تكون سببا للانجماد أو الذوبان كما هو مشاهد لكل من هو من نوع الإنسان ، فبمجاورة البرد يحصل الانجماد ، كما في الشتاء من كثرة البرد يكون الماء ثلجا وربما يتجمد بدن الإنسان ولا يخرجه عما هو عليه أصلا ، وبمجاورة الحر يحصل الذوبان كما يذوب الثلج ويكون ماء ، وربما بدن الإنسان يلين في الصيف من الحر وهو على ما هو عليه ، لم يتغير بوجه من الوجوه ، مع أن هاتين الصورتين مغايرتان للأخرى ويحصل بطريانهما للإنسان هاتان الحالتان .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن مراد شيخنا أنار اللّه برهانه من الصورة البشرية

التي يلقي كل رتبة منها في مرتبتها في هذه الصورة المتحصلة من مجاورة التراب والهواء والنار التي لا يوجب التغير في جسمه صلوات اللّه عليه وآله دخولا ولا خروجا ، وهذه الصورة التي هي النسبة المتحصلة من مجانسة كل من هذه العناصر التي لا يلزم منه التغير في جسمه لا دخولا ولا خروجا تكون سببا للزوم الخرق الالتئام ، فيجب إلقاء كل نسبة عند منتسبها ولا ينقص من جسمه العنصري مثقال حبة من خردل ، ولذلك قال أشاد اللّه شأنه كلما صعد ألقى منه عند كل رتبة منها مثلا والمُثل بضم الميم جمع مثال أي الشبح .

لا يقال أن هذا بديهي بأن النسب تبقى عند منتسبها فلا فائدة في ذكرها .

لأنا نقول إن هذه النسب والأمثلة لما كانت عنده أعلى اللّه مقامه من الأمور المتحققة المتأصلة لا أنها أمور اعتبارية ، ذكر هذا الكلام وهو من دأبه يذكر هذه الدقائق ليفهم من يفهم ، ولما كانت هذه العبارة بظاهرها توهم عدم القول بعروج الجسد استدرك وقال لا يقال على هذا أن هذا قول بعروج الروح خاصة ، لأنه إذا ألقى عند كل رتبة لم يصل إلا الروح ، لأنا نقول إنا لو قلنا بذلك فالمراد أعراض ذلك لأن ذوات ذلك لو ألقاها بطلت بنيته وبنيته باقية لا تنفك .

فانظر في صراحة القول بأن الملقى إنما هو العرض خاصة ، وهو الصورة التي قلنا هي النسبة التي لا توجب التغير في جسمه دخولا ولا خروجا ، كما إنك إذا جلست عند زيد حصلت نسبة بينك وبين زيد وإذا تجاوزت عن زيد وجلست عند عمرو انقطعت تلك النسبة التي حصلت بينك وبين زيد ،

وبالجملة فإنه صلوات اللّه عليه وآله لم يلقي إلا الصورة العرضية التي لا مدخلية لها بجسمه ، وهي كانت سببا للخرق والالتئام لأنها ليست من جنس الأفلاك ، فإذا دخلت في الأفلاك لزم من دخولها الخرق يقينا فلم يصعد بها ، هذا هو مراد شيخنا العلامة رفع اللّه أعلامه ، فإذا أزيلت تلك النسب بقي جسمه الشريف صلوات اللّه عليه وآله على ما هو عليه ، وفي تلك الحالة لو أراد أن يمر من سم الخياط لفعل ولو أراد أن يملأ بين الأرض والسماء لفعل ، كما أن جبرائيل عليه السلام كان يهبط عليه صلوات اللّه عليه وآله في صورة دحية الكلبي وهو على ما هو عليه إن شاء أن يملأ الشرق والغرب بجسمه لفعل .

فعلى هذا يصعد النبي صلوات اللّه عليه وآله بجسمه الأفلاك ولا يلزم خرق ولا إلتئام ، كما أن عقولنا تصعد الأفلاك ولا يلزم خرق والتئام وتمر الجدران ولا يحصل فيها خرق فكيف بمن جسمه علة لعقولنا ولوجود الأفلاك (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) ومعنى كونه علة ليس على الحقيقة بل لأجل أنه محل المشيئة ، والعلة الفاعلية من صفات الفعل فهو صلى الله عليه وآله محلها ، أطلق عليه العلية مجازا لعلاقة الحال والمحل ، وستعرف ذلك فيما بعد إن شاء اللّه .

قوله (على تقدير تسليم وامتناع الخرق والإلتيام) هذا دليل على أنه لا يقول باستحالة الخرق والالتئام وقد أسلفنا بيان جوازهما فراجع .

قوله (فيجوز أن الأجزاء التي بقدر جسمه الشريف . . الخ) يريد أنه صلى الله عليه وآله عرج بجسمه الشريف وصعد الأفلاك ولما أراد أن يتجاوز عن فلك القمر مثلا على أنه لا يلزم من مروره خرق والتئام فنيت تلك الأجزاء التي كانت محاذية لجسمه ببقاء جسمه فناء النور عند ظهور المنير ، فإن جسمه هو المنير

والفلك هو النور بمعنى الشعاع ، فكلما وصل إلى سماء فنيت الأجزاء التي كانت محاذية لجسمه في بقاء جسمه بحيث لا يلزم خرق ولا إلتئام ولا تداخل الأجسام فتبصر .

قوله دامت بركاته (ويكون في سيره في ذلك كله موازيا للخطوط الخارجة من مركز العالم إلى المحيط . . الخ) يريد أنه صلوات اللّه عليه وآله عرج بتمام جسمه الشريف من كل جهة إلى كل جهة وفي كل جهة ، وأحاط بجسمه جميع عالم الأجسام وأجزائها وجزئياتها جليلها وصغيرها طويلها وعريضها ، فمر في سيره على كل جسم بجسمه الشريف ، وكذلك أحاط بمثاله عالم المثال ، كما أحاط بجسمه جميع الأجسام وأحاط بنفسه جميع عالم النفوس كذلك فلم يبق نفس إلا وأحاط بها ، وكذلك أحاط بروحه عالم الأرواح فشاهد كل روح في مقامها ومكانها ، وكذلك أحاط بعقله صلوات اللّه عليه وآله عالم العقول حتى كان من ربه قاب قوسين أو أدنى ، وسيره في كل هذه العوالم إنما كان على نحو الاستدارة وموازيا للخطوط الخارجة من مراكز تلك العوالم إلى محيطاتها ، فكان سيره في تلك العوالم من كل جهة وفي كل جهة وإلى كل جهة فأحاط بها إحاطة المنير بأشعته ، فمر على كل شيء حينما خلقه اللّه سبحانه وتحلى بحلية الوجود ، وها هنا أسرار عجيبة كتمانها في الصدور خير من إظهارها في السطور .

قوله أطال اللّه بقاه (لأن من غلب عليه الوهم مثلا رآه في السماء الخامسة . . . الخ) يريد أن الأفلاك التسعة مطابقة للإنسان الصغير كما أطبق عليه جميع العقلاء من أهل الملل والنحل ، فقالوا أن العرش في العالم بمنزلة القلب ، والكرسي بمنزلة الصدر ، وفلك الزحل بمنزلة التعقل في بطن

المؤخر من التجويف الثالث من الدماغ ، والمشتري أعني فلك العلم بمنزلة الحافظة في بطن المقدم من التجويف الثالث ، والمريخ بمنزلة الوهم في مؤخر بطن الثاني ، والزهرة بمنزلة الخيال في بطن المقدم من التجويف الثاني ، والعطارد بمنزلة الفكر في بطن المؤخر من التجويف الأول ، والشمس بمنزلة الوجود ، والقمر بمنزلة الصورة ، والسكينة بمنزلة حس المشترك في بطن المقدم من التجويف الأول من الدماغ ، وقد أجمع العقلاء على أن هذه الكواكب السبعة السيارة مربيات لهذه المراتب ، فالعرش يربي القلب والكرسي الصدر والزحل التعقل والمشتري الحفظ والعلم والمريخ الوهم والشمس الوجود والمادة والزهرة الخيال والعطارد الفكر والقمر الصورة ، ولذلك صرح أهل العلم بأن الأفلاك بمنزلة مدينة وسلطانها الشمس ووزيره القمر وزراعها الزحل وقاضيها المشتري ، وسياف السلطان المريخ ومطربه الزهرة وكاتبه العطارد وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل ، ولما ناسب وجود المناسبة بين الحال والمحل بل يجب المناسبة إذا كان صادرا عن فعل الحكيم وعليه اتفاق جميع العقلاء ، كان من غلب عليه الوهم صائرا في السماء الخامسة أعني فلك المريخ التي هي كوكب الوهم ، ومن غلب عليه العلم لابد وأن يكون في السماء السادسة أعني فلك المشتري الذي هو كوكب العلم ، ولسنا نقول أنه من غلب عليه الوهم مثلا ليس فيه علم أصلا بل نقول فيه أيضا علم لكن جهة الوهم أظهر فيه ، كما أنك تقول زيد صفراوي مثلا مع أنه فيه مجموع هذه الأخلاط الأربعة ، أعني السوداء والبلغم والدم والصفراء لكن جهة صفراويته أظهر من سائر الأخلاط فافهم .

قوله أطال الله بقاه (ومعنى صلاته بالملائكة صلاة الظهر وهو إنما عرج

بالليل . . .الخ) يريد أنه صلوات اللّه عليه وآله عرج في الليل إلى سمت بدء الوجود ، وكانت الشمس في دائرة نصف النهار في التاسع عشر من برج الحمل لأن طالع الدنيا السرطان كما صرح بذلك الإمام عليه السلام ، فإذا كان طالع الدنيا برج السرطان يجب أن يتوسط الحمل بين نقطتي المشرق والمغرب ، ولما قال عليه السلام (طالع الدنيا للسرطان والكواكب في أشرافها) وجب أن تكون الشمس في التاسع عشر من برج الحمل لأنها بيت شرفها ، ولما أرادت الفلك أن تدور دارت على نحو المغرب بالحركة القسرية التي هي تابعة لحركة فلك الأطلس ، فكان في أول الحركة أول الظهر لأن حركات الأفلاك الثمانية على جهة المغرب وعلى التوالي ، وحركتها الثانية التي هي بالقسر على خلاف التوالي ، فدارت الأفلاك الثمانية بحركتها القسرية على جهة المغرب ، فأول الحركة هو أول الظهر فوجب عليه صلاة الظهر لقوله تعالى (يا محمد أدن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر) فدنى فتوضأ فصلى ، والصاد بحر تحت العرش وستعرف بيان بحر الصاد في مسألة المعاد إن شاء اللّه تعالى ، وبالجملة فإذا دخلت الشمس في دائرة نصف النهار تدخل وقت الفريضة ودائرة نصف النهار في فلك الأفلاك ، والشمس إذا حاذتها يعني بلغت في السير حتى كانت محاذية لها قيل دخلت الحلقة .

قوله أطال اللّه بقاه (فإن قلت فكيف تكون هذه أول صلاة صلاها . . . الخ) يريد أنه صلى الله عليه وآله عرج بجميع مراتبه على أفلاك جميع العوالم بأسرها ، فهذه الصلاة إنما كانت أول صلاة صلاها في الدهر وإلا فهو صلاها في الزمان قبل المعراج في القوس الصعودي ، لأن الزمان هو أسفل مراتب الأوعية وهو وعاء الأجسام ، والدهر وعاء للمجردات من أول الجبروت إلى

آخر الملكوت ، ولسنا نريد من قولنا وعاء للمجردات أنها مجردات حقيقية بل هي مجردات إضافية ، والمجرد الحقيقي ليس إلا اللّه سبحانه ، وتقدم الدهر على الزمان تقدم اللب على القشر والمعنى على اللفظ ، وليس تقدم الدهر على الزمان تقدما حسيا زمانيا ، بل تقدمه تقدما معنويا عقلانيا وفي هذا المعنى ورد أن النبي ﷺ لما عرج إلى السماء سمع هدة عظيمة فسأل جبرائيل عليه السلام عنها فقال هذه صخرة ألقيتها في جهنم منذ سبعين سنة والآن وصلت قعر جهنم وهو يهودي مات تلك الساعة وعمره سبعون سنة حين كان يرعى الغنم فسمع النبي ﷺ صوت موته ، أعني وقوعه في جهنم بإلقاء جبرائيل وهو الذي سمع ليلة المعراج بعد ذلك بكم سنة سمع الصوت ليلة المعراج في الدقيقة التي سمعه قبل ذلك والسماع واحد والمسموع واحد في وقت واحد وهذا سر لا يهتدي إليه إلا الأقلون الذين هم كالكبريت الأحمر وهل وجد أحد منكم الكبريت الأحمر ، ولوأردنا بسط الكلام في حقائق الأوعية الثلاثة أعني الزمان والدهر والسرمد وذكر الأقوال في إحقاق الحق وإبطال الباطل لطال بنا الكلام وذهلنا عن المقام ولكن ذكر مجمل الكلام فيها في شرحنا على خطبة التوحيد لمولانا الرضا عليه السلام فليطلبها من أراد الإطلاع عليها ولا قوة إلا بالله .

قوله أطال اللّه بقاه (ومعنى صلوة الرب أن الاسم المربي له . . . الخ) يريد أن الأسماء هي المربيات للأنفاس بقدر قابلياتها واستعداداتها كما نطقت به الأدعية والأذكار والأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار (اللّهم إني أسألك باسمك الذي خلقت به كذا وكذا وبه جعلت كذا وكذا وبه فلقت البحر ودحوت الأرض ورفعت السماء ونورت به الكواكب) وأمثال ذلك فإن

الأسماء هي التي تربي الأشياء ، ولذلك صرح أهل المعرفة بأن في إزاء كل عالم من العوالم الكلية والجزئية اسم خاص يربي ذلك العالم ، فاسم اللّه البديع يربي عالم العقول وهو بإزائه والباعث يربي النفس والباطن للطبيعة والآخر للمادة والظاهر للمثال والحكيم لجسم الكل والمحيط للعرش والشكور للكرسي والرب لفلك زحل والعليم لفلك المشتري والقاهر لفلك المريخ والنور لفلك الشمس والمصور لفلك الزهرة والمحصي لفلك العطارد والمبين لفلك القمر والقابض للكرة الأثيرية والحي للهواء والمحق للماء والميت للتراب والعزيز لمرتبة الجماد والرازق للنبات والمذل للحيوان والقوي للملك واللطيف للجن والجامع للإنسان ، وهكذا سائر العوالم فإنها لا تتحقق إلا بتربية اسم من أسماء اللّه ، والمراد من الأسماء ليست هذه الألفاظ بل هذه الألفاظ هي أسماء الأسماء وستعرف ذلك إن شاء اللّه في مبحث الإمامة ، وبالجملة لما كانت الأسماء هي المربيات يكون معنى صلاة اسم اللّه المربي له ﷺ إيصاله إلى مرتبة مقام أو أدنى ، وقد عرفت فيما سبق اشتقاق لفظ الصلاة فهذا أحد معانيها .

وقوله (معنى صلوته يقول سبوح قدوس) هذا ما ورد عن أهل العصمة كما ذكره الكليني (رحمه الله) في الكافي ، ومعنى صلوته(سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي فقال ﷺ اللّهم عفوك عفوك)[1] .

وقوله (فكان بينهما حجاب النفس المطمئنة . . . الخ) هذا ما نطق به الإمام عليه السلام في الكافي " عن أبي بصير قال : قال عليه السلام (كَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَقَالَ لَهُ أَبُوبَصِيرٍ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى

(١) الكافي ١ / ٤٤٢

قَالَ مَا بَيْنَ سِيَتِهَا إِلَى رَأْسِهَا فَقَالَ كَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلأْلأُ يَخْفِقُ وَلا أَعْلَمُهُ إِلا وَ قَدْ قَالَ زَبَرْجَدٌ فَنَظَرَ فِي مِثْلِ سَمِّ الإِبْرَةِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْعَظَمَةِ)[1] والمراد بالحجاب إنيته صلوات اللّه عليه وآله يعني ماهيته فإنها ما اضمحلت بالكلية وإلا لبطلت بنيته واضمحل وجوده صلوات اللّه عليه وآله ، بل هي انصبغت بصبغ الوجود ولذلك كانت تتلألأ بخفق .

قوله أطال اللّه بقاه (وإن أريد بالرب هنا الكلمة التامة . . . الخ) يريد أن فعل اللّه سبحانه علة لجميع ما سواه ، وهو باعتبار العلية رب لجميع المربوبات الإمكانية والكونية ، وهو الكلمة التامة التي تكون جميع الأشياء دلالتها ، وإنما سميت كلمة لاشتماله على المراتب التي هي تقابل الكلمة التامة على مراتبها ، لأن مراتب الفعل أربعة : الأولى المشية وتقابلها النقطة ، والثانية الإرادة وتقابلها الألف ، والثالثة القدر وتقابله الحروف بهيئاتنا لأن القدر مقام الهندسة وذكر الحدود ، والرابعة القضاء ويقابله اجتماع الحروف عند التأليف فتجتمع وتألف المعنى المحدث من تلك اللفظ كما قال مولانا الرضا عليه السلام ما معناه (فإنك لا تألف شيئا منها أي من الحروف إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك) ، فالمعنى المحدث هو وجودات الخلائق المفاضة من الفعل .

قوله (وهو الماء الأول . . . الخ) يريد أن اسم اللّه البديع الذي هو بإزاء عالم العقل الذي هو أول الوجودات المقيدة وهو بمنزلة الماء النازل من السحاب ، فشبه المشية بالسحاب المتراكم لأن السحاب له مراتب أربعة : الرحمة وتقابلها في الفعل المشية ، والرياح وتقابلها الإرادة التي هي النفس الرحماني ، والسحاب المزجى ويقابله القدر ، والسحاب المتراكم الثقال

(١) الكافي ١ / ٤٤٢

ويقابله القضاء ، والقطر النازل من السحاب هي الوجودات المقيدة من الدرة إلى الذرة ، فاسم اللّه البديع هو وهو أثر الفعل وكينونة العقل الأول الذي هو أثر الفعل .

قوله (وإن أريد به المعبود) فظاهر لا يحتاج إلى بيان .

قوله(ولهذا قال في الحديث . . .الخ) هذا الذي ذكره الكليني في حديث المعراج عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام . . . إلى أن قال . . . (فَنظَرَ فِي مِثْلِ سَمِّ الإِبْرَةِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْعَظَمَةِ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا مُحَمَّدُ قَالَ لَبَّيْكَ رَبِّي قَالَ مَنْ لأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُوعَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لأَبِي بَصِيرٍ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا جَاءَتْ وَلايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الأَرْضِ وَ لَكِنْ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ مُشَافَهَةً)[1] انتهى .

قال المصنف : أقول لا يخفى أن مقتضى كلماته السابقة عروج الجوهر النوري المكنون الكامن في هذا الجسم كما هو مذهبه في المعاد كما سيأتي ، ومقتضى كلماته اللاحقة تداخل أجزاء الأجسام الفلكية في جسده وكونه علة فاعلية للأفلاك .

أقول : هذا غلط محض لأنه لا يفهم شيئا من معنى عباراته أطال اللّه بقاه وقد افترى عليه بهتانا عظيما بقوله عروج الجوهر النوري ، لأنه أطال اللّه بقاه صرح في غير موضع من كتبه ورسائله ومباحثاته أنه صلى الله عليه وآله عرج إلى السماء بثيابه ونعليه ، وسأذكر بعض ما أفاده أطال اللّه بقاه . فالذي يقول بأنه عرج بثيابه ونعليه كيف يقول بأنه لم يصعد السماء بجسمه ؟ هل هذا

(١) الكافي ١ / ٤٤٢

إلا بهتان عظيم ، وقد عرفت معنى ما أراد أطال اللّه بقاه من قوله يلقي في الهواء مثلا ما فيه من الهواء بأنه يقول بقطع الصورة التي هي النسبة التي تحصلت من الهواء مثلا بمجاورته للهواء حين صعوده فإذا تجاوز عنها انقطعت تلك النسبة ، كما أنك إذا كنت جالسا على يمين زيد تحققت لك نسبة مع يمينه فإذا قمت عن يمينه وجلست عنده على يساره انقطعت تلك النسبة التي حصلت سابقا عند جلوسك على يمينه ووجدت نسبة أخرى لك إذ كنت جالسا على يساره وهذا هو التحقيق في المقام لا غير ، وإنه ما أراد إلا ما ذكرت لأنه صرح في غير موضع أنه صلوات اللّه عليه وآله عرج إلى السماء وعليه ثيابه ونعلاه فمن ذلك ما ذكر في جواب سائل سأله عن المعراج قال أطال اللّه بقاه (إن رسول اللّه ﷺ عرج بجسده الشريف وعليه ثيابه إلى الحجب حتى كان من ربه قاب قوسين أو أدنى) وساق الكلام إلى أن قال (وجسمه الشريف ألطف من كل ما ذكرنا حتى يقف في الشمس ولا يظهر له ظل وعليه جميع ثيابه ، وصعد إلى ما وراء الحجب وعليه ثيابه ، فإنه ما صعد عاريا كما وقف في الشمس وليس بعار ، ولا تمنع كثافة ثيابه نوريته إذا وقف في الشمس ولا لطافته إذا خرق الحجب لقلة كثافة ثيابه إذا نسبت إلى لطافة جسمه ونوريته) انتهى .

وقال أيضا في شرحه على الزيارة الجامعة في غير موضع منه أنه صلوات اللّه عليه وآله عرج إلى السماء وعليه ثيابه ونعلاه ، منها ما قال أطال اللّه بقاه في شرح قوله عليه السلام (مستجير بكم زائر لكم لائذ بقبوركم) بعد ما شرح هذه الكلمات (ولهذا صعد النبي ﷺ ليلة المعراج بجسمه الشريف مع ما فيه من البشرية الكثيفة وبثيابه التي عليه ولم يمنعه ذلك عن اختراق

السماوات وحجب الأنوار لقلة ما فيه من الكثافة ، ألا تراه يقف في الشمس ولا يكون له ظل مع ثيابه عليه لاضمحلالها في عظيم نوريته) إلى أن قال (ومثال ذلك أنك لو وضعت مثقالا من التراب في مثقال من الماء أو أقل أو أكثر بقليل كان الماء كدر الكدورة كثافة التراب ، ولو وضعت مثقال التراب المذكور في البحر المحيط لم يظهر لمثقال التراب أثر بل يكون وضعه وعدمه بالنسبة إلى المحيط سواء ، نعم لو نظرت إلى مثقال التراب في قدر من المحيط قبل تموجه واستهلاكه أدركته .

وبالجملة لو أردنا أن نذكر جميع كلماته لاحتاج الكلام إلى الإطناب والإشارة خير لأهل الإشارة في هذا الباب وقد عرفت أنه أطال اللّه بقاه يقول بصعوده ﷺ مع ثيابه ، فلو صعد مع ثيابه كيف يكون صعودا بالجوهر النوري خاصة مع أن الثياب أكثف من بدنه العنصري يقينا بل ولا نسبة بينهما في الكثافة وكذا نعلاه ، فكيف يجوز لك أن تقول عرج بثيابه وما عرج ببدنه الشريف مع أن الثوب لباس للبدن خاصة والنعلين للرجلين خاصة ، وليس الثوب ثوبا للروح أو الجوهر النوري الذي تنسبه إليه وتفتري عليه ، ولا النعل نعلا للروح أو الجوهر النوري سبحانك هذا بهتان عظيم .

وقوله (كما هو مذهبه في المعاد) مع إنه لايقول بإعادة الجوهر النوري خاصة بل يقول بإعادة هذا البدن المحسوس الملموس المرئي بالأبصار ، وستعرف ذلك إن شاء اللّه .

وقوله (مقتضى كلماته اللاحقة ... الخ) .

أقول : قد عرفت فيما أسلفنا من جواز تداخل الأجسام بحيث لاتفنى تلك الأجزاء أي تخرج من حقيقتها ، بل تكون مودعة في جسمه كما أن

حبال السحرة وعصيهم مودعة في جسم عصى موسى ، حتى لايلزم من صعوده خرق والتئام ، مع أنه أطال اللّه بقاه لم يقل بتداخل أجزاء الفلك في جسمه ، وقد صرح بفناء تلك الأجزاء ببقاء جسمه فناء النور عند المنير ، فلا يلزم من ذلك تداخل الأجسام وإنما قال ذلك لأن السائل سأله عن مسألة المعراج ، وكون معراجه ﷺ بحيث لا يلزم منه خرق ولا التئام ، فأجابه بأنا نقول يجوز أن يكون الأمر كذلك حتى لا يلزم منه خرق ولا التئام مع أنه يقول بجواز الخرق في الفلكيات .

قوله (وكونه علة فاعلية) .

أقول : عرفت سابقا معنى ما تقول أنه علة فاعلية ، وهذا الإطلاق من باب المجاز لأنه ﷺ محل المشية والمشية علة الأشياء يصح مجازا إطلاق العلة عليه لأن العلاقة موجودة بينهما وهي علاقة الحال والمحل وهي من أعظم العلائق .

قال : وما أدري أي داع دعاه إلى مثل ذلك التأويل في الظواهر والخروج عن الظاهر بل عن اعتقاد المسلمين الموجب للخروج عن الدين ، وما أدري أنه بأي آية وحديث وبأي دليل يقول ما يقول وماذا يقول إذا قال اللّه تعالى ﴿ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ... ﴾[1] .

أقول : قد عرفت ما شرحنا لك وأن شيخنا لم يقل إلا وله مستند لما يقول من كتاب اللّه العزيز وسنة النبي والإجماع واتفاق العقول ، وقد عرفت تطابق ما ذكر شيخنا بالروايات واتفاق العقلاء ، فيا مصنف إذا كنت ما تدري وما كنت بالذي يطيع الذي يدري هلكت ولا تدري ، وأعجب من هذا بأنك لا تدري وأنك ما تدري بأنك ما تدري ، ولقد سمعت أنك تدعي

(١) يونس ٥٩

أمرا عظيما تقول أني أفهم كلام اللّه وكلام الأئمة فكيف لا أفهم كلام الشيخ ، ويحك لو كنت تعرف كلام اللّه وكلام الأئمة لما كنت تتخذ المضلين عضدا ، وتذهب في أصول عقائدك إلى ما ذهبت إليه الأشاعرة وبعض المتفلسفة حيث تقول بأن الذات تنشعب وتقول بقدم الكلام وقدم الإرادة وبصحة إطلاق العلة على اللّه وبالجبر إلى غير ذلك من الأغلاط ، فاعتقادك في أصول العقائد ينبئ عن عدم اطلاعك وفهمك بشيء من الكتاب والسنة وضرورة الدين فكيف يجوز لك أن تدعي ذلك فتب إلى اللّه من مقالتك فإنك نسبت في مقالتك هذه نسلا لذي عقم ، فقد عرفت أيها الناظر المنصف أن شيخنا لا يتخلف عما ذهب إليه الإمامية مطلقا ولا يخالفهم في شيء من الأشياء وقد عرفت ذلك فيما بيناه .

قال : مع من قال بامتناع الخرق والالتئام قال بامتناع تداخل الأجسام مع اعتراف بعضهم باختصاص دليل امتناع الخرق والالتئام لو تم بالفلك الأطلس ، فالقول بدخول أجزاء الفلك في جسم النبي ﷺ من غير تفاوت في حجمه تداخل ممتنع عندهم ، فإن قلت أن ذلك من باب الإعجاز قلت الخرق والالتئام أيضا من باب الإعجاز فلأي داع تقول بأحدهما وتنكر الآخر ، مع أن الخالق الذي خلق الأفلاك من العدم وجعلها فتقا بعد الرتق قادر على خرقها والتئامها إلى غير ذلك من المفاسد .

أقول : أسلفنا لك من الكلام بما لا نحتاج إلى شيء في المقام من أنه أطال اللّه بقاه لم يقل بتداخل أجزاء الفرجة في جسمه ﷺ ، بل صرح بفناء تلك الأجزاء ببقاء جسمه لأن النور يفنى عند ظهور المنير وهو علة الأفلاك ، وأن القول بامتناع الخرق والالتئام قول الزنادقة وليس ذلك من

مذهب أهل البيت لو تم دليلهم ، إنما يجري في جميع الأفلاك لأن لكل من الأفلاك مدخلية في النظام فلو فسد جزء من الفلك فسد النظام ، وقد عرفت مبنى قواعدهم وبطلانها .

وقوله (الخرق والالتئام أيضا من باب الإعجاز . . .الخ) هذا الكلام لا معنى له إذا قيل بامتناع الخرق والالتئام لأن المعجزة لا تجري إلا في الأمور الممكنة لا الأمور الممتنعة ، لأن الممتنع لا يكون متعلق القدرة لعدم قابليته لا لنقصان القدرة ، ولذلك لما قال داود صاحب التذكرة في الطب في شرح أبيات ابن سينا في الروح

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقـــاء ذات تعـزز وتمنـــع

بامتناع الخرق والالتئام ، واعترض على نفسه بثبوت المعراج الجسماني وأنه يلزم منه الخـرق والالتـئـام ، أجـاب بأن ذلك ممتنع وإنما جـاز المعـراج الجسماني لأجل المعجز الخارق للعادة ، فلما قال ذلك اعترض عليه بأن خرق العادة إنما يجوز في الممكنات لا في المستحيلات فعجز ولم يحر جوابا ، وهذا معلوم أن المعجز لا يكون إلا في الأمور الممكنة لأن الممتنع ما لا يصلح للإيجاد بكل أنحاء الوجود وإن كان الممتنع الذي نقوله نحن هو من الإمكان لأن الممكن لا يدرك إلا الممكن ، لكن كلامنا هذا جاري مجرى كلام القوم حيث سموه ممتنعا وإلا فالذي عندنا (أن كلما ميزتموه بأوهامكم فهو مخلوق مـثلكم مـردود إليكم) وأن هذا المـتنع الذي نقـول هو ممكن لا يصلح أن يتحلى بحليـة الوجود الكوني لعـدم قابليتـه والله سبحـانه لا يعطي إلا بحسب القوابل ، وقد عرفت مسألة القوابل سابقا وكيفية بدء وجودها فلا تفيد ، فلا ينافي كلامنا بعضها بعضا مع أن شيخنا لم يقل باستحالة الخرق

والالتئام وإنما أجابه على هذا النمط لأن السائل سأله عن المعراج من دون لزوم خرق والتئام فافهم .

المقام الخامس

قال : المقام الخامس أن نبينا محمد بن عبد الله ﷺ أفضل المرسلين وخاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، وأن دينه باق إلى يوم الدين كما هو اتفاق جميع أهل الملل وإن وقع الخلاف في تعيين ذلك الخاتم، مع أن ختم النبوة ما ادعاه النبي ثبت نبوته وكل ما هو كذلك فهو حق .

أقول : هذا حق لا ريب فيه لأنا بعد ما أثبتنا نبوته بالأدلة القاطعة اتضح لنا هذا الأمر بإخباره ﷺ فهو أخبر بأني سيد الأنبياء وأفضلهم وقال (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)[1] و (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ)[2] إلى غير ذلك من الأخبار ، ويمكن لنا أن نستدل على أفضليته صلوات الله عليه بأن القرآن أعظم من جميع المعاجز التي ظهرت عن الأنبياء ، وكونه أعظم لبقائه إلى آخر الأبد وعجز جميع الأنام بإتيان مثله وهو دائم مستمر ولا هكذا جميع معاجز الأنبياء ، ولما كان هذا أفضل المعاجز وجب أن يظهر على يد أفضل الخلق أجمعين لمراعاة المناسبة بينهما لاسيما إذا صدر ذلك عن الحكيم .

ويصح الاستدلال على أفضليته بخاتميته خاصة لأن مطلق الخاتمية تدل على الأفضلية وأن الخاتمية تدل على الأولية ، والأولية تعطي الأسبقية التي هي مناطا للأفضلية لبطلان الطفرة ولأن الأول هو الأفضل .

ويمكن أيضا أن نستدل على أفضليته بأن النبي والأئمة هم محال مشية الله وألسنة إرادته فكل ما في الكون فإنما هو فائض منهم ومن فعلهم عليهم

(١) بحارالأنوار ١٦ / ٤٠٢

(٢) وسائل الشيعة ٢٣ / ١٠

السلام ، والأشياء إنما هي أشعة أنوارهم ولا شك أن المنير أفضل من الشعاع بل ولا نسبة بينهما بوجه من الوجوه .

واعلم أن سائر الملل كلهم يقولون بإرسال رسول هو خاتم الأنبياء والرسل بأجمعهم إلا أنهم اختلفوا في تعيينه ، وقد ثبت لنا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ظهر في مكة على فترة من الرسل وادعى النبوة وأظهر المعاجز على وفق دعواه وادعى على أنه خاتم الأنبياء فيجب التصديق به بإخباره بعد ثبوت نبوته .

ويمكن لنا الاستدلال على كونه خاتم الأنبياء وأن شريعته باقية إلى يوم الدين بتطابق الكتاب التكويني والتدويني بعدم التخالف بينهما بوجه من الوجوه بأن التكوين له مراتب ستة يجب في مرتبته السادسة بقاؤه أبد الدهر بخلاف المراتب الخمسة فإنه يجب فيها النسخ وعدم البقاء ، والمراتب الستة هي مرتبة النطفة والعلقة والمضغة والعظام وإكساء اللحم وإنشاء خلق آخر الذي هو مرتبة الكمال الذي هو مقام الإنسانية التي لا تتغير إلى أبد الآبدين ، والتشريع أيضا يجب أن يكون على طبق التكوين بكون التشريع يجب أن يكون له هذه المراتب ، فشريعة آدم تقابل النطفة وشريعة نوح تقابل العلقة وشريعة إبراهيم تقابل المضغة وشريعة موسى تقابل العظام وشريعة عيسى تقابل إكساء اللحم وشريعة محمد ﷺ تقابل إنشاء خلق آخر الذي هو مرتبة الإنشاء ، فيجب أن لا يتطرق على شريعته نسخ أبد الأبد ودهر السرمد ، وهذا دليل مما لا يفهمه الناس إلا العالم أومن علمه إياه العالم فاشرب صافيا وافهم راشدا .

قال : كما قال تعالى ﴿ ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[1] وعن الرضا عليه السلام أنه قال (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله مائة وأربعة وعشرون ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة وأربعة وعشرون ألف وصي فعلي عليه السلام أكرمهم وأفضلهم)[2] وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل)[3] مضافا إلى قوله تعالى ﴿ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5]، واقتضاء ختم النبوة الأفضلية كما لا يخفى .

أقول : الأدلة النقلية الواردة عنهم عليهم السلام كثيرة جدا فلتطلب من مظانها .

وقوله (واقتضاء ختم النبوة الأفضلية . . .الخ) كلام صحيح كما عرفت لأن الخاتمية دليل على الأولية والأولية دليل على الأفضلية لبطلان الطفرة فافهم .

(١) الأحزاب ٤٠
(٢) بحارالأنوار ١١ / ٣٠
(٣) بحارالأنوار ٧٩ / ٢٤٣
(٤) الأنعام ٩٠
(٥) القلم ٤

تذنيب

قال : تذنيب قد روي عن النبي ﷺ أنه قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار.

أقول : هكذا وردت الرواية أنه قال ﷺ (افترقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة وافترقت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية والباقون في النار)[1] . .الخ .

وإنا لما نظرنا ورأينا أن الفرقة عددها مطابق لعدد الشيعة لأن الفرقة عددها ٣٨٥ والشيعة عددها أيضا ٣٨٥ [2]دلت هذه المطابقة على أن الفرقة الناجية هم الشيعة وستعرف بيان ذلك إن شاء اللّه .

قال : بيان ذلك أن أولاد آدم كانوا على شريعته إلى أن إدريس نشر العلوم العقلية والرياضية بطريق المكاشفة والإشراق ومن الآخذين منه بوسائط قاليس وإلكساغورس وفيثاغرس وسقراط وأفلاطون، وحيث كان التعليم والتعلم حينئذ على سبيل الإشراق من غير ميزان الأفكار وقع الخطأ والاختلاف بين الفلاسفة إلى أن المعلم الأول أرسطو وضع المنطق ليكون ميزانا للأفكار وأسس أساس تدوين الكتب وترتيب المسائل والتعليم البياني، وحصل منه الرواقيون الآخذون عنه في المجلس والمشاؤون الآخذون عنه لعدم

---

(١) عوالي اللآلي ٤ / ٦٥

(٢) إذا جمعنا حروف كلمة فرقة الفاء والراء والقاف والهاء فالفاء عددها ٨٠ والراء عددها ٢٠٠ والقاف عددها ١٠٠ والهاء عددها ٥ يكون المجموع ٣٨٥ ، وكذلك إذا جمعنا حروف كلمة شيعة الشين والياء والعين والهاء فالشين عددها ٣٠٠ والياء عددها ١٠ والعين عددها ٧٠ والهاء عددها ٥ يكون المجموع أيضا ٣٨٥ .

الفرصة عند المشي وعند ذلك حصل بقراط وإقليدس وبطليموس وذي مقراطيس وأمثالهم من الحكماء، وهم اختلفوا في العقائد ووضعوا بحسب معتقداتهم مذاهب من غير اعتقاد بنبي من الأنبياء، وهم أرباب النحل التابعون لآرائهم المتفرقون إلى السوفسطائي الذي لا يقول بالمعقول والمنقول بل هو قائل بالوهم، والطبيعيين الذين لا يقولون بالمعقول ويقولون لا عالم سوى المحسوس كالدهرية، والفلاسفة الذين يقولون بالمعقول والمحسوس وبالمبدأ دون الشريعة، وأما أرباب فهم قائلون بالنبوة وتابعون لنبي من الأنبياء ومعتقدون لشبه كتاب كالمجوس أو بكتاب من كتب الله كاليهود والنصارى والمسلمين.

أقول: أما ما ذكر في أحوال الحكماء فلم يثبت لنا بالأدلة التي يعول عليها إلا أن القوم بعضهم ذكر شيئا مما ذكر وبعضهم ذكروا خلاف ذلك وبعضهم فصل ولا حاجة لنا بذكر التفاصيل لأن ذلك مما لا يتعلق به الغرض، فالأولى أن نقتصر على بيان ذكر فرق الإسلام وإن كان هذا أيضا لا يتعلق به الغرض وسنشرح كلامه على طريق الاختصار والاقتصار.

قال: والمسلمون افترقوا إلى أهل السنة القائلين بخلافة أبي بكر وكون علي عليه السلام خليفته في المرتبة الرابعة وإلى الناصبين المبغضين له وإلى الغلاة القائلين بإلهيته وإلى الشيعة القائلين بكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحق بلا فصل بالعقل والنقل.

أقول: هذا مما لاشك فيه إلا أن القوم اختلفوا في ذكر فرق الإسلام اختلافا، ففي بعض يطابق ما ذكره المصنف وفي بعض يخالف ذلك ولم نجد نصا من الأئمة عليهم السلام على تعيينهم وما ذكره لا يعتمد عليه بوجه من الوجوه لوقوع الاختلاف في تعيينهم.

قال الآمدي كان المسلمون عند وفاة النبي ﷺ على عقيدة واحدة وطريقة واحدة إلا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق ، ثم نشأ الخلاف فيما بينهم أولا في أمور اجتهادية لا يوجب إيمانا ولا كفرا وكان غرضهم منها إقامة رسم الدين وإدامة منهاج الشرع القويم وذلك كاختلافهم عند قول النبي ﷺ في مرض موته(ائتوني بقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي حتى قال عمر أن النبي ﷺ قد غلبه الوجع حسبنا كتاب اللّه ، وكثر اللفظ في ذلك قال النبي ﷺ قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع)[1] .

وكاختلافهم بعد ذلك في التخلف عن جيش أسامة فقال قوم بوجوب الاتباع لقوله ﷺ (جهزوا جيش أسامة لعن اللّه من تخلف عنه) ، وقال قوم بالتخلف انتظارا لما يكون من رسول اللّه ﷺ في مرضه .

وكاختلافهم بعد ذلك في موته ﷺ ، قال عمر من قال أن محمدا ﷺ قد مات علوته بسيفي وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام ، وقال أبو بكر من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا ﷺ قد مات ومن كان يعبد إله محمد ﷺ فإنه حي لا يموت وتلا قوله ﴿ **وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** . . .الخ ﴾[2] فرجعوا إلى قوله وقال عمر كأني ما سمعت هذه الآية إلى الآن .

وكاختلافهم بعد ذلك في موضع دفنه بمكة أو المدينة أو بيت المقدس حتى سمعوا ما روي عنه من أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون .

وكاختلافهم في الآيات وثبوت الإرث عن النبي ﷺ ، وكما قرر في قتال مانع الزكاة حتى قال عمر كيف تقاتلهم وقد قال ﷺ (أمرت أن أقاتل

(١) في بحارالأنوار ٣٠ / ٥٣١ (قال ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده . قال عمر إنّ النبيّ غلبه الوجع وعندنا كتاب اللّه . . حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط ، فقال قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع) .

(٢) آل عمران ١٤٤

الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه فإذا قالوها عصموا من دمائهم وأموالهم فقال له أبوبكر أليس قد قال بحقها ومن حقها إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة ولو منعوني عقالا مما أدوه إلى النبي ﷺ لقاتلتهم) .

ثم اختلافهم بعد ذلك في تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة ثم في أمر الشورى حتى استقر الأمر على عثمان ثم اختلافهم في قتله ، وفي خلافة علي عليه السلام ومعاوية وما جرى في قصة الجمل وصفين .

ثم اختلافهم أيضا في بعض الأحكام الفرعية كاختلافهم في الكلالة وميراث الجد مع الأخوة وعقد الأصابع وديات الأسنان إلى غير ذلك من الأحكام .

أقول : هذه الاختلافات الاجتهادية التي ذكرها الآمدي كلها صحيحة على تطابق الواقع إلا أن كل ذلك يستلزم الخروج عن الدين كما ستعرف إن شاء اللّه في مبحث الإمامة ، فقوله (لا يوجب إيمانا ولا كفرا) غلط محض وكان الخلاف يندرج شيئا فشيئا إلى آخر أيام الصحابة حتى ظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسوادي وخالفوا في القدر وإسناد جميع الأشياء إلى تقديراته ، ولم يزل الخلاف يتشعب والآراء تتفرق حتى تفرق أهل الإسلام وأرباب المقالات إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وإذا عرفت هذا فنقول اعلم أن كبار الفرق الإسلامية ثمانية المعتزلة والشيعة والخوارج والخرجية والتجارية والجبرية والمشوية والأشاعرة وأنا أذكر ذلك بترتيب ما ذكره المصنف .

قال: والشيعة افترقوا على ستة عشر فرقة :

الأولى: الكيسانية القائلون بإمامة محمد بن الحنفية .

الثانية: المختارية العادلون عن الكيسانية إلى اعتقاد انحصار الإمامة في علي والحسنين عليهما السلام ظاهرا.

الثالثة: الهاشمية القائلون بإمامة هاشم بن محمد بن الحنفية بعد أبيه.

الرابعة: القائلون بإمامة بيان بن سمعان بعد هاشم.

الخامسة: الزرامية القائلون بإمامة علي بن عبد اللّه بن عباس بعد هاشم بحسب الوصية من أصحاب زرام بن سالم.

السادسة: الزيدية القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين.

السابعة: الجارودية القائلون بإمامة محمد بن عبد اللّه بن الحسين بن الحسن بعد زيد.

الثامنة: السليمانية من أصحاب سليمان القائلون بإمامة علي عليه السلام من غير بغض الشيخين مع مذمة عثمان وطلحة والزبير.

التاسعة: الصالحية من أصحاب حسن بن صالح وهم كالسليمانية إلا أنهم توقفوا في ذم عثمان وقالوا بكون العشرة المبشرة من أهل الجنة وأفضلية علي عليه السلام.

العاشرة: الواقفية القائلون بوقوف الإمامة في موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام.

الحادية عشر: الناووسية المنسوبون إلى ناووس وهم قائلون بوقوف الإمامة في جعفر بن محمد عليهما السلام وكونه حيا وفرقة أخرى قائلون بموته.

الثانية عشر: الشميطية من أصحاب يحيى بن شميط القائلون بإمامة جعفر بن محمد عليهما السلام وكون المهدي الموعود من أولاده بلا واسطة.

الثالثة عشر: الفطحية القائلون بإمامة جعفر بن عبد الله الأفطح.

الرابعة عشر: الإسماعيلية القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر عليه السلام.

الخامسة عشر: الإمامية القائلون بإمامة علي بن أبي طالب وأحد عشر من أولاده إلى المهدي الغائب الذي سيظهر بالنص الصحيح والعقل الصريح...

أقول: قال الآمدي الشيعة الذين شايعوا عليا عليه السلام وقالوا أنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص إما جليا أو خفيا، فاعتقدوا أن إمامة الشخص لا تخرج عنه وعن أولاده وإن خرجت فإما بظلم يكون من غيرهم وإما بتبعية منه أو من أولاده وهم اثنان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا، أصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وإمامية.

أما الغلاة فثمانية عشر السبائية قال عبد بن سبأ لعلي عليه السلام (أنت الإله حقا) فنفاه علي عليه السلام إلى المدائن وقيل أنه كان يهوديا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام قيل ما قال في علي عليه السلام وهو أول من أظهر القول بوجوب إمامة علي ومنه تشعبت أصناف الغلاة، قال ابن سبأ أنه لم يمت علي ولم يقتل وإنما قتل ابن ملجم لعنه الله شيطانا تصور بصورة علي، وعلي في السحاب والرعد صوته وإنه ينزل بعد هذا إلى الأرض فيملؤها عدلا وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد عليك السلام يا أمير المؤمنين.

الكاملية قال أبوكامل يكفر في الصحابة بترك تبعية علي ويكفر علي بترك طلب الحق وقال بالتناسخ في الأرواح بعد الموت، وأن الإمامة نور يتناسخ أي ينتقل من شخص إلى شخص آخر وقد يصير في شخص نبوة بعد ما كان في شخص آخر.

البنانية : قال بنان بن سمعان التميمي النميري أن اللّه على صورة إنسان ويهلك كله إلا وجهه وروح اللّه حلت في علي ثم في ابنه أبي هاشم محمد بن الحنفية ثم في بنان .

المغيرية : قال مغيرة بن سعيد العجلي اللّه جسم على صورة إنسان بل رجل من نور وعلى رأسه تاج من النور وقلبه منع الحكم وإذا أراد أن يخلق الخلق تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع تاجا على رأسه وذلك قوله تعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾[1] ثم إنه كتب على كفه أعمال العباد فغضب من المعاصي فعرق فحصل منه أي من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم والآخر حلو منير ثم اطلع في البحر وأبصر فيه ظلمة فانتزعه وخلق منه الشمس والقمر وأفنى الباقي من الظل نفيا للشريك ، وقال لا ينبغي أن يكون معي إلها آخر ثم خلق الخلق من البحرين فالكفر أي الكفار من المظلم والإيمان أي المؤمنين عن المنير ثم أرسل محمدا ﷺ والناس في ضلال ، وعرض الأمانة وحق علي من الإمامة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان وهذا أبو بكر بأمر عمر ، وهؤلاء يقولون الإمام المنتظر هو زكريا بن محمد بن علي بن حسين بن علي وهو حي مقيم في جبل حاجز إلا أن يؤمر بالخروج وقيل المغيرة .

الجناحية : عبداللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر ذي الجناحين قالوا : الأرواح تتناسخ وكان روح اللّه في آدم ثم شيث ثم الأنبياء حتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة ثم إلى عبداللّه هذا ، وقالت الجناحية هذا عبداللّه حي مقيم بجبل بأصفهان وسيخرج وأنكروا القيامة واستحلوا المحرمات من الخمر والميسر والميتة والزنا وغيرها .

---

(١) الأعلى ١ - ٢

المنصورية : هذا أبومنصور بن العجلي نسب نفسه إلى أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام فلما تبرأ منه وطرده ادعى الإمامة لنفسه ، قالوا : الإمامة صارت لمحمد بن علي بن الحسين ثم انتقلت منه إلى أبي منصور وزعموا أن أبا منصور عرج إلى السماء ومسح اللّه على رأسه بيده وقال يا بني اذهب فبلغ عني ثم أنزله إلى الأرض وهو الكسف المذكور في قوله تعالى ﴿ **وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ** ﴾[1] وكان قبل ادعائه للإمامة يقول الكسف علي ابن أبي طالب ، وقال الرسل لا تنقطع أبدا ، والجنة رجل أمرنا بموالاته وهو الإمام ، والنار ضده أي رجل أمرنا ببغضه وهو ضده أي ضد الإمام وخصمه كأبي بكر وعمر ، وكذا الفرائض والمحرمات فإن الفرائض أسماء رجال أمرنا بموالاتهم والمحرمات أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم ومقصودهم بذلك أن من ظفر برجل منهم فقد ارتفع .

الخطابية : هو أبو الخطاب الأسود غرا نفسه إلى أبي عبد اللّه جعفر الصادق عليه السلام فلما علم منه غلوه في حقه تبرأ منه فلما اعتزل منه ادعى الأمر لنفسه وقالوا الأئمة الأنبياء وأبو الخطاب نبي ففرضوا طاعته وزعموا أن الأنبياء فرضوا على الناس طاعة أبي الخطاب بل زادوا على ذلك وقالوا الأئمة آلهة والحسنان أبناء اللّه وجعفر الصادق إله ولكن أبوالخطاب أفضل منه ومن علي وهؤلاء يستحلون شهادة الزور لموافقتهم على مخالفتهم الإمام بعد قتله إذا قتل أبوالخطاب عمر وذهب إلى ذلك جماعة منهم فعبدوا عمر كما كانوا يعبدون أبا الخطاب ، وقال الجنة نعيم الدنيا والنار آلامها والدنيا لا تفنى واستباحوا المحرمات وتركوا الفرائض وقيل الإمام بعده بزيع وذهب إلى ذلك طائفة منهم وقالوا أن كل مؤمن يوحي اللّه إليه وفيهم أي في أصحاب

---

(١) الطور ٤٤

بزيع من هو خير من جبرائيل وميكائيل وهم لا يموتون أبدا بل إذا بلغوا النهاية يرفعون إلى الملكوت وقيل أن الإمام بعد أبي الخطاب عمر بن بنان العجلي .

الغرابية : قالوا : محمد ﷺ بعلي أشبه من الغراب بالغراب والذباب بالذباب فبعث جبرائيل إلى علي فغلط جبرائيل في تبليغ الرسالة بين علي إلى محمد قال شاعرهم (غلط الأمين فحادها عن حيدر) فيلعنون صاحب الريش ويعنون به جبرائيل .

الذمية : لقبوا بذلك لأنهم ذموا محمدا لأن عليا هو الإله وقد بعثه ليدعو الناس إليه فدعى لنفسه ، وقيل بإلاهيتهما معا أي قال طائفة منهم بإلهية محمد وعلي ولهم في التقديم خلاف فبعضهم يقدم عليا في الأحكام الإلهية وبعضهم يقدم محمدا ﷺ ، وقيل بإلهية خمسة أشخاص يسمون أصحاب العباء هما وفاطمة والحسنان عليهم السلام ، وهؤلاء زعموا أن هؤلاء الخمسة شيء واحد وأن الروح حالة فيهم بالسوية لا مزية لواحد منهم على الآخر ولا يقول فاطمة تحاشيا عن التأنيث .

الهشامية : أصحاب الهشامين ابن الحكم وابن سالم الجواليقي قالوا : اللّه جسد واتفقوا على ذلك ثم اختلفوا فقال ابن الحكم هو طويل عريض عميق لتساوي طوله وعرضه وعمقه وهو كالسبيكة البيضاء الصافية يتلألأ من كل جانب وله لون وطعم ورائحة ومجسة بفتح الميم وهو الموضع الذي يجسه الطبيب كأنهم يريدون بها النبض ، وقالوا ليست هذه الصفات المذكورة غير ذاته ويقوم اللّه ويقعد ويتحرك ويسكن وله مشابهة بالأجسام لولاها لم تدل عليه ، ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه إليه وهو سبعة أشبار بأشبار

نفسه مماس للعرش بلا تفاوت بينهما على وجه لا يفصل أحدهما عن الآخر ، وإرادته من حركته صفة لا عينه وغيره وإنما يعلم الأشياء بعد كونها لا قبله قديم بعلم قديم ولا حادث لأنه صفة والصفة لا يوصف بها ، والكلام صفة له لا مخلوقة ولا غيره كما مر والأعراض لا تدل على الباري وإنما الدال عليه هو الأجسام لما عرفت عن مشابهته إياها ، والأئمة معصومون دون الأنبياء لأن النبي يوحى إليه فيغرب به إلى اللّه بخلاف الإمام فإنه لا يوحى إليه فوجب أن يكون معصوما ، قال ابن سالم هو على صورة إنسان له يد ورجل وحواس خمس وأنف وأذن وعين وغم وله سرة سوداء ونصف الأعلى مجوف والأسفل مصمت إلا أنه ليس لحما ولا دما .

الزرارية : هو زرارة بن أعين قالوا بحدوث الصفات لله وقبلها أي حدوثها له لا حياة فلا يكون حيا عالما ولا قادرا ولا سميعا ولا بصيرا .

اليونسية : هو يونس بن عبد الرحمن العمي قال : اللّه تعالى على العرش تحمله الملائكة وهو أقوى منها أي من الملائكة مع كونه محمولا لهم كالكركي يحمله رجلاه وهو أقوى منها .

الشبعانية : وهو محمد بن نعمان الملقب بشبعان الطاق قال أنه تعالى نور غير جسماني ومع ذلك هو على صورة الإنسان وإنما يعلم الأشياء بعد كونها .

الزرامية : قالوا الإمام بعد علي محمد بن الحنفية ثم ابنه عبد اللّه ثم علي ابن عبداللّه بن عباس ثم أولاده إلى المنصور حل الإله في أبي مسلم وأنه لم يقتل واستحلوا المحارم وتركوا الفرائض ومنهم من ادعى الإلهية في المقنع .

المفوضة : قالوا اللّه فوض خلق الدنيا إلى محمد أي خلق محمدا وفوض

إليه خلق الدنيا فهو الخلاق لها بما فيها ، وقيل فوض ذلك إلى علي .

البدائية : جوزوا البداء على اللّه أن يريد اللّه شيئا ثم يبدو له أي يظهر عليه ما لم يكن ظاهرا ويلزمه أن لا يكون الرب عالما بعواقب الأمور .

النصرية والإسحاقية : قالوا حل اللّه في علي فإن الظهور الروحاني في الجسد الجسماني مما لا ينكر إما في جانب الخير فكظهور جبرائيل بصورة البشر وإما في جانب الشر فكظهور الشيطان في صورة الإنسان ، قالوا فلما كان علي عليه السلام وأولاده أفضل من غيرهم وكانوا مؤيدين بتأييدات متعلقة بباطن الأسرار قلنا ظهر الحق تعالى بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم ومن ها هنا أطلقنا الإلهية على الأئمة ، ألا ترى النبي صلى الله عليه وآله قاتل المشركين وعليا قاتل المنافقين فإن النبي صلوات اللّه عليه وآله يحكم بالظاهر وأنه يتولى السرائر .

الإسماعيلية : ولقبوا بسبعة ألقاب بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره فقالوا أن للقرآن باطنا وظاهرا والمراد منه باطنه دون ظاهره الذي هو معلوم من اللغة ، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر والمتمسك بظاهره معذب بالمشقة بالاكتساب وباطنه مؤد ترك العمل بظاهره وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾[1] وهذا القول أخذوه من المنصورية .

الخاصية : ولقبوا بالقرامطة لأن أولهم الذي دعا الناس إلى مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمط وهو من أحد قرى واسط ، وكذلك لقبوا بالحريمية لإباحتهم المحرمات والمحارم ، وبالسبعية لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتمون شريعته ، ولابد في كل

(١) الحديد ١٣

عصر من سبعة بهم يقتدى وبهم يرشد آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد المهدي ، وفي الدين هم متفاوتون في الرتب إمام يؤدي عن اللّه وهو غاية الأدلة إلى دين اللّه ، وحجة يؤدي عن الإمام ويحمل علمه ويجتمع به له وذو قصة عرف العلم من الحجة أي يأخذه منه فهذه ثلاثة ، وأبواب الدعاء فأكبرهم أي الداعي الأكبر هو رابعهم يرفع درجات المؤمنين ، وداع مأذون يأخذ العهد على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الإمام ويفتح لهم باب العلم والمعرفة وهو خامسهم ، ومكلب من ارتفعت درجته في الدين ولكن لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس فهو يحتج ويرغب إلى الداعي المكلب حتى إذا احتج على آخر من أهل الظاهر وكسر عليه مذهبه بحيث رغب عنه وطلب الحق أراه المكلب إلى الداعي المأذون ليأخذ عليه العهود ، وقال الآمدي إنما سموا مثل هذا مكلبا لأن قبله مثل الجارح يحبس الصيد على كلب الصائد على ما قاله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[1] وهو سادسهم ، ومؤمن يتبعه أي يتبع الداعي وهو الذي أخذ عليه العهود وآمن وأيقن بالعهد ودخل في ذمة الإمام ضربه وهو سابعهم ، قالوا ذلك الذي ذكرناه كالسماوات والأرضين والبحار وأيام الأسبوع والكواكب السيارة وهي المدبرات أمرا كل منها سبعة كما هو المشهور ، ولقبوا بالبابكية لأنه تبع طائفة منهم بابك الحربي في الخروج بأذربيجان ، وبالمحمرة للبستهم المحمرة في أيام بابك أو تسميتهم المخالفين لهم من المسلمين حميرا ، وبالإسماعيلية لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وهو أكبر أبنائه ، وقيل الانتساب بزعمهم

(١) المائده ٤

إلى محمد بن إسماعيل وأصل دعواهم على إبطال الشرائع على وحدة يعود كل قواعد أسلافهم وذلك اجتمعوا فتذاكروا ما عليه أسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك لكنا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلماتهم ورئيسهم في ذلك حمدان قرمط وقيل عبدالله بن ميمون القداح ، ولهم في الدعوة واستدراج الطعام مراتب الرزق وهو تفرس حال المدعو هل هو قابل الدعوة أم لا ، وكذلك منعوا إلقاء البذر في السبخة أي دعوة من ليس قابلا لها ومنعوا في التكلم في بيت فيه سراج أي في موضع فيه فقيه أو متكلم ، ثم الشانين باشتماله على كل واحد من المدعوين بما يميل إليه بهواه طبعه من زهد وخلاعة ، فإن كان يميل إلى الزهد زينه في عينه وقبح نقيضه وإن كان يميل إلى الخلاعة زينها له وقبح نقيضه حتى يحصل له الأنس به ثم التشكيك في أركان الشريعة بمقطعات السور بأن يقول ما معنى الحروف المقطعة في أوائل السور وقضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها ، أي لم يجب أحدهما دون الآخر ووجوب التغسيل من المني بعضها ثلاثا وبعضها اثنين إلى غير ذلك من الأمور التعبدية ، وإنما يشككون في هذه الأشياء ويطوون الجواب عنهم ليتعلق قلبهم بمراجعتهم فيها ، ثم الربط وهو أمران الأول أخذ الميثاق منه بأن يقولوا قد أتت سنة الله بأخذ المواثيق والعهود ويستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾[1] ثم يأخذوا من كل واحد ميثاقه بحسب اعتقاده أن لا يفش لهم سرا ، والثاني حوالته على الإمام في

(١) الأحزاب ٧

حل ما أشكل عليه عن الأمور ألقاها إليه فإنه العالم بها ولا يقدر عليها أحد حتى يترقى من درجته وينتهي إلى الإمام ، ثم التدليس وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم حتى يزداد ميله إلى ما دعاه إليه ، ثم التأسيس وهو تمهيد مقدمات يقبلها ويسلمها المدعو وتكون شائقة له إلى ما يدعوه إليه من الباطل ، ثم الخلع وهو الطمأنينة إلى إسقاط البدنية ، ثم السلح عن الاعتقادات الدينية وتأويل الشرائع ، كقولهم الوضوء عبارة عن موالاة الإمام والتيمم هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1] والاحتلام عن إفشاء سر من أسرارهم إلى من ليس هو أعلم بغير قصد منه ، والغسل تجديد العهد وتزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين ، والكعبة النبي ﷺ والباب علي عليه السلام والصفا هو النبي والمروة علي ، والطواف بالبيت سبعا موالاة الأئمة السبعة ، والجنة راحة الأبدان من التكليف والنار مشقتها عن التكليف إلى غير ذلك من خرافاتهم ، ومن مذهبهم أن اللّه لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات وذلك لأن الإثبات الحقيقي يقتضي المشاركة بينه وبين الموجودات وهو تشبيه ، والنفي المطلق يقتضي مشاركته للمعدومات وهو تعطيل بل هو واقف بين هذه الصفات ورتب المتضادات ، وربما خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة وقالوا أنه تعالى أبدع بالأمر العقل التام وبتوسط النفس التي ليست تامة فاشتاقت إلى العقل التام مستفيضة عنه فاحتاجت إلى الحركة إلا بآلتها فحدثت الأجرام الفلكية ، وتحركت حركة دورية بتدبير النفس فحدث بتوسط الأفلاك الطبائع البسيطة العنصرية

(١) العنكبوت ٤٥

وبتوسط البسائط حدث المركبات من المعادن والنباتات وأنواع الحيوان وأفضلها الإنسان لاستعداده لفيض الأنوار القدسية عليه واتصاله بالعوالم العلوية ، وحيث كان العالم العلوي مشتملا على عقل كامل كلي ونفس ناقصة كلية يكون وسيلة إلى النجاة وهو الرسول الناطق ونفس ناقصة يكون نسبتها إلى الناطق في تعريف طرق النجاة نسبة النفس الأولى إلى العقل الأول فيما يرجع إلى إيجاد الكائنات وهو الإمام الذي هو وصي الناطق ، وكما أن الأفلاك تتحرك بتحريك العقل والنفس تتحرك النفوس إلى النجاة بتحريك الناطق والوصي على هذا في كل عصر وزمان ، قال الآمدي هذا ما كان عليه قدماؤهم وحيث ظهر الحسن بن محمد بن صباح جدد الدعوة على أنه الحجة الذي يؤدي عن الإمام الذي لا يجوز خلو الزمان عنه وحاصل كلامه كما تقدم في الاحتياج إلى المعلم ، ثم أنه منع العوام عن الخوض في العلوم والخوض في النظر في الكتب المتقدمة كي لا يطلع على فضائحهم ، ثم أنهم تعسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأنوار الشرعية وتحصنوا بالحصون وكثرت شوكتهم وضاقت ملوك السوء منهم فأظهروا إسقاط التكاليف وإباحة المحرمات وصاروا كالحيوانات بلا ضابط ديني ولا رادع شرعي نعوذ باللّه من الشيطان وأتباعه .

وأما الزيدية : وهم المنسوبون إلى زيد بن علي زين العابدين عليه السلام ، فثلث فرق الجارودية أصحاب أبي الجارود الذي سماه الباقر عليه السلام سرحوبا وفسره بأنه شيطان يسكن في البحر ، قالوا بالنص عن النبي صلى الله عليه وآله في الإمامة على علي عليه السلام وصفاً لا تسمية وكفروا الصحابة لمخالفتهم وتركهم الإقتداء بعلي بعد النبي صلى الله عليه وآله ، والإمامة بعد الحسن والحسين عليهما السلام شورى في أولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع فهم إمام كما مر ،

واختلفوا في المنتظر المهدي هو محمد بن عبداللّه بن حسن بن علي الذي قتل في المدينة في أيام المنصور فذهب طائفة منهم إلى ذلك وزعموا أنه لم يقتل ، أو هو محمد ابن القاسم بن علي بن الحسين صاحب الطالقان الذي أسر في أيام المعتصم بابنه وحمل إليه فأجلسه في داره حتى مات فذهب طائفة أخرى إليه وأنكروا موته ، أو هو يحيى بن عمر صاحب الكوفة من أحفاد زيد بن علي ودعا الناس إلى نفسه واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين باللّه فذهب إليه طائفة ثالثة وأنكروا قتله .

السليمانية : وهو سليمان بن جرير قالوا الإمامة شورى في ما بين الخلق وأنما تنعقد برجلين من خيار المسلمين وتصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وأبوبكر وعمر إماما وأخطأت الأمة في البيعة لهما مع وجود علي عليه السلام لكنه خطأ لا ينتهي إلى درجة الفسق وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة .

التبرية : وهم وافقوا السليمانية إلا أنهم توقفوا في عثمان .

هذه فرق الزيدية وأكثرهم في زماننا مقلدون يرجعون في الأصول إلى الاعتزال وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة .

وأما الإمامية : فقالوا بالنص الجلي إلى إمامة علي ثم أولاده المعصومين الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى ابن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة ابن الحسن عجل اللّه فرجه وستعرف ذلك فيما بعد إن شاء اللّه تعالى .

قال : وأهل السنة متفرقون إلى المعتزلة والأشاعرة وغيرهما ، والمعتزلون متفرقون إلى اثني عشر فرقة .

إلى الراملية : من أصحاب واصل بن عطا تلميذ الحسن البصري القائلين بكون صفات الله عين ذاته، والعبد فاعل الخير والشر وصاحب الكبيرة غير مسلم ولا كافر، وكون أحد الفريقين من أصحاب الجمل والصفين لا على التعيين خطأ.

وإلى الهذلية : من أصحاب أبي الهذيل القائلين باعتبارية صفات الله وكون العبد كاسبا وانقطاع الجنة والنار وانحصار الرزق في الحلال.

وإلى النظامية : من أصحاب إبراهيم النظام القائلين بجسمية الروح كماء الورد فيه وعدم قدرة الله على الشر وبالجزء الذي لا يتجزأ وبالطفرة وكون إعجاز القرآن بالإخبار عن القرون الماضية لا بالفصاحة وبحجية القياس والعصيان لا يصير فسقا إلا إذا بلغ إلى حد النصاب وهو كونه مائتين.

وإلى الحائطية : من أصحاب محمد بن حائط القائلين بكون حساب الخلق في القيامة إلى عيسى بن مريم وبالتناسخ والرؤية العقلية.

وإلى البشيرية : من أصحاب بشير بن معمر القائلين بانحصار الإدراك في السمع والبصر وبعدم وجوب الأصلح على الله وكون الاستطاعة عبارة عن الصحة البدنية.

وإلى المعمرية : من أصحاب معمر بن عباد القائلين بانحصار المخلوق في الأجسام وكون الأعراض من معلومات الأجسام مع عدم تناهيها وكون الإرادة غير الذات والصفات وعدم نسبة القدم إلى الله تعالى.

وإلى المرادية : من أصحاب أبي موسى عيسى بن صبيح الملقب بمردار القائلين بقدرة الناس على الإتيان بمثل القرآن.

وإلى التمامية : من أصحاب تمام القائلين بعدم حشر الكفار والمشركين والزنادقة وأطفال المسلمين بل هم كالبهائم يصيرون ترابا وتكون الإرادة عين الفعل .

وإلى الهشامية : من أصحاب هشام بن عمرة القائلين بأن الإمامة لا تقع باتفاق الأمة وبعدم خلق الجنة والنار.

وإلى الجاحظية : من أصحاب عمر بن جريح الجاحظ القائلين بأن تحصيل العلوم والمعارف ليس من أفعال العبد وبعدم خلود النار.

وإلى الخياطية : من أصحاب أبي الحسن الخياط القائلين بجواز إطلاق الشيء على المعدوم وكون الجوهر والعرض في حال العدم جوهرا وعرضا.

وإلى الجبائية : من أصحاب أبي علي الجبائي القائلين بحدوث الإرادة.

أقول : قال صاحب المواقف المعتزلة أصحاب واصل بن عطا المعتزلي اعتزل عن مجلس الحسن البصري وذلك أنه دخل على الحسن رجل فقال يا إمام الدين ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة وعبدية الخوارج ، وجماعة أخرى يرجعون الكبائر ويقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك ، فتفكر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، ثم قام إلى اسطوانات المسجد وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين قائلا أن المؤمن يستحق اسم المدح والفاسق لا يستحق المدح فلا يكون مؤمنا وليس بكافر أيضا لإقراره بالشهادتين ولوجود سائر الأعمال الخرقية ، فإذا مات بلا توبة خلد في النار إذ ليس في الآخرة إلا فريقان فريق بالجنة وفريق في السعير لكن يخفف عليه ويكون دركاته فوق دركات الكفار ، فقال الحسن قد اعتزل عنا فلذلك سمي هو وأصحابه معتزلة ، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى

قدرتهم وإنكارهم القدر فيها وأنهم قالوا أن من يقول بالقدر خيره وشره من اللّه أولى باسم القدرية منا ، وذلك لأن مثبت القدر أحق من أن ينسب إليه من نافيه .

قال صاحب المواقف فنقول كما يصح نسبة مثبته إليه يصح نسبة النافي أيضا إذا بالغ في نفيه لأنه متلبس به ، ولا يمكن حمل القدرية على المثبتين له لأنه يرده قوله عليه السلام (الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ)[1] ، فإنه يقتضي مشاركتهم للمجوس فيما اشتهروا به من إثبات خالقين لأن قولهم بأن اللّه خلق شيئا ثم أنكره والنافون له هم المشاركون لهم في تلك الصفة المشهورة ، حيث يجعلون العبد خالقا لأفعاله وينسبون القبائح والشرور إليه دون اللّه سبحانه ويرده أيضا قوله عليه السلام في حق القدرية (القدرية خصماء الله)[2] في القدر ولا خصومة للقائل بتفويض الأمور كلها إلى اللّه وإنما الخصومة لمن يعتقد أنه يقدر على ما يريد اللّه بل يكرهه ، والمعتزلة لقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وذلك لقولهم بوجوب الأصلح لعباده ، ويجب أيضا ثواب المطيع فهو لايبخل بما هو واجب عليه أصلا وجعلوا هذا عدلا ، وقالوا أيضا بنفي الصفات الحقيقية القديمة القائمة بذاته تعالى إحترازا عن إثبات قدماء متعددة وجعلوا هذا توحيدا وقالوا جميعا بأن القدم وصف اختص اللّه تعالى به لا يشاركه فيه لا ذات ولا صفة وتنفى الصفات الزائدة ، وبأن الحسن والقبح عقليان ويجب على اللّه رعاية الحكمة والمصلحة في أفعاله وثواب المطيع والتائب وعقاب صاحب الكبيرة ، ثم أنهم بعد اتفاقهم على هذه الأمور المذكورة افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا ، منهم الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطا قالوا بنفي الصفات .

(١) مستدرك الوسائل ٣٦ / ٣١٧

(٢) جامع الأخبار ١٦١

قال الشهرستاني سرعت أصحابه في هذه المسألة بعدما اطلعوا على كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم إلى أن ردوا جميع الصفات إلى كونه عالما قادرا ، ثم حكموا أنهما صفتان زائدتان اعتباريتان للذات القديمة كما قال الجبائي أو حالان كما قاله أبو هاشم ، وقالوا بالقدرة إلى إسناد أفعال العباد إلى قدرتهم وامتناع إضافة الشر إلى اللّه ، وقالوا بالمعتزلة بين المنزلتين على ما مر تفصيله وذهبوا إلى الحكم بتخطئة أحد الفريقين من عثمان وقاتليه وجوزوا أن يكون عثمان لا مؤمنا ولا كافرا وأن يخلد في النار وكذا علي عليه السلام ومقاتلوه وحكموا بأن علي وطلحة والزبير على باقة بقلة لم تقبل شهادتهم كشهادة المتلاعنين أي الزوج والزوجة فإن أحدهما فاستولا بعينه .

العمروية : مثلهم أي مثل الواصلية فيما ذكر إلا أنهم فسقوا الفريقين في قضيتي عثمان وعلي عليه السلام ، وهم منسوبون إلى عمرو بن عبيد وكان من رواة الحديث معروفا بالزهد تابع واصل بن عطا في القواعد المذكورة وزاد عليه تعميم الفسق .

والهذيلية : أصحاب أبي الهذيل بن حمد أن الغلاة شيخ المعتزلة ومقرر طريقتهم ، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا وقالوا بفناء مقدورات اللّه تعالى وهذا قريب من مذهب جزهمة حيث ذهب إلى أن الجنة والنار تفنيان وقالوا أن حركات أهل الجنة والنار ضرورية مخلوقة لله تعالى إذ لوكانت مخلوقة لهم كانوا مكلفين ولا تكليف في دار الآخرة ، وأن أصل المخلدين تنقطع حركاتهم ويصيرون إلى جمود دائم وسكون ثم يجتمع في ذلك السكون اللذات لأهل الجنة والآلام لأهل النار دائما ، ثم ارتكب أبو الهذيل هذا القول لأنه التزم في مسألة حدوث العالم أنه لا فرق

بين حوادث لا أول لها وبين حوادث لا آخر لها فقال لا أقول أيضا بحركات لا تنتهي إلى آخرها بل يصير إلى سكون ، وتوهم أن ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون ولذلك سمى المعتزلة أبا الهذيل جرهمي الآخرة ، وقيل أنه قدري الأولى جرهمي الآخرة ، وقالوا أن اللّه عالم بعلم هو ذاته قادر بقدرة هي ذاته وأخذوا هذا القول من الفلاسفة الذين يعتقدون أنه تعالى واحد من جميع جهاته لا تعدد فيه أصلا بل جميع صفاته راجعة إلى السلوب والإضافات ، وقالوا هو مريد بإرادة حادثة لا في محل وأول من أحدث هذه المقالة هو الغلاة ، وقالوا بعضه كلام لا في محل وهو كن وبعضه في محل كالأمر والنهي والوجوب والاستحباب وذلك لأن تكون الأشياء بكلمة كن فلا يتصور كونها في محل ، وقالوا إرادته تعالى غير ما أراد وقيل لأن إرادته تعالى هي عبارة عن خلقه للشيء وخلقه للشيء مغاير لذلك الشيء ، وقالوا الحجة بالمتواتر فيما غاب لا تقوم إلا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ، وقالوا لا تخلوا الأرض عن أولياء اللّه تعالى هم معصومون لا يكفرون ولا يرتكبون شيئا من المعاصي والحجة قولهم لا التواتر الذي هو كاشف عنه وتوفى الغلاف سنة خمس وثلاثين ومائة .

ومن أصحاب أبي يعقوب المشحام النظامية أصحاب إبراهيم بن سيار النظام وهو من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وغلط كلامهم بكلام المعتزلة ، قالوا لا يقدر اللّه أن يفعل لعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه ولا يقدر أن يزيد في الآخرة أوينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنة والنار ، وتوهموا أن غاية تنزيهه تعالى عن الشرور والقبائح لا يكون إلا بسلب قدرته عليهما فهم في ذلك كمن هرب من المطر إلى الميزاب ، وقالوا قوله تعالى

مريد لفعله أنه خالقه على وفق علمه وكونه مريد الفعل للعبد أنه أمر به ، وقالوا الإنسان هو الروح والبدن آلتها ، وقد أخذه النظام من الفلاسفة إلا أنه مال إلى الطبيعيين فقال الروح جسم لطيف سار في البدن سريان ماء الورد في الورد والدهن في اللبن والسمسم ، وقالوا الأعراض كالألوان والطعوم والروائح وغيرها أجسام كما هو مذهب هشام حيث قال بأن الأعراض أجسام ، وقالوا الجوهر مؤلف من الأعراض المجتمعة والعلم مثل الجهل المركب والإيمان مثل الكفر في تمام الماهية ، وأخذوا هذه المقالة من الفلاسفة حيث حكموا بأن حقيقتها حصول الصورة في القوة العاقلة والامتياز بينها في الخارج هو مطابقة تلك الصورة لمتعلقها وعدم مطابقتها له ، وقالوا أن اللّه خلق الخلق دفعة واحدة على ما هو عليه الآن معادنا ونباتا وحيوانا وإنسانا وغير ذلك ، فلم يكن خلق آدم متقدما على خلق أولاده إلا أنه كمن بعض المخلوقات في بعض والتقديم والتأخير في الكمون والظهور ، وهذه المقالة مأخوذة من كلام الفلاسفة القائلين بالخلط والكمون والبروز ، وقالوا نظم القرآن ليس بمعجز إنما المعجز إخباره بالغيب من الأمور السالفة والآتية وصرف أمة العرب عن الاهتمام بمعارضته حتى لو خلاهم لأمكنهم الإتيان بمثله بل بأفصح منه ، وقالوا التواتر الذي لا يحصى عدده يحتمل الكذب والإجماع والقياس ليس بشيء منهما بحجة ، وقالوا بالطفرة ومالوا إلى الرفض ووجود النص على الإمام وثبوته أي ثبوت النص من النبي ﷺ على علي عليه السلام لكنه كتمه عمر ، وقالوا من جاء بالسرقة فيما دون نصاب الزكاة كمائة أو تسعة وتسعون درهما أو أربعة من الإبل مثلا أو ظلم به على غيره بالغضب والتعدي لا يفسق .

الأسوارية : أصحاب الأسواري ووافقوا النظام فيما ذهبوا إليه وزادوا عليهم

أن اللّه تعالى لا يقدر على ما أخبر بعدمه أوعلم بعدمه والإنسان قادر عليه لأن قدرة العبد صالحة للضدين على السواء فإذا قدر على أحدهما قدر على الآخر ، فتعلق العلم أو الإخبار من اللّه بأحد الطرفين لا يمنع مقدورية الآخر للعبد .

الإسكافية : أصحاب أبي جعفر الإسكاف قالوا أن اللّه لا يقدر على ظلم العقلاء بخلاف ظلم الصبيان والمجانين فإنه يقدر عليه .

الجعفرية : أصحاب جعفر بن تيشة وابن حرب وافقوا الإسكافية وزادوا عليهم متابعة لابن الميسر في فساق الأمة من هو شر من الزنادقة والمجوس والإجماع من الأمة على أن الشرب خطأ لأن المعتبر في الحد هو النص وسارق الحبة فاسق ينخلع عن الإيمان .

البشرية : هو بشر بن معمر كان من أفاضل علماء المعتزلة وهو الذي أحدث القول بالتوليد قالوا الأعراض من الألوان والطعوم والروائح وغيرها كالإدراكات من السمع والرؤية يقع بتولده في الجسم من فعل الغير كما إذا كان أسبابها من فعله ، وقالوا القدرة والاستطاعة سلامة البنية والجوارح عن الآفات ، وقالوا اللّه قادر على تعذيب الطفل ولو عذبه لكان ظالما لكنه لا يستحق أن يقال في حقه ذلك بل يجب أن يقال ولو عذبه لكان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا للعذاب وفيه تناقض أن حاصله أن اللّه يقدر أن يظلم ولو ظلم لكان عادلا .

الخردارية : هو أبو نرسي عيسى بن صبيح الخرهدار وهو تلميذ بشر أخذ العلم منه وترقى حتى تسمى أصحاب المعتزلة ، قال اللّه قادر على أن يكذب ويظلم ولو فعل ذلك لكان إلها كاذبا ظالما تعالى اللّه عما يقول

الظالمون علوا كبيرا ، قال والناس قادرون على مثل القرآن وأحسن منه نظما وبلاغة كما قال النظام هو الذي بالغ في حدوث القرآن ، وكفر القائل بالقدم وقال من لابس السلطان كافر لا يوارث أي لا يرث ولا يورث منه وكذا من قال بخلق الأعمال وبالرؤية كافر أيضا .

الهشامية : هو هاشم بن عمر الفرطي الذي كان مبالغا في القدر أكثر من مبالغة سائر المعتزلة ، قالوا لا يطلق اسم الوكيل على اللّه مع وروده في القرآن لاستدعائه موكلا ولم يعلموا أن الوكيل في أسمائه بمعنى الحفيظ كما في قوله تعالى ﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** ﴾[1] ولا يقال ألف اللّه بين القلوب مع أنه مخالف لقوله تعالى ﴿ **مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾[2] وقالوا الأعراض لا يدل على اللّه ولا على رسوله وإنما الدال هو الأجسام ويلزمهم على ذلك أن فلق البحر وقلب العصا حية وإحياء الموتى لا يكون دليلا على صدق من ظهر على يده ، وقالوا لا دلالة في القرآن على حلال وحرام والإمامة لا تنعقد مع الاختلاف بل لابد من اتفاق الكل ، قيل مقصودهم الطعن في إمامة أبي بكر إذ كانت بيعته لا باتفاق جميع الصحابة لأنه بغى في كل طرف طائفة على خلافه ، والجنة والنار لم يخلقا بعد إذ لا فائدة في وجودهما الآن ، ولم يحاصر عثمان ولم يقتل مع كونه متواترا ، ومن أفسد صلاة في آخرها وقد أتقنها أولا بشروطها فأول صلاته معصية معوض عنه مع كونه مخالفا للإجماع .

الصالحية : أصحاب الصالحي ومن مذهبهم أنهم جوزوا قيام العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر بالميت ويلزمهم جواز أن يكون الناس مع إبقائهم

---

(١) الأنعام ٦٦

(٢) الأنفال ٦٣

بهذه الصفات أمواتا وأن لا يكون الباري تعالى حيا وجوزوا خلو الجواهر من الأعراض كلها .

الحائطية : هو أحمد بن حائط أتباعه إلى اللّه وهو من أصحاب النظام قالوا للعالم إلهان قديم هو اللّه ومحدث هو المسيح ، والمسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة وهو الجائي لقوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[1] وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام وهو المعني بقوله (إن اللّه خلق آدم على صورته) وبقوله يضع الجبار قدمه في النار ، وإنما يسمى المسيح لأنه ذرأ الأجسام وأحدثها وقال الآمدي وهؤلاء كفار مشركون .

الحدبية : هو فضل الحدبي ومذهبهم الحائطية إلا أنهم زادوا التناسخ وأن كل حيوان مكلف وأنهم قالوا إن اللّه سبحانه خلق الحيوانات عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار خلق لهم المعرفة والعلم به وأسبغ عليهم نعمة ابتلاهم وكلفهم شكر نعمة ظاهرة فأطاعه بعضهم فأقرهم في دار النعيم التي ابتلاهم فيها وعصى بعض في الجميع فأخرجهم من تلك الدار إلى دار العذاب وهي النار وبعض أطاعه في البعض دون البعض فأخرهم إلى دار الدنيا وكساهم هذه الأجساد الكثيفة على صور مختلفة كصور الإنسان وسائر الحيوانات وابتلاهم بالبلاء والآلام والعذاب على مقادير ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر كانت صورته أحسن وآلامه أقل ومن كان بالعكس فبالعكس ، ولا يزال الحيوانات في الدنيا في صورة بعد صورة مادامت بقية ذنوبه وهذا عين القول بالتناسخ .

المعمرية : وهو معمر بن عقار السلمي قالوا اللّه لم يخلق غير الأجسام وأما الأعراض فتحدثها الأجسام إما طبعا كالنار للإحراق والشمس للحرارة وإما

---

(١) الفجر ٢٢

اختيارا كالحيوان ، قيل ومن العجب أن حدوث الأجسام وفنائها عند معمر من الأعراض فكيف يقول أنها من فعل الأجسام ، وقال لا يوصف اللّه بالقديم لأنه يدل على المتقادم الزماني واللّه سبحانه وتعالى ليس بزماني ولا يعلم اللّه نفسه ولا اتحد العالم والمعلوم ، والإنسان لا فعل له غير الإرادة مباشرة كانت أوتوليدا بناء على ما ذهبوا إليه من مذهب الفلاسفة في حقيقة الإنسان .

التمامية : هو تمامة بن أشر النمري قالوا الأفعال المتولدة لا فاعل لها وأنه لا يمكن إسنادها إلى فاعل السبب لاستلزام إسناد الفعل إلى الرامي فيما إذا رمى إلى شخص ومات قبل وصوله إليه ، ولا إلى اللّه تعالى لاستلزامه صدور القبيح عنه والمعرفة ، متولدة من النظر وأنها واجبة قبل الشرع ، واليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون في الآخرة ترابا لا يدخلون جنة ولا نارا وكذا البهائم والأطفال ، والاستطاعة سلامة الآلة وهي قبل الفعل ، ومن لا يعلم خالقه من الكفار معذور وكذا المعارف كلها ، ولا فعل للإنسان غير الإرادة وما عداها حادث بلا محدث والعالم فعل اللّه بطبعه كأنهم أرادوا به ما يقوله الفلاسفة من الإيجاب ويلزم قدم العالم ، وكان تمامه في زمن المأمون وكان له عنده منزلة .

الخياطية : أصحاب الحسن بن أبي عمير الخياط قالوا بالقدر أي إسناد الأفعال إلى العباد وتسمية المعدوم شيئا أي ثابتا متقررا في حالة العدم وجوهرا وعرضا أي الذوات المعدومة الثابتة متصفة بصفات الأجناس حالة العدم ، وأن إرادة اللّه كونه قادرا غير مكره ولا كاره وكونه سميعا بصيرا معناه أنه عالم بمتعلقها وكونه يرى ذاته أو غيره معناه أنه يعلم .

الجاحظية : هو عمر بن بحر الجاحظ كان من الفضلاء البلغاء في أيام المعتصم والمتوكل وقد طالع كتب الفلاسفة وروح كثيرا من مقالاتهم بعباراته اللطيفة البليغة ، قالوا المعارف كلها ضرورية ولا إرادة في المشاهد أي في الواحد منا إنما هي إرادته لفعله عدم السهو أي كونه عالما به غير ساه عنه وإرادته لفعل الغير هي الميل أي ميل النفس إليه ، وقالوا أن الأجسام ذوات طبائع مختلفة لها آثار مخصوصة كما ذهب إليه الفلاسفة الطبيعيون ويمنع انعدام الجواهر ويقول إنما تتبدل الأعراض والجواهر باقية على حالها ، والخير والشر من فعل اللّه والقرآن جسد يتقلب تارة رجل وتارة امرأة .

الكعبية : وهو أبو القاسم بن محمد الكعبي كان من معتزلة بغداد وتلميذ الخياط ، قالوا فعل الرب واقع بغير إرادة فإذا قيل أنه فعال لا مريد لأفعاله أريد أنه خالق لها ، وإذا قيل أنه مريد لأفعال الغير أريد أنه أمر بها ولا يرى نفسه ولا غيره إلا بمعنى أنه تعالى يعلمه كما ذهب إليه الخياطية .

الجبائية : وهو أبو علي محمد بن عبد القربات الجبائي من معتزلة البصرة ، قالوا إرادة الرب حادثة لا في محل واللّه مريد لتلك الإرادة موصوف بها والعالم يفنى بفناء لا في محل عند إرادة اللّه فناء العالم ، واللّه متكلم بكلام مركب من حروف وأصوات يخلقه اللّه في جسم والمتكلم بذلك الكلام من فعل الكلام وخلقه لا من كلام قام به وحل فيه ولا يرى اللّه في الآخرة ، والعبد خالق لفعله ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وإذا مات بلا توبة يخلد في النار ولا كرامات للأولياء ، ويجب على اللّه لمن يكلف أي للمكلف إكمال عقله وتهيئ أسباب التكليف له أي يجب علي اللطف بالمكلف ورعاية الأصلح له ، والأنبياء معصومون ، وشارك أبو علي فيها أي

في الأحكام المذكورة أبا هاشم ثم انفرد عنه بأن اللّه عالم لذاته بلا إيجاب صفة علم ولا حالة توجب العالمية وكونه تعالى سميعا بصيرا معناه أنه حي لا أنه توجد به ويجوز الإيلام للأعراض المستحسنة ، وبأنه لا توبة عن كبيرة مع الإصرار على غيرها عالما بقبحه ولا توبة مع عدم القدرة فلا يصح توبة الكاذب عن كذبه بعد ما كان أخرس ولا توبة للزاني عن زناه بعد ما جب ، ولا يتعلق علم واحد بمعلومين على التفصيل ومعه لا معلومة ولا مجهولة ولا قديمة ولا حادثة .

قال : وأما سائر أهل السنة وأهل الضلال كالغلاة والجبرية القائلين بعدم القدرة للعبد، وكون كل فعل من اللّه فهم متفرقون إلى فرق .

الأولى : الجهمية من أصحاب جهم بن صفوان القائلون بحدوث علم اللّه تعالى بالنسبة إلى الحادث وعدم الخلود في الجنة والنار، وعدم الاعتبار بالانكار اللساني بالنسبة إلى العقائد .

الثانية : النجارية من أصحاب حسن بن محمد النجار القائلون بكون اللّه تعالى مريد للخير والشر والنفع والضرر، وبحضور ذاته تعالى بعينه بمعنى العلم في كل مكان.

الثالثة : الضرارية من أصحاب ضرار بن عمرو القائلون بكون الصفات بمعنى نفي الضد فالعلم بمعنى عدم الجهل وهكذا، وجواز انقلاب الأعراض بالأجسام وجواز توارد العلتين المستقلتين في معلول واحد شخصي .

الرابعة : الصفاتية القائلون بعدم الفرق بين صفات الذات والفعل .

الخامسة : المشبهة القائلون بثبوت اليد والجوارح لله بل جواز المصافحة والملامسة معه تعالى، ومنهم من يقول بأنه تعالى بكى في طوفان نوح حتى

حصل له الرمد ونحو ذلك من ألفاظ الكفر تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

السادسة : الكرامية من أصحاب محمد بن كرام القائلون بالتجسم والتشبه وكون اللّه تعالى جالسا على العرش مربعا، وقيام الحوادث بذاته تعالى وبثبوت الإمامة بالإجماع.

السابعة : الوعيدية القائلون بالخلود في الجنة والنار وكون صاحب الكبيرة كافرا وكون أطفال المشركين والزنادقة أهل جهنم.

الثامنة : اليونسية من أصحاب يونس بن نميري القائلون بجواز تأخير العذاب وعدم إضرار معصية مع الإيمان وعدم نفع طاعة مع الكفر .

التاسعة : العبيدية من أصحاب عبيد القائلون بكون اللّه تعالى على صورة الإنسان وأن العبد لو كان موحدا لم تضره معصية .

العاشرة : الغسانية من أصحاب غسان الكوفي القائلون بعدم ضرر معصية مع معرفة اللّه ورسوله.

الحادية عشر : الثوبانية من أصحاب أبي ثوبان القائلون بعدم دخول أحد من المؤمنين في النار .

الثانية عشر : التومنية من أصحاب أبي معاذ التومني القائلون بعدم كون السجدة للشمس والقمر كفرا بل هو علامة له وأن قتل النبي ليس كفرا لأصل الفعل بل الاستحقاق .

الثالثة عشر : الصالحية من أصحاب صالح بن عمرو القائلون بكفاية اعتقاد كون الصالح للعالم في الإيمان وإن كان منكرا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبجواز العمل بالقياس والرأي والاستحسان كما أن أبا حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي ومالك بن أنس كانا من تلامذة مولانا الصادق عليه السلام واعتزلا عنه بدعوة المنصور العباسي بالتطبيع الدنيوي فأحدثا مذهبين بالقياس والرأي

والاستحسان وبعدهما الشافعي محمد ابن إدريس من تلامذة مالك وأحمد بن حنبل من تلامذة الشافعي فصار المذاهب الباطلة أربعة في زمان المنصور .

الرابعة عشر : السبابية من أصحاب عبد الله السباب من الغلاة القائلون بحلول الألوهية في علي عليه السلام وهو المهدي الموعود .

الخامسة عشر : الكاملية من أصحاب أبي كامل القائلون بحلول جزء من الألوهية في علي وبكفر من ترك بيعته .

السادسة عشر : العلبانية من أصحاب علبا بن ذراع بعضهم قائلون بأفضلية علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله بل كون النبي صلى الله عليه وآله عاصيا من جهة أن عليا عليه السلام بعثه لدعوة الناس إليه فدعاهم إلى نفسه، وبعضهم قائلون بأنهما إلهان وبعضهم قالوا بألوهية آل العبا .

السابعة عشر : المغيرية من أصحاب مغيرة بن سعد القائلون بأن عليا إله أصله من النور وعليه تاج من النور وحصل من عرقه بحر عذب وأجاج فخلق الشمس والقمر وخلق المؤمن من البحر العذب والكافر من البحر الأجاج .

الثامنة عشر : المنصورية من أصحاب أبي المنصور القائلون بأن عليا نزل من السماء ثم عرج وصافح مع الله وهو ابن الله .

التاسع عشر : الخطابية من أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الهدى القائلون بألوهية علي بن جعفر بن محمد إله هذا الزمان .

العشرون : الكيالية من أتباع أحمد الكيال القائلون بإلهية علي عليه السلام وكون أحمد الكيال مهديا موعودا .

الحادية والعشرون : النصيرية القائلون بأن الله تعالى بعد رسوله صلى الله عليه وآله صار بصورة علي وبعده بصورة سائر الأئمة عليهم السلام وأن عليا خالق الموت والحياة.

الثانية والعشرون : الأزرقية من الخوارج المتفرقة إلى أربعة وعشرون فرقة من أصحاب نافي أزرق الخارج على الإمام من البصرة القائلون بكفر علي عليه السلام وحقية ابن ملجم لعنه الله وكفر من فر من الحرب وصاحب الكبيرة، وجواز نبوة من كان كافرا وعدم جواز التقية ونحو ذلك .

الثالثة والعشرون : النجدية من أصحاب نجدة بن عامر القائلون بحلية دماء أهل الذمة وأحوالهم وجواز التقية في الدم والمال وجواز القعود عن الحرب .

الرابعة والعشرون : البهشية من أصحاب أبي بهيث القائلون بجواز الإنكار عن الحلال والتفويض وكون أطفال المؤمنين مؤمنين وأطفال الكفار كفار .

الخامسة والعشرون : العجاردة من أصحاب عبد الكريم بن عجرد القائلون بكفر صاحب الكبيرة وعدم كون سورة يوسف من القرآن لعدم قصة العشق فيه جائزا، وكون أطفال المشركين معهم في النار .

والسادسة والعشرون : الصلتية من أصحاب عثمان بن أبي الصلت القائلون بعدم كون الأطفال مؤمنا ولا كافرا ووجوب تولي المسلمين والتبري من المشركين .

السابعة والعشرون : الميمونية من أصحاب ميمون بن ماكان القائلون بكون الخير والشر من العبد وجواز نكاح بنات البنات وبنات أولاد الأخوات وعدم كون سورة يوسف من القرآن .

الثامنة والعشرون : الحمزية من أصحاب حمزة بن أدراك وهم كالميمونية مع زيادة اعتقاد خلود أطفال المشركين والمخالفين في النار .

التاسعة والعشرون : الأطوافية وهم كالحمزية إلا أنهم قالوا بأنه ليس حرج على الساكنين في أطراف البلاد الذين لا يسمعون صيت الإسلام .

الثلاثون : الخلفية من أصحاب خلف الخارجي القائلون بكون الخير والشر من الله .

الحادية والثلاثون : الحازمية من أصحاب حازمة بن علي المتوقفون في أمر علي عليه السلام .

الثانية والثلاثون : الثعلبية من أصحاب ثعلبة وهم كالشعيبية مع القول بجواز أخذ الزكوة من العبيد .

الرابعة والثلاثون : الأخنسية من أصحاب أخنس بن قيس القائلون بعدم الحكم بإيمان من لم يثبت إيمانه وإن كان من أهل القبلة وجواز القتل والسرقة سرا لا جهرا .

الخامسة والثلاثون : المعيدية وهم كالثعلبية إلا أنهم قالوا بجواز جعل سهام الصدقة حال التقية سهما واحدا .

السادسة والثلاثون : المغلومية القائلون بكون الفعل مخلوق العبد وعدم كون الجاهل بأسماء الله وصفاته ولو واحدا مؤمنا .

السابعة والثلاثون : المجهولية الناصبون لعلي عليه السلام القائلون بأن جهل بعض أسماء الله تعالى وبعض صفاته غير قادح في الإيمان .

الثامنة والثلاثون : الرشيدية من أصحاب الرشيد الطوسي القائلون بكون الزكاة عشر .

التاسعة والثلاثون : الشيبانية من أصحاب شيبان سلمة القائلون بالجبر ونفي العلم من الله تعالى .

الأربعون : المكرمية من أصحاب مكرم العجلي القائلون بكون تارك الصلوة كافرا وعدم إيمان السارق والزاني .

الحادية والأربعون : الأياضة من أصحاب عبد الله بن أياض القائلون بكفر مخالف المذهب وإن كان من أهل القبلة وشرك المنافق .

الثانية والأربعون : الزيدية القائلون أن الله تعالى يبعث رسولاً وكتابا في العجم نسخا للشريعة الأحمدية .

الثالثة والأربعون : الحفصية القائلون بأن من عرف الله ليس بمشرك وإن كان منكرا للرسول والكتاب وممن ارتكب الكبائر .

الرابعة والأربعون : الحارثية وهم كالمعتزلة .

الخامسة والأربعون : الأصفرية القائلون بجواز القعود عن حرب المشركين وجواز قتل أطفال المسلمين والمشركين .

أقول : قال صاحب المواقف الخوارج وهم سبع فرق :

المحكمة : وهم الذين خرجوا على علي عليه السلام عند التحكيم وما جرى بين الحكمين وكفروه وهم اثني عشر ألف رجل كانوا أهل صلاة وصيام وفيهم قال النبي صلى الله عليه وآله (يحتقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم لكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم) قالوا من نصب من قريش وغيرهم فيما بين الناس فهو إمام وإن غيّر السيرة وجاز وجب أن يعزل أو يقتل ، ولم يوجبوا منصب الإمام بل جوزوا أن يكون في العالم إمام وكفروا عثمان وأكثر الصحابة ومرتكب الكبيرة .

البهشية : هو ببهش بن الهيضم قالوا الإيمان هو الإقرار والعلم بالله بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر لوجوب الفحص عليه حتى يعلم الحق ، وقيل لا يكفر حتى يوقع أمره إلى الإمام فيحده وكل ما ليس فيه حد فهو معفو ، وقيل لا حرام إلا في قوله تعالى ﴿

قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً ﴾[1] الآية وقيل إذا كفر الإمام كفر الرعية حاضرا وغائبا وهذه أقوال الطوائف من المحكمة ، وقالوا الأطفال كآبائهم إيمانا وكفرا وقال بعضهم السكر من شراب حلال لا يؤاخذ صاحبه بحال بخلاف السكر من شراب الحرام ، وقيل إن السكر مع الكبيرة كفر ووافقوا القدرية في إسناد أفعال العباد إليهم .

الأزرقية : هو نافع بن الأزرق قالوا كفر علي عليه السلام بالتحكيم وهو الذي أنزل في شأنه ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصامِ** ﴾[2] وابن ملجم لعنه اللّه محق في قتله وهو الذي أنزل فيه ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ** ﴾[3] وفيه قال مفتي الخوارج وزاهدها عمران بن خسطان :

يا ضربة من تقي ما أراد بها … إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه … أوفي البرية عند اللّه ميزانا

وكفرت الصحابة أي عثمان وطلحة وزبير وعبداللّه بن عباس وسائر المسلمين معهم ونصوا بتخلدهم في النار ، وكفروا القعدة عن القتال وإن كانوا موافقين لهم في الدين وقالوا تحرم التقية في القول والعمل ويجوز قتل أولاد المخالفين ونسائهم ولا رجم على الزاني المحض إذ هو غير مذكور في القرآن ولا حد المقذف على النساء أي القاذف إن كان امرأة لم تحد لأن المذكور في القرآن والذين وهو للمذكر ، قال الآمدي وأسقطوا قذف المحصنين من الرجال دون النساء إن المقذوف المحض إن كان رجلا لا يحد قاذفه وإن

(١) الأنعام ١٤٥
(٢) البقرة ٢٠٤
(٣) البقرة ٢٠٧

كان امرأة قاذفها وهذا أظهر ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ويجوز أن يكون نبي كافرا وإن علم كفره بعد النبوة ومرتكب الكبيرة كافر .

النجدات هو نجدة بن عامر وأصحابه منهم :

العاذرية : الذين عذروا الناس بالجهالات في الفروع وذلك أن نجدة وجه ابنه مع جيش أهل القطيف فقتلوهم وأسروا نساءهم ونكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبلها أيضا فلما رجعوا إلى نجدة أخبروه بما فعلوا فقال لم يسعكم ما فعلتم فقالوا لم نعلم أنه لم يسعنا فعذرهم بجهلهم فاختلف أصحابه بعد ذلك فمنهم من تابعه ، وقالوا الدين أمران أحدهما معرفة اللّه ورسوله وتحريم دماء المسلمين أي الموافقين والإقرار بما جاء به الرسول ﷺ جملة فهذا لا يعذر فيه جاهل ، والثاني ما سوى ذلك والجاهل به معذور فهؤلاء منهم سموا عاذرية ، وقالوا أي النجدات كلهم لا حاجة للناس إلى الإمام بل الواجب عليهم رعاية النصفة فيما بينهم ويجوز لهم نصبه إذا رأوا أن تلك الرعاية لا تتم إلا بإمام يحملهم عليها ، وخالفوا الإرزاقية في غير التكفير ووافقوا الأصفرية في التكفير وخالفوهم في الأحكام الباقية .

الأصفرية : أصحاب زياد بن أصفر يخالفون الأرزاقية في تكفير القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين وفي إسقاط الرجم فإنهم لم يسقطوه وفي أطفال الكفار أي لم يكفروا أطفالهم ولم يقولوا بتخليدهم في النار ومنع التقية في القول أي جوزوا التقية في القول دون العمل ، وقالوا المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها فيقال مثلا سارق أو زاني أوقاذف ولا يقال كافر وما لا حد فيه لعظمه كترك الصلوة والصوم كفر يقال لصاحبه كافر ، وقيل تزوج المؤمنة أي المعتقدة لما هو دينهم من الكافر المخالف لهم في دار التقية دون دار العلانية .

الأباضية : هو عبدالله بن أباض قالوا مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين يجوز مناكحتهم وغنيمة أموالهم من سلاحهم وكراعهم ، ضلال عند الحرب دون غيرهم ودارهم دار السلام إلا معسكر سلطانهم ، وقالوا تقبل شهادة مخالفيهم عليهم ومرتكب الكبيرة موحد مؤمن على أن الإيمان داخلة في الإيمان والاستطاعة قبل الفعل وفعل العبد مخلوق لله تعالى ويفنى العالم كله بفناء أهل التكليف ، ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة ، وتوقفوا في تكفير أولاد الكفار وتعذيبهم وتوقفوا في النفاق أهو شرك أم لا وفي جواز بعثة الرسول ﷺ بلا دليل ومعجزة وتكليف أتباعه فيما يوحى إليه أي ترددوا أن ذلك جائز أم لا ، وكفروا عليا وأكثر الصحابة وافترقوا فرقا أربعة :

الأولى الحفصية : هو حفص بن أبي المقدام زادوا على الأباضية أن بين الإيمان والشرك معرفة الله تعالى فإنها خصلة متوسطة بينهما فمن عرف الله وكفر بما سواه من رسول أوجنة أونار أو بارتكاب كبيرة فكافر لا مشرك .

الثانية اليزيدية : أصحاب يزيد بن أينة زادوا على الأباضية أن قالوا سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء ينزل جملة واحدة ويترك شريعة محمد ﷺ إلى ملة الصابئية المذكورة في القرآن ، وقالوا أصحاب الحدود مشركون وكل ذنب شرك كبيرة أوصغيرة .

الثالثة الأخية : أصحاب الأخي خالفوا الأباضية في القدر أي كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ومن كون الاستطاعة قبل الفعل .

الرابعة : القائلون بطاعة لا يراد بها الله أي زعموا أن العبد إذا أتى بما أمر به ولم يقصد الله كان ذلك طاعة .

العجاردة : هو عبد الرحمن بن عجرد وهم آخر السبع من فرق الخوارج

زادوا على النجدات بعد أن وافقوهم في مذهبهم وجوب البراءة من الطفل أي يجب أن يتبرأ منه حتى يدعى إلى الإسلام إذا بلغ وأطفال المشركين في النار وهم عشر فرق :

الأولى الميمونية : هو ميمون بن عمران قالوا بالقدر أي استناد الأفعال إلى القدر للعباد وبكون الاستطاعة قبل الفعل ، وأن اللّه يريد الخير دون الشر ولا يريد المعاصي كما هو مذهب المعتزلة ، قالوا وأطفال الكفار في الجنة ويروى عنهم تجويز نكاح بنات البنين والبنات وبنات أولاد الأخوة والأخوات أي جوزوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات أولاد الأخوة والأخوات وإنكار سورة يوسف فإنهم زعموا أنها قصة من القصص ولا يجوز أن يكون قصة العشق قرآنا .

الثانية : من فرق المجاردة الحمزية وهو حمزة بن أدرك وافقوهم أي الميمونية فيما ذهبوا إليه من البدع إلا أنهم قالوا أطفال الكفار في النار .

الثالثة منهم الشعيبية : هو شعيب بن محمد وهم كالميمونية في بدعتهم إلا في القدر .

الرابعة الحازمية : هو حازم بن عاصم وافقوا الشعيبية وكل منهم يتوقفون في أمر علي عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة منه كما يصرحون بالبراءة من غيره .

الخامسة الخلفية : أصحاب الخلف الخوارجي أضافوا القدر خيره وشره إلى اللّه تعالى وحكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل وشرك .

السادسة الطرافية : هم على مذهب حمزة ورئيسهم رجل من سختان يقال له غالب إلا أنهم عذروا أصحاب الطراف فيما لم يعرفوا من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من جهة النقل ، ووافقوا أهل السنة في أصولهم وفي

نفي القدر أي إسناد الفعل إلى قدر العباد ، وفي بعض النسخ وفي نفي القدرة مأثرة عن العباد .

السابعة المعلومية : هم كالحازمية إلا أن المؤمن عندهم من عرف اللّه بجميع أسمائه وصفاته ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن ، وفعل العبد مخلوق لله تعالى .

الثامنة المجهو لية : مذهبهم كمذهب الحازمية أيضا إلا أنهم قالوا يكفي معرفة اللّه تعالى ببعض أسمائه فمن علمه كذلك فهو عارف له مؤمن ، وفعل العبد مخلوق لله .

التاسعة الصلتية : هو عثمان بن أبي صلت وقيل صلت بن مات هم كالعجاردة ممن قالوا من أسلم واستجار بنا تولیناه وبرأنا من أطفاله حتى يبلغوا ويدعو إلى الإسلام فيقبلوا وروي عن بعضهم أن الأطفال سواء كانوا للمسلمين أو المشركين لا ولاية لهم ولا عداوة حتى يبلغوا ويدعو إلى الإسلام ويقبلوا أو ينكروا .

والعاشرة من فرق العجاردة الثعالبة : هو ثعلب بن عامر قالوا بولاية الأطفال صغارا كانوا أو كبارا حتى يظهر منهم إنكار الحق بعد البلوغ وقد نقل عنهم أيضا أن الأطفال لا حكم لهم من ولاية أو عداوة إلى أن يدركوا ، ويرون أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا وإعطائهم إذا افتقروا ، وافترقوا أي الثعالبة إلى أربع فرق :

الأولى الأخنفية : أصحاب أحنف بن قيس هم كالثعالبة إلا أنهم امتازوا عنهم بأن يوافقوا من هو في دار التقية من أهل القبلة فلم يحكموا عليه بإيمان ولا بكفر إلا من علم حاله من إيمانه وكفره وحرم الاغتيال بالقتل

والسرقة من أموالهم ، ونقل عنهم يجوز تزويج المسلمات من مشركي قومهم .

الثانية المعدية : هو معد بن عبد الرحمن خالفوهم أي الأحنفية في التزويج أي تزويج المسلمات من المشركين وخالف الثعالبة في زكاة العبيد أي أخذها منهم ورفعها إليهم .

الثالثة الشيبانية : هو شيبان بن سلمة قالوا بالجبر ونفي القدرة الحادثة .

الرابعة المكرمية : هو مكرم بن العجلي قالوا تارك الصلوة كافر لا لترك الصلوة بل لجهله باللّه فإن علم أنه مطلع على سره وعلمه ومجازاته على طاعته ومعصيته لا يتصور منه الإقدام على ترك الصلاة وكذا كل كبيرة فإن مرتكبها كافر بجهله باللّه لما ذكرناه ، وموالاة اللّه ومعاداته لعباده باعتبار العاقبة وما هم صائرون إليه عند من أفات الموت لا باعتبار أعمالهم التي هم فيها إذ هي غير موثوق بها فكذا نحن فمن مثل حالة الموت فإن كان مؤمنا في تلك الحالة واليناه وإن كان كافرا عاديناه .

فإذاً افترق الخوارج إلى عشر فرق تضمها إلى الباقية يصير ستة عشر ويتشعب من الثعالبة والأبايضة أربع فرق أخرى فالمجموع عشرون وفيه بحث لأن القسم لا يعد مع أقسامه فلا يعتبر الثعالبة عشرة أقسام العجاردة مع فرقها الأربعة بل يكتفي فيها بهذه الأربعة فيكون الفرق تسعة عشر ، وأيضا إذا اعتبر الأبايضة وفرق الثعالبة معا كانت الفرق كلها اثنين وعشرين واعتبار إحدى الأربعين دون الآخر تحكم محض .

الفرقة الرابعة : من كبار الفرق الإسلامية المرجئة تعبدا به لأنهم يرجئون العمل أما السيئة فيأخرون توبته عنها وعن الاعتقاد من أرجاه أي أخره ومنه أرجه وأخاه أي أمهله وأخره ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعطلون وعلى هذا لا يهمز بلفظ المرجئة وفرقهم خمس :

اليونسية : هو يونس النميري قالوا الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصي ولا يعاقب عليها ، وإبليس كان عارفا وإنما كفر باستكباره وترك الخضوع لله كما دل عليه قوله تعالى ﴿ أبى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1]

العبيدية : أصحاب العبيد المكذب زادوا على اليونسية أن علم الله لم يزل شيئا غير ذاته وكذا باقي صفاته ، وأنه على صورة إنسان كما ورد في الحديث (إن الله خلق آدم على صورته) .

الغسانية : أصحاب الغسان الكوفي قالوا الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله وبما جاء من عندهما إجمالا لا تفصيلا وهو الإيمان لا يزيد ولا ينقص وذلك الإجمالي مثل أن يقول قد فرض الله الحج ولا أدري أين الكعبة ولعلها بغير مكة وبعث محمدا ﷺ ولا أدري هو الذي بالمدينة أم غيره وحرم الخنزير ولا أدري ما هو هذه الشاة أم غيرها ، فإن مقصودهم بما ذكروه أن هذه الأمور ليست داخلة في حقيقة الإيمان وإلا فلا شبهة في أن العاقل لا يشك فيها ، وغسان كان يقول بما ذهب إليه عن أبي حنيفة وبعده من المرجئة وهو افتراء عليه فقصد غسان ترويج مذهبه لموافقة رجل كبير مشهور ، قال الآمدي ومع هذا فأصحاب المقالات قد عدوا أبا حنيفة وأصحابه من مرجئة أهل السنة ونقل ذلك لأن المعتزلة في الصدر الأول كانوا يلقبون من خالفهم في القدر مرجئا ولأنه لما قال الإيمان هو التصديق لا يزيد ولا ينقص ظن الإرجاء بتأخير العمل عن الإيمان وليس كذلك إذ عرف منه المبالغة في الاجتهاد .

والثعبانية : أصحاب ثعبان المرجو قالوا الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله

---

(١) البقرة ٣٤

ورسوله وبكل ما لا يجوز في العقل يفعله وأما ما جاز في العقل أن يفعله فليس الاعتقاد به من الإيمان وأخروا العمل كله من الإيمان .

التومنية : أصحاب أبي معاذ التومني قالوا الإيمان هو المعرفة والتصديق والمحبة والإخلاص والإقرار بما جاء به الرسول وترك كله وبعضه كفر وليس بعضه إيمان ولا بعضه أي بعض الإيمان وكل معصية لم يجمع عليه أنه كفر فصاحبه يقال فيه أنه فسق وعصا ولا يقال أنه كافر ، ومن ترك مستحلا كفر لتكذيبه بما جاء به النبي ﷺ ومن تركها بنية القضا لم يكفر ومن قتل نبيا ولطمه كفر لا لأجل القتل أو اللطمة بل لأنه دليل لتكذيبه وبغضه وبه قال ابن الراوندي وبشر وقال السجود للصنم ليس كفرا بل هو علامة للكفر فهذه هي المرجئة الخالصة ، ومنهم من جمع إليه أي إلى الإرجاء القدر كالصالحي وابن شهر محمد بن شبيب وغيلان .

الفرقة الخامسة : من كبار الفرق الإسلامية النجارية أصحاب محمد بن حسين النجار وهم موافقون لأهل السنة في خلق الأفعال وأن الاستطاعة مع الفعل وأن العبد يكسب فعله ، وموافقون للمعتزلة في نفي الصفات الوجودية وحدوث الكلام ونفي الرؤية بالإبصار ووافقهم على ذلك ضرار بن عمر وحفص الفرد وفرقهم ثلاث :

الأولى البرغوثية : قالوا الكلام إذا قرء أعرض وإذا كتب بأي شيء كان فهو جسم .

الثانية الزعفرانية : قالوا كلام اللّه غيره وكل ما هو غيره مخلوق من غير كلام اللّه ومن قال كلام اللّه مخلوق فهو كافر .

الثالثة المستدركة : استدركوا عليهم أي على الزعفرانية وقالوا أن كلام اللّه مخلوق مطلقا لكنا وافقنا السنة الواردة بأن كلام اللّه غير مخلوق

والإجماع المنعقد عليه في نفيه وأولناه بأن هذه الصورة حكاية أي حملنا قولهم غير مخلوق على أنه غير مخلوق على هذا الترتيب والنظم من هذه الحروف والأصوات بل هو مخلوق على غير هذه الحروف وهذه حكاية عنه ، وقالوا أقوال مخالفينا كالكذب حتى قولهم لا إله إلا اللّه فإنه كذب أيضا .

الفرقة السادسة من الكبار : الجبرية والجبر إسناد فعل العبد إلى اللّه والجبرية متوسطة في القول بالجبر المحض بل هي متوسطة بين الجبر والتفويض ، نسبت للعبد كسبا بلا تأثير فيه .

كالجهمية : وهم أصحاب جهم بن صفوان اليزدي وقال لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها ، واللّه لا يعلم الشيء قبل وقوعه وعمله حادث لا في محل ولا يتصف اللّه بما يوصف به غيره إذ يلزم منه التشبيه كالعلم والقدرة ، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما فيهما ولا يبقى موجود سوى اللّه سبحانه ، ووافقوا المعتزلة في نفي الرؤية وخلق الكلام وإيجاب المعرفة بالفعل قبل ورود الشرع .

الفرقة السابعة منها المشبهة : شبهو ا اللّه تعالى بالمخلوقات ومثلوا بالحادثات ولأجل ذلك جعلناهم فرقة واحدة قائلة بالتشبيه وإن اختلفوا في الطريقة فمنهم مشبهة غلاة لا شيعة كالسائنة والثانية المعمرية وغيرهم كما تقدم من مذاهبهم القائلة بالتجسم والحركة والانتقال والحلول في الأجسام إلى غير ذلك ومنهم :

مشبهة الحشوية : قالوا هو جسم لا كالأجسام من لحم ودم كاللحوم والدماء والأعضاء والجوارح ، ويجوز عليه الملاقاة والمصافحة والمعانقة للمخلصين الذين يزورونه في الدنيا ويزورهم في الآخرة ، حتى نقل أنه قال بعضهم اعفوني عن اللحية والفرج وسلوني عما ورائهم .

ومنهم مشبهة الكرامية أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام وقيل هو بكسر الكاف وتخفيف الراء وفيه قيل الفقه فقه أبي حنيفة وجده والدين دين محمد بن كرام ، وأقوالهم في التشبيه متعددة مختلفة غير أنها لا تنتهي إلى من يعبأ به وبقوله فاقتصرنا على ما قال زعيمهم وهو أن الله تعالى على العرش من جهة أن العرش في العلو مماس له من الصفحة العليا ويجوز عليه الحركة والنزول ، واختلفوا أنه هل يملأ العرش أم لم يملأه بل هو على بعضه وقال بعضهم ليس هو على العرش بل هو محاذ للعرش ، واختلف أنه بعيد بعد متناه أو غير متناه من جهة تحته فقط أو لا أي ليس متناهيا بل هو غير متناه في جميع الجهات ، وقالوا بحل الحوادث في ذاته وزعموا أنه إنما يقدر عليها على أن الحوادث الحالة فيه دون الخارجة عن ذاته ويجب على الله أن يكون أو خلقه حيا يصح فيه الاستدلال ، وقالوا النبوة والرسالة ثابتتان في ذات الرسول سوى الرمي وسوى أمر الله بالتبليغ وسوى المعجزة والعصمة وصاحبها أي صاحب تلك الصفة رسول بسبب اتصافه بها من غير إرسال ويجب على الله إرساله لا غير أي لا يجوز إرسال غير الرسول ، وهو أي حين إذا أرسل رسل فكل مرسل رسول بلا عكس كلي ، ويجوز عزله أي عزل الرسول عن كونه مرسلا دون الرسول فإنه لا يتصور عزله عن كونه رسولا وليس من الحكيم رسول واحد أي لا يجوز الاقتصار على إرسال رسول واحد بل لابد من تعدده ، وجوزوا إمامين في عصر واحد كعلي ومعاوية إلا أن إمامة معاوية لا يجب طاعة رعيته له ، وقالوا قول الذر في الأزل بل الإيمان هو الإقرار الذي وجد من الذر حين قال ألست بربكم وهو باق في الكل على السوية إلا المرتدين والكلمتان ليستا بإيمان إلا بعد النبوة .

قال صاحب المواقف فهذه الفرق الضالة الذين قال فيهم رسول اللّه ﷺ كلهم في النار سوى الفرقة المستثناة الذين قال النبي ﷺ فيهم (هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي) وهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة ومذهبهم خال عن بدع هؤلاء وقد أجمعوا على حدوث العالم خلافا لبعض الغلاة القائلين بقدمه ، ووجود الباري خلافا للباطنية حيث قالوا لا موجود ولا معدوم ، وأنه لا خالق سواه خلافا للقدرية ، وأنه قديم خلافا للمعمرية القائلين بأنه لا يوصف بالقدم ، متصف بالعلم والقدرة وسائر صفات الجلال خلافا لنفات الصفات ، لا شبيه له خلافا للمشبهة ، ولا ضد له ولا ند خلافا للحائطيته حيث أثبتوا إلهين ، ولا يحل في شيء خلافا لبعض الغلاة ، ولا يقوم بذاته حادث خلافا للكرامية ، ليس في حيز ولا في جهة ولا يصح عليه الحركة والانتقال ولا الجهل ولا الكذب ولاشيء من صفات النقص خلافا لمن جوز عليه كما تقدم ، مرئي للمؤمنين في الآخرة بلا انطباع ولا شعاع ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن ، غني لا يحتاج في شيء إلى شيء ولا يجب عليه شيء إن أثاب فبفضله وإن عاقب فبعدله لا غرض لفعله ولاحاكم سواه لا يوصف بما يفعل أو يحكم بجور ولا ظلم ، وهو غير متبعض ولا له حد ولانهاية ولا زيادة ونقصان في مخلوقاته والمعاد الجسماني حق وكذا المجازات والمحاسبة والصراط والميزان وخلق الجنة والنار وخلق أهل الجنة فيها وخلود الكفار في النار ويجوز العفو عن المذنبين بالشفاعة ، وبعثة الرسول بالمعجزات حق من آدم إلى محمد ﷺ وأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة وأهل بدر من أهل الجنة ، والإمام يجب بيعته على المكلفين والإمام بعد رسول اللّه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان

ثم علي عليه السلام والأفضلية بهذا الترتيب ، ولا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفي الصانع القادر العليم أو شرك أو إنكار النبوة أو إنكار ما علم مجيئه من الضرورة أو إنكار المجمع عليه كاستحلال المحرمات التي أجمع على حرمتها فإن كان ذلك المجمع عليه مما علم ضرورة من الدين فذاك ظاهر داخل فيما تقدم ذكره وإلا فإن كان إجماعا ظنيا فلا كفر لمخالفته ، وإن كان قطعيا ففيه خلاف وأما ماعداه فالقائل به مبتدع غير كافر وللفقهاء في معاملهم خلاف هو خارج عن فننا انتهى ما أردنا ذكره في بيان فرق الإسلام .

وأقول : إن هؤلاء الطوائف كلهم في النار إلا جماعة الشيعة القائلين بأن اللّه واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأنه سبحانه ليس في شيء ولا على شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء ولا من شيء ولاعن شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله سيد الأنبياء والمرسلين وسند الأولين والآخرين وأن عليا صلوات اللّه عليه أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ووصيه بلا فصل ووزيره وأخوه وابن عمه وزوج ابنته والحاكم على أمته ومن بعده الأحد عشر من ولده أئمة الأنام وأولياء اللّه الملك العلام وأن الدين كما شرعوه وأن الحق كما بينوه ولا قوة إلا باللّه ، ثم أيها الناظر لوأردنا أن نشرح فساد ما ذهب إليه أهل هذه المذاهب من فرق الإسلام لطال بنا الكلام وذهلنا عن المرام فلنقتصر على بيان حقية مذهبنا من بين المذاهب بأدلة واضحة وحجج باهرة لائحة وستعرف ذلك سريعا إن شاء اللّه تعالى .

قال : فثبت أن مجموع الست عشر من فرق الشيعة والخمس من فرق أهل السنة والثمان من فرق الغلاة والخمسة والأربعون هي فرق الخوارج

ثلاث وسبعون فرقة والفرقة الناجية منهم فرقة الإمامية الاثنا عشرية القائلون بأن الله واحد أزلي قديم منزه عن مشابهة المخلوقات عادل حكيم منزه عن الظلم والقبائح خالق للعباد قادرين على الفعل والترك مع وجوب إرسال الرسل وإنزال الكتب وثواب المطيع عقلا وجواز العفو عن المعاصي، وكون فعله مع الفرض العائد إلى العباد في المعاد وكون الأئمة معصومون منصوصين اثني عشر من غير جواز العمل بالقياس والرأي والاستحسان ومن عداهم من الفرق في النار، وقد ورد أن أمة موسى افترقوا على إحدى وسبعين فرقة وأمة عيسى على اثنان وسبعين فرقة هدانا اللّه إلى سواء السبيل في أمور الدين وحشرنا اللّه مع النبي وآله الطاهرين .

أقول : كون فرق الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة مما لا يشك فيه أحد أبدا لما قال ﷺ (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية) لكن وقع الاختلاف في تعيينهم وقد عرفت مخالفة ما نقلنا عن الجمهور في تعيين الفرق لما ذكره المصنف وهو لم يأخذ إلا عن الجمهور لعدم ورود نص عن الأئمة في تعيينهم وربما حدث بعد زمان الأئمة عليهم السلام مذاهب عديدة فلا يعتمد على ما ذكروا وربما ذكر واحد منهم مثلا أن فرق الشيعة خمسة عشر والآخر يذكر ثمانية عشر وأزيد كما دريت .

وبالجملة لابد من الاعتقاد بكون فرق الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة فرقة منهم ناجية وهم الشيعة الاثنا عشرية ولا قوة إلا باللّه .



الباب الرابع
في الإمامة



الباب الرابع في الإمامة

قال : الباب الرابع في الأصل الرابع وهوالإمامة، وهي بحسب المعنى التصوري عبارة عن كون البشر المعصوم الأعلم المنصوب المنصوص رئيسا بالرياسة الإلهية العامة على وجه النيابة الخاصة عن خاتم النبيين بتنصيص الله ورسوله الأمين على المكلفين في أمر الدنيا والدين، وبحسب المعنى التصديقي عبارة عما يجب تصديقه بالجنان وإقراره باللسان وهو أن حجة الله الأعظم المعصوم المنصوب المنصوص الأعلم إمامنا المفترض المودة والطاعة على أشرف الأمم، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب مع الأحد عشر من أولاده الطاهرين، الذين يكون كل واحد منهم أعلم أهل عصره ومن جملة المعصومين رؤساء بعد أشرف المرسلين وأئمة بالحق مع الترتيب على المكلفين بتنصيص الله وخاتم النبيين، ويجب على العباد مودتهم وطاعتهم في أمر الدنيا والدين والإمام الأول علي بن أبي طالب عليه السلام، والثاني الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، والثالث الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، والرابع الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، والخامس الإمام محمد ابن علي الباقر عليهما السلام، والسادس الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، السابع الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، الثامن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام، التاسع الإمام محمد بن علي التقي عليهما السلام، والعاشر الإمام علي بن محمد النقي عليهما السلام،

والحادي عشر الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، والثاني عشر الإمام محمد بن الحسن المهدي عليهما السلام، وهوآخر الأئمة وصاحب الزمان وهوحي موجود الآن غائب عن أعين الأعيان وسيظهر بإذن اللّه الملك المنان ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا، عجل اللّه فرجه وسهل مخرجه .

أقول : كل ذلك حق لا شك فيه ولا ريب يعتريه وذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان وأما وجه الاستدلال على حقية هذا القول فستعرفه سريعا إنشاء اللّه .

قال : اعلم أن فيما ذكرنا هنا أيضا إشارة إلى أنه لما ثبت أن بعث النبي ﷺ لطف لا يتم النظام ولا يبقى لأمر الدين والدنيا قوام إلا به مع أنه لا يبقى إلى آخر التكليف بل يجري عليه التغير بالموت كما قال تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾[1] وجب بمقتضى اللطف والحكمة نصب خليفة يقوم مقامه ويحفظ شريعته وأحكامه لئلا تبطل الحجة، ويجب أن يكون النائب كالمنوب عنه في العلم والعصمة والتنزه عما يوجب النفرة وعدم إتمام الحجة مع أن ذلك أيضا لطف واجب في الحكمة وبعد ذلك يجب على العباد الطاعة ولا يعلم ذلك إلا بالمعجزة أو تنصيص اللّه صاحب المعجزة ولم يكن بعد النبي ﷺ في الأمة إلا علي بن أبي طالب المماثل له في كل فضيلة إلا النبوة وبعده من أولاده من وجد فيهم العلة من غير شك وريبة فيجب على اللّه تعالى بالوجوب العقلي نصبهم حفظا للشريعة وإتماما للحجة وإبقاء القائم المنتظر الذي سيظهر بمقتضى الحكمة .

---

(١) الزمر٣٠

أقول : ذهب أهل العقل من أرباب الملل إلى وجوب الإمامة في الجملة عدا الأزارقة والأصفرية وغيرهم من الخوارج .

استدل القائلون بالوجوب إلى أنها لطف وكل لطف واجب ، والصغرى ضرورية والكبرى قد ثبت في مبحث العدل من ثبوت الحسن والقبح ، ووجوب وجود الحسن لئلا يلزم ترجيح المرجوح على الراجح .

ثم على القول بوجوب الإمامة اختلفوا في أنه هل يجب نصب الإمام في جميع الأزمان أم لا ، فذهب إلى الأول أكثر أهل الإسلام ، وذهب إلى الثاني فريقان أحدهما أبوبكر الأصم وأصحابه ، وثانيهما الفوطي وأحزابه ، واختلفا في زمن التخصيص لوجوب نصب الإمام ، فالأول مال إلى وجوب وجوده في زمان الخوف وأوان ظهور الفتن ولا يجب في غيرهما لعدم الحاجة إليه ، والثاني قال بعكس ما قال الأول .

وعلى وجوب نصبه في جميع الأزمان اختلفوا في طريق الوجوب فالإمامية والإسماعيلية ذهبت إلى انحصار الطريق بالعقل ، والأشاعرة إلى انحصاره بالنقل ، والمعتزلة إلى إثباته بكلا الأمرين العقل والنقل .

ثم على ثبوت الوجوب وانحصار طريقه اختلفوا في محل الوجوب ، هل هو واجب على اللّه أو على الخلق دون اللّه ، فالإمامية على الأول والآخران إلى الآخر .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن اللّه سبحانه لما لم يخلق الخلق عبثا ولم يتركهم سدى كما عرفت ذلك في مبحث العدل ، فخلق الخلق بمقتضى لطفه وكرمه فكلفهم بأمور يحصل بها السعادة والترقيات إلى مدارج القرب منه سبحانه في عالم الغيب والشهادة ، ولما لم يكن لكل نفس من النفوس استعداد لتتمكن عن تلقي الأوامر والنواهي وسائر التكاليف فيفوز بأداء الأوامر

واجتناب النواهي أعلى مقامات القرب والرضوان وجب في الحكمة إرسال الرسل لتبليغ الأحكام إلى الخواص والعوام لئلا يختل النظام فأرسل إليهم أنبياء مرسلين مبشرين ومنذرين ، فبلّغوا ما حمّلوا من أعباء النبوة والرسالة ، ولما بلغوا ما أمروا بتبليغه قبضهم اللّه إليه باختياره من اختيارهم إلى أن ختمت النبوة بنبينا صلوات الله عليه وآله فبلغ ما أمر من التبليغ وصدع بالبلاغ والأداء فجزاه اللّه عن الإسلام خير الجزاء ، ولما لم تكن المصلحة في إدامة ظهوره ﷺ في الدار الدنياوية ولم يبق إلى آخر التكليف بمقتضى الطبيعة جرت عليه التغيرات من الموت وعدم البقاء في دار الفناء ، فقبضه اللّه سبحانه إليه باختياره وأسكنه مسكن كرامته فوجب بمقتضى الحكمة نصب إمام يقوم في أداء الأحكام مقامه حفظا للشريعة الغراء وصونا للملة البيضاء عن تحريف العاملين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين لئلا تبطل الأحكام ويختل النظام ، ويجب أن يكون ذلك الإمام القائم مقامه مثله في الفضل والعلم والسخاوة والشجاعة والحكم ومعرفة إجراء الحكم ، فيجب على هذا أن يكون مستجمعا لجميع الكمالات الإمكانية لأنه رئيس على كافة الممكنات من المكلفين وهم يحتاجون إليه في أمور معاشهم ومعادهم فلا بد أن يكون جامعا لما تحتاج إليه جميع الأمة ، ولا ادعى ذلك في هذا أحد الأمة إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام وأولاده الميامين ، فوجب أن يكون هو القائم مقامه ﷺ لأن اللّه سبحانه لا يخل بالحكمة ولا يدع الأحسن ولا يعدل عنه إلى غيره وإلا لم يكن حكيما ولم تكن حجته بالغة ونعمته سابغة ، فافهم .

هذا ما يقال بحسب الظاهر لأهل الظاهر ، وأما حقيقة الأمر عند أهل الباطن وأولي الأفئدة فلا يحتاج إلى دليل لأن الأمر واضح ووجوب كون

الأئمة الأوصياء اثني عشر بعدد النقباء والنجباء في بني إسرائيل ، وهم علي عليه السلام وأولاده عليهم السلام ، في الظاهر يكتفى بما ذكرنا وثبوت الكمال المطلق ، فهم على نحو ما أشرنا وتطابق هذه الأمة مع بني إسرائيل كما ثبت في الحديث المتفق عليه بين الفريقين وثبوت النص من النبي صلى الله عليه وآله عليهم ، وكل واحد منهم على الآخر .

وأما الكلام الحقيقي الباطني فنقول : أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يبلغ للخلق مراسم مقتضيات ولاية الولي المطلق لكونه حاملا لولاية اللّه ﴿ **هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لله الحَقِّ** ﴾[1] لأن الولي من شأنه أن يكون مربيا لأرباب الأنواع وممكّنا لقوابل المقبولات في الإبداع والاختراع ، لأنه ظاهر الحق في الخلق ونفس ظهور الحق للحق بالخلق ، لأن اللّه سبحانه لم يظهر للخلق إلا بالخلق لأنه سبحانه إذا ظهر للخلق بذاته الحق لزمه الانتقال من حال إلى حال وذلك يستلزم الحدوث فظهر للعباد بوليه الذي إليه الإياب في المبدأ والمعاد ، ولما كانت التكاليف بأسرها من مقتضيات الولاية وجب بعثة الأنبياء لتبليغ أحكامها للعباد بمعاضدة الولي ، لأن النبي واقف في مقام العقل وله رتبة الإجمال والولي واقف في مقام النفس الكلية الإلهية ولها مرتبة التفصيل ، فللولي رتبة التفصيل لأن الولي حامل للولاية التي منها يتفصل كل شيء ويجب المناسبة بين الحال والمحل ، فالنبي صلى الله عليه وآله يبلغ الحكم والولي يفصله للخلق ، والنسبة بينهما نسبة العرش والكرسي فليس في النبوة تفصيل ولا في الولاية التي هي حاملة لولاية اللّه إجمال ، فلذلك كانت الولاية مبدأ التفصيل ففصلت بإثني عشر برجا فهذه الاثنا عشر محل ظهور تفاصيل الولاية عند ضرب مادة الولاية بصورتها ، فالمادة ثلاثة والصورة أربعة لأنها مثلثة الكينونة ومربعة الكيفية ، ونعني بتثليث الكيان وجها إلى ربها ووجها إلى نفسها والمرتبط بينهما وبتربيع الكيفية كونها مخلوقة من الطبايع الأربعة ،

(١) الكهف ٤٤

ونعني بضربها واستخراج الاثني عشر في مقام الولاية مع وجود هذا العدد في المقامين أن الولاية لما كانت مقام التفصيل فيلحظ فيها الضرب وحفظ النسب والجهات وساير التفاصيل بخلاف النبوة التي هي مقام الإجمال فإنه يجب فيها الإغماض عن الجهات والنسب التفصيلية وإلا لم يكن مقام الإجمال ، وبهذين النظرين اختلفت الأشياء في الوحدة والكثرة واختص العرش بعدم الكواكب والكرسي بها وإلا فكل شيء فيه معنى كل شيء فافهم واحفظ المقامات فإن المعلوم كلها منوطة .

وبالجملة أن الولاية إذا لاحظت ضرب مادتها في صورتها حصلت اثني عشر ، فالنفس الكلية التي هي مدار التفاصيل في جميع الوجودات تنقسم إلى اثني عشر ، والكرسي لما كان مظهر النفس وجب أن ينقسم إلى اثني عشر برجا ، فالحامل للولاية وجب أن يكون اثني عشر وهم الأئمة الاثني عشر كما ستعرف إنشاء اللّه .

ولعلك تقول بعد ما فطنت بما ذكرت من أن النبي يبلّغ مقتضيات شأن الولي بمعاضدة الولي فيلزم أن يكون الولي أشرف من النبي مع أن الضرورة قضت بأفضلية محمد صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام .

فأقول : نعم الولاية أفضل من النبوة وأشرف وأن النبي صلوات اللّه عليه وآله له مرتبة الولاية بل ولاية علي عليه السلام هي ولايته وعلي حامل ولايته ، ولأجل ذلك كان تفصيل الولاية في النبي بحكم الإجمال ومقامه العقل والعقل مذكور فيه الحدود المعنوية فما في النفس تنزل من العقل لأن النفس تنزل العقل وظاهر العقل ، ولأجل ذلك قلنا أن مبدأ البروج الاثني عشر في العرش وظهرت البروج في الكرسي فلم يكن أمير المؤمنين أفضل من خاتم النبيين كيف وهو يقول (أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله)[1] وهو الصادق الأمين فتفطن فإن ذلك من غوامض الأسرار .

قال : ففي هذا الأصل أيضا مقامات خمسة .

---

(١) الكافي ١ / ٨٩

المقام الأول

الأول : يجب على اللّه نصب الإمام عقلا من جهة كونه سببا لبقاء نظام المعاش والمعاد وكونه لطفا وإن كان في الإظهار والإنفاذ مانع ردا على طوائف كالخوارج وجمهور أهل السنة والمعتزلة وأمثالهم .

أقول : قد عرفت مذهب الجماعة مجملا فالخوارج منهم من ذهب إلى عدم وجوب الإمامة وقد عرفت بطلانه ، وعلى القول بوجوب الإمامة اختلف المسلمون في أنه هل يجب على اللّه نصب الإمام أولا ، فالإمامية ذهبوا إلى الأول والجمهور إلى الثاني .

لنا أن الإمام يجب أن يكون منصوبا من اللّه لأنه تعالى عالم بالأشياء وبالمصالح والأحكام التي يتم بها النظام ، والإمام أيضا يجب أن يكون عالما بجميع المصالح والأحكام حتى يجمع بين المختلفات إن اقتضت المصلحة ويفرق المؤتلفات إن اقتضت المصلحة ، والخلق ليس لهم سبيل إلى معرفة حقيقة الأمور وباطنها لعدم علمهم بها فلا يؤدي علمهم إلى إمام يعلم الأشياء فينصبونه ، فيجب على اللّه نصب ذلك الإمام لأنه عالم بجميع الأمور ظاهرها وباطنها ، وقد دريت أن الخلق لا يعلمون مصالحهم فلا يجوز لهم اختيار من تهوى إليه نفوسهم ، ثم من المعلوم أن النفوس متعددة متكثرة ذواتها وأفعالها ومقتضياتها ومشتهياتها فلا تجتمع مع هذه الكثرات على أمر واحد بحسب مقتضياتها فلم يزالوا مختلفين إلا من رحم ربك ، فتختار كل نفس من الأنفاس إماما على ما تهويه وبذلك يختل النظام لأن الإمام لا بد

وأن يكون واحدا في كل عصر من الأعصار ويكون رئيسا في جميع الأقطار والأمصار حتى يبين لهم ما هو الحق ولا يتكلم بما تشتهيه النفوس مقتضياتها .

ثم من المعلوم عند جميع أهل الملل والنحل أن الإنسان الكبير مطابق للإنسان الصغير ، والإنسان الصغير له قلب يتحاكم إليه جميع الحواس عند اختلافهم في متعلقات إدراكها ولولا ذلك لخرب البدن واضمحلت البنية ، فاللّه سبحانه لم يهمل الإنسان عبثا فخلق له قلبا فجعله حاكما يتحاكم إليه جميع الحواس عند اتفاقها واختلافها ، فيجب أن لا يهمل خلق هذا العالم الكبير ويجب أن يخلق لهذا العالم قلبا فيجعله حجة لأهله حتى يتحاكموا إليه في ما اختلف بينهم وهو الإمام ، فيجب على اللّه نصبه لتطابق الإنسانين ، فكما أن القلب يعلم جميع إدراكات الحواس بأسرها فيحكم فيما اختلفوا كذلك يجب أن يكون الإمام عالما بجميع ما يحتاج إليه الناس .

ثم أنا لو نظرنا بعين الأنصاف وأعرضنا عن سبيل الاعتساف وجدنا أن الكتاب والسنة لا يكفيان ما نحتاج إليه في ما يتعلق إليه أمور تكاليفنا ، ولأن الكتاب والسنة فيهما اختلاف بيّن بحسب الظاهر على ما تعرفه الناس ، ولأجل ذلك ترى كل آحاد من المذاهب يستدل على حقية مذهبه بالكتاب والسنة ومن المعلوم تعدد المذاهب وأهلها ، فلو كان الحق متكثرا لزم انقلاب حقيقة الحق إلى الباطل لأن الحق من الحق فيجب أن يكون واحدا لأنه واحد وهذا متكثر وهذا خلف ، ومن المعلوم أيضا أن العلوم كلها عند اللّه واللّه سبحانه يعلّم من يشاء بما يشاء كيف يشاء وذلك بمقتضى إقبال العبد إلى اللّه بحقيقة سره وباطنه ولا يعلم ذلك إلا اللّه فيعلّمه حسب ما أقبل

عليه ويقرّبه منه إلى أعلى مدارج القرب فيكون أقرب إلى اللّه من سائر الخلق فيكون بذلك واسطة في الوجود لإيصال الفيض لأن الضرورة قضت ببطلان الطفرة ، فالفيض أولا يصل إليه ثم منه إلى الغير في التكوين والتشريع ، فيجب على اللّه نصبه للغير لأنه متمحض في إرادة اللّه ولا يعرفه غير اللّه فيجب على اللّه نصبه وإراثة السبيل وعلى اللّه قصد السبيل حتى يبين ما أراد اللّه منه وما نهى اللّه عنه .

ثم لو كان نصب الإمام من قبل الأمة لوجب أن يكون كل واحد من الأمة أعلم من الإمام ليعرفوا بالامتحان علمه وفضله ليختاروه ، وليس لهم أن يختار كل واحد منهم نفسه للإمامة فلا يتمكن الرعية من نصب الإمام فافهم .

قال : كما قال اللّه تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] وقد فسر في الخبر بأن كل إمام هاد للقوم الذي هو فيهم وعن الصادق عليه السلام قَال (إِنَّ الحُجَّةَ لا تَقُومُ للهِ عَزَّ وَجَل عَلَى خَلقِهِ إلا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ)[2] .

وعنه عليه السلام عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال (لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخل وإلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولو لا ذلك لم يعبد الله قال سليمان فقلت للصادق عليه السلام فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور قال عليه السلام كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب)[3] إلى غير ذلك من الأخبار .

أقول : نعم الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار في هذا المعنى متواترة فمنها

(١) الرعد ٧

(٢) الكافي ١ / ١٧٧

(٣) البحار ٥ / ٢٣

ما قاله عليه السلام (لا تقوم الحجة على الخلق إلا بإمام يعرف الحلال والحرام)[1]
ومنها ما قال عليه السلام (لا تخلوا الأرض من حجة كي ما إن زاد المؤمنون ردهم
وإن نقصوا أتمه لهم)[2] وبالجملة هذا ظاهر إنشاء اللّه .

(١) لم نجد هذا الخبر بعينه ولكن وجدنا ما يقرب منه ففي الكافي ١ / ١٧٨ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ (مَا زَالَتِ الْأَرْضُ إِلا وَ لِلَّهِ فِيهَا الْحُجَّةُ يُعَرِّفُ الْحَلالَ وَ الْحَرَامَ وَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ) .

(٢) لم نجد هذا الخبر بعينه ولكن وجدنا ما يقرب منه ففي الكافي ١ / ١٧٨ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ (سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ الْأَرْضَ لا تَخْلُو إِلا وَ فِيهَا إِمَامٌ كَيْمَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئاً رَدَّهُمْ وَ إِنْ نَقَصُوا شَيْئاً أَتَمَّهُ لَهُمْ) .

المقام الثاني

قال المقام الثاني : أن الإمام لا بد أن يكون معصوما منصوصا أو في حكمه، وأفضل في العلم والعمل ونحوها مما له دخل في الرياسة العامة في أمر الدنيا والدين وإتمام الحجة على المكلفين ردا على العامة العمياء لأن ذلك لطف واجب على الله تعالى .

أقول : فحيث قلنا بوجوب الإمام ونصبه على اللّه وجب كون ذلك الإمام معصوما في العلم والعمل ومسددا ومصونا عن الخطأ والزلل خلافا لجمهور أهل السنة حيث ذهبوا إلى عدم وجوب العصمة .

لنا أن الإمام المنصوب من قبل اللّه إذا صدر عنه الذنب فإما يجب أن يتبع أولا ، والأول باطل لأن الذنب هو المعصية على خلاف مراد اللّه ، واللّه لا يرضى لعباده ذلك من باب اللطف ، والثاني أيضا باطل لعدم وجوب اتباعه فلا يكون مقبولا فتنتفي الفائدة ، ثم إذا جاز منه صدور الذنب فلا تطمئن النفوس بقوله وفعله لأنه ربما صدر عنه السهو أو الخطأ في الأمر وعلى هذا تنتفي الفائدة ، أيضا إن اللّه سبحانه قادر على نصب إمام معصوم من جميع أنواع الخطأ والنسيان فإذا نصب إماما ليس بمعصوم فقد جاز عليه ترجيح المرجوح على الراجح ، وذلك قبيح لا يجوز على الرب القادر الحكيم ، لأن نصب المعصوم أرجح من نصب غيره .

ثم أن الإمام لو لم يكن معصوما لجاز عليه المعصية فإذا وقع في المعصية هل يجب على الرعية إنكاره أم لا ؟ وعلى الأول يجب أن لا يطاع فيجب أن تنتفي فائدة نصبه ، وعلى الثاني يجب مخالفتهم لقول النبي ﷺ حيث قال

(من رأى منكرا فلينكره) ومخالفتهم للإجماع حيث قال ﷺ (ولوجوب إنكار المنكر بالإجماع)[١] .

ثم الإمام لا بد وأن يكون مطيعا لإرادة اللّه بحيث لا يغفل عن اللّه طرفة عين فإقباله على الحق يستلزم إدباره عن الباطل واتباع الشيطان ، ومن المعلوم أن الخطأ والسهو والنسيان لا يتحقق إلا عن الإقبال إلى الشيطان فعند إقباله على اللّه لا يتحقق الإقبال على الشيطان فلا يصدر منه ذنب ولا خطأ بوجه من الوجوه لكونه مقبلا على اللّه الرحمن ومدبرا عن الشيطان فيكون معصوما مهذبا من العيب والنقصان والأدلة كثيرة وذكرها يوجب التطويل .

قال : مضافا إلى النقل كما قال ﴿ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢] وقال اللّه تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى ﴾[٣] وقال ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٤] أي يختار من يشاء للنبوة والإمامة ، والإمامة لا تكون إلا بالإمام الذي له الرياسة في أمر الدنيا والدين ، لا برأي الناس ، وقال الله تعالى ﴿ فَسْئَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٥] وقال اللّه تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى العالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ﴾[٦] ، وعن سعد بن عبداللّه قال (سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه فقلت أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم قال مصلح أو مفسد قلت مصلح قال هل يجوز

(١) الألفين ٦٤
(٢) البقره ١٢٤
(٣) يونس ٣٥
(٤) القصص ٦٨
(٥) الأنبياء ٧
(٦) آل عمران ٣٣ - ٣٤

أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد قلت بلى قال فهي العلة أبدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك قلت نعم)[1] .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال (عرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله عز وجل فيها النبي صلى الله عليه وآله بالولاية لعلي عليه السلام الأئمة عليهم السلام أكثر مما أوصاه بالفرائض)[2] .

وعنه عليه السلام (الإمام يعرف الإمام الذي يكون من بعده)[3] إلى غير ذلك من الأخبار.

أقول : وسنذكر شطرا من الروايات الواردة في نص الولاية لأمير المؤمنين من قبل رب العالمين سريعا إنشاء الله .

(١) بحارالأنوار ج ٢٣ / ٦٨

(٢) الخصال ٢ / ٦٠١

(٣) بصائرالدرجات ص : ٤٧٥

المقام الثالث

قال المقام الثالث: إن ذلك المعصوم المنصوص من الأفضل الذي هو الخليفة بلا فصل لخاتم النبيين هو علي بن أبي طالب عليه السلام ردا على العامة العمياء.

أقول: ولا قوة إلا بالله، أن المسلمين اختلفوا في كون الخليفة بعد النبي من هو فذهب العامة إلى أنه أبوبكر ثم بعده عمر ثم بعده عثمان ثم بعده علي عليه السلام، وذهب الخاصة إلى أنه علي عليه السلام والأحد عشر من ولده من بعده.

لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله نص بولايته وخلافته في غير موضع منها الخبر المتواتر في ولايته واستخلافه في يوم غدير خم، أما من طرقنا فقد روى الطبرسي رضي الله عنه في الاحتجاج بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي عليهم السلام أنه قال (لما حج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وقد بلغ جميع الشرائع قومه غير الحج والولاية فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله جل اسمه يقرؤك السلام ويقول لك إني لم أقبض نبيا من أنبيائي ولا رسولا من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجتي وقد بقي عليك من ذاك فريضتان مما تحتاج أن تبلغهما قومك فريضة الحج وفريضة الولاية والخلافة من بعدك فإني لم أخل أرضي من حجة ولن أخليها أبدا فإن الله جل ثناؤه يأمرك أن تبلغ قومك الحج وتحج ويحج معك من استطاع إليه سبيلا من أهل الحضر والأطراف والأعراب وتعلمهم من معالم حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس ألا إن رسول الله يريد الحج وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع

دينكم ويوقفكم من ذاك على ما أوقفكم عليه من غيره فخرج ﷺ وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله فحج بهم وبلغ من حج مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري ، وكذلك أخذ رسول الله ﷺ البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سنة بسنة ومثلا بمثل ، واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة فلما وقف بالموقف أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك إنه قد دنا أجلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بد منه ولا عنه محيص فاعهد عهدك وقدم وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء فسلمه إلى وصيك وخليفتك من بعدك حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب عليه السلام فأقمه للناس علما وجدد عهده وميثاقه وبيعته وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية وليي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب عليه السلام فإني لم أقبض نبيا من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني وحجتي وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي وذلك كمال توحيدي وديني وإتمام نعمتي على خلقي باتباع وليي وطاعته ، وذلك أني لا أترك أرضي بغير ولي ولا قيم ليكون حجة لي على خلقي فاليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا بولاية وليي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي عبدي ووصي نبيي والخليفة من بعده وحجتي البالغة على خلقي مقرون طاعته بطاعة محمد نبيي ومقرون طاعته مع طاعة محمد

بطاعتي من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علما بيني وبين خلقي من عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا ومن أشرك بيعته كان مشركا ومن لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعداوته دخل النار فأقم يا محمد عليا علما وخذ عليهم البيعة وجدد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه فإني قابضك إلي ومستقدمك علي ، فخشي رسول الله ﷺ من قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا إلى الجاهلية لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه أنفسهم لعلي من العداوة والبغضاء وسأل جبرئيل أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس عن الله جل اسمه ، فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويقيم عليا علما للناس يهتدون به ولم يأته بالعصمة من الله جل جلاله بالذي أراد ، حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرئيل وأمره بالذي أتاه فيه من قبل الله ولم يأته بالعصمة فقال يا جبرئيل إني أخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي عليه السلام ، فرحل فلما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهار والعصمة من الناس فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك ﴿ **يا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** - في علي - **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ وكان أوائلهم قريب من الجحفة ، فأمر بأن يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ليقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في علي وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس ، فأمر رسول الله عند ما جاءته العصمة مناديا ينادي في الناس بالصلاة جامعة ويرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر وتنحى عن يمين

الطريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل عن الله عز وجل وكان في الموضع سلمات ، فأمر رسول الله ﷺ أن يقم ما تحتهن وينصب له حجارة كهيئة المنبر ليشرف على الناس فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون ، فقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه فقال :

الحمد لله الذي علا في توحده ودنا في تفرده وجل في سلطانه وعظم في أركانه وأحاط بكل شيء علما وهو في مكانه وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه ، مجيدا لم يزل محمودا لا يزال ، بارئ المسموكات وداحي المدحوات وجبار الأرضين والسماوات قدوس سبوح رب الملائكة والروح ، متفضل على جميع من برأه متطول على جميع من أنشأه ، يلحظ كل عين والعيون لا تراه كريم حليم ذو أناة ، قد وسع كل شيء رحمته ومن عليهم بنعمته ، لا يعجل بانتقامه ولا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه ، قد فهم السرائر وعلم الضمائر ، ولم تخف عليه المكنونات ولا اشتبهت عليه الخفيات ، له الإحاطة بكل شيء والغلبة على كل شيء والقوة في كل شيء والقدرة على كل شيء وليس مثله شيء وهو منشئ الشيء حين لا شيء ، دائم قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، جل عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، لا يلحق أحد وصفه من معاينة ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلانية إلا بما دل عز وجل على نفسه .

وأشهد أنه الله الذي ملأ الدهر قدسه والذي يغشي الأبد نوره ، والذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ولا معه شريك في تقدير ولا تفاوت في تدبير ، صور ما أبدع على غير مثال ، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا احتيال ، أنشأها فكانت وبرأها فبانت ، فهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن

الصنعة الحسن الصنيعة ، العدل الذي لا يجور والأكرم الذي ترجع إليه الأمور ، وأشهد أنه الذي تواضع كل شي ء لقدرته وخضع كل شيء لهيبته ، ملك الأملاك ومفلك الأفلاك ، ومسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا ، قاصم كل جبار عنيد ومهلك كل شيطان مريد ، لم يكن معه ضد ولا ند أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، إله واحد ورب ماجد يشاء فيمضي ويريد فيقضي ويعلم فيحصي ويميت ويحيي ويفقر ويغني ويضحك ويبكي ويمنع ويعطي ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهوعلى كل شيء قدير ، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل لا إله إلا هو العزيز الغفار ، مجيب الدعاء ومجزل العطاء ، محصي الأنفاس ورب الجنة والناس ، لا يشكل عليه شيء ولا يضجره صراخ المستصرخين ولا يبرمه إلحاح الملحين ، العاصم للصالحين والموفق للمفلحين ومولى العالمين ، الذي استحق من كل من خلق أن يشكره ويحمده ، أحمده على السراء والضراء والشدة والرخاء وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، أسمع أمره وأطيع وأبادر إلى كل ما يرضاه وأستسلم لقضائه رغبة في طاعته وخوفا من عقوبته ، لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره ، وأقر له على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية ، وأؤدي ما أوحى إلي حذرا من أن لا أفعل فتحل بي منه قارعة لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته لا إله إلا هو ، لأنه قد أعلمني أني إن لم أبلغ ما أنزل إلي فما بلغت رسالته ، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة ، وهو الله الكافي الكريم ، فأوحى إلي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ في علي يعني في الخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ .

معاشر الناس ما قصرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إلي وأنا مبين لكم

سبب نزول هذه الآية ، إن جبرئيل عليه السلام هبط إلي مرارا ثلاثا يأمرني عن السلام ربي وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وهو وليكم من بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تبارك وتعالى علي بذلك آية من كتابه ﴿ **إنَّما وَليُّكُمُ اللهُ وَرَسُولهُ وَالذينَ آمَنُوا الذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ** ﴾ وعلي بن أبي طالب عليه السلام أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عز وجل في كل حال ، وسألت جبرئيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم ، أيها الناس لعلمي بقلة المتقين وكثرة المنافقين وإدغال الآثمين وختل المستهزئين بالإسلام ، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي في غير مرة حتى سموني أذنا وزعموا أني كذلك لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه حتى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآنا ﴿ **وَمِنْهُمُ الذينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ** ﴾ على الذين يزعمون أنه أذن ﴿ **خَيْرٍ لكُمْ يُؤْمِنُ بِالله وَيُؤْمِنُ للمُؤْمِنِينَ** ﴾ الآية ، ولوشئت أن أسمي بأسمائهم لسميت وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت وأن أدل عليهم لدللت ، ولكني والله في أمورهم قد تكرمت وكل ذلك لا يرضى الله مني إلا أن أبلغ ما أنزل إلي ثم تلا صلى الله عليه وآله ﴿ **يا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ ما أُنْزِل إِليْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ في علي ﴿ **وَإِنْ لمْ تَفْعَل فَما بَلغْتَ رِسالتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ فاعلموا معاشر الناس أن الله قد نصبه لكم وليا وإماما مفترضا طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان ، وعلى البادي والحاضر وعلى الأعجمي والعربي والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والأسود

وعلى كل موحد ، ماض حكمه جائز قوله نافذ أمره ، ملعون من خالفه مرحوم من تبعه ، مؤمن من صدقه فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له .

معاشر الناس إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم فإن الله عز وجل هو مولاكم وإلهكم ، ثم من دونه محمد ﷺ وليكم القائم المخاطب لكم ، ثم من بعدي علي وليكم وإمامكم بأمر ربكم ، ثم الإمامة في ذريتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ، عرفني الحلال والحرام وأنا أفضيت لما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه .

معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ ، وكل علم علمت فقد أحصيته في إمام المتقين ، وما من علم إلا علمته عليا وهو الإمام المبين .

معاشر الناس لا تضلوا عنه ولا تنفروا منه ولا تستكبروا ولا تستنكفوا من ولايته ، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينهى عنه ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم إنه أول من آمن بالله ورسوله وهو الذي فدى رسوله بنفسه ، وهو الذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره .

معاشر الناس فضلوه فقد فضله الله واقبلوه فقد نصبه الله .

معاشر الناس إنه إمام من الله ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته ولن يغفر الله له حتما على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه وأن يعذبه عذابا شديدا نكرا أبد الآباد ودهر الدهور ، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا نارا وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .

أيها الناس بي والله بشر الأولون من النبيين والمرسلين وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين والحجة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين ، فمن

شك في ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأولى ، ومن شك في شيء في قولي هذا فقد شك في الكل منه والشاك في ذلك فله النار .

معاشر الناس حباني الله بهذه الفضيلة منا منه علي وإحسانا منه إلي ولا إله إلا هو له الحمد مني أبد الآبدين ودهر الداهرين على كل حال .

معاشر الناس فضلوا عليا فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى ، بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق ، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من رد علي قولي هذا ولم يوافقه ، ألا إن جبرئيل خبرني عن الله تعالى بذلك ويقول من عادى عليا ولم يتوله فعليه لعنتي وغضبي ، فلتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله أن تخالفوه فتزل قدم بعد ثبوتها إن الله خبير بما تعملون .

معاشر الناس إنه جنب الله الذي ذكر في كتابه فقال تعالى ﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ** ﴾ .

معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتبعوا متشابهه ، فو الله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إلي وشائل بعضده ومعلمكم أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه وهو علي بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيي وموالاته من الله عز وجل أنزلها عليّ .

معاشر الناس إن عليا والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر فكل واحد منبئ عن صاحبه وموافق له لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، هم أمناء الله في خلقه وحكماؤه في أرضه ، ألا وقد أديت ، ألا وقد بلغت ، ألا وقد أسمعت ، ألا وقد أوضحت ، ألا وإن الله عز وجل قال وأنا قلت عن الله عز وجل ، ألا إنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا ولا تحل

إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره ، ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه وكان منذ أول ما صعد رسول الله ﷺ شال عليا حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله ﷺ .

ثم قال معاشر الناس هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعي إليه والعامل بما يرضاه والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته والناهي عن معصيته ، خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادي ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله ، أقول وما يبدل القول لدي بأمر ربي ، أقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقه ، اللهم إنك أنزلت عليّ أن الإمامة بعدي لعلي وليك عند تبياني ذلك ونصبي إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأتممت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الإسلام دينا فقلت ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ** ﴾ ، اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيدا أني قد بلغت .

معاشر الناس إنما أكمل الله عز وجل دينكم بإمامته فمن لم يأتم به وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله عز وجل فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

معاشر الناس هذا علي أنصركم لي وأحقكم بي وأقربكم إلي وأعزكم علي والله عز وجل وأنا عنه راضيان وما نزلت آية رضى إلا فيه ، وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به ، ولا نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه ، ولا شهد بالجنة في هل أتى على الإنسان إلا له ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره .

معاشر الناس هو ناصر دين الله والمجادل عن رسول الله وهو التقي النقي الهادي المهدي ، نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصي وبنوه خير الأوصياء .

معاشر الناس ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي .

معاشر الناس إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم فإن آدم أهبط إلى الأرض لخطيئة واحدة وهو صفوة الله عز وجل ، وكيف بكم وأنتم أنتم ومنكم أعداء الله ، إنه لا يبغض عليا إلا شقي ولا يتوالى عليا إلا تقي ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص ، وفي علي والله نزلت سورة والعصر ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ إلى آخرها .

معاشر الناس قد استشهدت الله وبلغتكم رسالتي وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

معاشر الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها .

معاشر الناس النور من الله عز وجل فيّ مسلوك ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا ، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين .

معاشر الناس أنذركم أني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل أفإن مت أوقتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ، ألا وإن عليا هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس لا تمنوا على الله إسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذاب من عنده إنه لبالمرصاد .

معاشر الناس إنه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس إن الله وأنا بريئان منهم .

معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم في الدرك الأسفل من النار ولبئس مثوى المتكبرين ، ألا إنهم أصحاب الصحيفة فلينظر أحدكم في صحيفته ، قال فذهب على الناس إلا شرذمة منهم أمر الصحيفة .

معاشر الناس إني أدعها إمامة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة وقد بلغت ما أمرت بتبليغه حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يشهد ولد أو لم يولد فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة ، وسيجعلونها ملكا واغتصابا ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين ، وعندها سنفرغ لكم أيها الثقلان فيرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

معاشر الناس إن الله عز وجل لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب .

معاشر الناس إنه ما من قرية إلا والله مهلكها بتكذيبها وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله تعالى ، وهذا علي إمامكم ووليكم وهو مواعيد الله والله يصدق ما وعده .

معاشر الناس قد ضل قبلكم أكثر الأولين والله لقد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين قال الله تعالى ﴿ **أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ .

معاشر الناس إن الله قد أمرني ونهاني وقد أمرت عليا ونهيته فعلم الأمر

والنهي من ربه عز وجل فاسمعوا لأمره تسلموا وأطيعوا تهتدوا وانتهوا لنهيه ترشدوا وصيروا إلى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله .

معاشر الناس أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه ثم علي من بعدي ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون ثم قرأ ﴿ **الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ** ﴾ إلى آخرها وقال فيّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمت وإياهم خصت أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ألا إن حزب الله هم الغالبون ، ألا إن أعداء علي هم أهل الشقاق والنفاق والحادون وهم العادون وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عز وجل ﴿ **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ إلى آخر الآية ، ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال ﴿ **الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال الذين يدخلون الجنة آمنين تتلقاهم الملائكة بالتسليم أن طبتم فادخلوها خالدين ، ألا إن أولياءهم الذين قال لهم الله عز وجل ﴿ **يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ** ﴾ ، ألا إن أعداءهم يصلون سعيرا ألا إن أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقا وهي تفور ولها زفير ، ألا إن أعداءهم الذين قال فيهم ﴿ **كُلما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها** ﴾ الآية ، ألا إن أعداءهم الذين قال الله عز وجل ﴿ **كُلما أُلقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قالوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ** ﴾ ، ألا إن أولياءهم ﴿ **الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ .

معاشر الناس شتان ما بين السعير والجنة عدونا من ذمه الله ولعنه ، ووليّنا من مدحه الله وأحبه .

معاشر الناس ألا وإني منذر وعلي هاد .

معاشر الناس إني نبي وعلي وصيي ، ألا إن خاتم الأئمة منا القائم المهدي ، ألا إنه الظاهر على الدين ، ألا إنه المنتقم من الظالمين ، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها ، ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك ، ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله ، ألا إنه الناصر لدين الله ، ألا إنه الغراف في بحر عميق ، ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله وكل ذي جهل بجهله ، ألا إنه خيرة الله ومختاره ، ألا إنه وارث كل علم والمحيط به ، ألا إنه المخبر عن ربه عز وجل والمنبه بأمر إيمانه ، ألا إنه الرشيد السديد ، ألا إنه المفوض إليه ، ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه ، ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده ولا حق إلا معه ولا نور إلا عنده ، ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه ، ألا وإنه ولي الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته .

معاشر الناس قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا علي يفهمكم بعدي ، ألا وإني عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته والإقرار به ثم مصافقته بعدي ، ألا وإني قد بايعت الله وعلي قد بايعني وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عز وجل ﴿ **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ** ﴾ الآية .

معاشر الناس إن الحج والصفا والمروة والعمرة من شعائر الله ﴿ **فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما** ﴾ الآية .

معاشر الناس حجوا البيت فما ورده أهل بيت إلا استغنوا ولا تخلفوا عنه إلا افتقروا .

معاشر الناس ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك فإذا انقضت حجته استؤنف عمله .

معاشر الناس الحجاج معاونون ونفقاتهم مخلفة والله لا يضيع أجر المحسنين .

معاشر الناس حجوا البيت بكمال الدين والتفقه ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة وإقلاع .

معاشر الناس أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله عز وجل ، لئن طال عليكم الأمد فقصرتم أون سيتم فعلي وليكم ومبين لكم الذي نصبه الله عز وجل بعدي ومن خلفه الله مني ومنه يخبركم بما تسألون عنه ويبين لكم ما لا تعلمون ، ألا إن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد فأمرت أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل في علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده الذين هم مني ، ومنه أئمة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق .

معاشر الناس وكل حلال دللتكم عليه أ وحرام نهيتكم عنه فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل ، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدلوه ولا تغيروه ، ألا وإني أجدد القول ، ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، ألا وإن رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته فإنه أمر من الله عز وجل ومني ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ، إلا مع إمام معصوم .

معاشر الناس القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده وعرفتكم أنه مني وأنا منه حيث يقول الله في كتابه ﴿ **وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ** ﴾ وقلت لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما .

معاشر الناس التقوى التقوى احذروا الساعة كما قال الله عز وجل ﴿ **إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ ، اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب فمن جاء بالحسنة أثيب عليها ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب .

معاشر الناس إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة وقد أمرني الله عز وجل أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلي من إمرة المؤمنين ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه فقولوا بأجمعكم إنا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغت عن ربنا وربك في أمر علي وأمر ولده من صلبه من الأئمة نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا على ذلك نحيا ونموت ونبعث ولا نغير ولا نبدل ولا نشك ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق ، نطيع الله ونطيعك وعليا أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه بعد الحسن والحسين اللذين قد عرفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربي عز وجل فقد أديت ذلك إليكم وإنهما سيدا شباب أهل الجنة وإنهما الإمامان بعد أبيهما علي وأنا أبوهما قبله ، وقولوا أطعنا الله بذلك وإياك وعليا والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت عهدا وميثاقا مأخوذا لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وأقر بهما بلسانه ولا نبغي بذلك بدلا ولا نرى من أنفسنا عنه حولا أبدا أشهدنا الله وكفى بالله شهيدا وأنت علينا به شهيد ، وكل من أطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد .

معاشر الناس ما تقولون فإن الله يعلم كل صوت وخافية كل نفس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، ومن بايع فإنما يبايع الله يد الله فوق أيديهم .

معاشر الناس فاتقوا الله وبايعوا عليا أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة طيبة باقية يهلك الله من غدر ويرحم الله من وفى ﴿ **فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ** ﴾ الآية .

معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم وسلموا على علي بإمرة المؤمنين وقولوا ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ وقولوا ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا**

وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانَا اللهُ ﴾ الآية .

معاشر الناس إن فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام عند الله عز وجل وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن أحصيها في مقام واحد فمن أنبأكم بها وعرفها فصدقوه .

معاشر الناس من يطع الله ورسوله وعليا والأئمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزا عظيما .

معاشر الناس السابقون السابقون إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين أولئك هم الفائزون في جنات النعيم .

معاشر الناس قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فلن يضر الله شيئا .

اللهم اغفر للمؤمنين واغضب على الكافرين والحمد لله رب العالمين

قال الباقر عليه السلام فناداه القوم سمعنا وأطعنا على أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا ، وتداكوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام فصافقوا بأيديهم ، فكان أول من صافق رسول الله صلى الله عليه وآله الأول والثاني والثالث والرابع والخامس ، وباقي المهاجرين والأنصار ، وباقي الناس على طبقاتهم وقدر منازلهم إلى أن صليت المغرب والعتمة في وقت واحد ، ووصلوا البيعة والمصافقة ثلاثا ورسول الله يقول كلما بايع قوم الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين ، وصارت المصافقة سنة ورسما وربما يستعملها من ليس له حق فيها .

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال (لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الخطبة رأى الناس رجلا جميلا بهيا طيب الريح ، فقال : تالله ما رأيت محمدا كاليوم قط ما أشد ما يؤكد لابن عمه وإنه يعقد عقدا لا يحله إلا كافر بالله العظيم وبرسوله ، ويل طويل لمن حل عقده ، قال والتفت إليه عمر بن الخطاب حين سمع كلامه فأعجبته هيأته ، ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال أما سمعت ما

قال هذا الرجل قال كذا وكذا ، فقال النبي ﷺ : يا عمر أتدري من ذاك الرجل ، قال : لا ، قال : ذلك الروح الأمين جبرئيل فإياك أن تحله فإنك إن فعلت فالله ورسوله وملائكته والمؤمنون منك براء)[1] انتهى .

هذا ما روينا عن مشايخنا بطرقنا ، وأما المروي عن العامة بطرقهم فمنها ما رواه أحمد بن حنبل وهو إمام الجماعة ورئيسهم في مسنده بإسناده إلى البَرَاءِ ابْنِ عَازِبٍ قَال (كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي سَفَرٍ فَنَزَلنا بِغَدِيرِ خُمٍّ فَنُودِيَ فِينَا الصَّلاةُ جَامِعَةٌ وَكُسِحَ لرَسُول الله ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ فَصَلى الظُّهْرَ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَال أَلسْتُمْ تَعْلمُونَ أَنِّي أَوْلى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالوا بَلى قَال أَلسْتُمْ تَعْلمُونَ أَنِّي أَوْلى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالوا بَلى قَال فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَال مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ اللهُمَّ وَال مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ قَال فَلقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلكَ فَقَال هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ)[2] .

ورواه بسند آخر عن أبي الطفيل[3] ورواه أيضا بطريق آخر وأسنده إلى زيد ابن أرقم[4] وأسنده إلى ابن عبد ربه في كتاب العقد .

---

(١) الاحتجاج ١ / ٥٦ - ٦٧

(٢) مسند أحمد بن حنبل حديث (١٧٧٤٩) .

(٣) عن أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ جَمَعَ عَلِيٌّ عليه السلام عَنْهُ النَّاسَ فِي الرَّحَبَةِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَنْشُدُ اللَّهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ لَمَّا قَامَ فَقَامَ ثَلاثُونَ مِنْ النَّاسِ وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا مَوْلاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ قَالَ فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئًا فَلَقِيتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا عليه السلام يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَمَا تُنْكِرُ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ (مسند أحمد بن حنبل حديث ١٨٧٩٤) .

(٤) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ اسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ النَّاسَ فَقَالَ أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلا سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ قَالَ فَقَامَ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلا فَشَهِدُوا (مسند أحمد بن حنبل حديث ٢٢٠٢٦) .

ورواه عن سعد بن وهب وروى الشيخ عماد الدين بن كثير الشامي في تاريخه عند ذكر أحوال محمد بن جرير الطبري الشافعي (وقد رأيت له كتابا جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين وكتابا جمع فيه طرق حديث الطير)[1] .

قال : ونقل عن ابن المعالي الجويني أنه كان يتعجب ويقول شاهدت مجلدا ببغداد في يد صحاف فيه روايات هذا الخبر مكتوب عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق من كنت مولاه فعلي مولاه ، ويتلوه المجلد التاسع والعشرون .

قال سبط بن الجوزي شيخ السنة اتفق علماء السير أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة ، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفا ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

ورواه الثعلبي في تفسيره وأكد الخبر بما رواه في تفسير قوله تعالى ، ﴿ **سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ** ﴾ قيل إن الحارث بن النعمان الفهري لعنه اللّه أتى رسول اللّه في ملأ من أصحابه وقال : يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلنا منك ، ثم لم ترضى بهذا كله حتى رفعت بضبعي ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام ففضلته علينا وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من اللّه تعالى ، فقال ﷺ : والذي لا إله إلا هو إنه أمر من اللّه تعالى ، فولى الحارث وهو يقول : اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك الذي قال محمد في ابن عمه فأمطر علينا حجارة من السماء وائتنا بعذاب أليم فما وصل إلى راحلته حتى رماه اللّه بحجر من السماء فسقط على رأسه وخرج من دبره فمات لعنه اللّه ، فنزلت سورة ﴿ **سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ** ﴾)[2] انتهى .

(١) البداية والنهاية ١٠ / ٣٤٢

(٢) فتح القدير ٦ / ٢١٨ قريب منه .

وقد تواتر أيضا أن عمر بن الخطاب قال لعلي عليه السلام في يوم غدير خم : بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

قال الغزالي في كتابه المسمى بسر العالمين في المقالة الرابعة التي وضعها لتحقيق أمر الخلافة بعد عدة من الأبحاث وذكر الاختلاف ما هذه عبارته (أسفرت الحجة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلوات الله عليه في يوم غدير باتفاق الجميع وهو يقول من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بخ بخ لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) .

وبالجملة أن الإجماع قام على صحة قضية غدير خم كما صرح بها المخالف والموافق وقد أنشأ الشعراء في ذاك الموقف أشعارا كثيرة يمدحون بها أمير المؤمنين عليه السلام فمنها ما قال حسان بن ثابت وهو من العامة :

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل من عند ربه ... بأنك معصوم فلا تك وانيا
وبلغهم ما أنزل الله ربهم ... إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه ... بكف علي معلن الصوت عاليا
وقال فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبدو هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماما وهاديا
هناك دعا اللّهم وال وليه ... وكن للذي عادى عليا معاديا
فيا ربنا انصر ناصريه لنصره ... إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لحسان لا زلت مؤيدا بروح القدس ما دمت مادحنا ، وهو رجل من المخالفين ، ومنها ما أنشده الفضل بن العباس في مدحه :

وعلي إمـــامنا وإمـــام لســـوانا أتى به التنزيل

يوم قال النبي من كنت مولاه علي مـــولاه خطب جليل

والذي قاله النبي صحيح حتم لا قال فيه وقيل

ومنها ما قاله عمر وبن العاص لعنه اللّه يمدح أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام :

وضربته كبيعته بخم معاقدها من القوم الرقاب

هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب اللّه وانقطع الخطاب

وبالجملة لو أردنا أن نورد جميع ما قاله الناس فيه عليه السلام من منثور ومنظوم لاحتاج إلى أطناب لا يفي ببيانه ألف كتاب ، ولما ثبت قول النبي صلى الله عليه وآله (من كنت مولاه فعلي مولاه) باتفاق المخالف والمؤالف تعين نصبه وإمامته لأن الولي لا يكون وليا إلا أن يكون أولى بالتصرف وهذا هو المراد بقوله صلوات اللّه عليه بقرينة قوله (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فإن ولاية علي هي ولاية محمد صلى الله عليه وآله ، وولاية محمد صلى الله عليه وآله هي ولاية اللّه ، ولا يصح أن تكون ولاية النبي إلا بمعنى الأولى بالتصرف ، فقوله (علي مولاه) لا يحمل على غير هذا المعنى لقيام القرينة الصارفة عن سائر المعاني والمعينة لهذا المعنى وهي قوله (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فلا يصار إلى غيره .

ولا يقال ل وكان المعنى على ما ذكره الشيعة من أولويته وتعيين خلافته بقوله هذا لكان صرح رسول اللّه صلى الله عليه وآله بخلافته ، ولقال علي خليفتي في أمتي .

لأنا نقول أن قوله (من كنت مولاه فعلي مولاه) أبلغ في أداء المراد فإن الرجل إذا تحققت له الولاية فبالأحرى أن تتحقق له الخلافة ، وأيضا أنه صلى الله عليه وآله صرح في غير موضع بخلافته وإمامته ووصايته بلفظ خليفتي وإمامكم ووصيي باتفاق من المخالف والمؤالف .

فمن ذلك ما رواه الشيخ الفقيه أبوالحسن محمد بن أحمد بن شاذان القمي رضي اللّه عنه في كتابه المعروف بـ (إيضاح دقايق النواصب) وهذا كتاب جمع ما سمعه من طريق العامة مائة منقبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده صلوات اللّه عليهم أجمعين ، عن أبي عبداللّه الحسين بن محمد بن علي الصوفي ، وكان مشتهرا بالخلاف لآل محمد ﷺ ، قال حدثنا القاضي أبوبكر محمد بن جعفر الجعابي ، قال أخبرنا أبوجعفر محمد بن مروان ، قال حدثنا علي بن هلال الأخمسي ، عن شريك ، عن عبداللّه بن محمد ابن عقيل ، عن جابر قال (قام فينا رسول الله ﷺ بأحجار الزيت فأخذ رسول الله ﷺ بضبعي علي فرفعها حتى رئي بياض إبطيهما ولم ير إلا ذلك اليوم ويوم غدير خم ، فقال أيها الناس هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد المسلمين الوصيين وقائد الغر المحجلين وعيبة علمي ووصيي في أهل بيتي وفي أمتي يقضي ديني وينجز وعدي وعوني على مفاتيح الجنة ومعي في الشفاعة .

أيها الناس من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله .

أيها الناس إني سألت الله في علي خصلة فمنعنيها وابتدأني بسبع ، قال جابر قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الخصلة التي سألت الله في علي فمنعكها قال : ويحك يا جابر إني سألت الله أن يجمع (يجتمع) الأمة على علي من بعدي فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، قال : قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فما السبع التي بدأك بهن فيه ، قال : ويحك يا جابر أنا أول من يخرج يوم القيامة من قبره وعلي معي ، وأنا أول من يقرع باب الجنة وعلي معي ، وأنا أول من يسكن في عليين وعلي معي ،

وأنا أول من يزوج من الحور العين وعلي معي ، وأنا أول من يسقي من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعلي معي (وأنا أول من ينظر إلى اللّه تعالى وعلي معي))[1] .

وروى أخطب خطباء خوارزم في كتاب المناقب عن أنس بن مالك ، قال بينما أنا عند رسول اللّه ﷺ إذ قال رسول اللّه ﷺ (الآن يدخل سيد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وأولى الناس بالنبيين إذ طلع علي بن أبي طالب فقال رسول الله ﷺ اللهم وإلي وإلي قال فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ يمسح العرق من جبهته ووجهه ويمسح به وجه علي بن أبي طالب ويمسح العرق من وجه علي ويمسح به وجهه فقال له علي يا رسول الله نزل في شيء قال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي أنت أخي ووزيري وخير من أخلف بعدي تقضي ديني وتنجز وعدي وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي وتعلمهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا وتجاهدهم على التأويل كما جاهدتهم على التنزيل)[2] . انتهى .

وقد صرح بخلافته في كثير من المواضع يطول بذكرها الكلام لا سيما حديث المنزلة حيث قال ﷺ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[3] وقد استخلف موسى هارون وجعله خليفته في أمته ، فكان هو الحاكم في أمته ، وكذلك جعل النبي عليا خليفته ولعمري لقد ارتكب المسلمون ما ارتكب اليهود حين أخذ موسى طريق الميقات وخلف فيهم فلم يبق مع هارون إلا شرذمة قليلة والباقون تخلفوا عن دين موسى وأخذوا يعبدون العجل ، ولما توفي النبي ﷺ خلف فيهم عليا فلم يقبلوا منه وخالفوه

(١) تفسير فرات الكوفي ٥٤٥ وما بين القوسين لم نجده .

(٢) كشف الغمة ١ / ٣٤٣ عن المناقب .

(٣) مسند أحمد بن حنبل حديث ١٤٦٥ .

ولا بد أن يكون الأمر كذلك لصدق قوله ﷺ (كلما كان في الأمم الماضية والقرون السالفة تكون في أمتي حذ والقذة بالقذة والنعل بالنعل حتى أنهم لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)[1] في تفسير قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾[2] وقد وقع الحق وكان الأمر كذلك ، وحديث المنزلة ليس من أخبار الآحاد وإنما هو من المستفيض لا ينكره أحد ، وقال النبي ﷺ في غير موضع بذلك في استخلافه في المدينة لما خرج إلى غزوة تبوك وغيره .

ومن أعجب الروايات ما رواه ابن المغازلي الشافعي في كتابه أن عمر أقر بخلافة علي عليه السلام وأن النبي استخلفه وأنهم غصبوا حقه ، عن حارثة بن زيد قال (شهدت مع ابن الخطاب حجته في خلافته فسمعته يقول اللهم قد عرفت محبتي لنبيك وكنت مطلعا على سري ، قال : فلما رآني أمسك وحفظت الكلام فلما انقضى الحج وانصرفت إلى المدينة تعمدت الخلوة به فرأيته يوما على راحلته وحده فقلت له : يا أمير المؤمنين بالذي هو أقرب إليك من حبل الوريد إلا أخبرتني عما أريد أن أسألك عنه ، قال : سل عما شئت ، قلت له : سمعتك يوم كذا تقول كذا وكذا ، قال : فكأني ألقمته حجرا ، فقلت : لا تغضب فو الذي أنقذني من الجاهلية وأدخلني في الإسلام ما أردت بسؤالي لك إلا وجه الله عز وجل ، قال : فعند ذلك ضحك وقال : يا حارثة دخلت على رسول الله ﷺ وقد اشتد وجعه فأحببت الخلوة به وكان عنده علي بن أبي طالب عليه السلام والفضل ابن العباس فجلست حتى نهض ابن عباس فبقيت أنا وعلي عليه السلام فتبين لرسول الله ﷺ ما أردت

---

(١) في تفسير القمي ٢ / ٤١٣ قال رسول الله ﷺ لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة ولا تخطئون طريقتهم شبر بشبر و ذراع بذراع و باع بباع حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود و النصارى تعني يا رسول الله قال فمن أعني لينقض عرى الإسلام عروة عروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة .

(٢) الانشقاق ١٩

فالتفت إلي وقال : يا عمر جئت تسألني إلى من يصير هذا الأمر ، فقلت : صدقت يا رسول الله ، فقال : يا عمر هذا وصيي وخليفتي من بعدي وخازن سري فمن أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله ومن تقدم عليه فقد كذب بنبوتي ، ثم دنا وقبل ما بين عينيه وأخذه وضمه إلى صدره ، ثم قال : الله وليك الله ناصرك والى الله من والاك وعادى الله من عاداك أنت وصيي وخليفتي من بعدي في أمتي ، ثم علا بكاؤه وانهملت بالدموع حتى سالت على خديه و على خد علي عليه السلام ، فو الذي من علي بالإسلام لقد تمنيت في تلك الساعة أن أكون مكانه على الأرض ، ثم التفت إلي وقال : يا عمر إذا نكث الناكثون وقسط القاسطون ومرق المارقون قام هذا مقامي حتى يفتح الله تعالى عليه وهو خير الفاتحين ، قال : فغاظني ذلك فقلت يا عمر فكيف تقدمتموه وقد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا حارثة بأمر كان ، فقلت : من الله أم من رسوله أم من علي فقال لا بل الملك عقيم والحق لابن أبي طالب من دوننا)[1] . إلى غير ذلك من النصوص .

ولا يقال لوكان الأمر كذلك فهلا ادعي على علي خلافته أ وغيره مع وجود النص ، وكيف يجوز لك أن تقول أن الصحابة وجميع المهاجرين والأنصار الذين اجتمعوا على بيعة أبي بكر خالفوا النص؟

لأنا نقول أن أمير المؤمنين عليه السلام ادعى ذلك ومعه جماعة قليلة ، وأن المهاجرين والأنصار لم يجتمعوا على بيعة أبي بكر في أول الأمر كما ستعرف سريعا ، ولوقلنا أنهم اجتمعوا فلا يضرنا اجتماعهم لأنهم في كثير من المواضع خالفوا النصوص في حياة الرسول وبعد وفاته كما ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر عند ما سأله عما رواه

(١) الفضائل ١٢٣

أبوبكر الأنباري في أماليه (أن عليا عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب ، فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها ، فقال له ذلك القائل : فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه ، قال : كرهناه على حداثة السن وحبه بني عبد المطلب .

قلت : سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الأخبار فقلت له ما أراها إلا تكاد تكون دالة على النص ولكني أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين ، فقال لي رحمه الله : أبيت إلا ميلا إلى المعتزلة ، ثم قال : إن القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلى أنها من معالم الدين وأنها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة والصوم ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية ويذهبون لهذا مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية وما كانوا يبالون في أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله إذا رأوا المصلحة في غيرها ، ألا تراه كيف نص على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ولم يخرجا لما رأيا أن في مقامهما مصلحة للدولة وللملة وحفظا للبيضة ودفعا للفتنة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف وهو حي في أمثال ذلك فلا ينكره ولا يرى به بأسا ، ألست تعلم أنه نزل في غزاة بدر منزلا على أن يحارب قريشا فيه فخالفته الأنصار وقالت له ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه وانزل في منزل كذا فرجع إلى آرائهم ، وهو الذي قال للأنصار عام قدم إلى المدينة لا تؤبروا النخل فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تثمر حتى قال لهم أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر

دينكم ، وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا إلى مكة ، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فخالفاه فرجع إلى قولهما ، وقد كان قال لأبي هريرة اخرج فناد في الناس (من قال لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة) فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره حتى وقع على الأرض فقال لا تقلها فإنك إن تقلها يتكلوا عليها ويدعوا العمل فأخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بذلك فقال لا تقلها وخلهم يعملون فرجع إلى قول عمر .

وقد أطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الأمران أدخل في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا ولم يحد رسول الله ﷺ شاربي الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم ، ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص)[1] انتهى .

وقد عرفت أنهم كانوا يخالفون النص ويجتهدون في مقابلة النص ومخالفتهم يعطي عدم الإقرار بنبوته صلوات الله عليه لأنه لوكانوا يقرون بنبوته لم يكونوا يخالفوه في شيء من الأشياء لأنه صلوات الله عليه لا

---

(١)شرح نهج البلاغة ١٢ / ٨٢ - ٨٤

ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى كما نص عليه صريح القرآن ، وقال اللّه سبحانه أيضا ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[1] فلا يجوز التخلف عن أوامره ﷺ لأن أمره أمر اللّه ولا يجوز التخلف عن أمر اللّه تعالى ، قال عز وجل ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2] وهذا لا يتفاوت في الأصول والفروع إلا إذا جحد ربوبيته تعالى ونبوته ﷺ .

وقوله (أن أمر الخلافة من قبيل الأمور) الإيمان لا يتم إلا بها لقوله ﷺ (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)[3] فإذن كانت معرفة الإمام الذي هو الخليفة سبب الإيمان ولا يحصل الإيمان إلا بالإقرار به ، فكيف يجوز أن يقال أنها من الأمور الدنيوية .

لا يقال أن المقصود من الإمام هو القرآن .

لأنا نقول لو كان المقصود هو القرآن لما خصه بزمان دون زمان بقوله ﷺ (إمام زمانه) وإضافة الزمان إليه يبين أن الإمام غير القرآن لأن القرآن موجود في كل زمان من دون تغير وتبدل ولا كذلك الإمام لأنه يموت وتجري عليه الحالات ويتعين غيره بعده بنص عن اللّه ورسوله كما ستعرفه سريعا ، وبالجملة فقد ثبت أن الإمام ليس إلا الخليفة الذي يقوم مقام النبي في تبليغ الأحكام .

وقوله (أن الخلق أعرف بمصالحهم في الأمور الدنيوية فيجوز أن يخالفوا نصه) في غاية السخافة ، إذ يقال له أن اللّه سبحانه أبصر في الأمور من الخلق أم الخلق أبصر منه ، فإن كان الأول فلا يجوز مخالفته لأنه أبصر وأعلم

(١) الحاقه من ٤٤ - ٤٨

(٢) النور ٦٣

(٣) مستدرك الوسائل ٨ / ١٨٧

فحيث أمر لا يأمر إلا بما هو الأصلح وإن كان الخلق لا يعرفون وجه المصلحة فيجب اتباعه ولا يجوز التخلف عما أمر به ، وإن كان الثاني فيلزم على هذا أن يكون الخلق أعلم من اللّه وذلك يلزم أن يكون اللّه سبحانه جاهلا لا يعلم وهذا خلاف معتقد المسلمين بل وجميع المليين .

وقوله (ولم يحد رسول اللّه من شاربي الخمر . . . الخ) هذا أيضا باطل لأن تعيين الحد من شاربي الخمر إن لم يكن من عند اللّه والصحابة عينوا ذلك من عند أنفسهم فهذا يكون تشريعا وحكما بغير ما أنزل اللّه(الذين يحكمون بغير ما أنزل اللّه فأولئك هم الفاسقون وأولئك هم الكافرون)[1] بنص من القرآن .

وقوله (لم يكن في الكتاب والسنة) مخالف بصريح الكتاب والسنة لقوله تعالى ﴿ **وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ** ﴾[2] ، وإن كان في الكتاب ولم يبلغ النبي فيكون مقصرا في التبليغ وهذا مخالف لضرورة الدين .

فثبت أنهم كانوا يخالفون النصوص باعتراف الخصم فلا تعجب بأن الصحابة كيف غصبوا الخلافة وقد عرفت فيما سبق أن النبي ﷺ قال (كلما كان في الأمم السابقة . . . الخ)[3] .

وقد نص موسى على نبينا وآله وعليه السلام بخلافة هارون عليه السلام ، وقد استخلفه في قومه وقد كانوا أكثر من سبعين ألف رجل فكلهم خالفوه في حياة موسى وعبدوا العجل ولما رجع إليهم موسى ألفاهم يعبدون العجل متخلفين عن هارون ، فكذلك وقع في هذه الأمة بعد وفاة النبي ﷺ حذ والقذة بالقذة والنعل بالنعل .

---

(١) وهو قوله تعالى ﴿ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ ﴾ المائده ٤٤

(٢) الأنعام ٥٩ .

(٣) سبق وأن ذكرنا هذا الحديث في حاشية سابقة فراجع .

لا يقال أن الإجماع قام على بيعة أبي بكر وقال النبي ﷺ (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[1] فتكون خلافته مطابقة للحق .

لأنا نقول أن الإجماع المدعى لا يخلوا إما أن يكون المراد به اتفاق جميع أهل الحل والعقد ، فعلى كلا التقديرين هذا الإجماع عندنا حجة أيضا لأن الإجماع عندنا ما يكشف عن قول المعصوم أو رأيه ، فعلى كلا الأمرين يكون الإمام المعصوم داخلا في الإجماع فيكون حجة ، لكن الإجماع لم يقم على خلافة أبي بكر بل نقول أن الإجماع قام على إمامة علي عليه السلام باعتراف من الخصم .

وقولنا لم يقم على خلافة أبي بكر من وجهين ، أما على القول بأن الإجماع عبارة عن اتفاق جميع آحاد الأمة فهذا لم يتحقق في خلافة أبي بكر لأن جميع آحاد الأمة لم يكونوا موجودين في المدينة ولم يتفقوا على بيعته .

وأما على القول بأنه عبارة عن اتفاق جميع أهل الحل والعقد فهذا لم يثبت أيضا في خلافته ، بل والمحقق عدم اتفاقهم على بيعته كما هو المذكور في الكتب والدفاتر من طرقنا وطرقهم وذكروا أمر السقيفة وما جرى في بيعة أبي بكر ، أما من طرقنا فه ومشحون في كتبنا لا نحتاج إلى بيان ، وأما من طرقهم فقد ذكر ذلك ابن قتيبة النيشابوري شيخ السنة ووجههم في كتاب (السياسة والإمامة) ما لفظه بعد ما ذكر خطبة أبي بكر في السقيفة قال (فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام فقال :

يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم فإنما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير (يجترئ مجترئ) على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن

---

(٣) الاحتجاج ٢ / ٤٥٠ .

رأيكم أنتم ، أهل العز والثروة وأول والعدد والنجدة ، وإنما ينظر الناس ما تصنعون ، فلا تختلفوا ، فيفسد عليكم رأيكم ، وتقطع أموركم أنتم أهل الإيواء والنصرة ، وإليكم كانت الهجرة ، ولكم في السابقين الأولين مثل ما لهم ، وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم ، والله ما عبدوا الله علانية إلا في بلادكم ، ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ، ولا دانت العرب للإسلام إلا بأسيافكم ، فأنتم أعظم الناس نصيبا في هذا الأمر ، وإن أبى القوم ، فمنا أمير ومنهم أمير ، فقام عمر فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ، وأول والأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدل بباطل ، أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة .

فقام الحباب بن المنذر فقال : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتم فأجلوهم عن بلادكم ، وتولوا هذا الأمر عليهم ، فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم ، فإنه دان لهذا الأمر ما لم يكن يدين له بأسيافنا ، أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة ، والله لا يرد عليّ أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف .

قال عمر بن الخطاب : فلما كان الحباب هو الذي يجيبني ، لم يكن لي معه كلام ، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله ﷺ فنهاني عنه ، فحلفت ألا أكلمه كلمة تسوءه أبدا .

ثم ساق الكلام إلى أن قال ثم أن أبا بكر قام على الأنصار فحمد الله

تعالى وأثنى عليه ، ثم دعاهم إلى الجماعة ، ونهاهم عن الفرقة ، وقال : إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين ، أبي عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما ، فقال عمر : معاذ اللّه أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا ، أنت أحقنا بهذا الأمر ، وأقدمنا صحبة لرسول اللّه ﷺ ، وأفضل منا في المال ، وأنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين وخليفته على الصلاة ، والصلاة أفضل أركان دين الإسلام ، فمن ذا ينبغي أن يتقدمك ويتولى هذا الأمر عليك ؟ أبسط يدك أبايعك .

فلما ذهبا يبايعانه سبقهما إليه بشير الأنصاري فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد عقك عقاق ما اضطرك إلى ما صنعت ، حسدت ابن عمك على الإمارة .

إلى أن قال : فقال سعد بن عبادة : أما والله لو أن لي ما أقدر به على النهوض لسمعتم مني في أقطارها زئيرا يخرجك . . . إلخ .

إلى أن قال : فمات بها ولم يبايع لأحد رحمه اللّه ، وإن بني هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى علي بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوام وكانت أمه صفية بنت عبدالمطلب وإنما كان يعد نفسه من بني هاشم ، وكان علي عليه السلام يقول : ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا ، واجتمعت بن وأمية إلى عثمان ، واجتمعت بن وزهرة إلى سعد وعبدالرحمن بن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر ، قال لهم عمر ما لي أراكم مجتمعين حلقا شتى ، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار ، فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوه ، وقام سعد وعبدالرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا ، وأما علي والعباس ابن عبدالمطلب ومن معهما من بني

هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير ابن العوام ، فذهب إليهم عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر ، فأبوا فخرج الزبير بن العوام بالسيف ، فقال عمر : عليكم بالرجل فخذوه ، فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع)[1] انتهى .

أقول : قد عرفت تخلف الأنصار عن بيعته وأن عليا صلوات اللّه عليه لم يبايع حتى توفيت فاطمة ، وكذلك بعض من الصحابة ، فإنهم لم يبايعوا ، كسعد ابن عبادة وهو سيد الخزرج ، فإنه لم يبايع حتى مات وكذلك لم يبايعه جماعة من بني هاشم ، وكذلك وجوه الأصحاب مثل سلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي وخالد بن سعيد بن العاص وأبو الهيثم ابن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري ، وجمع كثير وجم غفير من المسلمين مثل أهل اليمامة فإنهم خالفوا أبا بكر حتى قيل أنهم ارتدوا عن الإسلام إلى أن أنفذ إليهم أبو بكر خالدا في جيش لقتالهم ، وقال أهل اليمامة لخالد واللّه لا أطعنا أبا فضيل أبدا ، وقال خالد لهم واللّه لا رفعنا السيف عليكم حتى تموه أبا الفحل الأكبر فكان من أمرهم معه ما قد اشتهر من الحرب المبيرة والفتنة العظيمة وسفك الدماء وسبي الحريم وهلاك من لا يحصى .

ثم اختلاف من سواهم مما يبسط بذكره الخطاب ، فأين دعوى الإجماع مع هذا الاختلاف العظيم كما عرفت فالإجماع لم يتحقق في ثبوت خلافة أبي بكر .

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ٧ - ١١ .

والعجب كل العجب كيف يسوغ دعوى خلافته مع جهله بالأحكام بل في أكثر الأمور وعلي عليه السلام موجود وهو أعلم في جميع الأمور وهو أقضى الأمة وهو العالم بأسرار التنزيل والتأويل كما قال النبي صلى الله عليه وآله في تفسير الآية الشريفة ومن عنده علم الكتاب يعني عليا كما صرح به الفريقان بطرقهم ، والذي عنده علم الكتاب يعلم كل شيء ، لأن الكتاب فيه تبيان كل شيء كما نطق به صريح القرآن ﴿ **وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ** ﴾[1] فعلي عليه السلام وهو الذي يعلم كل شيء لأن عنده علم الكتاب كله ، لأن مصدر المضاف يفيد العموم كما حقق في محله ، وروى ذلك الثعلبي في تفسيره عن عبدالله بن سلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال (إنما ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام) والقول بأنه عبدالله بن سلام باطل قطعا لأن هذه الآية مكية وابن سلام وأصحابه آمنوا في المدينة بعد الهجرة كما ذكره النيشابوري في تفسيره ، وروى الشيخ جلال الدين السيوطي في كتاب (الإتقان في معرفة علوم القرآن) قال ، قال سعيد بن منصور في سننه ، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال (سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ** ﴾[2] أهو عبدالله بن سلام ، فقال كيف وهذه السورة مكية) وكذا رواه البغوي في معالم التنزيل .

وبالجملة فعلي عليه السلام أعلم الناس وأقضى الأمة باعتراف الجميع والله سبحانه يقول ﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[3] فلا بد أن لا يتقدم عليه أحد وهو خير الناس وأعلمهم وأقضاهم كما صرح بذلك عمر بن الخطاب كما عرفت فيما سبق ، وقول أبي بكر (أقيلوني ، أقيلوني أقيلوني لست بخيركم وعلي فيكم)[4] .

---

(١) الأنعام ٥٩

(٢) الرعد ٤٣

(٣) يونس ٣٥

(٤) البحار ١٠ / ٢٦

وروى أن المهدي أبا هارون الرشيد قال لشريك القاضي في قصة طويلة ما تقول في علي بن أبي طالب عليه السلام قال (ما قال فيه جدك العباس وعبدالله ، قال : وما قالا فيه ، قال : أما العباس فمات وهو عنده أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد شاهد كبراء الصحابة والمهاجرين يحتاجون إليه في الحوادث ولم يحتج إلى أحد منهم حتى خرج من الدنيا ، وأما عبدالله بن عباس .. إلخ) .

وقال يوم بويع أبو بكر لما قال عمر في بيعته مع أبي بكر : إني أخاف عليكم تقاقم الخطب ، فقال العباس : فهذا الذي فعلتموه أوائل ذلك والله المستعان فقال شعرا :

ما كنت أحسب هذا الأمر منحرفا
عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
أليس أول من صلى لقبلتكم
وأعلم الناس بالآثار والسنن
وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن
جبرائيل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلهم
وليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه
ها إن بيعتكم من أول الفتن[1]

لا يقال أن عليا عليه السلام وإن كان أقضى الأمة وأعلمها وأقربها من رسول الله لكنه لم يظهر أمر الخلافة وبايع أبا بكر من دون نكير .

لأنا نقول أن عليا عليه السلام أظهر ذلك في كثير من حججه وخطبه وكتبه اتفاقا

(١) البحار ٢٨ / ٢٩٢ ، كتاب سليم بن قيس ٥٧٧ .

من الفريقين فمن احتجاجه عليه‌السلام يوم السقيفة على أبي بكر ومن حذا حذوه، ما ذكره الفريقان، أما الشيعة فقد ملأوا كتبهم ودفاترهم، وأما أهل السنة والجماعة فمنهم الشيخ ابن قتيبة النيشابوري وهو من علمائهم، قد ذكر في كتاب (الإمامة والسياسة) في باب إمامة أبي بكر وإباء علي عليه‌السلام عن بيعته قال:

(ثم إن عليا عليه‌السلام أتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، فقيل له بايع أبا بكر، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وأتخذونه منا أهل البيت غصبا؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكان محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار نحن أولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا إن كنتم تؤمنون بالله وتخافون الله وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون، فقال له عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع، فقال له علي بن أبي طالب عليه‌السلام: احلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم يردده عليك غدا، ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني فلا أكرهك، فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي عليه‌السلام: يابن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشد احتمالا واضطلاعا به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك

وسابقتك ونسبك وصهرك ، فقال علي عليه السلام : اللّه اللّه يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فو اللّه يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا القارئ لكتاب اللّه الفقيه في دين اللّه العالم بسنة رسول اللّه ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية واللّه إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا) .

إلى أن قال (وخرج علي يحمل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول علي عليه السلام : أفكنت أدع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه ، فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما لله حسيبهم وطالبهم)[1] انتهى .

وقد روي أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال في كلام له أنفذه إلى معاوية لعنه اللّه (فما راعني إلا والأنصار قد اجتمعت فمضى إليهم أبو بكر فيمن تبعه من المهاجرين فحاجهم بقربي قريش عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فإن كانت حجته عليهم بذلك ثابتة ، فقد كنت أنا إذاً أحق بها من جماعتهم لأني أقربهم منه وأمسهم رحما ، وإن لم تجب لي بذلك فالأنصار على حجتهم) ، وفي هذا المعنى قال كميت :

فإن هي لم تصلح لخلق سواهم ... فإن ذوي القربى أحق وأوجب

وقيل أنه عليه السلام قال : بعدما احتجوا على الخلافة بقربى قريش من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١١ - ١٢ الطبعة الثالثة (مصر) ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

فـإن كنت بالشـورى ملكت أمـورهم فكيف بهــذا والمشــيــرون غــيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فــغــيــرك أولى بالنبي وأقــرب[1]

وقيل أنه قول قيس بن سعد وإنما تمثل به أمير المؤمنين ، وقيل أنه قول كميت ، وحفظ عنه عليه السلام أنه قال عليه السلام (أما احتجاجهم بصحبة رسول الله واعجباه ، أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة) وروي أنه عليه السلام قال في بعض خطبه إظهارا لتظلمة منهم (اللهُمَّ إنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلى قُرَيْش وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمي وَأَكْفَئُوا إنَائي وَأَجْمَعُوا عَلى مُنَازَعَتي حَقّاً كُنْتُ أَوْلى به منْ غَيْري وَقَالوا ألا إنَّ في الحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفي الحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإذَا لَيْسَ لي رَافدٌ وَلا ذَابٌّ وَلا مُسَاعدٌ إلا أَهْل بَيْتي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَن المَنيَّة فَأَغْضَيْتُ عَلى القَذَى وَجَرعْتُ ريقي عَلى الشَّجَا وَصَبَرْتُ منْ كَظْمِ الغَيْظِ عَلى أَمَرَّ مِنَ العَلقَمِ وَآلَمَ للقَلبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ)[2] انتهى .

وبالجملة فمن تتبع الآثار وجاس خلال تلك الديار بان له أن عليا أمير المؤمنين أظهر الأمر واحتج على أمر الخلافة وما بايع أبا بكر حتى توفيت فاطمة بنت رسول الله ، واختلفوا أرباب السير في مدة حياتها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، فذهب بعضهم إلى أنها قامت ستة أشهر بعده وآخرون إلى نيف وسبعين والأخير موافق لما ذهب إليه الشيعة بأجمعهم ، وفي هذه المدة لم يبايع أمير المؤمنين أحدا منهم ، فيقال أن الخبر المستفيض الذي اتفق المسلمون على صحته وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار)[3] وقد رواه المسلمون بطرق عديدة .

منها ما رواه الإمام أبو المؤيد الخوارزمي عن أبي ليلى قال : قال رسول الله

(١) نهج البلاغة ٥٠٣
(٢) شرح نهج البلاغة ١١ / ١٠٩
(٣) شرح نهج البلاغة ١٨ / ٧٢

ﷺ (ستكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فإنه الفاروق بين الحق والباطل)[1] .

ومنها ما رواه أيضا عن ابن عمر قال : قال رسول اللّه ﷺ (من فارق عليا فارقني ومن فارقني فارق اللّه عز وجل)[2] .

ومنها ما رواه بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لعمار بن ياسر (تقتلك الفئة الباغية وأنت مع الحق والحق معك يا عمار إذا رأيت عليا سلك واديا وسلك الناس واديا غيره فاسلك مع علي ودع الناس إنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من الهدى يا عمار إنه من تقلد سيفا أعان به عليا على عدوه قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحا من در ومن تقلد سيفا أعان به عد وعلي عليه السلام قلده الله يوم القيامة وشاحا من نار)[3] .

وذكر الشيخ محمد بن عيسى صاحب كشف الغمة ومن مناقب ابن مردويه عن عبد الرحمن بن أبي سعيد قال (كنا جلوسا عند النبي ﷺ في نفر من المهاجرين ومر علي بن أبي طالب عليه السلام فقال الحق مع ذا)[4] .

ومنه عن عائشة أن النبي ﷺ قال (الحق مع ذا يزول معه حيثما زال)[5] إلى غير ذلك من الأخبار قد دل على أنه عليه السلام مع الحق ولن يفترقا أبدا ، ففي هذه المدة ، هل كان علي مع الحق والحق كان معه ؟ أم لا ؟ لا سبيل إلى الثاني لأن القول به مستلزم لتكذيب النبي وتكذيب النبي يستلزم تكذيبه سبحانه وتكذيبه سبحانه يستلزم عدم الإيمان به فثبت أنه كان مع الحق

(١) كشف الغمة ١/٣٤١

(٢) أمالي الصدوق ٨٩

(٣) كشف الغمة ١ / ١٤٣

(٤) كشف الغمة ١ / ١٤٣

(٥) البحار ٣٨ / ٣٢

ووجوده مع الحق يستلزم التخلف عن الباطل لأنهما لا يجتمعان أبدا ، فالذي كان معه ويتولاه كان مع الحق يقينا لأنه مع الحق والحق معه ، والذي كان يخالفه فهو على الباطل قطعا لتخلفه عن الحق ، فثبت أن بيعة أبي بكر الذي كان مخالفا لعلي عليه السلام مخالف للحق وموافق للباطل .

لا يقال لو كان الحق لعلي عليه السلام وغصب حقه أبو بكر ، فلم لا يأخذه بحقه وهو أشجع الخلق فما عجّزه عن أخذ حقه وهو الذي لو تظاهرت العرب على قتاله لما ولّى عنهم وبلغ في الشجاعة حدا لا يكاد يصفه أحد كما هو مشحون في الكتب والدفاتر ، لأنا نجيب نقضا وحلا .

أما الأول : فنقول هل كان اللّه سبحانه أقدر في الأمور أم علي عليه السلام ، لا سبيل إلى الثاني لأن المخلوق ممكن والممكن لا يتمكن الخروج عن الإمكان وحقيقة الإمكان هي العجز والفقر فلا يكون قادرا على سبيل الإطلاق بخلاف الحق سبحانه ، فهو مع قدرته لم لا يهلك فرعون وجنوده في بداية ظهور أمر الربوبية حتى لا يضل أحدا من الخلق ولا يدليهم إلى باطل وقد ادعى الربوبية أربعمائة عام .

وأما الثاني : فنقول لما كان في أصلابهم من المؤمنين فإن الدنيا محل اختلاط النور والظلمة فربما يحمل الكافر مؤمنا والمؤمن كافرا كما ورد في تفسير الآية الشريفة ﴿ **يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ** ﴾[1] الآية .

وهو عليه السلام علم ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله عن اللّه تعالى ، فأراد أن يمهلهم حتى يخرج المؤمنون من أصلابهم ويمتاز الخبيث من الطيب سكت عنهم ، وهذا هو السر في سكوته عنهم .

لا يقال أن عليا إذا علم أن القوم خالفوا الحق ، فلماذا بعد وفاة فاطمة عليهاالسلام بايعهم وتبع الباطل ؟

(١) يونس٣١

لأنا نقول : أنه عليه السلام لم يبايعهم إلا عن تقية وكره ، ولم يبايعهم حقيقة لأنه لا يتخلف عن الحق ، وقد عرفت أنهم تخلفوا عن الحق وتبعوا الباطل وقد صرح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام في غير موضع من خطبه وكلماته وبيّن أنهم غصبوا حقه ، ولما لم يبق معه أحد إلا قليل من المؤمنين بايعهم حفظا للشريعة ، فمن ذلك ما ذكره عليه السلام في الخطبة المعروفة بالشقشقية وهو قوله عليه السلام (أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة أخو تيم وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحها وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا حتى إذا مضى لسبيله فأدلى بها لأخ يعدي بعده فيا عجبا بينما هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فصيرها في حوزة خشناء يخشن مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة إن عنف بها حرن وإن أسلس بها غسق فمني الناس بتلون واعتراض وبلوى وهو مع هن وهن فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني منهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر فمال رجل لضغنه وأصغى آخر لصهره وقام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بن وأبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع حتى أجهز عليه عمله وكبت به مطيته فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع قد انثالوا علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي حتى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة وفسقت أخرى

ومرق آخرون كأنهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها لكنهم احلولت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عفطة عنز)[1] .

ومن ذلك ما أجاب عليه السلام لرجل من بني أسد لما سأله وهو على المنبر في مسجد الكوفة عن سبب تقدم الخلفاء عليه واغتصاب حقه قال عليه السلام (يَا أَخَا بَنِي أَسَد إِنَّكَ لَقَلِقُ الوَضِينِ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَد ولكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ المَسْأَلة وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ أَمَّا الاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا المَقَام وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً وَالأَشَدُّونَ بالرَّسُول صلى الله عليه وآله نَوْطاً فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ وَالحَكَمُ اللهُ وَالمَعْوَدُ إِلَيْه القِيَامَةُ وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِه وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ وَهَلُمَّ الخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ)[2] إلى آخر ما قال عليه السلام .

وذلك نص في أنهم غصبوا حقه ومنعوه إرثه وتقدموا عليه في أمر الخلافة ولم يتقدموا عليه في الحروب وجميع الشدائد والنوائب والبلايا والمصائب كما صرح المسلمون بذلك نظما ونثرا في الكتب والدفاتر ولنعم ما قيل :

أبا حسن سيدي أنت أنت ... ولي المهيمن لو أنصفوكا
وأنت جعلت قريشا عبيدا ... ولولا حسامك كانوا ملوكا
وأنت مقدم في النائبات ... فعند الخلافة لم أخروكا

---

(١) علل الشرائع ١ / ١٥٠
(٢) نهج البلاغة ٢٣١

ولنعم ما قال بعض العلماء :

ولكنهم أخـــروا حظهم ولو قدموا حظهم قدموكا

والعجب من هؤلاء الجماعة أنهم ينكرون أن النبي ﷺ مضى عن الدنيا وأوصى إلى علي وأفهم أطرقتهم الحجج في أن رسول اللّه لم يمض عن الدنيا إلا عن وصية وإنه أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام دون سائر الأمة وسمعوا تمدح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في كلامه وحجاجه لخصومه وذكره له في خطبته على منبر رسول اللّه ﷺ واحتجاج أهل بيته وشيعته من الأنصار بذلك من فضله وما نظمته فيه الشعراء وسارت به الركبان مثل قول خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين في أبيات يذكر فيها فضله :

وصي رســول اللّه من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وقوله رضي اللّه عنه حين بلغه عن عائشة كلام تعيب فيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام :

أعـايش خلي عن علي وعـيبـه بما لـيس فـيـه إنما أنت والده

وصي رســول اللّه من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وقال عبداللّه بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رضي اللّه عنه في مدحه عليه السلام :

وأنّ وليّ الأمـر بعـد مـحـمـد علي وفي كل المواطن صـاحـبـه

وصي رسـول اللّه حـقـا وصـهـره وأول من صلى ومن لان جـانبـه

وقـول عـبـدالرحـمن بن جـمل الجـمـحي لما بايع أمـيـر المؤمنين عليه السلام عند استقلاله بأمر الخلافة :

لعـمـري لقـد بايعـتم ذا حـفـيظة على الدين معروف العفاف موفقا

عفيفا عن الفحشاء أبيض ماجدا صـدوقا وللمخـتـار قـدما مصـدقا

أبا حسن فأرضوا به وتبايعوا فلن تجدوا فيه لدى العيب منطقا
عليا وصي المصطفى وابن عمه وأول من صلى لذي العرش واثقا
وقال ذفر بن الحرث الأسدي :

فحوطوا عليا وانصروه فإنه وصي وفي الإسلام أول أول
وإن تخذلوه والحوادث جمة فليس لكم في الأرض من متحول

وبالجملة فقد ظهر أن أمير المؤمنين عليه السلام كان وصي رسول اللّه وولي هذا الأمر والصحابة خالفوه وبايعوا غيره عداوة له لأنهم أعداء اللّه ، حتى روي أنه لهذه العداوة كان مع علي منهم في حرب صفين خمسة من قريش ، وهم محمد بن أبي بكر ربيبه عليه السلام ، وجعد بن هريرة المخزومي ابن أخته عليه السلام ، وأبو ربيع بن أبي العاص بن ربيعة المشهور بأنه كان عهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة ابن أخت معاوية ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن أخ سعد بن أبي وقاص ، ومع معاوية لعنه اللّه ثلاث عشر قبيلة مع أهلهم وعيالهم ، فالصحابة لأجل هذه العداوة أخروه وقدموا أبا بكر الذي كان من أجهل الخلق ، حتى كان لا يعرف معنى الأبّ الذي يعرفه كل حيوان وهو يقول (وليتكم ولست بخيركم فإن استقمت فاتبعوني ، وإن اعوججت فقوموني ، فإن لي شيطانا يعتريني عند غضبي ، فإذا رأيتموني مغضبا فتجنبوني لا أوثر في أشعاركم وأيساركم) والعجب أن عمر بن الخطاب هو الذي أسس أمر الخلافة وشيد أركانها ، وكان يقول (ليتني كنت شعرة في صدر أبي بكر) ومع ذلك قال (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه المسلمين شرها ألا فمن عاد إلى مثل ذلك فاقتلوه) .

فانظر أيها المنصف في أمر هذا الرجل واعتبر ، ثم أنهم قدموا أبا بكر وظلموا آل محمد حقهم وغصبوا إرثهم ومنعوا فاطمة عليها السلام إرثها ،

أرادوا إحراق باب دار فاطمة وقتل علي عليه السلام ، إن تخلف عن البيعة كما ذكره الفريقان .

أما نحن فقد روينا عن مشايخنا روايات متظافرة متكاثرة ، كما هو مشروح في المطولات ، وأما هم فقد ذكر منهم جم غفير منهم ابن قتيبة النيشابوري في كتاب (السياسة والإمامة) ، قال (وإن أبا بكر أخبر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي عليه السلام فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم في دار علي ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجن أولا حرقنها على ما فيها ، فقيل له : يا أبا حفص إن فيها فاطمة ؟ فقال : وإن كانت ، فخرجوا فبايعوا إلا عليا فإنه زعم أنه قال حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن ، فوقفت فاطمة على بابها ، فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوء محضر منكم ، تركتم جنازة رسول اللّه صلى الله عليه وآله بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ولم تروا لنا حقا ، فأتى عمر أبا بكر فقال : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له ، اذهب فادع عليا ، قال : فذهب إلى علي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول اللّه ، فقال علي : لسريع ما كذبتم على رسول اللّه ، فرجع فأبلغ الرسالة ، قال : فبكى أبو بكر طويلا ، فقال : عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة : فقال أبو بكر لقنفذ : عد إليه فقل له خليفة رسول الله يدعوك لتبايع ، فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به ، فرفع علي عليه السلام صوته فقال : سبحان اللّه لقد ادعى ما ليس له ، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة ، فبكى أبو بكر طويلا ، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب ، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها أبتي يا رسول اللّه ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ، فلما سمع القوم صوتها

وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا عليا ومضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن لم أفعل فمه ، قالوا : إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ، قال : إذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله ، قال عمر : أما عبدالله فنعم وأما أخ ورسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ، فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه ، فلحق علي بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي يا بن إن أم القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)[1] .

فانظر أيها المنصف ما فعلوا ذلك بذنب اقترفوه أ وجناية جنوها مع أنهم يقرون أن عليا أفضل جميع الصحابة وأولهم سلما وأقربهم رحما من رسول الله ﷺ ، ورووا في ذلك روايات متظافرة متكاثرة لا يكاد ينكرها أحد وهم يقرون بصحة هذا الخبر المتواتر ، أن النبي صلى ﷺ قال (إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَ عِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي)[2] وقال (أوصيكم بأهل بيتي خيرا)[3] وقال الله تعالى ﴿ **قُل لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[4] فهل كان هذا جزاء رسول الله في أهل بيته ، ولبئس ما صنعوا ، فعلى هذه الحالة كيف لم يبايع علي عليه السلام عن الإكراه خوفا من القتل وهدم الدين واضمحلال شريعة سيد المرسلين ؟ ليت شعري كيف يستحل لرجل ظالم معاند غاصب أن يكون خليفة رسول الله ؟ والله سبحانه يقول ﴿ **لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[5] ولنعم ما قال السيد السند السيد محمد الخطى :

ومو ارث العليا لا تعطي أمرا   عبد الهوى أنى له ومنالها

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٢ - ١٣

(٢) وسائل الشيعة ٢٧ / ١٨٨

(٣) الاحتجاج ٢١١/١

(٤) الشورى٣٢

(٥) البقرة ١٢٤

ولقد ظلموا آل محمد حقهم في كل ما يستحقون ، فمن ذلك اغتصاب فدك والعوالي ، وفدك كان لرسول اللّه ﷺ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي بكر الجوهري بأسانيده (أنه لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء وقال بعضهم قبطية وقالوا قبطية بالكسر والضم ثم أنّت أنة أجهش لها القوم بالبكاء ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم ثم قالت أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما أنعموله الشكر بما ألهم وذكر خطبة طويلة جيدة قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به فإنما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة أنبيائه ثم قالت أنا فاطمة ابنة محمد أقول عودا على بدء وما أقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني تقول في آخره : ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ﴿ **أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ إيها معاشر المسلمين ابتز إرث أبي أبى الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله

والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أثاثة :

قـد كـان بعـدك أنبـاء و هينمـة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجـال لنا نجوى صـدورهم	لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجـهـمـتنا رجـال و اسـتـخف بنا	إذا غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

قال ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت يا معشر البقية وأعضاد الملة وحضنة الإسلام ما هذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي أما كان رسول الله ﷺ يقول المرء يحفظ في ولده سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم الآن مات رسول الله ﷺ أمتم دينه ها إن موته لعمري خطب جليل استوسع وهن واستبهم فتقه وفقد راتقه وأظلمت الأرض له وخشعت الجبال وأكدت الآمال أضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة وأذيلت المصونة وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنبأكم بها قبل وفاته فقال ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ إيها بني قيلة اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وأنتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار باديتم العرب وبادهتم الأمور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين أ فتأخرتم بعد الإقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة

الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة فجحدتم الذي وعيتم وسغتم الذي سوغتم وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فبعين الله ما تعملون ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ .

قال أبو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن الضحاك قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال لما كلمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلمته به حمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة خير الآباء والله ما عدوت رأي رسول الله ﷺ وما عملت إلا بأمره وإن الرائد لا يكذب أهله وقد قلت فأبلغت وأغلظت فأهجرت فغفر الله لنا ولك أما بعد فقد دفعت آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى علي عليه السلام وأما ما سوى ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما أمرني ونصحت له وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

قال أبو بكر وروى هشام بن محمد عن أبيه قال قالت فاطمة لأبي بكر إن أم أيمن تشهد لي أن رسول الله ﷺ أعطاني فدك فقال لها يا ابنة رسول الله والله ما خلق الله خلقا أحب إلي من رسول الله ﷺ أبيك ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك والله لأن تفتقر عائشة أحب إلي من أن تفتقري أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقه وأظلمك حقك وأنت

بنت رسول الله ﷺ إن هذا المال لم يكن للنبي ﷺ وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله فلما توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه قالت والله لا كلمتك أبدا قال والله لا هجرتك أبدا قالت والله لأدعون الله عليك قال والله لأدعون الله لك فلما حضرتها الوفاة أوصت ألا يصلي عليها فدفنت ليلا وصلى عليها عباس بن عبد المطلب وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة .

قال أبو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر وقال أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ﷺ ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم إنما هو ثعالة شهيده ذنبه مرب لكل فتنة هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغي ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت إني ساكت ما تركت ثم التفت إلى الأنصار فقال قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ألا إني لست باسطا يدا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك منا ثم نزل فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها .

قال ابن أبي الحديد : قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له بمن يعرض فقال بل يصرح قلت لو صرح لم أسألك فضحك وقال بعلي بن أبي طالب عليه السلام قلت هذا الكلام كله لعلي يقوله قال نعم إنه الملك يا بني قلت فما مقالة الأنصار قال هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم فسألته عن غريبه فقال أما الرعة

بالتخفيف أي الاستماع والإصغاء والقالة القول وثعالة اسم الثعلب علم غير مصروف ومثل ذؤالة للذئب وشهيده ذنبه أي لا شاهد له على ما يدعي إلا بعضه وجزء منه وأصله مثل قالوا إن الثعلب أراد أن يغرى الأسد بالذئب فقال إنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك وكنت حاضرا قال فمن يشهد لك بذلك فرفع ذنبه وعليه دم وكان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب ومرب ملازم أرب بالمكان وكروها جذعة أعيدوها إلى الحال الأولى يعني الفتنة والهرج وأم طحال امرأة بغي في الجاهلية ويضرب بها المثل فيقال أزنى من أم طحال)[1] .

فانظر أيها المنصف الطالب للحق هل يجوز في دين اللّه أن يشبه أمير المؤمنين عليه السلام بالثعالة وفاطمة عليها السلام بأم طحال التي يضرب بها الأمثال في البغي والفجور ، أهكذا من طريقة الإسلام أن يفعل بهم هكذا مع طهارتهم وعصمتهم عن جميع الذنوب والأرجاس والأدناس لنص قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[2] وتوصية النبي في حقهم (إِنِّي تارِ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كِتَابَ اللهِ وَ عِتْرَتِي أَهْل بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ)[3] .

وبالجملة فقد روي أنها عليها السلام لما أجابها أبو بكر وقال إني سمعت رسول اللّه يقول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) قالت عليها السلام في أثناء خطبتها (أيها المسلمون أ أغلب على إرثي يا ابن أبي قحافة أ في كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا أ فعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وقال

(١) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢١١ - ٢١٦
(٢) الأحزاب ٣٣
(٣) وسائل الشيعة ٢٧ / ٣٣

فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال ﴿ **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ** ﴾ وقال ﴿ **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ وقال ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾ وقال ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾ وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا) ثم عطفت على قبرها أبيها وأنشأت تقول متمثلة بقول صفية بنت أثاثة :

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب
وكنت بدرا و نورا يستضاء به عليك ينزل من ذي العزة الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الأرض مغتصب
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم لما مضيت وحالت دونك الترب
إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن من البرية لا عجم ولا عرب
وسوف نبكيك ما عشنا و ما بقيت منا العيون بتهمال لها سكب

أقول : أن دعوى أبي بكر في أن الأنبياء لا يورثون اجتهاد في اغتصاب أموال أهل البيت عليهم السلام ، لأن ذلك لو صح لكان معروفا بين جميع أرباب الملل والأديان لكون الأنبياء أحوالهم معروفة عند الجميع لا سيما هذه فضيلة خاصة لا يشاركهم أحد في هذه الخصلة والمعروف خلاف ذلك عندهم لعدم نقل أحدهم عن ذلك ، ولأنه هذا خلاف نص الكتاب إذ يقول اللّه ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ** ﴾ ، فهذه الوراثة أعم من وراثة المال والعلم والحكمة وتخصيص ذكر سليمان لا يكون قرينة بوراثة العلم لأن جميع أولاد داود ورثوا ماله .

لأنا نقول بعد فرض ثبوت تعدد أولاد داود يكفي وراثة سليمان بعض ماله فإنه يقال ورث أباه وإن كان معه ورثه آخرون ، ولأن الوراثة حقيقة في

الشيء المنتقل من المورث إلى الوارث واستعماله في العلم مجاز والأصل في الاستعمال الحقيقة إلا أن يقوم دليل على جوازه ، هب ذلك سلمنا أن الاستعمال أعم من ذلك لكن هذا الاستعمال عام ولا يجوز فيه التخصيص لأصالة عدم التخصيص .

لا يقال أن المعلوم جواز تخصيص الكتاب بالأخبار الآحاد فيجوز أن يخصص بالخبر الذي رواه أبو بكر .

لأنا نقول نعم يجوز التخصيص فيما إذا ثبت صحة الرواية وليس هنا كذلك ، لأن أبا بكر افترى ذلك على النبي خوفا من أن يتقوى عليه أمير المؤمنين ويعارضه ولم لم يذكره غيره قبل ذلك ولو صح لما كان أمير المؤمنين عليه السلام ينكر ذلك وفاطمة أيضا أنكرت ذلك عليه حتى أمير المؤمنين صرح في أكثر خطبه وكتبه قصة اغتصاب فدك ، فعدم قبول أمير المؤمنين الرواية دليل على كذبها وإلا لكانت حقا وليس لعلي وفاطمة أن يخالفا الحق لأن الحق معهما وهما مع الحق باتفاق الجميع .

وقوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام ﴿ **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ** ﴾ قال الشيخ أبو علي في احتجاجه قال البغوى في تفسيره قال الحسن معناه : يرثني ما لي ويرث من آل يعقوب النبوة والجودة ، وعن أبي صالح يرثني ما لي ويرث من آل يعقوب النبوة ، وعن تفسير النيشابوري عن ابن عباس والحسن والضحاك أن المراد في الأول وراثة المال وفي الثاني النبوة وهو المروي عن السدي ومجاهد والشعبي أيضا وقال ولا ريب في أن المراد بالولي هنا الولد ومن شأن الولد أن يرث أباه المال لا النبوة ولو أرادوا وراثة العلم والنبوة لكان قوله عليه السلام ﴿ **وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا** ﴾ لغوا وعبثا إذ لا مدخل

لسؤاله من اللّه مجيء نبي من بعده مع كون امرأتي عاقرا ولا يلزم كون النبي الآني بعده أن يكون ولده ولم تجر عادة اللّه على أن كل نبي لا بد أن يولد له ولد نبي ، وكذا يلزم أن يكون قوله عليه السلام ﴿ **وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾[1] أيضا لغوا مستدركا إذ النبي لا يكون إلا رضيا ولا يصح هذا السؤال إلا إذا احتمل مجيء نبي غير رضي وهذا لا يحتمله عاقل .

وبالجملة أن الوراثة التي في الآية باعتراف المخالف صريحة في المال فأين قوله (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) فإن صح ذلك لزم كذبه على اللّه ونعوذ باللّه من ذلك ، ولو صح ذلك فلماذا اختص عدم الوراثة بآل محمد عليهم السلام دون سائر أزواج النبي ، ولو صح ذلك فلماذا دفع أبو بكر سلاح رسول اللّه ودابته وحذاه إلى علي عليه السلام ، ولو صح ذلك فلماذا لم يشهد أحد بصحة حديثه وروايته .

فل وقيل شهد بذلك عثمان بن عفان وعبدالرحمن وعمر .

قلنا : أما عمر فهو قال ذلك لإطفاء نورهم ، وأما عثمان فكذلك مع أنه لو صح هذه الشهادة كيف توسط لبعض أزواج النبي عند أبي بكر لإعطاء الميراث وأخذ الإرث فهذا يكذب شهادته ، مع أن شهادة هؤلاء كان في زمان عمر لما جاء علي والعباس ينازعان في أمرهما على ما نقلوا ذلك كذبا وبهتانا ولم يروا ذلك إلا ذلك اليوم ويوم السقيفة ، ولو صح هذا الحديث فبالأحرى أن يكون يعلمه علي أمير المؤمنين وفاطمة لأنهم معدن العلم وقال النبي صلى الله عليه وآله (لا تُعَلِّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ)[2] ولوجوب إنذار أهله خاصة من دون الخلق

---

(١) مريم ٥- ٦

(٢) الكافي ١ / ١٦٨

لقوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1] ولأن عليا عليه السلام أوتي جميع علوم الأولين والآخرين ولأنه قال (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم ينفتح من كل باب ألف باب)[2] فكيف صحة هذا الخبر ولا يعلم به علي عليه السلام لا يقال أنه قد علم ذلك وأراد أن يبطله ، لأنا نقول يستلزم أن يكون إذا فعل ذلك خارجا عن الدين لأنه أراد أن يتعد حدود الله فأولئك هم الكافرون والقول بذلك كفر محض لأنه معصوم مطهر عن كل عيب لقوله تعالى ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[3] ولو صح فلم لا يذكره غير أبو بكر ولم يروه أحد قبل ذلك ، وبالجملة متن الحديث ناص على كذبه وأنه افتراء على النبي ولو صح لما كان يعارض أمر فاطمة عليها السلام لأنها ادعت أن رسول الله صلى الله عليه وآله نحلها الفدك والعوالي وأتت بالشهود عليا وأم أيمن فلم لا يعطي حقها إن كان متدينا بدين الإسلام وفعل ذلك يشهد بخروجه عن الدين وإن لم يكن داخلا في الدين قيل ذلك لبقائه على عبادة الأوثان وعدم إقراره بالله والنبي وما جاء به لقوله لما أفطر شهر رمضان :

دعينا نصطبح يا أم بكر	فإن الموت نقب عن هشام
ونقب عن أبيك وكان قرما	شديد البأس في شرب الملام
سيخبرني ابن كبشة سوف نحيي	وكيف حياة أشلاء وهام
ألا من مبلغ الرحمن مني	بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي	وقل لله يمنعني طعامي
ولكن الحكيم رأى حميرا	فألجمها فتاهت في اللجام

(١) الشعراء ٢١٤

(٢) دلائل الإمامة ١٠٥

(٣) الأحزاب ٣٣

وبالجملة لما غصب حقها وفاتت من الدنيا غير راضية عنهم كما صرح بذلك الموافق والمخالف فمن ذلك ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن أبي بكر الجوهري بإسناده إلى فاطمة بنت الحسين ، قالت (لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله ﷺ الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها كيف أصبحت يا ابنة رسول الله ﷺ قالت والله أصبحت عائفة لدنياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا جرم قد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين .. الخ)[1] .

وذكر ابن قتيبة النيشابوري في قصة أبانة علي بن أبي طالب عليه السلام عن بيعة أبي بكر ودخول أبي بكر وعمر وعلي وفاطمة عليهما السلام قال (فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ...) إلى أن قال (... فقالت فاطمة أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به ؟ قالا : نعم ، فقالت : نشدتكما بالله ألم تسمعا من رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ومن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضا فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ، قالا نعم سمعناه من رسول الله ﷺ قالت : فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكونكما إليه ... الخ)[2] فقد ظهر أن فاطمة توفت وهي غير راضية عنهم لما آذوها وغصبوا

(١) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٣٣
(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٤

حقها ، وقد قال النبي ﷺ (فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه)[1] ومن المعلوم أن من آذى اللّه فه وعلى حد الشرك باللّه ولنعم ما قيل في هذا المعنى :

بانت الظاهر كم تقرع بالظلم عصاك

لهف نفسي وعلى مثلك فلتبك البواكي

لم لم تقطع يسدمد إليك ابن صهاك

فرحوا يوم أهانوك بما ساء أباك

ولقد أخبرهم أن رضاه في رضاك

دفع النص على إرثك لما دفعاك

وتعرضت لقدر ناقة فانتهراك

وادعيت النحلة المشهود فيها بالصكاك

فاستشاطا ثم ما إن كذبا إذ كذباك

فزوى اللّه عن الرحمة زنديقا زواك

ونفى عن بابه الواسع شيطانا نفاك

وبالجملة فقد ثبت باتفاق الفريقين أن فاطمة لم ترض عنهما وأنهما ظلماها وغصبا حقها ، وعرفت أيضا مما سبق النصوص الدالة على خلافة أمير المؤمنين وسيد الوصيين عن خاتم النبيين ، لكن القوم أرادوا ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فأنكروا النصوص واستدلوا على خلافته بالإجماع الذي قد عرفت عدم وقوعه ، وزعموا أن النبي ﷺ قدمه في الصلاة ليصلي بالناس واستندوا بذلك خلافته وجعلوه نصا مع أن الأمر بالعكس ، يعني أن النبي لم يأمره بالصلاة بالناس في أيام

(١) دلائل الإمامة ٤٥

مرضه قط والمنقول أن بلالا لما جاء يعلم بوقت الصلاة كان النبي ﷺ مغموما بالمرض وكان علي عليه السلام مشتغلا بالرسول فقال علي عليه السلام بعضهم يصلي بالناس فقالت عائشة لبلال أؤمر أبا بكر يصلي بالناس فظن بلال أن ذلك عن أمر النبي فجاءه وأعلم أبا بكر بذاك فتقدم فلما كبر أفاق النبي ﷺ فسمع التكبير فقال من يصلي بالناس فقيل له أبو بكر فقال أخرجوني إلى المسجد فقد حدث في الإسلام فتنة ليست بهينة فخرج صلوات اللّه عليه يتهادى بين علي والفضل بن عباس حتى وصل إلى المحراب ونحى أبا بكر وصلى بالناس ، ولو سلم أنه صلى بالناس فلا يكون دالا على خلافته لجواز الصلاة عندهم خلف كل بر وفاجر ، لو كانت الصلاة بالناس دليلا على الخلافة لكان عبد الرحمن بن عوف أولى بالخلافة لأنهم ذكروا أن عبد الرحمن بن عوف صلى بالناس والنبي صلى خلفه لما مضى النبي ليصلح بين قبيلتين من الأنصار فعاد وقد فاتته صلاة المغرب وقدم الناس عبد الرحمن يصلي بهم فلما أتى النبي ﷺ صلى خلفه فلما فرغ قالوا يا رسول اللّه أتصلي خلف رجل من أمتك فقال ما يموت نبي من أنبياء اللّه حتى يصلي خلف رجل من أمته ، فبادعائهم أن النبي ﷺ صلى خلف عبد الرحمن ولم يصل خلف أبا بكر ، فكان عبدالرحمن أولى بالخلافة من أبي بكر على ما يزعمون .

والعجب أنهم صرحوا في كتبهم أن النبي لم ينص على خلافة أحد ، فكيف ساغ لهم أن يقال له خليفة رسول اللّه ، ثم العجب أنهم قالوا أن النبي لم ينص على أحد وأبو بكر نص على خلافة عمر ، فإن كان الأمر راجعا إلى الأمة في تعيين الخلافة ، فكيف يسوغ لأبي بكر أن يخلف عمر على الناس ، والناس كانوا يكرهونه كما نقل كراهية القوم تقديم أبي بكر عمر عليهم ونفورهم من نصبه عليهم حتى خوفوه اللّه عز وجل ، وقالوا أما أنت قائل إذا

لقيته وقد وليت علينا فظا غليظا ، واللّه ما كنا نطيقه وهو رعية فكيف إذا ولي الأمر فاتق اللّه ولا تسلطه على الناس فغضب وقال لهم أباللّه تخوفوني ؟ أقول يا رب وليت عليهم خير أهلك .

والعجب أنه كيف يسوغ لأبي بكر أن يولي عليهم ولا يسوغ للنبي ذلك ؟ مع أن النبي ﷺ كان أرأف الخلق بالرعية ، وقد قال اللّه تعالى في حقه ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾[1] .

والعجب أن النبي ﷺ قال لهم في مرضه (ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي) فلم يفعلوا ، وقال عمر دعوه فإنه يهجر)[2] واللّه سبحانه يقول ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[3] ولما ولى عمر عليهم أبو بكر لم يقل له أحد أنه يهجر ولنعم ما قيل :

أوصى النبي فقال قائلهم ... قد ظل يهجر سيد البشر

وأرى أبا بكر أصاب ولم ... يهجر وقد أوصى إلى عمر

والعجب أنهم يستدلون على فضيلة أبي بكر بآية الغار ، وهي أصل آية لذمه ، حيث أنه لم يطمئن باللّه ورسوله لنص قوله سبحانه ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ ...** ﴾ وأنه لم يكن أهلا للسكينة ، لقوله تعالى ﴿ **فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** ﴾ أي على رسوله بقرينة قوله تعالى ﴿**وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ**﴾[4] وهذا صريح في أنه لم يكن مؤمنا لأن اللّه سبحانه أنزل سكينته

---

(١) التوبه١٢٨

(٢)إعلام الورى١٣٥ ، الإرشاد١/ ١٤٨ وفي مسند أحمد حديث ٣١٦٥ (ائتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا) وفي مسند أحمد حديث ٢٨٣٥ عن ابن عباس قال لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال : هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ... إلخ) .

(٣) النجم ٤-٣

(٤) التوبة٤٠

عليه وعلى المؤمنين فيما أنزل السكينة ، وإخراج أبي بكر هنا صريح في عدم إيمانه ومن لم يكن مؤمنا فه وكافر يقينا .

لا يقال أن اللّه خاطبه بلفظ صاحبه وجعله صاحبا له ، إذ يقال الصاحب للمؤمن والكافر كما في قصة يوسف ﴿ يا صاحبَيِ السِّجْنِ ﴾[1] وكما قال تعالى ﴿ قال له صاحبُه وهُوَ يُحاوِرُه أكفرْتَ بالذي خلقَكَ ﴾[2] الآية ، ويا أخي اعلم أنهم قد رووا أحاديث في مدحهم وأسندوها إلى النبي ﷺ والنبي مبرأ عن ذلك ، ﴿ واللهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقِينَ لكاذبُون ﴾[3] ، ثم اعلم إني لو أردت بسط المقال في حكاية الحال لطال بنا الكلام وخرجنا عن ما كنا نريد من الاختصار والاقتصار وذلك أولى في المقام ، ومن أراد الاطلاع حقيقة الأمر فليراجع المطولات ولا قوة إلا باللّه .

قال: يدل على ذلك مضافا إلى أنه منصوص بالتواتر وادعى الإمامة الممكنة مع المعجزة، وأنه أعلم فه وراجح وأنه معصوم بلا ريبة، فهو مقدم ما رواه في الكافي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فِي قَوْلِ الله عَزَّ وَجَل ﴿ إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّماواتِ والأرْضِ والجِبالِ فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلنَها وأشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَها الإنْسانُ إنَّه كانَ ظَلوماً جَهُولا ﴾ قَالَ هِيَ وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام)[4] .

وعنه عليه السلام فِي قَوْلِ الله عَزَّ وَجَل ﴿ والذينَ آمَنُوا ولَمْ يَلبِسُوا إيمانَهُمْ بظُلم ﴾ قَالَ بِمَا جَاءَ بِه مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْوَلَايَةِ وَلَمْ يَخْلِطُوهَا بِوَلَايَةِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَهُوَ الْمُلَبَّسُ بِالظُّلْمِ)[5] .

---

(١)يوسف ٣٩
(٢)الكهف ٣٧
(٣) المنافقون١
(٤)الكافي ١ : ٤١٣
(٥) الكافي ١ : ٤١٣

وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ فَقَال عَرَفَ اللهُ إيمَانَهُمْ بوَلايتِنا وكُفْرَهُمْ بِهَا يوْمَ أخَذَ عَلَيْهِمُ المِيثَاقَ فِي صُلبِ آدمَ عليه السلام وَهُمْ ذَرٌّ) (١) .

وعَنْ أبِي جَعْفَرٍ عليه السلام في قَوْل الله عَزَّ وَجَل ﴿ وَلوْ أنَّهُمْ أقامُوا التَّوْراةَ وَالإنْجيل وَما أنْزِلَ إليْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ قَال الوَلايَةُ) (٢) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولهُ ﴾ فِي وَلايَةِ عَليٍّ وَوَلايَةِ الأئِمَّةِ مِنْ بَعْده فقَدْ فازَ فَوْزاً عَظيماً هكَذَا نزلتْ) (٣) .

وفي مرفوعة محمد بن عبدالله في قوله تعالى ﴿ لا أُقْسِمُ بِهذَا البَلَدِ وَأنْتَ حِلٌّ بِهذَا البَلَدِ * وَوالِدٍ وَما وَلَدَ ﴾ قَال أمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَا وَلدَ مِنَ الأئِمَّةِ عليهم السلام) (٤) .

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ للهِ خُمُسَهُ وَللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى ﴾ قَال أميرُ المُؤْمنِينَ وَالأئِمَّةُ عليهم السلام) (٥) .

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ قَال هُمُ الأئِمَّةُ) (٦) .

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿ هُوَ الذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ ﴾ قَال أميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالأئِمَّةُ ﴿ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾ قَال فُلانٌ وَفُلانٌ) (٧) .

إلى غير ذلك من الآيات والأخبار، وقد ذكرنا كثيرا في كتابنا (المصباح).

(١) الكافي ١/ ٤١٣
(٢) الكافي ١/ ٤١٣
(٣) الكافي ١/ ٤١٤
(٤) الكافي ١/ ٤١٤
(٥) الكافي ١/ ٤١٤
(٦) الكافي ١/ ٤١٤
(٧) الكافي ١/ ٤١٤ .

أقول : من أراد الاطلاع على تفاسير الآيات الباهرات في شأن الأئمة عليهم السلام فلينظر في تفسير الإمام عليه السلام ، وتفسير علي بن إبراهيم ، وتفسير فرات بن إبراهيم ، وتفسير نور الثقلين وتفسير الصافي ، وتفسير الميرزا محمد القمي ، وساير التفاسير وكتب الحديث فإنها مشحونة بذكرهم عليهم السلام لأن القرآن كله مدحهم وذم أعدائهم ، كما نطق به صريح الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار[1] ، ومع ذلك كله فلم يصل إلينا من مدحهم وفضلهم إلا ألف غير معطوفة[2] ، وكيف يمكن لنا مدحهم وفضيلتهم ؟ والله سبحانه يقول ﴿ **قُل لَوْكانَ البَحْرُ مِداداً لكلمات رَبِّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِه مَدَداً** ﴾[3] ، وقال أيضا ﴿ **وَلَوْ أنَّ ما في الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلماتُ الله** ﴾[4] الآية ، ومعناها أن جميع الأشياء قليلها وجليلها إنما وجدت بهم ومن فاضل أشعتهم ، فكيف يمكنها وصفهم وهي لا تخرج عن حقيقة ذاتها لأن الأشياء إنما تحد أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها فلا يمكنها وصفهم إلا بما ظهروا لها بها وما ظهروا لها فبذواتها فهي توصف ذواتها التي هي من فاضل أنوارهم فإذن لا نوصل إليهم بوجه من الوجوه ونعم ما قال أب ونواس رحمه الله :

فلو كانت سماء الله صحفا ونبت الأرض أقلاما لباري

وأبحره المداد يفض مدا وأيدي الخلق تكتب باقتدار

لما كتبوا الفضايل في علي بحد يعرفوه ولا اقتصار

---

(١) كما في تفسير العياشي ١ / ٩ عن أبي الجارود قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول (نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع في فرائض وأحكام وربع سنن وأمثال ، ولنا كرائم القرآن) .

وفيه أيضا ١ / ١٠ قال أبو جعفر عليه السلام (يا خيثمة القرآن نزل أثلاثا ، ثلث فينا وفي أحبائنا ،وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا ، وثلث سنة ومثل . . .إلخ)

(٢) في بحارالأنوار ج ٢٥ / ٢٨٣ عن كامل التمار قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي يا كامل اجعل لنا ربا نؤب إليه و قولوا فينا ما شئتم قال قلت نجعل لكم ربا تؤبون إليه و نقول فيكم ما شئنا قال فاستوى جالسا ثم قال و عسى أن نقول ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفا غير معطوفة

(٣) الكهف ١٠٩

(٤) لقمان٢٧

فإن كل شيء يمدحه بما ظهر له به ويصفه به فافهم .

واعلم أن مقصود المصنف كان إثبات خلافته عليه السلام واستدل على ذلك بما ورد عن طريقنا في مدحهم ووصفهم وهذا لا يكون إثباتا للخصم لأن الخصم له أن ينكر كل ذلك لكن نحن لما بينا من طرقهم وأقمنا البرهان على ولايته خلافته لم يبق لذي حجة حجة ، فالحمد لله الذي أوضح سبيل الهداية وسد علينا بفضله طرق الغواية سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله وما أوضح الحق عند من هديته سبيله ، ولنعم ما قال مولانا سيد الساجدين عليه السلام :

علم المحجة واضح لمريده | وأرى القلوب عن المحجة في عمى
و لقد عجبت لهالك ونجاته | موجودة و لقد عجبت لمن نجا[1]

قال : وحيث ورد فضيلة حجة الله الأعظم المعصوم المنصوب المنصوص الأعلم إمامنا المفترض الطاعة والمودة أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين :

علي حبه جنة | قسيم النار والجنة
وصي المصطفى حقا | إمام الإنس والجنة

الحديث النبوي (لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبهوما تأخرومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك الكتابة رسم ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفرت له ذنوبه التي اكتسبها بالسماع ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفرت له ذنوبه التي اكتسبها بالنظر)[2] .

والحديث النبوي (زَيِّنُوا مَجَالِسَكُمْ بِذِكْرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام)[3] .

(١) الأمالي للصدوق٤٩٠
(٢) إرشاد القلوب ٢ / ٢٠٩
(٣) بشارة المصطفى ٦٠

مضافا إلى الحديث النبوي (لو أن الرياض أقلاموالبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب)[1] كان المناسب ذكر أربعين حديثا في الفضائل عملا بحديث الأربعين .

الحديث الأول : ما رواه أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (كنت أنا وعلي على يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما خلق آدم جعلنا في صلبه ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب فقسمنا قسمين فجعل في عبدالله نصفا وفي أبي طالب نصفا وجعل النبوة والرسالة في وجعل الوصية والقضية في علي ثم اختار لنا اسمين اشتقهما من أسمائه فالله محمود وأنا محمد والله العلي وهذا علي فأنا للنبوة والرسالة وعلي للوصية والقضية)[2] .

أقول : قد اختلفت الأخبار في تقدم خلقتهم عليهم السلام على خلق السموات والأرض ففي بعض قالوا ألفي عام وفي بعض أربعة عشر ألف عام وفي بعض ألف دهر كل دهر مائة ألف سنة وفي بعض ستة آلاف سنة وفي بعض ثمانين ألف سنة ، ولنبين لك قاعدة شريفة إذا وفقت لأخذها ، فقد وفقت لجمعها وهي هذه .

أن السنين إذا أطلقت في هذه المعاني يراد بها الرتبة لا السنة التي تتحصل من دورة فلك الشمس بمضي الليل والنهار ، لأن هذه السنين من الزمان ، والزمان وقت لعالم الأجسام وخلقتهم في عوالم الأنوار قبل عالم الأجسام ، وهي عوالم المجردات المجردة من المدة الزمانية والمادة العنصرية فلا يراد بها هذه السنين ، بل هي الرتب الوجودية .

(١) بحارالأنوار ٣٨ / ١٩٧
(٢) البحار ٣٥ / ٣١

ولما ثبت تعدد العوالم لما قال عليه السلام لجابر بن زيد الجعفي (لعلك ترى أن الله عزوجل إنما خلق هذا العالم الواحدوترى أن الله عزوجل لم يخلق بشرا غيركم بلوالله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين)[1] ذكرها في الخصال ، وأن كل عالم له مرتبة في الوجود فبعضها أنزل وبعضها أعلى .

وبالجملة هذه العوالم كلها مندرجة في الإنسان لقوله عليه السلام وفيك انطوى العالم الأكبر ، فعلى ذلك ثبت ترتب العوالم ، والعوالم بعضها كلية وبعضها جزئية وبعضها برزخ بين البعض ، فإذا اعتبرت كليات العوالم بأسرها ، قلت العوالم ثلاثة عالم الجبروت أعني العقول ، وعالم الملكوت أعني النفوس ، وعالم الملك أعني عالم الأجسام ، فالعقل والنفس مخلوقة قبل عالم الأجسام وقد ثبت أنهم عليهم السلام خلقوا قبل جميع الخلق ، فإذا قالوا قبل هذا العالم بألفي عام يعني ألفي مرتبة لأن رتبة السافل هو تفصيل العالي في مرتبته وتفصيله ألف مرتبة ، وإذا قالوا ستة آلاف سنة فهي ستة آلاف رتبة أعني تعداد العوالم ، هكذا عالم العقول والأرواح والنفوس والطبيعة والمادة والمثال والسابع الجسم ، وإذا قالوا أربعة عشر ألف سنة يراد بها تكرار هذه العوالم نسبة بعضها مع بعض في الغيب والشهادة ، وإذا قالوا ثمانين ألف سنة أرادوا جميع مراتب القابليات والمقبولات في الغيب والشهادة ، لأن تمام مراتب القابليات والمقبولات أربعون كما حقق في محله وبالجملة تقدمهم على المخلوق في الرتبة لا في الزمان الذي هو استمرار الجسم .

---

(١) الخصال ٢ / ٦٥٢

وقوله عليه السلام (ثم اختار لنا اسمين اشتقهما . . . الخ) ، يدل صريحا على أن الواضع هو اللّه في الأعلام الشخصية . فافهم

قال الحديث الثاني : ما روي عن مولانا الرضا عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم (خلقت أناوعلي من نور واحد)[1] .

أقول : الروايات في هذا المعنى كثيرة جدا منها ما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم (خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد قبل أن يخلق اللّه آدم بأربعة عشر ألف سنة ، فلما خلق اللّه تعالى آدم من أصلاب الرجال الطاهرين إلى أرحام الأمهات الطاهرات ، ثم نقلنا في صلب عبدالمطلب وقسمنا بنصفين وجعل النصف في صلب أبي عبداللّه وجعل النصف في صلب أبي طالب ، وخلقت من ذلك النصف وخلق علي من ذلك النصف الآخر ، وشق اللّه تعالى لنا اسما من أسمائه فاسم اللّه المحمود وأنا محمد واسمه الأعلى وهذا علي ، وكان اسمه في الخلافة والشجاعة وأنا رسول اللّه وعلي ولي اللّه وسيف اللّه)[2] ـ وفي خبر آخر ـ (كنا نورا بين يدي اللّه عز وجل نسبحه ونقدسه إلى أن خلق آدم فجعلنا في صلبه ولا زال ينتقل نورنا من الأصلاب إلى الأرحام حتى جاء في صلب عبد المطلب فقسم اللّه ذلك النور فقيل للنصف كن محمدا وللآخر كن عليا) نقلته بالمعنى .

فكان خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقدما على خلقته عليه السلام لتقدم قوله (كن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا التقدم أيضا بحسب الرتبة وقد ورد في تقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على علي أنه كان ثمانين ألف سنة كما في رواية جابر بن عبداللّه الأنصاري قال ، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم (أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال

---

(١) الأمالي للصدوق ص : ٢٣٦

(٢) العمدة ص : ٩١

عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ثم سجد لله تعظيما ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطا بالعظمة ونور علي محيطا بالقدرة)[1] لأن جلال القدرة عبارة عن الولاية وهو صلوات الله عليه لم يظهر بالولاية وعلي عليه السلام هو الذي ظهر بالولاية ويدل على هذا المعنى فعل النبي صلى الله عليه وآله حين رفعه لكسر الأصنام وهذا الارتفاع منه كان إلى علي ، فعلي حامل ولاية محمد صلى الله عليه وآله ومقام الولاية لما كان أرفع من النبوة ظهر علي عليه السلام مرتفعا عنه صلى الله عليه وآله في الغيب والشهادة لكن ارتفاعه من محمد صلى الله عليه وآله فافهم .

وليس هذا التقدم في السلسلة الطويلة وهذا التقدم واقع في السلسلة العرضية فهذا التقدم هو تقدم الإجمال على التفصيل بخلاف الأول فإنه تقدم المنير على النور ، لأن أمير المؤمنين عليه السلام واقف في مقام التفصيل والنبي مقامه مقام الإجمال والنسبة بينهما نسبة العرش والكرسي ، فإن الكرسي عبارة عن تفصيل ما في العرش وليس بينهما ترتب العلية والمعلولية فافهم .

قال : الحديث الثالث ما روي عن عبدالله بن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (علي مني ، وأنا من علي ، لحمه لحمي ، ودمه دمي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى)[2] .

أقول : أما قوله صلى الله عليه وآله (علي مني) فقد عرفت معناه بأنهما من حقيقة واحدة وطينة واحدة وأنهما خلقا من الآخر كالضوء من الضوء ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام (أنت مني كالضوء من الضوء)[3] . وليس المقصود منه ما ذكره البعض بأن ذلك لا يستلزم أن يكون من حقيقة واحدة بل المقصود من ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله هو السراج الوهاج ، وسائر الخلق

(١) بحارالأنوار ٢٥ / ٢٢
(٢) الأمالي للطوسي ٥٠
(٣) بحار الأنوار ٣٨ / ٢٩٦

نوره وأشعته وعلي والأئمة المعصومون خلقوا منه ومن حقيقة كالضوء من الضوء ، لا أنهم عليهم السلام خلقوا من أشعته ونوره بل هم حقيقة واحدة وطينة واحدة فأولهم محمد وأوسطهم محمد وآخرهم محمد ، كما صرح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام في حديث النورانية قال (أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد)[١] فهم عليهم السلام في الحقيقة نور واحد وحقيقة واحدة ، ليس فيهم تعدد ، وأما في مقام التعين فهم أربعة عشر وكل واحد غير صاحبه ، يعني أن محمدا ليس هو علي ولا بالعكس ولا سائر الأئمة ، فالجمع بلا تفرقة زندقة ، والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع بينهما توحيد فاجمع وفرق بينهم حتى يصح توحيدك ، لأن التوحيد لا يتم إلا بالإقرار بهم عليهم السلام والإقرار بهم لا يتم إلا بالإقرار بما قالوا وهم صرحوا بالجمع والتفرقة ، فإن قلت بالجمع والتفرقة فيهم عليهم السلام فقد تم توحيدك ولا قوة إلا بالله ، ومما يدل على أنهم من حقيقة واحدة قول علي عليه السلام (وَ أَنَا مِنْ رَسُول الله صلى الله عليه وآله كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ وَ الذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ)[٢] ، وبالجملة فالروايات في هذا المعنى كثيرة جدا .

وقوله صلى الله عليه وآله (وهو مني بمنزلة هارون من موسى) يريد أن الذي أعطاه الله من جميع ما في الوجود من الكمالات الظاهرية والباطنية كلها في علي عليه السلام إلا النبوة ، ولما كان موسى وهارون آيتيهما اللتين ظهرتا في الوجود بالنبوة والخلافة شبه أنفسهما بهما فافهم فإن المسلك دقيق والبحر عميق .

قال الحديث الرابع : ما روي عن علي بن هلال عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه قال النبي صلى الله عليه وآله قال الله تعالى (ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي)[٣] ـ وفي حديث آخر (أمن ناري)[٤] .

---

(١) بحار الأنوار ٢٦ / ٣

(٢) نهج البلاغة ص : ٤١٨

(٣) بحار الأنوار ٣٩ / ٢٤٦

(٤) الأمالي للصدوق ص : ٢٣٥

أقول : إن اللّه سبحانه خلق الخلق بمقتضى صفتي اللطف والحكمة وصورهم بأحسن تصوير ، كان من الحكمة أن يكون الخلق مركبا لاستحالة وجود بسيط غير اللّه ، فتركيبه لا يصح إلا أن يكون من مادة وصورة حتى يصح الاختيار كما سبق في مبحث الاختيار فالمادة خلقت من فاضل نور الأئمة عليهم السلام كما صرحت به الأخبار وسنذكر سريعا إنشاء اللّه شطرا منها ، والصورة خلقت من المادة ، لأن اقتضاء المادة من حيث أنها مادة عبارة عن الصورة .

وبالجملة توجه المادة إلى جهة الحق جهة الاستنارة وإدبارها عن الحق عند نظرها إلى الصورة التي هي نفسها إقبال إلى الظلمة ، ولما كان الممكن لا يصل إلى القديم ولا يعرفه بوجه من الوجوه وليس له جهة دون جهة فلم يظهر بذاته للخلق لأن ذلك يستلزم انقلاب حقيقة الوجوب إلى الإمكان أو بالعكس ، ولما كانت الغاية في الخلق المعرفة والذات البات لا تقع جهة المعرفة ظهر للخلق بأوليائه الذين جعل معرفتهم معرفته وطاعتهم طاعته معصيتهم معصيته ، فالولي في الحقيقة هو ظاهر الحق في الخلق وهم عليهم السلام آيات توحيده ومقاماته كما في الدعاء (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك)[1] وقول علي عليه السلام في خطبة يوم الجمعة والغدير في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم (استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنسوانتجبه آمرا وناهيا عنه أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر)[2] ، وقول علي عليه السلام (لا يُعْرَفُ اللهُ عَزَّ وَجَل إِلا بِسَبِيل مَعْرِفَتِنَا)[3] ، وقول الصادق عليه السلام(بنا عرف

(١) إقبال الأعمال ص : ٦٤٦

(٢) مصباح المتهجد ص : ٧٥٢

(٣) الكافي ج : ١ ص : ١٨٤

الله وبنا عبد الله)[1] وأمثال ذلك مما سنذكره سريعا فهم عليهم السلام الوجه الذي يتوجه إليه كل متوجه إذا أراد أن يتوجه إلى الحق سبحانه لأنهم ولاة الأمر .

ولما ثبت كون ولايتهم هي ولاية الله ، فمن تولى بهم متبريا عن أعدائهم فإنما دخل في ولاية الله ، قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾[2] ومن دخل في ولاية الله كان متوجها إلى الله بقدر ما دخل في الولاية ، فلا يصح إدباره عن الله والعذاب إنما يكون لمن أدبر عن الله فالولاية هي حصن الله الحصينة التي أمان لجميع الخلق من جميع أنواع الشرور والبلايا والمصائب ، اللهم اجعلنا في درعك الحصينة التي تجعل فيها من تريد ، فمن دخل في حصنه أمن من عذابه ، فافهم .

قال الحديث الخامس : ما روي عن مولانا الباقر عليه السلام قال، قال النبي صلى الله عليه وآله (يا علي إن على يمين العرش لمنابر من نور وموائد من نور فإذا كان يوم القيامة جئت وشيعتك يجلسون على تلك المنابر يأكلون ويشربون والناس في الموقف يحاسبون)[3] .

أقول : أما ظاهر الحديث فظاهر ، وأما باطنه فيحتمل أن يكون المراد بالعرش هو رسول الله صلى الله عليه وآله ويمين العرش هو أمير المؤمنين لأنه يمينه ويمين الله وبيده ملكوت الأشياء كما في تأويل قوله تعالى ﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾[4] أي بعليّه ، ومن العجائب مطابقة عدد اسم علي لعدد اسم يمين لأن اليمين عددها (١١٠) وكذلك علي عليه السلام عدده (١١٠) ولأن الذين يفوزون بأعلى مراتب الكمال هم أصحاب اليمين ، يعني أصحاب علي .

---

(١) التوحيد ١٥٢ ، بصائرالدرجات ٦٤ ، الكافي ١ / ١٤٥
(٢) الفتح ١٠
(٣) المناقب ٣ / ٢٣٢
(٤) الزمر ٦٧

ومنابر النور هي مقتضيات حدود الولاية ، فمن تولى بعلي فقد امتثل بإتيان مقتضيات حدود الولاية فعند القيامة هم يستريحون على منابر النور والناس يحاسبون وذلك صريح قوله تعالى ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ** ﴾[(1)] يعني أصحاب علي لأنهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا وذلك من مقتضيات حدود الولاية .

وكون علي عليه السلام هو يمين العرش لا ينافي جلوسه على المنبر عن يمين العرش لأن اليمين في الحقيقة هي الولاية فتارة يلاحظ فيه كونه هو الولي صاحب الولاية وتارة يلاحظ كونه نفس الولاية من دون ملاحظة مغايرة لها وهذا من الأسرار ويعرف ذلك من تأويل قوله تعالى ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** ﴾[(2)] فإن في التأويل موسى هو محمد والعصا هو علي والحجر هي فاطمة واثني عشرة عينا الأئمة .

والعجب أن أمير المؤمنين هو أحدهم ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾[(3)] قال السبع المثاني هم المعصومون أعني محمدا صلى الله عليه وآله وفاطمة وعلي والأئمة من ولده كيف يقول آتيناك وهو أحدهم والسر في ذلك أن إعطاء الشيء نفسه من أكمل العطيات .

وبالجملة إذ لاحظت كون أمير المؤمنين نفس الولاية فهي يمين العرش وهو يمين العرش وإذا لاحظت مغايرته لها صح كونه على منبر عن يمين العرش وهو رسول اللّه فإن عليا لا يزال على يمينه لأنه يمين اللّه لأن رسول اللّه صلى الله عليه وآله مقامه مقام الرحمة الواسعة التي هي إعطاء كل ذي حق حقه ، والسوق إلى كل

(١) المدثر ٣٨ - ٣٩

(٢) البقره ٦٠

(٣) الحجر ٨٧

مخلوق رزقه فهو الذي يمد الخلق بما يناسبهم بالله سبحانه يعني أن الله يمدهم به ﷺ قال ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[1] فيعطي أهل الولاية بيمينه والمخالفين بشماله وذلك باقتضاء كينونتهم ، فأول ما يتشعب منه إلى اليمين لأنها جهة العليا ثم إلى الشمال لأنها جهة السفلى لئلا يلزم الطفرة التي قضت الضرورة ببطلانها ، فحيث كان صلوات الله عليه وآله مظهر الرحمة الواسعة كان علي عليه السلام مظهر الرحمة المكتوبة أعني رحمة الفضل لأن الرحمة الواسعة التي هي اسم الرحمن تنشعب منها شعبتان الرحيم والمنتقم ، فالجهة العليا لها أعني يمينها هي الرحيم وعلي مظهره والجهة السفلى أعني شمالها هي المنتقم وأعداؤهم مظهره ، فافهم .

قال الحديث السادس : ما روي عن الرسول ﷺ قال (يا علي أنت والأوصياء من بعدي أ وقال من بعدك أعراف لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم وأعراف لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه)[2] .

أقول : ورد في تفسير الآية الشريفة ﴿ **وَعَلَى الأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ** ﴾[3] الآية أنهم هم الأئمة وهم الذين فوض الله إليهم أمر الجنة والنار فيدخلون الجنة من شاء الله ويدخلون النار من شاء الله ، ومع هذا التفويض ليس لهم من الأمر من شيء لأنهم لا يشاؤن إلا أن يشاء الله وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وهم سلام الله عليهم يعرفون جميع الخلق ويعرفون محبيهم ومبغضيهم كما ورد عنهم عليهم السلام فمن ذلك ما رواه المجلسي (ره) في البحار عن البصائر بإسناده إلى

(١) الإسراء ٢٠
(٢) بصائر الدرجات ٤٩٧
(٣) الأعراف ٤٦

ابن أبي بخران قال : كتب أب والحسن الرضا عليه السلام رسالة وأقرأنيها قال(قال علي بن الحسين عليه السلام أن محمدا صلى الله عليه وآله كان أمين اللّه في أرضه فلما قبض محمد صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمانوحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا . . . الخ)[1] .

وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام (إنا أهل بيت علمنا علم المنايا والبلايا والأنساب والله لو أن رجلا منا قام على جسر ثم عرضت عليه هذه الأمة لحدثهم بأسمائهموأنسابهم)[2] .

وفيه عن ابن نباته قال كنت جالسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية قال فنكت أمير المؤمنين عليه السلام بعود كان في يده في الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال كذبت والله ما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء قال الأصبغ فعجبت من ذلك عجبا شديدا فلم أبرح حتى أتاه رجل آخر فقال والله يا أمير المؤمنين إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية قال فنكت بعوده ذلك في الأرض طويلا ثم رفع رأسه فقال صدقت إن طينتنا طينة مرحومة أخذ الله ميثاقها يوم أخذ الميثاق فلا يشذ منها شاذولا يدخل فيها داخل إلى يوم القيامة . . الخ)[3]

فإن يوم الذي أخذ فيه العهود والمواثيق أعني عالم الذر أعلمهم اللّه أمر الخلق فأطلعهم على مكنونات سرائرهم وأشهدهم خلق السموات والأرض

(١) بحارالأنوار ٢٦ / ١٤٢
(٢) بحارالأنوار ٢٦ / ١٤٧
(٣) بحارالأنوار ٢٦ / ١١٧

وخلق أنفسهم وعرفهم جميع أمور البرايا من أمور باطنهم وظاهرهم فهم لأجل ذلك يعرفون جميع الخلق ولا يغيب عنهم علم شيء فإذا كان يوم القيامة وجاءوا بالخلق عرفوهم فمن أقر بولايتهم عند الميثاق أدخلوه الجنة ومن أنكر ذلك أدخلوه النار ، وليس معنى قوله عليه السلام (ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه) أنهم لم يعرفوه أصلا ومن جهة عدم معرفتهم بهم يدخلون النار ، بل معناه أن من أنكر ولايتكم بعد المعرفة وعرض الولاية وأنكرتموهم بعدم إقرارهم بالولاية يدخلون النار لأن النار عبارة عن حدود مقتضيات مخالفة الولاية فتبصر .

قال الحديث السابع: ما روى جماعة منهم معاذر بن عمر قالوا قال النبي صلى الله عليه وآله (حب علي بن أبي طالب عليه السلام حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة)[1] .

أقول : ذلك حق لا ريب فيه لأن المحبة من أفعال القلب يعني مقرها القلب فإذا كان مقرا بولاية علي بقلبه وظهر سلطان محبته على سرير قلبه كان محبا له في الحقيقة بحسب الباطن والمعصية والسيئة ليستا إلا مخالفته فكان ظاهره أي جسد هو أعضائه وجوارحه عاصيا إذا عمل السيئة وأعمال الجوارح لا تقاوم أعمال القلب بوجه من الوجوه فكلما يعصي بظاهره مع وجود محبة أمير المؤمنين عليه السلام في قلبه لا يضره لأن هذه المعصية من الأمور العرضية له لا الذاتية لعدم التذاذ قلبه من هذه المعصية وذلك حصل بالخلط والاختلاط مع المنافقين لأن المعصية من ذاتيات المنافقين والطاعة من ذاتيات المحبين ولا بد من رجوع كل شيء إلى أصله فإذا كان يوم القيامة رجعت المعاصي كلها إلى أعداء أهل البيت مما جناه المحبون ورجعت الحسنات التي هي من أعداء أهل

(١) بحارالأنوار ٣٩ / ٢٤٨

البيت كلها إلى المحبين مما فعله المخالفون وذلك تفسير قوله ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ** ﴾[2] فإذا كان كذلك رجعت المعاصي كلها إلى الأعداء والحسنات إلى الأولياء فإذا لا يضرهم السيئة التي جنوها بسبب اللطخ بينهم ، وبيان آخر أن يوم القيامة لا بد من أن توزن الأعمال بأسرها فلا يقاوم شيء محبتهم عليهم السلام إذا وزن يوم الميعاد ويبقى الميزان راجح لوجود محبتهم فيدخلون بذلك الجنة وهذا معروف في كثير من الروايات .

قال الحديث الثامن: ما روي عن أبي حذيفة قال قال رسول الله ﷺ (ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبة خردل من حب علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أدخله الله عزوجل الجنة)[3] .

أقول : أن ذلك المثقال من حبة الخردل ارجح من جميع ما في الوجود لأن ذلك من جهة الوجود الذي هو آية معرفة المعبود التي هي شأن من شئون الولاية ، والولاية المطلقة إذا تعينة ظهر من آثارها الجنة فهذا الشأن من سنخ شئون الولي الذي من أثره وجدت الجنان بطبقاتها وأراضي الرضوان بدرجاتها لأن جميعها من شئون صاحبها فهذه الحبة الخردلة تدخل الجنات صاحبها لأنها من مقتضيات أثرها فافهم .

ولقد سمعت ممن أثق به رواية عجيبة وهي أن القائم عليه السلام قال (والله ليدخلن الجنة الحقية قيل وما الحقية قال الذين يحلفون بحق علي بن أبي طالب عليه السلام ولايعرفونه حق معرفته قيل وما حق معرفته قال يعرفه إنه أمام

(١) النور٢٦

(٢) العنكبوت ١٣

(٣) بحار الأنوار ٣٩ / ٢٤٦

مفترض الطاعة)[1] وهذا أمر ليس بغريب عنهم عليهم السلام لأنهم معدن الكرم والجود وبيدهم مقاليد الجنان والنيران وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء .

قال الحديث التاسع : ما روي عن ابن عباس قال قال رسول اللّه ﷺ (قال اللّه جل جلاله لو اجتمع الناس كلهم على ولاية علي عليه السلام ما خلقت النار)[2] .

وفي آخر قال النبي ﷺ (إن الناس لو اجتمعوا على حب علي بن أبي طالب لما خلق اللّه النار)[3] .

وفي آخر قال جبرائيل ليلة المعراج (يا محمد والذي بعثك بالحق نبيا لو أن أهل الأرض يحبون عليا كما يحبه أهل السموات لما خلق اللّه نار يعذب بها أحدا)[4] .

أقول : ورد في هذا المعنى روايات كثيرة لا تكاد تحصى ومعناها أن ولاية علي عليه السلام عبارة عن التوجه إلى حضرة المعبود فإذا كان العبد متوجها إلى اللّه صح إدباره عن الباطل فعند ذلك لا يكون مستحقا للنار ، فإذا فرضنا أن الجميع ثبتوا على الولاية لم يخلق النار أبدا لأن النار هي عبارة عن الأعمال السيئة الصادرة عن العبد عند التوجه إلى غير اللّه كما ستعرف إنشاء اللّه ، فإذا لم يتحقق التوجه إلى الغير لم يتحقق وجود النار أبدا .

(١) في الصراط المستقيم ٢ / ٢١٠ جاء كامل المدني يسأل العسكري عن مقالة المفوضة قال فلما وصلت قلت في نفسي أرى أنه لن يدخل الجنة إلا أهل المعرفة بمن عرف معرفتي فخرج فتى إلينا ابن أربع سنين و نحوها فقال مبتدئا باسمي جئت تسأل عن أنه هل يدخل الجنة إلا من قال بمقالتك قلت نعم قال إذا يقل داخلها و الله ليدخلنها قوم يقال لهم الحقية يحلفون بحق علي و لا يعرفون حقه و جئت تسأل عن مقالة المفوضة كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله قال فنظر إلي العسكري وقال ما جلوسك و قد أنبأك بحاجتك الحجة من بعدي .

(٢) أمالي الصدوق ٦٥٧

(٣) المناقب ٣ / ٢٣٨

(٤) بحار الأنوار ٣٩ / ٢٤٨

فل وقيل أن اللّه لما خلق المواد والصور جعل لكل منها مقتضيات وشئونات والنار من مقتضيات الصورة والماهية والجنة من مقتضيات المادة والوجود فكيف يمكن فرض عدم وجود النار عند وجود الصورة والماهية وهما متلازمان فلا يصح إنفكاكهما فكيف لو اجتمع الناس على حب علي عليه السلام لم يخلق النار إلا أن يقال أن الشيء لم يكن مركب من الماهية والوجود وهذا باطل لما ثبتت الأدلة القطعية من العقلية والنقلية بأن اللّه لم يخلق فردا قائما بذاته وإن كل ممكن فهو مزدوج الحقيقة .

قلنا : إن الشيء كما ذكرت مركب من الماهية والوجود وهو زوج تركيبي والنار من مقتضيات الصورة من حيث نفسها وعن لوازمها فلا يصح وجود الصورة وعدم وجود النار إلا أن يسلب عنها مقتضياتها الذاتية وذلك يستلزم انقلاب الحقيقة والأمر ليس كذلك ، والحق أن الماهية وإن كان لها لوازم ذاتية إلا أنها تنصبغ بصبغ الوجود وتتحلى بحليته كما أن الوجود ينصبغ بصبغ الماهية ، فإذا انصبغت الماهية بصبغ الوجود انصبغت لوازمها ومقتضياتها أيضا بصبغ لوازم الوجود وماهيته لا أن الصورة ولوازمها تعدم بالكلية ، كيف وهي مقومات وجود الشيء فإذا تحلى بحلية الوجود كان مستنيرا بنور الوجود كالعقل فإنه من الماهية المتعلقة بالوجود ومتلبسة بلباس الوجود ، فإذا كان كذلك لم توجد مقتضيات الماهية من حيث نفسها بل تكون موجودة من حيث الوجود لأنها تابعة للوجود فلا تكون النار موجودة على هذا الأصل لأن النار من مقتضيات الماهية من حيث نفسها فصح عدم وجود النار عند الإقبال على اللّه ، والإقبال على اللّه هو الإقبال على أولياء اللّه لأنهم عليهم السلام هم الوجه الذي يتوجه به إليه في كل مكان ، ولا فرق بينه وبينه إلا أنه عبده وخلقه فتقه بيده بدؤه منه وعوده إليه . فافهم .

قال الحديث العاشر : ما روي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ (إني لا أرج ولأمتي في حب علي عليه السلام كما أرج وفي قول لا إله إلا الله)[1] .

أقول : أن قول لا إله إلا اللّه عبارة عن حدود الولاية وحدود الولاية وحدود حامليها ، ولذا قال مولانا الجواد عليه السلام في زيارته لأبيه (السلام على شهور الحول وعدد الساعات وحروف لا إله إلا اللّه في الرقوم المسطرات)[2] وبهم سكنت السواكن وتحركت المتحركات ، ولأن لا إله إلا اللّه كلمة التوحيد وكلمة الإثبات ونفي الغير ، والولاية أيضا عبارة عن إثبات الحق ونفي الخلق ، ولذلك وجبت الولاية كما وجب الإقرار بالتوحيد لأن التوحيد عبارة عن الولاية ولا يتم التوحيد إلا بالإقرار بالولاية لأن التوحيد قائم بالولاية قيام ركن وتحقق فبانتقاء الركن ينتفي الشيء وبإثباته يثبت فإذا لم يكن مقرا بالولاية لم يكن مقرا بالتوحيد ، قال مولانا الرضا عليه السلام (من قال لا إله إلا اللّه وجبت له الجنة بشروطها وأنا من شروطها)[3] ، فقوله ﷺ (إني لا أرج ولأمتي في حب علي عليه السلام كما أرج وفي قول لا إله إلا اللّه) معناه أن محبته هي الإقرار بولايته ، والإقرار بولايته هو الإقرار بالتوحيد فما يرجى في التوحيد فه وبعينه يرجى محبته عليه السلام .

قال الحديث الحادي عشر : ما روي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ (حب علي بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب)[4] .

أقول : يريد صلوات اللّه عليه أن محبته تمح والسيئات وتثبت مكانها حسنات ، كما أن النار تمحي صورة الخشبية والحطبية وتصيرها نارا وذلك بانقلاب الحقيقة وزوال تلك الماهية وإتيان ماهية أخرى وهذا ظاهر .

---

(١) بشارة المصطفى ١٤٥

(٢) بحار الأنوار ٩٩ / ٥٤

(٣) الصوارم المهرقة ٦

(٤) المناقب ٣ / ١٩٨

قال الحديث الثاني عشر: ما روى سلمان قال قال رسول الله ﷺ لعلي يا أبا الحسن مثلك في أمتي مثل (قل هو الله أحد) فمن قرأها مرة فقد قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاث مرات فقد ختم القرآن كله فمن أحبك بلسانه فقد كمل ثلث الإيمان ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان ومن أحبك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان والذي بعثني بالحق نبيا يا علي لو أحبك أهل الأرض كما أحبك أهل السماء لما عذب أحد بالنار)[1] .

وفي حديث ابن عباس هكذا (من أحبك بقلبه كان له ثلث ثواب العباد ومن أحبك بقلبه ولسانه كان له ثلثا ثواب العباد ومن أحبك بقلبه ولسانه وبدنه كان له ثواب العباد أجمع)[2] . ومثله رواية نعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ .

أقول : قد عرفت أن التوحيد هو الإقرار بالولاية فإذا كان كذلك فيكون مثل صاحب الولاية بعينه مثل التوحيد فإذا عرفت ذلك فأعلم أن القرآن كله شرح مراتب التوحيد الذي هو الإقرار بربوبيته ونفي ما سواه وذلك شرح الإقرار بالولاية ونفي ما سواها وقوله ﷺ (من قرأ مرة سورة التوحيد فقد قرأ ثلث القرآن) يريد أن القرآن عبارة عن الكتاب التدويني والكتاب التدويني مطابق للكتاب التكويني فكما أن الكتاب التكويني لا يكمل ولا يتم إلا بالمراتب الثلاثة أعني عالم الغيب الذي هو الباطن وعالم الشهادة أعني عالم الظاهر وعالم الجمع بينهما فكذلك الكتاب التدويني اعني القرآن له مراتب ثلاثة الظاهرة والباطنة والجامعة لهما وكل ذلك عبارة عن بيان التوحيد ، ولما

---

(١) أمالي الصدوق ٣٣

(٢) تأويل الآيات ٨٢٣

كانت سورة التوحيد جامعة لمراتب التوحيد بأسرها فكان من يقرأ سورة التوحيد مرة قرأ ثلث القرآن أي أقر بالقرآن بحسب الظاهر لأن هذه القراءة نشأ من إقراره الظاهري ، ومن قرأها مرتين يعني يقر بباطنها وظاهرها فقد أقر بباطن القرآن وظاهره ، ومن قرأها ثلاثة أي أقر بباطنها وظاهرها ورتبة الجامعة لهما فقد أقر بباطن القرآن وظاهره ورتبة الجامعة لهما وهذا هو الإقرار بالقرآن بتمامه ، فكذلك الإنسان إذا أقر بولاية علي عليه السلام بظاهر طهر ظاهره عن الأرجاس وذلك البدن لا يدخل النار وإذا أقر بولايته بباطنه فقد طهر باطنه وظاهره وإذا أقر بكليته فقد حرم بكليته النار ، فإن الإقرار به كما عرفت هو الإقرار بالله وإذا دريت ذلك فأعلم أن الإيمان بالظاهر دون الباطن أو بالعكس لم ينفع أبدا وإن الإيمان النافع هو الإيمان به بكليته لقوله عليه السلام (إن قوما آمنوا بالظاهر فلم يك ينفع إيمانهم لشيء وقوما آمنوا بباطنهم دون ظاهرهم فهذا أيضا مثل ذلك)[1] نقلته بالمعنى ولعلك تقول إنك قلت أن من أقر بظاهره أي بلسانه وجسمه بولاية أمير المؤمنين فلم يدخل النار بدنه وجسمه فيلزم أن يكون المقر له بظاهره والجاحد له بباطنه أن يدخل ظاهره الجنة ويدخل باطنه النار وذلك يستلزم أن يكون بعضه معذبا وبعضه متنعما وذلك خلاف المعروف من طريقة أهل الحق ، فأقول ولا قوة إلا بالله أن الرجل المقر بظاهره بالولاية يعني بجسده فإنه لا يدخل الجنة أبدا لا بباطنه ولا بظاهره وإنما هذه الصورة الظاهره مستعارة له وليس من جنسه لأن جنسه خبيث وهذا ظاهر فإذا كان يوم القيامة خلعت عنه هذه الصورة المقرة بالولاية والبس المقرون كما ورد في أن عائشة تخلع صورتها يوم القيامة وتلبسها كلب أصحاب الكهف وتلبس عائشة صورة الكلب لأن ذلك من حقيقتها فافهم .

---

(١) في بصائرالدرجات ص : ٥٣٦ قال أبو عبد الله عليه السلام يا هيثم التميمي إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شي ء و جاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا و لا إيمان بظاهر و لا باطن إلا بظاهر) .

ويحتمل أن يراد بقوله ﷺ من قرأ سورة التوحيد فكأنما قرأ ثلث القرآن الخ ، أن له ثواب من قرأ ثلث القرآن وهذا المعنى ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وقوله صلوات اللّه عليه (من أحبك بقلبه كان له ثلث ثواب العباد) يريد معنى زيادة الثواب وتخصيصه بالثلث لما عرفت أيضا فلا نعيده وتعيين ثواب المقر لأمير المؤمنين مما لا يمكن أبدا لما ورد في الروايات المتظافرة المتكاثرة وإني أذكر منها حديثا تيمنا وتبركا روى المجلسي في البحار عن النبي ﷺ (إن الله لما خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن وخلق عند كل ركن ثلاثمائة ألف وستين ألف ملك لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلا كالرملة في المفازة الفضفاضة فقال لهم الله يا عبادي احتملوا عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه فخلق الله عزوجل مع كل واحد منهم واحدا فلم يقدروا أن يزعزعوه فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحركوه فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحركوه فقال الله عزوجل لجميعهم خلوة علي أمسكه بقدرتي فخلوه فأمسكه الله عزوجل بقدرته ثم قال لثمانية منهم احملوه أنتم فقالوا يا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجم الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم فقال الله عزوجل لأني أنا الله المقرب للبعيد والمذلل للعبيد والمخفف للشديد والمسهل للعسير أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أعلمكم كلمات تقولونها يخف بها عليكم قالوا وما هي يا ربنا قال تقولون بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين فقالوها فحملوه وخف على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوى فقال الله عزوجل لسائر تلك الأملاك خلوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا أنتم حوله

وسبحوني ومجدوني وقدسوني فإني أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كل شي ء قدير فقال أصحاب رسول الله ﷺ ما أعجب أمر هؤلاء الملائكة حملة العرش في كثرتهم وقوتهم وعظم خلقهم فقال رسول الله ﷺ هؤلاء مع قوتهم لا يطيقون حمل صحائف يكتب فيها حسنات رجل من أمتي قالوا ومن هو يا رسول الله لنحبه ونعظمه ونتقرب إلى الله بموالاته قال ذلك الرجل رجل كان قاعدا مع أصحاب له فمر به رجل من أهل بيتي مغطى الرأس لم يعرفه فلما جاوزه التفت خلفه فعرفه فوثب إليه قائما حافيا حاسراوأخذ بيده فقبلها وقبل رأسه وصدره وما بين عينيه وقال بأبي أنت وأمي يا شقيق رسول الله لحمك لحمه ودمك دمه وعلمك من علمه وحلمك من حلمه وعقلك من عقله أسأل الله أن يسعدني بمحبتكم أهل البيت فأوجب الله له بهذا الفعل وهذا القول من الثواب ما لو كتب تفصيله في صحائفه لم يطق حملها جميع هؤلاء الملائكة الطائفون بالعرش والأملاك الحاملون له فقال أصحابه لما رجع إليهم أنت في جلالتك وموضعك من الإسلام ومحلك عند رسول الله ﷺ تفعل بهذا ما نرى فقال لهم يا أيها الجاهلون وهل يثاب في الإسلام إلا بحب محمد وحب هذا فأوجب الله له بهذا القول بمثل ما كان أوجب له بذلك الفعل والقول أيضا فقال رسول الله ﷺ ولقد صدق في مقالته لأن رجلا لو عمره الله عزوجل مثل عمر الدنيا مائة ألف مرة ورزقه مثل أموالها مائة ألف مرة فأنفق أمواله كلها في سبيل الله وأفنى عمره في صيام نهاره وقيام ليله لا يفطر شيئا منه ولا يسأم ثم لقي الله تعالى منطويا على بغض محمد أو بغض ذلك الرجل الذي قام إليه هذا الرجل مكرما إلا أكبه الله على منخره في نار جهنم ولرد الله عزوجل أعماله عليه وأحبطها قال فقالوا ومن هذان الرجلان يا رسول الله قال رسول الله ﷺ أما الفاعل ما فعل فذلك

المقبل المغطي رأسه فه وهذا فبادروا إليه ينظرون فإذا هو سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري وأما المقول له هذا القول فهذا الآخر المقبل المغطي رأسه فنظروا فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ثم قال ما أكثر من يسعد بحب هذين وما كثر من يشقى ممن ينتحل حب أحدهما وبغض الآخر إنهما جميعا يكونان خصما له ومن كانا له خصما كان محمد له خصا ومن كان محمد له خصما كان الله له خصما وفلج عليه وأوجب عليه عذابه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عباد الله إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لسعد أبشر فإن الله يختم لك بالشهادة ويهلك بك أمة من الكفرة ويهتز عرش الرحمن لموتك ويدخل بشفاعتك الجنة مثل عدد شعور حيوانات بني كلب قال فذلك قوله تعالى ﴿ **جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً** ﴾ تفترشونها لمنامكم ومقيلكم ﴿ **وَالسَّماءَ بِناءً** ﴾ سقفا محفوظا أن تقع على الأرض بقدرته يجري فيها شمسها وقمرها وكواكبها مسخرة لمنافع عباد الله وإمائه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تعجبوا لحفظه السماء أن تقع على الأرض فإن الله عز وجل يحفظ ما هو أعظم من ذلك قالوا وما هو أعظم من ذلك قال ثواب طاعات المحبين لمحمد وآله ثم قال ﴿ **وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً** ﴾ يعني المطر ينزل مع كل قطرة ملك يضعها في موضعها الذي يأمره به ربه عز وجل فعجبوا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أو تستكثرون عدد هؤلاء إن عدد الملائكة المستغفرين لمحبي علي بن أبي طالب عليه السلام أكثر من عدد هؤلاء وإن عدد الملائكة اللاعنين لمبغضيه أكثر من عدد هؤلاء ثم قال الله عزوجل ﴿ **فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ** ﴾ ألا ترون كثرة عدد هذه الأوراق والحبوب والحشائش قالوا بلى يا رسول الله ما أكثر عددها قال رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر منها عددا ملائكة يبتذلون لآل محمد في خدمتهم أتدرون فيما يبتذلون لهم يبتذلون

في حمل أطباق النور عليها التحف من عند ربهم فوقها مناديل النور ويخدمونهم في حمل ما يحمل آل محمد منها إلى شيعتهم ومحبيهم وإن طبقا من ذلك الأطباق يشتمل من الخيرات على ما لا يفي بأقل جزء منه جميع أموال الدنيا)[1] انتهى .

قال الحديث الثالث عشر : ما روي عن عمر بن الخطاب على ما حكي عن فضائل أحمد، قال :قال النبي ﷺ (حب علي عليه السلام براءة من النار)[2] .

أقول : قد عرفت فيما سبق أن حبه أصل كل خير وأصل الإيمان فحبه الذي هو عبارة عن الإيمان هو بعينه عبارة عن البراءة من النار لأنها ضد محبته ولا يجتمعان أبدا لكن المحبه لا تتحقق إلا بالبراءة من أعدائه فلو كان الرجل محبا له ولأعدائه لم تنفعه هذه المحبة لأنها ليست محبة في الحقيقة لقوله عز وجل ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾[3] ولقوله عز وجل ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾[4] ، قيل أن رجلا قدم إلى أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه ، فقال (يا أمير المؤمنين إني أحبك وأحب فلانا ـ وسمى بعض أعدائه ـ فقال عليه السلام : أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمى وإما أن تبصر)[5] .

وقيل للصادق عليه السلام (أن فلانا يواليكم ألا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم ، فقال : هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا)[6] .

وروي أيضا أن مولانا علي بن الحسين قال في معنى قوله عز وجل ﴿ **وَمَثَل**

(١) بحارالأنوار ج : ٢٧ / ٩٦ - ١٠٠
(٢) الصراط المستقيم ٢ / ٥٠ ، المناقب ٣ / ٢٠٠
(٣) المجادله ٢٢
(٤) هود ١١٣
(٥) بحار الأنوار ٢٧ / ٥٨
(٦) بحار الأنوار ٢٧ / ٥٨

الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ قال الإمام (قال الله عزوجل ﴿ **ومثل الذين كفروا** ﴾ في عبادتهم للأصنام واتخاذهم الأنداد من دون محمد وعلي عليهما السلام ﴿ **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع** ﴾ يصوت بما لا يسمع إلا دُعاءً وَنداءً لا يفهم ما يراد منه فيغيث المستغيث ويعين من استعانه ﴿ **صم بكم عمي** ﴾ عن الهدى في اتباعهم الأنداد من دون الله والأضداد لأولياء الله الذين سموهم بأسماء خيار خلائق الله ولقبوهم بألقاب أفاضل الأئمة الذين نصبهم الله لإقامة دين الله ﴿ **فهم لا يعقلون** ﴾ أمر الله عز وجل ، قال علي بن الحسين عليه السلام هذا في عباد الأصنام وفي النصاب لأهل بيت محمد نبي الله صلى الله عليه وآله وعتاة مردتهم سوف يصيرونهم إلى الهاوية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإن من تعوذ بالله منه أعاذه الله ونعوذ من همزاته ونفخاته ونفثاته أتدرون ما هي أما همزاته فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت قالوا يا رسول الله وكيف نبغضكم بعد ما عرفنا محلكم من الله ومنزلتكم قال صلى الله عليه وآله بأن تبغضوا أولياءنا وتحبوا أعداءنا فاستعيذوا بالله من محبة أعدائنا وعداوة أوليائنا فتعاذوا من بغضنا وعداوتنا فإنه من أحب أعداءنا فقد عادانا ونحن منه براء والله عز وجل منه بريء)[1] . الحديث ، وأمثال ذلك كثيرة في الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار .

قال الحديث الرابع عشر :ما روي عن زيد بن أرقم قال : قال النبي صلى الله عليه وآله (من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل التي غرس أغصانها بيده فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة)[2] .

أقول : هذا ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

(١) بحار الأنوار ٢٧ / ٥٩

(٢) بحار الأنوار ٢٣ / ١٣٩

قال الحديث الخامس عشر : ما روي عن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله خلق قضيبا من نور فعلقه ببطان عرشه لا يناله إلا علي ومن تولاه من شيعته)[1] ومثل ذلك أخبار أخر .

أقول : يريد صلوات الله عليه أن ذلك القضيب هو الحبل الممدود بين السماء والأرض أعني دينه ولا ينال ذلك إلا أمير المؤمنين ويعسوب الدين فإنه هو الذي أقام الحق وأمات الباطل ومن تمسك به فقد تمسك بذلك الحبل المتين فصح أنه لم يكن متمسكا بالدين إلا أمير المؤمنين ومن تولاه من المؤمنين وهذا ظاهر ويحتمل أن يراد بالعرش الدين والحبل الممدود أعني ذلك القضيب هو رسول الله فلم يتمسك به إلا أمير المؤمنين ومن تمسك به ويحتمل أن يراد بالعرش نفس المشية التي بها وجدت الأشياء وذلك القضيب النور هو الحقيقة المحمدية ﷺ ويحتمل أن يراد بالعرش سقف الجنان لما ورد أن سقف الجنان هو عرش الرحمن كناية عن أعلى مراتب الجنان ، والقضيب النور هو ولاية أمير المؤمنين فمن يتمسك بها فقد فاز بالصعود على أعلى مراتب الرضوان وكل هذه الاحتمالات حق لا شك فيه ولا ريب يعتريه .

قال الحديث السادس عشر : ما روي عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ (من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني)[2] .

أقول : لأنه عليه السلام نفس رسول الله لصريح قوله تعالى ﴿ **وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ فإذا كان هو نفس رسول الله فالذي يصيبه إنما يصيبه ونعم ما قيل :

فإذا سرك شيء سرني ... فإذا أنت أنا في كل حال

فمن أحبه فقد أحبه ومن أبغضه فقد أبغضه .

---

(١) الصراط المستقيم ١ / ٢٧٨

(٢) كشف اليقين ٢٢٦

قال الحديث السابع عشر :ما روي عن عمار بن ياسر قال: قال النبي ﷺ (يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك)[1] .

أقول : أن طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار علي عليه السلام وفروعها في قصور سائر المؤمنين في الجنة فمن دار علي عليه السلام تتفصل فروعها إلى سائر الناس وهي أصل كل خير ، وذلك ينبئ عن أن جميع الخيرات إنما يخرج من بيوت آل محمد عليهم السلام ويتقسم إلى سائر الخلق ، وهذا معنى قوله عليه السلام في الزيارة (إن ذكر الخير كنتم أصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه) ويحتمل أن يراد بقوله عليه السلام طوبى علي عليه السلام لأنه هو شجرة طوبى وسدرة المنتهى كما في الزيارة (السلام على شجرة طوبى وسدرة المنتهى)[2] وتلك الشجرة هي نفس اللّه العليا التي من عرفها ، وهو أحد معاني قوله عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[3] ، فإن النفس التي معرفتها عين معرفة الرب هي علي عليه السلام لقوله (بنا عرف اللّه وبنا عبد اللّه)[4] وتلك النفس هي ذات اللّه العليا وشجرة طوبى ، كما في حديث الأعرابي في تعريف النفس الكلية الإلهية ، قال أمير المؤمنين (هي ذات اللّه العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل وغوى) الحديث .

والإضافة لأمية في قوله (هي ذات اللّه) أي ذات هي لله يعني ملك لله وهو أمير المؤمنين لقوله (أنا الذات أنا ذات الذوات في الذوات للذات) وليس هو عين ذات اللّه سبحانه والنفس التي (من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل وغوى) هي أمير المؤمنين ، لأن من لم يعرفه فقد مات ميتة

(١) الصراط المستقيم ١ / ١٩٨
(٢) بحار الأنوار ٩٧ / ٣٠٥
(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٩٢
(٤) التوحيد ١٥٢

جاهلية وذلك قوله عليه السلام في الزيارة (والباب المبتلى به الناس من أتاكم فقد نجى ومن لم يأتكم فقد هلك)[1] فهو عليه السلام تلك الشجرة ، فمن تولاه فهو له والويل عبارة عن رئيس أهل الضلال الذي غصب حق علي عليه السلام فهو إمامهم وهو لمن تولاه ، فافهم .

قال الحديث الثامن عشر: ما روي عن أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زِنية أوحملته أمه وهو طامت)[2] .

أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لا يبغضك يا علي إلا ولد الزنا)[3] وهذا يشكل من وجه ، لأن أبا بكر الذي هو غصب حقه كان أشد بغضا له عليه السلام من سائر الناس ، ولا يجوز أن يقال أنه ولد الزنا لقول الصادق عليه السلام (ولقد ولدني مرتين)[4] لأن أمه كانت من نسل أبي بكر ، وقد ثبت بالأدلة أن الإمام لا يجوز أن يكون إلا من نسل طاهرين المبرئين عن الزنا والسفاح .

ويمكن أن يقال في حل هذا الإشكال أن المراد من ولد الزنا أعم من زناء الظاهري والباطني ، أما الظاهري فظاهر ، وأما الباطني فهو المتصرف في مال غيره بدون حق له ، وهذا يطابق المعنى الظاهري فإن الزنا أيضا هو كذلك ، ولما كان أبو بكر هو المتصرف في مال الغير ، أعني الخلافة من دون استحقاق له فيقال له هذا زان بالمعنى الباطني ولذلك قال الإمام عليه السلام (الشيخ الزاني) ويعني به أبا بكر وكذلك يدخل في حكمه من سلم له بالأمر مطيعا له عن رغبة فإنه يكون أيضا زان ، ولما ثبت أن أباه أبو قحافة سلم له بالأمر فكان هو زان بهذا المعنى ولما كان أبو بكر ابنه كان أبو بكر ولد الزنا ، فافهم .

فصح أنه لم يبغض عليا عليه السلام إلا ولد الزنا ويدخل في ذلك المنافق والولد الطامت أمه بالمعنى الذي ذكرنا .

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة

(٢) وسائل الشيعة ٢ / ٣١٩

(٣) الصواعق المحرقة ٢٤١ (لا يبغضك)

(٤) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٠٩ (ولقد ولدني)

قال الحديث التاسع عشر : ما روي عن أنس قال: قال النبي ﷺ (عنوان المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام)[1] .

أقول : ليس في صحيفة المؤمن إلا حب علي عليه السلام لأن المؤمن هو الذي أحب عليا عليه السلام والمحب لا يكون محبا إلا بعد امتثال لوازم المحبة ، فكل ما يفعل فهو من لوازم المحبة في صومه وصلاته وحجه وزكاته وجميع عباداته بل جميع العبادات هي حدود المحبة ، فليس شيء في جميع مراتب الوجود من الخيرات إلا وهو من حدود المحبة والمؤمن هو الذي يفعل الخيرات الموصلة إلى أعلى الدرجات وكل ما يفعل فهو من لوازم المحبة فليس شيء في صحيفة إلا حب علي عليه السلام فتبصر .

قال الحديث العشرون : ما روي عن الثماني عن الإمام الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ (يا علي ما ثبت حبك في قلب امرئ مؤمن فزلت به قدمه على الصراط إلا ثبتت له قدم حتى يدخله الله عزوجل بحبك الجنة)[2] .

أقول : هذا يتحقق في عصاة الشيعة ، لأن المؤمن الماحض لا تزل له قدم على الصراط أصلا ، لأن الصراط الذي هو جسر ممدود بين الجنة والنار تنزل الولاية ، أعني ولاية أمير المؤمنين فمن كان راسخا في الولاية ، كيف تزل قدمه على الصراط ؟ فليس هذا إلا في شأن العصاة الذين خالفوا بعض حدود الولاية لأجل اللطخ والخلط الحاصل لهم مع أهل النفاق والشقاق ، فإذا كان يوم القيامة يجزي كل نفس ما كسبت عند عرض الأعمال بذلك العاصي مع ما صدر عنه من الخيرات والشرور ، فبسبب تلك الشرور تزل قدمه على الصراط لكن محبته لعلي أمير المؤمنين تثبت له قدما إذا زل بواسطة المعاصي على الصراط فتقتمه وتعبره عن الصراط وتدخله الجنة .

---

(١) المناقب ٢ / ١٥١ ، العمدة ٣٧٠

(٢) الأمالي للصدوق ٥٨٣

قال الحديث الحادي والعشرون : ما روي عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها، وهل يؤتى المدينة إلا من بابها ؟ يا علي أهل مودتك كل أبواب حفيظ، يا علي محبوك جيران الله في دار الفردوس لا يتأسفون على ما خلفوا من الدنيا، يا علي أنا ولي لمن واليت وأنا عد ولمن عاديت، يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش، يا علي شيعتك الذين يتنافسون في الدرجات العلا، يا علي شيعتك تعرض كل علي كل يوم جمعة فافرح بصالح ما يلغني من أعمالهم واستغفر لسيئاتهم)[1] .

أقول : لو أردنا شرح تمام الحديث لطال بنا الكلام والاختصار أولى في المقام ولكن نشير إلى بعض منه .

قوله صلى الله عليه وآله (يا علي محبوك جيران الله) يعني جيران أولياء الله فإن الله

(١) تمام الحديث كما روي في الأمالي للصدوق ٥٦١- ٥٦٣ هكذا عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال لي رسول الله ﷺ على منبره يا علي إن الله عز و جل وهب لك حب المساكين و المستضعفين في الأرض فرضيت بهم إخوانا و رضوا بك إماما فطوبى لمن أحبك و صدق عليك و ويل لمن أبغضك و كذب عليك يا علي أنت العالم العلم لهذه الأمة من أحبك فاز و من أبغضك هلك يا علي أنا مدينة العلم و أنت بابها و هل تؤتى المدينة إلا من بابها يا علي أهل مودتك كل أواب حفيظ و كل ذي طمر لو أقسم على الله لأبر قسمه يا علي إخوانك كل طاهر زاك زكي مجتهد يحب فيك و يبغض فيك محتقر عند الخلق عظيم المنزلة عند الله عز و جل يا علي محبوك جيران الله في دار الفردوس لا يأسفون على ما خلفوا من الدنيا يا علي أنا ولي لمن واليت و أنا عدو لمن عاديت يا علي من أحبك فقد أحبني و من أبغضك فقد أبغضني يا علي إخوانك ذبل الشفاة تعرف الرهبانية في وجوههم يا علي إخوانك يفرحون في ثلاثة مواطن عند خروج أنفسهم و أنا شاهدهم و أنت و عند المساءلة في قبورهم و عند العرض الأكبر و عند الصراط إذا سئل الخلق عن إيمانهم فلم يجيبوا يا علي حربك حربي و سلمك سلمي و حربي حرب الله و من سالمك فقد سالمني و من سالمني فقد سالم الله عز و جل يا علي بشر إخوانك فإن الله عز و جل قد رضي عنهم إذ رضيك لهم قائدا و رضوا بك وليا يا علي أنت أمير المؤمنين و قائد الغر المحجلين يا علي شيعتك المنتجبون و لو لا أنت و شيعتك ما قام لله عز و جل دين و لو لا من في الأرض منكم لما أنزلت السماء قطرها يا علي لك كنز في الجنة و أنت ذو قرنيها و شيعتك تعرف بحزب الله عز و جل يا علي أنت و شيعتك القائمون بالقسط و خيرة الله من خلقه يا علي أنا أول من ينفض التراب عن رأسه و أنت معي ثم سائر الخلق يا علي أنت و شيعتك على الحوض تسقون من أحببتم و تمنعون من كرهتم و أنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش يفزع الناس و لا تفزعون و يحزن الناس و لا تحزنون فيكم نزلت هذه الآية إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ و فيكم نزلت لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ يا علي أنت و شيعتك تطلبون في الموقف و أنتم في الجنان تتنعمون يا علي إن الملائكة و الخزان يشتاقون إليكم و إن حملة العرش و الملائكة المقربين ليخصونكم بالدعاء و يسألون الله لمحبيكم و يفرحون بمن قدم عليهم +++

سبحانه ليس في مكان وليس هو في جهة ولا في حيز ولا في حد فكيف يصح أن يكون له جارا وجوارا ، فإنما عنى بذلك أولياء اللّه الذين نسبهم إلى نفسه فقال ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[1] فإن اللّه لم يأسف أبدا لأن ذلك من صفات الحوادث واللّه أجل من ذلك ، فالمراد تأسف أوليائه الذين جعل مودتهم مودته ومعصيتهم معصية ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾[2] فإن اللّه سبحانه لم يزل عالما بجميع الأشياء كليها وجزئيها مجردها وماديها ولا يعزب عن عينه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فلو كان المقصود هو اللّه للزم أن يكون جاهلا قبل أن يكون عالما فإذاً لزمه سبق الحالات والذي تلزمه سبق الحالات هو الحادث إذ القديم لا يسبقه حال حالا ، فليس المراد إلا أولياء اللّه .

وقوله ﷺ (إن أعمال شيعتك تعرض علي كل يوم الجمعة) لا يريد أن كل يوم جمعة تعرض علي الأعمال دون سائر الأسبوع لأنه صلوات عليه يعلم جميع الأشياء المكونة الموجودة التي دخلت في ساحة الوجود كلها ، صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها كل في مكانه وزمانه ولا يعزب عنه شيء مما دخل في الكون فكل ذلك حاضر لديه كما في الروايات المستفيضة فقوله ﷺ(إن أعمال شيعتك . . الخ) يريد أن جميع الأعمال ترتقي لديه فينظر فيه ولما كان المعروض يرفع إلى العالي وإن كان ذلك في زمانه ومكانه إلا أنه من جهة النسبة يرتفع عبر عن ذلك باليوم ولذلك ترى أن الذين يرتفع إلى

+منكم كما يفرح الأهل بالغائب القادم بعد طول الغيبة يا علي شيعتك الذين يخافون الله في السر و ينصحونه في العلانية يا علي شيعتك الذين يتنافسون في الدرجات لأنهم يلقون الله عز و جل و ما عليهم من ذنب يا علي أعمال شيعتك ستعرض علي في كل جمعة فأفرح بصالح ما يبلغني من أعمالهم و أستغفر لسيئاتهم .

(١) الزخرف ٥٥

(٢) الحديد ٢٥

جهة العلو يسمى ارتفاعه باليوم أعني النهار وفي النهار كما قال تعالى ﴿يعرج إليه الملائكة والروح في يوم كان مقداره﴾[1] والنزول إلى الأسفل يعبر عنه بالليل كما قال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[3] وأمثال ذلك وهذا واضح فتعبيره باليوم هو عروج ذلك الشيء إليه من جهة انتسابه إليه في العلمية والمعلومية ، وأما اختصاص الجمعة فلأن مقامه مقام الجمع والجمعة مأخوذة من الاجتماع فلأجل ذلك كان يومه في الأيام يوم الجمعة لتطابق الظاهر والباطن والغيب والشهادة فلذلك عبر بيوم الجمعة فاشرب صافيا .

قال الحديث الثاني والعشرون :ما روي بالمعنى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ من العالين الذين هم أعلى من الملائكة أجمعين في قوله تعالى ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام فنحن باب الله الذي يؤتى منه فبنا يهتدي المهتدون فمن أحبنا أحبه الله تعالى واسكنه جنته ومن ابغضنا ابغضه الله واسكنه ناره ولا يحبنا إلا من طاب ولده)[4] .

أقول : الملائكة العالون هم الذين لم يسجدوا لآدم عليه السلام ولا ينبغي لهم أن

---

(١) المعارج ٤

(٢) القدر ١

(٣) الدخان ٣

(٤) الحديث كما روي في فضائل الشيعة ٨ - ٩ هكذا عن أبي سعيد الخدري قال كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل فقال يا رسول الله أخبرني عن قوله عز و جل لإبليس أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلى من الملائكة فقال رسول الله ص أنا و علي و فاطمة و الحسن و الحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله و تسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز و جل آدم بألفي عام فلما خلق الله عز و جل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له و لم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى و لم يسجد فقال الله +++

يسجدوا لقوله تعالى مخاطبا لإبليس لعنة اللّه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾[1] وهؤلاء الملائكة هم حملة الأركان الأربعة للعرش نور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أبيض منه أبيض البياض ، وفي حديث آخر نور أبيض منه البياض ، وهذه الأنوار عبارة عن أنوارهم عليهم السلام فالنور الأحمر طبيعتهم والنور الأخضر نفوسهم والنور الأصفر أرواحهم والنور الأبيض عقولهم ، والعرش هو هم عليهم السلام ولما كانوا هم أشرف الخلق وشمس الوجود كان جميع ما سواهم إنما خلقوا من أشعتهم فهم شعاعهم عليهم السلام ولا ينبغي أن يسجد المنير للنور بل يجب العكس ، ولذلك قال عليه السلام ما معناه (أن الملائكة إنما سجدوا لأدم لأن أنوارنا كانت في صلبه فلأجل كونه حاملا لأنوارنا أمر اللّه الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام) .

وقوله صلوات اللّه عليه (نسبح اللّه وتسبح الملائكة بتسبيحنا) يريد أن الملائكة إنما عرفوا التسبيح بتسبيحنا لأن الملائكة لما رأوا أنوارهم تخيلوا أن تلك الأنوار هي نور اللّه الذي هو ذاته فسبحوا حتى تعلم الملائكة أنهم مخلوقون مربوبون أجل من أن يشبه شيئا من مخلوقاته فسبحت الملائكة عند ذلك ،كما روي عن مولانا الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله (ما خلق اللّه خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني ، قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل فقال يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته

+++ تبارك و تعالى ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ + أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ ﴾ عنى من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش فنحن باب الله الذي يؤتى منه بنا يهتدي المهتدي فمن أحبنا أحبه الله و أسكنه جنته و من أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره و لا يحبنا إلا من طاب مولده .

(١) ص ٧٥

المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا يا علي لو لا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنةولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيد هو تحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا لا إله إلا الله فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزة والقوة قلنا لاحول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لاحول لنا ولا قوة إلا بالله فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته فقالت الملائكة الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا وإكراما وكان سجودهم لله عزوجل عبودية ولآدم إكراما وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون)[1] .

وقوله صلوات الله عليه (ونحن باب الله) يأتي بيانه سريعا إنشاء الله ، وقوله (فبنا يهتدي المهتدون . . .الخ) ظاهر .

(١) علل الشرائع ١ / ٥ - ٦

قال الحديث الثالث والعشرون : ما روي عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ (يا علي الكوثر نهر يجري تحت عرش الله عزوجل ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد حصاؤه الزبرجد والياقوت والمرجان حشيشه الزعفران ترابه المسك الأذفر قواعده تحت عرش الله عزوجل ثم ضرب رسول الله ﷺ يده على جنب أمير المؤمنين عليه السلام وقال يا علي إن هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي)[1] .

أقول : هذا ظاهر ، وأما تأويله فلم يسعني بيانه لما يطول الكلام .

قال الحديث الرابع والعشرون : ما روي عن الصادق عليه السلام قال (ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام أحب إلي من ولادتي منه ، لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام فرض ، وولادتي منه فضل)[2] .

أقول : قوله عليه السلام ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض لأنه عليه السلام مظهر التوحيد بل نفس التوحيد لأنه ركن التوحيد كما في الزيارة (وأركانا لتوحيده)[3] ولما كان التوحيد فرضا على كل أحد كانت الولاية فرضا على كل أحد لأن التوحيد هو الولاية وولادته من علي عليه السلام جهة ملاحظة نفسه وقال ليس ذلك فرض وإنما هو فضل ولما ثبت أنهم عليهم السلام هم التامون في محبة اللّه ولا يصدق عليهم هذا الاسم على الحقيقة إلا بعد القيام بأداء لوازم المحبة وفروضها وسننها عندهم حال الإتيان على حد سواء بل كل ما يتقرب به إلى المحبة عندهم من الفرائض ، ذكر فرض ولايته عليه السلام على نفسه وهكذا حكم سائر الناس في أمر الولاية فإنها فرض على كل موحد فإن الولاية هي التوحيد والتوحيد واجب على كل أحد ولأجل ذلك وجب أن لا تخلوا الأرض من حجة فيها لأن الحجة عبارة عن صاحب الولاية المطلقة ولا

---

(١) الأمالي للمفيد ٢٩٤

(٢) الفضائل ١٢٥

(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة

بد من عدم خلوه من الأرض كي ما أن زاد المؤمنون ردهم وأن نقصوا أنه لهم وهذا معنى ما قاله عليه السلام إن الولاية فرض والنبوة سنة لجواز خلو الزمان عن النبي صلى الله عليه وآله ووقوع الفترات في الدنيا ولا كذلك أمر الولاية فافهم .

قال الحديث الخامس والعشرون عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله (يا علي لو أن عبدا عبد الله مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ومد في عمره حتى حج ألف حجة ثم قتل بين الصفا والمروة ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها أما علمت يا علي أن حبك حسنة لا تضر معها سيئة وبغضك سيئة لا تنفع معها طاعة يا علي لو نثرت الدر على المنافق ما أحبك ولو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك لأن حبك إيمان وبغضك نفاق لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا منافق شقي)[1] .

أقول : لو عمل العامل أضعاف ما قاله صلى الله عليه وآله مائة مرة لم يك ينفعه ذلك العمل ولعلك تقول كيف يصح ذلك وقد قال الله ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾[3] (ومن ، وما) من أدوات العموم وهذا الحديث وأمثاله مخالف لصريح القرآن وقد ورد باتفاق المسلمين أنه قال صلى الله عليه وآله (إِذَا جَاءَكُمْ مِنَّا حَدِيثٌ فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ الله فَمَا وَافَقَ كِتَابَ الله فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَهُ فَاطْرَحُوهُ أَوْ رُدُّوهُ عَلَيْنَا)[4] وهذا الحديث كما تراه مخالف لصريح الكتاب .

فأقول ولا قوة إلا بالله أن للعامل رتبتين في ما يصدر عنه من الأعمال .

الأولى : أن الصادر عنه إنما يصدر من قبوله وقلبه بمعنى استلذاذ قلبه من ذلك العمل .

---

(١) بحارالأنوار ٣٩ / ٢٨٠

(٢) البقرة ٢٨٦

(٣) الزلزله ٧ – ٨

(٤) تهذيب الأحكام ٧ / ٢٧٥

والثانية : إن الذي يصدر عنه إنما يصدر لا عن قبوله وقلبه بحسب الحقيقة بل إنما صدر عنه بواسطة الأعراض الخارجية كما هو معروف عند كل أحد .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن العامل لا يخل إما أن يكون مؤمنا أو كافرا ، وعمل المؤمن لا بد أن يكون خيرا والكافر بعكس ذلك ، فالعامل لعمل الخير بقلبه وبحسب قبوله في الحقيقة لا يكون إلا مؤمنا فيجب أن يكون محبا لأمير المؤمنين عليه السلام ، والفاعل للشر بقلبه وحقيقة لا يكون إلا كافرا ، فلا يصدر من المؤمن إلا الخير ولا من الكافر إلا الشر هذا بحسب الحقيقة والباطن ، وما يصدر عنهما بواسطة الأعراض فإنه أمر عرضي لا تأصل له إلا بإلحاقه بأصله فالعمل الصالح الصادر عن الكافر والمنافق إنما صدر عنه بواسطة مخالطته ولطخه بالمؤمن وينبغي أن يلحق هذا العمل بأصله ويعطى للمؤمن والعمل السيئ الصادر عن المؤمن إنما صدر عنه بواسطة اللطخ الحاصل بينه وبين الكافر فينبغي أن يرد هذا الفرع إلى أصله لأنه لا يقوم إلا بأصله ، وهذا صريح قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾[1] وقوله ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ** ﴾[2] وليس هذا مخالفا للآيات المذكورة أعني قوله تعالى ﴿ **لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[3] فإن ذلك في الأمور الصادرة عنه بحسب الحقيقة والقبول لا بواسط الأعراض الخارجية فإنها ليست منه فلو أن الكافر أفنى عمره في طاعة اللّه لم يك تنفعه أبدا لأن الطاعة ليست من حقيقته وقبوله لأن حقيقة الأدبار عن اللّه والطاعة عبارة عن الإقبال إليه وهما ضدان لا يجتمعان في رتبة واحدة فافهم .

بقي شيء يجب عليه التنبيه وهو أن ذلك الكافر المنافق العامل للحسنات يخفف عنه باعتبار حامليته للحسنات في عالم الدنيا والبرزخ لأن الدنيا

(١) هود ١١٤
(٢) العنكبوت ١٣
(٣) البقره ٢٨٦

والبرزخ فيهما جريان أحكام الأعراض دون أحكام القلب وأحكام القلب إنما تجري في القيامة والآخرة فتفطن وسيجيء تفصيل ذلك أن شاء اللّه في مسألة المعاد .

قال الحديث السادس والعشرون :ما روي عن مولاتنا فاطمة الزهراء قالت: قال رسول الله ﷺ (هذا جبرئيل يخبرني أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا في حياته وبعد موته وإن الشقي كل الشقي حق الشقي من أبغض عليا في حياته وبعد وفاته)[1] .

قال الحديث السابع والعشرون :ما روي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله خلق خلقا لا هم من الجن ولا من الإنس يلعنون مبغض علي عليه السلام قيل يا رسول الله من هم قال القنابر ينادون في السحر على رءوس الأشجار ألا لعنة الله على مبغض علي بن أبي طالب عليه السلام)[2] .

أقول : نعم ذلك حق لا ريب فيه وأريد أنبئك أيها الناظر على شيء لم يذكر في كتاب ولم يجبر في خطاب فإذا فزت به فقد فزت بالنصيب من العلي والرقيب واذكرني بالخير وهو أنه ليس شيء في الوجود إلا ويلعن مبغضي علي ابن أبي طالب حتى أن أعداءه ومبغضيه يلعنون أنفسهم وهم لا يشعرون بلسان حالهم ومقالهم ، لأن ما في الوجود مما أطلق عليه اسم شيء من جميع أنواع الحيوانات والنباتات والجمادات وسائر المخلوقات لا يغفل عن ذكر اللّه طرفة عين بحسب الباطن وكلهم يسبحونه ويقدسونه ويمجدونه بحسب اختلاف لغاتهم لقوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**

(١) الأمالي للصدوق ١٨٢
(٢) بحارالأنوار ٣٩ / ٢٥١

وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1] فالنكرة في سياق النفي تفيد العموم ، يعني كل ما يطلق عليه اسم شيء فهو يسبح بحمده وقد عرفت سابقا وستعرف أيضا إنشاء اللّه أن القديم سبحانه لا يقع محلا لتسبيح الحوادث وتنزيههم إياه بل محلها لا تكون إلا المقامات والعلامات من دون ملاحظة المقامات والعلامات ، كما أنك تقول لزيد يا قائم فإن قائم صفة زيد الذي ظهر بالقيام والقيام هي مقامات تعريفه لك فلا تعرفه إلا بقيامه وليس القيام عين ذاته بل إنما هي خلقه فتقه ورتقه بيده بدؤه منه وعوده إليه فهي سبيلك إلى زيد ولست تتجاوز عنها أبدا ، لكن حيث تقول يا قائم لا تعني به إلا زيد ولا يقع هذا التوجه إلا إلى القيام فعند ما تعني زيدا لا تلتفت إلى القيام أبدا مع أنك لا تتوجه إلى زيد إلا بواسطة القيام بل الذي أنت عرفته من القائم هو القيام لا ذات زيد ، فكذلك الأسماء الإلهية لا تقع إلا على المقامات والعنوانات إلا أن المراد والمقصود هو الرب المعبود وتلك المقامات هي مراتب الأئمة عليهم السلام وستعرف ذلك سريعا أن شاء اللّه ، لأنهم آيات معرفته ومقامات وحدته قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[2] وقال أمير المؤمنين عليه السلام (فأي آية في الآفاق غيرنا أراها اللّه أهل الآفاق)[3] وقال عليه السلام (وأي آية أعظم مني)[4] فالأذكار والتسبيحات إنما تقع عليهم وبهم ومنهم وهذه التسبيحات كلها هي ذكر اللّه وذكر اللّه هي ذكرهم ، وذكرهم هي الإقبال إليهم والإقبال إليهم يستلزم الإدبار عما سواهم والإدبار هي البعد عن الرحمة التي هي الإقبال على اللّه فهي اللعن لأن اللعن عبارة عن البعد عن الرحمة فكل ما تراه بذكرهم وذكرهم مستلزم للعن أعدائهم ولكن لا يشعرون .

---

(١) الإسراء ٤٤

(٢) فصلت ٥٣

(٣) بحار الأنوار ٢٥ / ٣٧٥

(٤) قصص الأنبياء للجزائري ٩٠

فلعلك تقول أنّا نرى بالبداهة أنهم يوالون أعداءهم ويتبرءون عنهم فكيف يصح ذكرهم لهم .

فأقول : إن الأعداء لا يوالون الغير إلا لتوهم تخيل الولاية في من يوالوه فهم يوالونهم لأجل الولاية لا غير فذكرهم لهم يرجع إلى الولاية كما أن عبدة الأصنام لا يعبدونها إلا لتخيل الربوبية في الأصنام فهذه العبادة في الحقيقة راجعة إلى الرب المطلق ولكنهم يعاقبون ويخلدون في النار لأجل الدخول من غير الباب الذي أمرهم اللّه سبحانه قال اللّه سبحانه ﴿ **لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا** ﴾ فلو أنهم دخلوا البيت من أبوابها لفازوا بالنعيم الأبدي والفوز السرمدي ، فكذلك أحوال الأعداء فإنهم يلحدون في أسمائه ويتقربون إليه بولاية الأعداء لتوهم كون الولاية فيهم فهم لم يدخلوا البيوت من أبوابها فيعذبون ويخلدون في النار .

فإذا عرفت ذلك عرفت أن الأشياء كلها يذكرونهم وذكرهم هي اللعن على أعدائهم لأن التبري عن الأعداء هي لازمة للتولي فافهم .

قال الحديث الثامن والعشرون :ما روي عن أحمد بن مظفر العطار قال : قال النبي ﷺ (يا علي لا تبال بمن مات وهو مبغض لك فمن مات على بغضك مات يهوديا أو نصرانيا)[1] .

أقول : أما ظاهره فظاهر وأما حقيقته فهو بيان لكفر أعدائه والخطاب فيه لعلي عليه السلام خطاب لشيعته عليه السلام من قبيل إياك أعني وأسمعي يا جاره فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي يعرف منازل أوليائه وأعدائه ومآل أمورهم بتعليم اللّه سبحانه ولا يحتاج إلى إظهار هذا المطلب إلا أن نقول بالترتب الوجودي على أن كل شيء من الأشياء الذي يعلمه فهو من تعليم النبي ﷺ لأن النبي ﷺ مقدم عليه الوجود والفيض لا بد أن يصل إليه ثم منه إلى غيره

(١) إرشاد القلوب ٢ / ٢٣٦

لأن الضرورة قاضية ببطلان الطفرة ، فكل ما يعلم علي عليه السلام فهو بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا حق لا ريب فيه .

وعلى تقدير كون الخطاب للشيعة فيصح أيضا لأن شرط الولاية ولاية من والاهم ومعاداة من عاداهم قال : قال مولانا الرضا عليه السلام (الاسم على أربعة الأول لا إله ألا الله والثاني محمدا رسول الله والثالث أمير المؤمنين والأئمة أولياء الله والرابع أوالي من والوا وأعادي من عادوا) نقلته بالمعنى فمن شرط الولاية ولاية من والاهم فإذا لم يكن مواليا لمن والاهم لم يكن مواليا لهم في الحقيقة ونعم ما قيل :

لقد علمت بالغيب أن لا أحبها　　إذا أنا لم يكرم عليّ كريمها

وإذا لم يكن مواليا لأوليائهم لم يكن مواليا لهم فيكون من المنكرين لهم ومن أنكرهم فقد أنكر الله ومن أنكر الله فهو على حد الشرك بالله فاحتفظ هذا إن كنت من أهله .

قال الحديث التاسع والعشرون : ما روي عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (يقول الله عز وجل من آمن بي وبنبيي وتولى عليا أدخلته الجنة على ما كان من عمله)[1] .

أقول : هذا ظاهر .

قال الحديث الثلاثون :ما روي عن ابن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وآله (حُرِّمت النار على من آمن بي وأحب عليا وتولاه، ولعن الله من عادى عليا وناواه علي مني كجلدة ما بين العين والحاجب)[2] .

أقول : يريد بذلك أن عليا جزء منه لأنه هو نفسه التي بين جنبيه لأن الجلدة التي هي بين العين والحاجب من متممات العين والحاجب وبعلي يتم النبي وأموره صلى الله عليه وآله .

(١) الأمالي للطوسي ٣٦٦

(٢) الأمالي للطوسي ٢٩٥

قال الحديث الحادي والثلاثون :ما روي عن جابر قال : قال النبي ﷺ (من أحب أن يجاور الجليل في داره ويأمن من حر ناره فليوال علي بن أبي طالب عليه السلام)[1]، ونقل عن جابر أنه كان يقول في مجالس الأنصار (علي خير البشر من أباه فقد كفر)[2] .

أقول : لأنه عليه السلام نفس الرسول والرسول هو خير البشر فعلي هذا يكون علي خير البشر .

قال الحديث الثاني والثلاثون : ما روي عن طلحة بن زيد عن مولانا جعفر الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله يقول بشر أخاك عليا بأني لا أعذب من تولاه ولا أرحم من عاداه)[3] .

قال الحديث الثالث والثلاثون : ما روي عن زرين قال : قال رسول الله ﷺ (إن عليا مني وأنا منه من آذى عليا فقد آذني)[4] .

أقول : كل ذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان وأما حقيقته فيطول بها البيان .

قال الحديث الرابع والثلاثون : ما روي عن أبن مسعود قال : قال النبي ﷺ (اعلم أن الله خلقني وعليا من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرضين وأنا والله أجل من السماوات والأرضين وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي وعلي بن أبي طالب والله أفضل من العرش والكرسي وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم والحسن والله أفضل من اللوح والقلم وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين والحسين والله أفضل من الحور العين ثم أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة فتكلم الله جل جلاله كلمة فخلق منها روحا ثم تكلم بكلمة

---

(١) بحار الأنوار ٣٩ / ٢٤٧

(٢) أمالي الصدوق ٧٦

(٣) أمالي الصدوق ٣٩

(٤) أمالي الطوسي ١٣٣

فخلق من تلك الكلمة نورا فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش فزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة الزهراء ولذلك سميت الزهراء لأن نورها زهرت به السموات يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله ليول علي أدخلا الجنة من شئتما وأدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ فالكافر من جحد نبوتي والعنيد من جحد بولاية علي بن أبي طالب وعترته والجنة لشيعته ولمحبيه)[1].

أقول: هذا حديث غريب مشكل جدا إلا أني أشير إلى بعض ما أراد ﷺ فقوله ﷺ (فتق نوري فخلق منه السماوات والأرضين) يريد أنه خلق الله من شعاعه يعني أثره لأن النور أثر للمنير وليس النور هو النور الذي هو عين ذات النبي ﷺ ليس ذاته مادة لوجود السماوات والأرضين ، وهذا صريح في أنه علة الفاعلية لخلق السماوات والأرضين لأن علة الفاعلية للنور ليس إلا المنير ، ألا ترى للشمس وأشعتها والنار وإحراقها فإن الشمس هي العلة لوجود الشعاع وليست هي علة مادية كما هو ظاهر ولا الصورية ولا الغائية كما هو ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، فليست هي إلا العلة الفاعلية وقولي هي العلة الفاعلية لوجود السماء والأرض ليس مرادي أنه علة مستقلة بل لما كان هو محل المشية صح مجازا أن يقال له العلة وكذلك الشمس لما كانت محل مشية اللّه في خلق الشعاع سميت عليه فاعلية لوجود الشعاع مجازا لأن العلة المستقلة الحقيقية في خلق الأشياء ليست إلا المشية ، كما قال علي عليه السلام(خلق اللّه المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية)[2] وقال (علة ما صنع صنعه وهو لا علة له) فهو عليه السلام بهذا المعنى علة فاعلية وستعرف ذلك سريعا إنشاء اللّه ، لكن الأشكال في هذا الحديث الشريف في أن السموات والأرضين مخلوقة من نور النبي والعرش والكرسي من نور علي مع أن الأمر كان ينبغي أن يكون بالعكس لأن العرش والكرسي أشرف من السموات

---

(١) بحار الأنوار ٤٠ / ٤٣

(٢) التوحيد ١٤٧

والأرضين وكـذلك النبي أشـرف من علي عليه السلام ، وهكذا اللوح والقلم أشـرف من العـرش والكرسي وقـد خلقـا من نور الحسن وكـان العكس أولـى يعني أن يكون مـخلوقـا من نور أمـيـر المؤمنين لأن اللوح والقلم أشـرف من العـرش والكرسي وهكذا سائر ما خلق من نورهم وهذا الترتيب خلاف ما ورد عنهم عليهم السلام وإذا فطنت بما أقول فقد انحلت المشاكل عليك ، ولا قوة إلا بالله .

اعلم أن هذا التـرتيب ليس على النظام الأصلي الذي هم عليـه في أول الخلقة لكن لما كان النبي صلى الله عليه وآله هو الذي ظهر بالنبوة خاصة وما ظهر بالولاية وإن كانت للولاية المطلقة له في الحقيقة ومنه كانت لعلي عليه السلام ومرتبة النبوة أدنى من مرتبة الولاية ، كان المناسب أن يخلق السموات والأرضين من نوره وذلك يحكى مـرتبـة نبـوته خـاصـة إذ لم يظهـر بالولاية ، ولما كـان أمـيـر المؤمنين عليه السلام هو الذي ظهر بالولاية المطلقة التي هي لمحمد صلى الله عليه وآله فكان الأنسب أن يخلق العرش والكرسي من نوره لأن العرش والكرسي همـا من نور واحد ومظهر عالـم الولاية والكرسي هو تفصيل العرش مجملا والكرسي تفصيله خلقا من نور علي عليه السلام وهذه الفضيلة التي هي لعلي عليه السلام إنما هي من محمد صلى الله عليه وآله ومعنى ما قلت يظهر من قوله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبدالله الأنصاري ما معناه (كـان نبيك يا جابر يطوف حول جلال القـدرة ثمـانين ألف سنة ، فنزل إلى جلال العظمة ، فخلق منه نور علي عليه السلام فكان نوري يطوف حول العظمة ونور علي يطوف حول جلال القدرة فجلال القدرة هي الولاية وجلال العظمة هي النبوة)[1] فهو صلوات الله عليه ظهر بالنبوة في هذا العالم وآية ذلك يظهر من رفعه عليه السلام على كتفه لكسر الأصنام كما أشرنا إليه سابقا فتبصر .

ثم لما كان الحسن هو مظهر سؤدده وجلاله خلق منه نور اللوح والقلم لأن

(١) بحار الأنوار ٢٥/٢٢

الحسن هو ظهوره ﷺ بهذه المرتبة وفي الحقيقة الكل مخلوق من نور محمد ﷺ وكذلك الحسين عليه السلام فهو أيضا مظهر له صلوات اللّه عليه في مقام خلقه الجنان والولدان والزهراء مظهر لإشراق السموات والأرضين فتخصيص خلقة اللوح والقلم من نور الحسن عليه السلام لأجل أنه ﷺ أنحله مقامه ورتبته اليمنى في الولاية واللوح والقلم أعلى مراتب الوجود المقيد وهما ملكان عن يمين العرش الذي هو مظهر الولاية التي لأمير المؤمنين عليه السلام .

وتخصيص خلق الجنان والحور العين بالحسين عليه السلام فلأنه أنحله مقامه ورتبته اليسرى في الولاية وإن كان كلتا يديه يمين ، والجنان والحور أسفل من اللوح والقلم لأنهما على يسار العرش أعني الكرسي فإن الجنان في الكرسي وعرش الرحمن سقف الجنان فينبغي أن يخلق من نور الحسين عليه السلام وذلك علم من فعل النبي ﷺ حين كان يجلس الحسن عليه السلام على يمينه ويجلس الحسين عليه السلام على يساره وهما مظهران ليمينه ويساره وكلتا يديه يمين ، وما ظهر في الوجود فإنما ظهر بيديه ويداه الحسن والحسين عليهما السلام والجامع لهما هو علي عليه السلام .

وقوله ﷺ (ثم أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى اللّه تعالى أن يكشف عنهم . . . الخ) يريد ﷺ أن هذه الأشياء كلها لما خلقت من فاضل نورهم عليهم السلام اظلمت عند ملاحظة نفسها من حيث نفسها لأن الشيء كما عرفت سابقا مخلوق من نور وظلمة يعني من مادة وصورة ، فالمادة هي النور لأنها من فاضل طينتهم وهي تحكي أنوارهم فلذا كانت نورانية ، والصورة هي الظلمة لأنها انفعال تلك المادة أي نظرها إلى نفسها وهي جهة مخالفتها عن حكاية المبدأ فلذا صارت ظلمانية ، فالملائكة لما كانوا روابط الفيض بين الغيب والشهادة أي النور والظلمة شكوا إلى اللّه أن يكشف عنهم تلك الظلمة التي هي جهة النفس من حيث نفسها بانصباغها

بالمادة النورانية لتكون مستنيرة بذلك الصبغ ، فتكلم اللّه جل جلاله كلمة وهي كلمة كن أي المشية فخلق منها روحا أعني نسبة الازدواج التي وقعت بين فاطمة وبين علي عليهما السلام ، فالروح هو الازدواج وفلك الجوزهر الذي يتحصل من تقاطع فلك الشمس أعني أمير المؤمنين عليه السلام وفلك القمر أعني فاطمة سيدة نساء العالمين ، لأن الرجل مقامه مقام المادة التي هي هنا الحرارة ولذا كان شمسا والمرأة مقامها الصورة التي هي هنا البرودة ، ولذا كانت قمرا لأن القمر مقام الصورة وأيضا ، أمر كن لأن كل واحد من المفاعيل بأسرها مخلوق بأمره ومشيته ورؤس المشية تختلف باختلاف المتعلقات فالرأس المتعلق بزيد مثلا ليس متعلقا بعمر وكذلك كل الأشياء فإن رؤوس المشية تختلف باختلاف المشاءات ، وهذه الرؤوس أعني وجوه الفعل هي تأكيد الفعل يعني أول ما صدر عن الفعل أعني المفعول المطلق فإنه تأكيد الفعل كقولك ضربت ضربا فإنه في حكم ضربت ضربا ولما كان المفعول المطلق حاكيا للفعل سمي باسمه وتحلى بحليته لأجل الحكاية ، فلذا قلنا أنه هو الفعل بمعنى المفعول يعني هو الأمر المفعولي وليس هنا محل تحقيق هذا الكلام .

وبالجملة فخلق من تلك الكلمة نورا يعني به فاطمة صلوات اللّه عليها فأضاف النور إلى تلك الروح أي أضاف فاطمة بازدواج أمير المؤمنين عليهما السلام وأقامها مقام العرش باعتبار أنها حاملة لنور علي الذي مقامه مقام العرش ، ولعلك تقول أن الازدواج أمر نسبي لا يتحقق إلا بعد تحقق الطرفين فكيف يصح أن يكون مقدما خلق هذه الازدواج على خلق فاطمة ، فأقول أن هذه النسبة مع خلقها عليها السلام متساوقة وهذا التراخي لأجل الرتبة لا غير ذلك ولما كانت هذه النسبة مرتبطة بهما أي لها تعلق بأمير المؤمنين صلح أن تتقدم على فاطمة في التعبير لأن أعلاها مرتبطة بأمير المؤمنين عليه السلام

وأسفلها بها كما في الفلك الجوزهر بين الشمس والقمر ، ولذلك خلق اللّه العرش والكرسي من نوره فزهرت المشارق والمغارب بنور فاطمة عند ازدواجها من أمير المؤمنين عليهما السلام لأن نور السموات والأرضين من العرش فأضاء العرش الذي هو أمير المؤمنين العالم بنوره بواسطة فاطمة عليها السلام فهي أي ذلك النور مع الروح المضافة إليه فاطمة الزهراء ولذلك سميت زهراء لأن نورها زهرت به السماء .

وقوله ﷺ (يا بن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول اللّه جل جلاله لي ولعلي أدخلا الجنة من شئتما . . . الخ) ، يريد أن اللّه فوض إليهم أمر الجنة والنار فيدخلون الجنة من شاء اللّه ويدخلون النار من شاء اللّه ومع هذا التفويض ليس لهم من الأمر من شيء لأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون فاللّه يأمرهم بإدخال الناس في منازلهم في الجنة والنار وذلك قوله تعالى (ألقيا) يا محمد ويا علي (في جهنم كل جبار عنيد) فانظر أيها المنصف كيف صرح ﷺ أن أنوارهم هي العلة الفاعلية لخلق العالم لكن بالمعنى المجازي الذي ذكرنا وسيجيء لهذا زيادة بيان إن شاء اللّه تعالى .

قال الحديث الخامس والثلاثون: ماروي عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ جبرائيل عليه السلام هبط على يوم الأحزاب وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إني قد افترضت حب علي بن أبي طالب عليه السلام ومودّته على أهل السماوات وأهل الأض فلم أغذب في محبته أحدا فمر أمتك بحبه فمن أحبه فبحبي وحبك أحبك ومن أبغضه فببغضي وبغضك أبغضه، أما إذا ما أنزل الله كتابا ولا خلق خلقا إلا وجعل له سيدا فالقرآن سيد الكتب المنزلة وشهر رمضان سيد الشهور وليلة القدر سيدا لليالي والفردوس سيد الجنان وبيت الله الحرام سيد البقاع وجبرائيل سيد الملائكة وأنا سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولكل امرء من عمله

سيد وحبي وحب علي بن أبي طالب عليه السلام سيد الأعمال وما تقرب به المتقربون عن طاعة ربهم)[١] .

أقول : ظاهر الحديث فظاهر وأما حقيقته وأسرار ما فيه وخصوصية هذه الأمور فعلى ما أفهم ولا قوة إلا باللّه ففيه أسرار غريبة يحتاج إلى بسط في المقام وذلك يبعدني عن المرام ولو وفقني اللّه سبحانه لأكتب له رسالة مفردة .

قال الحديث السادس والثلاثون : ما روي عن أبي ذر قال (كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم في منزل أم سلمة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثني وأنا أسمع إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام فأشرق وجهه نورا فرحا بأخيه وابن عمه ثم ضمه إليه وقبل بين عينيه ثم التفت إلي فقال يا أبا ذر أتعرف هذا الداخل علينا حق معرفته قال أبو ذر فقلت يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك وزوج فاطمة البتول وأبوالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا ذر هذا الإمام الأزهر ورمح الله الأطول وباب الله الأكبر فمن أراد الله فليدخل الباب يا أبا ذر هذا القائم بقسط الله والذاب عن حريم الله والناصر لدين الله وحجة الله على خلقه إن الله عزوجل لم يزل يحتج به على خلقه في الأمم كل أمة يبعث فيها نبيا يا أبا ذر إن الله عزوجل جعل على كل ركن من أركان عرشه سبعين ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلا الدعاء لعلي وشيعته والدعاء على أعدائه يا أبا ذر لولا علي ما بان حق من باطل ولا مؤمن من كافر ولا عبد الله لأنه ضرب رؤوس المشركين حتى أسلموا وعبد الله ولولا ذلك لم يكن ثواب ولا عقاب ولا يستره من الله ستر ولا تحجبه من الله حجاب وهو الحجاب والستر)[٢] .

أقول : أما أنه باب اللّه فقد صرحت به الأخبار المستفيضة ومعناه أن

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٨٢٩

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٨٣١

الفيض من جانب اللّه يصل أولا إليهم ومن لديهم يصدر إلى سائر الخلق فهو باب اللّه الذي لا يؤتى إلا منه ، وهو باب الخلق فلا يصل شيء إلى اللّه إلا به فهو باب الحق إلى الخلق وباب الخلق إلى الخلق إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليه ويصدر من بيته الصادر عما فصل من أحكام العباد كما في الزيارة وكونه بابا للّه في أحد مقاماته لأن الأئمة عليهم السلام لهم مقامات أربع .

المقام الأول : مقام البيان فهذا المقام رتبة المقامات التي هي آيات اللّه سبحانه وبها يعرف اللّه قال مولانا الحجة عجل اللّه فرجه ورزقنا توفيق طاعته (ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك)[1] وقال الصادق عليه السلام (لنا مع اللّه حالات فيها نحن هو ، وهو نحن ، ولكن هو هو ونحن نحن) قال عليه السلام (بِنَا عُرِفَ اللهُ)[2] فلا فرق بينهم وبين اللّه في مقام التعريف ، والتعرف لا في مرتبة الحقيقة والذات لأن اللّه أجل أن يشبه شيئا أو يشبهه شيء فالمقامات هي معنى قولنا لا إله إلا اللّه فإن اللّه سبحانه لما خلق الخلق لأجل المعرفة عرف نفسه الخلق ببيان مقالي وهو قولنا لا إله إلا اللّه فإن هذه الكلمة تألفت من حروف على هيئة ما تفيد معنى التوحيد من دون ملاحظة الكلمة وتأليفها فإنك إذا قلت لا إله إلا اللّه لم تكن ملتفتا إلى نفس الحروف وكونها مؤلفة ومركبة ولذلك تدلك على التوحيد فقول لا إله إلا اللّه هو مقام التوحيد في الوصف المقالي ، وبيان حالي أي عرف نفسه لهم ببيان حالي لإكمال الحجة ولأن الوصف الحالي أجلى من المقالي والجمع بينهما أكمل وأجلى فاللّه سبحانه لا يعدل عن الأكمل إلى غير الأكمل فوصف لهم

(١) البلدالأمين ١٧٩ومقاماتك

(٢) الكافي ١ / ١٤٥بنا عرف الله

نفسه بالوصف الحالي وهو تأليف أجزاء الأشياء كلها على هيئة تفيد التوحيد عند عدم ملاحظة الأشياء نفسها فهي تدل على اللّه بهذه الملاحظة أعني عدم ملاحظة حدودها كما قال أمير المؤمنين لكميل بن زياد النخعي (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ففي هذه الملاحظة لا فرق بين اللّه وبين الأشياء في التعريف والتعرف إلا أن الأشياء كلها خلقه وعباده فتقها ورتقها بيده بدوها منه وعودها إليه كقولك زيد قائم فإن زيدا ألقى في هوية القيام مثاله أعني القائمية فأظهر عنها أفعاله أي في مقام التعريف لعدم الفرق بين القائم وزيد في المعرفة ، والقائم هو الصفة التي ألفها زيد بفعله على هيئته تدل على زيد فإنك متى ما تقول يا قائم لا تعني به إلا زيدا مع أن القائم ليس هو زيد لانفكاكه عن زيد عند اتصافه بسائر صفاته ولو كان هو زيدا لاستحال انفكاكه عنه ولوجب فقدان زيد عند فقدانه ، فثبت أن قائم ليس هو ذات زيد بل إنما هو مثاله الملقى في هوية اتصافه ليظهر به لغيره وهو عبده وخلقه ، ولما كانت الأشياء واقعة في السلاسل الطولية والعرضية كان الذي هو أعلى مراتب سلسة الوجود أظهر في مقام التعريف والتعرف بالنسبة إلى من دونه ، وليس في سلسلة الوجود أعلى مرتبة من مرتبة الأئمة فكانوا هم الأصل ففي هذا المقام هم الآيات والعلامات الظاهرة للخلق فافهم .

المقام الثاني : مقام المعاني وفي هذا المقام هم عليهم السلام معاني أفعاله فإنه سبحانه هو الظاهر وهم ظهوره وهو الرحيم وهم رحمته وهو الكريم وهم عليهم السلام كرمه وكذلك ساير صفات أفعاله فإنهم عليهم السلام معاني تلك الأفعال يعني أن هذه الصفات أعني الأسماء متقومة بهم عليهم السلام قيام ركن وتحقق يعني لا تقوم تلك الأسماء إلا بهم ولذلك قالوا (نحن

الأسماء الحسنى)[1] لأنها قائمة بهم قيام ركن ، والركن هو جزء مقوم الشيء ففي هذه الملاحظة هم عليهم السلام مبادئ اشتقاق أسماء الأفعال والصفات وقد بينا في غير موضع من رسائلنا من أن المشتق عبارة عن انضمام المبدأ بقيود خارجة يعني أن المشتق عبارة عن تعين المبدأ فهم عليهم السلام مبدأ صفات أفعاله ومظاهرها وظهورها ، ولذا كانوا أسماء اللّه الحسنى وصفاته العليا ، ففي هذه الرتبة هم عليهم السلام حجابه الذي احتجب به عن غيره وظهر به لغيره كما في الروايات والزيارات (نحن الحجاب الأعلى) وأيضا (وصلى اللّه على محمد المنتجب وعلى أوصيائه الحجب) وكما في هذا الحديث الشريف وبالجملة معاني أفعاله أعني مقوم الصفات الفعلية هم عليهم السلام .

والمقام الثالث : مقام الأبواب ، يعني الذي يوصل إلى الخلق من أمور معاشهم ومعادهم ومعرفتهم وما لهم وبهم وفيهم ومنهم فهو يصل إليهم بواسطة الأئمة وهذا المعنى وارد في كثير من الروايات والزيارات .

والمقام الرابع : مقام الإمامة الظاهرية في الخلق وبيانه مشحون في كتب الروايات ، وهذه المقامات الأربعة وبيانها مأخوذ من الرواية التي ذكرها جابر بن يزيد الجعفي رحمه اللّه عن علي بن الحسين (عليهما السلام) في حديث طويل قال فيه (يا جابر أو تدري ما لمعرفة ؟ المعرفة إثبات التوحيد أولا ، ثم معرفة المعني ثانيا ، ثم معرفة الأبواب ثالثا ، ثم معرفة الإمام رابعا ، . . . إلى أن قال . . . يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني ، أما إثبات التوحيد فمعرفة اللّه القديم الغاية الذي تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيب باطن كما وصف به نفسه ، وأما المعني فنحن

(١) بحار الأنوار ٢٥ / ٤

معانيه وظاهره فيكم اخترنا من نور ذاته وفوض علينا أمور عباده)[1] الحديث .

ذكرنا منه موضع الحاجة فكونهم (عليهم السلام) هم البيان أعني التوحيد قلنا لا فرق بينهم وبين الحق في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات وسائر المراتب ظاهرة بعدما ذكرنا ، فافهم إن كنت تفهم وإلا فاسلم تسلم .

وقوله ﷺ (وحجة اللّه على خلقه إن اللّه لم يزل يحتج به على خلقه في الأمم كل أمة يبعث فيها نبيا . . .الخ) ، فمراده أنه عليه السلام لم يزل مع الأنبياء بالسر والباطن وكان يسددهم كما ورد ذلك في الروايات من أنه عليه السلام كان مع آدم وكان في سفينة نوح وسبب نجاته ومع إبراهيم وبه كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم ومع موسى وبه غلب على فرعون وسائر أعدائه ومع عيسى وبه رفع إلى السماء ومع جميع الأنبياء والمرسلين ، وكان يسددهم ويمدهم ويعطيهم ما لهم وبهم ومنهم وإليهم في جميع أحوالهم ونعم ما قال السيد السند السيد محمد :

به قامت الأشياء عن وجه حكمة　　　كما ينبغي كل على وفق ذاته

وباقي الحديث ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

قال الحديث السابع والثلاثون : ما روي عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول (في علي بن أبي طالب خصال لأن يكون في إحداهن

---

(١) الحديث كما روي في بحارالأنوار ٢٦ / ١٣ - ١٤ هو هذا قال عليه السلام (يا جابر أ و تدري ما المعرفة المعرفة إثبات التوحيد أولا ثم معرفة المعاني ثانيا ثم معرفة الأبواب ثالثا ثم معرفة الأمام رابعا ثم معرفة الأركان خامسا ثم معرفة النقباء سادسا ثم معرفة النجباء سابعا و هو قوله تعالى لَوْ كانَ الْبَحْرُ مداداً لكَلمات رَبِّي لَنَفدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمثْله مَدَداً و تلا أيضا وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَة أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفدَتْ كَلماتُ اللَّه إنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ يا جابر إثبات التوحيد و معرفة المعاني أما إثبات التوحيد معرفة الله القَديم الغائب الذي لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ و هو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه و أما المعاني فنحن معانيه و مظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته و فوض إلينا أمور عباده) .

أحب إلي من الدنيا وما فيها)[1] .

أقول : يريد بيان عظم تلك الخصال وأن كل واحدة منها أعظم من الدنيا وما فيها لا أنه صلوات اللّه كان فاقدا لتلك الخصال ، كيف وليس في علي شيء إلا منه ولم يرد عليه شيء إلا أن يصدر عنه ، فهو صاحب الكمالات والآيات الباهرات وعلي حاملها ، وبالجملة هذه الخصال الموجودة فيه عليه السلام أعظم مما في الدنيا والآخرة ، نعم يمكن أن يقال في علي عليه السلام خصال لم تكن في محمد صلى الله عليه وآله في مرتبة التفصيل لأنه صلوات اللّه عليه مقامه مقام الإجمال ومقام علي عليه السلام مقام التفصيل ، ولذلك قال أمير المؤمنين في الخطبة التطنجية (علمني علمه وعلمته علمي) وآية ذلك القلب والكبد فإن غذاء القلب من الكبد لأن الغذاء بعد أن يصير كيموسا في الكبد يتصاعد منه الأخلاط الأربعة على التدريج ويغذي البدن بواسطة الأوردة وهكذا يتصاعد منه إلى القلب والقلب يتغذى مما يغذيه الكبد والقلب يمد الكبد من الحياة والبقاء وذلك مشروح في الطب .

وبالجملة : إن مقام أمير المؤمنين عليه السلام مقام التفصيل ومقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله مقام الإجمال ، فعلى هذا يكون النبي صلى الله عليه وآله فاقدا لمرتبة التفصيل الموجود في أمير المؤمنين عليه السلام ، وإن كان هذا التفصيل هو من ذلك الإجمال يعني هو تنزل المجمل ، وأيضا أنه عليه السلام كانت زوجته فاطمة صلوات اللّه عليها وليس النبي صلى الله عليه وآله له زوجة كزوجته لأنها خير نساء العالمين ، فعلى هذا يجوز للنبي صلى الله عليه وآله أن يتمنى ذلك وإن كان له ذلك . فافهم

قال الحديث الثامن والثلاثون : ما روي عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وآله (علي مني مثل رأسي من بدني)[1] .

(١) الأمالي للطوسي ٣٦٢

أقول : يريد أنه عليه السلام وجهه الذي به يعرف لغيره لأن البدن لا يعرف إلا بالرأس ، فالرأس أيضا به قوام البدن وهو أشرف أجزاء البدن ، لكن البدن بتمامه أشرف من الرأس فلا يكون أمير المؤمنين عليه السلام أشرف من خاتم النبيين .

قال الحديث التاسع والثلاثون : ما روي عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وآله (علي خير البشر من شك فقد كفر - وفي رواية - من أبى فقد كفر)[2] .

أقول : لأنه عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله وهو خير البشر فهو خير البشر .

قال الحديث الأربعون : فقرات دعاء الندبة (فلما انقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب صلواتك صلوات الله عليهما وعلى وآلهما هاديا إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد فقال والملأ أمامه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وقال من كنت أنا نبيه فعلي أميره وقال أنا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى وأحله محل هارون من موسى فقال أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وزوجه ابنته سيدة نساء العالمين وأحل له من مسجده ما حل له وسد الأبواب إلا بابه ثم أودعه علمه وحكمته فقال أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة المدينة فليأتها من بابها ثم قال له أنت أخي ووصيي ووارثي لحمك من لحمي ودمك من دمي وسلمك سلمي وحربك حربي والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وأنت غدا على الحوض خليفتي وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي وشيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني ولولا أنت يا علي لم

---

(١) في من لايحضره الفقيه ٣ / ٤٩٣ (عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ فَمَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ) .

(٢) بحار الأنوار ٤٠/٧٧

يعرف المؤمنون بعدي)[1] إلى غير ذلك من الأخبار .

أقول : شرح هذه الفقرات يعرف مما أسلفنا لك فلا نعيد .

قال : اعلم أن فضائل مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام أكثر من أن تحصى ، كما في بعض الأخبار ، ولكن المكلف لا بد أن يحبه علي على وجهه بأن يعتقده عبدا من عباد اللّه ومرؤوسا لرسول اللّه ورئيسا لسائر خلق اللّه ، على سبيل التوسط بين الإفراط والتفريط بأن يكون واليا لا غالبا ولا قاليا .

أقول : كل ذلك حق لا ريب فيه ولا شبهة يعتريه ، لا ينبغي أن يعلوا فيه أحدا أبدا ، لأنه وسائر الأئمة عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ولا ينبغي أيضا لأحد أن يقلوه ، لأنه خير عباد اللّه أجمعين وشافع الخلق يوم الدين ، ولقد ورد عنهم عليهم السلام أنهم قالوا (هلك فينا اثنان محب غال ومبغض قال)[2] وقال مولانا الصادق عليه السلام (لعن اللّه الغلاة قد صغروا عظمة اللّه) الحديث ، لأنه شبه الخلق بالخالق وأتى للعبودية والبلوغ إلى الربوبية ، قالوا عليهم السلام (نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا) .

وبالجملة يجب الاعتقاد بأنهم عليهم السلام مخلوقون مربوبون مرزوقون محتاجون ، لا يستطيعون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ومن لم يقل بذلك فهو منكر لضروري الدين وخارج عن زمرة المسلمين ، فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين .

قال : فلا يوافق الشرع النبوي ما صدر عن الشيخ المعاصر في بعض رسائله في جواب الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن سالم بن طوق ، بعد ما سئل عما ورد أن سيدنا محمدا ووصيه عليا أول الخلق وعلة الموجودات وأنهما كانا

---

(١) إقبال الأعمال ٢٩٦

(٢) في شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٢٠ قال أمير المؤمنين عليه السلام (يهلك فيّ اثنان محب غال ومبغض قال)

نورا واحدا حتى افترقا في صلب عبدالله وأبي طالب ... إلى أن قال ... فما معنى هذا السبق وهذه العلية ؟ وأي العلل هي أ فاعلية أم صورية أم مادية أم غائية أم علل متعددة أم الكل متحدة ؟ وما حقيقة المختار ؟ وما معنى هذا الاتحاد والوحدة أجنسية أم نوعية أم شخصية ؟ وأين محل باقي الأئمة وما نسبتهم من ذلك النور ؟ وعلى كل حال فما معنى هذا الافتراق ؟ وهل تعود تلك الوحدة بعد الافتراق أم لا ؟ ... إلى آخره حيث قال ... أن الوجودات ثلاثة، وجود حق ووجود مطلق ووجود مقيد . والوجود الحق : ذات الواجب مع قطع النظر عن الصفات والوجود . والوجود المطلق : فعل الله ومشيته وإرادته . والوجود المقيد : المفعولات من المجردات والماديات ... إلى أن قال ... والوجود المقيد من الوجود المطلق مثل الوجود المطلق من الوجود الحق، فمراتب الوجود متناسبة صعودا ونزولا، فمحمد ﷺ هوالسراج المنير، والسراج مركب من دهن ونار، فالدهن في السراج هوالاستعداد والنار هي نار المشية والوجود المطلق، ولذا قالوا (نحن مشية الله).

إلى أن قال : فمحض ما قررنا وبينا أن محمدا ﷺ أول ما خلق الله وأنه علة الموجودات فالسبق بهذا المعنى لأن السبق على أنحاء السبق الطبيعي والذاتي والشرفي والمكاني والزماني والسبق الحقيقي وهوتقدم عالم المشية والإبداع على سائر المفعولات إذ هو سبق بكل من هذه الخمسة : المقدمة، وزيادة السرمدية، والسبق الحقي وهوتقدم الواجب على من سواه إذ هو أسبق بكل سبق من الستة المتقدمة وزيادة الأزلية المطلقة .

ثم قال بهذه العبارة : وأما العلة فهي فاعلية كما قال عليه السلام (نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا)[1] كما في قوله ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾[2] وكما قال الله تعالى للعقل الأول الذي هو

عقله (أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل).

وعلة صورية كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله لكميل (نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره) فالنور هوالمشار إليه وصبح الأزل هوالوجود المطلق وعالم المشية وهياكل التوحيد الصور القائمة بمرايا الوجود المطلق، لإنها فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، والآثار مظاهر الوجود المطلق وتجلياته، فإن هيآتها تحكي كينوناته، فالصور صفاته والصفات صفاته بالذات أو بالعرض، فتلوح تجليات الوجود أي تبرز على هيئات تلك الهياكل فجميع الصور صور شئونه عليه السلام وتطوراته وإليه الإشارة بقول علي عليه السلام (وإنا نتقلب في الصور كيف ما شاء الله من رآهم فقد رآني ومن رآني فقد رآهم) فهو العلة الصورية.

أيضا علة مادية لأن الوجودات بأسرها أشعة أنواره ومظاهر أسراره إذ ليس لله نور هو نور الذات لا نور نور الذات إلا هو فكل ما في الكون عكوسات أنواره ومبدأ أصوات خطاباته، فإن جميع ما في الإمكان غيرهم فإنما خلقوا من أشعة أنوارهم فجميع مواد الأشياء من تلك الأشعة والأشياء مركبة من المواد والصور، أما المواد فعرفتها كما قلنا لك وأما الصور فجنسية ونوعية وشخصية وكلها كينونات تلك الأشعة سواء كانت مواد نورية أو مواد عنصرية لأن المواد العنصرية من المواد النورية كالثلج من الماء فظهر أنهم عليهم السلام علة مادية وعلة صورية.

وهوأيضا علة غائية لأن الموجودات بأسرها إنما خلقت لمصالحهم وشئونهم وجميع الخلق أنعامهم وغنمهم كما أشار الصادق عليه السلام في قوله لعبيد بن زرارة (والذي فرق بينكم فه وراعيكم الذي استرعاه الله خلقه وهوأعرف بمصلحة

(١) الغيبة للطوسي ٢٨٥ (نحن صنايع)
(٢) المائدة ١١٠

غنمه في فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها ليأمن .. الخ)[1] ومثله قوله عليه السلام (نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا)[2] على أحد التأويلين وهو أن الله سبحانه صنع لنا الخلق والوجه الثاني تقدم، وأما الوجه المستشهد به هنا فيجري عليه تأويل قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴾[3] .

وقوله سلمه الله أم متعددة، قد تقدم جوابه أنها متعددة في كل شيء بحسبه، أما الباطن فلأنه صلى الله عليه وآله وسلم كما أنه رسول الله إلى خلقه في تبليغ الشرائع والتأديات الشرعية التكليفية دقيقها وجليلها، كذلك هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلقه في تبليغ ذرات الوجود والتأديات التكوينية دقيقها وجليلها .

إلى أن قال ... وأما قوله ما معنى هذا الاتحاد والوحدة فجوابه أن الاتحاد إنما يقال لشيئين قد تحققت فيهما الاثنينية فطرأ عليها الاتحاد والاتحاد قد منع تحققه المحققون وأحاله المدققون، فلا يقال ما هذا الاتحاد إلا مجازا والمراد به على المجاز البساطة وليس المراد بالبساطة عدم الأجزاء وعدم تحقق الشخص، لأن ذلك من صفات الأجسام والجسمانيات ونفوسها المقارنة لها الغير القدسية بل التعدد متحقق في أصل الخلقة إلا أنه تعدد كتعدد الضوء من الضوء فإن السراج إذا اشتعل من السراج ليس بينهما كثرة باعتبار الوحدة الجنسية والنوعية، وأما باعتبار الوحدة الشخصية وباعتبار فعل النبوة وفعل الولاية ومتعلقهما ومقامهما والترتيب إلى غير ذلك من المشخصات فالتعدد موجود

(١) بحارالأنوار ٢ / ٢٤٦ (والذي فرق)
(٢) الغيبة للطوسي ٢٨٥ (صنايع)
(٣) النحل ٨٠

وهو معنى (فقسمه نصفين) تطاولت المدد في العود وعاد كل شيء إلى ما منه بدء حصل بينهما عود مجاورة لا عود ممازجة، وأما محل الأئمة فهو كالشجرة وأغصانها أو ثمرها والشيعة الورق الملتف بالثمر وكالضوء من الضوء .

إلى أن قال في جواب قوله فمتى أنه في الزمان وهو وعاء عالم الأجسام وفي الدهر وعاء عالم الجبروت والملكوت وفي السرمد وهو وعاء المشية وعالم الأمر والإبداع .

أقول : يريد بالشيخ المعاصر ، شيخنا وأستادنا ومن إليه في كل حق استنادنا أعلم العلماء العاملين الراسخين وركن المؤمنين الممتحنين حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الإحسائي أطال اللّه بقاه وجعلني اللّه في كل مكروه ومحذور فداه ، وقوله لا يوافق الشرع النبوي قد كذب وافترى وضل وغوى لأن الذي ذكره أنار اللّه برهانه وأشاد شأنه لا يخالف الشرع النبوي بوجه من الوجوه والمصنف لا يفهم شيئا مما ذكره أطال اللّه بقاه وكلامه جعلني اللّه فداه كقول القائل :

قد يطرب القمري أسماعنا ونحن لا نفهم ألحانه

وستعرف ذلك فيما نبين من أسرار عباراته ونظهر من أنوار إشاراته ولا قوة إلا باللّه .

قوله دامت بركاته أن الوجودات ثلاثة : وجود حق ووجود مطلق ووجود مقيد . . . الخ .

يريد أن الذي يعبر عنه بالوجود عند الطلب فهو على ثلاثة ، وهذا التقسيم إنما يقع على العنوان الذي هو آيته ، وذلك بمحض اللفظ لا في الحقيقة ، لأن ذات الحق سبحانه لا تقع محلا للعبارة ولا للتقسيم لعدم وجود اللفظ هناك

يعني في مرتبته ، ولأنه سبحانه لو كان موضوعا للألفاظ للزم تغييره عما هو عليه لثبوت حدوث الألفاظ فلو كان مسمى بذاته في مرتبة ذاته للزم انتقاله من كونه غير مسمى إلى كونه مسمى والانتقال من صفة الحدوث ، فإذا لا تقع عليه العبارة .

وأما كونه تعالى يكون أحد أقسام الوجود بمعنى أن الوجود ينقسم إلى أقسام : أحدهما الواجب فهو أيضا خلاف ما دل عليه العقل والنقل للزوم وجود مقسم يكون أعما من الواجب والممكن ويكون الواجب والممكن من أقسامه ، وذلك المقسم في حد ذاته لا يكون واجبا ولا ممكنا وهو باطل باتفاق المسلمين بل وجميع المليين ، ويلزم أيضا أن يكون الحق ضدا للخلق وبالعكس ، لأن أحد القسمين ضد الآخر وقد اتفق أهل الأديان على أن ليس لله ضد ولا ند لامتناع صدور الضد عن الضد ، ولأن الألفاظ إنما تقع على أقسام كما هو مشهور عندهم ، أحدهما الاشتراك اللفظي ولا يجوز بالاشتراك اللفظي بين الحق والخلق في إطلاق الوجود للزوم بيونة العزلة بين الواجب والممكن وذلك مستلزم الضدية بينهما وقد قال الإمام عليه السلام (توحيده تمييزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة) وثانيها الاشتراك المعنوي ولا يجوز القول به لاستلزامه وحدة الوجود لأن الاشتراك المعنوي يقع بين شيئين يكون لهما جهة جامعة من قبيل أفراد الكلى والأفراد بالنسبة إليه إما من قبيل التشكيك أو من قبيل التواطي ، فلو صح الاشتراك المعنوي للزم تركيب الواجب من ما به الاشتراك وما به الامتياز والتركيب صفة الحدوث .

فإن قيل أن ما به الاشتراك عين ما به الامتياز .

نقول لو كان كذلك لزم عدم وجود الاشتراك بينهما لأن كل واحد منهما ممتاز عن الآخر فلا تجمعهما حقيقة واحدة فلا اشتراك إذاً .

فإن قيل أن الاشتراك واقع بحسب المفهوم لا بحسب المصداق .

قلنا إن حكم المفهوم هو حكم المصداق فالمصداق والمفهوم متحدان في الحكم لأن المفهوم عبارة عن الشبح المنتزع من المصداق عند الخيال وهو على هيئة المصداق فيقع الحكم على المصداق إذا وقع على المفهوم هذا إن كان صدقا وإن كان كذبا فلا يقع على المصداق ما يقع على المفهوم لعدم المطابقة في التعريف والتوصيف فإن كان هذا المفهوم مطابقا للواقع صح تركيب الواقع فيلزم أن يكون الواجب مركبا وإن لم يكن مطابقا للواقع فالتقسيم لا يقع على الواقع فالواجب لا يدخل في التقسيم أبدا ، فبطل القول بالاشتراك المعنوي رأسا .

وثالثها الحقيقة والمجاز كأخوية في البطلان لأن إطلاق الوجود على الحق والخلق من باب الحقيقة والمجاز مستلزم للعلاقة والمناسبة وهما منتفيان بينهما للزوم الربط والربط يستلزم التركيب ولصدق الوجود على الخلق على الحقيقة لوجود علايم الحقيقة فلا يصح هذا التقسيم .

ثم إن هذا التقسيم من صفات الألفاظ ولا سبيل للألفاظ إلى رتبة الوجوب قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (إن قلت هو هو فالهاء والواو كلامه وخلقه وإن قلت الهواء صفته فالهواء من صنعه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك) وقال أيضا (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله فالطريق مسدود والطلب

مردود) فإذاً لا يعبر عنه عبارة أصلا بل إنما هذه الأسامي يعبر عنه في امتيازه عن الخلق كما قال الرضا عليه السلام (أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم)[1] .

فلا يجوز على هذا أن يقع الحق سبحانه محلا للعبارة ولا للتقسيم وإنما هذا التقسيم يقع على عنوانه الذي هو مثاله الملقى هوية الأشياء المستدل عليه بذلك المثال قال تعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[2] وقال النبي صلى الله عليه وآله (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[3] وقال أمير المؤمنين أيضا (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[4] لكون مثاله الذي يستدل عليه بصفة الاستدلال موجود في كينونة النفس قال أمير المؤمنين عليه السلام : لما سئل عن العالم العلوي (صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)[5] وقال اللّه في الحديث القدسي (يا بن آدم أعرف نفسك تعرف ربك ظاهرك للفناء وباطنك أنا) وكل ما تقدم عبارة عن عنوانه الذي ظهر للخلق بالخلق كالبنّا فإنه ألقى في هوية البناء مثاله فأظهر عنها أفعاله فإنك متى ما نظرت إلى البناء ذكرت البنّا بل ورأيته ظاهرا في البناء بما ظهر بفعله في البناء وهذا الظاهر لك بالبناء ليس ذات البنّا وإلا لكنت تعرفه عندما رأيت البناء وعلمت أنه حر أو عبد شقي أو سعيد كافر أو مسلم أبيض أو أسود إلى غير ذلك من الصفات ، والحال أنك لا تعرف منه إلا الذي ظهر لك في البناء لا يكشف عن حقيقته أبدا ، فظهر أن الظاهر إنما هو مثاله الذي لا فرق بينه وبينه إلا أن المثال عبده وخلقه فتقه ورتقه بيده بدؤه منه وعوده

(١) التوحيد ٣٤
(٢) فصلت ٥٣
(٣) عوالي اللآلي ٤ / ١٠٢
(٤) جامع الأخبار ٤
(٥) المناقب ٢ / ٤٩

إليـه فـالبناء ظهـر للبناء بالبناء فكـذلك الحق سبحـانه وله المثل الأعلى ظهـر للأشـيـاء بالأشـيـاء لا بذاته قـال أمـير المؤمنين (الحَـمْـدُ لله المُتَـجَلِّي لِخَلقِهِ بِخَلقِهِ)[1] فقوله سبحانه (ظاهرك للفناء وباطنك أنا) يريد بقوله أنا هو المثال الملقى في حقيـقة الأشـيـاء لا ذاته ـ تعـالى ربي عن ذلك علوا كـبيـرا ـ وهذا المثال هو آية التوحيد وبه يعرف اللّه باللّه قال عليه السلام(اعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ)[2] وقال أمير المؤمنين (لو عرفت اللّه بمحمد لكفرت) وأمثال ذلك ونعم ما قيل :

إذا رام عـــاشـــقـــهـــا نظرة ولـم يـســتطعــهـا في لطفـهـا

أعـــــارتـه طرفـــــا رآهـا بـه فـكان الـبـصـيـر بهـا طرفـهـا

فبطرفه يعرفوه أولياؤه وأصفيائه وذلك صفة استدلال عليه ولما لم يكن فرقا في التـعريف والتعـرف بينه وبينه أجرينا الأسـمـاء الواقـعـة عليـه يعني أن الأسماء تقع على العنوان لكن المراد والمقصود هو الذات فافهم فإن ذلك من أغمض المسائل فإن كنت ذا فهم فـتأخذ ما قلنا ولم يكن فهم فتأخذه عنا فاقبل ما أقول وصحح توحيدك بمتابعتك إياي ولا قوة إلا باللّه .

فظهر وتبين أن وجود الواجب لا يدخل في القسمة أبدا وهذا التقسيم إنما يقع على العنوان لا غير والتقسيم الذي يقع على العنوان إنما هو اللفظ خاصة دون المعنى لعـدم بينونة العـزلة بينه وبين الخلق حـتى يكون إطلاق الوجـود على الحق والخلق من قبيل الاشتراك اللفظي ، وليس بينهمـا جهة جامعة ليـصح الاشـتـراك المعنوي ، وليس إطلاقـه على الواجب بواسطة العنوان من باب الحقيقة وعلى الخلق من باب المجاز لوجود علايم الحـقيـقـة عند إطلاق الوجود على الخلق ، فهذا الإطلاق إنما يكون من قبيل الحقيقة بعد الحقيقة في اصطلاحنا ، والضابط فيه أن يكون أحد الموضوعين أثرا والآخر مؤثرا

(١) نهج البلاغة ١٥٥
(٢) الكافي ١ / ٨٥

وتسمية الوجود للأثر بواسطة الحكاية لأنه إنما يحكي صفة مؤثره ، فلأجل الحكاية التامة استحق اسمه وصفته لأن البينونة بين الأثر والمؤثر إنما تكون صفتية لا عزلية ، ومعنى بينونة الصفة هو أن يكون أحدهما صفة والآخر موصوفا ولا يجمعها حقيقة واحدة وذلك خلاف مصطلح القوم حيث قالوا أن بينونة الصفة عبارة عن أن يكون الأمران متحدين في الحقيقة والذات ومختلفين في الحدود والصفات ، وهذا بينونة العزلة شرعا وعرفا ولغة لأن العزلة لا تقع إلا بعد أن يكونا مجتمعين فيعتزل أحدهما عن الآخر بواسطة الحدود والمشخصات .

وبالجملة هذا التقسيم أعني تقسيم الوجود بين الحق بواسطة العنوان وبين الخلق إنما هو من باب الحقيقة بعد الحقيقة لا غير ذلك ، فالوجود المعبر عنه بوجود الحق هو الذي ليس بكلي ولا جزئي ولا كل ولا جزء ولا يطلق عليه العموم ولا الخصوص ولا إطلاق ولا تقييد ، فهو المجهول المطلق ومعلوم الحق انقطعت دونه الإشارات والعبارات فلا يدرك بنحو من أنحاء الإدراكات انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله فالطريق مسدود والطلب مردود كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون .

والوجود المطلق هو الفعل بمراتبه أعني المشية والإرادة والقدر والقضا والإمضاء فكل ذلك من مراتب الفعل بواسطة متعلقاته ، أعني إذا تعلق الفعل بالمادة سمي مشية وهي الذكر الأول ، وإذا تعلق بعينه سمي إرادة وهي عزيمته على ما شاء ، وإذا تعلق بالحدود والهندسة سمي قدرا وهي تقطيع الهندسة والحدود ، وإذا تعلق بتركيب المادة والصورة سمي قضاء وهي الهيئة التركيبية ، والإمضاء إخراجه إلى ساحل الأكوان من بحر الإمكان مشروح العلل ومبين الأسباب ، ويطلق أيضا على المفعول المطلق قبل تعينه بحدود المفاعيل .

والوجود المقيد هو من الدرة إلى الذرة أعني من العقل إلى الثرى ، وقوله أشاد اللّه شأنه (فمراتب الوجود متناسبة صعودا ونزولا) يريد بالمناسبة كون الوجود المقيد أعني المفاعيل أثرا للوجود المطلق أعني الفعل كما أن وجود المطلق أثر لوجود الحق وذلك في التعبير لا في الحقيقة المناسبة معدومة بين الحق والخلق .

قوله فمحمد هو السراج المنير . . . الخ .

يريد تمثال وجوده ﷺ في الوجود فعال هو السراج لأن الخلق طرا من نوره وأثره وشعاعه فإن النار الغيبية مثل للفاعل وله المثل الأعلى ومس النار مثل للفعل والدهن مثل للحقيقة أعني وجود محمد ﷺ وقابليته ﴿ **يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ** ﴾[1] نار المشية لأجل صفائه وكمال استعداده والشعلة أعني السراج الذي هو عبارة عن الدهن المكلس بمس النار الواصل إلى حد الاعتدال مثل عقله صلوات اللّه عليه والأشعة المنبعثة من السراج الموجودة بإضافة السراج مثل الوجودات الخلائق فهو السراج المضيء وجميع الموجودات أثره وشعاعه قال اللّه تعالى ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً** ﴾[2] فافهم .

قوله أطال اللّه بقاه ودام عزه وعلاه ولذا قالوا (نحن محال مشية اللّه . . الخ) .

يريد أن أول ما صدر من فعل اللّه ليس إلا هو عليه السلام وهو جهة ماهية الفعل أي انفعاله وجميع المفاعيل إنما صدر عنه عليه السلام لأنه الواسطة في الورود والصدور في جميع الفيوضات ، مثاله إنك إذا وضعت المرآة مقابل المقابل فينعكس فيها شبح المقابل وإذا قابلت مرآه ثانية مقابل تلك المرآة فينطبع فيها صورة ما في المرآة الأولى الذي هو شبح المقابل وهكذا إذا قابلت المرايا

(١) النور ٣٥
(٢) الأحزاب ٤٥ - ٤٦

المتعددة فإن المنطبع فيها إنما ينعكس من المرآة الأولى ، فلولا المرآة الأولى لما وجدت تلك الصور في تلك المرايا ولذلك إذا زلت المرآة الأولى زالت جميع الصور المنطبعة في تلك المرايا ، فالمرآة الأولى هي محل ظهور المقابل والمقابل يظهر في سائر المريا بواسطتها فهي العلة لوجود تلك الصور المنعكسة فيساير المرايا ، فهو عليه السلام محل المشية بهذا المعنى إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليه ويصدر من بيته الصادر عما فصل من أحكام العباد لولاك ولولاك لما خلقت الأفلاك .

قوله أطال اللّه بقاه فمحض ما قررنا وبينا أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول ما خلق اللّه وإنه علة الموجودات فالسبق بهذا المعنى لأن السبق على أنحاء سبعة . . . الخ .

يريد أنه صلى الله عليه وآله سبق الخلق في الاستباق عند الإيجاد بمقتضى إجابته لداعي الحق حين الخلق بجميع أنحاء السبق إلا الأزلية لأنه سبقهم بالسبق الطبيعي أو الذاتي والشرفي والمكاني والزماني والحقيقي لأنه تقدم على الكل بكل هذه الاستباق لأنه أول من قال بلى وأول تعين الكاف التي هي المشية بالنون أعني هو يكون بل وهو أمره بين الكاف والنون ، وإنما قلنا سبق الخلق بالسبق الحقيقي الذي هو السرمد ووعاء عالم الفعل لأنه تعين الفعل ولذلك صح استباقه بالسبق ، والحقيقي لأنه هو المفعول المطلق وقد أشرنا إلى أنه من الوجود المطلق ، وأما السبق الأزلي فهو عين الأزل الذي هو عين البدء الذي هو عين الذات فليس له صلى الله عليه وآله هذا السبق لأن هذا عين ذات الواجب سبحانه .

وقوله أنار اللّه برهانه وأما العلة فهي فاعلية كما قال عليه السلام (نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايع لنا . . الخ) .

يريد أنه عليه السلام هو العلة الفاعلية لوجودات الخلايق أجمعين فلا بد هنا من بيان العلة وبيان إطلاقها عليه عليه السلام .

فنقول ولا قوة إلا بالله أن العلة إما تامة أو ناقصة ، فالأولى يستحيل تخلف المعلول عنها بوجه من الوجوه ، والثانية هي التي تفتقر إلى ممد لها بمدها في إيجاد المعلول ، والعلة على أربعة الفاعلية والمادية والصورية والغائية ، فالعلة التامة إما أن تكون جامعة لهذه الأربعة أو لا فيكفي كونه علة فاعلية .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن إطلاق العلة لا يجوز على الله بوجه من الوجوه وقد عرفت فيما أسلفنا في مبحث العلم ولا بأس بالإشارة أيضا ، فنقول عدم جواز إطلاق العلة على الله إما من باب محض الإطلاق بحسب العبارة فلأن أسماء الله توقيفية لنص مولانا الرضا عليه السلام في قوله لسليمان المروزي (فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه)[1] والمعهود عن أهل البيت عدم الورود بل الذي هو المعهود عنهم عليهم السلام إطلاق العلة على غير ذات الله سبحانه كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام (علة ما صنع صنعه وهو لا علة) وكذلك في الدعاء (كان عليما قبل إيجاد العلم والعلة وكان قويا قبل إيجاد القوة والقدرة) ، وأما عدم جوازه من باب المعنى فلأن العلة تامة وناقصة فالتامة ما يوجد المعلول بوجودها ويعدم بعدمها وذلك يوجب امتناع تخلف المعلول عنها ولا يصح ذلك بالنسبة إلى الله لوجوب استلزام كون الخلق من لوازم ذات الحق سبحانه وذلك يستلزم الاقتران والقول بالاقتران مخالف لضرورة الدين ، والناقصة فمحتاجة إلى مكمل يكملها فلا يصدق على الله لاستلزم احتياجه وهو الغني المطلق والواجب الحق وقد عرفت ذلك سابقا فيما أسلفنا ، فلا يجوز إطلاق العلة على الله .

ولا يقال أن الله سبحانه يصح إطلاق الفاعلية عليه فيجوز إطلاق العلة عليه .

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٨٩

لأنا نقول أن العلماء صرحوا في تفريق الصفات الذاتية والصفات الفعلية بأن الصفة التي لا يجوز اتصاف الذات بصفة نقيضيه فهو من صفات الذات كقولك علم قدر فلا يصح أن يقال في حقه لم يعلم ولم يقدر ، والصفة التي يجوز اتصاف الذات بصفة نقيضها فهي من صفات الأفعال كقولك فاعل فيصح أن يقال إنه لم يفعل الشرور مثلا ورزق ولم يرزق وشاء ولم يشاء إلى غير ذلك من صفات الأفعال ، والكليني رضي اللّه عنه عقد بابا في الكافي في هذا المعنى وكذلك المجلسي في البحار والصدوق في تأليفاته وكذلك سائر العلماء وذلك لأن هذه الصفات التي يجوز أن تتصف الذات بصفات نقايضها لو كانت عين الذات للزم أن يدور بين النفي والإثبات والسلب والإيجاب ، فتارة تنفي الذات في قولك ليس بفاعل الشرور وتارة تثبت بقولك فاعل الخير فهو ثابت ومنتفى الذات ، ومعنى صفات الأفعال أن هذه الصفات هي للفعل دون الذات فليست هذه الصفات عين الذات كما عرفت سابقا فيما فصلناه ، فالفاعل من صفات الفعل لا صفات الذات ، والفعل هو علة إيجاد المفعولات دون الذات ، ولما ثبت كون العلة الفاعلية من صفات الفعل صح كونه فاعلية لأنه صفته العليا ومثله الأعلى ولما ثبت أيضا أنه ﷺ محل المشية صح عليه إطلاق العلة الفاعلية مجازا لوجود العلاقة وهي علاقة الحال والمحل فقوله أما العلة فهي فاعلية كقوله (نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايع لنا) يريد بالمعنى الذي ذكرنا وقد صرح بذلك في كثير من كتبه ورسائله وأجوبة مسائله ومباحثاته .

فمنها ما قال أطال اللّه بقاه في بيان معتقداته ومن ذلك أنه سبحانه

﴿**خالقُ كلِّ شيْءٍ وَهوَ الواحِدُ القَهَّارُ**﴾[1] ، وأما أفعال العباد الاختيارية ففيها الخلاف بين العلماء وكل من اعتقد أن أحدا غير اللّه خالق لشيء من السموات والأرض أو بما فيها ورازق لشيء مما فيهما فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين ، نعم قد يطلق هذان مجازا كما قال اللّه تعالى ﴿ **فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالقِينَ** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾[3] ، وما يعترض به بعض من ليس له أنس بالفن ولا باصطلاح أهله بأني قلت أنهم عليهم السلام العلة الفاعلية فمرادي أنهم محال مشية اللّه بمعنى أن اللّه سبحانه أطلعهم على خلق ما خلق ، فوجودهم شرط لإيجاد غيرهم لأنهم الوسائط من اللّه ومن خلقه وإن كان تعالى قادرا على الإيجاد بدون توسط الأسباب والآلات إلا أنه عز وجل جرت عادته أن يجري الأشياء على ترتب أسبابها ليعرف العباد الدليل على معرفة ما يريد منهم على نمط قوله تعالى ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ منَ البعْثِ فإنَّا خلَقْناكُمْ منْ تُرابٍ ثُمَّ منْ نُطْفَةٍ ثُمَّ منْ علَقَةٍ ثُمَّ منْ مُضْغَةٍ مُخلقَةٍ وَغيْرِ مُخلَقَةٍ لنُبَيِّنَ لكُمْ** ﴾[4] فإنه تعالى إنما يخلق على العلل ليعرف لعباده كل شيء .

إلى أن قال وليس المراد بالعلة الفاعلية أنهم هم الخالقون تعالى اللّه عن أن يشاركه في خلقه علوا كبيرا أما تقرأ قول اللّه تعالى ﴿ **هذا خَلقُ اللهِ فأَرُوني ماذا خَلقَ الذينَ منْ دُونِه** ﴾[5] .

ومنها ما في شرح الزيارة الجامعة في شرح قوله عليه السلام (مؤمن بسركم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم) .

---

(١) الرعد ١٦

(٢) المومنون ١٤

(٣) الجمعه ١١

(٤) الحج٥

(٥) لقمان ١١

قال بعد ما بين معناه : وإياك أن تنسب إليهم أو إلى أحد من الخلق من ملك أو نبي أو غيرهم من أفعاله تعالى بعد ما بين لك سبحانه فقال تعالى ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمواتِ ﴾[1] وقال ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ ﴾[2] كما أنك لا تقول إن الأرض والماء هما اللذان يزرعان الزرع وإنما المعنى أنه سبحانه ما أمرك بأمر ولا نهاك عن شيء من جميع ما كلفك به إلا على لسان محمد وآله ﷺ ، وقد أخبروك وأنت تعلم أنه سبحانه هو الآمر والناهي وحده لا شريك له في شيء من ذلك وإن كانوا هم الحاملين لأمره ونهيه والمبلغين عنه لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، فكذلك في جميع ما تسمع مما تنسب إليهم من أفعاله هو الفاعل على أيدي من يشاء من خلقه من الأنبياء والملائكة والحيوانات والنباتات والطبايع والعناصر فمن شاء من خلقه جعله تراجمة لفعله لمن شاء من خلقه وذلك حكمه وقضاؤه في صنعه وفي وحيه وأمره ونهيه على حد سواء فافهم ولا تتوهم غير هذا فتكون من الكافرين .

وقال في شرحه على فقرة (وأجسادكم في الأجساد . . الخ) .

وأوصيك وصية ناصح ألا تستغرب هذه الأشياء أو تنكرها فإنا لا نريد بذلك أنهم عليهم السلام فاعلون أو خالقون أو رازقون بل نقول اللّه سبحانه تعالى هو الخالق والرازق وهو الفاعل لما يشاء وحده عز وجل لم نجعل له شريكا في شيء ، إلا أنا نقول أنه سبحانه لا يفعل شيئا بذاته لتكرمه وتنزهه عن المباشرة وإنما يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك بل هو الفاعل وحده ، أما فعله للشيء بفعله فهو أنه إذا أراد شيئا كان ما أراد من غير حركة ولا ميل ولا انبعاث ولا تفكر ولا رويه وليس معه شيء يفعل به

---
(١) فاطر ٣

(٢) الرعد ١٦

ما يفعل زايد على فعله لما فعل إذ ليس شيء غير ذاته المقدسة وفعله ومفعوله ، فلا شيء يصح عليه إطلاق الشيئية إلا ذاته ثم فعله شيء بشيئية ذاته أي أن فعله إنما هو شيء بذاته ومفعوله إنما هو شيء بفعله تعالى ، وأما مفعوله فهو تعالى يفعل بما شاء من صنعه مثلا إذا أراد أن ينبت الحنطة خلق لها الأرض بفعله أو بشيء من مفعوله وخلق الماء كذلك وخلق زيدا مثلا يزرعها وخلق لزيد جميع ما يتوقف عليه عمله من القوى والعلوم وتسليطه على البذر والماء والبذر والأرض فإذا ألقى البذر في الأرض وسقاه كما علمه اللّه وألهمه أنبت اللّه سبحانه بهذه الأشياء التي هي مفعولاته ما شاء من صنعه فقال تعالى ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾[1] واللّه سبحانه هو الزراع وحده من غير تشريك مع غيره ، وكذلك ما خلق في الأرحام كما روي أنه خلق ملكين خلاقين يقتحمان إلى البطن من فم أمه فهما يقدرانه كما أمرهما ، وكذلك ميكائيل جعله موكلا بالأرزاق وهو تعالى وحده الرزاق ذو القوة المتين ، وكذلك ملك الموت جعله موكلا على قبض الأرواح قال تعالى ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** ﴾[2] مع أنه تعالى قال ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾[3] .

وقال أيضا في شرح الزيارة في شرح قوله عليه السلام (موالي لا أحصي ثنائكم) إلى آخر الفقرة بعين بعد ما بين معناه وجعلهم كما ذكرنا سابقا علل جميع الخلايق الفاعلية لكونهم محال مشيته والسنة أرادته وأيدي إيجاده وإبداعه .

وقال أيضا في شرح قوله عليه السلام (بكم فتح اللّه وبكم يختم) .

قال (بكم فتح اللّه) في كل وجود بل في كل إمكان ، أما في الإيجاد فمن حيث كونهم العلل الأربع للخلق كله على نحو ما أشرنا إليه في العلة

(١) الواقعة ٦٣ - ٦٤

(٢) السجدة ١١

(٣) الزمر ٤٢

الفاعلية لكون التمشية إليها لا يجري على الظاهر لأنه غلو ممنوع منه وإنما يقال في العلة الفاعلية على نحو ما ذكرنا سابقا من كون الفاعلية هي المثال المتقوم .

ومنها ما قال في شرح التبصرة في مبحث نجاسة سؤر الكفار وإلحاق الغلاة بهم ، قال ومنهم الغلاة وهم الذين يجعلون عليا والأئمة عليهم السلام أربابا بمعنى أن ليس وراءهم منتهى وليسوا مسبوقين في ذات ولا في صفة ولا طاعة وإما إذا جعلهم العرف مسبوقين في هذه الأربعة الأحوال وإن أثبت لهم ما يزعمه الجاهلون بل العارفون صفات ألوهيته وكمالات ربوبيته إذا علم وشاهد واعتقد أن ما وصل إليهم وبرز عنهم من ربهم لا يسبقونه في شيء هو ربهم وإليه يرجعون هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه وهم بأمره يعملون ، فإن ذلك هو الإيمان حقا والقائم به هو الذي سؤره شفاء لما في الصدور وأرجع إلى قولهم الحق (إن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر)[1]. وقول الحجة عليه السلام في دعاء رجب (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا لإله إلا أنت) .

أقول إن كبر عليك ما في الدعاء فتأمل في قوله (فبهم ملأت سمائك وأرضك) وقولهم عليهم السلام (اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا)[2] .

وبالجملة فمن تجاوز حد العبودية ورفعهم عنها فهو الغالي الملعون النجس

---

(١) بحارالأنوار ٢ / ٧١

(٢) بحارالأنوار ٢٥ / ٢٧٩

لكن حقهم عليهم السلام أن يكون العارف يرفعهم عما سواهم من الخلق ، لأن العبودية لها درجات غير متناهية بمعنى عدم تناهيها في الخلق ففوق كل مقام مقام فقد يقول فيهم بمقام عال يقول يتوهمه الجاهل أنه ربوبية لعدم إحاطته ومعرفته بما تم وإن فوق ذلك المقام مقاما للعبودية أعلى ومن ثم قيل في كثير من أصحاب الأئمة عليهم بالغلو حيث عرفوا قليلا من كثير قال ذلك فيهم من يروي عن أئمتهم عليهم السلام وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ويروي عنهم عليهم السلام أن الذي خرج إلينا من علمهم عليهم السلام ألف غير معطوفة .

والحاصل أن الغالي من لم ير لهم منتهى منه كانوا وإليه يعودون وعنه يقولون وبأمره يعملون وأما من أثبت لهم ما قلنا فما عليه أن يقول واللّه سبحانه يقول ﴿ **قُل لوْكانَ البَحْرُ مِداداً لكلماتِ ربِّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلماتُ ربِّي وَلوْ جِئْنا بِمِثْلهِ مَدَداً** ﴾[1] فكل ما سواهم مما في ملك اللّه مقصر عاجز عن أقل قليل ، وقد أشار على إلى هذا المعنى في قوله تعالى ﴿**وكانَ عَرْشُهُ على الماءِ**﴾[2] فقال لمن سأله (أفرأيت لو صب على الأرض خردل حتى سد الهواء وملأ ما بين الأرض والسماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله من المشرق إلى المغرب ثم مد لك في العمر حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء ما ثبت العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء إنما وصفت لك عشر عشير من مائة ألف جزء واستغفر اللّه من القول بالتحديد)[3] .

انظر واعتبر وافهم هذا العبد الولي الإمام العلي إلى غير ذلك مما أفاد وأجاد

---

(١) الكهف ١٠٩

(٢) هود ٧

(٣) ورد في بحارالأنوار ٥٤ / ٣٣٦ (أفرأيت لو صبت في الأرض خردل حتى سد الهواء و ملأ ما بين الأرض و السماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب ثم مد لك في العمر حتى نقلته و أحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء و إنما وصفت لك جزءا من عشر عشير ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء و إنما وصفت لك جزءا من عشر عشير من جزء من مائة ألف جزء و أستغفر الله من التقليل في التحديد) .

فيما أفاد جعلني اللّه فداه ، فعلم مما ذكر أن مقصوده أطال اللّه بقاه من أنه ﷺ العلة الفاعلية للخلق هو كونه محلا للمشيئة ، ولما كانت العلة الفاعلية هي المشية صح مجازا إطلاق العلة الفاعلية عليه لعلاقة الحال والمحل .

ثم إن إطلاق الفاعل والخالق جاز على غير اللّه وغيرهم من الخلق حيث قال اللّه تعالى ﴿ **فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالقِينَ** ﴾ وسئل مولانا الرضا على ما نقله في الصافي عن التوحيد (وغير الخالق الجليل خالق قال إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ **فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالقِينَ** ﴾ فقد أخبر أن في عباده خالقين منهم عيسى ابن مريم خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائرا بإذن الله والسامري خلق لهم عجلا جسدا له خوار)[1] ومن المعلوم أن هذا الإطلاق ليس على الحقيقة لأن من أدعى وجود خالق غير اللّه فقد كفر قال اللّه تعالى ﴿ **اللهُ الذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلكُم مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُون** ﴾[2] فلا مؤثر في الوجود إلا اللّه وقال تعالى ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لهُ إِنَّ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلوِ اجْتَمَعُوا لهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلوبُ** ﴾[3] فلا خالق غير اللّه ، وأما غيره فيطلق عليه مجازا لصدور ذلك الفعل عن اللّه على يديه لأن اللّه سبحانه لا يباشر الأشياء بذاته فيجري الأشياء بالأسباب قال عليه السلام (أَبَى اللهُ أَنْ يُجْرِيَ الأَشْيَاءَ إِلا بِأَسْبَابٍ)[4] .

وفي قرب الإسناد على ما نقله الشيخ أطال اللّه بقاه للحميري بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أن قال : قال أبو جعفر عليه السلام في النطفة قال

---

(١) التوحيد ٦٠
(٢) الروم ٤٠
(٣) الحج ٧٣
(٤) الكافي ١ / ١٨٣

(فإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلاقين يصورانه ويكتبان رزقه وأجله وشقيا أ وسعيدا)[1] .

وفي الكافي في صحيح زرارة عن أبي جعفر عليهما السلام إلى أن قال (ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكَيْنِ خَلاقَيْنِ يَخْلقَانِ فِي الأَرْحَام مَا يَشَاءُ اللهُ فَيَقْتَحِمَانِ فِي بَطْنِ المَرْأَة مِنْ فَم المَرْأَة فَيَصِلانِ إِلى الرَّحِم وَ فِيهَا الرُّوحُ القَدِيمَةُ المَنْقُولةُ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ فَيَنْفُخَانِ فِيهَا رُوحَ الحَيَاة وَ البَقَاءِ وَ يَشُقَّانِ لهُ السَّمْعَ وَ البَصَرَ وَ جَمِيعَ الجَوَارِحِ وَ جَمِيعَ مَا فِي البَطْنِ بِإِذْنِ الله ثُمَّ يُوحِي اللهُ إِلى المَلكَيْنِ اكْتُبَا عَلَيْه قَضَائِي وَ قَدَرِي وَ نَافِذَ أَمْرِي وَ اشْتَرِطَا لِيَ البَدَاءَ فِيمَا تَكْتُبَانِ فَيَقُولانِ يَا رَبِّ مَا نَكْتُبُ فَيُوحِي اللهُ إِليْهِمَا أَنِ ارْفَعَا رُءُوسَكُمَا إِلى رَأْسِ أُمِّه فَيَرْفَعَانِ رُءُوسَهُمَا فَإِذَا اللوْحُ يَقْرَعُ جَبْهَةَ أُمِّه فَيَنْظُرَانِ فِيه فَيَجِدَانِ فِي اللوْحِ صُورَتَهُ وَ زِينَتَهُ وَأَجَلَهُ وَمِيثَاقَهُ شَقِيّاً أَوْ سَعِيداً وَجَمِيعَ شَأْنِه قَالَ فَيُمْلِي أَحَدُهُمَا عَلى صَاحِبِه فَيَكْتُبَانِ جَمِيعَ مَا فِي اللوْحِ وَ يَشْتَرِطَانِ البَدَاءَ فِيمَا يَكْتُبَانِ ثُمَّ يَخْتِمَانِ الكِتَابَ وَيَجْعَلانِه بَيْنَ عَيْنَيْه ثُمَّ يُقِيمَانِه قَائِماً فِي بَطْنِ أُمِّه قَالَ فَرُبَّمَا عَتَا فَانْقَلبَ وَ لا يَكُونُ ذَلكَ إِلا فِي كُلِّ عَاتٍ أَوْ مَارِدٍ)[2] الحديث إلى غير ذلك من الأخبار .

وكذلك ما ورد في البحار عن الباقر عليه السلام قال (إن الله عزوجل فوض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء فلما رأى الأشياء قد انقادت له قال من مثلي فأرسل الله عزوجل نويرة من نار قلت وما نويرة من نار قال نار بمثل أنملة قال فاستقبلها بجميع ما خلق فتحللت لذلك حتى وصلت إليه لما أن دخله العجب)[3] .

---

(١) قرب الإسناد ١٥٤

(٢) الكافي ٦ / ١٣

(٣) بحارالأنوار ٤ / ١٥٠

فقد أطلق لفظ الخالق على الملائكة وغيرهم من سائر الخلق فكيف لا يطلق على الذين بهم قامت السماوات والأرض وجميع الخلق والذين لا تخطو الملائكة خطوة إلا بأمرهم وأذنهم كما في حديث البساط وسنذكر شطرا منها قال أمير المؤمنين عليه السلام(أنا الذي كتب اسمي على العرش فاستقر وعلى السموات فقامت وعلى الأرض فرست وعلى الريح فذرت وعلى البرق فلمع وعلى الودق فهمع وعلى النور فسطح وعلى السحاب فدمع وعلى الرعد فخشع وعلى الليل فدجى وأظلم وعلى النهار فاستنار وتبسم) وقال أمير المؤمنين في كتاب انفذه إلى معاوية (فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَ أَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ وَ لَسْتُمْ هُنَاكَ وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ .. الخ)[١] .

وقال مولانا الحجة عجل الله فرجه في التوقيع (أما بعد نحن صنايع (الله) ربنا والخلق بعد صنايعنا)[٢] .

وفي زيارة الحسين عليه السلام (بِكُمْ يُبَيِّنُ اللهُ الكَذِبَ وَبِكُمْ يُبَاعِدُ اللهُ الزَّمَانَ الكَلِبَ وَ بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَ بِكُمْ يَخْتِمُ اللهُ وَبِكُمْ يَمْحُ واللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَبِكُمْ يَفُكُّ الذُّلَ مِنْ رِقَابِنَا وَبِكُمْ يُدْرِكُ اللهُ تِرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ يُطْلَبُ بِهَا وَبِكُمْ تُنْبِتُ الأَرْضُ أَشْجَارَهَا وَبِكُمْ تُخْرِجُ الأَشْجَارُ ثِمَارَهَا وَبِكُمْ تُنْزِل السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللهُ الكَرْبَ وَبِكُمْ يُنَزِّلِ اللهُ الغَيْثَ وَبِكُمْ تُسَبِّحُ الأَرْضُ الَّتِي تَحْمل أَبْدَانَكُمْ وَتَسْتَقِرُّ جِبَالُهَا عَنْ مَرَاسِيهَا إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَالصَّادِرُ عَمَّا فُصِّلَ مِنْ أَحْكَامِ العِبَادِ)[٣] .

وفي الدعاء الرجبية لمولانا القائم عليه السلام (اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك

(١) نهج البلاغة ٣٠

(٢) غيبة الطوسي ٢٨٥

(٣) وسائل الشيعة ١٤ / ٤٩٠ - ٤٩١

المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانا لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)[1] .

وفي خطبة يوم الغدير والجمعة عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال (وأشهد أن محمدا عبده ورسوله استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس وانتجبه آمرا وناهيا عنه أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثله غوامض الظنن في الأسرار لا إله إلا هو الملك الجبار قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيته)[2] الخطبة .

وأمثال ذلك مما يدل على كونهم هم الفاعلية في قوله (أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد) فإن المناة جمع ماني والماني هو المقدر وقوله(يصدر من بيوتكم . . الخ) وقوله (إقامة في سائر عالمه في الأداء مقامه) فإن كل ذلك وأمثالها مما تصرح على كونهم علة فاعلية لا غير .

ومثلها ما رواه عن ابن مسعود فيما تقدم ذكره من أن اللّه خلق محمدا وعليا ففتق نور محمد فخلق منه السموات والأرضين فإن ذلك يصرح في أن السماوات خلق من نوره يعني من أشعته وفاضل طينته لاستحالة كون السماء والأرض من نور ذاته لقوله عليه السلام (إِنَّ اللهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ

(١) مصباح المتهجد ٣٠٨

(٢) مصباح المتهجد ٧٥٢

فَكُنَّا نَحْنُ خَلقاً وَ بَشَراً نُورَانِيِّينَ لَمْ يَجْعَل لأَحَدٍ فِي مِثْل الذِي خَلقَنَا مِنْهُ نَصِيباً)[1] إلي غير ذلك من الأخبار.

ومثله ما روي أنس بن مالك قال (صلى بنا رسول الله ﷺ في بعض الأيام صلاة الفجر ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت له يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا قوله تعالى ﴿ **فَأُولَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ فقال ﷺ أما النبيون فأنا وأما الصديقون فأخي علي وأما الشهداء فعمي حمزة وأما الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين قال وكان العباس حاضرا فوثب وجلس بين يدي رسول الله ﷺ وقال أ لسنا أناوأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة قال وما ذاك يا عم قال لأنك تعرف بعلي وفاطمة والحسن والحسين دوننا قال فتبسم النبي ﷺ وقال أما قولك يا عم أ لسنا من نبعة واحدة فصدقت ولكن يا عم إن الله خلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الله آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار فقال العباس فكيف كان بدأ خلقكم يا رسول الله فقال يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم كلمة خلق منها نورا ثم تكلم كلمة أخرى فخلق منها روحا ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله وعلي أفضل من الملائكة ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السموات والأرض فالسموات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور

(١) الكافي ١ / ٣٨٩

الله وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين)[1] .

وهذا الحديث بيانه مثل ما ذكرنا في أن الفتق معناه انبعث نورا منه أي وقع وسطع منه شعاع ونسبتهما كالشمس والأشعة ولا يجوز أن يقال إن المفتوق من جميع ذلك إنما فتق من نور ذاته لأنه عليه السلام خلق من طينة مكنونة لم يجعل اللّه لأحد منه نصيبا كما سبق .

ومنها قوله عليه السلام (إنما سمو الشيعة شيعة لأنهم خلقوا من شعاعنا)[2] فالمادة هي الشعاع لا نور ذاتهم وقوله عليه السلام (أنا أشد اتصالا باللّه من شعاع الشمس بالشمس وإن شيعتنا أشد اتصالا بنا من شعاع الشمس بالشمس) .

في العوالم وفي رياض الجنان عن ابن عباس قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله قال فقلت يا أمير المؤمنين كيف ينظر بنور الله عزوجل قال عليه السلام لأنا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء)[3] .

فانظر كيف صرح بالأمر أعني كونهم علة فاعلية لكن بالمعنى الذي ذكرنا ومنها قوله سبحانه في الحديث القدسي (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن)[4] وإذا تعذر الحقيقة فيتعين أقرب المجازات بمعنى أن ذات اللّه ليس في زمان ولا في مكان ولا في جهة وليس

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١٤٣

(٢) في البحار ٢٥ / ٢٣

(٣) بحارالأنوار ٢٥ / ٢١

(٤) عوالي اللآلي ٤ / ٧

له حـد ولا نهـاية وليس داخل في شيء فـلا يسع ذاته من الأشـيـاء ، فـمعنى (وسعني قلب عبـدي المؤمن) أنه وسع جـميع صـفاته الفعليـة ﷺ حامل لجميع الصفات الفعلية ومن جملة الصفات الفعلية الخالقية والرازقية وما يضاهيها .

ومنها ما في الزيارات منها ما ورد في زيارة أمير المؤمنين (السلام عليك يا أبا الأئمة ومعدن الوحي والنبوة والمخصوص بالأخوة السلام علي يعسوب الدين والإيمان وكلمـة الرحـمن وكـهف الأنام السلام على ميـزان الأعـمـال ومقلب الأحوال وسيف ذي الجلال السلام على صالح المؤمنين ووارث علم النبيين والحاكم يوم الدين السلام على شجرة التقوى وسامع السر والنجوى ومنزل المن والسلوى السلام على حجة الله البالغة ونعمته السابغة ونقمته الدامغة السلام على إسرائيل الأمة وباب الرحمة وأبي الأئمة السلام على صراط الله الواضح والنجم اللائح والإمام الناصح والزناد القادح السلام على وجه الله الذي من آمن به أمن السلام على نفس الله تعالى القائمة فـيه بالسنن وعينه التي من عرفها يطمئن السلام على أذن الله الواعية في الأمم ويده الباسطة بالنعم وجنبه الذي من فرط فيه ندم)[1] .

فانظر كيف يصرح المراد من دون تلويح وإيماء إلى غير ذلك من الزيارات ومنها قولهم (نحن يد الله وجنب الله) إلى غير ذلك من الصفات فخلق الله جـميع الخلق بهم عليهم السلام لأنهم أيديه كـمـا هو صريح الروايات والزيارات وقد قال الله تعالى ﴿ **وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾[2] والأيد جمع اليد وهو صلوات الله عليه يده فيه خلق الله السموات كما في حديث ابن مسعود وابن عباس ولا يجوز أن يكون الأيد المخلوقة بها السماء عين ذات الله للزوم تركيبه من الكلية والجزئية والفردية والجمعية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

---

(١) بحارالأنوار ٩٧ / ٣٣٠
(٢) الذاريات ٤٧

ومنها ما في رياض الجنان عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال (قلت لرسول الله ﷺ أول شي ء خلق الله تعالى ما هو فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين)[1] .

فانظر في تصريح الحديث بالأمر فكل شيء خلق مما سواهم إنما خلق بهم وبواسطتهم يعني إنما خلق اللّه جميع المخلوقين بهم كما يميت الأرواح بملك الموت فالفاعل والخالق هو اللّه وهم عليهم السلام يده التي يخلق بها ما يشاء كيف يشاء ومنها ما في الدرة الباهرة من أصداف الطاهرة في كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام(وأسباطنا خلفاء الدين وحلفاء اليقين ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة)[1] الحديث . وروح القدس هو العقل الأول الذي ذاق من باكورة الشجرة التي هم

(١) بحارالأنوار ٢٥ / ٢١

غرسوها في جنان الصاقورة ومنها قوله عليه السلام في الزيارة (بكم فتح الله وبكم يختم) يعني بسببكم فالباء للسببية .

ومنها ما في الحديث النورانية رواه المجلسي في البحار عن سلمان وجندب عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال (صار محمد صاحب الجمع وصرت أنا صاحب النشر وصار محمد صاحب الجنة وصرت أنا صاحب النار أقول لها خذي هذا وذري هذا وصار محمد صلى الله عليه وآله صاحب الرجفة وصرت أنا صاحب الهدة وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عزوجل علم ما فيه نعم يا سلمان ويا جندب وصار محمد ﴿ **يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ﴾وصار محمد ﴿ **ن وَالْقَلَمِ** ﴾ وصار محمد ﴿ **طه ما أَنْزَلنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾وصار محمد صاحب الدلالات وصرت أنا صاحب المعجزات والآيات وصار محمد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين وأنا الصراط المستقيم وأنا النبأ العظيم ﴿ **الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** ﴾ ولا أحد اختلف إلا في ولايتي وصار محمد صاحب الدعوة وصرت أنا صاحب السيف وصار محمد نبيا مرسلا وصرت أنا صاحب أمر النبي صلى الله عليه وآله قال الله عزوجل ﴿ **يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ** ﴾ وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدرة وأحياء الموتى وعلم بما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السماوات والأرض يا سلمان ويا جندب وصار محمد الذكر الذي قال الله عز وجل ﴿ **قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللهِ** ﴾ إني أعطيت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب واستودعت علم القرآن وما هو كائن إلى يوم القيامة ومحمد صلى الله عليه وآله أقام الحجة حجة للناس وصرت أنا حجة

(١) بحار الأنوار ٢٥ / ٣٧٧

الله عزوجل جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين قال عليه السلام أنا الذي حملت نوحا في السفينة بأمر ربي وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي وأنا عذاب يوم الظلة وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان الجن والإنس وفهمه قوم إني لأسمع كل قوم الجبارين والمنافقين بلغاتهم وأنا الخضر معلم موسى وأنا معلم سليمان بن داود وأنا ذو القرنين وأنا قدرة الله عزوجل يا سلمان ويا جندب أنا محمد ومحمد أنا وأنا من محمد ومحمد مني قال الله تعالى ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ** ﴾ يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين قال إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لن يقتلوا يا سلمان ويا جندب قالا لبيك صلوات الله عليك قال عليه السلام أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي وأيدت بروح العظمة وإنما أنا عبد من عبيد الله لا تسمونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر لأنا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفاؤه وأمناؤه وأئمته ووجه الله وعين الله ولسان الله بنا يعذب الله عباده وبنا يثيب ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا ولو قال قائل لم وكيف وفيم لكفر وأشرك لأنه لا يسأل عما يفعلوهم يسألون يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك قال عليه السلام من آمن بما قلتو صدق بما بينت وفسرت وشرحت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن ممتحن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل ومن شك

وعند وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مقصر وناصب يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك قال عليه السلام أنا أحيي وأميت بإذن ربي وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنا كلنا واحد أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد فلا تفرقوا بيننا ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئا مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزوجل . . . إلى ان قال : أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المكرمون الذين ﴿ **لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾ . . إلخ)[1] .

وفي حديث السحابة المشهور بحديث البساط عن سلمان الفارسي رحمة اللّه قال(ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهيت إليه وإذا هو من زمردة خضراء وعليها ملك على صورة النسر فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك السلام عليك يا وصي رسول الله وخليفته أتأذن لي في الكلام فرد عليه السلام وقال له إن شئت تكلم وإن شئت أخبرتك عما تسألني عنه فقال الملك بل تقول أنت يا أمير المؤمنين قال تريد أن آذن لك أن تزور الخضر عليه السلام قال نعم فقال عليه السلام قد أذنت لك فأسرع الملك بعد أن قال بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ثم تمشينا على الجبل هنيئة فإذا بالملك قد عاد إلى مكانه بعد زيارة الخضر عليه السلام فقال سلمان يا أمير المؤمنين رأيت الملك ما زار الخضر إلا حين أخذ إذنك فقال عليه السلام والذي رفع السماء بغير عمد لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفس واحد لما زال حتى

(١) بحارالأنوار ٢٦ / ١ - ٧

آذن له وكذلك يصير حال ولدي الحسن وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم . . .الخ)[1] .

إلى غير ذلك من الأخبار التي يطول بذكرها الكلام مما يصرح بتصرفهم في جميع الأشياء ، فإذا عرفت هذا فاعلم أن من ادعى وجود خالق في العالم ومؤثر غير اللّه فهو كافر كفر الجاهلية الأولى ، فلا ينسب الخالقية إلى الأئمة عليهم السلام على الحقيقة فلا خالق إلا اللّه ولا مؤثر غير اللّه ، ولكن لما كان سبحانه منزها عن مباشرة الأشياء أجرى فعله على يدي من شاء من خلقه ؛ مثاله الحديدة المحماة بالنار فالنار هي التي تحرق ولا الحديدة ، والحديدة حامل فعلها أعني الإحراق ، فهي تحرق بالحديدة فإذا قطعت تعلقها عن الحديدة ترى الحديدة لا تحرق شيئا أبدا فما دامت النار متعلقة بالحديدة تحرق الحديدة جميع ما يلاقيها لتعلق النار بها فالمحرق هو النار لا غير لكن بالحديدة فالحديدة حاملة لفعل النار الغيبية وهي مثال حقيقتهم عليهم السلام الحاملة لفعل اللّه ، فكذلك مثال أولياء اللّه ، فاللّه سبحانه هو الخالق والفاعل لا غير لكن يجري فعله على يدي من شاء من أوليائه كما أنه هو الذي يميت ويحيي لا غير لكن أجرى فعله على يدي ملك الموت فملك الموت لا يقبض الأرواح أبدا والذي يقبض هو اللّه سبحانه ، لكن لما كان ملك الموت حاملا لفعله صح إطلاق القابض عليه مجازا لعلاقة الحال والمحل ، فكذلك أولياء اللّه ينسب إليهم الأفعال مجازا لأنهم حاملون لفعل اللّه فاللّه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فاللّه يفعل بهم وهم يفعلون باللّه وهو من ورائهم محيط ، فلو شاء اللّه أن لا يجري الأشياء على يديهم لفعل ولا يصدر عنهم شيء إلا باللّه ، فإذا رأيت أنهم عليهم

(١) بحارالأنوار ٢٧ / ٣٦ - ٣٧

السلام قالوا نحن الخالقون ونحن الرازقون فمعناه أن اللّه أجرى هذه الأفاعيل على أيدينا وهذا الإطلاق من باب المجاز .

ولا يتوهمن متوهم أن الأفعال تصدر عنهم بالوكالة فهم وكلاؤه في جميع ما صدر عنهم فإن ذلك كفر وزندقة لاستلزامه التفويض المستلزم لاستغناء المخلوق عن الخالق ـ تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا ـ وكذلك حكم النيابة وحكم فعل العبد بإذن سيده ، بل الحق أن اللّه هو الخالق لا غير ويجري الأفاعيل على يدي من يشاء من خلقه .

ولا يقال أن ذلك يستلزم باحتياجه لأنهم بمنزلة الآلة لصدور الأفاعيل فلولا هم لم يصدر شيء أبدا وذلك كفر وزندقة .

قلنا إن اللّه لو شاء أن يخلق أن يظهر أفعاله بإجرائها على يديهم لفعل لكن لما أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها لا يفعل إلا بهم كما أنه سبحانه قادر على أن يخلق الولد من دون الأبوين ولكن أبى أن يخلق إلا بالأبوين فالأبوان هما شرط في تحقق وجود الابن ، فكذلك إن اللّه يقدر على أن يخلق من غير سبب ولكن حكمته اقتضت بأن لا يجري الأشياء إلا بأسبابها ، وكما أنه يقدر على نبت الزرع من دون زارع وحبة وغرس لكن لا يفعل ذلك إلا بالزراع وزرع الحبة ووجود سائر الأسباب وذلك لا يلزم احتياجه ، نعم يلزم احتياجه لو قلنا أنه لم يقدر إلا بواسطة الأسباب وهو سبحانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا فافهم .

وبالجملة إطلاق العلة الفاعلية عليه ﷺ جائز من باب المجاز لأنه محل مشية اللّه فاللّه يجري فعله به وعلى يديه وقد عرفت أن مراد شيخنا دامت بركاته من قوله العلة الفاعلية هذا المعنى كما ذكرنا شطرا من كلماته الناصة على المطلوب فافهم .

قوله أدام اللّه تأييده وتسديده (وعله صورية كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله لكميل نور اشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره . . . الخ) .

يريد أن صور جميع الخلق على صورته لأن جميع الخلق شئوناته وتطوراته بفعله كالقائم مثلا فإنه على هيئة زيد فصورة زيد علة لصورة القائم الذي هو اشتق من فعله ، وكالصورة التي انطبعت في المرآة بمقابلة الشاخص فإن صورة الشبح على صورة الشاخص إذا كانت المرآة معتدلة مستقيمة ، وأما إذا كانت معوجة غير مستقيمة فليست على صورة الشاخص بل هي على اعوجاج المرآة فكذلك ظهوره صلوات اللّه عليه في مرايا الموجودات فكما كانت مراياهم معتدلة فالصورة تنطبع فيها على هيئة الشاخص أعني ظهوره صلوات اللّه عليه ، وليس المراد أنه عليه السلام صورة الأشياء معاذ اللّه كيف يستقيم ذلك لأن الأشياء إنما هي عكوسات أنواره وتجلياته ومظهر شئوناته وتطوراته ولنعم ما قال البوصيري في قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وآله :

إنما مثلت صفاتك في الناس كما مثل النجوم الماء

فإن الجميع تحكي صفاته وشئوناته ، ولما لم يكن في مرايا الوجود مثل صفاء مرايا حقائق الأنبياء في الصفاء والاستقامة والاعتدال حكت مراياهم صورته عليه السلام على كمال الاعتدال ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام (أنا آدم أنا نوح أنا إبراهيم أنا موسى أنا عيسى من رآهم فقد رآني ومن رآني فقد رآهم) ، كما أنك إذا رأيت صورة زيد في المرآة الصافية تقول هذا زيد فلا فرق بين زيد وبين تلك الصورة في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات فمن رأى تلك الصورة رأى زيدا ومن رأى زيدا رأى تلك الصورة .

وبالجملة إن من سواهم فهو مخلوق على هيئتهم كالصورة في المرآة وجميع الصور إنما هي لهم وهم يتقلبون في الصور كيف يشاء اللّه ، ومعنى تقلبهم في

الصور أنهم يظهرون بفعلهم كما يظهر الشاخص في صور المرايا بفعله لا بذاته فهم عليهم السلام على ما هم عليه ويظهرون للغير بأفعالهم وظهوراتهم، فافهم.

قوله أنار اللّه برهانه وأشاد شأنه (وهو أيضا علة مادية لأن الوجودات بأسرها أشعة أنوارها . . . الخ) .

يريد أن الأشياء بأجمعها مخلوقة من فاضل طينتهم كما قال الحجة عجل اللّه فرجه (اللهم إن شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا)[1] والفاضل إذا أطلق في الأخبار والأدعية يراد به الشعاع لا غير لأن مادتهم عليهم السلام فوق جميع الخلق ولا يتمكن الوصول إليها أحد ولم يجعل اللّه لأحد في مثل ذلك نصيبا ونعم ما قال السهروردي :

نارنا هذه تضيء لمن يسري بليل لكنها لا تنيل
منتهى الحظ ما تزود منها اللحظ والمدركون ذاك قليل
جاءها من عرفت يبغي اقتباسا وله البسط والمنى والسؤول
فتعالت عن المنال وعزت عن دنو إليه وهو رسول

قال عليه السلام في الزيارة (فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ وَ أَعْلى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ وَلا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ . . . الخ)[2] فإن الخلق لا يبلغون مرتبتهم لأنهم مخلوقون من شعاع أنوارهم لا من ذاتهم فمادة الأشياء هي شعاع أنوارهم فالأشياء منهم كشعاع الشمس من الشمس ، في العوالم عن رياض الجنان روى صفوان بن يحيى عن الصادق عليه السلام أنه قال (لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول

---

(١) بحارالأنوار ٥٣ / ٣٠٢

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة

العرش سبعين مرة فقال عزوجل هذان نوران لي مطيعان فخلق الله من ذلك النور محمدا وعليا والأصفياء من ولده عليهم السلام وخلق من نورهم شيعتهم وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار إلى أن قال عليه السلام ألا إنا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من دون ذلك النور)[1] وليس المراد من العلة المادية أنهم عليهم السلام مواد الأشياء كيف يكون ذلك، وليس الخلق هناك، قال أمير المؤمنين عليه السلام (لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ وَلسْتُمْ هُنَاكَ وَأَنَّى يَكُونُ ذَلكَ)[2] بل المراد أنهم عليهم السلام علة لمواد الخلق بأشعتهم لأن أشعة أنوارهم مواد الخلق ولأجل ذلك لم يلحقوا رتبتهم في الوجود لأن كل شيء إنما يحد نفسه قال أمير المؤمنين عليه السلام(إِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الآلاتُ إِلى نَظَائِرِهَا)[3] هذا معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام(أثبتوا لنا ربا نؤب إليه وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا) فإن الشعاع لا يبلغ من المنير إلا بما ظهر له به فلا يبلغ إلا حقيقته ولا يصل المنير بوجه من الوجوه فتفطن فقد كشفت لك الحجاب عن وجه الصواب فتيقن ولا تكن ممن يشك ويرتاب في فضل مولانا أبي تراب الذي إليه الإياب في يوم الحساب .

وقوله أطال اللّه بقاه، (وهو أيضا علة غائية . . . إلخ) .

يريد أن الموجودات إنما خلقت لمصالحهم كما أنك لا تصنع البيت إلا لأجل مصالحك وشئونك، فاللّه لم يخلق الخلق إلا لأجل منافع آل محمد، قال(لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) ولذلك استشهد أطال اللّه بقاه ودام عزه وعلاه بقول الصادق عليه السلام حيث قال لعبيد بن زرارة لما سأله عن سبب لعن أبيه زرارة . . .إلى أن قال عليه السلام . . .(والذي فرق بينكم فهو راعيك الذي

---

(١) بحارالأنوار ٢٥ / ٢١ لما خلق

(٢) نهج البلاغة ٣٨٥ لم يمنعنا

(٣) نهج البلاغة ٢٧٢انما تحد

استرعاه الله خلقه وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها لتأمن)[1] .

وفي العيون عن مولانا الرضا عليه السلام أنه قال لأبي سعيد المكاري (أنت لست من غنمهم يتصرفون فيهم كيف ما يشاء اللّه) .

واستدل أطال اللّه بقاه بقوله عليه السلام (نحن صنايع اللّه ربنا والخلق بعد صنايع لنا) فإن اللام هنا للاختصاص والمنفعة إذا أردنا كون خلق الخلق لأجل مصالحهم ونفعهم واستدل بقوله تعالى ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ** ﴾ آل محمد ﴿ **مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ** ﴾[2] أي جعل بيوتا لهم يعني محلا لهم ولظهوراتهم وتطوراتهم في يوم ظعنهم في الأسفار المتعلقة بإيجاد شؤوناتهم المتنزلة لأن سائر العوالم إنما وجدت من إقبال العقل الكلي أعني عقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويوم إقامتهم في إبقاء تلك العوالم الموجودة من إقبالهم إليهم بأسفارهم في الشئونات والتطورات ، ومن أصوافها أي عالم شهادتهم ، وأشعارها أي عالم غيبهم ، وأوبارها أي عالم أفئدتهم ، جعل لهم أثاثا ومتاعا إلى حين ، وذلك لأن الخلق إنما خلقوا من فاضل طينتهم من ظهوراتهم ، وظهوراتهم تقومت بالخلق قيام ظهور ، كما أن الخلق متقومون بظهوراتهم قيام ركن وتحقق ، ولذلك ترى أن الشجرة لو لم تلتفت بالأوراق أصابها بردا أو حرا أزالتها عما هي عليه ، فالخلق هم الأوراق وآل محمد الشجرة ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أنا الشجرة وعلي أصلها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها وشيعتنا أوراقها وعلومنا ثمرتها) فإن الخلق إنما خلقوا لإجراء أحكامهم الغيبية والشهودية .

---

(١) بحارالأنوار ٢ / ٤٦

(٢) النحل ٨٠

وقوله أطال اللّه بقاه قوله سلمه اللّه (أم متعددة قد تقدم جوابه إنها متعددة في كل شيء بحسبه . . . الخ) .

يريد أنهم عليهم السلام هم العلل الأربعة في جميع مراتب الوجود دقيقها وجليلها بالمعنى الذي ذكرنا لا غير .

وقوله جعلني اللّه فداه (وأما ما معنى هذا الاتحاد والوحدة فجوابه أن الاتحاد إنما يقال لشيئين . . . الخ) .

يريد أن الاتحاد إنما يتحقق بين شيئين فطرأ عليهما الاتحاد وقد أحاله العلماء ، لأن معنى الوحدة لا يتحقق مع وجود أمرين فإن الأمران ثابتين ، فليس هما متحدين وإن كانا متحدين أي واحدا فليس ذاك أمرين فيستحيل تحقق الوحدة مع الكثرة أبدا فلا يصح الاتحاد إلا على سبيل المجاز لاستحالة وجوده على الحقيقة ، ويريد بالمجازية البساطة بمعنى أن التعدد ثابت لهم في الحقيقة وبالذات لكونهم أربعة عشر ، ولكن لما كانوا متحدين بالنوع صلح أن يقال أنهم نور واحد كالسراج المنيرة فإنها بالنوع بحسب الإضاءة متحدة ولكن بالصورة الشخصية متعددة ، ولما كانوا هم عليهم السلام مخلوقين من طينة واحدة وليس في السلسلة الوجودية بينهم ترتب العلية والمعلولية كانوا متحدين لأنهم خلقوا من طينة واحدة كالضوء من الضوء ، فالضوء في عالمه بالنوع متحد وحقيقة واحدة لكنها بالشخص مختلفة ، فكذلك هم عليهم السلام فمحمد غير علي وعلي غير محمد والنبي غير الولي والولي غير النبي وكذلك سائر الأئمة لكنهم مع قطع النظر عن حدود المشخصات التي تشخصوا بها حقائقهم متحدة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام (أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد) فالجمع بلا تفرقة زندقة والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع بينهما توحيد ، ولكن حكم التفريق لا يزول عنهم أبدا كما أنه لا

يزول حكم الجمع عنهم أبدا وإذا عادوا في يوم الذي يعود كل شيء إلى أصله عادوا عود مجاورة لا عود ممازجة لبقاء حكم التفريق .

وقوله أطال اللّه بقاه (فجواب قوله فمتى أنه في الزمان . . . الخ) .

يريد حكم التفريق بينهم في جميع العوالم في الزمان الذي هو وعاء عالم الأجسام وفي الدهر أعني وعاء عالم المجردات عن المادة العنصرية والمدة الزمانية وفي السرمد أعني وعاء عالم المجردات عن عوالم المواد من العنصرية والنفسية والروحية والعقلية والمدة الزمانية والدهرية والسرمد وعاء لعالم الأمر فهم عليهم السلام في كل تلك لعوالم ممتازون عن الآخر بحسب الحدود الشخصية ومتحدون بحسب الحقيقة والنوع ، فافهم .

قال صاحب الكتاب : وقال في شرح الزيارة ففي البصائر عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله اللّه تبارك وتعالى ﴿ صِراطِ اللهِ الذي لهُ ما فِي السَّمواتِ وَما فِي الأَرْضِ ﴾ يعني عليا إنه جعل عليا خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه ألا إلى الله تصير الأمور)[1] .

قال : أقول ما يفيد العموم فكل شيء عندهم خزائنه وهم خزائنه عندهم مفاتحه وهم مفاتحه، وأما قوله عليه السلام يعني عليا يريد أن معنى (ألا إلى اللّه تصير الأمور) أنها تصير إلى علي وبيان ذلك أن الأمور حادثة مخلوقة والحادث المخلوق لا يصل إلى القديم ولا يرجع إليه سبحانه لأنه متعال عن كل شيء وإنما المعنى أن الأمور ترجع وتصير إلى أمره تعالى وأمره جعله عند وليه فالمصير إليه مصير إلى اللّه تعالى والراد عليه راد على اللّه تعالى وقد قال اللّه تعالى ﴿ إن إلينا إيابهم ثم ❁ إن علينا حسابهم ﴾.

(١) بصائرالدرجات ١٠٦

إلى أن قال : فهذا معنى قوله ﷺ في بيان (ألا إلى الله تصير الأمور) يعني عليا ، مراده أن الله سبحانه يقول (ألا إلى الله) أي إلى علي جعله الله ولي الأمور.

فالرجوع إلى الله رجوع إليه ثم أنه ﷺ بين معنى قوله يعني عليا فقال أنه جعل عليا خازنا له على ما في السماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه وهذا ظاهر .

أقول : يريد أطال الله بقاه أن الله سبحانه واحد أحدي المعنى صمد لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه فهو على ما هو عليه في عز جلاله لا تحده الصفات ولا تطرى عليه الحالات فخلق الخلق بمقتضى فضله وأفاض عليهم بمقتضى رحمته من غير أن يخرج من ذاته شيء أو يدخل فيه شيء ، ومعنى إفاضته للأشياء إيجادهم بإحداثه أي بمشيته فخلق الخلق بالخلق من الخلق وأفاض عليهم منهم فالإفاضة إنما يصل عليهم منهم وبهم ، ولامتناع خروج شيء عن ذاته سبحانه وتغيير في صفاته سبحانه قالوا صل إلى الخلق إنما هو الخلق إلى الخلق ، ولما لم ينزل القديم إلى مرتبة الحدوث والحادث لم يصعد إلى رتبة القديم امتنع الاتصال بينهم أو الانفصال أيضا ، لأن الاتصال يستدعي الوحدة والانفصال يستلزم التحديد فامتنع الاتصال والانفصال فلا وصل بين الحق والخلق ولا فصل ، فإذا لم يكن بينهما فصل ولا وصل امتنع الاتصال والانفصال فلا وصل بين الحق والخلق ولا فصل ، فإذا لم يكن بينهما فصل ولا وصل امتنع وجود الاقتران بينهما لأن الاقتران من صفات الحدوث ، فلو أراد أن يباشر الأشياء بذاته في الإيجاد والانوجاد وجميع ما يحتاج إليه الحوادث لزم حدوثه وانتقاله من القدم ، فخلق أناسا جعلهم ولاة

الأمر ونسبهم إلى نفسه وأصدر جميع الخلق على يديهم وما يحتاج إليه جميع الناس لتنزهه عن المباشرة والاقتران فبدأ منهم جميع ما خلق لأنهم ولاة الأمر وبهم ملأ الله سماءه وأرضه حتى ظهر أن لا إله إلا هو فيجب أن يعود أمر الخلق إليهم لأن العود كالبدو بل العود عين البدو ، فكما منهم بدؤوا إليهم يعودوا وعلى هذا دلت الأدلة العقلية والنقلية .

أما العقلية فكما ذكرنا من أن أمر الحادث لا بد أن يؤول إلى الحادث لتنزه القديم سبحانه عن مباشرة الأشياء واقترانه بها .

وأما الأدلة النقلية فقد أسلفنا شطرا منها في معنى كون الخلق إنما خلقوا من أشعتهم ولنذكر شيئا منها فمنها ما في هذا الحديث الشريف الذي استدل به شيخنا روحنا له الفداء ومنها ما في الكافي عن الباقر عليه السلام (إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَل الأَوَّلِينَ وَالآخِرينَ لِفَصْلِ الخِطَابِ دُعِيَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وَدُعِيَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام فَيُكْسَى رَسُول الله صلى الله عليه وآله حُلةً خَضْرَاء تُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَ يُكْسَى عَلِيٌّ عليه السلام مِثْلهَا وَ يُكْسَى رَسُول الله صلى الله عليه وآله حُلةً وَرْدِيَّةً يُضِيءُ لهَا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَيُكْسَى عَلِيٌّ عليه السلام مِثْلهَا ثُمَّ يَصْعَدَانِ عِنْدَهَا ثُمَّ يُدْعَى بِنَا فَيُدْفَعُ إِلَيْنَا حِسَابُ النَّاسِ فَنَحْنُ وَاللهِ نُدْخِلُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ)[1] .

ومنها ما رواه عن الكاظم عليه السلام (إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الخَلقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الله عَزَّ وَجَل حَتَمْنَا عَلى اللهِ فِي تَرْكِهِ لنَا فَأَجَابَنَا إِلى ذَلكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلى ذَلكَ وَعَوَّضَهُمُ اللهُ عَزَّ وَ جَل)[2] .

---

(١) الكافي ٨ / ١٥٩

(٢) الكافي ٨ / ١٦٢

وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام (إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا ، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم ، وما كان لنا فهو لهم)[١] .

ومنها ما في الزيارة (وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم . . .)[٢] إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أن الإياب إنما يكون إليهم وهم الحاكمون في المبدأ والمعاد من الخيرات وجميع ما للخلق في جميع الأمور في الورود والصدور ، وإذا صح إياب الخلق إليهم وجب أن يكون بدء الخلق منهم بحكم كما بدأكم تعودون فالعود كالبدو والبد وكالعود ، فإذا كان كذلك صح كونه ولي الله لا غير ذلك وسيجيء لهذا زيادة بيان إنشاء الله تعالى .

قال صاحب الكتاب : وقال في جواب من قال ما الدليل على أن أئمتنا أفضل من أولي العزم مع تلقي النبي الوحي بنفسه ومعاينته للملك دون الإمام؟ قد دل الدليل العقلي والنقلي على أن نبينا محمدا صلى الله عليه وآله خير الخلق من جميع ما خلق الله من غائب وشاهد ومتحرك وساكن ، ودل الدليل أيضا على أن الأئمة مساوون في جميع ما له من الفضائل والمراتب إلا الخواص التي اختص بها ولم يكن لأحد من خلق الله ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أولي العزم وغيرهم حتى أن عليا عليه السلام قال ما معناه وإنما أوتي موسى مما أوتيت أقل من جزء من مثقال الذر إلى ذكر ما رواه جابر أن مروان بن الحكم في خلافته صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وخطب وسب عليا عليه السلام فخرجت من القبر الشريف يد كل من حضر عرف أنها يد رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب عليها يا عد والله أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا هو والله

---

(١) الأمالي للطوسي ٤٠٦

(٢) الزياة الجامعة الكبيرة

علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين ثم عقد بيده ثلاثا وعشرين ليلة ثم مات.

إلى أن قال وأما تلقى الأنبياء للوحي بأنفسهم فإنما هو قليل من كثير ونبينا تلقى بنفسه جميع ما يمكن عن الوحي من قوله تعالى (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) وهو هو ونفسه علي عليه السلام ومع هذا فلم يصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وحي ولا خطاب إلا بلسان الولي عليه السلام ، والأنبياء كلهم ما هم منه إلا ذوات من الوجود .

ومعنى أن النبي صلى الله عليه وآله يرى الملك والإمام يسمع الصوت ولا يرى الشخص أن الملك ما يظهر بالوحي إلا للنبي صلى الله عليه وآله والإمام يسمع كلام الملك والوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وإنما لم يظهر له لأنه إنما جاء للوحي فظهوره بالوحي لمحمد صلى الله عليه وآله لا أن الإمام لا يراه، كيف ولا يصدر إلا بإذنه ؟ كما قال علي عليه السلام (والله ما أعلم أن ملكا في السماء يخطو قدما بغير إذني إلا وقد احترق) ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمت حتى كمل وانقطاع الوحي عند موته انقطاع كامل لا انقطاع نقصان وإلا لم يكن خاتم النبيين فلا يحتاج إلى نزول الملك في تأسيس الأحكام وإنما تتنزل الملائكة على الإمام بالأمر افعل ولا تفعل عن أمر أجراه ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أقول : أما استدلاله على أفضليتهم عليهم السلام عن جميع الأنبياء والمرسلين ظاهر لأنهم عليهم السلام مشاركون مع النبي في جميع الأمور إلا ما اختص به النبي وكان مخصوصا له والروايات في كون أفضليتهم كثيرة حتى بلغت حد التواتر بل ذلك من ضروريات المذهب .

وأما قصة مروان وسبه عليا وخروج اليد وظهور ما كتب فيها فهو حق لا

ريب فيه وقوله ﷺ (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ، واللّه هو أمير المؤمنين) يريد أنه خلقه بالمعنى الذي ذكرناه من أنه عليه السلام محل مشية اللّه وإرادته ، فلا يصدر صادر إلا عنه وبه وإطلاق ذلك عليه من باب المجاز وليس ذلك على الحقيقة لأن اللّه سبحانه متفرد بذلك ولا يشاركه فيه أحد أبدا وهذا ظاهر إنشاء اللّه .

وقوله أنار اللّه برهانه وأشاد شأنه (تلقى بنفسه جميع ما يمكن من الوحي . . . الخ) .

يريد بالوحي ما هو أعم من التكويني والتدويني يعني الوجودي والتشريعي لأنه صلوات اللّه عليه هو الواسطة في إيصال الفيض لجميع من دونه وذلك قوله عليه السلام (بكم فتح اللّه وبكم يختم) ولأن الفيض الواصل إلى الخلق من قبل اللّه هو خير محض ، وقال عليه السلام في الزيارة (إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه . . . الخ) ، ويدل على هذا المعنى استدلاله بالحديث (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) وهو هو صلوات الله عليه ، فوسع قلبه جميع أوامر اللّه ونواهيه وصفاته وأسمائه لتعذر كونه يسع ذاته سبحانه ، وإذا تعذرت الحقيقة فيتعين أقرب المجاز فما له سبحانه من جميع الصفات والأسماء المتعلقة بالخلق فيسعها قلبه صلوات اللّه عليه .

وقوله أطال اللّه بقاه (فلم يصل إلى النبي خطاب إلا بلسان الولي) .

هذا معنى ما ورد في كثير من الروايات من أنه سبحانه لا يتكلم بذاته لأحد ، فإذا أراد أن يكلم أحدا خلق كلاما وأجرى ذلك في لسان من يشاء كما فعل في شجرة الطور ، وكذلك يخلق كلاما ويجري بلسان أوليائه عليهم السلام ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام أول الخلق وولي الحق لم يكلم اللّه النبي إلا بلسانه كما قال ﷺ ما معناه (لما أسري بي إلى السماء في ليلة المعراج

وخرقت الحجب وبلغت المقامات لم يطأه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل خاطبني اللّه عز وجل بلسان علي عليه السلام) .

وقوله جعلني اللّه فداه كما قال علي عليه السلام (واللّه ما أعلم أن ملكا في السماء يخطو قدما . . . الخ) .

هذا ورد عنهم عليهم السلام كما في غيره في حديث الغمامة قال ما معناه (واللّه لا يخطو ملك خطوة إلا بأمري وإذني) الحديث ، لأنه الولي المطلق وإليه تؤب أمور الخلق على نحو ما ذكرنا فراجع تفهم .

وقوله أطال اللّه بقاه (وانقطاع الوحي عند موته انقطاع كمال . . . الخ) .

يريد أن النبي صلى الله عليه وآله لم يمض عن الدنيا إلا بعد إكمال الدين وتقويم الشرع المبين كما قال اللّه ﴿ **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾[1] وبعد ذلك قضى نحبه صلوات اللّه عليه وآله وعند وفاته نزل جبريل وقال هذا آخر نزولي إلى الدنيا فبعد النبي لم ينزل جبريل وكونه لم بنزل معناه أنه لم ينزل بالوحي التأسيسي وإلا فهو ينزل دائما ويتشرف بحضور الأئمة عليهم السلام كما ورد أنه عليه السلام نزل يوم قتل أمير المؤمنين عليه السلام وصاح بالناس قد قتل سيد الأوصياء قتل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء ، وكذلك يوم قتل الحسين عليه السلام .

قال صاحب الكتاب : أقول يرد عليه أولا أن عدم كون النبي صلى الله عليه وآله وعلي ابن أبي طالب عليه السلام وأولاده عليهم السلام ، علة فاعلية وخالقا لمن عداهم من ضروريات الدين ظاهر فما ذكر إنكار للضروري واحتمال الحمل على العلة الغائية مع ذكرها أيضا بابه مسدود.

أقول : نعم من زعم أن النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة عليهم السلام خالقون فهو كافر

(١) المائده ٣

كفر الجاهلية الأولى وما ذكره شيخنا دامت بركاته هو مطابق للضرورة لأنه يقول أن اللّه سبحانه هو الخالق لا غير وكون إطلاق العلة الفاعلية عليهم السلام من باب المجاز لأنهم هم الحاملون لفعل اللّه وعلاقة المجاز موجودة وهي علاقة الحال والمحل وقد عرفت فيما أسلفنا من ذكر عباراته أطال اللّه بقاه .

قال : وثانيا أن تغيير الأسلوب في قوله عليه السلام (صنايع لنا) بذكر اللام وعدم الإضافة كما في الصدر دال على كون المراد في الذيل مخالفا للصدر باعتبار الفاعلية والغائية كما لا يخفى .

أقول : إن تغيير الأسلوب لا يدل على ذلك بالخصوص بل كثيرا ما يطلق على الفاعلية كما في قول القائل من خالق السماوات والأرض مثلا يقول مخلوقه لله وكذلك قوله تعالى ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾[1] فاللام هنا لا يصح أن يكون لأجل الغاية لكون أن اللّه خالق وليس هو العلة الغائية ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾[2] فهذا الحديث الشريف أعني قوله (صنايع لنا) من هذا القبيل ، وأما تغيير الأسلوب فلحسن اللطافة في الكلام ، وكما يحتمل هذا يحتمل أيضا العلة الغائية فيجوز في هذا الكلام كلا الاحتمالين ، ومن القراين الدالة على أن هذا الكلام يدل على كونهم هم العلة الفاعلية قول الحجة عجل اللّه فرجه في التوقيع كما رواه في الاحتجاج (إنا صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا) بحذف اللام فهم العلة الفاعلية على ما بينا من أنهم محال المشية لا أنهم هم الخالقون فإن ذلك كفر وزندقة .

قال: وثالثا أن اللام من الحروف والحرف مستعمل في خصوصيات الكلي بالاتفاق فالمستعمل فيه إن لم يكن خصوص جزئي من جزئيات العلة الغائية فلا أقل من الإجمال فإن الاستعمال في جزئين من الكليين كما يظهر من كلامه خلاف الظاهر .

---

(١) غافر ١٦

(٢) البقرة ٢٥٥

أقول : إن المتفق عليه هو أن الحرف نسبة والنسبة رابطة بين شيئين لا أنه موضوع لخصوصيات الكلي بمعنى أن يكون المدخول فيه جزء من الكلى ، بل المراد تعيين الشيء للشيء على وجه الارتباط كقولك مثلا المال لزيد فإنه يعين المال لزيد ويخصصه له لا أنه يراد بجزء من المال لجزء من زيد وكذلك قوله تعالى ﴿ **لهُ ما في السَّماواتِ** ﴾ فإن اللام يعين كون السموات والأرض لله سبحانه ، فقوله مستعمل في خصوصيات الكلى على المعنى الذي ذكره لا معنى له كما هو ظاهر .

قال : ورابعا أن ملاحظة السياق وساير الأخبار والاعتبار مما يقتضي كون المراد أن جعلهم رؤساء آمرين مما لا بد فيه من إيجاد المرؤوسين المأمورين لئلا يبقى الآمر بلا مأمور فالمراد أن الخلق مصنوع لإطاعتنا وإن تنزلنا سلمنا كون المراد لمصالحنا .

أقول : لا ينافي كون خلقة الخلق لإطاعتهم وكونهم مخلوقين لمصالحهم كما لا يخفي .

قال : وخامسا أن الحديث وإن سلم دلالته معارض بالكتاب الدال على حصر إيجاد الخلق في اللّه كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الخَلاقُ العَليمُ ﴾ لإفادة تعريف المسند الحصر كما حقق في محله ونحو ذلك من الآيات .

أقول : ليس الأمر حيث ما ذهب بل إن هذا الحديث ليس معارضا للكتاب والسنة أبدا بوجه من الوجوه لانحصار إيجاد الخلق في اللّه سبحانه هو الخالق لا غير ، لكنه لما لم يكن مقترنا بالأشياء أوجد فعله وأجرى على يدي أوليائه فهو الفاعل بالأولياء وإسناد الفاعلية للأولياء من باب المجاز لا غير ، فهذا الحديث على طبق الكتاب والسنة كما بيناه فراجع .

قال : وسادسا أنه يلزم أن يعتقد أن علي بن أبي طالب عليه السلام خلق أباه وأمه ثم تولد منهما .

أقول : إن للأئمة عليهم السلام مقامان في الوجود ، ففي مقام هم العلة بالمعنى الذي ذكرنا وهذه المرتبة هي مرتبتهم ومقامهم الحقيقي .

وفي مقام هم قطب رحى الوجود وهذا مقام بشريتهم عليهم السلام ، فإنهم لما ظهروا للخلق لبسوا ألباسا من سنخهم حتى يتمكن الخلق من الوصول إلى حضرتهم لوجوب المناسبة بين المدرك والمدرك فعند فقدان المناسبة يسقط الإدراك ، كما أنك لا تستطيع أن تشاهد الروح بعينك وتراه لأن العين من سنخ عالم الجسم والجسم لا يدرك الروح أصلا ، ولو ظهروا للخلق على ما هم عليه في الخلق الأول لما استطاع أحد أن ينظر إليهم بوجه من الوجوه ، وهذا معنى ما قال الإمام عليه السلام (إنا لو ظهرنا للخلق بالصورة الحقيقية لهلك الناس إذا أرادوا أن ينظروا إلينا)الحديث .

وكيف لا يكون ذلك وقد ظهروا لموسى عليه السلام بشبح من أشباحهم الذي هو أثرهم لا شبح ذاتهم فخر موسى ودك الجبل ومات الرجال كما صرحوا بذلك عليهم السلام كما في البصائر ومستطرفات السرائر وتفسير الصافي قال عليه السلام (إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ثم قال إن موسى لما سأل ربه ما سأل أمر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا)[1] الحديث .

فهذا الرجل الذي تجلى لموسى هو شبح من أشباحهم المنفصلة فإذا لم يستطع أن ينظر إليه فكيف يمكنه النظر إليهم وهو نبي مرسل ومن أولي العزم فما ظنك بغيره من سائر الرعايا فهم عليهم السلام لم يظهروا للخلق بحقايقهم لأن حقايقهم فوق إدراك الخلق ، قال عليه السلام (ظاهري الإمامة وباطني غيب لا يدرك) فظهروا للخلق بما يناسبهم ويتمكنون من النظر إلى جميل رؤيتهم حتى يؤدون إلى الخلق أوامر الله سبحانه ونواهيه فالظاهر

(١) بصائر الدرجات ٦٩

للخلق هو لباسهم ، أعني بشريتهم التي هي من سنخ سائر الخلق ، فما تولد من الأبوين هو البشرية الظاهرة لا حقيقتهم فعبدالله وآمنة مثلا أبواه الجسماني الظاهري لا أنهم أبوا حقيقته صلوات الله عليه وآله لأنهم عليهم السلام خلقوا قبل الخلق ما شاء الله كما رواه العامة والخاصة في كتبهم فلا يرد على شيخنا دامت بركاته ما أورده .

قال : وسابعا أنه يلزم كون مخلوقه قاتل .

أقول : قد تبين مما بينا أن لهم مقامين مقام العلية ومقام القطبية التي هي البشرية التي من سنخ سائر الرعايا ، فقاتله لعنه الله إنما قتله في مقام بشريته لا في مقام عليته لاستحالة تأثير المعلول في العلة ، فالقاتل لعنة الله إنما قتله بجسمه الظاهر للخلق لا بحقيقته ولذلك ورد أنه عليه السلام بعدما قضى نحبه حمل سريره مع أولاده من مقدم السرير ودفن جسده الشريف ، وكما أن سيد الساجدين صلوات الله عليه دفن أباه الحسين مع أنه كان في غل المخالفين وأسيرا في أيدي المشركين فلهم عليهم السلام التصرفات في الأمور كيفما شاء الله ولهم الصور فبأي صورة أرادوا أن يظهروا ظهروا ولا يمنعهم من ذلك مانع ، فالقاتل لعنه الله إنما قتل بشريته الظاهرة للخلق فتبصر .

قال: وثامنا أن حديث البصائر على ما حكي من الصافي هكذا (﴿صِراطِ اللهِ الذِي لهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾ يعني عليا)[1] تفسير للصراط لا للذي تصير إليه الأمور .

أقول : هذا الكلام أيضا من جملة مغالطاته إذ ليس في الصافي إسناد ما ذكره إلى البصائر بل نقله عن القمي وعن ثواب الأعمال ، وإن قلنا هو ذلك الحديث فلعل التحريف من الناقل تحرجا مما توهمه هو وأضرابه فنقل الحديث

(١) تفسير القمي ٢ / ٢٨٠

على زعمه بالمعنى وإلا فحديث البصائر إنما هو بصورة ما نقله الشيخ بلا زيادة ونقيصة ففي البصاير عن الثمالي عن أبي جعفر عليهما السلام (في قول الله تبارك وتعالى ﴿ **صِراطِ اللهِ الذي لهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ** ﴾ يعني عليا إنه جعل عليا خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه ألا إلى الله تصير الأمور)[1] وفي هذا المعنى وردت روايات عديدة كما في تفسير قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ** ﴾[2] وصاحب الكتاب أغمض عن بيان الشيخ لهذا الحديث ونسبه إلى الغلو ، وقد قال الشيخ في تفسير الحديث حتى لا يتوهم أحد أن عليا عليه السلام هو مدلول لفظ الجلالة وبيان ذلك أن الأمور حادثة مخلوقة والحادث المخلوق لا يصل إلى القديم ولا يرجع إليه سبحانه لأنه متعال عن كل شيء ، وإنما المعنى أن الأمور ترجع وتصير إلى أمره وأمره تعالى جعله وليه فالمصير إليه مصير إلى الله تعالى والراد عليه راد على الله ، وقد قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ** ﴾[3] إلخ ما ذكر جعلني الله فداه ، ومعرفة الرجوع إليهم هو الرجوع إلى الله وبالعكس تظهر مما قدمنا سابقا فراجع .

قال : وتاسعا أن عليا عليه السلام إن كان قديما يلزم تعدد الواجب والشرك وإن كان حادثا يلزم ما فر منه من ارتباط الحادث بالقديم .

أقول : ما أجهل صاحب الكتاب في معرفة الأمور الإلهية ، فقوله إن كان قديما . . . الخ ، ما أدري ما يعني به إن كان مقصوده أن عليا يصير ذات الله بمعنى أنه عين ذات الله إن قيل بقدمه فلا يكون شريكا له إذ هو هو وذلك

(١) بصائرالدرجات ١٠٦
(٢) الزخرف ٥٥
(٣) الغاشيه ٢٥ - ٢٦

كفر وزندقة وإن كان مراده القدم ظرف للذات المقدسة فلو قيل أن عليا خالق يكون معه في القدم ويكون شريكا له فيرد عليه أن يكون الذات المقدسة مظروفا وهو في مكان وقد أجمع العقلاء على بطلانه للزوم كونه حادثا ، وإن أراد بذلك أن الأمر لو كان كذلك لكان لله سبحانه شريك فيما صدر عن فعله هذا يصح على القول بوجود خالق مستقل غير اللّه وقد أجمع العقلاء على بطلانه مضافا إلى الكتاب والسنة .

وأما على ما أفاد الشيخ جعلني اللّه فداه لا يلزم شيئا من ذلك لأنه صرح في غير موضع من كتبه ورسائله كما ذكرنا شطرا منها أن اللّه هو الخالق وحده لا شريك له وأن إطلاق الخالقية وسائر صفات الأفعال على الأئمة عليهم السلام من باب المجاز لأنهم محال مشيته وألسنة إرادته كما عرفت سابقا وعرفت صحة هذا الإطلاق عليهم وعلى غيرهم كما قال تعالى **﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾**[1] **﴿وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾**[2] إلى غير ذلك من الآيات والروايات .

وقوله (يلزم ما فر منه من ارتباط الحادث بالقديم) لا يشبه بكلام من له أدنى تدرب في العلوم لأن ذلك يصرح بعدم الارتباط لقوله أن الأمور حادثة مخلوقة والحادث المخلوق لا يصل إلى القديم . . . الخ ، وهذا مطابق لما قال أمير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات اللّه عليه (إِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الآلاتُ إلى نَظَائِرِهَا)[3] ، وقوله (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله) إلى غير ذلك مما ذكرناه آنفا ، وأنا كررت هذه العبارات وأعدت الإشارات لتكميل الحجة وإكمال الحجة .

(١) المؤمنون ١٤

(٢)الجمعه ١١

(٣) نهج البلاغة ٢٧٢

وقوله جعلني اللّه فداه (إن الأمور كلها ترجع إلى وليه هذا يشيد القول بعدم الارتباط لأن الارتباط من صفات الحدوث فلا يكون الحق مرتبطا بشيء ولا بالعكس لاستلزامه كونه حادثا) .

قال : وعاشرا أن ارتباط الحادث بالقديم ارتباط صدور جائز وواقع والمحال ارتباط القيام المستلزم لكونه محل العرض إلى غير ذلك .

أقول : ما ذهب إليه صاحب الكتاب مخالف لمذهب الأئمة الأطياب سلام اللّه في المبدأ والمآب ، لأن القيام هو النسبة والنسبة هي الارتباط أعم من أن يكون الارتباط ارتباط صدور أو عروض أو غير ذلك ، فإن الربط على عمومه مستلزم للحدوث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث ، لكون الرابطة لا بد لها من الدخول في ذات المرتبطين إن كان الارتباط ذاتيا بينهما وإلا فيكون داخلا في صفاتهما حتى يصح ارتباطهما الذي قال به صاحب الكتاب إن كان في مرتبة ذاته سبحانه فيلزم حلول شيء غيره في ذاته وغيره ليس إلا حادثا فيلزم أن يكون محلا للحوادث والقائل به خارج عن زمرة المسلمين ، وإن كان الارتباط في صفاته الذاتية فكذلك صفات الذات هي عين الذات ، وإن كان الارتباط في صفاته الفعلية فالصفات الأفعال ليست هي عين الذات كما قررنا آنفا بل هي موجودة بفعله وإرادته وهي من سنخ الحوادث لعدم ذكرها ووجودها في مرتبة الذات ، فإذا لم تكن في مرتبة الذات فهي من سنخ المخلوقات ، قال مولانا الرضا عليه السلام (حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما) ، فعلى ما بينا ظهر عدم الربط بين الحادث والقديم .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربط الذي هو القيام على أربعة أقسام .

الأول : القيام الصدوري وهو قيام المفاعيل بالفعل أعني قيام الخلق بإرادة

الخالق وقيام الأثر بالمؤثر والنور بالمنير ، وأما الفعل فهو قائم بنفسه باللّه من دون ارتباط ولا كيف له كما أنه لا كيف له قال عليه السلام لصفوان بن يحي (فإرادة اللّه هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف)[1] وأما كونه قائما بنفسه باللّه ما قال أمير المؤمنين عليه السلام (خلق اللّه الأشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها) فليس بين الفعل وذاته المقدسة ربط ولا فصل ولا وصل ، وكذلك بينه وبين جميع المخلوقات ، وأما قولنا أنه قائم بنفسه باللّه التقيد باللّه لأجل نفي التعطيل كما يتوهمه البعض ، فهو قائم بنفسه باللّه مع عدم الربط بينهما ولا كيف لذلك .

والثاني : القيام الركني أعني قيام التحقق الذي لا يتحقق الشيء بدون ذلك لأنه ركن لوجوده كقيام الماهية بالوجود وقيام السرير بالخشبة فلولا الوجود لم تتحقق الماهية ولولا الخشبة لم يوجد السرير فهما متقومان بالوجود والخشبة .

والثالث : القيام الظهوري كقيام الوجود بالماهية فإن الوجود متقومة بالماهية تقوم ظهور كما أن الماهية متقومة بالوجود قيام ركن وتحقق فلولا الوجود لما وجدت الماهية ولولا الماهية لما ظهر الوجود كالبحر والموج فلولا البحر لم يوجد الموج ولولا الموج لم يظهر البحر .

والرابع : القيام العروضي وهو قيام الأعراض بالجواهر كقيام الألوان بالأجسام فتفطن .

---

(١) في التوحيد ١٤٧عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبي الحسن عليه السلام (أخبرني عن الإرادة من الله و من المخلوق قال فقال الإرادة من المخلوق الضمير و ما يبدو له بعد ذلك من الفعل و أما من الله عز و جل فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي و لا يهم و لا يتفكر و هذه الصفات منفية عنه و هي من صفات الخلق فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همة و لا تفكر و لا كيف لذلك كما أنه بلا كيف) .

وإذا دريت ما قلنا فاعلم أن القيام والربط بأي معنى كان كما قلنا لا يجوز أن يكون بين الحق والخلق ، لأن القيام والربط هو الذي سبحانه ببديع صنعه أجراه ولا يجري عليه ما هو أجراه .

ثم اعلم أني لما بلغت في الشرح إلى هنا دهتني داهية هدت ركني وركوني وقطعت عرى صبري وسكوني وهي خبر وفاة شيخنا الأعظم وعمادنا الأقوم حجة الإسلام والمسلمين وركن المؤمنين الممتحنين آية اللّه في العالمين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الإحسائي قدس اللّه نفسه وعطر رمسه في مهاجرته إلى بيت اللّه ، وأقمنا عزائه ولمثله فليبك الباكون وإياه فليندب النادبون إنا لله وإنا إليه راجعون ، فأعرضت عن كتابة هذا الشرح برهة من الزمان حتى اجتمع إلي الإخوان صانهم الله من طوارق الحدثان والتمسوا مني أن أتمم الشرح لكي ينتفع بمطالعته أهل الإيمان فشرعت في إجابة ملتمسهم راجيا من اللّه السداد في البدء والمعاد .

المقام الرابع

قال صاحب الكتاب : المقام الرابع أن الإمام بعده عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام ثم علي بن الحسين عليه السلام ثم محمد بن علي الباقر عليه السلام ثم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ثم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ثم علي بن موسى الرضا عليه السلام ثم محمد بن علي التقي عليه السلام ثم علي بن محمد النقي عليه السلام ثم الحسن بن علي العسكري عليه السلام ثم محمد بن الحسن صاحب الزمان صاحب الزمان عجل الله فرجه، ردا على طوائف من الشيعة كالكيسانية القائلين بخلافة محمد بن الحنفية بعد الحسين عليه السلام والزيدية القائلين بخلافة زيد بن علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام بعده والناووسية القائلين بالإمامة إلى الصادق عليه السلام الواقفين عليه المنسوبين إلى رجل من أهل البصرة يقال له عبد الله بن ناووس القائلين بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام والإسماعيلية القائلين بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق والواقفية القائلين بالإمامة إلى موسى الكاظم عليه السلام ووقفوا عليه معتقدين بأنه لم يمت وأنه القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله بإغواء بعض وكلائه.

والدليل على ذلك أولا أن ذلك لطف واجب وخلاف ذلك ترك اللطف الواجب مضافا إلى ترجيح المرجوح بالنسبة إلى بعض العقائد من جهة القول بترجيح ابن الحنفية وزيد وعبد الله وإسماعيل وذلك لعصمة الأئمة المذكورين وأعلميتهم مضافا إلى النص فبهم تتم الهداية والحجة ويحصل الغرض دون غيرهم.

أقول : يريد باستدلاله أن هؤلاء الأئمة عليهم السلام هم أعلم الخلق وأزهد الخلق وأشجع الخلق وأعرف الخلق في جميع ما يحتاج إليه الخلق فنصبهم للإمامة واجب على الله من باب اللطف لأنه في نصب غيرهم يلزم ترجيح المرجوح على الراجح فبذلك يتعين إمامتهم ، وهذا دليل لا يثبت وجوب كون الأئمة اثني عشر والذي يثبت تعينهم هو الذي ذكره سيدي وسندي ومن إليه في كل حق مستندي سند الأفاضل والأعاظم السيد كاظم دامت بركاته في جواب من سأله عن الدليل في وجوب كون الأئمة عليهم السلام اثني عشر من دون زيادة ونقصان .

قال أطال الله بقاه : أقول أما في الظاهر فاعلم أن الله سبحانه أن يكون فعله وأمره محكما متقنا كاملا بحيث لا يتصور وجه أكمل منه لأنه تعالى قادر عليه والكمال مستحسن ، فالعدول من الأكمل إلى غيره إما من جهة عدم علمه أو عجزه وكلاهما منتفيان بالنسبة إلى فعله سبحانه ، فيجب أن يكون فعله تعالى بحيث لا يمكن أن يقال لو كان كذا لكان أحسن وفي ذلك إتمام النعمة على المؤمنين وإكمال الحجة على الكافرين ، وإذا كان كذلك فلا ريب أن الإمام عليه السلام لو كان أكمل أي جامعا لجميع الصفات الكمالية اللائقة في الرتبة البشرية بحيث لا تكون فيه جهة نقصان بالنسبة إلى تلك المرتبة كان أحسن وأثبت في الألوهية وإظهار صفاتها لأنه خليفة الله وظاهر الله وبقية الله في خلقه فيكون متخلقا بأخلاق الله ليصح قوله عز وجل ﴿ **اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[1] ﴿ **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾[2] إذ لو كان ناقصا في جهة من الجهات وإن كان نقصا جزئيا كان ذلك محل حجة لتمسك المنافقين المكذبين وكدورة خاطر للمؤمنين ، ولذا وجبت فيهم العصمة والطهارة والمعرفة البالغة وأمثالها ، هذا حكم كل واحد منهم .

(١) الأنعام ١٢٤
(٢) النساء ١٦٥

وأما عددهم فوجب أن يكون تاما ناقصا والستة هي العدد التام لمساواة كسورها مع أصلها وقد اتفق علماء العدد والحروف عليه وفرعوا على ذلك تفريعات عجيبة واستخراجات غريبة ، ولا شك أن الشيء لا يتم مشروح العلل مبين الأسباب إلا بعد اجتماع مرتبتين مرتبة الغيب والشهادة والإجمال والتفصيل والبطون والظهور فيكون كمال الستة في كل مرتبة أن تتكرر وتثنى كما أن كمال العالم والشيء أن يتكرر ولذا قال عز وجل ﴿ **اللهُ الذي خَلَقَ السَّماوات وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أيَّامٍ** ﴾ [1] وقال سبحانه ﴿ **عالمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ** ﴾ [2] ولذا وجب أن يكون للإنسان جسم مع الروح ، وإنما قيد الإنسان للظهور وإلا فكل شيء فيه المرتبتان فعدد اثني عشر هو تكرار الستة ، فيجب أن يكون الأئمة عليهم السلام على هذا العدد التام وهذا لا يخص نبينا وأئمتنا عليهم السلام بل كل صاحب شريعة بينه وبين صاحب الشريعة الأخرى إثنى عشر وصيا لتمام الحجة البالغة .

وأما عدد الأنبياء أولي الشرائع فيجب أن يكون ستة لأنهم الرتبة الأولى ومقامهم مقام الإجمال ، والوصاية رتبة ثانية ومقامها مقام التفصيل وهو انبساط الأصل وتكريره ، كما يقولون أن الباء تفصيل الألف وتكريره والدال تفصيل الباء وتكريرها وهكذا .

وأيضا مبادئ العالم التكويني تدور على اثني عشر لأن العالم أو كل جزء من أجزائه لا يتم وجوده إلا بعقل ونفس وجسد ، أي جبروت وملكوت وملك ، وكل من هذه الثلاثة لا يتم بأربعة بخلق وبرزق وحياة وموت ، فإذا لاحظت نسبة الثلاثة في الأربعة يكون اثنى عشر ، فلا يتحقق الكون التكويني إلا بهذه المبادئ فيجب ألا يتحقق الكون التشريعي إلا بهذه المبادئ

---

(١) السجده ٤

(٢) الأنعام ٧٣

أي أثنى عشر لأن حكم الله وأمره واحد ﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** ﴾[1] بل مبادئ التشريع أصل لمبادئ التكوين ، وأيضا قد ذكرنا سابقا أن الأفلاك التسعة الظاهرة لتربية الأبدان ، والأنبياء والأوصياء لتربية الأرواح والعقول والمقامات الباطنية ، فكما أن العرش هو الأصل والفيوضات إنما ترد عليه مجملة مبهمة ومنه تفاض على الكرسي وفيه تنقسم إلى اثني عشر برجا وبتلك البروج تنتشر الفيوضات الكونية في العالم ، فكذلك العرش مثال للنبي صلى الله عليه وآله والكرسي مثال للوصي عليه السلام فيكون وصي كل نبي مؤسس اثنى عشر قال تعالى ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض** ﴾[2] ، وأيضا قوام الإنسان واهتدائه إلى معاشه ومعاده وسائر أحواله لا يكون إلا باثني عشر نورا فيه به يهتدي إلى أحواله ومآربه وهو العقل والنفس والحواس الخمس الظاهرية والخمس الباطنية فذلك اثنى عشر ، فلو اختل واحد من تلك الأمور اختل أمره بذلك القدر ، فكذلك العالم الكلي لا يصلح نظامه إلا باثني عشر سراجا وهاجا موقدا من الشجرة المباركة الزيتونة التي لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، فإن الإنسان على طبق العالم كقول أمير المؤمنين عليه السلام :

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

والإنسان يدور على أصل وهو الفؤاد والحقيقة له اثنى عشر فرعا متخذا ومشتقا منه يستكمل شئونه وأحواله بذلك الأصل وفروعه ، وأيضا أن الشمس مثال النبوة والقمر مثال الوصاية والولاية فلا مكمل دون الشمس إلا بعد إكمال القمر اثنى عشر دورة ، ومن هنا يجب أن يكون كل صاحب

---

(١) الملك ٣

(٢) التوبة ٣٦

شريعة له اثنى عشر وصيا كما هو مذكور في كتب الإسلام وغيرهم من سائر الملل فقد ذكروا أن بين آدم ونوح عليهما السلام اثنى عشر وصيا وبين نوح وإبراهيم كذلك وبين إبراهيم وموسى كذلك وبين موسى وعيسى كذلك وبين عيسى ومحمد كذلك وبين محمد ﷺ وقيام القيامة وفناء العالم كذلك انتهى ما أردنا نقله من كلامه أطال الله بقاه ، وهو وإن كان ذكر أدلة باطنية في وجوب كونهم اثني عشر ووجوب تخصيص أسمائهم بهذه الأسماء إلا أني أعرضت عن ذكرها خوفا من التطويل .

وقال ابن أبي جمهور الإحسائي في المجلي اعلم أن الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وإن كانوا كثيرين وأن لكل نبي ورسول ووصي وولي لكن نقتصر في هذا المقام على السبعة الأقطاب وأوصيائهم الأثني عشر نقيبا وأسمائهم ويقاس الباقي عليهم ويتحقق عندك أن نظام العالم الصوري كما وقع على سبعة من الكواكب واثني عشر ، كذلك نظام العالم المعنوي وقع على سبعة من الأنبياء والأقطاب واثني عشر من الأولياء والأوصياء الذين هم على مقامهم .

أما الأقطاب السبعة فأولهم آدم عليه السلام وأوصيائه : شيث ، هابيل ، قينال ، ميشم ، شلشم ، قاوس ، قيدون ، السنج ، أينوح ، أدرس ، دينوح ، صاخور .

والثاني نوح عليه السلام وأوصيائه : سام ، يافث ، أرشخ ، فرشخ ، مانوا ، سالح ، هود ، صالح ، ذيمنح ، معدل ، ذريجا ، هجان .

والثالث إبراهيم عليه السلام وأوصيائه : إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، أيلون ، أيثم ، أتوب ، زيتون ، دانيال الأكبر ، أيتوخ ، أناخاناخا ، ميدع .

والرابع موسى عليه السلام وأوصيائه : يوشع ، عروق ، قندق ، غرير ، أرشا ، هارون ، داود ، سليمان ، آصف أتواخ ، منيقان ، آرون ، واعث .

والخامس عيسى عليه السلام وأوصيائه : شمعون ، غروف ، قيذوق ، عيسر ، زكريا ، يحيى ، أهدى ، مشيخا ، طالوت ، قس ، استين ، بحر الراهب .

والسادس محمد صلى الله عليه وآله وأوصيائه : علي المرتضى عليه السلام ، الحسن ، الحسين الشهيد ، علي زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، علي الرضا ، محمد الجواد ، علي الهادي ، الحسن العسكري ، محمد المهدي صاحب العصر والزمان صلوات الله عليهم أجمعين .

وأسمائهم باللسان العبري : إيليا ، قيدار ، أروبيل ، نفسام ، مشماع ، أزوما ، ميشا ، هذاد ، يتما ، يطور ، نافيش ، أقيدما .

وإنما خصصنا الذكر بهؤلاء الستة للحديث المتقدم وتركنا السابع لأنه لم يذكر في الحديث .

إلى أن قال والسابع هو داود عليه السلام وإنما لم يذكر أسماء أوصيائه لأن الكتاب الذي نقل منه هذه الأسماء قد ضاع منه بعض الأوراق التي فيها تلك الأسماء لكنها أيضا معلومة عند أهلها مذكورة في زبره لأن هذه الوصاية سنة الله الجارية بينهم لا يصح لأحد منهم تبديلها ولا تغيير لسنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلا انتهى .

أقول : وما ذكره صاحب المجلي فليس بمستقيم ولا يصح القول بتطابق الأقطاب على السبعة السيارة إلا على القول بأن أولي الشرائع سبعة وهذا خلاف مذهب المليين لتطابقهم على أن أولي الشرائع ستة وهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله .

وأما ما ذكر من أن أوصياء داود ضاع أساميهم فلا يدل على شيء من تطابق الأنبياء على السيارة فإن الأنبياء كلهم لم يمضوا عن الدنيا إلا وأوصى كل واحد منهم فكان له وصي ، وإنما أخذ صاحب المجلي هذا الكلام من

محيي الدين ابن عربي وليس بصحيح ، والحق المطابق للواقع هو الذي ذكره سيدي وسندي المتقدم ذكره .

وبالجملة قد اتضح من تطبيق عالم الغيب والشهادة والظاهر والباطن بوجوب كون الأوصياء اثنى عشر ، ويمكن أن نستدل أيضا على وجوب كون أوصياء نبينا محمد ﷺ اثنى عشر بأن المنصوص في الكتب السماوية والمنقول عن أرباب السير والتواريخ أن أوصياء الأنبياء الذي كانوا أولي الشرائع كانوا اثنى عشر كما نقلنا أسمائهم وقال النبي ﷺ في تفسير قوله ﴿لتركبنَّ طبقاً عن طبقٍ﴾ ما معناه (كلما كانت في الأمم الماضية والقرون السالفة تكون في أمتي حذ والقذة بالقذة والنعل بالنعل حتى أنهم لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه)[1] فلما كان في تلك الأمم اثنى عشر وصيا يجب أن يكون أيضا في هذه الأمة كذلك فيتعين كونهم اثنى عشر وأما تعيين أسمائهم فلنذكر ما نص عليه رسول الله بوحي من الله إنشاء الله .

قال : وثانيا النقل فعن الرضا عليه السلام (إن الله عزوجل لم يقبض نبيه حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج الناس إليه كملا فقال عزوجل ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ ﴿اليَوْمَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَليكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ و أمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض ﷺ حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبله وتركهم على قصد الحق وأقام لهم عليا عليه السلام علما وإماما وما ترك شيئا يحتاج إليه الأمة إلا بينه فمن زعم أن الله عزوجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب

(١) وَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كُلُّ مَا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ) من لايحضره الفقيه ١ / ٢٠٣ .كلما كانت

الله عز وجل ومن رد كتاب الله عزوجل فهو كافر فهل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم إن الإمامة أجل قدراوأعظم شأن اوأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه الله بها فأشار بها ذكره فقال عزوجل ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾ فقال الخليل سرورا بها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال عز وجل ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾ فلم تزل في ذريته يرثها بعض قرنا فقرنا حتى ورثها النبي فقال جل جلاله ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكانت له خاصة فقلدها النبي عليها بأمر ربه عزوجل على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزوجل ﴿وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ وهي في ولد علي خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد فمن أين يختار هؤلاء الجهال إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء إن الإمامة خلافة الله عز وجل وخلافة الرسول ومقام أميرالمؤمنين وميراث الحسن والحسين والإمام عالم لا يجهل راع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسبولا يدانيه ذوحسب)[1] الحديث .

(١) الأمالي للصدوق ٦٧٤ / ٦٧٩

أقول : إن هذا الحديث الشريف بيان لمرتبة الإمامة وعلو رتبتها وإني أحب أن أذكر هذا الحديث بتمامه وإن كان طويلا إلا أنه اشتمل على فضائل حجة تقصر عن نيلها إفهام العلماء وأوهام الحكماء ، روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مُسْلِم قَال كُنَّا مَعَ الرِّضَا عليه السلام بِمَرْوَ فَاجْتَمَعْنَا فِي الجَامعِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَدَارُوا أَمْرَ الإمَامَةِ وَذَكَرُوا كَثْرَةَ اخْتِلافِ النَّاسِ فِيهَا فَدَخَلتُ عَلى سَيِّدِي عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ خَوْضَ النَّاسِ فِيهِ فَتَبَسَّمَ عليه السلام ثُمَّ قَال يَا عَبْدَ العَزِيزِ جَهِلَ القَوْمُ وَخُدِعُوا عَنْ آرَائِهِمْ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى أَكْمَلَ لهُ الدِّينَ وَأَنْزَل عَلَيْهِ القُرْآنَ فيه تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ بَيَّنَ فيه الحَلال وَالحَرَامَ وَالحُدُودَ وَالأَحْكَامَ وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلا فَقَال عَزَّ وَجَل ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَل فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ وَهِيَ آخِرُ عُمُرِه صلى الله عليه وآله ﴿ **اليَومَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** ﴾ وَأَمْرُ الإمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ وَلَمْ يَمْضِ صلى الله عليه وآله حَتَّى بَيَّنَ لأُمَّتِه مَعَالِمَ دِينِهِمْ وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وَتَرَكَهُمْ عَلى قَصْدِ سَبِيلِ الحَقِّ وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً عليه السلام عَلَماً وَإِمَاماً وَمَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الأُمَّةُ إِلا بَيَّنَهُ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل لَمْ يُكْمِل دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ الله وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ الله فَهُوَ كَافِرٌ بِه هَل يَعْرِفُونَ قَدْرَ الإمَامَةِ وَمَحَلهَا مِنَ الأُمَّةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ إِنَّ الإمَامَةَ أَجَلُّ قَدْراً وَأَعْظَمُ شَأْناً وَأَعْلى مَكَاناً وَأَمْنَعُ جَانِباً وَأَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ إِنَّ الإمَامَةَ خَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَل بِهَا إِبْرَاهِيمَ الخَلِيل عليه السلام بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالخُلةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وَفَضِيلةً شَرَّفَهُ بِهَا وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ فَقَال إِنِّي جاعِلكَ لِلنَّاسِ إِماماً فَقَال الخَلِيل عليه السلام سُرُوراً بِهَا وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى لا يَنال عَهْدِي الظَّالِمِينَ فَأَبْطَلتْ هَذِهِ الآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِم إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللهُ

تَعالى بِأَنْ جَعلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْل الصَّفْوَة وَالطَّهارَة فَقال ووَهَبْنا لهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافلةً وَكُلا جَعَلنا صالِحِينَ . وَجَعَلناهُمْ أَئمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِليْهِمْ فِعْلَ الخَيْراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَكانُوا لنا عابِدِينَ فَلَمْ تَزَل فِي ذُرِّيَّتِه يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى وَرَّثَهَا اللهُ تَعالى النَّبِيَّ ﷺ فَقَال جَل وَتَعالى إِنَّ أَوْلى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ للذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالذِينَ آمَنُوا واللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ فَكَانَتْ لهُ خَاصَّةً فَقَلدَهَا ﷺ عَلِيّاً عليه السلام بِأَمْرِ اللهِ تَعالى عَلى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللهُ فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِه الأَصْفِيَاءِ الذِينَ آتَاهُمُ اللهُ العِلمَ وَالإيمَانَ بِقَوْلِه تَعَالى وَقال الذِينَ أُوتُوا العِلمَ وَالإيمانَ لقَدْ لبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللهِ إِلى يَوْمِ البَعْثِ فَهِيَ فِي وُلد عَلِيٍّ عليه السلام خاصَّةً إِلى يَوْم القِيَامَة إِذْ لا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلاءِ الجُهَّال إِنَّ الإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الأَوْصِيَاءِ إِنَّ الإِمَامَةَ خِلافَةُ اللهِ وَخِلافَةُ الرَّسُول ﷺ وَمَقامُ أَمِيرِالمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمِيرَاثُ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عليهما السلام إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ المُسْلمِينَ وَصَلاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ المُؤْمِنِينَ إِنَّ الإِمَامَةَ أُسُّ الإِسْلامِ النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ وَالجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ وَإِمْضَاءُ الحُدُودِ وَالأَحْكَامِ وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالأَطْرَافِ الإِمَامُ يُحِلُّ حَلالَ اللهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللهِ وَيُقِيمُ حُدُودَ اللهِ وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ وَيَدْعُ وإِلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَالحُجَّةِ البَالغَةِ الإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالعَةِ المُجَلِّلةِ بِنُورِهَا للعَالمِ وَهِيَ فِي الأُفُقِ بِحَيْثُ لا تَنَالهَا الأَيْدِي وَالأَبْصَارُ الإِمَامُ البَدْرُ المُنِيرُ وَالسِّرَاجُ الزَّاهِرُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالنَّجْمُ الهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى وَأَجْوَازِ البُلدَانِ وَالقِفَارِ وَلجَجِ البِحَارِ الإِمَامُ المَاءُ العَذْبُ عَلى الظَّمَإِ وَالدَّالُّ عَلى الهُدَى وَالمُنْجِي مِنَ الرَّدَى الإِمَامُ النَّارُ عَلى اليَفَاعِ الحَارُّ لمَنِ اصْطَلى بِهِ وَالدَّليل فِي المَهَالكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالكٌ الإِمَامُ السَّحَابُ المَاطِرُ وَالغَيْثُ الهَاطِلُ وَالشَّمْسُ المُضِيئَةُ وَالسَّمَاءُ

الظَّليلةُ وَالأَرْضُ البَسيطَةُ وَالعَيْنُ الغَزيرَةُ وَالغَديرُ وَالرَّوْضَةُ الإِمَامُ الأَنيسُ الرَّفيقُ وَالوَالدُ الشَّفيقُ وَالأخُ الشَّقيقُ وَالأُمُّ البَرَّةُ بالوَلد الصَّغير وَمَفْزَعُ العبَاد في الدَّاهيَة النَّآد الإِمَامُ أَمينُ الله في خَلقه وَحُجَّتُهُ عَلى عبَاده وَخَليفَتُهُ في بلاده والدَّاعي إلى الله وَالذَّابُّ عَنْ حُرَم الله الإِمَامُ المُطَهَّرُ من الذُّنُوب وَالمُبَرَّأُ عَن العُيُوب المَخْصُوصُ بالعلم المَوْسُومُ بالحلم نظَامُ الدِّين وَعزُّ المُسْلمينَ وَغَيْظُ المُنَافقينَ وَبوَارُ الكَافرينَ الإِمَامُ وَاحدُ دَهْره لا يُدَانيه أَحَدٌ وَلا يُعَادلهُ عَالمٌ وَلا يُوجَدُ منْهُ بَدَلٌ وَلا لَهُ مثْلٌ وَلا نَظيرٌ مَخْصُوصٌ بالفَضْل كُلِّه منْ غَيْر طَلب منْهُ لَهُ وَلا اكْتسَاب بَل اخْتصَاصٌ منَ المُفْضل الوَهَّاب فَمَنْ ذَا الذي يَبْلغُ مَعْرفَةَ الإِمَام أَوْ يُمْكنُهُ اخْتيَارُهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ضَلت العُقُول وَتَاهَت الحُلومُ وَحَارَت الأَلبَابُ وَخَسأَت العُيُونُ وَتَصَاغَرَت العُظَمَاءُ وَتَحَيَّرَت الحُكَمَاءُ وَتَقَاصَرَت الحُلمَاءُ وَحَصرَت الخُطَبَاءُ وَجَهلت الأَلبَّاءُ وَكَلت الشُّعَرَاءُ وَعَجزَت الأُدبَاءُ وَعَييَت البُلغَاءُ عَنْ وَصْف شَأْن منْ شَأْنه أَوْ فَضيلة منْ فَضَائله وَأَقَرَّتْ بالعَجْز وَالتَّقْصير وَكَيْفَ يُوصَفُ بكُلِّه أَوْ يُنْعَتُ بكُنْهه أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ منْ أَمْره أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُغْني غنَاهُ لا كَيْفَ وَأَنَّى وَهُوَ بحَيْثُ النَّجْم منْ يَد المُتَنَاولينَ وَوَصْف الوَاصفينَ فَأَيْنَ الاخْتيَارُ منْ هَذَا وَ أَيْنَ العُقُول عَنْ هَذَا وَأَيْنَ يُوجَدُ مثْل هَذَا أَ تَظُنُّونَ أَنَّ ذَلكَ يُوجَدُ في غَيْر آل الرَّسُول مُحَمَّد ﷺ كَذَبَتْهُمْ وَالله أَنْفُسُهُمْ وَمَنَّتْهُمُ الأَبَاطيل فَارْتَقَوْا مُرْتَقاً صَعْباً دَحْضاً تَزلُّ عَنْهُ إلى الحَضيض أَقْدَامُهُمْ رَامُوا إقَامَةَ الإِمَام بعُقُول حَائرَة بَائرَة نَاقصَة وَآرَاء مُضلة فَلَمْ يَزْدَادُوا منْهُ إلا بُعْداً قَاتَلهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ وَلَقَدْ رَامُوا صَعْباً وَقَالُوا إفْكاً وَضَلُّوا ضَلالًا بَعيداً وَوَقَعُوا في الحَيْرَة إذْ تَرَكُوا الإِمَامَ عَنْ بَصيرَة وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَن السَّبيل وَكَانُوا مُسْتَبْصرينَ رَغبُوا عَن اخْتيَار الله وَاخْتيَار رَسُول الله ﷺ وَأَهْل بَيْته إلى اخْتيَارهمْ وَالقُرْآنُ يُنَاديهمْ وَرَبُّكَ

يَخْلقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لهُمُ الخيَرَةُ سُبْحانَ الله وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَقَال عَزَّ وَجَل وَما كانَ لمُؤمن وَلا مُؤْمنَة إذا قَضَى اللهُ وَرَسُولهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لهُمُ الخيَرَةُ منْ أَمْرهِمْ الآيَةَ وَقَال ما لكُمْ كَيفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لكُمْ كتابٌ فيه تَدْرُسُونَ إنَّ لكُمْ فيه لما تَخيَّرُونَ أَمْ لكُمْ أَيْمانٌ عَليْنا بالغَةٌ إلى يَوْم القيامَة إنَّ لكُمْ لما تَحْكُمُونَ سَلهُمْ أَيُّهُمْ بذلكَ زَعيمٌ أَمْ لهُمْ شُرَكاءُ فَليَأْتُوا بشُرَكائهمْ إنْ كانُوا صادقينَ وَقَال عَزَّ وَجَل أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلى قُلوب أَقْفالها أَمْ طُبعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ أَمْ قالوا سَمعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عنْدَ الله الصُّمُّ البُكْمُ الذينَ لا يَعْقلونَ وَلوْ عَلمَ اللهُ فيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلوْ أَسْمَعَهُمْ لتَوَلوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ أَمْ قالوا سَمعْنا وَعَصَيْنا بَل هُوَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم فَكَيْفَ لهُمْ باخْتيَار الإمَام وَالإمَامُ عَالمٌ لا يَجْهَل وَراع لا يَنْكُل مَعْدنُ القُدْس وَالطَّهارَة وَالنُّسُك وَالزَّهادَة وَالعلم وَالعبَادَة مَخْصُوصٌ بدَعْوَة الرَّسُول ﷺ وَنَسْل المُطَهَّرَة البَتُول لا مَغْمَزَ فيه في نَسَب وَلا يُدانيه ذُو حَسَب في البَيْت منْ قُرَيْش وَالذِّرْوَة منْ هَاشم وَالعتْرَة منَ الرَّسُول ﷺ وَالرِّضَا منَ الله عَزَّ وَجَل شَرَفُ الأَشْراف وَالفَرْعُ منْ عَبْد مَنَاف نَامي العلم كَامل الحلم مُضْطَلعٌ بالإمَامَة عَالمٌ بالسِّيَاسَة مَفْرُوضُ الطَّاعَة قَائمٌ بأَمْر الله عَزَّ وَجَل نَاصحٌ لعبَاد الله حَافظٌ لدين الله إنَّ الأَنْبيَاءَ وَالأَئمَّةَ ﷺ يُوَفِّقُهُمُ اللهُ وَيُؤْتيهمْ منْ مَخْزُون علمه وَحكَمه مَا لا يُؤْتيه غَيْرَهُمْ فَيَكُونُ علمُهُمْ فَوْقَ علم أَهْل الزَّمَان في قَوْله تَعَالى أَ فَمَنْ يَهْدي إلى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إلا أَنْ يُهْدى فَما لكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَقَوْله تَبارَكَ وَتَعَالى وَمَنْ يُؤْتَ الحكْمَةَ فَقَدْ أُوتيَ خَيْراً كَثيراً وَقَوْله في طَالوتَ إنَّ اللهَ اصْطَفاهُ عَليْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً في العلم وَالجسْم وَ اللهُ يُؤْتي مُلكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسعٌ عَليمٌ وَقَال لنَبيِّه ﷺ أَنْزَل عَليْكَ الكتَابَ وَالحكْمَةَ وَعَلمَكَ ما لمْ

تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً وَقَال فِي الأَئِمَّة مِنْ أَهْل بَيْت نَبيِّه وَعِتْرَته وَذُرِّيَّته ﷺ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْله فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِه وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً وَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل لأُمُور عِبَاده شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ وَأَوْدَعَ قَلبَهُ يَنَابِيعَ الحِكْمَة وَأَلهَمَهُ العِلمَ إِلهَاماً فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوَاب وَلا يُحَيَّرُ فيه عَن الصَّوَاب فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الخَطَايَا وَ لزَّلل والعِثَار يَخُصُّهُ اللهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلى عِبَادِه وَشَاهِدَهُ عَلى خَلقِه وَذلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُوالفَضْل العَظِيم فَهَل يَقْدرُونَ عَلى مِثْل هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ أَوْ يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذه الصِّفَةَ فَيُقَدِّمُونَهُ تَعَدَّوْا وَبَيْت الله الحَقَّ وَنَبَذُوا كِتَابَ الله وَرَاءَ ظُهُورهمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلمُونَ وَفِي كِتَاب الله الهُدَى وَالشِّفَاءُ فَنَبَذُوهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَذَمَّهُمُ اللهُ وَمقَّتَهُمْ وَأَتْعَسَهُمْ فَقَال جَل وَتَعَالى وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْر هُدىً مِن الله إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ وَقَال فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَل أَعْمالَهُمْ وَقال كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله وَعِنْدَ الذينَ آمَنُوا كَذلكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كُلِّ قَلب مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ وَصَلى اللهُ عَلى النَّبِيِّ مُحَمَّد وَآله وَسَلمَ تَسْليماً كَثِيراً)[1] .

قال : وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجل أَوْضَحَ بِأَئِمَّة الهُدَى مِنْ أَهْل بَيْت نَبِيِّنا عَنْ دِينِه إِلى أن قال فَلمْ يَزَل اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى يَخْتَارُهُمْ لِخَلقه مِنْ وُلد الحُسَيْن عليه السلام مِنْ عَقِب كُلِّ إِمَامٍ)[2] . الحديث .

أقول : تمام الحديث ما ذكره في الكافي بإسناده عن اسحق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل أَوْضَحَ بِأَئِمَّة الهُدَى مِنْ أَهْل بَيْت نَبِيِّنا عَنْ دِينِه وَأَبْلجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيل مِنْهَاجِه وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيع عِلمِه فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّة

(١) الكافي ١ / ١٩٨ - ٢٠٣
(٢) الكافي ١ / ٢٠٣

مُحَمَّد ﷺ واجبَ حَقِّ إمَامه وَجَدَ طَعْمَ حَلاوَة إيمَانه وَعَلمَ فَضْل طُلاوَة إسْلامه لأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى نَصبَ الإمَامَ عَلماً لخَلقه وَجعَلهُ حُجَّةً على أَهْل مَوادِّه وَعالمه وَأَلبَسَهُ اللهُ تَاجَ الوَقَار وَغَشَّاهُ منْ نُور الجَبَّار يَمُدُّ بسَبَب إلى السَّمَاء لا يَنْقَطعُ عَنْهُ مَوادُّهُ وَلا يُنَال مَا عنْدَ الله إلا بجهَة أَسْبَابه وَلا يَقْبَل اللهُ أَعْمَال العبَاد إلا بمَعْرفَته فَهُوَ عَالمٌ بمَا يَردُ عَلَيْه منْ مُلتَبسَات الدُّجَى وَمُعَمِّيَات السُّنَن وَمُشَبِّهَات الفتَن فَلمْ يَزَل اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالى يَخْتَارُهُمْ لخَلقه منْ وُلد الحُسَيْن عليه السلام منْ عَقب كُلِّ إمَام يَصْطَفيهمْ لذَلكَ وَيَجْتَبيهمْ وَيَرْضَى بهمْ لخَلقه وَيَرْتَضيهمْ كُل مَا مَضَى منْهُمْ إمَامٌ نَصبَ لخَلقه منْ عَقبه إمَاماً عَلماً بَيِّناً وَهَادياً نَيِّراً وَإمَاماً قَيِّماً وَحُجَّةً عَالماً أئمَّةً منَ الله يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبه يَعْدلونَ حُجَجُ الله وَدُعَاتُهُ وَرُعَاتُهُ عَلى خَلقه يَدينُ بهَدْيهمُ العبَادُ وَتَسْتَهلُّ بنُورهمُ البلادُ وَيَنْمُ وببَركَتهمُ التِّلادُ جَعَلهُمُ اللهُ حَيَاةً للأَنَام وَمَصَابيحَ للظَّلام وَمَفَاتيحَ للكَلام وَدَعَائمَ للإسْلام جَرَتْ بذَلكَ فيهمْ مَقَاديرُ الله عَلى مَحْتُومهَا فَالإمَامُ هُوَ المُنْتَجَبُ المُرْتَضَى وَالهَادي المُنْتَجَى وَالقَائمُ المُرْتَجَى اصْطَفَاهُ اللهُ بذَلكَ وَاصْطَنَعَهُ عَلى عَيْنه في الذَّرِّ حينَ ذَرَأَهُ وَفي البَريَّة حينَ بَرَأَهُ ظلا قَبْل خَلق نَسَمَة عَنْ يَمين عَرْشه مَحْبُوّاً بالحكْمَة في علم الغَيْب عنْدَهُ اخْتَارَهُ بعلمه وَانْتَجَبَهُ لطُهْره بَقيَّةً منْ آدَمَ عليه السلام وَخيرَةً منْ ذُرِّيَّة نُوح وَمُصْطَفًى منْ آل إبْرَاهيمَ وَسُلالَةً منْ إسْمَاعيل وَصفْوَةً منْ عتْرَة مُحَمَّد ﷺ لَمْ يَزَل مَرْعيّاً بعَيْن الله يَحْفَظُهُ وَيَكْلَؤُهُ بستْره مَطْرُوداً عَنْهُ حَبَائل إبْليسَ وَجُنُوده مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقُوبُ الغَوَاسق وَنُفُوثُ كُلِّ فَاسق مَصْرُوفاً عَنْهُ قَوَارفُ السُّوء مُبْرَأً منَ العَاهَات مَحْجُوباً عَن الآفَات مَعْصُوماً منَ الزَّلات مَصُوناً عَن الفَوَاحش كُلِّهَا مَعْرُوفاً بالحلم وَالبرِّ في يَفَاعه مَنْسُوباً إلى العَفَاف وَالعلم وَالفَضْل عنْدَ انْتهَائه مُسْنَداً إلَيْه أَمْرُ وَالده صَامتاً عَن المَنْطق في حَيَاته فَإذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ وَالده إلى أَن

انْتَهَتْ بِهِ مَقَادِيرُ اللهِ إِلَى مَشِيئَتِهِ وَجَاءَتِ الإِرَادَةُ مِنَ اللهِ فِيهِ إِلَى مَحَبَّتِهِ وَبَلَغَ مُنْتَهَى مُدَّةِ وَالِدِهِ عليه السلام فَمَضَى وَصَارَ أَمْرُ اللهِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ وَقَلَّدَهُ دِينَهُ وَجَعَلَهُ الحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ وَقَيِّمَهُ فِي بِلادِهِ وَأَيَّدَهُ بِرُوحِهِ وَآتَاهُ عِلْمَهُ وَأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِهِ وَاسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ وَأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيَانِ عِلْمِهِ وَنَصَبَهُ عَلَماً لِخَلْقِهِ وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ عَالَمِهِ وَضِيَاءً لأَهْلِ دِينِهِ وَالقَيِّمَ عَلَى عِبَادِهِ رَضِيَ اللهُ بِهِ إِمَاماً لَهُمُ اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ وَاسْتَحْفَظَهُ عِلْمَهُ وَاسْتَخْبَأَهُ حِكْمَتَهُ وَاسْتَرْعَاهُ لِدِينِهِ وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ وَأَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ فَقَامَ بِالعَدْلِ عِنْدَ تَحَيُّرِ أَهْلِ الجَهْلِ وَتَحْيِيرِ أَهْلِ الجَدَلِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ وَالشِّفَاءِ النَّافِعِ بِالحَقِّ الأَبْلَجِ وَالبَيَانِ اللائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ عَلَى طَرِيقِ المَنْهَجِ الذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنْ آبَائِهِ عليهم السلام فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هَذَا العَالِمِ إِلا شَقِيٌّ وَلا يَجْحَدُهُ إِلا غَوِيٌّ وَلا يَصُدُّ عَنْهُ إِلا جَرِيٌّ عَلَى اللهِ جَلَّ وَعَلا)[1] . انتهى .

قال : ونحو ذلك بما يدل على أن الإمامة مخصوصة بمن علم من جهة الإتصاف بالقدس مضافا إلى ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في وصيته لابنه الحسن قَالَ لابْنِهِ الحَسَنِ عليه السلام (يَا بُنَيَّ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ وَأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وَسِلاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَدَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَهُ وَسِلاحَهُ وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ المَوْتُ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى أَخِيكَ الحُسَيْنِ عليه السلام ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِهِ الحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى ابْنِكَ هَذَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عليه السلام ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَقْرِئْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَمِنِّي السَّلامَ)[2] .

أقول : إن هذا الحديث الشريف قد نص على الحسن والحسين وعلي بن

(١) الكافي ١ / ٢٠٣- ٢٠٥

(٢) الكافي ١ / ٢٩٧

الحسين ومحمد بن علي بالإمامة ويثبت له إمامتهم لكني أحب أن أذكر من النصوص التي يختص كل واحد منهم عليهم السلام بها تيمنا وتبركا بذكر أحاديثهم عليهم السلام .

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده إلى أَبِي جَعْفَر عليه السلام قَالَ (إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمَّا حَضَرَهُ الَّذي حَضَرَهُ قَالَ لابْنِه الْحَسَنِ ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُسِرَّ إِلَيْكَ مَا أَسَرَّ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله إِلَيَّ وَأَئْتَمِنَكَ عَلَى مَا ائْتَمَنَنِي عَلَيْه فَفَعَلَ)[1] .

وفيه عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام (قَالَ أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْحَسَنِ وَأَشْهَدَ عَلَى وَصِيَّته الْحُسَيْنَ عليه السلام وَمُحَمَّداً وَجَميعَ وُلْدِه وَرُؤَسَاءَ شيعَته وَأَهْلَ بَيْته ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْه الْكِتَابَ وَالسِّلاحَ ثُمَّ قَالَ لابْنِه الْحَسَنِ يَا بُنَيَّ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّه أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ وَأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وَسِلاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّه وَدَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَهُ وَسِلاحَهُ وَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِه الْحُسَيْنِ وَقَالَ أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِكَ هَذَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَد ابْنِ ابْنِه عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ يَا بُنَيَّ وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّد بْنِ عَلِيٍّ وَأَقْرِئْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وَمِنِّي السَّلامَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِه الْحَسَنِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ أَنْتَ وَلِيُّ الأَمْرِ وَوَلِيُّ الدَّمِ فَإِنْ عَفَوْتَ فَلَكَ وَإِنْ قَتَلْتَ فَضَرْبَةٌ مَكَانَ ضَرْبَةٍ وَلا تَأْثَمْ)[2] .

وفيه عَنْ أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَال (لَمَّا حَضَرَت الحَسَنَ بْنَ عَليٍّ عليه السلام الوَفَاةُ قَال يَا قَنْبَرُ انْظُرْ هَل تَرَى مِنْ وَرَاء بَابِكَ مُؤْمِناً مِنْ غَيْرِ آل مُحَمَّد عليه السلام فَقَال اللهُ تَعَالى وَرَسُولهُ وَابْنُ رَسُولِه أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي قَال ادْعُ لي مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ

(١) الكافي ١ / ٢٩٨

(٢) الكافي ١ / ٢٩٨

فَأَتَيْتُهُ فَلمَّا دَخلتُ عَليْه قَال هَل حَدَثَ إلا خَيْرٌ قُلتُ أَجِبْ أَبَا مُحمَّد فَعَجَّل عَلى شِسْع نَعْله فَلمْ يُسَوِّه وَخَرجَ مَعي يَعْدُو فَلمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْه سَلمَ فَقَال لهُ الحَسَنُ بْنُ عَليٍّ عليه السلام اجْلسْ فَإنَّهُ ليْسَ مثْلكَ يَغيبُ عَنْ سَمَاع كَلام يَحْيَا به الأَمْوَاتُ وَيَمُوتُ به الأَحْيَاءُ كُونُوا أَوْعيَةَ العلم وَ مَصَابيحَ الهُدَى فَإنَّ ضَوْءَ النَّهَار بَعْضُهُ أَضْوَأُ منْ بَعْض أَمَا عَلمْتَ أَنَّ اللهَ جَعَل وُلدَ إبْرَاهيمَ عليه السلام أَئمَّةً وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْض وَآتَى دَاوُدَ عليه السلام زَبُوراً وَ قَدْ عَلمْتَ بمَا اسْتَأْثَرَ به مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ إنِّي أَخَافُ عَليْكَ الحَسَدَ وَإنَّمَا وَصَفَ اللهُ به الكَافرينَ فَقَال اللهُ عَزَّ وَجَل كُفَّاراً حَسَداً منْ عنْد أَنْفُسهمْ منْ بَعْد ما تَبَيَّنَ لهُمُ الحَقُّ وَلمْ يَجْعَل اللهُ عَزَّ وَجَل للشَّيْطَان عَليْكَ سُلطَاناً يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ أَلا أُخْبرُكَ بمَا سَمعْتُ منْ أَبيكَ فيكَ قَال بَلى قَال سَمعْتُ أَبَاكَ عليه السلام يَقُول يَوْمَ البَصْرَة مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبَرَّني في الدُّنْيَا وَالآخرَة فَليَبَرَّ مُحَمَّداً وَلدي يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ لوْ شئْتُ أَنْ أُخْبرَكَ وَأَنْتَ نُطْفَةٌ في ظَهْر أَبيكَ لأَخْبَرْتُكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ أَمَا عَلمْتَ أَنَّ الحُسَيْنَ بْنَ عَليٍّ عليه السلام بَعْدَ وَفَاة نَفْسي وَمُفَارَقَة رُوحي جسْمي إمَامٌ منْ بَعْدي وَعنْدَ الله جَل اسْمُهُ في الكتَاب وِرَاثَةً منَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أَضَافَهَا اللهُ عَزَّ وَجَل لهُ في ورَاثَة أَبيه وَأُمِّه فَعَلمَ اللهُ أَنَّكُمْ خيَرَةُ خَلقه فَاصْطَفَى منْكُمْ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَاخْتَارَ مُحَمَّدٌ عَليّاً عليه السلام واخْتَارَني عَليٌّ عليه السلام بالإمَامَة وَاخْتَرْتُ أَنَا الحُسَيْنَ عليه السلام فَقَال لهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَليٍّ أَنْتَ إمَامٌ وَأَنْتَ وَسيلتي إلى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وَالله لوَددْتُ أَنَّ نَفْسي ذَهَبَتْ قَبْل أَنْ أَسْمَعَ منْكَ هَذَا الكَلامَ أَلا وَإنَّ في رَأْسي كَلاماً لا تَنْزفُهُ الدِّلاءُ وَلا تُغَيِّرُهُ نَغْمَةُ الرِّيَاح كَالكتَاب المُعْجَم في الرَّقِّ المُنَمْنَم أَهُمُّ بإبْدَائه فَأَجدُني سُبقْتُ إليْه سَبَقَ الكتَابُ المُنْزَل أَوْ مَا جَاءَتْ به الرُّسُل وَإنَّهُ لكَلامٌ يَكلُّ به لسَانُ النَّاطق وَيَدُ الكَاتب حَتَّى لا يَجدَ قَلماً وَيُؤْتَوْا بالقرْطَاس حُمَماً فَلا يَبْلغُ إلى فَضْلكَ

وَكَذَلكَ يَجْزِي اللهُ الْمُحْسنينَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله الْحُسَيْنُ أَعْلمُنَا علماً وَأَثْقَلنَا حلماً وَأَقْرَبُنَا منْ رَسُول الله ﷺ رَحماً كَانَ فَقيهاً قَبْل أَنْ يُخْلق وَقَرأَ الوَحْيَ قَبْل أَنْ يَنْطقَ وَلَوْ عَلمَ اللهُ في أَحَد خَيْراً مَا اصْطَفَى مُحَمَّداً ﷺ فَلمَّا اخْتَارَ اللهُ مُحَمَّداً وَاخْتَارَ مُحَمَّدٌ عَليّاً وَاخْتَارَكَ عَليٌّ إمَاماً وَاخْتَرْتَ الْحُسَيْنَ سَلمْنَا وَرَضينَا مَنْ هُوَ بغَيْره يَرْضَى وَمَنْ غَيْرُهُ كُنَّا نَسْلمُ به منْ مُشْكلات أَمْرنَا)[1] .

وعَنْ أَبي الجَارُود عَنْ أَبي جَعْفَر عليه السلام قَال(إنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَليٍّ عليه السلام لَمَّا حَضَرَهُ الذي حَضَرَهُ دَعَا ابْنَتَهُ الكُبْرَى فَاطمَةَ بنْتَ الْحُسَيْن عليه السلام فَدَفَعَ إلَيْهَا كتَاباً مَلفُوفاً وَوَصيَّةً ظَاهرَةً وَكَانَ عَليُّ بْنُ الْحُسَيْن عليه السلام مَبْطُوناً مَعَهُمْ لا يَرَوْنَ إلا أَنَّهُ لمَا به فَدَفَعَتْ فَاطمَةُ الكتَابَ إلى عَليِّ بن الْحُسَيْن عليه السلام ثُمَّ صَارَ وَالله ذَلكَ الكتَابُ إلَيْنَا يَا زيَادُ قَال قُلتُ مَا في ذَلكَ الكتَاب جَعَلني اللهُ فدَاكَ قَال فيه وَالله مَا يَحْتَاجُ إلَيْه وُلدُ آدَم مُنْذُ خَلقَ اللهُ آدَمَ إلى أَنْ تَفْنَى الدُّنْيَا وَالله إنَّ فيه الْحُدُودَ حَتَّى أَنَّ فيه أَرْشَ الْخَدْش)[2] .

وعن أبي عَبْدالله عليه السلام قَال (إنَّ الْحُسَيْنَ صَلوَاتُ الله عَلَيْه لَمَّا صَارَ إلى العرَاق اسْتَوْدَعَ أُمَّ سَلمَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا الكُتُبَ وَالوَصيَّةَ فَلمَّا رَجَعَ عَليُّ بْنُ الْحُسَيْن عليه السلام دَفَعَتْهَا إلَيْه)[3] .

وعَنْ فُلَيْح بْن أَبي بَكْر الشَّيْبَانيِّ قَال (وَالله إنِّي لَجَالسٌ عنْدَ عَليِّ بْن الْحُسَيْن وَعنْدَهُ وُلدُهُ إذْ جَاءَهُ جَابرُ بْنُ عَبْد الله الأَنْصَاريُّ فَسَلمَ عَلَيْه ثُمَّ أَخَذَ بيَد أَبي جَعْفَر عليه السلام فَخَلا به فَقَال إنَّ رَسُول الله ﷺ أَخْبَرَني أَنِّي سَأُدْركُ رَجُلا منْ أَهْل بَيْته يُقَال لهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَليٍّ يُكَنَّى أَبَا جَعْفَر فَإذَا أَدْرَكْتَهُ فَأَقْرئْهُ منِّي السَّلامَ قَال وَمَضَى جَابرٌ وَرَجَعَ أَبُوجَعْفَر عليه السلام فَجَلسَ مَعَ أَبيه عَليِّ بْن الْحُسَيْن عليه السلام وَإخْوَته فَلمَّا صَلى المَغْربَ قَال عَليُّ بْنُ الْحُسَيْن لأَبي جَعْفَرٍ

(١) الكافي ١ / ٣٠٠
(٢) الكافي ١ / ٣٠٣
(٣) الكافي ١ / ٣٠٤

عليه السلام أَيَّ شَيْءٍ قَال لكَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيُّ فَقَال قَال إِنَّ رَسُول الله قَال إِنَّكَ سَتُدْرِكُ رَجُلا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ يُكَنَّى أَبَا جَعْفَرٍ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ فَقَال لهُ أَبُوهُ هَنِيئاً لكَ يَا بُنَيَّ مَا خَصَّكَ اللهُ بِهِ مِنْ رَسُولِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ بَيْتِكَ لا تُطْلِعْ إِخْوَتَكَ عَلَى هَذَا فَيَكِيدُوا لكَ كَيْداً كَمَا كَادُوا إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ عليه السلام)[1]

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَال (لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الحُسَيْنِ عليه السلام الوَفَاةُ قَبْلَ ذَلِكَ أَخْرَجَ سَفَطاً أَوْ صُنْدُوقاً عِنْدَهُ فَقَال يَا مُحَمَّدُ احْمِلْ هَذَا الصُّنْدُوقَ قَال فَحَمَلَ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ فَلَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ إِخْوَتُهُ يَدَّعُونَ مَا فِي الصُّنْدُوقِ فَقَالوا أَعْطِنَا نَصِيبَنَا فِي الصُّنْدُوقِ فَقَال وَاللهِ مَا لكُمْ فِيهِ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ لكُمْ فِيهِ شَيْءٌ مَا دَفَعَهُ إِلَيَّ وكَانَ فِي الصُّنْدُوقِ سِلاحُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وَكُتُبُهُ)[2] .

قال : وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل عن القائم فضرب بيده على أبي عبدالله عليه السلام فقال والله هذا قائم آل محمد قال عنبسة فلما قبض أبوجعفر عليه السلام دخلت على أبي عبد الله فأخبرته بذلك فقال صدق أبوجعفر عليه السلام ثم قال لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الإمام الذي كان قبله)[3] .

أقول : الذي وجدنا في نسخ الكافي صورة الحديث هكذا فقال صدق جابر وليس فيه صدق أبوجعفر .

قال: وعَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الكِنَانِيِّ قَال (نَظَرَ أَبُوجَعْفَرٍ عليه السلام إِلى أَبِي عَبْدِ الله

---

(١) الكافي ١ / ٣٠٤

(٢) الكافي ١ / ٣٠٥

(٣) الحديث في الكافي ١ / ٣٠٧ هو عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَال (سُئِل عَنِ القَائِمِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقَال هَذَا وَ الله قَائِمُ آل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قَال عَنْبَسَةُ فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَقَال صَدَقَ جَابِرٌ ثُمَّ قَال لعَلَّكُمْ تَرَوْنَ أَنْ لَيْسَ كُلُّ إِمَامٍ هُوَ القَائِمَ بَعْدَ الإِمَامِ الذِي كَانَ قَبْلَهُ) .

عليه السلام يَمْشِي فَقَال تَرَى هَذَا هَذَا مِنَ الذينَ قَال اللهُ عَزَّ وَجَل وَنُرِيدُ أَنْ نمُنَّ عَلى الذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلهُمْ أئمَّةً وَنَجْعَلهُمُ الوارِثِينَ)[١].

وعَنْ أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَال (إنَّ أَبِي عليه السلام اسْتَوْدَعَنِي مَا هُنَاكَ فَلمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَال ادْعُ لِي شُهُوداً فَدَعَوْتُ لهُ أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ نَافِعٌ مَوْلى عَبْد الله بْنِ عُمَرَ فَقَال اكْتُبْ هَذَا مَا أَوْصَى بِه يَعْقُوبُ بَنِيه يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصْطَفَى لكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا و أَنْتُمْ مُسْلمُونَ وَأَوْصَى مُحَمَّدُ بْنُ عَليٍّ إلى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِي بُرْدِه الذي كَانَ يُصَلِّي فيه الجُمُعَةَ وَأَنْ يُعَمِّمَهُ بعمامته وَأَنْ يُرَبِّعَ قَبْرَهُ وَيَرْفَعَهُ أَرْبَعَ أَصَابِعَ وَأَنْ يَحُلَ عَنَهُ أَطْمَارَهُ عِنْدَ دَفْنِه ثُمَّ قَال للشُّهُودِ انْصَرِفُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فَقُلتُ لهُ يَا أَبَت بَعْدَ مَا انْصَرَفُوا مَا كَانَ فِي هَذَا بِأَنْ تُشْهِدَ عَليْه فَقَال يَا بُنَيَّ كَرِهْتُ أَنْ تُغْلبَ وَأَنْ يُقَال إنَّهُ لمْ يُوصَ إليْه فَأَرَدْتُ أَنْ تكُونَ لكَ الحُجَّةُ)[٢].

وعَنْ سُليْمَانَ بْنِ خَالد قَال (دَعَا أَبُوعَبْد الله عليه السلام أَبَا الحَسَنِ عليه السلام يَوْماً وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَال لنَا عَليْكُمْ بِهَذَا فَهُوَ وَالله صَاحِبُكُمْ بَعْدي)[٣].

أقول : عَنِ الفَيْضِ بْنِ المُخْتَارِ قَال (قُلتُ لأَبِي عَبْد الله عليه السلام خُذْ بِيَدي مِنَ النَّارِ مَنْ لنَا بَعْدَكَ فَدَخَل عَليْه أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَهُوَ يَوْمَئذٍ غُلامٌ فَقَال هَذَا صَاحِبُكُمْ فَتَمَسَّكْ بِه)[٤].

وعَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ الحَجَّاج قَال (سَأَلتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي السَّنَة التِي أُخِذَ فِيهَا أَبُوالحَسَنِ المَاضِي فَقُلتُ لهُ إنَّ هَذَا الرَّجُل قَدْ صَارَ فِي يَد هَذَا وَمَا نَدْرِي إلى مَا يَصِيرُ فَهَل بَلغَكَ عَنْهُ فِي أَحَد مِنْ وُلده شَيْءٌ فَقَال لي مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَداً يَسْأَلنِي عَنْ هَذه المَسْأَلة دَخَلتُ عَلى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي

(١) الكافي ١ / ٣٠٦
(٢) الكافي ١ / ٣٠٧
(٣) الكافي ١ / ٣١٠
(٤) الكافي ١ / ١٠٧

مَنْزِلِهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ كَذَا فِي دَارِهِ فِي مَسْجِدٍ لَهُ وَهُوَ يَدْعُ وَعَلَى يَمِينِهِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام يُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ فَقُلْتُ لَهُ جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاكَ قَدْ عَرَفْتَ انْقِطَاعِي إِلَيْكَ وَخِدْمَتِي لَكَ فَمَنْ وَلِيُّ النَّاسِ بَعْدَكَ فَقَالَ إِنَّ مُوسَى قَدْ لَبِسَ الدِّرْعَ وَسَاوَى عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ لا أَحْتَاجُ بَعْدَ هَذَا إِلَى شَيْءٍ)[1] .

وعن إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يَوْماً فَسَأَلَهُ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِلَى مَنْ نَفْزَعُ وَ يَفْزَعُ النَّاسُ بَعْدَكَ فَقَالَ إِلَى صَاحِبِ الثَّوْبَيْنِ الأَصْفَرَيْنِ وَالغَدِيرَتَيْنِ يَعْنِي الذُّؤَابَتَيْنِ وَهُوَ الطَّالِعُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا البَابِ يَفْتَحُ البَابَيْنِ بِيَدِهِ جَمِيعاً فَمَا لَبِثْنَا أَنْ طَلَعَتْ عَلَيْنَا كَفَّانِ آخِذَةً بِالبَابَيْنِ فَفَتَحَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ)[2] .

عَنْ فَيْضِ بْنِ الْمُخْتَارِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي أَمْرِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام هُوَ صَاحِبُكَ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ فَقُمْ إِلَيْهِ فَأَقِرَّ لَهُ بِحَقِّهِ فَقُمْتُ حَتَّى قَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَ لَهُ فَقَالَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام أَمَا إِنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي أَوَّلٍ مِنْكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأُخْبِرُ بِهِ أَحَداً فَقَالَ نَعَمْ أَهْلَكَ وَوُلْدَكَ وَ كَانَ مَعِي أَهْلِي وَوُلْدِي وَرُفَقَائِي وَكَانَ يُونُسُ بْنُ ظَبْيَانَ مِنْ رُفَقَائِي فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُمْ حَمِدُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَ وَ قَالَ يُونُسُ لا وَاللهِ حَتَّى أَسْمَعَ ذَلِكَ مِنْهُ وَكَانَتْ بِهِ عَجَلَةٌ فَخَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى البَابِ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ لَهُ وَقَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ يَا يُونُسُ الأَمْرُ كَمَا قَالَ لَكَ فَيْضٌ قَالَ فَقَالَ سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ فَقَالَ لِي أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام خُذْهُ إِلَيْكَ يَا فَيْضُ)[3] .

وعنه قَالَ (إِنِّي لَعِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام إِذْ أَقْبَلَ أَبُوالْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام وَهُوَ غُلامٌ فَالتَزَمْتُهُ وَقَبَّلْتُهُ فَقَالَ أَبُوعَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنْتُمُ السَّفِينَةُ وَهَذَا مَلاحُهَا قَالَ

---

(١) الكافي ١ / ٣٠٨

(٢) الكافي ١ / ٣٠٨

(٣) الكافي ١ / ٣١٠

فَحَجَجْتُ منْ قَابلٍ وَمَعِي أَلفَا دينَار فَبَعَثْتُ بِأَلف إلى أَبِي عَبْد الله عليه السلام وَأَلف إلَيْه فَلمَّا دَخلتُ عَلَى أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَال يَا فَيْضُ عَدلتَهُ بِي قُلتُ إنَّمَا فَعَلتُ ذَلكَ لقَوْلكَ فَقَال أَمَا وَالله مَا أَنَا فَعَلتُ ذَلكَ بَل اللهُ عَزَّ وَجَل فَعَلهُ بِه)[1]

قال : وعَنْ أَبِي الحَسن عليه السلام أَنَّهُ قَالَ (إنَّ ابْنِي عَلِيّاً أَكْبَرُ وُلْدِي وأَبَرُّهُمْ عِنْدِي وَأَحَبُّهُمْ إلَيَّ وَ هُوَ يَنْظُرُ مَعِي فِي الجَفْرِ ولَمْ يَنْظُرْ فِيه إلاَّ نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ)[2].

وعَنْ مُحَمَّد بْن إسْحَاقَ بْن عَمَّارٍ قَالَ قُلْتُ لأَبِي الحَسَنِ الأَوَّل عليه السلام (أَلاَ تَدُلُّنِي إلَى مَنْ آخُذُ عَنْهُ دِينِي فَقَالَ هَذَا ابْنِي عَلِيٌّ)[3].

أقـول : وعن عَلِيِّ بْنَ يَقْطِينٍ (هَذَا عَلِيٌّ سَيِّدُ وُلْدِي أَمَا إنِّي قَدْ نَحَلْتُهُ كُنْيَتِي)[4].

وعن المَخْزُومِيُّ وَكَانَتْ أُمُّهُ منْ وُلْد جَعْفَر بْن أَبِي طَالب عليه السلام قَالَ (بَعَثَ إلَيْنَا أَبوالحَسَن مُوسَى عليه السلام فَجَمَعَنَا ثُمَّ قَالَ لَنَا أَ تَدْرُونَ لمَ دَعَوْتُكُمْ فَقُلْنَا لاَ فَقَالَ اشْهَدُوا أَنَّ ابْنِي هَذَا وَصِيِّي وَالْقَيِّمُ بِأَمْرِي وَخَلِيفَتِي منْ بَعْدي مَنْ كَانَ لَهُ عنْدي دَيْنٌ فَلْيَأْخُذْهُ من ابْنِي هَذَا وَمَنْ كَانَتْ لَهُ عنْدي عدَةٌ فَلْيُنْجِزْهَا منْهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ منْ لقَائي فَلَا يَلْقَني إلا بكتَابه)[5].

عَنْ يَزِيدَ بْن سَليط قَال (لقيتُ أَبَا إبْرَاهِيمَ عليه السلام وَنَحْنُ نُرِيدُ العُمْرَةَ فِي بَعْضِ الطَّرِيق فَقُلتُ جُعلتُ فدَاكَ هَل تُثْبِتُ هَذَا المَوْضعَ الذي نَحْنُ فيه قَال نَعَمْ فَهَل تُثْبِتُهُ أَنْتَ قُلتُ نَعَمْ إنِّي أَنَا وَأَبِي لقينَاكَ هَاهُنَا وَأَنْتَ مَعَ أَبِي عَبْد الله عليه السلام وَمَعَهُ إخْوَتُكَ فَقَال لهُ أَبِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَنْتُم كُلُّكُمْ أَئِمَّةٌ مُطَهَّرُونَ

---

(١) الكافي ١ / ٣١١

(٢) الكافي ١ / ٣١١

(٣) الكافي ١ / ٣١٢

(٤) الكافي ١ / ٣١٢

(٥) الكافي ١ / ٣١٢

وَالمَوْتُ لا يَعْرَى مِنْهُ أَحَدٌ فَأَحْدِثْ إِلَيَّ شَيْئاً أُحَدِّثْ بِهِ مَنْ يَخْلُفُنِي مِنْ بَعْدِي فَلا يَضِل قَال نَعَمْ يَا أَبَا عَبْد الله هَؤُلاءِ وُلْدِي وَهَذَا سَيِّدُهُمْ وَأَشَارَ إِلَيْكَ وَقَدْ عُلِّمَ الحُكْمَ وَالفَهْمَ وَالسَّخَاءَ وَالمَعْرِفَةَ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَفِيهِ حُسْنُ الخُلق وَحُسْنُ الجَوَابِ وَهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الله عَزَّ وَجَل وَ فِيهِ أُخْرَى خَيْرٌ مِنْ هَذَا كُلِّه فَقَال لَهُ أَبِي وَمَا هِيَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَال عليه السلام يُخْرِجُ اللهُ عَزَّ وَجَل مِنْهُ غَوْثَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَغِيَاثَهَا وَعَلَمَهَا وَنُورَهَا وَفَضْلَهَا وَحِكْمَتَهَا خَيْرُ مَوْلُود وَخَيْرُ نَاشِئٍ يَحْقُنُ اللهُ عَزَّ وَجَل بِهِ الدِّمَاءَ وَيُصْلِحُ بِهِ ذَاتَ البَيْنِ وَيَلمُّ بِهِ الشَّعْثَ وَيَشْعَبُ بِهِ الصَّدْعَ وَيَكْسُ وبِهِ العَارِيَ وَيُشْبِعُ بِهِ الجَائِعَ وَيُؤْمِنُ بِهِ الخَائِفَ وَيُنْزِل اللهُ بِهِ القَطْرَ وَيَرْحَمُ بِهِ العِبَادَ خَيْرُ كَهْلٍ وَخَيْرُ نَاشِئٍ قَوْلُهُ حُكْمٌ وَصَمْتُهُ عِلمٌ يُبَيِّنُ لِلنَّاس مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَسُودُ عَشِيرَتَهُ مِنْ قَبْل أَوَانِ حُلمِه فَقَال لَهُ أَبِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَهَل وُلِدَ قَال نَعَمْ وَمَرَّتْ بِهِ سِنُونَ قَال يَزِيدُ فَجَاءَنَا مَنْ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ كَلاماً قَال يَزِيدُ فَقُلتُ لأَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَأَخْبِرْنِي أَنْتَ بِمِثْل مَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَبُوكَ عليه السلام فَقَال لِي نَعَمْ إِنَّ أَبِي عليه السلام كَانَ فِي زَمَان لَيْسَ هَذَا زَمَانَهُ فَقُلتُ لَهُ فَمَنْ يَرْضَى مِنْكَ بِهَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله قَال فَضَحِكَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ضَحِكاً شَدِيداً ثُمَّ قَال أُخْبِرُكَ يَا أَبَا عُمَارَةَ إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي فَأَوْصَيْتُ إِلَى ابْنِي فُلان وَأَشْرَكْتُ مَعَهُ بَنِيَّ فِي الظَّاهِرِ وَأَوْصَيْتُهُ فِي البَاطِنِ فَأَفْرَدْتُهُ وَحْدَهُ وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ إِلَيَّ لجَعَلتُهُ فِي القَاسِمِ ابْنِي لحُبِّي إِيَّاهُ وَرَأْفَتِي عَلَيْهِ وَلَكِنْ ذَلِكَ إِلَى الله عَزَّ وَجَل يَجْعَلهُ حَيْثُ يَشَاءُ وَلَقَدْ جَاءَنِي بِخَبَرِهِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ أَرَانِيهِ وَأَرَانِي مَنْ يَكُونُ مَعَهُ وَكَذَلِكَ لا يُوصَى إِلَى أَحَد مِنَّا حَتَّى يَأْتِيَ بِخَبَرِهِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وَجَدِّي عَلِيٌّ صَلوَاتُ الله عَلَيْهِ وَ رَأَيْتُ مَعَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله خَاتَماً وَسَيْفاً وَعَصًا وَكِتَاباً وَعِمَامَةً فَقُلتُ مَا هَذَا يَا رَسُول اللهِ فَقَال لِي أَمَّا العِمَامَةُ فَسُلطَانُ اللهِ عَزَّ وَجَل

وَأَمَّا السَّيْفُ فَعزُّ الله تبَارَكَ وَتَعَالى وَأَمَّا الكتَابُ فَنُورُ الله تَبارَكَ وَتعَالى وَأَمَّا العَصَا فَقُوَّةُ الله وَأَمَّا الخَاتَمُ فَجَامعُ هَذه الأُمُور ثُمَّ قَال لي وَالأَمْرُ قَدْ خَرَجَ منْكَ إلى غَيْركَ فَقُلْتُ يَا رَسُول الله أَرنيه أَيُّهُمْ هُوَ فَقَال رَسُول الله ﷺ مَا رَأَيْتُ منَ الأَئمَّة أَحَداً أَجْزَعَ عَلى فرَاق هَذَا الأَمْر منْكَ وَلوْ كَانَت الإمَامَةُ بالمَحَبَّة لكَانَ إسْمَاعيل أَحَبَّ إلى أَبيكَ منْكَ وَلكنْ ذَلكَ منَ الله عَزَّ وَجَل ثُمَّ قَال أَبُو إبْرَاهيمَ وَرَأَيْتُ وُلدي جَميعاً الأَحْيَاءَ منْهُمْ والأَمْوَاتَ فَقَال لي أَميرُالمُؤْمنينَ عليه السلام هَذَا سَيِّدُهُمْ وَأَشَارَ إلى ابْني عَليٍّ فَهُوَ منِّي وَأَنَا منْهُ وَاللهُ مَعَ المُحْسنينَ قَال يَزيدُ ثُمَّ قَال أَبُو إبْرَاهيمَ عليه السلام يَا يَزيدُ إنَّهَا وَديعَةٌ عنْدَكَ فَلا تُخْبرْ بهَا إلا عَاقلا أَوْ عَبْداً تَعْرفُهُ صَادقاً وإنْ سُئلتَ عَن الشَّهَادَة فَاشْهَدْ بهَا وَهُوَ قَوْل الله عَزَّ وَجَل إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانات إلى أَهْلها وَقَال لنَا أَيْضاً وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عنْدَهُ منَ الله قَال فَقَال أَبُو إبْرَاهيمَ عليه السلام فَأَقْبلتُ عَلى رَسُول الله ﷺ فَقُلتُ قَدْ جَمَعْتَهُمْ لي بأَبي وَأُمِّي فَأَيُّهُمْ هُوَ فَقَال هُوَ الذي يَنْظُرُ بنُور الله عَزَّ وَجَل وَيَسْمَعُ بفَهْمه وَيَنْطقُ بحكْمَته يُصيبُ فَلا يُخْطئُ وَيَعْلَمُ فَلا يَجْهَل مُعلماً حُكْماً وَعلماً هُوَ هَذَا وَأَخَذَ بيَد عَليٍّ ابْني ثُمَّ قَال مَا أَقَل مُقَامَكَ مَعَهُ فَإذَا رَجَعْتَ منْ سَفَركَ فَأَوْص وَأَصْلحْ أَمْركَ وَافْرُغْ ممَّا أَرَدتَ فَإنَّكَ مُنْتَقلٌ عَنْهُمْ وَمُجَاورٌ غَيْرَهُمْ فَإذَا أَرَدتَ فَادْعُ عَليّاً فَليُغَسِّلكَ وَليُكَفِّنْكَ فَإنَّهُ طُهْرٌ لكَ وَلا يَسْتَقيمُ إلا ذَلكَ وَذَلكَ سُنَّةٌ قَدْ مَضَتْ فَاضْطَجعْ بَيْنَ يَدَيْه وَصُفَّ إخْوَتَهُ خَلفَهُ وَعُمُومَتَهُ وَمُرْهُ فَليُكَبِّرْ عَلَيْكَ تسْعاً فَإنَّهُ قَد اسْتَقَامَتْ وَصيَّتُهُ وَوَليَكَ وَأَنْتَ حَيٌّ ثُمَّ اجْمَعْ لهُ وُلدَكَ منْ بَعْدهمْ فَأَشْهدْ عَلَيْهمْ وَأَشْهد اللهَ عَزَّ وَ جَل وَكَفَى بالله شَهيداً قَال يَزيدُ ثُمَّ قَال لي أَبُو إبْرَاهيمَ عليه السلام إنِّي أُؤْخَذُ في هَذه السَّنَة وَالأَمْرُ هُوَ إلى ابْني عَليٍّ سَميِّ عَليٍّ وَعليٍّ فَأَمَّا عَليٌّ الأَوَّل فَعَليُّ بْنُ أَبي طَالبٍ وَأَمَّا الآخرُ فَعَليُّ بْنُ الحُسَيْن عليه السلام أُعْطيَ فَهْمَ الأَوَّل وَحلمَهُ وَنَصْرَهُ

وَوُدَّهُ وَدِينَهُ وَمِحْنَتَهُ وَمِحْنَةَ الآخرِ وَصَبْرَهُ عَلى مَا يَكْرَهُ وَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلا بَعْدَ مَوْتِ هَارُونَ بِأَرْبَعِ سِنِينَ ثُمَّ قَالَ لِي يَا يَزِيدُ وَإِذَا مَرَرْتَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ وَلَقِيتَهُ وَسَتَلْقَاهُ فَبَشِّرْهُ أَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ غُلامٌ أَمِينٌ مَأْمُونٌ مُبَارَكٌ وَسَيُعْلِمُكَ أَنَّكَ قَدْ لَقِيتَنِي فَأَخْبِرْهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا هَذَا الْغُلامُ جَارِيَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَارِيَةَ جَارِيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُبَلِّغَهَا مِنِّي السَّلامَ فَافْعَلْ قَالَ يَزِيدُ فَلَقِيتُ بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَلِيّاً عليه السلام فَبَدَأَنِي فَقَالَ لِي يَا يَزِيدُ مَا تَقُولُ فِي الْعُمْرَةِ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ذَلِكَ إِلَيْكَ وَمَا عِنْدِي نَفَقَةٌ فَقَالَ سُبْحَانَ اللهِ مَا كُنَّا نُكَلِّفُكَ وَلا نَكْفِيكَ فَخَرَجْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَابْتَدَأَنِي فَقَالَ يَا يَزِيدُ إِنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَثِيراً مَا لَقِيتَ فِيهِ جِيرَتَكَ وَعُمُومَتَكَ قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ قَصَصْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ فَقَالَ لِي أَمَّا الْجَارِيَةُ فَلَمْ تَجِئْ بَعْدُ فَإِذَا جَاءَتْ بَلَّغْتُهَا مِنْهُ السَّلامَ فَانْطَلَقْنَا إِلَى مَكَّةَ فَاشْتَرَاهَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ فَلَمْ تَلْبَثْ إِلا قَلِيلا حَتَّى حَمَلَتْ فَوَلَدَتْ ذَلِكَ الْغُلامَ قَالَ يَزِيدُ وَكَانَ إِخْوَةُ عَلِيٍّ يَرْجُونَ أَنْ يَرِثُوهُ فَعَادُونِي إِخْوَتُهُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ مِنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ بِالْمَجْلِسِ الَّذِي لا أَجْلِسُ فِيهِ أَنَا)[1] .

قال : وعَنْ مُعَمَّر بْنِ خَلادٍ قَالَ (سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام وَذَكَرَ شَيْئاً فَقَالَ مَا حَاجَتُكُمْ إِلَى ذَلِكَ هَذَا أَبُوجَعْفَرٍ قَدْ أَجْلَسْتُهُ مَجْلِسِي وَصَيَّرْتُهُ مَكَانِي وَقَالَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ يَتَوَارَثُ أَصَاغِرُنَا عَنْ أَكَابِرِنَا الْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ)[2]

وعَنِ الْخَيْرَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ (كُنْتُ وَاقِفاً بَيْنَ يَدَيْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام بِخُرَاسَانَ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ يَا سَيِّدِي إِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإِلَى مَنْ قَالَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ابْنِي فَكَأَنَّ الْقَائِلَ اسْتَصْغَرَ سِنَّ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ أَبُوالْحَسَنِ عليه السلام إِنَّ اللهَ

(١) الكافي ١ / ٣١٣ - ٣١٦

(٢) الكافي ١ / ٣٢٠

تَبَارَك وتَعَالى بَعَثَ عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولا نَبِيّاً صَاحِبَ شَرِيعَةٍ مُبْتَدأَةٍ فِي أَصْغَرَ مِنَ السِّنِّ الذِي فِيهِ أَبُوجَعْفَرٍ عليه السلام)[١] .

أقول : وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَال (قُلتُ للرِّضَا عليه السلام قَدْ كُنَّا نَسْأَلُكَ قَبْلَ أَنْ يَهَبَ اللهُ لكَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَكُنْتَ تَقُول يَهَبُ اللهُ لي غُلاماً فَقَدْ وَهَبَهُ اللهُ لكَ فَأَقَرَّ عُيُونَنَا فَلا أَرَانَا اللهُ يَوْمَكَ فَإِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإلى مَنْ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلتُ جُعِلتُ فِدَاكَ هَذَا ابْنُ ثَلاثِ سِنِينَ فَقَال وَمَا يَضُرُّهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ قَامَ عِيسَى عليه السلام بِالْحُجَّةِ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثِ سِنِين)[٢] .

وعَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ النُّعْمَانِ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ (سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرٍ يُحَدِّثُ الْحَسَنَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَقَالَ وَاللَّه لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ إِي وَاللَّه جُعِلْتُ فِدَاكَ لَقَدْ بَغَى عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ إِي وَاللَّه وَنَحْنُ عُمُومَتُهُ بَغَيْنَا عَلَيْه فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ صَنَعْتُمْ فَإِنِّي لَمْ أَحْضُرْكُمْ قَالَ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَنَحْنُ أَيْضاً مَا كَانَ فِينَا إِمَامٌ قَطُّ حَائِلَ اللَّوْن فَقَالَ لَهُمُ الرِّضَا عليه السلام هُوَ ابْنِي قَالُوا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله قَدْ قَضَى بِالْقَافَة فَبَيْنَنَا و بَيْنَكَ الْقَافَةُ قَالَ ابْعَثُوا أَنْتُمْ إِلَيْهِمْ فَأَمَّا أَنَا فَلا وَلاَ تُعْلِمُوهُمْ لِمَا دَعَوْتُمُوهُمْ وَلْتَكُونُوا فِي بُيُوتِكُمْ فَلَمَّا جَاءُوا أَقْعَدُونَا فِي الْبُسْتَان وَاصْطَفَّ عُمُومَتُهُ وَإِخْوَتُهُ وَأَخَوَاتُهُ وَأَخَذُوا الرِّضَا عليه السلام وَأَلْبَسُوهُ جُبَّةَ صُوف وَقَلَنْسُوَةً مِنْهَا وَوَضَعُوا عَلَى عُنُقه مِسْحَاةً وَقَالُوا لَهُ ادْخُلِ الْبُسْتَانَ كَأَنَّكَ تَعْمَلُ فيه ثُمَّ جَاءُوا بِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالُوا أَلْحِقُوا هَذَا الْغُلامَ بِأَبِيه فَقَالُوا لَيْسَ لَهُ هَاهُنَا أَبٌ وَلَكِنَّ هَذَا عَمُّ أَبِيهِ وَهَذَا عَمُّ أَبِيهِ وَهَذَا عَمُّهُ و هَذِه عَمَّتُهُ وَإِنْ

(١) الكافي ١ / ٣٢٢

(٢) الكافي ١ / ٣٢١

يَكُنْ لَهُ هَاهُنَا أَبٌ فَهُوَ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ فَإِنَّ قَدَمَيْهِ وَقَدَمَيْهِ وَاحِدَةٌ فَلَمَّا رَجَعَ أَبُوالْحَسَنِ عليه السلام قَالُوا هَذَا أَبُوهُ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ فَقُمْتُ فَمَصَصْتُ رِيقَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ إِمَامِي عِنْدَ اللَّهِ فَبَكَى الرِّضَا عليه السلام ثُمَّ قَالَ يَا عَمِّ أَلَمْ تَسْمَعْ أَبِي وَهُوَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ ابْنُ النُّوبِيَّةِ الطَّيِّبَةِ الْفَمِ الْمُنْتَجَبَةِ الرَّحِمِ وَيْلَهُمْ لَعَنَ اللَّهُ الْأُعَيْبِسَ وَذُرِّيَّتَهُ صَاحِبَ الْفِتْنَةِ وَيَقْتُلُهُمْ سِنِينَ وَشُهُوراً وَأَيَّاماً يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَيَسْقِيهِمْ كَأْساً مُصْبَرَةً وَهُوَ الطَّرِيدُ الشَّرِيدُ الْمَوْتُورُ بِأَبِيهِ وَجَدِّهِ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ يُقَالُ مَاتَ أَوْ هَلَكَ أَيَّ وَادٍ سَلَكَ أَ فَيَكُونُ هَذَا يَا عَمِّ إِلاَّ مِنِّي فَقُلْتُ صَدَقْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ)[1] .

قال : وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ (لَمَّا خَرَجَ أَبُوجَعْفَرٍ عليه السلام مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَغْدَادَ فِي الدَّفْعَةِ الْأُولَى مِنْ خَرْجَتَيْهِ قُلْتُ لَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ فَإِلَى مَنِ الْأَمْرُ بَعْدَكَ فَكَرَّ بِوَجْهِهِ إِلَيَّ ضَاحِكاً وَقَالَ لَيْسَ الْغَيْبَةُ حَيْثُ ظَنَنْتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَلَمَّا أُخْرِجَ بِهِ الثَّانِيَةَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ صِرْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنْتَ خَارِجٌ فَإِلَى مَنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ عِنْدَ هَذِهِ يُخَافُ عَلَيَّ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي إِلَى ابْنِي عَلِيٍّ)[2] .

أقول : وعَنِ الْخَيْرَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَال (كَانَ يَلْزَمُ بَابَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام لِلْخِدْمَةِ الَّتِي كَانَ وُكِّلَ بِهَا وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى يَجِيءُ فِي السَّحَرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِيَعْرِفَ خَبَرَ عِلَّةِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَكَانَ الرَّسُولُ الَّذِي يَخْتَلِفُ بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَبَيْنَ أَبِي إِذَا حَضَرَ قَامَ أَحْمَدُ وَخَلا بِهِ أَبِي فَخَرَجْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَامَ أَحْمَدُ عَنِ الْمَجْلِسِ وَخَلا أَبِي بِالرَّسُولِ وَاسْتَدَارَ أَحْمَدُ فَوَقَفَ حَيْثُ يَسْمَعُ الْكَلامَ فَقَالَ الرَّسُولُ لِأَبِي إِنَّ مَوْلاكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ إِنِّي مَاضٍ وَالْأَمْرُ صَائِرٌ إِلَى ابْنِي عَلِيٍّ وَلَهُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا كَانَ لِي

(١) الكافي١ / ٣٢٢
(٢) الكافي ١ / ٣٢٣

عَلَيْكُمْ بَعْدَ أَبِي ثُمَّ مَضَى الرَّسُول وَرَجَعَ أَحْمَدُ إلى مَوْضعه وقَال لأَبي مَا الذي قَدْ قَال لكَ قَال خَيْراً قَال قَدْ سَمِعْتُ مَا قَال فَلمَ تَكْتُمُهُ وَأَعَادَ مَا سَمعَ فَقَال لهُ أَبِي قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ مَا فَعَلتَ لأَنَّ اللهَ تَعَالى يَقُول وَلا تَجَسَّسُوا فَاحْفَظ الشَّهَادَةَ لعَلنَا نَحْتَاجُ إليْهَا يَوْماً مَا وَإيَّاكَ أَنْ تُظْهرَهَا إلى وَقْتهَا فَلمَّا أَصْبَحَ أَبِي كَتَبَ نُسْخَةَ الرِّسَالةِ فِي عَشْرِ رقَاع وَخَتَمَهَا وَدَفَعَهَا إلى عَشْرَةٍ منْ وُجُوه العصَابَة وَقَال إنْ حَدَثَ بي حَدَثُ المَوْتِ قَبْل أَنْ أُطَالبَكُمْ بهَا فَافْتَحُوهَا وَأَعْلمُوا بمَا فيهَا فَلمَّا مَضَى أَبُوجَعْفَر عليه السلام ذَكَرَ أَبي أَنَّهُ لمْ يَخْرُجْ منْ مَنْزله حَتَّى قَطَعَ عَلى يَدَيْه نَحْوٌ منْ أَرْبَعمائَةِ إنْسَان وَاجْتَمعَ رُؤَسَاءُ العصَابَة عنْدَ مُحمَّد بْن الفَرَج يَتَفَاوَضُونَ هَذَا الأَمْر فَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ الفَرَج إلى أَبي يُعْلمُهُ باجْتمَاعهِمْ عنْدَهُ وَأَنَّهُ لوْ لا مَخَافَةُ الشُّهْرَة لصَارَ مَعَهُمْ إليْه وَيَسْأَلهُ أَنْ يَأْتيَهُ فَرَكبَ أَبي وَصَارَ إليْه فَوَجَدَ القَوْمَ مُجْتَمعينَ عنْدَهُ فَقَالوا لأَبي مَا تَقُول في هَذَا الأَمْر فَقَال أَبي لمَنْ عنْدَهُ الرِّقَاعُ أَحْضرُوا الرِّقَاعَ فَأَحْضَرُوهَا فَقَال لهُمْ هَذَا مَا أُمرْتُ به فَقَال بَعْضُهُمْ قَدْ كُنَّا نُحبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ في هَذَا الأَمْر شَاهدٌ آخَرُ فَقَال لهُمْ قَدْ أَتَاكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل به هَذَا أَبُو جَعْفَر الأَشْعَريُّ يَشْهَدُ لي بسَمَاع هَذه الرِّسَالة وَسَأَلهُ أَنْ يَشْهَدَ بمَا عنْدَهُ فَأَنْكَرَ أَحْمَدُ أَنْ يَكُونَ سَمعَ منْ هَذَا شَيْئاً فَدَعَاهُ أَبي إلى المُبَاهَلة فَقَال لمَّا حَقَّقَ عَليْه قَال قَدْ سَمعْتُ ذَلكَ وَهَذَا مَكْرُمَةٌ كُنْتُ أُحبُّ أَنْ تَكُونَ لرَجُلٍ منَ العَرَب لا لرَجُلٍ منَ العَجَم فَلمْ يَبْرَح القَوْمُ حَتَّى قَالوا بالحَقِّ جَميعاً)[1] .

قال : وعَنْ عَليِّ بْن عُمَرَ النَّوْفَليِّ قَال (كُنْتُ مَع أَبي الحَسَن عليه السلام في صَحْنِ دَاره فَمرَّ بنَا مُحمَّدٌ ابْنُهُ فَقُلتُ لهُ جُعلتُ فدَاكَ هَذَا صَاحبُنَا بَعْدَكَ فَقَال لا صَاحبُكُمْ بَعْدي الحَسَنُ)[2] .

أقول : عَنْ أَبي هَاشم الجَعْفَريِّ قَال (كُنْتُ عنْدَ أَبي الحَسَن عليه السلام بَعْدَ مَا

(1) الكافي ١ / ٣٢٥
(2) الكافي ١ / ٣٢٥

مَضَى ابْنُهُ أَبُوجَعْفَر وَإِنِّي لأُفَكِّرُ في نَفْسي أُريدُ أَنْ أَقُول كَأَنَّهُمَا أَعْني أَبَا جَعْفَر وَأَبَا مُحَمَّد في هَذَا الوَقْت كَأَبِي الحَسَن مُوسَى وَإِسْمَاعيل ابْنَيْ جَعْفَر بْن مُحَمَّد عليه السلام وَإِنَّ قصَّتَهُمَا كَقصَّتهمَا إِذْ كَانَ أَبُو مُحَمَّد المُرْجَى بَعْدَ أَبي جَعْفَر عليه السلام فَأَقْبَل عَليَّ أَبُو الحَسَن قَبْلَ أَنْ أَنْطقَ فَقَال نَعَمْ يَا أَبَا هَاشم بَدَا لله في أَبي مُحَمَّد بَعْدَ أَبي جَعْفَر عليه السلام مَا لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ لهُ كَمَا بَدَا لهُ في مُوسَى بَعْدَ مُضيِّ إِسْمَاعيل مَا كَشَفَ به عَنْ حَاله وَهُوَ كَمَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ وَإِنْ كَرهَ المُبْطلونَ وَأَبُو مُحَمَّد ابْني الخَلَفُ منْ بَعْدي عنْدَهُ علمُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْه وَمَعَهُ آلَةُ الإِمَامَة)[1]

وعَنْ أَبِي بَكْر الفَهْفَكيِّ قَال (كَتَبَ إِليَّ أَبُوالحَسَن عليه السلام أَبُو مُحَمَّد ابْني أَنْصَحُ آل مُحَمَّد غَريزَةً وَأَوْثَقُهُمْ حُجَّةً وَهُوَ الأَكْبَرُ منْ وَلَدي وَهُوَ الخَلَفُ وَإِلَيْه يَنْتَهِي عُرَى الإِمَامَة وَأَحْكَامُهَا فَمَا كُنْتَ سَائلي فَسَلهُ عَنْهُ فَعنْدَهُ مَا يُحْتَاجُ إِليْه)[2] .

وعَنْ شَاهَوَيْه بْن عَبْد الله الجَلاب قَال (كَتَبَ إِليَّ أَبُوالحَسَن في كتَاب أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَل عَن الخَلَف بَعْدَ أَبي جَعْفَر وَقَلقْتَ لذَلكَ فَلا تَغْتَمَّ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل لا يُضلُّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لهُمْ مَا يَتَّقُونَ وَصَاحبُكَ بَعْدي أَبُو مُحَمَّد ابْني وَعنْدَهُ مَا تَحْتَاجُونَ إِليْه يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ اللهُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ اللهُ ما نَنْسَخْ منْ آيَة أَوْ نُنْسها نَأْت بِخَيْرٍ منْها أَوْ مثْلها قَدْ كَتَبْتُ بمَا فيه بَيَانٌ وَقنَاعٌ لذي عَقْل يَقْظَانَ)[3] .

قال: وعَنْ عمْرٍ والأَهْوَازيِّ قَال (أَرَاني أبومُحَمَّدٍ ابْنَهُ وَقَال هَذَا صَاحبُكُمْ منْ بَعْدي)[4] .

أَقول : وعَنْ ضَوْءِ بْنِ عَليٍّ العجْليِّ عَنْ رَجُلٍ منْ أَهْل فَارِسَ سَمَّاهُ قَال

(١) الكافي ١ / ٣٢٧
(٢) الكافي ١ / ٣٢٧
(٣) الكافي ١ / ٣٢٨
(٤) الكافي ١ / ٣٢٨

(أَتَيْتُ سَامَرَّاءَ وَلزِمْتُ بَابَ أَبِي مُحَمَّد عليه السلام فَدَعَانِي فَدَخَلتُ عَليْه وَسَلمْتُ فَقَال مَا الذي أَقْدَمَكَ قَال قُلتُ رَغْبَةٌ فِي خدْمَتكَ قَال فَقَال لي فَالزَم البَابَ قَال فَكُنْتُ فِي الدَّار مَعَ الخَدَم ثُمَّ صِرْتُ أَشْتَرِي لهُمُ الحَوَائجَ منَ السُّوق وَكُنْتُ أَدْخُل عَليْهِمْ منْ غَيْر إِذْن إِذَا كَانَ فِي الدَّار رجَالٌ قَال فَدَخَلتُ عَليْه يَوْماً وَهُوَ فِي دَار الرِّجَال فَسَمعْتُ حَرَكَةً فِي البَيْت فَنَادَانِي مَكَانَكَ لا تَبْرَحْ فَلمْ أَجْسُرْ أَنْ أَدْخُل وَلا أَخْرُجَ فَخَرَجَتْ عَليَّ جَارِيَةٌ مَعَهَا شَيْءٌ مُغَطًّى ثُمَّ نَادَانِيَ ادْخُل فَدَخَلتُ وَنَادَى الجَارِيَةَ فَرَجَعَتْ إِليْه فَقَال لهَا اكْشفِي عَمَّا مَعَكِ فَكَشَفَتْ عَنْ غُلام أَبْيَضَ حَسَن الوَجْه وَكَشَفَ عَنْ بَطْنه فَإِذَا شَعْرٌ نَابتٌ منْ لبَّته إِلى سُرَّته أَخْضَرُ ليْسَ بِأَسْوَدَ فَقَال هَذَا صَاحِبُكُمْ ثُمَّ أَمَرَهَا فَحَمَلتْهُ فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلكَ حَتَّى مَضَى أَبُو مُحَمَّد عليه السلام)[1] .

واعلم ان الأمر أوضح من أن يذكر فلا حاجة إِلَى ذكر سائر النصوص وإنما ذكرنا هذه النصوص تيمنا وتبركا بذكرهم عليهم السلام وإلا فالدليل على كونهم اثني عشر وتعداد أسمائهم موجود في كتب الأولين والآخرين ممن كان قبل بعثة النبي وبعده ومما نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فمن جملة ما نص عليهم من الأولين قبل زمان النبي صلى الله عليه وآله قس بن ساعده الأيادي رحمه الله في دعاه (اللهم رب السماوات الأرفعة والأرضين الممرعة بحق محمد والثلاثة المحاميد معه والعليين الأربعة وفاطم والحسنان الأبرعة وجعفر وموسى التبعة سمي الكليم الضرعة أولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة داسة الأناجيل ومحاة الأضاليل ونفاة الأباطيل الصادق والقيل عدد نقباء بني إسرائيل فهم أول البداية وعليهم تقوم الساعة وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله فرض الطاعة اسقنا غيثا مغيثا ثم قال ليتني مدركه مول و بعد لأي من عمري ومحياي)[2] الدعاء .

فقد صرح في الدعاء كونهم اثنى عشر بعد نقباء بني إسرائيل لأنهم كانوا

(١) الكافي ١ / ٣٢٩

(٢) بحارالأنوار ٤٣ / ٣٨

أثنى عشر وصرح بأسمائهم عليهم السلام وأجزاء المستفيض النبي ﷺ ما معناه (الأئمة أثنى عشر وكلهم من قريش) .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام (يا علي لا يحبك إلا من طابت ولادته ولا يبغضك إلا من خبثت ولادته ولا يواليك إلا مؤمن ولا يعاديك إلا كافر فقام إليه عبد الله بن مسعود فقال يا رسول الله فقد عرفنا علامة خبث الولادة والكافر في حياتك ببغض علي وعداوته فما علامة خبث الولادة والكافر بعدك إذا أظهر الإسلام بلسانه وأخفى مكنون سريرته فقال رسول الله ﷺ يا ابن مسعود إن علي بن أبي طالب إمامكم بعدي وخليفتي عليكم فإذا مضى فالحسن والحسين ابناي إماماكم بعده وخليفتي عليكم ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد أئمتكم وخلفائي عليكم تاسعهم قائم أمتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا لا يحبهم إلا من طابت ولادته ولا يبغضهم إلا من خبثت ولادته ولا يواليهم إلا مؤمن ولا يعاديهم إلا كافر من أنكر واحدا منهم فقد أنكرني ومن أنكرني فقد أنكر الله عزوجل ومن جحد واحدا منهم فقد جحدني ومن جحدني فقد جحد الله عزوجل لأن طاعتهم طاعتي وطاعتي طاعة الله ومعصيتهم معصيتي ومعصيتي معصية الله يا ابن مسعود إياك أن تجد في نفسك حرجا مما أقضي فتكفر فوعزة ربي ما أنا متكلف ولا أنا ناطق عن الهوى في علي والأئمة عليهم السلام من ولده ثم قال ﷺ وهو رافع يديه إلى السماء اللهم وال من والى خلفائي وأئمة أمتي من بعدي وعاد من عاداهم وانصر من نصرهم واخذل من خذلهم ولا تخل الأرض من قائم منهم بحجتك إما ظاهرا مشهورا أ وخائفا مغمورا لئلا يبطل دينك وحجتك وبيناتك ثم قال ﷺ يا ابن مسعود قد جمعت لكم في مقامي هذا ما إن فارقتموه هلكتم وإن تمسكتم به نجوتم والسلام على من اتبع الهدى)[1] .

(١) الاحتجاج ١ / ٦٩

وعن علي بن أبي حمزة عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني جبرئيل عن رب العزة جل جلاله أنه قال من علم أن لا إله إلا أنا وحدي وأن محمدا عبدي ورسولي وأن علي بن أبي طالب عليه السلام وليي وخليفتي وأن الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنة برحمتي ونجيته من النار بعفوي وأبحت له جواري فأوجبت له كرامتي وأتممت عليه نعمتي وجعلته من خاصتي وخالصتي إن ناداني لبيته وإن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته وإن أساء رحمته وإن فر مني دعوته وإن رجع إلي قبلته وإن قرع بابي فتحته ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمدا عبدي ورسولي أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتي وصغر عظمتي وكفر بآياتي وكتبي إن قصدني حجبته وإن سألني حرمته وإن ناداني لم أسمع نداءه وإن دعاني لم أستجب دعاءه وإن رجاني خيبته وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلام للعبيد فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب فقال الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم زين العابدين في زمانه علي بن الحسين ثم الباقر محمد بن علي وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم الكاظم موسى بن جعفر ثم الرضا علي بن موسى ثم التقي الجواد محمد بن علي ثم النقي علي بن محمد ثم الزكي الحسن بن علي ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمتي محمد بن الحسن صاحب الزمان صلوات الله عليهم أجمعين الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي من أطاعهم فقد أطاعني ومن عصاهم فقد عصاني ومن

أنكرهم أو أنكر واحدا منهم فقد أنكرني بهم يمسك الله عزوجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها)[1] .

وعَنْ أَبِي عَبْد الله عليه السلام قَال (قَال أَبِي لِجَابِر بْن عَبْد الله الأَنْصَارِيِّ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَمَتَى يَخِفُّ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلوَ بِكَ فَأَسْأَلَكَ عَنْهَا فَقَال لهُ جَابِرٌ أَيَّ الأَوْقَات أَحْبَبْتَهُ فَخَلا بِه فِي بَعْضِ الأَيَّام فَقَال لهُ يَا جَابِرُ أَخْبِرْنِي عَنِ اللوْح الذي رَأَيْتَهُ فِي يَد أُمِّي فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْت رَسُول الله صلى الله عليه وآله وَمَا أَخْبَرَتْكَ بِه أُمِّي أَنَّهُ فِي ذَلكَ اللوْح مَكْتُوبٌ فَقَال جَابِرٌ أَشْهَدُ بِالله أَنِّي دَخَلتُ عَلى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي حَيَاة رَسُول الله صلى الله عليه وآله فَهَنَّيْتُهَا بِوِلادَة الحُسَيْن وَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لوْحاً أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمُرُّد وَرَأَيْتُ فِيه كِتَاباً أَبْيَضَ شِبْهَ لوْن الشَّمْسِ فَقُلتُ لهَا بِأَبِي وَأُمِّي يَا بِنْتَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله مَا هَذَا اللوْحُ فَقَالتْ هَذَا لوْحٌ أَهْدَاهُ اللهُ إِلى رَسُوله صلى الله عليه وآله فِيه اسْمُ أَبِي وَاسْمُ بَعْلي وَاسْمُ ابْنَيَّ وَاسْمُ الأَوْصِيَاء مِنْ وُلدِي وَأَعْطَانِيه أَبِي ليُبَشِّرَنِي بِذَلكَ قَال جَابِرٌ فَأَعْطَتْنِيه أُمُّكَ فَاطِمَةُ عليها السلام فَقَرَأْتُهُ وَاسْتَنْسَخْتُهُ فَقَال لهُ أَبِي فَهَل لكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَليَّ قَال نَعَمْ فَمَشَى مَعَهُ أَبِي إِلى مَنْزِل جَابِر فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مِنْ رَقٍّ فَقَال يَا جَابِرُ انْظُرْ فِي كِتَابِكَ لأَقْرَأَ أَنَا عَليْكَ فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسْخَة فَقَرَأَهُ أَبِي فَمَا خَالفَ حَرْفٌ حَرْفاً فَقَال جَابِرٌ فَأَشْهَدُ بِالله أَنِّي هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي اللوْح مَكْتُوباً بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم هَذَا كِتَابٌ مِنَ الله العَزِيزِ الحَكِيم لمُحَمَّد نَبِيِّه وَنُوره وَسَفِيره وَحِجَابِه وَدَليله نَزَل بِه الرُّوحُ الأَمِينُ مِنْ عِنْد رَبِّ العَالمِينَ عَظِّمْ يَا مُحَمَّدُ أَسْمَائِي وَاشْكُرْ نَعْمَائِي وَلا تَجْحَدْ آلائِي إِنِّي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلا أَنَا قَاصِمُ الجَبَّارِينَ وَمُدِيل المَظْلومِينَ وَدَيَّانُ الدِّين إِنِّي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلا أَنَا فَمَنْ رَجَا غَيْرَ فَضْلي أَوْ خَافَ غَيْرَ عَدْلي عَذَّبْتُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالمِينَ فَإِيَّايَ فَاعْبُدْ وَعَليَّ فَتَوَكَّل إِنِّي لمْ أَبْعَثْ نَبِيّاً فَأُكْملتْ أَيَّامُهُ وَانْقَضَتْ مُدَّتُهُ إِلا جَعَلتُ لهُ وَصِيّاً وَإِنِّي فَضَّلتُكَ عَلى الأَنْبِيَاءِ وَفَضَّلتُ وَصِيَّكَ عَلى الأَوْصِيَاءِ

(١) الاحتجاج ١ / ٦٨ - ٦٩

وَأَكْرَمْتُكَ بِشبْلَيْكَ وَسِبْطَيْكَ حَسَن وَحُسَيْن فَجَعَلتُ حَسَناً مَعْدنَ علمي بَعْدَ انْقضَاء مُدَّة أَبيه وَجَعَلتُ حُسَيْناً خَازنَ وَحْيي وَأَكْرَمْتُهُ بالشَّهادَة وَخَتَمْتُ لهُ بالسَّعَادَة فَهُوَ أَفْضَل مَن اسْتُشْهِدَ وَأَرْفَعُ الشُّهَدَاء دَرجَةً جَعَلتُ كَلمَتيَ التَّامَّةَ مَعَهُ وحُجَّتِيَ البَالغَةَ عنْدَهُ بِعتْرَته أُثيبُ وَأُعَاقبُ أَوَّلهُمْ عَليٌّ سَيِّدُ العَابِدين وَزَيْنُ أَوْلِيَائِيَ المَاضينَ وَابْنُهُ شِبْهُ جَدِّه المَحْمُود مُحَمَّدٌ البَاقرُ علمي وَالمَعْدنُ لحكْمَتي سَيَهْلكُ المُرْتَابُونَ في جَعْفَر الرَّادُّ عَلَيْه كَالرَّادِّ عَليَّ حَقَّ القَوْل منِّي لأُكْرِمَنَّ مَثْوَى جَعْفَر وَلأَسُرَّنَّهُ في أَشْيَاعه وَأَنْصَاره وأَوْليَائه أُتيحَتْ بَعْدَهُ مُوسَى فتْنَةٌ عَمْيَاءُ حنْدَسٌ لأَنَّ خَيْطَ فَرْضِي لا يَنْقَطعُ وَحُجَّتي لا تَخْفَى وَأَنَّ أَوْليَائي يُسْقَوْنَ بالكَأْس الأَوْفَى مَنْ جَحَدَ وَاحداً منْهُمْ فَقَدْ جَحَدَ نعْمَتي وَمَنْ غَيَّرَ آيَةً منْ كتَابي فَقَد افْتَرَى عَليَّ وَيْلٌ للمُفْتَرينَ الجَاحدينَ عنْدَ انْقضَاء مُدَّة مُوسَى عَبْدي وَحَبيبي وَخيرَتي في عَليٍّ وَليِّي وَنَاصري وَمَنْ أَضَعُ عَلَيْه أَعْبَاءَ النُّبُوَّة وَأَمْتَحنُهُ بالاضْطلاع بِهَا يَقْتُلهُ عفْريتٌ مُسْتَكْبرٌ يُدْفَنُ في المَدينَة التي بَنَاهَا العَبْدُ الصَّالحُ إلى جَنْب شَرِّ خَلقي حَقَّ القَوْل منِّي لأَسُرَّنَّهُ بمُحَمَّد ابْنه وَخَليفَته منْ بَعْده وَوَارث علمه فَهُوَ مَعْدنُ علمي وَ مَوْضعُ سرِّي وَحُجَّتي عَلى خَلقي لا يُؤْمنُ عَبْدٌ به إلا جَعَلتُ الجَنَّةَ مَثْوَاهُ وَشَفَّعْتُهُ في سَبْعينَ منْ أَهْل بَيْته كُلُّهُمْ قَد اسْتَوْجَبُوا النَّارَ وَأَخْتمُ بالسَّعَادَة لابْنه عَليٍّ وَليِّي وَنَاصري وَالشَّاهد في خَلقي وَأَميني عَلى وَحْيي أُخْرجُ منْهُ الدَّاعيَ إلى سَبيلي وَالخَازنَ لعلميَ الحَسَنَ وَأُكْمل ذَلكَ بابْنه (م ح م د) رَحْمَةً للعَالمينَ عَلَيْه كَمَال مُوسَى وَبَهَاءُ عيسَى وَصَبْرُ أَيُّوبَ فَيُذَلُّ أَوْليَائي في زَمَانه وَتُتَهَادَى رُءُوسُهُمْ كَمَا تُتَهَادَى رُءُوسُ التُّرْك وَالدَّيْلم فَيُقْتَلونَ وَيُحْرَقُونَ وَيَكُونُونَ خَائفينَ مَرْعُوبينَ وَجلينَ تُصْبَغُ الأَرْضُ بدمَائهمْ وَ يَفْشُ والوَيْل وَالرَّنَّةُ في نسَائهمْ أُولئكَ أَوْليَائي حَقّاً بِهِمْ أَدْفَعُ كُل فتْنَة عَمْيَاء حنْدس وَبِهِمْ أَكْشفُ الزَّلازل وَأَدْفَعُ

الآصَارَ وَالأَغْلال أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ)[1] .

إلى غير ذلك من الأخبار المتكاثرة في هذا المعنى .

(١) الكافي ٥٢٧/١

المقام الخامس

قال : المقام الخامس أن صاحب الزمان عليه السلام موجود الآن غائب عن أعين الناس وبوجوده استقر وجود الإنس والجان وسيظهر بإذن الله الملك المنّان ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا كما هوالضروري من المذهب والدليل على ذلك أن وجوده لطف كما أن ظهوره لطف فحيث لم يكن للطف الأول مانع يجب تحققه فيجب وجوده وحيث كان للثاني مانع يجب غيبته إلى أن يصير ظهوره حسنا من جهة دفع الأقبح وهو الخروج عن الدين وتضييع شريعة سيد المرسلين .

أقول : تحقيق المرام يستدعي بسطا في المقام فاعلم أن الشيعة بأجمعهم اتفقوا على وجود صاحب الزمان في هذا الآن عجل الله فرجه لما ثبت لهم بالأدلة العقلية والنقلية ، وقولنا الشيعة اتفقوا نريد الشيعة بالمعنى الخاص حيث أن الشيعة لها إطلاقات ثلاثة .

الأول : الشيعة بالمعنى العام وهو ما يقابل العامة في تقديم أمير المؤمنين على الصحابة في أمر الخلافة .

والثاني : ما يقابل أكثر طوائف الشيعة والعامة في وجوب كون الأئمة اثني عشر وهو الشيعة بالمعنى الخاص .

والثالث : ما يخص الخصيصين دون غيرهم كسلمان وأبي ذر ومقداد وأشباههم .

فلأجل بيان ذلك ورد أن طائفة من القميين جاؤا إلى باب الصادق عليه السلام واستأذنوا الدخول عليه فلما أخبرهم الإمام باستئذانهم قال من هم فقالوا

نحن قوم من شيعتكم فلم يأذن لهم حتى فعلوا ذلك مرارا كثيرة فلم يؤذن إلى أن جاءوا يوما وقالوا قوم من محبيكم يطلبون الوصول إلى خدمة الإمام عليه السلام فأذن لهم وعاتبهم على ما قالوا من إنا شيعتكم .

ومن ذلك ما ورد عن الأئمة عليهم السلام (ليس من شيعتنا من لم يصل صلاة الليل)[1] مع أنا نرى كثيرا من الشيعة لم يصلّوا صلاة الليل فعلمنا أن الشيعة هنا هي التي بمعنى الأخص .

وبالجملة فالمراد من الشيعة الذين أقروا بوجود كون الأئمة اثني عشر خلافا لأكثر العامة حيث ذهبوا إلى عدم وجوده صلوات الله عليه ، فمنهم من قال أنه لم يولد وسيولد بعد ذلك ، ومنهم من قال بعدم ولادته وظهوره أو أنه سيولد وسيظهر كما قال قائلهم لعنه الله :

ما آن للسرداب أن يلد الذي صيّرتموه بزعمكم إنسانا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلّثتموا العنقاء والغيلانا

ونعم ما أجابه السيد المرتضى أعلى الله مقامه :

فمتى قلت السماء بنى إلهنا عيسى المسيح وأوضح برهانا

ولد الذي أنكرتموه بزعمكم وبصلب شيخكم ترون الشانا

وأحسن ما أجاب السيد محمد الخطي :

زعم اليهود بأن عيسى لم يكن زعم النصارى أحمدا ما كانا

والرجس ثلثهم وقال له العفا ثلّثتموا العنقاء والغيلانا

ولأكثر الشيعة كالكيسانية فإنهم قالوا أن القائم الذي سيظهر هو محمد ابن الحنفية ، وكالناووسية حيث قالوا أن القائم الذي سيظهر هو جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، وكالإسماعيلية القائلين بخفاء إسماعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام وأنه هو القائم وسيظهر بعد حين ، وكالواقفية القائلين بأن موسى بن جعفر لم يمت وهو حي وسيظهر .

---

(١) وسائل الشيعة ٨ / ١٦٨

أما بطلان مذهب فرق الشيعة فواضح بعدما أثبتنا من التعيين كون الأئمة اثنى عشر بالنصوص المتظافرة المتكاثرة واتفاق جميع الأمة ما عداهم على موتهم وخروجهم عن الدنيا .

وأما الأكثر من العامة فقد نفوا تولد القائم عجل الله فرجه وهذا باطل لتواتر نقل تولّده صلوات الله عليه واحتجّوا على عدم بقائه على فرض تولّده بعدم إمكان البقاء في هذه المدّة الطويلة ، وقالوا والدليل على ذلك قول النبي على ما أخرجه في الصحيح عن ابن عمران (على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها) ، واحتجت الإمامية على وجوده عليه السلام بالنصوص المتقدمة ، وأجابوا عن قولهم بعدم إمكان البقاء بأن بقاء من كان قبل النبي وبعده من المعمرين على ما سنذكر يبطل قولهم ، وأما الرواية فيكذبها وجود المعمرين وهي ليست عن النبي صلى الله عليه وآله لأنه لا يقول بالباطل .

واستدل الأصحاب بوجوب وجوده عليه السلام بأن لنا في الكلام في غيبة صاحب الزمان طريقين .

أحدهما : أن نقول إذا ثبت وجوب الإمامة في كل حال وأن الخلق مع كونهم غير معصومين لا يجوز أن يخلوا من رئيس في وقت من الأوقات وإن شرط الرئيس أن يكون مقطوعا على عصمته فلا يخلو ذلك الرئيس من أن يكون ظاهرا معلوما أو غائبا مستورا ، فإذا علمنا أن كل من يدعى له الإمامة ظاهر ليس بمقطوع على عصمته بل ظاهر أفعالهم وأحوالهم ينافي العصمة علمنا أن من يقطع على عصمته غائب مستور ، وإذا علمنا أن كل من يدعى له العصمة قطعا ممن هو غائب من الكيسانية والناووسية والفطحية والواقفية وغيرهم قولهم باطل ، علمنا بذلك صحة إمامة ابن الحسن وصحة غيبته وولادته ولا نحتاج إلى تكلف الكلام في إثبات ولادته وسبب غيبته مع ثبوت ما ذكرنا ، ولأن الحق لا يجوز خروجه عن الأمة .

والطريق الثاني : أن نقول الكلام في غيبة ابن الحسن عليه السلام فرع على ثبوت

إمامته والمخالف لنا إما أن يسلم لنا إمامته ويسأل عن سبب غيبته فنكلف جوابه أو لا يسلم لنا إمامته فلا مضي لسؤاله عن غيبته من لم يثبت إمامته ، ومتى نُوزِعْنَا في إثبات إمامته دللنا عليها بأن نقول قد ثبت وجوب إمامة مع بقاء التكليف على من ليس بمعصوم في جميع الأحوال والأعصار بالأدلة القاهرة ، وثبت أيضا أن من شرط الإمام أن يكون مقطوعا على عصمته وعلمنا أيضا أن الحق لا يخرج عن الأمة ، فإذا ثبت ذلك وجدنا الأمة بين أقوال بين قائل يقول لا إمامة فما ثبت من وجوب الإمامة في كل حال يفسد ، وقائل يقول بإمامة من ليس بمقطوع على عصمته فقوله يبطل بما دللنا عليه من وجوب القطع على عصمة الإمام ، ومن ادعى العصمة لبعض من يذهب إلى إمامته فالشاهد يشهد بخلاف قوله لأن أفعالهم الظاهرة وأحوالهم تنافي العصمة ، فلا وجه لتكلف القول في ما نعم ضرورة خلافه ومن ادعيت له العصمة وذهب قوم إلى إمامته كالكيسانية القائلين بإمامة محمد بن الحنفية والناووسية القائلين بإمامة جعفر بن محمد عليه السلام وأنه لم يمت والواقفة الذين قالوا أن موسى بن جعفر عليه السلام لم يمت فقولهم باطل كما عرفت .

واحتجت العامة أن الغيبة تنقض طريق وجوب الإمامة في كل زمان ، لأن كون الناس مع رئيس مهيب متصرف أبعد من القبيح لو اقتضى كونه لطفا واجبا في كل حال ، وقبح التكليف مع فقده لا تنقض بزمان الغيبة لأنا في زمان الغيبة نكون مع رئيس هذه سبيله أبعد من القبيح وهو دليل وجوب هذه الرياسة ولم يجب وجود رئيس هذه صفته في زمان الغيبة ، ولا قبح التكليف مع فقده فقد وجد الدليل ولا مداول وهذا أنقص الدليل ، وأيضا أن الفائدة بالإمامة هي كونه مبعدا من القبيح على قولكم وذلك لا يحصل مع وجوده

غائبا فلم ينفصل وجوده من عدمه ، وإذا لم يختص وجوده غائبا بوجه الوجوب الذي ذكروه لم يقتض دليلهم وجوب وجوده مع الغيب ، فدليلكم مع أنه منتقض حيث وجد مع انبساط اليد ولم يجب انبساط اليد مع الغيبة فهو غير متعلق بوجود إمام غير منبسط اليد ولا هو حاصل في هذا الحال .

وأجاب بعض أصحابنا عن ذلك بأنا لا نقول ذلك بل دليلنا في حال وجود الإمام بعينه هو دليل حال غيبته في أن في الحالين الإمام لطف ، فلا نقول أن زمان الغيبة خلى من وجود رئيس بل عندنا أن الرئيس حاصل وإنما ارتفع انبساط يده لما يرجع إلى المكلفين ، لا لأن انبساط يده خرج من كونه لطفا بل وجه اللطف به قائم وإنما لم يحصل لما يرجع إلى غير الله فجرى مجرى أن يقول قائل كيف تكون معرفة الله لطفا مع أن الكافر لا يعرف الله ، فلما كان التكليف على الكافر قائما والمعرفة مرتفعة دلّ على أن المعرفة ليست لطفا على كل حال لأنها لو كانت كذلك لكان نقضا ، وجوابنا في الإمامة كجوابهم في المعرفة من أن الكافر لطفه قائم بالمعرفة وإنما فوت نفسه بالتفريط بالنظر المؤدى إليها فلم يقبح تكليفه ، فكذلك نقول الرئاسة لطف للمكلف في حال الغيبة وما يتعلق بالله من إيجاده حاصل وإنما ارتفع تصرفه وانبساط يده لأمر يرجع إلى المكلفين فاستوى الأمران ، وأيضا متى قالت الإمامية أن انبساط يد الإمام لا يجب في حال الغيبة حتى تقولون دليلكم لا يدل على وجوب إمام غير منبسط اليد لأن هذه حال الغيبة ، بل الذي صرحنا دفعة بعد أخرى أن انبساط يده واجب في الحالين في حال ظهوره وغيبته ، غير أن حال ظهوره مكن منه فانبسطت يده وحال الغيبة لم يمكن فانقبضت يده ، لأن انبساط يده خرج من باب الوجوب وبينا أن الحجة بذلك قائمة على المكلفين من حيث منعوه ولم يمكنوا فأتوا من قبل نفوسهم وشبهنا ذلك بالمعرفة دفعة بعد أخرى .

أقول : ولا قوة إلا بالله أن ما ذكره المجيب من عدم انبساط يد الإمام في حال الغيبة خارج عن التحقيق ، والحق أن الذي دل على وجوب وجوده هو دليل على وجوب انبساط يده وتصرفه فإنه إن لم يكن متصرفا لم ينفع المكلفين وجوده في حال من الأحوال ، ولا يشترط في التصرف كونه ظاهرا يراه كل أحد بل يجب تصرفه وإن لم يره أحد ، فإن قيل لا يمكن تصرفه وعدم ظهوره قلنا نمنع ذلك بأن الله سبحانه هو المتصرف في كل الأمور ولا يراه أحد وكذلك الملائكة الذين هم حملة التدبير يتصرفون في الأمور كيف ما يشاء الله ولا يراهم أحد فليس الرؤية شرطا في التصرف وانبساط اليد ، وأيضا أن الإمام هو يد الله ويد الله ليست مغلولة يتصرف بها كيف ما يشاء ، وأيضا قد تضافرت الروايات في كون الحجة لابد أن يكون متصرفا وذلك قولهم عليهم السلام (لا تخلوا الأرض من حجة كيما إن زاد المؤمنون ردهم وإن نقصوا أتمه لهم) ، والروايات في هذا المعنى متواترة فمن أراد الاطلاع فليطلبها في مظانها مثل الكافي وعلل الشرائع وسائر كتب الصدوق والبحار والعوالم .

وبالجملة فالذي يقال في جواب العامة أن وجود الإمام لطف فيجب على الله إيجاده ويجب على الله أن لا يخلي الأرض من حجة كيما إن زاد المؤمنون ردهم وإن نقصوا أتمه لهم ، ولما ثبت وجوده في التصرف في الأمور ثبت تصرفه في حال الظهور وفي حال الغيبة أيضا فهو متصرف الآن ولا يشترط في التصرف ظهوره وعدم ظهوره فتبصر .

وأما ما قالوا من عدم تولده فالتواتر حكم بخلافه ، وأما ما قالوا بعدم إمكان البقاء إلى هذه الأزمان فيبطله بقاء الخضر وطول عمر الأنبياء السابقين مثل نوح عليه السلام فإنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما بنص الكتاب

وأخبار أهل السير وأرباب التواريخ وقد قال النبي ﷺ (كلما كان في الأمم الماضية . . .إلخ) ، فوجب أيضا في هذه الأمة وجود شخص يطول عمره وقد تواتر عندنا أنه هو القائم من آل محمد ﷺ وليس طول بقائه من المحالات وخوارق العادات لوجود كثير من المعمرين من الأولين والآخرين وأنا أذكر إنشاء الله بعضا منهم نقلا عن البحار عن مشايخنا المتقدمين رضوان الله عليهم أجمعين كالصدوق والمرتضى والطوسي وغيرهم وألخص ما ذكروا وأسقط كثيرا منهم خوفا من التطويل .

في إكمال الدين وإتمام النعمة من كتب الصدوق قال (حدثنا أبو سعيد عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر السجزي قال حدثنا أبو بكر محمد ابن الفتح الرقي وأبو الحسن علي بن الحسن بن الأشكي ختن أبي بكر قالا لقينا بمكة رجلا من أهل المغرب فدخلنا عليه مع جماعة من أصحاب الحديث ممن كان حضر الموسم في تلك السنة وهي سنة تسع وثلاثمائة فرأينا رجلا أسود الرأس واللحية كأنه شن بالوحوله جماعة هم أولاده وأولاد أولاده ومشايخ من أهل بلده وذكروا أنهم من أقصى بلاد المغرب بقرب باهرت العليا وشهدوا هؤلاء المشايخ أنا سمعنا آباءنا حكوا عن آبائهم وأجدادهم أنا عهدنا هذا الشيخ المعروف بأبي الدنيا معمر واسمه علي بن عثمان بن خطاب بن مرة بن مؤيد وذكروا أنه همداني وأن أصله من صنعاء اليمن فقلنا له أنت رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام فقال بيده ففتح عينيه وقد كان وقع حاجباه عليهما ففتحهما كأنهما سراجان فقال رأيته بعيني هاتين وكنت خادما له وكنت معه في وقعة صفين وهذه الشجة من دابة علي عليه السلام وأرانا أثرها على حاجبه الأيمن وشهد الجماعة الذين كانوا حوله من المشايخ ومن حفدته وأسباطه بطول العمر وأنهم منذ ولدوا عهدوه على هذه الحالة

وكذا سمعنا من آبائنا وأجدادنا ، ثم إنا فاتحناه وساءلناه عن قصته وحاله وسبب طول عمره فوجدناه ثابت العقل يفهم ما يقال له ويجيب عنه بلب وعقل فذكر أنه كان له والد قد نظر في كتب الأوائل وقرأها وقد كان وجد فيها ذكر نهر الحيوان وأنها تجري في الظلمات وأنه من شرب منها طال عمره فحمله الحرص على دخول الظلمات فتحمل وتزود حسب ما قدر أنه يكتفي به في مسيره وأخرجني معه وأخرج معنا خادمين باذلين وعدة جمال لبون عليها روايا وزاد وأنا يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة فسار بنا إلى أن وافينا طرف الظلمات ثم دخلنا الظلمات فسرنا فيها نحو ستة أيام ولياليها وكنا نميز بين الليل والنهار بأن النهار كان يكون أضوأ قليلا وأقل ظلمة من الليل فنزلنا بين جبال وأودية ودكوات وقد كان والدي رضي الله عنه يطوف في تلك البقعة في طلب النهر لأنه وجد في الكتب التي قرأها أن مجرى نهر الحيوان في ذلك الموضع فأقمنا في تلك البقعة أياما حتى فنى الماء الذي كان معنا واستقيناه جمالنا ولو لا أن جمالنا كانت لبونا لهلكنا وتلفنا عطشا وكان والدي يطوف في تلك البقعة في طلب النهر ويأمرنا أن نوقد نارا ليهتدى بضوئها إذا أراد الرجوع إلينا فمكثنا في تلك البقعة نحو خمسة أيام ووالدي يطلب النهر فلا يجده وبعد الإياس عزم على الانصراف حذرا على التلف لفناء الزاد والماء والخدم الذين كانوا معنا ضجروا فأوجسوا التلف على أنفسهم وألحوا على والدي بالخروج من الظلمات فقمت يوما من الرحل لحاجتي فتباعدت من الرحل قدر رمية سهم فعثرت بنهر ماء أبيض اللون عذب لذيذ لا بالصغير من الأنهار ولا بالكبير ويجري جريانا لينا فدنوت منه وغرفت منه بيدي غرفتين أو ثلاثة فوجدته عذبا باردا لذيذا فبادرت مسرعا إلى الرحل وبشرت الخدم بأني قد وجدت الماء فحملوا ما كان معنا من القرب والأدوات

لنملأها ولم أعلم أن والدي في طلب ذلك النهر وكان سروري بوجود الماء لما كنا عدمنا الماء وفنى ما كان معنا وكان والدي في ذلك الوقت غائبا عن الرحل مشغولا بالطلب فجهدنا وطفنا ساعة هوية على أن نجد النهر فلم نهتدي إليه حتى أن الخدم كذبوني وقالوا لي لم تصدق فلما انصرفت إلى الرحل وانصرف والدي أخبرته بالقصة فقال لي يا بني الذي أخرجني إلى هذا المكان وتحمل الخطر كان لذلك النهر ولم أرزق أنا وأنت رزقته وسوف يطول عمرك حتى تمل الحياة ورحلنا منصرفين وعدنا إلى أوطاننا وبلدنا وعاش والدي بعد ذلك سنيات ثم توفي رضي الله عنه فلما بلغ سني قريبا من ثلاثين سنة وكان قد اتصل بنا وفاة النبي ﷺ ووفاة الخليفتين بعده خرجت حاجا فلحقت آخر أيام عثمان فمال قلبي من بين جماعة أصحاب النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأقمت معه أخدمه وشهدت معه وقائع وفي وقعة صفين أصابتني هذه الشجة من دابته فما زلت مقيما معه إلى أن مضى لسبيله عليه السلام فألح علي أولاده وحرمه أن أقيم عندهم فلم أقم وانصرفت إلى بلدي وخرجت أيام بني مروان حاجا وانصرفت مع أهل بلدي إلى هذه الغاية ما خرجت في سفر إلا ما كان إلى الملوك في بلاد المغرب يبلغهم خبري وطول عمري فيشخصوني إلى حضرتهم ليروني ويسألوني عن سبب طول عمري وعما شاهدت وكنت أتمنى وأشتهي أن أحج حجة أخرى فحملني هؤلاء حفدتي وأسباطي الذين ترونهم حولي وذكر أنه قد سقطت أسنانه مرتين أو ثلاثة فسألناه أن يحدثنا بما سمعه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فذكر أنه لم يكن له حرص ولا همة في العلم في وقت صحبته لعلي بن أبي طالب عليه السلام والصحابة أيضا كانوا متوافرين فمن فرط ميلي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومحبتي له لم أشتغل بشيء سوى خدمته وصحبته

والذي كنت أتذكره مما كنت سمعته منه قد سمعه مني عالم كثير من الناس ببلاد المغرب ومصر والحجاز وقد انقرضوا وتفانوا وهؤلاء أهل بيتي وحفدتي قد دونوه فأخرجوا إلينا النسخة فأخذ يملي علينا من حفظه)

إلى أن قال الصدوق (وعاش أوس بن ربيعة بن كعب بن أمية الأسلمي مائتين وأربع عشرة سنة وقال في ذلك لقد عمرت حتى مل أهلي ثوائي عندهم وسئمت عمري وحق لمن أتى مائتا عام عليه وأربع من بعد عشر يمل من الثواء وصبح يوم يغاديه وليل بعد يسري فأبلى جدتي وتركت شلوا وباح بما أجن ضمير صدري

وعاش أبو زبيد واسمه البدر بن حرملة الطائي وكان نصرانيا خمسين ومائة سنة ، وعاش نصر بن دهمان بن بصار بن بكر بن سليم بن أشجع بن الريث ابن غطفان مائة وتسعين سنة ، وعاش الجعشم بن عوف بن حذيمة دهرا طويلا فقال :

حتى متى الجعشم في الأحياء
ليس بذي أيد و لا غناء
هيهات ما للموت من دواء

وعاش ثعلبة بن كعب بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي مائتي سنة فقال :

لقد صاحبت أقواما فأمسوا ... خفاتا ما يجاب لهم دعاء
مضوا قصد السبيل و خلفوني ... فطال علي بعدهم الثواء
فأصبحت الغداة رهين بيتي ... وأخلفني من الموت الرجاء

وعاش رداءة بن كعب بن ذهل بن قيس النخعي ثلاثمائة سنة وقال :

لم يبق يا خـــذلة من لـداتي
أبـــو بـــنـــين لا ولا بـــنـــات
ولا عـقـيم غـيـر ذي سـبـات
إلا يعـــد اليـــوم في الأمـــوات
هل مـشـتـر أبيـعـه حـيـاتي

وعاش العرام بن منذر بن زبيد بن قيس بن حارثة بن لام دهرا طويلا في الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز وأدخل عليه وقد اختلفت ترقوتاه وسقط حاجباه فقيل له ما أدركت فقال :

وو الله ما أدري أ أدركت أمة على
عهـد ذي القرنين أم كنت أقـدما
متى تخلعـا مني القـميص تبـينا
جـآجئ لم يكسين لحـمـا ولا دمـا

وعاش سيف بن وهب بن جذيمة الطائي مائتي سنة وقال :

ألا إنني عـــاجـــلا ذاهب فـلا تحـســبـوا أنني كـاذب
لبـست شـبـابي فـأفنيـتـه وأدركـني القـــدر الغـــالب

وعاش لقمان العادي الكبير خمسمائة وستين سنة وعاش عمر سبعة أنسر عاش كل نسر منها ثمانين عاما وكان من بقية عاد الأولى ، وروي أنه عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة وكان من وفد عاد الذين بعثهم قومهم إلى الحرم ليستسقوا لهم وكان أعطي عمر سبعة أنسر وكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل الذي هو في أصله فيعيش النسر منها ما عاش فإذا مات

أخذ آخر فرباه حتى كان آخرها لبد وكان أطولها عمرا فقيل فيه طال الأبد على لبد .وقد قيل فيه أشعار معروفة)[1]

وعاش زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي ثلاثمائة سنة .

وعاش مزيقيا واسمه عمر بن عامر وهو ماء السماء لأنه كان حياة أينما نزل كمثل ماء السماء وإنما سمي مزيقيا لأنه عاش ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وكان يلبس كل يوم حلتين ثم يأمر بهما فتمزقان حتى لا يلبسهما أحد غيره .

وعاش هبل بن عبد الله بن كنانة ستمائة سنة .

وعاش أبو الطحمان القيني مائة وخمسين سنة .

وعاش دريد بن زيد بن تهد أربعمائة سنة وخمسين سنة ، وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن يزيد الشعراني من ولد عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول حكى أبو القاسم محمد بن القاسم البصري أن أبا الحسن حمارويه بن أحمد بن طولون كان قد فتح عليه من كنوز مصر ما لم يرزق أحد قبله فأغرى بالهرمين فأشار عليه ثقاته وحاشيته وبطانته أن لا يتعرض لهدم الأهرام فإنه ما تعرض أحد لها فطال عمره فلج في ذلك وأمر ألفا من الفعلة أن يطلبوا الباب وكانوا يعملون سنة حواليه حتى ضجروا وكلوا ، فلما هموا بالانصراف بعد الإياس منه وترك العمل وجدوا سربا فقدروا أنه الباب الذي يطلبونه فلما بلغوا آخره وجدوا بلاطة قائمة من مرمر فقدروا أنها الباب فاحتالوا فيها إلى أن قلعوها وأخرجوها فإذا عليها كتابة يونانية فجمعوا حكماء مصر وعلماءها فلم يهتدوا لها وكان في القوم رجل يعرف بأبي عبد الله المديني أحد حفاظ الدنيا وعلمائها فقال لأبي الحسن حمارويه بن أحمد أعرف في بلد الحبشة أسقفا قد عمرو أتى عليه ثلاث مائة وستون سنة يعرف هذا الخط ، وقد كان عزم

(١) كمال الدين ٢ / ٥٣٩ - ٥٤١

على أن يعلمنيه فلحرصي على علم العرب لم أقم عليه وهو باق . فكتب أبوا لحسن إلى ملك الحبشة يسأله أن يحمل هذا الأسقف إليه فأجابه أن هذا قد طعن في السن وحطمه الزمان وإنما يحفظه هذا الهواء ويخاف عليه إن نقل إلى هواء آخر وإقليم آخر ولحقته حركة وتعب ومشقة السفر أن يتلفوفي بقائه لنا شرف وفرج وسكينة فإن كان لكم شي ء يقرأه ويفسر هو مسألة تسألونه فاكتب بذلك فحملت البلاطة في قارب إلى بلد أسوان من الصعيد الأعلى وحملت من أسوان على العجلة إلى بلاد الحبشة وهي قريبة من أسوان فلما وصلت قرأها الأسقف وفسر ما فيها بالحبشية ثم نقلت إلى العربية فإذا فيها مكتوب . أنا الريان بن دومغ فسئل أبو عبد الله عن الريان من كان هو قال هو والد العزيز ملك يوسف عليه السلام واسمه الريان بن دومغ وقد كان عمر العزيز سبعمائة سنة وعمر الريان والده ألفا وسبعمائة سنة وعمر دومغ ثلاثة آلاف سنة .

فإذا فيها أنا الريان بن دومغ خرجت في طلب علم النيل لأعلم فيضه ومنبعه إذ كنت أرى مفيضة فخرجت ومعي ممن صحبت أربعة آلاف ألف رجل فسرت ثمانين سنة إلى أن انتهيت إلى الظلمات والبحر المحيط بالدنيا فرأيت النيل يقطع البحر المحيط ويعبر فيه ولم يكن منفذو تماوت أصحابي وبقيت في أربعة آلاف رجل فخشيت على ملكي فرجعت إلى مصر وبنيت الأهرام والبراني وبنيت الهرمين وأودعتهما كنوزي وذخائري وقلت في ذلك شعرا .

و أدرك علمي بعض ما هو كائن ... و لا علم لي بالغيب و الله أعلم
وأتقنت ما حاولت إتقان صنعه ... و أحكمته و الله أقوى و أحكم
وحاولت علم النيل من بدء فيضه ... فأعجزني و المرء بالعجز ملجم
ثمانين شاهورا قطعت مسايحا إلى ... وحولي بنو حجر و جيش عرمرم

أن قطعت الجن و الإنس كلهم و عارضني لح من البحر مظلم
فأتقنت أن لا منفذا بعد منزلي لذي همة بعدي و لا متقدم
فأبت إلى ملكي و أرسيت ناديا بمصر و للأيام بؤس و أنعم
أنا صاحب الأهرام في مصر كلها و بأني برانيها بها و المقدم
تركت بها آثار كفي و حكمتي على الدهر لا تبلى و لا تتهدم

فحينئذ قال أبو الحسن حمارويه بن أحمد هذا شيء ليس لأحد فيها حيلة إلا للقائم من آل محمد عليه السلام وردت البلاطة كما كانت مكانها . ثم إن أبا الحسن بعد ذلك بسنة قتله طاهر الخادم ذبحه على فراشه وهو سكران ومن ذلك الوقت عرف خبر الهرمين ومن بناهما فهذا أصح ما يقال في خبر النيل والهرمين .

وعاش قس بن ساعدة ستمائة سنة وهو الذي يقول :

هل الغيث يعطى الأمر عند نزوله
بحال مسيء في الأمور ومحسن
ومن قد تولى وهو قد فات ذاهب
فهل ينفعني ليتني و لو أنني

وروى أحمد بن فهد عن بهاء الدين علي بن عبد الحميد عن يحيى بن النجل الكوفي عن صالح بن عبد الله اليمني كان قدم الكوفة قال يحيى ورأيته بها سنة أربع وثلاثين وسبعمائة عن أبيه عبد الله اليمني وأنه كان من المعمرين وأدرك سلمان الفارسي وأنه روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال حب الدنيا رأس كل خطيئة ورأس العبادة حسن الظن بالله .

ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغنائي وهو عبد المسيح بن قيس بن

حيان بن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وإنها سمي بقيلة لأنه خرج على قومه في بردين اخضرين فقالوا له أنت غلا بقيلة فسمي بذلك وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة وأدرك الإسلام فلم يسلم وكان نصرانيا) .

أقول : ومن المعمرين رتن بن عبدالله الهندي وهو شيخ خفي خبره دهرا طويلا إلى أن ظهر على رأس القران السادس فادعى صحبة النبي فروى عنه ولداه محمود وعبدالله وموسى بن مجلي بن جذال الدعيسري والحسن بن محمد الحسيني الخراساني والكمال الشيرازي وإسماعيل الفارقي وعثمان بن أبي بكر بن سعيد الأربلي وقد عاش من قبل زمان البعثة إلى المائة السابعة بعد الهجرة المقدسة النبوية ومن المعمرين لقمان بن عان وأنه عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة ويقول في الأعشى :

لنفسك إذا تختار سبعة أنسر إذا
ما مضى نسر خلدت إلى نسر
فعمر حتى خال أن نسوره خلود
و هل تبقى النفوس على الدهر
و قال لأدناهن إذ حل ريشه هلكت
و أهلكت ابن عاد وما تدري

ومنهم عمر وبن حممة الدوسي عاش أربعمائة سنة وهو الذي يقول :

كبرت و طال العمر حتى كأنني
سليم أفاع ليلة غير مودع
فما الموت أفناني و لكن تتابعت
علي سنون من مصيف و مربع

ثلاث مـات قـد مـررن كـوامـلا
وها أنـا ذا قـــد أرتجي منـه أربع

ومنهم الحارث بن مضاض الجرهمي عاش أربعمائة سنة وهو القائل :
كـأن لم يكن بين الحجـون إلى الصـفـا
أنيس ولم يســمــر بمكة ســامــر
بلى نحن كنا أهلهـــا فـــأبادنا
صــروف الليـــالي والجـــدود العــواثر

والفرس تزعم أن فيما تقدم من ملوكها جماعة طالت أعمارهم فيروون أن الضحاك صاحب الحيين عاش ألف سنة ومائتي سنة ، وأفريدون العادل عاش فوق ألف سنة ، ويقولون أن الملك الذي أحدث المهرجان عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة استتر منها عن قومه ستمائة سنة وغير ذلك مما هو موجود في تواريخهم وكتبهم .

فإذا ثبت طول أعمار هؤلاء المذكورين وغيرهم مما لم نذكر باتفاق أهل السير والتواريخ فلا نكير في بقاء صاحب الزمان عجل الله فرجه في هذه المدة الطويلة وليس بقاؤه وطول عمره من المحالات ومن خوارق العادات كما عرفت مما ذكرنا .

وأما سبب خفاء ولادته حتى ظن أهل الزيغ أنه لم يولد وأنه كان الحسن بن علي عليه السلام عقيما فلتطابقه للقرون السالفة كما في الحديث المستفيض فإنه كان في الأولين من خفيت ولادته على الناس وقد ذكره العلماء من الفرس وأرباب السير ومن ذلك ما هو مشهور كقصة كيخسر ووابن سياوش وما كان من سترامة فرنكيس حملها وإخفاء ولادتها وهي بنت أفراس ياب

بنت بشنك ملك الترك وكان جدّ كيخسر ووكيقاوس أراد قتل ولده فسيّرته أمه إلى أن ولدته وكان من قصّته ما هو مشهور في كتب التواريخ ذكره الطبري وقد نطق القرآن بقصّة إبراهيم عليه السلام وأن أمه ولدته خفيا وغيّبته في المغارة حتى بلغ وكان من أمره ما كان وما كان من قصّة موسى عليه السلام وأن أمه ألقته في البحر خوفا عليه وإشفاقا من فرعون عليه وذلك مشهور قد نطق به القرآن فولادة صاحب الزمان عجل الله فرجه لابدّ وأن تكون خفيّة حتى يطابق الأمم السالفة حذ والقذّة بالقذّة والنعل بالنعل .

وأما سبب غيبته فلأمور كثيرة يذكر بعضا منها فمنها أيضا مطابقة بين القرنين لأن في الأولين من غاب عن قومه من الأنبياء وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال (إن صالحا عليه السلام غاب عن قومه زمانا وكان يوم غاب عنهم كهلا مبدح البطن حسن الجسم وافر اللحية خميص البطن خفيف العارضين مجتمعا ربعة من الرجال فلما رجع إلى قومه لم يعرفوه بصورته فرجع إليهم وهم على ثلاث طبقات طبقة جاحدة لا ترجع أبدا وأخرى شاكة فيه وأخرى على يقين فبدأ عليه السلام حيث رجع بطبقة الشكاك فقال لهم أنا صالح فكذبوه وشتموه وزجروه وقالوا برئ الله منك إن صالحا كان في غير صورتك قال فأتى الجحاد فلم يسمعوا منه القول ونفروا منه أشد النفور ثم انطلق إلى الطبقة الثالثة وهم أهل اليقين فقال لهم أنا صالح فقالوا أخبرنا خبرا لا نشك فيك معه أنك صالح فإنا لا نمتري أن الله تبارك وتعالى الخالق ينقل ويحول في أي الصور شاء وقد أخبرنا وتدارسنا فيما بيننا بعلامات القائم إذا جاء وإنما صح عندنا إذا أتى الخبر من السماء فقال لهم صالح أنا صالح الذي أتيتكم بالناقة فقالوا صدقت وهي التي نتدارس فما علاماتها فقال ﴿ **لها شِرْبٌ وَلكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلومٍ** ﴾ قالوا آمنا بالله وبما جئتنا به فعند ذلك قال الله تبارك وتعالى

﴿ **أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ قال أهل اليقين ﴿ **إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا** ﴾ وهم الشكاك والجحاد ﴿ **إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ قلت هل كان فيهم ذلك اليوم عالم قال الله تعالى أعدل من أن يترك الأرض بغير عالم يدل على الله تبارك وتعالى ولقد مكث القوم بعد خروج صالح سبعة أيام على فترة لا يعرفون إماما غير أنهم على ما في أيديهم من دين الله عز وجل كلمتهم واحدة فلما ظهر صالح عليه السلام اجتمعوا عليه وإنما مثل علي والقائم مثل صالح عليه السلام)[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول (في القائم سنة من موسى بن عمران عليه السلام فقلت وما سنة موسى بن عمران قال خفاء مولد هو غيبته عن قومه فقلت وكم غاب موسى عن أهله وقومه قال ثماني وعشرين سنة)[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام يقول (في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء سنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من يوسف وسنة من محمد صلوات الله عليهم فأما من موسى فخائف يترقب وأما من يوسف فالسجن وأما من عيسى فيقال إنه ماتو لم يمت وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالسيف)[٣].

وعن علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام يقول (في القائم منا سنن من سنن الأنبياء عليهم السلام سنة من آدم وسنة من نوح وسنة من إبراهيم وسنة من موسى وسنة من عيسى وسنة من أيوب وسنة من محمد صلى الله عليه وآله فأما من آدم ومن نوح فطول العمر وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس وأما من موسى فالخوف والغيبة وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف)[٤].

وعن محمد بن مسلم قال (دخلت على أبي جعفر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله

---

(١) بحار الأنوار ٥١ / ٢١٦
(٢) بحار الأنوار ٥١ / ٢١٧
(٣) بحار الأنوار ٥١ / ٢١٧
(٤) بحار الأنوار ٥١ / ٢١٧

عن القائم من آل محمد ﷺ فقال لي مبتدئا يا محمد بن مسلم إن في القائم من آل محمد ﷺ شبها من خمسة من الرسل يونس بن متى ويوسف بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم فأما شبهه من يونس فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن وأما شبهه من يوسف بن يعقوب فالغيبة من خاصته وعامته واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته وأما شبهه من موسى فدوام خوفه وطول غيبته وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده بما لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عزوجل في ظهوره ونصره وأيده على عدوه وأما شبهه من عيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم ما ولد وقالت طائفة مات وقالت طائفة قتل وصلبوأما شبهه من جده المصطفى ﷺ فخروجه بالسيف وقتله أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ والجبارين والطواغيت وأنه ينصر بالسيف والرعب وأنه لا ترد له راية وأن من علامات خروجه خروج السفياني من الشام وخروج اليماني وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي باسمه واسم أبيه)[1] .

وعن سدير الصيرفي قال (دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبوب صير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فرأيناه جالسا على التراب وعليه مسح خيبري مطوق بلا جيب مقصر الكمين وهو يبكي بكاء الواله الثكلى ذات الكبد الحري قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغير في عارضيه وأبلى الدموع محجريه وهو يقول سيدي غيبتك نفت رقادي وضيقت علي مهادي وأسرت مني راحة فؤادي سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد وفقد الواحد بعد الواحد يفنى الجمع والعدد فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا مثل لعيني عن عوائر أعظمها وأفظعها وتراقي أشدها وأنكرها

(١) بحار الأنوار ٥١ / ٢١٨

ونوائب مخلوطة بغضبك ونوازل معجونة بسخطك قال سدير فاستطارت عقولنا ولها وتصدعت قلوبنا جزعا عن ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل وظننا أنه سمة لمكروهة قارعة أو حلت به من الدهر بائقة فقلنا لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك من أي حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم قال فزفر الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه واشتد منها خوفه وقال ويكم إني نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خص الله تقدس اسمه به محمدا والأئمة من بعده عليه وعليهم السلام وتأملت فيه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين به من بعده في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدس ذكره ﴿ **وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ** ﴾ يعني الولاية فأخذتني الرقة واستولت علي الأحزان فقلنا يا ابن رسول الله كرمنا وشرفنا بإشراكك إيانا في بعض ما أنت تعلمه من علم قال إن الله تبارك وتعالى أدار في القائم منا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل قدر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى عليه السلام وقدر إبطاءه تقدير إبطاء نوح عليه السلام وجعل من بعد ذلك عمر العبد الصالح أعنى الخضر دليلا على عمره فقلت اكشف لنا يا ابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني قال أما مولد موسى فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفا وعشرين ألف مولود وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إياه كذلك بن وأمية

وبن والعباس لما وقفوا على أن زوال ملكهم والأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل آل بيت رسول الله ﷺ وإبادة نسله طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام ويأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلى ﴿ **أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ وأما غيبة عيسى عليه السلام فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل وكذبهم الله عزوجل بقوله ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ كذلك غيبة القائم عليه السلام فإن الأمة تنكرها لطولها فمن قائل بغير هدى بأنه لم يولد وقائل يقول إنه ولد ومات وقائل يكفر بقوله إن حادي عشرنا كان عقيما وقائل يمرق بقوله إنه يتعدى إلى ثالث عشر فصاعدا وقائل يعصي الله عزوجل بقوله إن روح القائم عليه السلام ينطق في هيكل غيره وأما إبطاء نوح عليه السلام فإنه لما استنزل العقوبة على قومه من السماء بعث الله عزوجل جبرئيل الروح الأمين بسبعة نويات فقال يا نبي الله إن الله تبارك وتعالى يقول لك إن هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلا بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجة فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإني مثيبك عليه وأغرس هذا النوى فإن لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرجوالخلاص فبشر بذلك من تبعك من المؤمنين فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتسوقت وتغصنت وأثمرت وزهى الثمر عليها بعد زمن طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العدة فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد ويؤكد الحجة على قومه فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به فارتد منهم ثلاث مائة رجل وقالوا لو كان ما يدعيه نوح حقا لما وقع في وعد ربه خلف ثم إن الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كل مرة أن يغرسها تارة بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرات فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتد منهم طائفة إلى

أن عاد إلى نيف وسبعين رجلا فأوحى الله عزوجل عند ذلك إليه وقال يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك حين صرح الحق عن محضه وصفا الأمر للإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة فل وأني أهلكت الكفار وأبقيت من قد ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوتك بأن أستخلفهم في الأرض وأمكن لهم دينهم وأبدل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك من قلوبهم وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن مني لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوح الضلالة فل وأنهم تسنموا مني من الملك الذي أوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفاته ولاستحكمت سرائر نفاقهم وتأبد حبال ضلالة قلوبهم وكاشفوا إخوانهم بالعداوة وحاربوهم على طلب الرئاسة والتفرد بالأمر والنهي وكيف يكون التمكين في الدينوانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب كلا ﴿ **وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا** ﴾ قال الصادق عليه السلام وكذلك القائم عليه السلام تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه ويصف والإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام، قال المفضل فقلت يا ابن رسول الله إن النواصب تزعم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي قال لا يهد الله قلوب الناصبة متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكنا بانتشار الأمن في الأمة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشك من صدورها في عهد أحد من هؤلاء وفي عهد علي عليه السلام مع ارتداد المسلمين

والفتن التي كانت تثور في أيامهم والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم ثم تلا الصادق عليه السلام ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ وأما العبد الصالح الخضر عليه السلام فإن الله تبارك وتعالى ما طول عمره لنبوة قدرها له ولا لكتاب ينزله عليه ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبلها من الأنبياء ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها ولا لطاعة يفرضها له بلى إن الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول طول عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك إلا لعلة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة)[1] الحديث .

ومنها أنه لو لم يغب لقتلوه الأشرار وكان يلزم من قتله انهدام الدنيا لأنه قلب العالم فيزول العالم بزواله .

ومنها عدم نضج العالم للاستنارة بنور ظهوره فإذا صفيت بنية العالم واعتدل مزاجه تمكن من مقابلته واستنار بنور ظهوره .

ومنها أنه ل ولم يغب عليه السلام واستولى على الأعداء بالسيف وقتلهم لقتل المؤمنين الذين في أصلاب الكفار وذلك خلاف الحكمة لأن الحكمة اقتضت ظهورهم من أصلابهم فإذا خرج المؤمنون من أصلاب الكفار بأجمعهم يخرج عجل الله فرجه بالسيف ولم يبق على الأرض من الكافرين أحد إلا وهو مستولي عليه .

ومنها ما ذكره سيدي وسندي ومن إليه في كل حق مستندي سيد الأفاضل والأعاظم السيد كاظم دامت بركاته في أجوبة مسائله قال (إن الأصل الثانوي قد اقتضى غيبته جميع أهل الحق خصوصا آل محمد عليهم

السلام وذلك لأمور استحكمت في العالم الأول وعالم الذر لأن الله سبحانه خلق للحق دولة وللباطل دولة في الدنيا ولما كان الباطل مجتثا زائلا والحق أصيلا ثابتا قدم دولة الباطل وأهله على الحق وأهله فقال تعالى ﴿ **الحَمْدُ لِلهِ الذي خَلَقَ السَّموات وَالأرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنّورَ** ﴾[1] فتقدمت الظلمة على النور والليل على النهار والنطفة والعلقة والمضغة على الصورة الإنسانية وحالة الصبا على البلوغ وهكذا في المراتب كلها ، فإذا كانت هذه الأيام والأزمان لدولة الظالمين فلا بد لأهل الحق من الخفاء والاختفاء والغيبة ، ولكن الله سبحانه لما أبى إلا أن يقيم الحجة على الخلق من المؤمن والكافر يظهر أهل الحق بقدر الضرورة اللازمة التي تبقى بها اسم الإسلام والإيمان على الوجه الظاهر المعروف المتعارف إتماما للحجة على الكافرين وإكمالا للنعمة على المؤمنين فإذا حصل هذا المدعى أخفاهم الله عن أعين الظالمين مادامت دولة الفسقة تنزيها لهم عن ملاقاة أولئك الفسقة ومباشرة أولئك الظلمة كما قال الشاعر ولنعم ما قال :

لله تحت قباب الأرض طائفة ... أخفاهم عن عيون الناس إجلالا

فغيبة الإمام عليه السلام لا تحتاج إلى دليل وإنما المحتاج إلى الدليل ظهور باقي الأئمة ، وقد أشرت إلى شيء من ذلك فراجع تفهم .

وقد سألني بعض الناس عن الدليل على حياة الإمام عليه السلام وبقائه فإن البدن العنصري لا يتحمل هذا الدوام عادة ، قلت له إنا لا نحتاج إلى الدليل على بقاء القائم عليه السلام وحياته فإن الإمام خلق من مادة الحياة وعين الحياة وليس عنده ما يقتضي التفكيك والتفريق من الأعراض والغرائب مثل أجسام المؤمنين في الجنة ، فبدن الإمام في هذه الدنيا مثل أبدان الخلق في الجنة بل العكس فلا تحتاج حياته عليه السلام إلى إقامة الدليل .


(١) الأنعام / ١

نعم إذا أنت لا بد من السؤال عن الدليل فاسأل عن موت سائر الأئمة عليهم السلام كيف ماتوا مع أنهم ليس عندهم ما يقتضي الموت فسكت وأذعن لما سمع الحق ، وكذلك أمر الغيبة . انتهى ما أردنا نقله مما أفاد وقد أجاد .

وبالجملة إن المنصف لا يستريب بعدما بيّنا في وجود الإمام عليه السلام وأنه غائب عن أعين الأنام وسيظهر إنشاء الله ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملأت ظلما وجورا ، اللهم عجل فرجه وارزقنا توفيق طاعته .

قال صاحب الكتاب : مضافا إلى النقل فعن أَبِي الحَسَنِ العسكري عليه السلام يَقُول (الخَلفُ مِنْ بَعْدِيَ الحَسَنُ فَكَيْفَ لكُمْ بِالخَلف مِنْ بَعْد الخَلف فَقُلتُ وَلِمَ جَعَلنِيَ اللهُ فِدَاكَ فَقَال إِنَّكُمْ لا تَرَوْنَ شَخْصَهُ وَلا يَحِلُّ لكُمْ ذِكْرُهُ بِاسْمِه فَقُلتُ فَكَيْفَ نَذْكُرُهُ فَقَال قُولوا الحُجَّةُ مِنْ آل مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلام)[1] .

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّالِحِيِّ قَال (سَأَلنِي أَصْحَابُنَا بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنْ أَسْأَل عَنِ الاسْمِ وَ المَكَانِ فَخَرَجَ الجَوَابُ إِنْ دَللتُهُمْ عَلى الاسْمِ أَذَاعُوهُ وَ إِنْ عَرَفُوا المَكَانَ دَلُّوا عَلَيْه)[2] .

وعن أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام يَقُول (وَسُئِل عَنِ القَائِمِ فَقَال لا يُرَى جِسْمُهُ وَلا يُسَمَّى اسْمُهُ)[3] .

وعن أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُول فِي خُطْبَةٍ لهُ اللهُمَّ وَإِنِّي لأَعْلمُ أَنَّ العلمَ لا يَأْرِزُ كُلُّهُ وَلا يَنْقَطِعُ مَوَادُّهُ وَأَنَّكَ لا تُخْلِي أَرْضَكَ مِنْ حُجَّةٍ لكَ عَلى خَلقِكَ ظَاهِرٍ ليْسَ بِالمُطَاعِ أَوْ خَائِفٍ مَغْمُورٍ كَيْلا تَبْطُل حُجَجُكَ وَلا يَضِل أَوْليَاؤُكَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ إلى أن قال أُولئِكَ أَتْبَاعُ العُلمَاءِ صَحِبُوا أَهْل الدُّنْيَا بِطَاعَةِ اللهِ تَبَارَكَ

(١) الكافى ١ / ٣٢٨
(٢) الكافى ١ / ٣٣٣
(٣) الكافى ١ / ٣٣٣

وَ تَعَالى وأَوْلِيَائِه وَدَانُوا بالتَّقِيَّة عَنْ دينِهِمْ والخَوْف مِنْ عَدُوِّهِمْ فَأَرْوَاحُهُمْ مُعلقَةٌ بالمَحَلِّ الأَعْلى فَعُلمَاؤُهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ خُرْسٌ صُمْتٌ في دَوْلَةِ البَاطِلِ مُنْتَظِرُونَ لدَوْلَةِ الحَقِّ وَسَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلمَاتِه ويَمْحَقُ البَاطِل)[1] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للقائم غيبتان إحداهما قصيرةوالأخرى طويلة الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعتهوالأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه)[2] .

وعنه عليه السلام أنه قيل لهُ (أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ فَقَال لا فَقُلتُ فَوَلَدُكَ فَقَال لا فَقُلتُ فَوَلَدُ وَلَدكَ هُوَ قَال لا فَقُلتُ فَوَلَدُ وَلَد وَلَدكَ فَقَال لا قُلتُ مَنْ هُوَ قَال الذي يَمْلأُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلماً وَجَوْراً على فَتْرَةٍ مِنَ الأَئِمَّةِ كَمَا أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله بُعِثَ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُل)[3] .

وعَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالتْ (سَأَلتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ عليه السلام عَنْ قَوْل الله تَعَالى ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ ﴾ قَالتْ فَقَال إِمَامٌ يَخْنِسُ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ يَظْهَرُ كَالشِّهَابِ يَتَوَقَّدُ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ فَإِنْ أَدْرَكْتِ زَمَانَهُ قَرَّتْ عَيْنُكِ)[4] .

وفي الآخر (الخُنَّسُ إِمَامٌ يَخْنِسُ فِي زَمَانِه عِنْدَ انْقِطَاعٍ مِنْ عِلمِه عِنْدَ النَّاسِ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ثُمَّ يَبْدُو كَالشِّهَابِ الوَاقِدِ فِي ظُلمَةِ اللَّيْلِ فَإِنْ أَدْرَكْتِ ذَلكِ قَرَّتْ عَيْنُكِ)[5] .

وعن أَبي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أنه قال لا بُدَّ للغُلامِ مِنْ غَيْبَةٍ قُلتُ وَلِمَ قَال يَخَافُ

(١) الكافي ١ / ٣٣٥
(٢) البحار ٥٢ / ١٥٥
(٣) الكافي ١ / ٣٤١
(٤) الكافي ١ / ٣٤١
(٥) الكافي ١ / ٣٤١

وَ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى بَطْنِهِ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ وَهُوَ الَّذِي يَشُكُّ النَّاسُ فِي وِلادَتِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ حَمْلٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يُخَلِّفْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ وُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسَنَتَيْنِ قَالَ زُرَارَةُ فَقُلْتُ وَمَا تَأْمُرُنِي لَوْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ قَالَ ادْعُ اللهَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْكَ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَبِيَّكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَبِيَّكَ لَمْ أَعْرِفْهُ قَطُّ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي)[1] .

إلى غير ذلك من الأخبار .

أقول : إن الأخبار من طرقنا كثيرة جدا وكلها مذكورة في الكتب الطوال لكني أحب أن أذكر طرفا من الأخبار التي روتها العامة ، فإن العامة يروون أخبار تدل على وجود القائم عليه السلام وأنه هو الحجة المنتظر ومن ثم ذهب بعضهم كمحيي الدين بن عربي وابن أبي الحديد إلى وجوده وأنه غائب وسيظهر إنشاء الله ، وقد ذكر الشيخ محيي الدين في فتوحاته على ما نقله ابن أبي جمهور في المجلي والبهائي في الأربعين قصة القائم وأنه سيظهر قال في الباب الثلاثمائة والستة والستين من الكتاب المذكور (إن لله خليفة يخرج من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة عليهما السلام يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله جده الحسين بن علي عليهما السلام يبايع بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله في الخَلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخُلق بضم الخاء أسعد الناس به أهل الكوفة يعيش خمسا أوسبعا أوتسعا يضع الجزية ويدع وإلى الله بالسيف ويرفع المذاهب عن الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم يبايعه العارفون من أهل الحقائق عن شهود وكشف

(١) الكافى ١ / ٣٤٢

بتعريف إلهي له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه ولولا أن السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون ويقبلون حكمه غير إيمان ويضمرون خلافه ويعتقدون فيه إذا حكم فيهم بغير مذهب أئمتهم إنه أمة على ضلال في ذلك لأنهم يعتقدون أن أهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم وأن الله لا يوجد بعد أئمتهم أحدا له درجة الاجتهاد ، وأما من يدعي التعريف الإلهي بالأحكام الشرعية فهو عندهم مجنون فاسد الخيال) .

وقال أيضا في ذلك الكتاب (لو لم يبقى من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يأتي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام يبايع فيما بين الركن والمقام يشبه رسول الله وينزل عنه في الخلق لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله في خلقه هو أجلى الجبهة أقنى الأنف أسعد الناس به أهل الكوفة يبايع له العارفون بالله من أهل الحقايق عن شهود وكشف بتعريف إلهي له رجال إلهيون يقيمون في دعوته وينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين بهرودتين متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره يقطر رأسه ماء مثل الجفان ينحدر كأنما خرج من ديماس والناس في صلاة العصر ثم قال :

إلا أن ختم الأولياء شهيد وعين إمام العالمين فقيد
هو السيد المهدي من آل أحمد هو الصارم الهندي حين يبيد
هو الشمس يجلو كل غيم وظلمة هو الباهل الوسمي حين يجود

وهذا كلام يطابق مذهب أهل العصمة عليهم السلام ومن ثم تخيل بعض أصحابنا أن هذا الشيخ من الإمامية وهو تخيل فاسد وتوهم كاسد لأن هذا الشيخ قال بعصمة عمر بن الخطاب ولم يقل بذلك أحد من المسلمين حتى أهل التسنن على ما نقله أستاذنا الأعظم وسندنا الأقوم سند الأفاضل والأعاظم السيد الأجل السيد كاظم دامت بركاته ما معنا أن الشيخ قال في فتوحاته في الباب المائة والثلاثون أنه قال رسول الله ﷺ في حق عمر (يا عمر ما لقيت الشيطان في فج إلا وسلك فجا غير فجك ونحن نعلم يقينا أن الشيطان لا يسلك بنا إلا فجاج الباطل وهو غير فج عمر بن الخطاب فثبت عصمته بشهادة المعصوم) انتهى ، فالذي يقول بعصمة عمر كيف يكون من الإمامية سبحانك إن هذا إلا بهتان مبين .

وقال ابن أبي الحديد في قصائده التي يمدح فيها أمير المؤمنين عليه السلام وذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الشافعي في كتاب كفاية الطالب في مناقب على بن أبي طالب عليه السلام على ما نقله بعض الثقاة من أصحابنا في كتابه وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف في أوله إني جمعت هذا الكتاب وعرينه من طرق الشيعة ليكون الاحتجاج به أكدا فقال في المهدي عليه السلام الباب الأول في ذكر خروجه في آخر الزمان بإسناده عن جابر ابن عبد الله قال (قال رسول الله ﷺ لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) أخرجه أبو داود في سننه .

وعن علي عليه السلام عن النبي ﷺ (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا) هكذا أخرجه أبو داود في سننه .

وأخبرنا الحافظ إبراهيم بن محمد الأزهر الصيرفي بدمشق والحافظ محمد

بن عبد الواحد المقدسي بجامع جبل قاسون قالا أنبأنا أبو الفتح نصر بن عبد الجامع بن عبد الرحمن الفامي بهراة أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمود الطائي أنبأنا عيسى بن شعيب بن إسحق السنجري أنبأنا أبو الحسن علي بن بشر السنجري أنبأنا الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الأبري في كتاب مناقب الشافعي ذكر هذا الحديث وقال فيه وزاد زائدة في روايته (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي وأسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) قال الكنجي وقد ذكر الترمذي الحديث في جامعه ولم يذكر (واسم أبيه اسم أبي) وذكره أبو داود في معظم روايات الحفاظ والثقاة عن نقلة الأخبار اسمه اسمي فقط ، والذي روى واسم أبيه اسم أبي فهو زائدة وهو يزيد في الحديث وإن صحّ معناه واسم أبيه اسم أبي الحسن وكنيته أبو عبد الله فجعل الكنية اسما كناية عنه أنه من ولد الحسين دون الحسن ، ويحتمل أن يكون الراوي توهّم قوله ابني فصحفه فقال أبي فوجب حمله على هذا جمعا بين الروايات ، قال بعض أصحابنا رضي الله عنه أما أصحابنا الشيعة فلا يصحّحون هذا الحديث لما ثبت عندهم من اسمه واسم أبيه عليه السلام وأما الجمهور فقد نقلوا أن زائدة كان يزيد في الأحاديث فوجب المصير إلى أنه من زيادته ليكون جمعا بين الأقوال والروايات .

ونقل الإمامان أبو داود والترمذي كل واحد منهما بسنده في صحيحه يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (المهدي منّي أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويملك سبع سنين) .

وذكر أبو داود بسنده في صحيحه يرفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لو لم يبق من الدهر إلا يوما لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملأت جورا) .

وفيه يرفعه بسنده إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله رضي الله عنها قالت (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة) .

وروى القاضي أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه المسمى بشرح السنة وأخرجه الإمامان البخاري ومسلم كل واحد منهما بسنده في صحيحه يرفعه إلى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم) .

ومنهما ما أخرجه أبو داود والترمذي بسندهما في صحيحهما يرفعه كل واحد منها بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا مني أو من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا) .

وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله قال (يلي رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي) .

هذه الروايات عن أبي داود والترمذي ونقل الإمام أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره يرفعه بسنده إلى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (نحن ولد عبد المطلب سادة الجنة أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي) .

وقال ابن طلحة فإن قيل أن بعض هذه لا تنطبق على الخلف الصالح فإن اسم أبيه لا يوافق اسم والد النبي صلى الله عليه وآله ، قلنا بعد تمهيد مقدمتين .

الأول : أنه شائع في لسان العرب إطلاق لفظ الأب على الجد الأعلى كقوله تعالى ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ وقوله حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿ **واتبعت ملة آبائي إبراهيم** ﴾ وفي حديث الإسراء أن جبرئيل عليه السلام قال (هذا أبوك إبراهيم عليه السلام) .

والثاني : أن لفظة الاسم تطلق على الكنية وعلى الصفة كما روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله سمى عليا أبا تراب ولم يكن اسم أحب إليه منه فأطلق لفظ الاسم على الكنية ، ومثل ذلك قول المتنبي :

أجل قدرك أن تسمى موينة ومن كناك فقد سماك المعرب

ثم قال : ولما كان الحجة من ولد أبي عبدالله الحسين فأطلق النبي على الكنية لفظ الاسم إشارة إلى أنه من ولد الحسين بطريق جامع موجز) انتهى .

وقال المجلسي رضوان الله عليه ذكر بعض المعاصرين فيه وجها آخر وهو أن كنية الحسن العسكري عليه السلام أبو محمد وعبدالله أبو النبي صلى الله عليه وآله أبومحمد فتتوافق الكنيتان والكنية داخلة تحت الاسم ، ثم قال : والأظهر ما مر من كون أبي مصحف ابني ، وقال : رووه عن الصحيحين وفردوس الديلمي مطابق لما عندنا من نسخها وعندي من شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي نسخة قديمة أنقل عنه ما وجدته فيه من روايات المهدي ثم ذكر الروايات ، وأنا أذكر منها شيئا يسيرا .

قال البغوي قال أخبرنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أخبرنا أبو الحسين بشر بن محمد المزني أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن السري التميمي الحافظ بالكوفة أخبرنا الحسن بن علي بن جعفر الصيرفي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين عن القاسم بن أبي بردة عن أبي الطفيل عن علي عن

النبي ﷺ قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا .

وأنبأنا معمر عن أبي هارون العبدي عن معاوية بن قرة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي أهل بيتي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا يدع السماء من قطرها شيئا إلا صبه مدرارا ولا يدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجته حتى يتمنى الإحياء الأموات يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ويروى هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمر .

وروي عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول (المهدي من عترتي من ولد فاطمة ويروى ويعمل في الناس بسنة نبيهم فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) .

وروي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في قصة المهدي قال (فيجيء الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله) .

أخبرنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ عبد الرحمن المزني أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل المقري الآدمي ببغداد حدثنا محمد بن إسماعيل الحسائي حدثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال(قال رسول الله ﷺ يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي المال بغير عدد هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن داود)[1] انتهى .

(١) بحار الأنوار ٥١ / ١٠٤ - ١٠٥

قال المجلسي رضوان الله عليه روى ابن الأثير في جامع الأصول ناقلا عن عدة من صحاحهم عن أبي هريرة وجابر وابن مسعود وعلي عليه السلام وأم سلمة رضي الله عنها وأبي سعيد وأبي إسحاق عشر روايات في خروج المهدي عليه السلام واسمه ووصفه وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه تركناها مخافة الإطناب وفيما أوردناه كفاية لأولي الألباب .

وبالجملة يسقط عن الاعتبار بما رويناه من طرق العامة والخاصة قول المخالفين في أن القائم هو المهدي العباسي أو عيسى بن مريم وكذلك قول أكثر الشيعة كالكيسانية والناووسية والإسماعيلية والفطحية والواقفية وغيرهم من الذين أنكروا كون الحجة المنتظر عجل الله فرجه هو (م ح م د) بن الحسن العسكري عليهما السلام .

قال صاحب الكتاب : ثم اعلم أن كيفية الرجعة إجمالا كما أفيد أنه إذا كانت السنة التي يظهر فيها قائم آل محمد عليه السلام وقع قحط شديد .

أقول : جعل ظهور الحجة عجل الله فرجه من الرجعة ليس كلاما يشم منه رائحة التحقيق ، لأن الرجعة عبارة عن كون الراجع خرج من الدنيا ثم رجع فيها وهذا لا يصح إلا في حق سائر الأئمة على ما هو الحق عندنا من رجوعهم إلى الدنيا خلافا لبعض أصحابنا حيث ذهبوا إلى عدم رجعتهم وستعرف ذلك سريعا إنشاء الله تعالى ، ومن ذلك قالوا بقيام الحجة ولم يقولوا بالرجعة فمن هذا يعرف الفرق بين قيام الحجة والرجعة اللهم أن نتكلف في تصحيح الرجعة وصحة إطلاقها على ظهور القائم بأن نقول أنه عليه السلام كان ظاهرا عند الخلق فغاب عنهم ثم يظهر ، فالرجوع في الظهور لا في خروجه عن الدنيا وهذا يصح إذا قلنا بظهوره عند الناس والأمر ليس كذلك لأنه لم يكن ظاهرا عند الخلق ولذلك أنكره أكثر الخلق وكانت ولادته عجل الله فرجه مخفية عن الناس فلم يره الناس .

فإن قيل أنك ذكرت سابقا من أن بعض الخواص شاهدوه وقد صح أن بعض الخواص شاهدوه في الغيبة الصغرى أيضا فيجوز إطلاق الرجعة على ظهوره لكونه مشاهدا للخلق قبل الغيبة وفي الغيبة الصغرى أيضا ، فكيف تكون ولادته مخفية .

قلت : إن الخواص كما ذكرت شاهدوه في ذلك الزمانين لكن لم يشاهده أكثر الناس وكذلك الأمر في الغيبة الكبرى يشاهده مواليه وخواص شيعته كالأبدال كما نطقت به الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم سلام الله في الأكوار والأدوار والأطوار والأوطار ولم يشاهده أكثر الناس فاستوى الأمران في ظهوره وغيبته فلا يصح إطلاق الرجعة على ظهوره عجل الله فرجه وإن أطلق بعض العلماء من باب المسامحة فتبصر .

وأما وقوع القحط الشديد قبل ظهوره عليه السلام فإنه حق لتطابق القرون الآتية بالقرون السالفة ، فكما وقع القحط في سني يوسف عليه السلام لا بد وأن يقع في ذلك الزمان .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال (لا بد أن يكون قدام القائم سنة تجوع فيها الناس ويصيبهم خوف شديد من القتل ونقص من الأموا ل والأنفس والثمرات فإن ذلك في كتاب الله لبين ثم تلا هذه الآية ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾)[1] .

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال (سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ** ﴾ الآية فقال يا جابر ذلك خاص وعام فأما الخاص من الجوع فبالكوفة ويخص الله به أعداء آل محمد فيهلكهم وأما العام فبالشام يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم مثله قط وأما الجوع فقبل قيام القائم عليه السلام وأما الخوف فبعد قيام القائم عليه السلام)[2]

---

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٢٢٨

(٢) غيبة النعماني ١٤

قال صاحب الكتاب : فإذا كان العشرون من جمادى الأولى وقع مطر شديد لا يوجد مثله مثل مطلقا منذ هبط آدم عليه السلام متصلا إلى أول رجب تنبت لحوم من يريد الله أن يرجع إلى الدنيا من الأموات .

أقول : ولقد سمعت ممن أثق به أن المطر رائحته رائحة المني فيحيي الله بذلك الأموات ، والذي وجدنا في الروايات يخالف ما ذكر صاحب الكتاب في تحديد بدء المطر وانتهائه والذي رأيناه هكذا (وإذا آن قيامه مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطرا لم ير الخلائق مثله فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب)[1] .

وبالجملة أن المتيقن وقوع المطر في جمادى الآخرة وإحياء الأموات في شهر رجب وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام (عجب وأي عجب بين جمادى ورجب) .

قال : وفي العشر الأول منه أيضا يخرج الدجال من أصفهان .

أقول : الدجال الملعون هو صائد بن صيد تولد في زمن النبي ﷺ وفي الإكمال بسنده عن نافع عن ابن عمر قال (إن رسول الله ﷺ صلى ذات يوم بأصحابه الفجر ثم قام مع أصحابه حتى أتى باب دار بالمدينة فطرق الباب فخرجت إليه امرأة فقالت ما تريد يا أبا القاسم فقال رسول الله ﷺ يا أم عبد الله استأذني لي على عبد الله فقالت يا أبا القاسم وما تصنع بعبد الله فوالله إنه لمجهود في عقله يحدث في ثوبه وإنه ليراودني على الأمر العظيم فقال استأذني عليه فقالت أعلى ذمتك قال نعم فقالت ادخل فدخل فإذا هو في قطيفة له يهينم فيها فقالت أمه اسكت واجلس هذا محمد قد أتاك فسكت وجلس فقال النبي ﷺ ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم

(١) الإرشاد ٣٨١

أهو هو ثم قال له النبي ﷺ ما ترى قال أرى حقا وباطلا وأرى عرشا على الماء فقال اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال بل تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فما جعلك الله بذلك أحق مني فلما كان اليوم الثاني صلى ﷺ بأصحابه الفجر ثم نهض فنهضوا معه حتى طرق الباب فقالت أمه ادخل فدخل فإذا هو في نخلة يغرد فيها فقالت له أمه اسكت وانزل هذا محمد قد أتاك فسكت فقال النبي ﷺ ما لها لعنها الله لو تركتني لأخبرتكم أهو هو فلما كان في اليوم الثالث صلى النبي ﷺ بأصحابه الفجر ثم نهض ونهض القوم معه حتى أتى ذلك المكان فإذا هو في غنم له ينعق بها فقالت له أمه اسكت واجلس هذا محمد قد أتاك فسكت وجلس وقد كانت نزلت في ذلك اليوم آيات من سورة الدخان فقرأها بهم النبي ﷺ في صلاة الغداة ثم قال أ تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال بل تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فما جعلك الله بذلك أحق مني فقال النبي ﷺ إني قد خبأت لك خبيئا فما هو فقال الدخ الدخ فقال النبي ﷺ اخسأ فإنك لن تعد وأجلك ولن تبلغ أملك ولن تنال إلا ما قدر لك ثم قال لأصحابه أيها الناس ما بعث الله عزوجل نبيا إلا وقد أنذر قومه الدجال وإن الله عزوجل قد أخره إلى يومكم هذا فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب يدخل آفاق الأرض كلها إلا مكة ولابتيها والمدينة ولابتيها)[1] .

بيان بعض لغاته : قولها (إنه لمجهود في عقله) أي أصاب عقله جهد البلاد فهو مخبط ، يقال جهد المرض فلا ناهض له ، (والهيمنة) الصوت الخفي ، (وغرد) رفع صوته وطرب ، (وخبأت لك) أي أضمرت ، (والدخ) بضم الدال وفتحها الدخان ، (واخسأ) يقال خسأت الكلب أي طرته وأبعدته) .

(١) كمال الدين ٢ / ٥٢٨

وعن النزال بن سبرة قال خطبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله عزوجل وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني ثلاثا فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال فقال له علي عليه السلام اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت والله ما المسئول عنه بأعلم من السائل ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضا كحذ والنعل بالنعل وإن شئت أنبأتك بها قال نعم يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام احفظ فإن علامة ذلك إذا أمات الناس الصلاة وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكذب وأكلوا الربا وأخذوا الرشا وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء وقطعوا الأرحام واتبعوا الأهواء واستخفوا بالدماء وكان الحلم ضعفا والظلم فخرا وكانت الأمراء فجرة والوزراء ظلمة والعرفاء خونة والقراء فسقة وظهرت شهادة الزور واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطولت المنارات وأكرمت الأشرار وازدحمت الصفوف واختلفت القلوب ونقضت العهود واقترب الموعود وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصا على الدنيا وعلت أصوات الفساق واستمع منهم وكان زعيم القوم أرذلهم واتقي الفاجر مخافة شره وصدق الكاذب وأؤتمن الخائن واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها وركب ذوات الفروج السروج وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء وشهد الشاهد من غير أن يستشهد وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حق عرفه وتفقه لغير الدين وآثروا عمل الدنيا على الآخرة ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب وقلوبهم أنتن من الجيف وأمر من الصبر فعند ذلك الوحا الوحا ثم العجل العجل خير المساكن يومئذ بيت المقدس وليأتين على الناس زمان يتمنى أحدهم أنه من سكانه فقام إليه

الأصبغ بن نباتة فقال يا أمير المؤمنين من الدجال فقال ألا إن الدجال صائد بن الصيد فالشقي من صدقه والسعيد من كذبه يخرج من بلدة يقال لها أصفهان من قرية تعرف باليهودية عينه اليمنى ممسوحة والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل كاتب وأمي يخوض البحار وتسير معه الشمس بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يري الناس أنه طعام يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر خطوة حماره ميل تطوى له الأرض منهلا منهلا لا يمر بماء إلا غار إلى يوم القيامة ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول إلى أوليائي أنا الذي خلق فسوى وقدر فهدى أنا ربكم الأعلى وكذب عدو الله إنه أعور يطعم الطعام ويمشي في الأسواق وإن ربكم عز وجل ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ألا وإن أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر يقتله الله عزوجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام خلفه ألا إن بعد ذلك الطامة الكبرى قلنا وما ذلك يا أمير المؤمنين قال خروج دابة من الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى عليهما السلام يضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقا ويضعه على وجه كل كافر فينكتب هذا كافر حقا حتى إن المؤمن لينادي الويل لك يا كافر وإن الكافر ينادي طوبى لك يا مؤمن وددت أني اليوم كنت مثلك فأفوز فوزا عظيما ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلال هو ذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن

آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ثم قال عليه السلام لا تسألوني عما يكون بعد هذا فإنه عهد عهده إلي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي قال النزال بن سبرة فقلت لصعصعة بن صوحان يا صعصعة ما عنى أمير المؤمنين عليه السلام بهذا فقال صعصعة يا ابن سبرة إن الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم عليه السلام هو الثاني عشر من العترة التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام وهو الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحد أحدا فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام أن حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين)[1] .

قال : ويخرج السفياني عثمان بن عنبسة أبوه من ذرية عنبسة بن أبي سفيان وأمه من ذرية يزيد بن معوية من الرملة من الوادي اليابس .

أقول : خروج الدجال والسفياني يكون في يوم واحد فهو عاشر جمادى الأولى ويكون بين خروجهما وقيام القائم ثمانية أشهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما لأنه عليه السلام يظهر يوم العاشر من شهر محرم الحرام وخروجهما من المحتومات .

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام يقول (الزم الأرض لا تحركن يدك ولا رجلك أبدا حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة ، وترى مناديا ينادي بدمشق ، وخسف بقرية من قراها ، ويسقط طائفة من مسجدها ، فإذا رأيت الترك جازوها فأقبلت الترك حتى نزلت الجزيرة وأقبلت الروم حتى نزلت الرملة ، وهي سنة اختلاف في كل أرض من أرض العرب ، وإن أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات الأصهب والأبقع والسفياني ، مع بني ذنب الحمار مضر ، ومع السفياني أخواله من كلب فيظهر السفياني ومن معه

(١) كمال الدين ٢ / ٥٢٦ - ٥٢٨

على بني ذنب الحمار حتى يقتلوا قتلا ، لم يقتله شيء قط ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلا لم يقتله شيء قط وهو من بني ذنب الحمار ، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ ويظهر السفياني ومن معه حتى لا يكون همه إلا آل محمد ﷺ وشيعتهم ، فيبعث بعثا إلى الكوفة ، فيصاب بأناس من شيعة آل محمد بالكوفة قتلا وصلبا وتقبل راية من خراسان حتى تنزل ساحل الدجلة يخرج رجل من الموالي ضعيف ومن تبعه ، فيصاب بظهر الكوفة ، ويبعث بعثا إلى المدينة فيقتل بها رجلا ويهرب المهدي والمنصور منها ، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحد إلا حبس ويخرج الجيش في طلب الرجلين ويخرج المهدي منها على سنة موسى خائفا يترقب حتى يقدم مكة وتقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهملات خسف بهم فلا يفلت منهم إلا مخبر فيقوم القائم بين الركن والمقام فيصلي وينصرف ومعه وزيره ، فيقول يا أيها الناس إنا نستنصر الله على من ظلمنا وسلب حقنا من يحاجنا في الله فأنا أولى بالله ومن يحاجنا في آدم فأنا أولى الناس بآدم ، ومن حاجنا في نوح فأنا أولى الناس بنوح ، ومن حاجنا في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم ، ومن حاجنا بمحمد فأنا أولى الناس بمحمد ﷺ ، ومن حاجنا في النبيين فنحن أولى الناس بالنبيين ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله ، إنا نشهد وكل مسلم اليوم إنا قد ظلمنا وطردنا وبغي علينا وأخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا وقهرنا ، ألا إنا نستنصر الله اليوم وكل مسلم ويجيء ، والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضا وهي الآية التي قال الله ﴿ **أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ**

اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقول رجل من آل محمد ﷺ وهي القرية الظالمة أهلها ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاث مائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن والمقام ، ومعه عهد نبي الله ورايته وسلاحه ووزيره معه ، فينادي المنادي بمكة باسمه وأمره من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم اسمه اسم نبي ، ما أشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد نبي الله صورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين ، فإن أشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره وإياك وشذاذ من آل محمد ، فإن لآل محمد وعلي راية ولغيرهم رايات ، فالزم الأرض ولا تتبع منهم رجلا أبدا حتى ترى رجلا من ولد الحسين ، معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه فإن عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين ، ثم صار عند محمد بن علي ويفعل الله ما يشاء فالزم هؤلاء أبدا وإياك ومن ذكرت لك فإذا خرج رجل منهم معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ومعه راية رسول الله ﷺ عامدا إلى المدينة حتى يمر بالبيداء ، حتى يقول هكذا مكان القوم الذين يخسف بهم وهي الآية التي قال الله ﴿ **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ فإذا قدم المدينة أخرج محمد بن الشجري على سنة يوسف ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها ثم يسير حتى يأتي العذراء هو ومن معه وقد لحق به ناس كثير والسفياني يومئذ بوادي الرملة ، حتى إذا التقوا وهم يوم الأبدال يخرج أناس كانوا مع السفياني من شيعة آل محمد ، ويخرج ناس كانوا مع آل محمد إلى السفياني فهم من شيعته حتى يلحقوا بهم ويخرج كل ناس إلى رايتهم وهو يوم الأبدال . قال أمير المؤمنين عليه السلام ويقتل يومئذ السفياني ومن معه حتى لا يترك منهم مخبر والخائب يومئذ من خاب

من غنيمة كلب ، ثم يقبل إلى الكوفة فيكون منزله بها ، فلا يترك عبدا مسلما إلا اشتراه وأعتقه ، ولا غارما إلا قضى دينه ، ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردها ، ولا يقتل منهم عبد إلا أدى ثمنه دية مسلمة إلى أهلها ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وعدوانا ، ويسكنه هو وأهل بيته الرحبة والرحبة إنما كانت مسكن نوح وهي أرض طيبة ولا يسكن رجل من آل محمد عليهم السلام ولا يقتل إلا بأرض طيبة زاكية فهم الأوصياء الطيبون)[1] .

وبالجملة خروج السفياني مما لا بد منه قال أمير المؤمنين عليه السلام (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر جدري إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرضا ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها)[2]

وقال أبو عبدالله عليه السلام (إنك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول يا رب ثأري ثأري ثم النار وقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه)[3]

قال : وفي شهر رجب يظهر في قرص الشمس جسد أمير المؤمنين عليه السلام يعرفه الخلائق وينادي مناديا في السماء باسمه .

أقول : ورد في غيبة الطوسي في حديث طويل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام منه أنه قال (لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليجة وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرضوكم من مؤمن متأسف حران حزين عند فقد الماء المعين كأني بهم أسر

(١) تفسير العياشي ١ / ٦٥ – ٦٧
(٢) كمال الدين ٢ / ٦٥١
(٣) كمال الدين ج ٢ / ٦٥١

ما يكونون وقد نودوا نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يكون رحمة للمؤمنين وعذابا للكافرين فقلت وأي نداء هو قال ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء صوتا منها ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ والصوت الثاني ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴾ يا معشر المؤمنين والصوت الثالث يرون بدنا بارزا نحو عين الشمس هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين وفي رواية الحميري والصوت الثالث بدن يرى في قرن الشمس يقول إن الله بعث فلانا فاسمعوا له وأطيعوا وقالا جميعا فعند ذلك يأتي الناس الفرج وتود الناس لو كانوا أحياء ويشفي الله صدور قوم مؤمنين)[1] .

قال : وفي آخر شهر رمضان ينخسف القمر وفي الليلة الخامسة منه وفي النصف تنكسف الشمس .

أقول : الروايات الواردة في تعيين الخسوف والكسوف وتعدداهما متخالفة بحسب الظاهر ففي البعض ورد أن الشمس تنكسف في نصف من شهر رمضان والقمر ينخسف في آخره ، كما ذكر المفيد في الإرشاد بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال :(آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره قال قلت يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف فقال أبو جعفر عليه السلام أنا أعلم بما قلت إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام)[2]

وفي بعض الروايات خسوف القمر في خامس شهر رمضان والكسوف في النصف كما في الإكمال عن أبي جعفر عليه السلام قال (اثنان بين يدي هذا الأمر خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض وعند ذلك يسقط حساب المنجمين)[3] .

---

(١) الغيبة للطوسي ٤٣٩

(٢)الارشاد ٢ / ٣٧٤

(٣) كمال الدين ٢ / ٦٥٥

وفي بعض كسوف الشمس في اليوم الخامس من شهر رمضان كما في الإكمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال (تنكسف الشمس لخمس مضين من شهر رمضان قبل قيام القائم عليه السلام)[1]

وفي بعض كسوف الشمس في شهر رمضان ليلة الثالثة عشر منه كما في غيبة النعماني ويمكن الجمع بين الروايات بوقوع الخسوف مرتين والكسوف ثلاث مرات في شهر رمضان فيكون الخسوف في الخامس والآخر والكسوف في الخامس والنصف والثالث عشر والله أعلم ، وليس الكسوف باجتماع الشمس والقمر في برج واحد في درجة واحدة كما ذكره المنجمون ولا الخسوف بالحيلولة بل إنما يكون ذلك من باب المعجزة إن الله على كل شيء قدير . . . .

قال : وفي أول الفجر من اليوم الثالث والعشرين ينادي جبرائيل من السماء في السماء إلا أن الحق مع علي وشيعته وفي آخر النهار ينادي إبليس من الأرض إلا أن الحق مع عثمان الشهيد وشيعته يسمع الخلائق كلا النداءين كل منهم بلغته فعند ذلك يرتاب المبطلون . . . . . .

أقول : الصوت لابد من وقوعه ، عن ميمون البان قال (كنت عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاطه فرفع جانب الفسطاط فقال إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس ثم قال ينادي مناد من السماء فلان بن فلان هو الإمام باسمه وينادي إبليس لعنه الله من الأرض كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة)[2]

عن أبي عبد الله عليه السلام يقول (لا تمضي الأيام والليالي حتى ينادي مناد من السماء يا أهل الحق اعتزلوا ، يا أهل الباطل اعتزلوا ، فيعزل هؤلاء من

(١) كمال الدين ٢ / ٦٥٥

(٢)كمال الدين ٢ / ٦٥٠

هؤلاءويعزل هؤلاء ، من هؤلاء قال قلت أصلحك الله يخالط هؤلاء هؤلاء بعد ذلك النداء قال كلا إنه يقول في الكتاب ﴿ **ما كانَ اللهُ ليَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾)[1] .

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال (إذا رأيتم نارا من المشرق شبه الهروي العظيم تطلع ثلاثة أيام أ وسبعة فتوقعوا فرج آل محمد عليهم السلام إن شاء الله عزوجل إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ثم قال الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان شهر الله وهي صيحة جبرئيل إلى هذا الخلق ثم قال ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب لا يبقى راقد إلا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعا من ذلك الصوت فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل الروح الأمين .

وقال عليه السلام الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين فلا تشكوا في ذلك واسمعوا وأطيعوا وفي آخر النهار صوت إبليس اللعين ينادي ألا إن فلانا قتل مظلوما ليشكك الناس ويفتنهم فكم ذلك اليوم من شاك متحير قد هوى في النار وإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكوا أنه صوت جبرئيل وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباها وأخاها على الخروج .

وقال عليه السلام لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليه السلام صوت من السماء وهو صوت جبرئيل وصوت من الأرض فهو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوما يريد الفتنة فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير أن تفتتنوا به .

وقال عليه السلام لا يقوم القائم إلا على خوف شديد من الناس وزلازل وفتنة

(١) تفسير العياشي ١ / ٢٠٧

وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد بين الناس وتشتيت في دينهم وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمني الموت صباحا ومساء من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا فخروجه عليه السلام إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط من أن يروا فرجا فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل كل الويل لمن ناواه وخالفه وخالف أمره وكان من أعدائه .

وقال عليه السلام يقوم بأمر جديد وكتاب جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد وليس شأنه إلا القتل لا يستبقي أحدا ولا يأخذه في الله لومة لائم .

ثم قال عليه السلام إذا اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان فإذا اختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان بخروج القائم إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم فإذا كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة وخرج السفياني وقال لا بد لبني فلان أن يملكوا فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرق كلهم وتشتت أمرهم حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا وهذا من هنا حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما أما إنهما لا يبقون منهم أحدا .

ثم قال عليه السلام خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة وفي شهر واحد في يوم واحد ونظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضا فيكون البأس من كل وجه ويل لمن ناواهم وليس في الرايات أهدى من راية اليماني هي راية هدى لأنه يدع وإلى صاحبكم فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على

الناس وكل مسلم وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإن رأيته راية هدى ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه فمن فعل فهو من أهل النار لأنه يدع وإلى الحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ثم قال لي إن ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فانكسرت فقال حين سقطت هاه شبه الفزع فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة إن الله عزوجل ذكره قدر فيما قدر وقضى بأنه كائن لا بد منه أخذ بني أمية بالسيف جهرة وأن أخذ بني فلان بغتة وقال عليه السلام لا بد من رحى تطحن فإذا قامت على قطبها وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبدا عسفا خاملا أصله يكون النصر معه أصحابه الطويلة شعورهم أصحاب السبال سود ثيابهم أصحاب رايات سود ويل لمن ناواهم يقتلونهم هرجا والله لكأني أنظر إليهم وإلى أفعالهم وما يلقى من الفجار منهم الأعراب الجفاة يسلطهم الله عليهم بلا رحمة فيقتلونهم هرجا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا ﴿ **وَمارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ** ﴾)[1] . الحديث .

وبالجملة أن هذه العلامات التي ذكرها كلها من المحتومات كالنداء والسفياني والدجال وقتل النفس الزكية وكف يطلع من السماء وفزعة في شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان وخروج العذراء من خدرها وكلها قبل قيام الحجة عجل الله فرجه .

قال: وفي يوم الجمعة العاشر من محرم يخرج الحجة عليه السلام يدخل المسجد الحرام يسوق أمامه ثمان أعجافا ويقتل خطيبهم فإذا قتل الخطيب غاب عن الناس في الكعبة فإذا جنّه الليل ليلة السبت صعد سطح الكعبة ونادى أصحابه

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٢٣٠ - ٢٣٣

الثلاثمائة وثلاث عشر ليجتمعوا عنده من مشرق الأرض ومغربها فيصح يوم السبت فيدعوا الناس إلى بيعته فأول من يبايعه الطاير الأبيض جبرائيل عليه السلام ويبقى في مكة حتى يجتمع عليه عشرة آلاف .

أقول : الروايات كلها صريحة في أن القائم عجل الله فرجه يقوم بأمر الله يوم عاشوراء يوم قتل الحسين ولكن الاختلاف في تعيين ذلك اليوم ، ففي بعض أنه يوم الجمعة وفي بعض أنه يوم السبت ، وذلك اليوم الذي يظهر القائم عليه السلام هو يوم النيروز .

قال أبوعبدالله عليه السلام (يوم النيروز هو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت وولاة الأمر ويظفره الله تعالى بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة وما من يوم نيروز إلا ونحن نتوقع فيه الفرج لأنه من أيامنا حفظته الفرس وضيعتموه)[1] .

فيطابق يوم عاشوراء يوم النيروز ويمكن الجمع بين الروايات التي وردت في ظهوره يوم الجمعة وبين ما وردت في يوم السبت بأن أول ظهوره قبل أن يقوم بأصحابه هو يوم الجمعة وإذا اجتمع أصحابه حوله وقام هو في يوم السبت .

وعن علي بن الحسين عليهما السلام في خبر طويل قال فيجلس تحت شجرة سمرة فيجيئه جبرئيل في صورة رجل من كلب فيقول يا عبد الله ما يجلسك هاهنا فيقول يا عبد الله إني أنتظر أن يأتيني العشاء فأخرج في دبره إلى مكة وأكره أن أخرج في هذا الحر قال فيضحك فإذا ضحك عرفه أنه جبرئيل قال فيأخذ بيده ويصافحه ويسلم عليه ويقول له قم ويجيئه بفرس يقال له البراق فيركبه ثم يأتي إلى جبل رضوى فيأتي محمد وعلي فيكتبان له عهدا منشورا يقرؤه على الناس ثم يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها قال فيقوم رجل منه فينادي أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم يدعوكم إلى

---

(١) بحارالأنوار ٥٢ / ٣٠٨

ما دعاكم إليه رسول الله ﷺ قال فيقومون قال فيقوم هو بنفسه فيقول أيها الناس أنا فلان بن فلان أنا ابن نبي الله أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبي الله فيقومون إليه ليقتلوه فيقوم ثلاثمائة وينيف على الثلاثمائة فيمنعونه منه خمسون من أهل الكوفة وسائرهم من أفناء الناس لا يعرف بعضهم اجتمعوا على غير ميعاد)[1] .

عن أبي جعفر عليه السلام قال إن القائم ينتظر من يومه ذي طوى في عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا حتى يسند ظهره إلى الحجر ويهز الراية المغلبة)[2] .

يقول القائم عليه السلام لأصحابه (يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم فيدع ورجلا من أصحابه فيقول له امض إلى أهل مكة فقل يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم إنا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام وهي النفس الزكية فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا فلا يدعونه حتى يخرج فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر حتى يأتي المسجد الحرام فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود ثم يحمد الله ويثني عليه ويذكر النبي ﷺ ويصلى عليه ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس فيكون أول من يضرب على يده ويبايعه جبرئيل وميكائيل ويقوم معهما رسول الله وأمير

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٠٦

(٢) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٠٦

المؤمنين فيدفعان إليه كتابا جديدا هو على العرب شديد بخاتم رطب فيقولون له أعمل بما فيه ويبايعه الثلاثمائة وقليل من أهل مكة ثم يخرج من مكة حتى يكون في مثل الحلقة قلت وما الحلقة قال عشرة آلاف رجل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ثم يهز الراية الجلية وينشرها وهي راية رسول الله ﷺ السحابة ودرع رسول الله ﷺ السابغة ويتقلد بسيف رسول الله ﷺ ذي الفقار)[1] الحديث .

وبالجملة فهو صلوات الله عليه يظهر يوم الجمعة ثم يختفي عن الناس فإذا كان ليلة السبت صعد سطح الكعبة فينادي بأصحابه فيصبحون أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر عنده فلو كان أحدهم في مشرق الأرض والآخر في مغربها لاجتمع عنده أخرج إليهم كتابا مختوما بخاتم رسول الله ﷺ وهو طري فيقول بايعوني على هذا فإن هذا عهد الله وهذا خاتم رسوله فيجفلون ويقرون ويفرون عنه لعظم ما يشاهدون فيه إلا جبرائيل وعيسى وقليل منهم عدة نقباء بني إسرائيل فيبايعونه والذين فروا عنه يذهبون إلى مشرق الأرض ومغربها لعلمهم بأن القائم عليه السلام يظهر اليوم وذلك العلامات عرفوها فيسيرون شرقا وغربا ليصلبونه ولم يجدوا أحدا فيرجعون إليه فيقول عليه السلام بايعوني على هذا فيبايعونه تسليما لا عن بصيرة ، كما روى عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَنَّهُ قَال (كَأَنِّي بِالقَائِم عليه السلام عَلى مِنْبَرِ الكُوفَةِ عَلَيْه قَبَاءٌ فَيُخْرِجُ مِنْ وَرِيَانِ قَبَائه كِتَاباً مَخْتُوماً بِخَاتَم مِنْ ذَهَبٍ فَيَفُكُّهُ فَيَقْرَؤُهُ عَلى النَّاسِ فَيُجْفلونَ عَنْهُ إِجْفَال الغَنَم فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النُّقَبَاءُ فَيَتَكَلَّمُ بِكَلام فَلا يَلحَقُونَ مَلجَأً حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَيْهِ وَإِنِّي لأَعْرِفُ الكَلامَ الذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ)[2] .

وعنه عليه السلام (كأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاث

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٠٧

(٢) الكافي ٨ / ١٦٧ .

مائة وثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدروهم أصحاب الألوية وهم حكام الله في أرضه على خلقه حتى يستخرج من قبائه كتابا مختوما بخاتم من ذهب عهد معهود من رسول الله ﷺ فيجفلون عنه إجفال الغنم فلا يبقى منهم إلا الوزيروأحد عشر نقيبا كما بقوا مع موسى بن عمران عليه السلام فيجولون في الأرض فلا يجدون عنه مذهبا فيرجعون إليه والله إني لأعرف الكلام الذي يقول لهم فيكفرون به)[1] الحديث .

وقال شيخنا ومولانا قدس الله نفسه وعطر رمسه في رسالة الرجعة عند ذكر هذا الحديث أقول أنه يظهر لهم باطن ما أظهره جده أمير المؤمنين عليه السلام لكميل حين قال (ما الحقيقة يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام مالك والحقيقة يا كميل قال ألست بصاحب سرك قال بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني) الحديث .

فإن عرض عليه السلام على أصحابه باطن ما رشح على كميل فرّ عنه أصحابه والذي يظهر لي أن عيسى بن مريم عليه السلام هو الوزير وأن الأحد عشر نقيبا منهم سلمان الفارسي وكان قد أعلمه علي عليه السلام باطن ما أظهر لكميل من قول أبي جعفر عليه السلام قال الفضل بن يسار قال لي عليه السلام (تروي ما يروي الناس أن عليا عليه السلام قال في سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر قلت نعم . قال فهل تدري ما عنى قلت يعني علم بني إسرائيل وعلم النبي ﷺ فقال ليس هكذا يعني ، ولكن علم النبي ﷺ وعلم علي عليه السلام وأمر النبي ﷺ وأمر علي عليه السلام)[2] .

ولمثل هذا قال عليه السلام (لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ)[3] .انتهى ما أفاد ولقد أجاد ويقوى ما ذكره قدس سره ، قول الصادق عليه السلام أن سلمان

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٢٦ .

(٢) رجال الكشي ١٦ .

(٣) الكافي ١ / ٤٠١

أوتي علم الأولين والآخرين ، قيل يا سيدي علم التوراة والإنجيل قال لا بل علم محمد وعلي عليهما السلام .

قال صاحب الكتاب: ويبعث السفياني عسكرين عسكر إلى الكوفة وعسكر إلى المدينة ويخربونها ويهدمون القبر الشريف وتروث بغالهم في مسجد رسول الله ﷺ ويخرج العسكر إلى مكة ليهدمونها فإذا وصلوا البيداء خسف بهم لم ينج منهم إلا رجلان يمضي أحدهما نذيرا للسفياني والآخر بشيرا للقائم عليه السلام ثم يسير إلى المدينة ويخرج الجبت والطاغوت ويصلبهما في الشجر ويسير في أرض الله ويقتل الدجال ويلتقي بالسفياني ويأتيه السفياني ويبايعه فيقول له أقوامه من أخواله يا كلب ما صنعت فيقول أسلمت وبايعت فيقولون والله ما نوافقك على هذا فلا يزالون يحثون به حتى يخرج على القائم فيقاتله فيقتله الحجة عليه السلام ولا يزال يبعث أصحابه في أقطار الأرض حتى يستقيم له الأمر فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا . . . .

أقول : لو أردنا بسطا في الكلام أذهلنا عن المرام لأن الاختصار مطلوب في المقام ولكني أشير إلى ذلك بالإشارة الإجمالية ولا قوة إلا بالله .

عن الأصبغ بن نباته قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول (سلوني قبل أن تفقدوني إني بطرق السماء أعلم من العالم بطرق الأرض أنا يعسوب الدين وغاية السابقين ولسان المتقين وخاتم الوصيين ووارث النبيين وخليفة رب العالمين أنا قسيم النار وخازن الجنان وصاحب الحوض وصاحب الأعراف وليس منا أهل البيت إمام إلا عارف بجميع أهل ولايته وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ ألا يا أيها الناس سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقية تطأ في خطامها بعد موت وحياة أو تشب نار بالحطب

الجزل غربي الأرض رافعة ذيلها تدعو يا ويلها بذحلة أو مثلها فإذا استدار الفلك قلت مات أو هلك بأي واد سلك فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً** ﴾ ولذلك آيات وعلامات أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق وتخريق الزوايا في سكك الكوفة وتعطيل المساجد أربعين ليلة وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى القاتل والمقتول في الناروقتل كثير وموت ذريع وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين والمذبوح بين الركن والمقام وقتل الأسبغ المظفر صبرا في بيعة الأصنام مع كثير من شياطين الإنس وخروج السفياني براية خضراء وصليب من ذهب أميرها رجل من كلب واثني عشر ألف عنان من يحمل السفياني متوجها إلى مكة والمدينة أميرها أحد من بني أمية يقال له خزيمة أطمس العين الشمال على عينه طرفة يميل بالدنيا فلا ترد له راية حتى ينزل المدينة فيجمع رجالا ونساء من آل محمد ﷺ فيحبسهم في دار بالمدينة يقال لها دار أبي الحسن الأموي ويبعث خيلا في طلب رجل من آل محمد ﷺ قد اجتمع عليه رجال من المستضعفين بمكة أميرهم رجل من غطفان حتى إذا توسطوا الصفائح الأبيض بالبيداء يخسف بهم فلا ينج ومنهم أحد إلا رجل واحد يحول الله وجهه في قفاه لينذرهم وليكون آية لمن خلفه فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿ **وَلَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ** ﴾ ويبعث السفياني مائة وثلاثين ألفا إلى الكوفة فينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسى عليهما السلام بالقادسية ويسير منهم ثمانون ألفا حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له الكاهن الساحر فيخرج من مدينة يقال له الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة ويقتل على جسرها سبعين ألفا حتى يحتمي الناس الفرات

ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجساد ويسبي من الكوفة أبكارا لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يوضعن في المحامل يزلف بهن الثوية وهي الغريين ثم يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق حتى يضربون دمشق لا يصدهم عنها صاد وهي ﴿ **إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ وتقبل رايات شرقي الأرض ليست بقطن ولا كتان ولاحرير مختمة في رءوس القنا بخاتم السيد الأكبر يسوقها رجل من آل محمد ﷺ يوم تطير بالمشرق يوجد ريحها بالمغرب كالمسك الأذفر يسير الرعب أمامها شهرا ويخلف أبناء سعد السقاء بالكوفة طالبين بدماء آبائهم وهم أبناء الفسقة حتى يهجم عليهم خيل الحسين عليه السلام يستبقان كأنهما فرسا رهان شعث غبر أصحاب بواكي وقوارح إذ يضرب أحدهم برجله باكية يقول لا خير في مجلس بعد يومنا هذا اللهم فإنا التائبون الخاشعون الراكعون الساجدون فهم الأبدال الذين وصفهم الله عزوجل إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ والمطهرون نظراؤهم من آل محمد ﷺ ويخرج رجل من أهل نجران راهب يستجيب الإمام فيكون أول النصارى إجابة ويهدم صومعته ويدق صليبها ويخرج بالموالي وضعفاء الناس والخيل فيسيرون إلى النخيلة بأعلام هدى فيكون مجمع الناس جميعا من الأرض كلها بالفاروق وهي محجة أمير المؤمنين وهي ما بين البرس والفرات فيقتل يومئذ فيما بين المشرق والمغرب ثلاثة آلاف من اليهود والنصارى فيقتل بعضهم بعضا فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿ **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** ﴾ بالسيف وتحت ظل السيف ويخلف من بني أشهب الزاجر اللحظ في أناس من غير أبيه هرابا حتى يأتون سبطرى عوذا بالشجر فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿ **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ** ﴾ ومساكنهم

الكنوز التي غنموا من أموال المسلمين ويأتيهم يومئذ الخسف والقذف والمسخ فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ وينادي مناد في شهر رمضان من ناحية المشرق عند طلوع الشمس يا أهل الهدى اجتمعوا وينادي من ناحية المغرب بعد ما تغيب الشمس يا أهل الهدى اجتمعوا ومن الغد عند الظهر بعد تكور الشمس فتكون سوداء مظلمة واليوم الثالث يفرق بين الحق والباطل بخروج دابة الأرض وتقبل الروم إلى قرية بساحل البحر عند كهف الفتية ويبعث الله الفتية من كهفهم إليهم منهم رجل يقال له مليخا والآخر كمسلمينا وهما الشاهدان المسلمان للقائم)[1] .الخطبة .

وإنما أوردنا هاهنا لأنها محتوية على الأمور الغريبة وإن لم يكن هنا محل إيرادها .

قال أبو جعفر عليه السلام (يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب ثم أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى حتى إذا كان قبل خروجه بليلتين انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتى يلقى بعض أصحابه فيقول كم أنتم ها هنا فيقولون نحو من أربعين رجلا فيقول كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم فيقولون والله لو يأوي بنا الجبال لآويناها معه ثم يأتيهم من القابلة فيقول لهم أشيروا إلى ذوي أسنانكم وأخياركم عشرة فيشيرون له إليهم فينطلق بهم حتى يأتون صاحبهم ويعدهم إلى الليلة التي تليها ثم قال أبو جعفر والله لكأني أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه ثم يقول يا أيها الناس من يحاجني في الله فأنا أولى الناس بالله يا أيها الناس من يحاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم يا أيها الناس من يحاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح يا أيها الناس من يحاجني في إبراهيم فأنا ﴿أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ يا أيها الناس من يحاجني في موسى فأنا أولى الناس بموسى يا

(١) بحار الأنوار ٥٣ / ٨١ - ٨٥

أيها الناس من يحاجني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى يا أيها الناس من يحاجني في محمد ﷺ فأنا أولى الناس بمحمد يا أيها الناس من يحاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله ثم ينتهي إلى المقام فيصلي عنده ركعتين ثم ينشد الله حقه .

ثم قال أبو جعفر عليه السلام هو والله المضطر في كتاب الله وهو قول الله ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ** ﴾ وجبرئيل على الميزاب في صورة طائر أبيض فيكون أول خلق الله يبايعه جبرئيل ويبايعه الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا قال قال أبو جعفر عليه السلام فمن ابتلي في المسير وافاه في تلك الساعة ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه ثم قال هو والله قول علي بن أبي طالب عليه السلام المفقودون عن فرشهم وهو قول الله ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً** ﴾ أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا قال هم والله الأمة المعدودة التي قال الله في كتابه ﴿ **وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ** ﴾ قال يجتمعون في ساعة واحدة قزعا كقزع الخريف فيصبح بمكة فيدع والناس إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيجيبه نفر يسير ويستعمل على مكة ثم يسير فيبلغه أن قد قتل عامله فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة لا يزيد على ذلك شيئا يعني السبي ثم ينطلق فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه وآله السلام والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة من عدوه ولا يسمي أحدا حتى ينتهي إلى البيداء فيخرج إليه جيش السفياني فيأمر الله الأرض فيأخذهم من تحت أقدامهم وهو قول الله ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا** ﴾ بِهِ يعني بقائم آل محمد ﴿ **وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ** ﴾ يعني بقائم آل محمد إلى آخر السورة فلا يبقى منهم إلا رجلان يقال لهما وتر ووتيرة من مراد وجوههما في أقفيتهما يمشيان

القهقرى يخبران الناس بما فعل بأصحابهما ثم يدخل المدينة فيغيب عنهم عند ذلك قريش وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام والله لودت قريش أي عندها موقفا واحدا جزر جزور بكل ما ملكت وكل ما طلعت عليه الشمس أو غربت ثم يحدث حدثا فإذا هو فعل قالت قريش أخرجوا بنا إلى هذه الطاغية فوالله أن لو كان محمديا ما فعلول وكان علويا ما فعلول وكان فاطميا ما فعل فيمنحه الله أكتافهم فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة فيبلغه أنهم قد قتلوا عامله فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرة إليها بشيء ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه والولاية لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه والبراءة من عدوه حتى إذا بلغ إلى الثعلبية قام إليه رجل من صلب أبيه وهو من أشد الناس ببدنه وأشجعهم بقلبه ما خلا صاحب هذا الأمر فيقول يا هذا ما تصنع فوالله إنك لتجفل الناس إجفال النعم أفبعهد من رسول الله أم بما ذا فيقول المولى الذي ولي البيعة والله لتسكتن أو لأضربن الذي فيه عيناك فيقول له القائم اسكت يا فلان إي والله إن معي عهدا من رسول الله هات لي يا فلان العيبة أو الزنفيلجة فيأتيه بها فيقرؤه العهد من رسول الله فيقول جعلني الله فداك أعطني رأسك أقبله فيعطيه رأسه فيقبل بين عينيه ثم يقول جعلني الله فداك جدد لنا بيعة فيجدد لهم بيعة .

قال أبو جعفر عليه السلام لكأني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا كأن قلوبهم زبر الحديد جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يسير الرعب أمامه شهرا وخلفه شهرا أمده الله ﴿ **بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ حتى إذا صعد النجف قال لأصحابه تعبدوا ليلتكم هذه فيبيتون بين راكع وساجد يتضرعون إلى الله حتى إذا أصبح قال خذوا بنا

طريق النخيلة وعلى الكوفة خندق مخندق قلت خندق مخندق قال إي والله حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنخيلة فيصلي فيه ركعتين فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفياني فيقول لأصحابه استطردوا لهم ثم يقول كروا عليهم .

قال أبو جعفر عليه السلام ولا يجوز والله الخندق منهم مخبر ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمن إلا كان فيها أو حن إليها وهو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم يقول لأصحابه سيروا إلى هذه الطاغية فيدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فيعطيه السفياني من البيعة سلما فيقول له كلبوهم أخواله ما هذا ما صنعت والله ما نبايعك على هذا أبدا فيقول ما أصنع فيقولون استقبله فيستقبله ثم يقول له القائم صلى الله عليه خذ حذرك فإنني أديت إليك وأنا مقاتلك فيصبح فيقاتلهم فيمنحه الله أكتافهم ويأخذ السفياني أسيرا فينطلق به ويذبحه بيده ثم يرسل جريدة خيل إلى الروم ليستحضروا بقية بني أمية فإذا انتهوا إلى الروم قالوا أخرجوا إلينا أهل ملتنا عندكم فيأبون ويقولون والله لا نفعل فيقول الجريدة والله لو أمرنا لقاتلناكم ثم يرجعون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه فيقول انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم فإن هؤلاء قد أتوا بسلطان عظيم وهو قول الله ﴿ **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ** ﴾ قال يعني الكنوز التي كنتم تكنزون ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ** ﴾ لا يبقى منهم مخبر ثم يرجع إلى الكوفة فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا إلى الآفاق كلها فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم فلا يتعايون في قضاء ولا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله وهو قوله ﴿ **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي**

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله ﷺ وهو قول الله ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله** ﴾ .

قال أبو جعفر عليه السلام يقاتلون والله حتى يوحده الله ولا يشرك به شيء وحتى يخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد ويخرج الله من الأرض بذرها وينزل من السماء قطرها ويخرج الناس خراجهم على رقابهم إلى المهدي ويوسع الله على شيعتنا ولو لا ما يدركهم من السعادة لبغوا فبينا صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام وتكلم ببعض السنن إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه فيقول لأصحابه انطلقوا فيلحقونهم في التمارين فيأتونه بهم أسرى فيأمر بهم فيذبحون وهي آخر خارجة يخرج على قائم آل محمد ﷺ)[1] .

وقصة صلب الشيخين يأتي فيما نذكره من حديث المفضل بن عمر رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال (إذا بلغ السفياني أن القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة يتجرد بخيله حتى يلقى القائم فيخرج فيقول أخرجوا إلي ابن عمي فيخرج عليه السفياني فيكلمه القائم عليه السلام فيجيء السفياني فيبايعه ثم ينصرف إلى أصحابه فيقولون له ما صنعت فيقول أسلمت وبايعت فيقولون له قبح الله رأيك بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعا فيستقبله فيقاتله ثم يمسون تلك الليلة ثم يصبحون للقائم عليه السلام بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنوهم حتى إن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة فتقول الشجرة والحجرة يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله فيقتله قال فتشبع السباع والطيور من لحومهم فيقيم بها القائم عليه السلام ما شاء قال ثم يعقد بها القائم عليه السلام ثلاث

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٤١ ـ ٣٤٥

رايات لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له ولواء إلى الصين فيفتح له ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له عن أبي جعفر عليه السلام قال إذا بلغ السفياني أن القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة يتجرد بخيله حتى يلقى القائم فيخرج فيقول أخرجوا إلي ابن عمي فيخرج عليه السفياني فيكلمه القائم عليه السلام فيجيء السفياني فيبايعه ثم ينصرف إلى أصحابه فيقولون له ما صنعت فيقول أسلمت وبايعت فيقولون له قبح الله رأيك بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعا فيستقبله فيقاتله ثم يمسون تلك الليلة ثم يصبحون للقائم عليه السلام بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنوهم حتى إن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة فتقول الشجرة والحجرة يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله فيقتله قال فتشبع السباع والطيور من لحومهم فيقيم بها القائم عليه السلام ما شاء قال ثم يعقد بها القائم عليه السلام ثلاث رايات لواء إلى القسطنطينية يفتح الله له ولواء إلى الصين فيفتح له ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له)[1] .

وعن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل إلى أن قال (وينهزم قوم كثير من بني أمية حتى يلحقوا بأرض الروم فيطلبوا إلى ملكها أن يدخلوا إليه فيقول لهم الملك لا ندخلكم حتى تدخلوا في ديننا وتنكحونا وننكحكم وتأكلوا لحم الخنازير وتشربوا الخمر وتعلقوا الصلبان في أعناقكم والزنانير في أوساطكم فيقبلون ذلك فيدخلونهم فيبعث إليهم القائم عليه السلام أن أخرجوا هؤلاء الذين أدخلتموهم فيقولون قوم رغبوا في ديننا وزهدوا في دينكم فيقول عليه السلام إنكم إن لم تخرجوهم وضعنا السيف فيكم فيقولون له هذا كتاب الله بيننا وبينكم فيقول قد رضيت به فيخرجون إليه فيقرأ عليهم وإذا في شرطه

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٨٧ ـ ٣٨٩

الذي شرط عليهم أن يدفعوا إليه من دخل إليهم مرتدا عن الإسلام ولا يرد إليهم من خرج من عندهم راغبا إلى الإسلام فإذا قرأ عليهم الكتاب ورأوا هذا الشرط لازما لهم أخرجوهم إليه فيقتل الرجال ويبقر بطون الحبالى ويرفع الصلبان في الرماح قال والله لكأني أنظر إليه وإلى أصحابه يقتسمون الدنانير على الجحفة ثم تسلم الروم على يده فيبني فيهم مسجدا ويستخلف عليهم رجلا من أصحابه ثم ينصرف)[1] . الحديث .

قال صاحب الكتاب : ويستقر في الكوفة ويكون مسكن أهله مسجد السهلة ومحل قضائه مسجد الكوفة .

أقول : يأتي بيان ذلك في حديث المفضل بن عمر رضي الله عنه إنشاء الله تعالى (قال مدة ملكه سبع سنين يطول الله الأيام والليالي حتى تكون السنة بقدر عشر سنين لأن الله سبحانه يأمر الفلك باللبوث فتكون مدة ملكه سبعين سنة من هذا السنين) .

أقول : اختلف الروايات في تحديد مدة ملكه عجل الله فرجه فعن أبي سعيد الخدري قال خشينا أن يكون بعد نبينا حدث ﷺ حدّث فسألنا نبي الله فقال (إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا) .

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال(فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنيكم هذه ثم يفعل الله ما يشاء قال قلت له جعلت فداك فكيف تطول السنون قال يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون قال قلت له إنهم يقولون إن الفلك إذا تغير فسد قال ذلك قول الزنادقة فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك وقد شق الله القمر لنبيه ﷺ ورد الشمس من قبله ليوشع بن نون وأخبر بطول يوم القيامة وإنه ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾)[2] .

---

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٨٨

(٢)بحار الأنوار ٥٢ / ٣٣٩

وقال شيخنا قدس سره في رسالة الرجعة عند شرحه هذا الحديث وقوله كيف تطول السنون ؟ أجاب عليه السلام بما لا يمكنه الإنكار له من جهة الإلزام وأما الجواب الذوقي فيطول ذكره ولكن له دليل من أدلة الحكمة نشير إليه على جهة الإجمال فنقول قد ثبت أن الإنسان هو العالم الصغير وهو إنموذج العالم الكبير فكل ما في الكبير يوجد في الضغير وما لا يوجد في الصغير لا يوجد في الكبير قال عليه السلام :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وحركة الفلك في السرعة والبطئ مثل حركة النبض في الإنسان فإنها في الإنسان تختلف عند عروض الصفراء بالسرعة وعند عروض البلغم بالبطئ وحركة النبض وسائر حركات الإنسان تختلف عند الرضا وعند الغضب وتبطئ عند العدل والقسط لظهور أثر الرضا عليهم ، وليست السرعة والبطئ في العالمين موجبة لفساد المتحرك إلا إذا اقتضت هدم البنية انتهى .

ما أفاد وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث إلى أن قال (يملك ما بين الخالفين أربعين عاما فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه) وعن أبي جعفر عليه السلام قال (سمعته يقول (حم) (عسق) عداد سني القائم و(ق) جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر فخضرة السماء من ذلك الجبل وعلم كل شيء في عسق)[1] .

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث إلى أن قال السائل (وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت قال تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته)[2] .

وبالجملة فالروايات مختلفة ويحتمل أن يكون وجه الاختلاف لتجويز البداء يمحوا الله ما يشاء ويثبت ويمكن الجمع بينهما بحمل بعضها على تمام

---

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٢٨٠

(٢) بحار الأنوار ٥٢ / ٢٩٩

ملكه من يوم قيامه إلى مدة وفاته ورجعته إلى وفاته لأنه عليه السلام يقتل ثم يرجع إلى الدنيا وحمل بعضها على يوم قيامه إلى وفاته وبعضها على زمان استقرار ملكه إلى وفاته عجل الله فرجه والله أعلم بحقائق الأمور.

وليعلم أن صاحب الكتاب لم يذكر شيئا من سيرته عليه السلام وكيفية سلوكه مع الخلق فأحببت أن أذكر شيئا يسيرا من سيرته وسلوكه، فعن عبد الله بن عطاء عن شيخ من الفقهاء يعني أبا عبد الله عليه السلام قال سألته عن سيرة المهدي (كيف سيرته قال يصنع ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديدا)[1].

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال (قلت له صالح من الصالحين سمه لي أريد القائم عليه السلام فقال اسمه اسمي قلت أيسير بسيرة محمد صلى الله عليه وآله قال هيهات هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته قلت جعلت فداك لم قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين كان يتألف الناس والقائم عليه السلام يسير بالقتل بذلك أمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا ويل لمن ناواه)[2].

وعن أبي بصير قال قال أبو جعفر عليه السلام (يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحدا ولا يأخذه في الله لومة لائم)[3].

عَنِ العَلاءِ بْنِ رَزِينٍ القَلاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِم قَالَ (سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ القَائِمِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ إِذَا قَامَ بِأَيِّ سِيرَةٍ يَسِيرُ فِي النَّاسِ فَقَالَ بِسِيرَةِ مَا سَارَ بِهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله حَتَّى يُظْهِرَ الإِسْلامَ قُلْتُ وَمَا كَانَتْ سِيرَةُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله قَالَ أَبْطَلَ مَا كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِالعَدْلِ وَكَذَلِكَ القَائِمُ عليه السلام إِذَا قَامَ يُبْطِلُ مَا كَانَ فِي الهُدْنَةِ مِمَّا كَانَ فِي أَيْدِي النَّاسِ وَيَسْتَقْبِلُ بِهِمُ العَدْلَ)[4].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣

(٢) بحار الأنوار ٥٢ / ٣٥٣

(٣) الغيبة للنعماني ٢٣٣

(٤) تهذيب الأحكام ٦ / ١٥٤

أقول : ولعل المراد أنه يبطل ما في أيدي الخلق من الأمور المبتدعة في الدين المبين وأنه لم يقبل الجزية ويحكم بحكم داود ، وقال الطبرسي في كتاب أعلام الورى ما معناه فإن قيل إذا حصل الإجماع على أن لا نبي بعد رسول الله ﷺ وأنتم قد زعمتم أن القائم إذا قام لم يقبل الجزية من أهل الكتاب وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين ويأمر بهدم المساجد والمشاهد وأنه يحكم بحكم داود لا يسأل بنية واشباه ذلك مما ورد في آثاركم وهذا يكون نسخا للشريعة وإبطالا لأحكامها فقد أثلبتم معنى النبوة وإن لم تتلفضوا باسمها فما جوابكم . . .

الجواب : إنا لم نعرف ما تضمنه السؤال من أنه عليه السلام لا يقبل الجزية من أهل الكتاب وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به فأما هدم المساجد والمشاهد فقد يجوز أن يختص بهدم ما بنى من ذلك على غري تقوى الله تعالى وعلى خلاف ما أمر الله سبحانه فأما حكمه من دون سؤال عن البينة وأشباه ذلك فهو كما لو قال ألزموا السبت إلى وقت كذا ثم لا تلزموه لا يكون نسخا لأن الدليل الرافع مصاحب الدليل الموجب وإذا صحت هذه الجملة وكان النبي ﷺ قد أعلمنا بأن القائم عليه السلام من ولده يجب اتباعه وقبول أحكامه فنحن إذا صرنا إلى ما يحكم فينا وإن خالف بعض الأحكام المتقدمة غير عالمين بالنسخ لا يدخل فيها يصطحب الدليل انتهى .

ويمكن أن يقال في الجواب أيضا أن ذلك لم يكن نسخا عن وحي جديد أتى إليه بل إنما بأمر الله سبحانه وبوحيه على نبيه ، والنبي أسر ذلك عند أوليائه لعدم مصلحة ظهوره إلا في ظهور الحجة عجل الله فرجه وربما يطّلق عليه النسخ لأن النسخ عبارة عن انتهاء مدة الحكم فإذا انتهى فقد نسخ ،

والنسخ يقع عند ظهوره عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله فإن قيل هذا يخالف ما ورد أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة قلنا ما ذكرناه لا يخالف ذلك بوجه من الوجوه لأن ذلك الأمر الجديد أيضا من أمر محمد ومن حلاله وحرامه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، ومعنى هذا الحديث أنه صلوات الله عليه خاتم النبيين وليس بعده نبي فشريعته باقية إلى يوم الدين وما يأتي به القائم عليه السلام فهو من شريعته صلى الله عليه وآله فلا يقع في شريعته بعد رحلته نسخ إلى أبد الآبدين فافهم راشدا .

وأما قوله أعلى الله مقامه إنا لم نعرف ما تضمنه السؤال من أنه عليه السلام لا يقبل الجزية من أهل الكتاب إلى قوله فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به فهو كلام في غاية الاضطراب في لورود الصحاح في أنه لم يقبل الجزية من أهل الكتاب وهو عليه السلام يدعوهم إلى دين الله فإن أجابوا سلموا وإلا قتلهم وطهر الأرض من أدناسهم وأرجاسهم وأما ما ورد في بعض الأخبار في قبول الجزية فإنه محمول على أنه يقبل الجزية ممن رجع إلى الدنيا من أهل الكتاب ، وأما قتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين فإني لم أظفر بخبر صحيح بذكر ذلك والله أعلم بحقائق الأمور ، ثم اعلم إن صاحب الكتاب لم يذكر كيفية نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال وإني أشير إلى ذلك بالإشارة الإجمالية فأقول ولا قوة إلا بالله .

عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج (يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت أيها الأمير أية آية هي فقال قوله ﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾والله إني لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح الله الأمير ليس على

ما تأول قال كيف هو قلت إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي قال ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال جئت والله بها من عين صافية)[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال (ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند انفجار الصبح ما بين مهر ودين وهما ثوبان أصفران من الزعفران أبيض الجسم أصهب الرأس أفرق الشعر كان رأسه يقطر دهنا بيده مربه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويهلك الدجال ويقبض أموال القائم عليه السلام ويمشي خلفه أهل الكهف وهو الوزير الأيمن للقائم عليه السلام وحاجبه ونائبه ويبسط بالمغرب والمشرق الأمن من كرامة الحجة بن الحسن صلوات الله عليه حتى يرتع الأسد مع النعم والنمر مع البقر والذئب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويتزوج عيسى بامرأة من غسان حتى يسود وجه من كان يقول ليس من البشر ويروه كيف يأكل ويشرب وينكح ، ويؤمر في سبعين ألفا منهم أصحاب الكهف وتجمع له الكتب من أنطاكية حتى يحكم بين أهل المشرق والمغرب ، ويحكم بين أهل التوراة في توراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفرقان بفرقانهم ، فيكشف الله له عن إرم ذات العماد والقصر الذي بناه سليمان بن داود عليه السلام قرب موته فيأخذ ما به من الأموال ويقسمها على المسلمين ، ويخرج الله التابوت الذي أمر به أرميا أن يرميه في بحيرة طبريا فيه بقية ما ترك آل موسى وهارون ورضافته اللوح وعصى موسى وقبا هارون وعشرة أصواع من المن وشرائح السلوى التى ادخرها بني إسرائيل لمن بعدهم فيستفتح بالتابوت المدن كما استفتح به من كان قبله ، وينشر الإسلام في

(١) بحار الأنوار ٩ / ١٩٥

المشرق والمغرب في الجنوب والقبلة ، وذلك الوقت سنته كالشهر وشهره كالجمعة وجمعته كاليوم ويومه كالساعة والساعة لا بقاء لها ، ثم تقبل ريح باردة صفراء ألين من الحرير مثل المسك فيقبض الله بها روح عيسى بن مريم عليه السلام) الحديث .

قال صاحب الكتاب : فإذا مضى منها تسع وخمسون سنة خرج الحسين عليه السلام في أنصاره الاثنين والسبعين الذين استشهدوا معه في كربلاء وملائكة النصر الشعث الغبر الذين عند قبره.

أقول : يريد أنه إذا مضى من أيام القائم عليه السلام خرج الحسين عليه السلام فيرجع إلى الدنيا وهذا أول رجعة الأئمة وسنذكر الرجعة مجملا بعدما ذكرنا تمام المتن في الرجعة .

قال : فإذا تمت السبعون سنة إلى الحجة الموت فتقتله إمرأة من بني تميم اسمها سعيدة لها لحية كلحية الرجل تضربه على رأسه من فوق سطح وهو متجاوز في الطريق فإذا مات تولى تجهيزه الحسين عليه السلام ، ثم يقوم بالأمر ويحشر له يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر ومن معهم يوم كربلاء ومن رضي بأفعالهم من الأولين والآخرين فيقتلهم الحسين عليه السلام ويقتص منهم ويكثر القتل في كل من رضي بفعلهم أو أحبهم حتى يجتمع عليه أشرار الناس من كل ناحية ويلجئونه إلى البيت الحرام ، فإذا اشتد به الأمر خرج السفاح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لنصرته مع الملائكة فيقتلون أعداء الدين ويمكث علي عليه السلام مع ابنه الحسين عليه السلام ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أصحاب الكهف ثم يضرب على قرنه ويقتل ويبقى الحسين عليه السلام قائما بدين الله ومدة ملكه خمسون ألف سنة حتى أنه ليربط حاجبيه بعصابة من شدة

الكبر ويبقى أمير المؤمنين عليه السلام في موته أربعة آلاف سنة أو ستة آلاف سنة أو عشرة آلاف سنة على اختلاف الروايات، ثم يكر في جميع شيعته لأنه عليه السلام يقتل مرتين ويحيى مرتين والأئمة كلهم يرجعون إلى الدنيا حتى القائم عليه السلام ويجتمع إبليس مع جميع أتباعه ويقتلون عند الروحاء قريب من الفرات فيرجع المؤمنون القهقرى حتى يقع منهم رجال في الفرات وروي ثلاثون رجلا، فينزل رسول الله صلى الله عليه وآله من الغمام وبيده حربة من نور فإذا رآه إبليس هرب فيقول له أنصاره أين تذهب وقد آن لنا النصر فيقول (إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين) فيلحقه رسول الله فيطعنه في ظهره فتخرج الحربة من صدره ويموت ويقتلون أصحابه أجمعين وعند ذلك يعبد الله ولا يشرك به شيئا، ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر وإذا كسا ولده ثوبا يطول معه كل ما طال ويكون لونه على حسب ما يريد وتظهر الأرض بركاتها بحيث تأكل ثمرة الصيف بالشتاء وبالعكس وإذا أخذ الثمرة من الشجرة نبت مكانها حتى لا يفقد شيئا وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله .

أقول : أما الروايات في الرجعة فكثيرة حتى بلغت حد التواتر بل كاد أن تكون من ضروريات المذهب وإنا نكتفي منها برواية المفضل بن عمر ونذكرها مع طولها تبيينا لما قدمنا من علامات ظهور القائم عليه السلام ومدة ملكه وكيفية سلوكه لأن فيها علامات ظهوره عليه السلام وبيانا للرجعة لأنها جامعة للأمرين فنقول ولا قوة إلا بالله .

عن المفضل بن عمر قال (سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمأمور المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موقت يعلمه الناس فقال حاش لله أن يوقت ظهوره

بوقت يعلمه شيعتنا قلت يا سيديولم ذاك قال لأنه هو الساعة التي قال الله تعالى ﴿ **يَسْئَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيَّانَ مُرْساها قُل إنَّما عِلمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لوَقْتِها إلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالأرْضِ** ﴾ الآية وهو الساعة التي قال الله تعالى ﴿ **يَسْئَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيَّانَ مُرْساها** ﴾وقال ﴿ **عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ** ﴾ ولم يقل إنها عند أحد وقال ﴿ **فَهَل يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أشْراطُها** ﴾الآية وقال ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُوقال ما يُدْرِيكَ لعَل السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً يَسْتَعْجِلِ بِهَا الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَيَعْلَمُونَ أنَّهَا الحَقُّ ألا إنَّ الذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ** ﴾ قلت فما معنى يمارون قال يقولون متى ولد ومن رأى وأين يكون ومتى يظهر وكل ذلك استعجالا لأمر الله وشكا في قضائه ودخولا في قدرته أولئك الذين خسروا الدنيا وإن للكافرين لشر مآب قلت أفلا يوقت له وقت فقال يا مفضل لا أوقت له وقتا ولا يوقت له وقت إن من وقت لمهدينا وقتا فقد شارك الله تعالى في علمه وادعى أنه ظهر على سره وما لله من سر إلا وقد وقع إلى هذا الخلق المعكوس الضال عن الله الراغب عن أولياء الله وما لله من خبر إلا وهم أخص به لسره وهو عندهم وإنما ألقى الله إليهم ليكون حجة عليهم قال المفضل يا مولاي فكيف بدء ظهور المهدي عليه السلام وإليه التسليم قال عليه السلام يا مفضل يظهر في شبهة ليستبين فيعل وذكره ويظهر أمره وينادى باسمه وكنيته ونسبه ويكثر ذلك على أفواه المحقين والمبطلين والموافقين والمخالفين لتلزمهم الحجة بمعرفتهم به على أنه قد قصصنا ودللنا عليه ونسبناه وسميناه وكنيناه وقلنا سمي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه لئلا يقول الناس ما عرفنا له اسما ولا كنية ولا نسبا والله ليتحقق الإيضاح به وباسمه ونسبه وكنيته على ألسنتهم حتى ليسميه بعضهم لبعض كل ذلك للزوم الحجة عليهم ثم يظهره الله كما وعد به جده

ﷺ في قوله عزوجل ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ قال المفضل يا مولاي فما تأويل قوله تعالى ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ قال عليه السلام هو قوله تعالى ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ فوالله يا مفضل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدين كله واحدا كما قال جل ذكره إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وقال الله ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ قال المفضل قلت يا سيدي ومولاي والدين الذي في آبائه إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد ﷺ هو الإسلام قال نعم يا مفضل هو الإسلام لا غير قلت يا مولاي أتجده في كتاب الله قال نعم من أوله إلى آخرهومنه هذه الآية ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾وقوله تعالى ﴿ **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ ومنه قوله تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل ﴿ **وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ** ﴾ وقوله تعالى في قصة فرعون ﴿**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ وفي قصة سليمان وبلقيس ﴿ **قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ وقولها ﴿ **أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ وقول عيسى عليه السلام ﴿**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾وقوله عزوجل ﴿ **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾ وقوله في قصة لوط ﴿ **فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ وقوله ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا إلى قوله لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وقوله تعالى أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إلى قوله وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ قلت يا سيدي كم الملل قال أربعة وهي شرائع قال المفضل قلت يا سيدي المجوس لم سموا المجوس قال عليه السلام لأنهم تمجسوا في السريانية وادعوا على آدم وعلى شيث وهو هبة الله

أنهما أطلقا لهم نكاح الأمهات والأخوات والبنات والخالات والعمات والمحرمات من النساء وأنهما أمراهم أن يصلوا إلى الشمس حيث وقفت في السماء ولم يجعلا لصلاتهم وقتا وإنما هو افتراء على الله الكذب وعلى آدم وشيث عليه السلام قال المفضل يا مولاي وسيدي لم سمي قوم موسى اليهود قال عليه السلام لقول الله عزوجل ﴿ **إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ أي اهتدينا إليك** ﴾ قال فالنصارى قال عليه السلام لقول عيسى عليه السلام ﴿**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ**﴾وتلا الآية إلى آخرها فسموا النصارى لنصرة دين الله قال المفضل فقلت يا مولاي فلم سمي الصابئون الصابئين فقال عليه السلام إنهم صبوا إلى تعطيل الأنبياء والرسل والملل والشرائع وقالوا كلما جاءوا به باطل فجحدوا توحيد الله تعالى ونبوة الأنبياء ورسالة المرسلين ووصية الأوصياء فهم بلا شريعةولا كتاب ولا رسول وهم معطلة العالم قال المفضل سبحان الله ما أجل هذا من علم قال عليه السلام نعم يا مفضل فألقه إلى شيعتنا لئلا يشكوا في الدين قال المفضل يا سيدي ففي أي بقعة يظهر المهدي قال عليه السلام لا تراه عين في وقت ظهوره إلا رأته كل عين فمن قال لكم غير هذا فكذبوه قال المفضل يا سيدي ولا يرى وقت ولادته قال بلى والله ليرى من ساعة ولادته إلى ساعة وفاة أبيه سنتين وتسعة أشهر أول ولادته وقت الفجر من ليلة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين إلى يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الأول من سنة ستين ومائتين وهو يوم وفاة أبيه بالمدينة التي بشاطئ دجلة يبنيها المتكبر الجبار المسمى باسم جعفر الضال الملقب بالمتوكل وهو المتأكل لعنه الله تعالى وهي مدينة تدعى بسر من رأى وهي ساء من رأى يرى شخصه المؤمن المحق سنة ستين ومائتين ولا يراه المشكك المرتاب وينفذ فيها أمره ونهيه ويغيب عنها فيظهر في القصر بصابر بجانب المدينة في حرم جده رسول الله صلى الله عليه وآله فيلقاه

هناك من يسعده الله بالنظر إليه ثم يغيب في آخر يوم من سنة ست وستين ومائتين فلا تراه عين أحد حتى يراه كل أحد وكل عين قال المفضل قلت يا سيدي فمن يخاطبه ولمن يخاطب قال الصادق عليه السلام تخاطبه الملائكة والمؤمنون من الجن ويخرج أمره ونهيه إلى ثقاته وولاته ووكلائه ويقعد ببابه محمد بن نصير النميري في يوم غيبته بصابر ثم يظهر بمكة ووالله يا مفضل كأني أنظر إليه دخل مكةوعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامة صفراء وفي رجليه نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله المخصوفة وفي يده هراوته عليه السلام يسوق بين يديه عنازا عجافا حتى يصل بها نحو البيت ليس ثم أحد يعرفه ويظهر وهو شاب قال المفضل يا سيدي يعود شابا أو يظهر في شيبة فقال عليه السلام سبحان الله وهل يعرف ذلك يظهر كيف شاء وبأي صورة شاء إذا جاءه الأمر من الله تعالى مجده وجل ذكره قال المفضل يا سيدي فمن أين يظهر وكيف يظهر يا مفضل يظهر وحده ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجن عليه الليل وحده فإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام والملائكة صفوفا فيقول له جبرئيل يا سيدي قولك مقبول وأمرك جائز فيمسح عليه السلام يده على وجهه ويقول ﴿ **الحَمْدُ للهِ الذي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ** ﴾ ويقف بين الركن والمقام فيصرخ صرخة فيقول يا معاشر نقبائي وأهل خاصتي ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض ائتوني طائعين فترد صيحته عليه السلام عليهم وهم على محاريبهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل فيجيئون نحوها ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكون كلهم بين يديه عليه السلام بين الركن والمقام فيأمر الله عزوجل النور فيصير عمودا من الأرض إلى السماء فيستضيء به كل مؤمن

على وجه الأرض ويدخل عليه نور من جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور وهم لا يعلمون بظهور قائمنا أهل البيت عليه السلام ثم يصبحون وقوفا بين يديه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بعده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر قال المفضل يا مولاي يا سيدي فاثنان وسبعون رجلا الذين قتلوا مع الحسين بن علي عليه السلام يظهرون معهم قال يظهر منهم أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في اثني عشر ألفا مؤمنين من شيعة علي عليه السلام وعليه عمامة سوداء قال المفضل يا سيدي فبغير سنة القائم عليه السلام بايعوا له قبل ظهوره وقبل قيامه فقال عليه السلام يا مفضل كل بيعة قبل ظهور القائم عليه السلام فبيعته كفر ونفاق وخديعة لعن الله المبايع لها والمبايع له بل يا مفضل يسند القائم عليه السلام ظهره إلى الحرم ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء ويقول هذه يد الله وعن الله وبأمر الله ثم يتل وهذه الآية ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** ﴾ الآية فيكون أول من يقبل يده جبرئيل عليه السلام ثم يبايعه وتبايعه الملائكة ونجباء الجن ثم النقباء ويصبح الناس بمكة فيقولون من هذا الرجل الذي بجانب الكعبة وما هذا الخلق الذين معه وما هذه الآية التي رأيناها الليلة ولم تر مثلها فيقول بعضهم لبعض هذا الرجل هو صاحب العنيزات فيقول بعضهم لبعض انظروا هل تعرفون أحدا ممن معه فيقولون لا نعرف أحدا منهم إلا أربعة من أهل مكة وأربعة من أهل المدينة وهم فلان وفلان ويعدونهم بأسمائهم ويكون هذا أول طلوع الشمس في ذلك اليوم فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين يسمع من في السماوات والأرضين يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد ويسميه باسم جده رسول الله عليه السلام ويكنيه وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن علي عليه السلام بايعوه تهتدوا

ولا تخالفوا أمره فتضلوا فأول من يقبل يده الملائكة ثم الجن ثم النقباء ويقولون سمعنا وأطعنا ولا يبقى ذو أذن من الخلائق إلا سمع ذلك النداء وتقبل الخلائق من البدو والحضر والبر والبحر يحدث بعضهم بعضا ويستفهم بعضهم بعضا ما سمعوا بآذانهم فإذا دنت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغربها يا معشر الخلائق قد ظهر ربكم بوادي اليابس من أرض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة الأموي من ولد يزيد بن معاوية فبايعوه تهتدوا ولا تخالفوا عليه فتضلوا فيرد عليه الملائكة والجن والنقباء قوله ويكذبونه ويقولون له سمعنا وعصينا ولا يبقى ذو شك ولا مرتاب ولا منافق ولا كافر إلا ضل بالنداء الأخير وسيدنا القائم عليه السلام مسند ظهره إلى الكعبة ويقول يا معشر الخلائق ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أنا ذا آدم وشيث ألا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام فها أنا ذا نوح وسام ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فها أنا ذا موسى ويوشع ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فها أنا ذا محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين عليه السلام فها أنا ذا الحسن والحسين ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين عليه السلام فها أنا ذا الأئمة عليهم السلام أجيبوا إلى مسألتي فإني أنبئكم بما نبئتم به وما لم تنبئوا به ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني ثم يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله على آدم وشيث عليه السلام ويقول أمة آدم وشيث هبة الله هذه والله هي الصحف حقا ولقد أرانا ما لم نكن نعلمه فيها وما كان خفي علينا وما كان أسقط منها وبدل وحرف ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور فيقول

أهل التوراة والإنجيل والزبور هذه والله صحف نوح وإبراهيم عليه السلام حقا وما أسقط منها وبدل حرف منها هذه والله التوراة الجامعة والزبور التام والإنجيل الكامل وإنها أضعاف ما قرأنا منها ثم يتل والقرآن فيقول المسلمون هذا والله القرآن حقا الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله وما أسقط منه وحرف بدل ثم تظهر الدابة بين الركن والمقام فتكتب في وجه المؤمن مؤمن وفي وجه الكافر كافر ثم يقبل على القائم عليه السلام رجل وجهه إلى قفاه وقفاه إلى صدره ويقف بين يديه فيقول يا سيدي أنا بشير أمرني ملك من الملائكة أن الحق بك وأبشرك بهلاك جيش السفياني بالبيداء فيقول له القائم عليه السلام بين قصتك وقصة أخيك فيقول الرجل كنت وأخي في جيش السفياني وخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جماء وخربنا الكوفة وخربنا المدينة وكسرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائة ألف رجل نريد إخراب البيت وقتل أهله فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يا بيداء أبيدي القوم الظالمين فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش فوالله ما بقي على وجه الأرض عقال ناقة فما سواه غيري وغير أخي فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى فقال لأخي ويلك يا نذير امض إلى الملعون السفياني بدمشق فأنذره بظهور المهدي من آل محمد أو عرفه أن الله قد أهلك جيشه بالبيداء وقال لي يا بشير الحق بالمهدي بمكة وبشره بهلاك الظالمين وتب على يده فإنه يقبل توبتك فيمر القائم عليه السلام يده على وجهه فيرده سويا كما كان ويبايعه ويكون معه قال المفضل يا سيدي وتظهر الملائكة والجن للناس قال إي والله يا مفضل ويخاطبونهم كما يكون الرجل مع حاشيته وأهله قلت يا سيدي ويسيرون معه قال إي والله يا مفضل ولينزلن أرض الهجرة ما بين الكوفة والنجف وعدد

أصحابه عليه السلام حينئذ ستة وأربعون ألفا من الملائكة وستة آلاف من الجن وفي رواية أخرى ومثلها من الجن بهم ينصره الله ويفتح على يديه قال المفضل فما يصنع بأهل مكة قال يدعوهم ﴿ **بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ فيطيعونه ويستخلف فيهم رجلا من أهل بيته ويخرج يريد المدينة قال المفضل يا سيدي فما يصنع بالبيت قال ينقضه فلا يدع منه إلا القواعد التي هي أول بيت وضع للناس ببكة في عهد آدم عليه السلام والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام منها وإن الذي بني بعدهما لم يبنه نبي ولا وصي ثم يبنيه كما يشاء الله وليعفين آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم وليهدمن مسجد الكوفة وليبنيه على بنيانه الأول وليهدمن القصر العتيق ملعون ملعون من بناه قال المفضل يا سيدي يقيم بمكة قال لا يا مفضل بل يستخلف منها رجلا من أهله فإذا سار منها وثبوا عليه فيقتلونه فيرجع إليهم فيأتونه مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ يبكون ويتضرعون ويقولون يا مهدي آل محمد التوبة التوبة فيعظهم وينذرهم ويحذرهم ويستخلف عليهم منهم خليفة ويسير فيثبون عليه بعده فيقتلونه فيرد إليهم أنصاره من الجن والنقباء ويقول لهم ارجعوا فلا تبقوا منهم بشرا إلا من آمن فلو لا أن رحمة ربكم وسعت كل شيء وأنا تلك الرحمة لرجعت إليهم معكم فقد قطعوا الأعذار بينهم وبين الله وبيني وبينهم فيرجعون إليهم فوالله لا يسلم من المائة منهم واحد لا والله ولا من ألف واحد قال المفضل قلت يا سيدي فأين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين قال دار ملكه الكوفة ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين قال المفضل يا مولاي كل المؤمنين يكونون بالكوفة قال إي والله لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها وليبلغن مجالة فرس منها ألفي درهم وليودن

أكثر الناس أنه اشترى شبرا من أرض السبع بشبر من ذهب والسبع خطة من خطط همدان وليصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلا وليجاورن قصورها كربلاء وليصيرن الله كربلاء معقلا ومقاما تختلف فيه الملائكةوالمؤمنون وليكونن لها شأن من الشأن وليكونن فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربه بدعوة لأعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا ألف مرة ثم تنفس أبو عبد الله عليه السلام وقال يا مفضل إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلاء فأوحى الله إليها أن اسكتي كعبة البيت الحرام ولا تفتخري على كربلاء فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة وإنها الربوة التي أوت إليها مريم والمسيح وإنها الدالية التي غسل فيها رأس الحسين عليه السلام وفيها غسلت مريم عيسى عليه السلام واغتسلت من ولادتها وإنها خير بقعة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله منها وقت غيبته وليكونن لشيعتنا فيها خيرة إلى ظهور قائمنا عليه السلام قال المفضل يا سيدي ثم يسير المهدي إلى أين قال عليه السلام إلى مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين قال المفضل يا سيدي ما هو ذاك قال يرد إلى قبر جده صلى الله عليه وآله فيقول يا معاشر الخلائق هذا قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولون نعم يا مهدي آل محمد فيقول ومن معه في القبر فيقولون صاحبا هو ضجيعاه أبو بكر وعمر فيقولوه وأعلم بهما والخلائق كلهم جميعا يسمعون من أبو بكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وعسى المدفون غيرهما فيقول الناس يا مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله ما هاهنا غيرهما إنهما دفنا معه لأنهما خليفتا رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوا زوجتيه فيقول للخلق بعد ثلاث أخرجوهما من قبريهما فيخرجان غضين طريين لم يتغير خلقهما ولم يشحب لونهما فيقول هل فيكم من يعرفهما فيقولون نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا

جدك غيرهما فيقول هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشك فيهما فيقولون لا فيؤخر إخراجهما ثلاثة أيام ثم ينتشر الخبر في الناس ويحضر المهدي ويكشف الجدران عن القبرين ويقول للنقباء ابحثوا عنهما وانبشوهما فيبحثون بأيديهم حتى يصلون إليهما فيخرجان غضين طريين كصورتهما فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها فتحيا الشجرة وتورق ويطول فرعها فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذا والله الشرف حقا ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما ويخبر من أخفى نفسه ممن في نفسه مقياس حبة من محبتهما وولايتهما فيحضرونهما ويرونهما ويفتنون بهما وينادي منادي المهدي عليه السلام كل من أحب صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وضجيعيه فلينفرد جانبا فتتجزأ الخلق جزءين أحدهما موال والآخر متبرئ منهما فيعرض المهدي عليه السلام على أوليائهما البراءة منهما فيقولون يا مهدي آل رسول الله صلى الله عليه وآله نحن لم نتبرأ منهما ولسنا نعلم أن لهما عند الله وعندك هذه المنزلة وهذا الذي بدا لنا من فضلهما أنتبرأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما بل والله نتبرأ منك وممن آمن بك ومن لا يؤمن بهما ومن صلبهما وأخرجهما وفعل بهما ما فعل فيأمر المهدي عليه السلام ريحا سوداء فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية ثم يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييهما بإذن الله تعالى ويأمر الخلائق بالاجتماع ثم يقص عليهم قصص فعالهما في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام وجمع النار لإبراهيم عليه السلام وطرح يوسف عليه السلام في الجب وحبس يونس عليه السلام في الحوت وقتل يحيى عليه السلام وصلب عيسى عليه السلام وعذاب جرجيس ودانيال عليه السلام وضرب سلمان الفارسي وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

لإحراقهم بها وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسنا وسم الحسن عليه السلام وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد صلى الله عليه وآله وكل دم سفك وكل فرج نكح حراما وكل رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام قائمنا عليه السلام كل ذلك يعدده عليه السلام عليهما ويلزمهما إياه فيعترفان به ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر نارا تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحا فتنسفهما فِي الْيَمِّ نَسْفاً قال المفضل يا سيدي ذلك آخر عذابهما قال هيهات يا مفضل والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والصديق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا وليقتصن منهما لجميعهم حتى إنهما ليقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى ما شاء ربهما ثم يسير المهدي عليه السلام إلى الكوفة وينزل ما بين الكوفة والنجف وعنده أصحابه في ذلك اليوم ستة وأربعون ألفا من الملائكة وستة آلاف من الجن والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر نفسا قال المفضل يا سيدي كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت قال في لعنة الله وسخطه تخربها الفتن وتتركها جماء فالويل ولمن بها كل الويل من الرايات الصفر ورايات المغرب ومن يجلب الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب أو بعيد والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم المتمردة من أول الدهر إلى آخره ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف فالويل لمن اتخذ بها مسكنا فإن المقيم بها يبقى لشقائه والخارج منها برحمة الله والله ليبقى من أهلها في

الدنيا حتى يقال إنها هي الدنيا وإن دورها وقصورها هي الجنة وإن بناتها هن الحور العين وإن ولدانها هم الولدان وليظنن أن الله لم يقسم رزق العباد إلا بها وليظهرن فيها من الأمراء على الله وعلى رسوله ﷺ والحكم بغير كتابه ومن شهادات الزور وشرب الخمور وإتيان الفجور وأكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها إلا دونه ثم ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات حتى ليمر عليها المار فيقول هاهنا كانت الزوراء ثم يخرج الحسني الفتى الصبيح الذي نحو الديلم يصيح بصوت له فصيح يا آل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوز وأي كنوز ليست من فضة ولا ذهب بل هي رجال كزبر الحديد على البراذين الشهب بأيديهم الحراب ولم يزل يقتل الظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض فيجعلها له معقلا فيتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام ويقولون يا ابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا فيقول اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد وهو والله يعلم أنه المهدي وإنه ليعرفه لي ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرف أصحابه من هو فيخرج الحسني فيقول إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله ﷺ وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل وعمامته السحاب وفرسه اليربوع وناقته العضباء وبغلته الدلدل وحماره اليعفور ونجيبه البراق ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام فيخرج له ذلك ثم يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد وتورق ولم يرد ذلك إلا أن يري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يبايعوه فيقول الحسني الله أكبر مد يدك يا ابن رسول الله حتى نبايعك فيمد يده فيبايعه ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني إلا أربعين ألفا أصحاب المصاحف المعروفون بالزيدية فإنهم يقولون ما هذا إلا سحر عظيم فيختلط العسكران فيقبل المهدي عليه السلام على الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعوهم ثلاثة

أيام فلا يزدادون إلا طغيانا وكفرا فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعا ثم يقول لأصحابه لا تأخذوا المصاحف ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها وحرفوها ولم يعملوا بما فيها قال المفضل يا مولاي ثم ما ذا يصنع المهدي قال يثور سرايا على السفياني إلى دمشق فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة ثم يظهر الحسين عليه السلام في اثني عشر ألف صديق واثنين وسبعين رجلا أصحابه يوم كربلاء فيا لك عندها من كرة زهراء بيضاء ثم يخرج الصديق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وينصب له القبة بالنجف ويقام أركانها ركن بالنجف وركن بهجر وركن بصنعاء وركن بأرض طيبة لكأني أنظر إلى مصابيحه تشرق في السماء والأرض كأضواء من الشمس والقمر فعندها ﴿ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ ﴿ وتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ إلى آخر الآية ثم يخرج السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في أنصاره والمهاجرين ومن آمن به وصدقه واستشهد معه ويحضر مكذبوه والشاكون فيه والرادون عليه والقائلون فيه إنه ساحر وكاهن ومجنون وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله حتى يقتص منهم بالحق ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ظهور المهدي مع إمام إمام ووقت وقت ويحق تأويل هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ قال المفضل يا سيدي ومن فرعون وهامان قال أبو بكر وعمر قال المفضل قلت يا سيدي ورسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما يكونان معه فقال لا بد أن يطأ الأرض إي والله حتى ما وراء الخاف إي والله وما في الظلمات وما في قعر البحار حتى لا يبقى موضع قدم إلا وطئا وأقاما فيه الدين الواجب لله تعالى ثم لكأني أنظر يا مفضل إلينا معاشر الأئمة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله نشك

وإليه ما نزل بنا من الأمة بعده وما نالنا من التكذيب والرد علينا وسبينا ولعننا وتخويفنا بالقتل وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم من دون الأمة بترحيلنا عن الحرمة إلى دار ملكهم وقتلهم إيانا بالسم والحبس فيبكي رسول الله ﷺ ويقول يا بني ما نزل بكم إلا ما نزل بجدكم قبلكم ثم تبتدئ فاطمة عليها السلام وتشك وما نالها من أبي بكر وعمر وأخذ فدك منها ومشيها إليه في مجمع من المهاجرين والأنصار وخطابها له في أمر فدك وما رد عليها من قوله إن الأنبياء لا تورث واحتجاجها بقول زكريا ويحيى عليهما السلام وقصة داود وسليمان عليهما السلام وقول عمر هاتي صحيفتك التي ذكرت أن أباك كتبها لك وإخراجها الصحيفة وأخذه إياها منها ونشره لها على رءوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب وتفله فيها وتمزيقه إياها وبكائها ورجوعها إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ باكية حزينة تمشي على الرمضاء قد أقلقتها واستغاثتها بالله وبأبيها رسول الله ﷺ وتمثلها بقول رقيقة بنت صيفي :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم يكبر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل أهلك فاشهدهم فقد لعبوا

أبدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لما نأيت وحالت دونك الحجب

لكل قوم لهم قرب ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب

يا ليت قبلك كان الموت حل بنا ... أملوا أناس ففازوا بالذي طلبوا

وتقص عليه قصة أبي بكر وإنفاذه خالد بن الوليد وقنفذا وعمر بن الخطاب وجمعه الناس لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته إلى البيعة في سقيفة بني ساعدة واشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ بضم أزواجه وقبره وتعزيتهم وجمع القرآن وقضاء دينه وإنجاز عداته وهي ثمانون

ألف درهم باع فيها تليده وطارفه و قضاها عن رسول الله ﷺ وقول عمر اخرج يا علي إلى ما أجمع عليه المسلمون وإلا قتلناك وقول فضة جارية فاطمة إن أمير المؤمنين عليه السلام مشغول والحق له إن أنصفتم من أنفسكم وأنصفتم وهو جمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة وإضرامهم النار على الباب وخروج فاطمة إليهم وخطابها لهم من وراء الباب وقولها ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله وَ اللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وانتهاره لها وقوله كفي يا فاطمة فليس محمد حاضرا ولا الملائكة آتية بالأمر والنهي والزجر من عند الله وما علي إلا كأحد المسلمين فاختاري إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر أو إحراقكم جميعا فقالت وهي باكية اللهم إليك نشكو فقد نبيك ورسولك وصفيك وارتداد أمته علينا ومنعهم إيانا حقنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيك المرسل فقال لها عمر دعي عنك يا فاطمة حمقات النساء فلم يكن الله ليجمع لكم النبوة والخلافة وأخذت النار في خشب الباب وإدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب وضرب عمر لها بالسوط على عضدها حتى صار كالدملج الأسود وركل الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن لستة أشهر وإسقاطها إياه وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد وصفقه خدها حتى بدا قرطاها تحت خمارها وهي تجهر بالبكاء وتقول وا أبتاه وا رسول الله ابنتك فاطمة تكذب وتضرب ويقتل جنين في بطنها وخروج أمير المؤمنين عليه السلام من داخل الدار محمر العين حاسرا حتى ألقى ملاءته عليها وضمها إلى صدره وقوله لها يا بنت رسول الله قد علمتي أن أباك بعثه الله رَحْمَةً للعالمِينَ فالله الله أن تكشفي خمارك وترفعي ناصيتك فوالله يا فاطمة لئن فعلت ذلك لا أبقى الله على الأرض من يشهد أن محمدا رسول الله ولا موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا نوح ولا آدم ولا دابة تمشي على الأرض ولا طائرا في السماء

إلا أهلكه الله ثم قال يا ابن الخطاب لك الويل من يومك هذا وما بعده وما يليه اخرج قبل أن أشهر سيفي فأفني غابر الأمة فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر فصاروا من خارج الدار وصاح أمير المؤمنين بفضة يا فضة مولاتك فاقبلي منها ما تقبله النساء فقد جاءها المخاض من الرفسة ورد الباب فأسقطت محسنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لاحق بجده رسول الله صلى الله عليه وآله فيشك وإليه وحمل أمير المؤمنين لها في سواد الليل والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم إلى دور المهاجرين والأنصار يذكرهم بالله ورسوله وعهده الذي بايعوا الله ورسوله وبايعوه عليه في أربعة مواطن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وتسليمهم عليه بإمرة المؤمنين في جميعها فكل يعده بالنصر في يومه المقبل فإذا أصبح قعد جميعهم عنه ثم يشك وإليه أمير المؤمنين عليه السلام المحن العظيمة التي امتحن بها بعده وقوله لقد كانت قصتي مثل قصة هارون مع بني إسرائيل وقولي كقوله لموسى ﴿ **يا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ فصبرت محتسبا وسلمت راضيا وكانت الحجة عليهم في خلافي ونقضهم عهدي الذي عاهدتهم عليه يا رسول الله واحتملت يا رسول الله ما لم يحتمل وصي نبي من سائر الأوصياء من سائر الأمم حتى قتلوني بضربة عبد الرحمن بن ملجم وكان الله الرقيب عليهم في نقضهم بيعتي وخروج طلحة والزبير بعائشة إلى مكة يظهران الحج والعمرة وسيرهم بها إلى البصرة وخروجي إليهم وتذكيري لهم الله وإياك وما جئت به يا رسول الله فلم يرجعا حتى نصرني الله عليهما حتى أهرقت دماء عشرين ألف من المسلمين وقطعت سبعون كفا على زمام الجمل فما لقيت في غزواتك يا رسول الله وبعدك أصعب يوما منه أبدا لقد كان من أصعب الحروب التي لقيتها وأهولها وأعظمها فصبرت كما أدبني الله بما أدبك به يا رسول الله في قوله عزوجل فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وقوله ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ** ﴾ وحق والله يا رسول الله تأويل

الآية التي أنزلها الله في الأمة من بعدك في قوله ﴿ **وَما مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ يا مفضل ويقوم الحسن عليه السلام إلى جده صلى الله عليه وآله فيقول يا جداه كنت مع أمير المؤمنين في دار هجرته بالكوفة حتى استشهد بضربة عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله فوصاني بما وصيته يا جداه وبلغ اللعين معاوية قتل أبي فأنفذ الدعي اللعين زيادا إلى الكوفة في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل فأمر بالقبض علي وعلى أخي الحسين وسائر إخواني وأهل بيتي وشيعتنا وموالينا وأن يأخذ علينا البيعة لمعاوية فمن يأبى منا ضرب عنقه وسير إلى معاوية رأسه فلما علمت ذلك من فعل معاوية خرجت من داري فدخلت جامع الكوفة للصلاة ورقات المنبروا جتمع الناس فحمدت الله وأثنيت عليه وقلت معشر الناس عفت الديار ومحيت الآثار وقل الاصطبار فلا قرار على همزات الشياطين وحكم الخائنين الساعة والله صحت البراهين وفصلت الآيات وبانت المشكلات ولقد كنا نتوقع تمام هذه الآية تأويلها قال الله عزوجل ﴿ **وَما مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ فلقد مات والله جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل أبي عليه السلام وصاح الوسواس الخناس في قلوب الناس ونعق ناعق الفتنة وخالفتم السنة فيا لها من فتنة صماء عمياء لا يسمع لداعيها ولا يجاب مناديها ولا يخالف واليها ظهرت كلمة النفاق وسيرت رايات أهل الشقاق وتكالبت جيوش أهل المراق من الشام والعراق هلموا رحمكم الله إلى الافتتاح والنور الوضاح والعلم الجحجاح والنور الذي لا يطفى والحق الذي لا يخفى أيها الناس تيقظوا من رقدة الغفلة ومن تكاثف الظلمة فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى

بالعظمة لئن قام إلي منكم عصبة بقلوب صافية ونيات مخلصة لا يكون فيها شوب نفاق ولا نية افتراق لأجاهدن بالسيف قدما ولأضيقن من السيوف جوانبها ومن الرماح أطرافها ومن الخيل سنابكها فتكلموا رحمكم الله فكأنما ألجموا بلجام الصمت عن إجابة الدعوة إلا عشرون رجلا فإنهم قاموا إلي فقالوا يا ابن رسول الله ما نملك إلا أنفسنا وسيوفنا فها نحن بين يديك لأمرك طائعون وعن رأيك صادرون فمرنا بما شئت فنظرت يمنة ويسرة فلم أر أحدا غيرهم فقلت لي أسوة بجدي رسول الله حين عبدالله سراوه في تسعة وثلاثين رجلا فلما أكمل الله له الأربعين صار في عدة وأظهر أمر الله فلو كان معي عدتهم جاهدت في الله حق جهاده ثم رفعت رأسي نحو السماء فقلت اللهم إني قد دعوت وأنذرت وأمرت ونهيت وكانوا عن إجابة الداعي غافلين وعن نصرته قاعدين وعن طاعته مقصرين ولأعدائه ناصرين اللهم فأنزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك الذي لا يرد عن القوم الظالمين ونزلت ثم خرجت من الكوفة راحلا إلى المدينة فجاءوني يقولون إن معاوية أسرى سراياه إلى الأنبار والكوفة وشن غاراته على المسلمين وقتل من لم يقاتله وقتل النساء والأطفال فأعلمتهم أنه لا وفاء لهم فأنفذت معهم رجالا وجيوشا وعرفتهم أنهم يستجيبون لمعاوية وينقضون عهدي وبيعتي فلم يكن إلا ما قلت لهم وأخبرتهم ثم يقوم الحسين عليه السلام مخضبا بدمه هو وجميع من قتل معه فإذا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله بكى وبكى أهل السماوات والأرض لبكائه وتصرخ فاطمة عليها السلام فتزلزل الأرض ومن عليها ويقف أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام عن يمينه وفاطمة عن شماله ويقبل الحسين عليه السلام فيضمه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صدره ويقول يا حسين فديتك قرت عيناك وعيناي فيك وعن يمين الحسين حمزة أسد الله في أرضه وعن شماله جعفر بن أبي طالب الطيار ويأتي محسن تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أم

أمير المؤمنين عليها السلام وهن صارخات وأمه فاطمة تقول هذا ﴿ **يَوْمُكُمُ الذي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اليوم تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً** ﴾ قال فبكى الصادق عليه السلام حتى أخضلت لحيته بالدموع ثم قال لا قرت عين لا تبكي عند هذا الذكر قال وبكى المفضل بكاء طويلا ثم قال يا مولاي ما في الدموع يا مولاي فقال ما لا يحصى إذا كان من محق ثم قال المفضل يا مولاي ما تقول في قوله تعالى ﴿**وَإِذَا المَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ قال يا مفضل والموؤدة والله محسن لأنه منا لا غير فمن قال غير هذا فكذبوه قال المفضل يا مولاي ثم ما ذا قال الصادق عليه السلام تقوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول اللهم أنجز وعدك وموعدك لي فيمن ظلمني وغصبني وضربني جزعني بكل أولادي فتبكيها ملائكة السماوات السبع وحملة العرش وسكان الهواء ومن في الدنيا ومن تحت أطباق الثرى صائحين صارخين إلى الله تعالى فلا يبقى أحد ممن قاتلنا وظلمنا ورضي بما جرى علينا إلا قتل في ذلك اليوم ألف قتلة دون من قتل في سبيل الله فإنه لا يذوق الموتوه وكما قال الله عزوجل ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ قال المفضل يا مولاي إن من شيعتكم من لا يقول برجعتكم فقال عليه السلام إنما سمعوا قول جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن سائر الأئمة نقول ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذابِ الأَدْنَى دُونَ العَذابِ الأَكْبَرِ** ﴾ قال الصادق عليه السلام العذاب الأدنى عذاب الرجعة والعذاب الأكبر عذاب يوم القيامة الذي ﴿ **تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّماواتُ وَبَرَزُوا للهِ الواحِدِ القَهَّارِ** ﴾ قال المفضل يا مولاي نحن نعلم أنكم اختيار الله في قوله تعالى ﴿ **نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ** ﴾وقوله ﴿ **اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ** ﴾ وقوله ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى**

العالمين ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ قال الصادق عليه السلام يا مفضل فأين نحن في هذه الآية قال المفضل فوالله ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** وقوله **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ وقوله عن إبراهيم ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** ﴾وقد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ما عبدا صنما ولا وثنا ولا أشركا بالله طرفة عين وقوله ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ والعهد عهد الإمامة لا يناله ظالم قال يا مفضل وما علمك بأن الظالم لا ينال عهد الإمامة قال المفضل يا مولاي لا تمتحني بما لا طاقة لي به ولا تختبرني ولا تبتلني فمن علمكم علمت ومن فضل الله عليكم أخذت قال الصادق عليه السلام صدقت يا مفضل ولو لا اعترافك بنعمة الله عليك في ذلك لما كنت هكذا فأين يا مفضل الآيات من القرآن في أن الكافر ظالم قال نعم يا مولاي قوله تعالى ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ومن كفر وفسق وظلم لا يجعله الله للناس إماما قال الصادق عليه السلام أحسنت يا مفضل فمن أين قلت برجعتنا ومقصرة شيعتنا تقول معنى الرجعة أن يرد الله إلينا ملك الدنيا وأن يجعله للمهدي ويحهم متى سلبنا الملك حتى يرد علينا قال المفضل لا والله وما سلبتموه ولا تسلبونه لأنه ملك النبوة والرسالة والوصية والإمامة قال الصادق عليه السلام يا مفضل لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكوا في فضلنا أما سمعوا قوله عزوجل ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾والله يا مفضل إن تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل وتأويلها فينا وإن فرعون وهامان تيم وعدي قال المفضل يا مولاي فالمتعة قال المتعة حلال طلقو الشاهد بها قول الله عزوجل ﴿ **وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ**

سِراً إلا أنْ تَقُولوا قَوْلَا معْرُوفاً ﴾ أي مشهودا والقول المعروف هو المشتهر بالولي والشهود وإنما احتيج إلى الولي والشهود في النكاح ليثبت النسل ويصح النسب ويستحق الميراث وقوله ﴿ **وَآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحلَةً فَإِنْ طِبْنَ لكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً** ﴾وجعل الطلاق في النساء المزوجات غير جائز إلا بشاهدين ذوي عدل من المسلمين وقال في سائر الشهادات على الدماء والفروج والأموال والأملاك ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ** ﴾ وبين الطلاق عز ذكره فقال ﴿ **يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طَلَقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ** ﴾ولوكانت المطلقة تبين بثلاث تطليقات تجمعها كلمة واحدة أو أكثر منها أو أقل لما قال الله تعالى ﴿ **وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ** ﴾ إلى قوله ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لعَلَ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أَمْراً فَإذا بَلَغْنَ أَجلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهادَةَ للهِ ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ** ﴾وقوله ﴿ **لا تَدْرِي لعَلَ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أَمْراً** ﴾ هو نكر يقع بين الزوج وزوجته فيطلق التطليقة الأولى بشهادة ذوي عدل وحد وقت التطليق هو آخر القروء والقرء هو الحيض والطلاق يجب عند آخر نقطة بيضاء تنزل بعد الصفرة والحمرة وإلى التطليقة الثانية والثالثة ما يحدث الله بينهما عطفا أو زوال ما كرهاه وهو قوله ﴿ **وَالمُطَلَقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحامِهِنَّ إنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلكَ إنْ أَرادُوا إصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَللرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ هذا لقوله في أن للبعولة مراجعة النساء من تطليقة إلى تطليقة إن أرادوا إصلاحا وللنساء مراجعة الرجال في مثل ذلك ثم بين

تبارك وتعالى فقال ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ** ﴾ وفي الثالثة فإن طلق الثالثة بانت فهو قوله ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ** ﴾ ثم يكون كسائر الخطاب لها والمتعة التي أحلها الله في كتابه وأطلقها الرسول عن الله لسائر المسلمين فهي قوله عزوجل ﴿ **وَالْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾والفرق بين المزوجة والمتعة أن للزوجة صداقا وللمتعة أجرة فتمتع سائر المسلمين على عهد رسول الله ﷺ في الحج وغيره وأيام أبي بكر وأربع سنين في أيام عمر حتى دخل على أخته عفرا فوجد في حجرها طفلا يرضع من ثديها فنظر إلى درة اللبن في فم الطفل فأغضب وأرعد واربد وأخذ الطفل على يده وخرج حتى أتى المسجد ورقى المنبر وقال نادوا في الناس أن الصلاة جامعة وكان غير وقت صلاة يعلم الناس أنه لأمر يريده عمر فحضروا فقال معاشر الناس من المهاجرين والأنصار وأولاد قحطان من منكم يحب أن يرى المحرمات عليه من النساء ولها مثل هذا الطفل قد خرج من أحشائها وهو يرضع على ثديها وهي غير متبعلة فقال بعض القوم ما نحب هذا فقال ألستم تعلمون أن أختي عفرا بنت خيثمة أمي وأبي الخطاب غير متبعلة قالوا بلى قال فإني دخلت عليها في هذه الساعة فوجدت هذا الطفل في حجرها فناشدتها أنى لك هذا فقالت تمتعت فأعلموا سائر الناس أن هذه المتعة التي كانت حلالا للمسلمين في عهد رسول الله ﷺ قد رأيت تحريمها فمن أبى ضربت جنبيه بالسوط فلم يكن في القوم منكر قوله ولا راد عليه ولا قائل لا يأتي رسول بعد رسول الله أو كتاب بعد كتاب الله لا نقبل خلافك على

الله وعلى رسوله وكتابه بل سلموا ورضوا قال المفضل يا مولاي فما شرائط المتعة قال يا مفضل لها سبعون شرطا من خالف فيها شرطا واحدا ظَلَمَ نَفْسَهُ قال قلت يا سيدي قد أمرتمونا أن لا نتمتع ببغية ولا مشهورة بفساد ولا مجنونة وأن ندع والمتعة إلى الفاحشة فإن أجابت فقد حرم الاستمتاع بها وأن نسأل أفارغة أم مشغولة ببعل أو حمل أو بعده فإن شغلت بواحدة من الثلاث فلا تحل وإن خلت فيقول لها متعيني نفسك على كتاب الله عزوجل وسنة نبيه ﷺ نكاحا غير سفاح أجلا معلوما بأجرة معلومة وهي ساعة أو يوم أو يومان أو شهر أو سنة أو ما دون ذلك أو أكثر والأجرة ما تراضيا عليه من حلقة خاتم أو شسع نعل أو شق تمرة إلى فوق ذلك من الدراهم والدنانير أو عرض ترضى به فإن وهبت له حل له كالصداق الموهوب من النساء المزوجات الذين قال الله تعالى فيهن ﴿ **فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً** ﴾ ثم يقول لها على ألا ترثيني ولا أرثك وعلى أن الماء لي أضعه منك حيث أشاء وعليك الاستبراء خمسة وأربعين يوما أو محيضا واحدا فإذا قالت نعم أعدت القول ثانية وعقدت النكاح فإن أحببت وأحبت هي الاستزادة في الأجل زدتما وفيه ما رويناه فإن كانت تفعل فعليها ما تولت من الإخبار عن نفسها ولا جناح عليك وقول أمير المؤمنين عليه السلام لعن الله ابن الخطاب فلولاه ما زنى إلا شقي أو شقية لأنه كان يكون للمسلمين غناء في المتعة عن الزنا ثم تلا ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾ ثم قال إن من عزل بنطفته عن زوجته فدية النطفة عشرة دنانير كفارة وإن من شرط المتعة أن ماء الرجل يضعه حيث يشاء من المتمتع بها فإذا وضعه في الرحم فخلق منه ولد كان لاحقا بأبيه ثم يقوم جدي علي

بن الحسين وأبي الباقر عليهما السلام فيشكوان إلى جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل بهما ثم أقوم أنا فأشك وإلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل المنصور بي ثم يقوم ابني موسى فيشك وإلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به الرشيد ثم يقوم علي بن موسى فيشك وإلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المأمون ثم يقوم محمد بن علي فيشك وإلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المأمون ثم يقوم علي بن محمد فيشك وإلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المتوكل ثم يقوم الحسن بن علي فيشك وإلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المعتز ثم يقوم المهدي سمي جدي رسول الله وعليه قميص رسول الله مضرجا بدم رسول الله يوم شج جبينه وكسرت رباعيته والملائكة تحفه حتى يقف بين يدي جده رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول يا جداه وصفتني ودللت علي ونسبتني وسميتني وكنيتني فجحدتني الأمة وتمردت وقالت ما ولد ولا كان وأين هو ومتى كانو أين يكون وقد مات ولم يعقب ولو كان صحيحا ما أخره الله تعالى إلى هذا الوقت المعلوم فصبرت محتسبا وقد أذن الله لي فيها بإذنه يا جداه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿**الحَمْدُ للهِ الذي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ**﴾ ويقول ﴿**جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ**﴾ وحق قول الله سبحانه وتعالى ﴿**هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ**﴾ ويقرأ ﴿**إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً**﴾ فقال المفضل يا مولاي أي ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال الصادق عليه السلام يا مفضل إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال اللهم حملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدم منها وما تأخر إلى يوم القيامة ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا فحمله الله إياها وغفر جميعها قال المفضل فبكيت

بكاء طويلا وقلت يا سيدي هذا بفضل الله علينا فيكم قال الصادق عليه السلام يا مفضل ما هو إلا أنت وأمثالك بلى يا مفضل لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنا فيتكلون على هذا الفضل ويتركون العمل فلا يغني عنهم من الله شيئا لأنا كما قال الله تبارك وتعالى فينا ﴿**لا يَشْفَعُونَ إلا لمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ قال المفضل يا مولاي فقوله ﴿**ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدين كله قال يا مفضل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدين كله ما كانت مجوسية ولا يهودية ولا صابئية ولا نصرانيةولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان ولا اللات والعزى ولا عبدة الشمس والقمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة وإنما قوله لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ في هذا اليوم وهذا المهدي وهذه الرجعةوهو قوله ﴿**وَقاتِلوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله**﴾ فقال المفضل أشهد أنكم من علم الله علمتم وبسلطانه وبقدرته قدرتم وبحكمه نطقتم وبأمره تعملون ثم قال الصادق عليه السلامثم يعود المهدي عليه السلام إلى الكوفة وتمطر السماء بها جرادا من ذهب كما أمطره الله في بني إسرائيل على أيوب ويقسم على أصحابه كنوز الأرض من تبرها ولجينها وجوهرها قال المفضل يا مولاي من مات من شيعتكم وعليه دين لإخوانه ولأضداده كيف يكون قال الصادق عليه السلام أول ما يبتدئ المهدي عليه السلام أن ينادي في جميع العالم ألا من له عند أحد من شيعتنا دين فليذكره حتى يرد الثومة والخردلة فضلا عن ﴿**القَناطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ**﴾والأملاك في وفيه إياه قال المفضل يا مولاي ثم ما ذا يكون قال يأتي القائم عليه السلام بعد أن يطأ شرق الأرض وغربها الكوفة ومسجدها ويهدم المسجد الذي بناه يزيد بن معاوية لعنه الله لما قتل الحسين بن علي عليه السلام وهو مسجد ليس لله ملعون ملعون من بناه قال المفضل يا مولاي

فكم تكون مدة ملكه عليه السلام فقال الله عزوجل ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ والمجذوذ المقطوع أي عطاء غير مقطوع عنهم بل هو دائم أبدا وملك لا ينفد وحكم لا ينقطع وأمر لا يبطل إلا باختيار الله ومشيته وإرادته التي لا يعلمها إلا هو ثم القيامة وما وصفه الله عزوجل في كتابه وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا)[1] .

قال المجلسي رضوان الله عليه في البحار بعدما ذكر الخبر وروى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا حدثني الأخ الرشيد محمد بن إبراهيم بن محسن الطارآبادي أنه وجد بخط أبيه الرجل الصالح إبراهيم بن محسن هذا الحديث الآتي ذكره وأراني خطه وكتبته منه وصورته الحسين بن حمدان وساق الحديث كما مر إلى قوله لكأني أنظر إليهم على البراذين الشهب بأيديهم الحراب يتعاوون شوقا إلى الحرب كما تتعاوى الذئاب أميرهم رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيقبل الحسين عليه السلام فيهم وجهه كدائرة القمر يروع الناس جمالا فيبقى على أثر الظلمة فيأخذ سيفه الصغير والكبير والعظيم والوضيع ثم يسير بتلك الرايات كلها حتى يرد الكوفة وقد جمع بها أكثر أهل الأرض يجعلها له معقلا ثم يتصل به وبأصحابه خبر المهدي فيقولون له يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا فيقول الحسين عليه السلام اخرجوا بنا إليه حتى تنظروا من هو وما يريدوه ويعلم والله أنه المهدي عليه السلام وإنه ليعرفه وإنه لم يرد بذلك الأمر إلا الله فيخرج الحسين عليه السلام وبين يديه أربعة آلاف رجل في أعناقهم المصاحف وعليهم المسوح مقلدين بسيوفهم فيقبل الحسين عليه السلام حتى ينزل بقرب

(١) بحار الأنوار ٥٣/ ١-٣٥

المهدي عليه السلام فيقول سائلوا عن هذا الرجل من هو وما ذا يريد فيخرج بعض أصحاب الحسين عليه السلام إلى عسكر المهدي عليه السلام فيقول أيها العسكر الجائل من أنتم حياكم الله ومن صاحبكم هذا وما ذا يريد فيقول أصحاب المهدي عليه السلام هذا مهدي آل محمد عليه السلام ونحن أنصاره من الجن والإنس والملائكة ثم يقول الحسين عليه السلام خلوا بيني وبين هذا فيخرج إليه المهدي عليه السلام فيقفان بين العسكرين فيقول الحسين عليه السلام إن كنت مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله فأين هراوة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل وعمامته السحاب وفرسه وناقته العضباء وبغلته دلدل وحماره يعفور ونجيبه البراق وتاجه والمصحف الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير تغيير ولا تبديل فيحضر له السفط الذي فيه جميع ما طلبه وقال أبو عبدالله عليه السلام إنه كان كله في السفط وتركات جميع النبيين حتى عصا آدم ونوح عليه السلام وتركة هود وصالح عليه السلام ومجموع إبراهيم عوصاع يوسف عليه السلام ومكيال شعيب عليه السلام وميزان هو عصى موسى عليه السلام وتابوته الذي فيه بقية ﴿ **مَا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ** ﴾ ودرع داود عليه السلام وخاتمه وخاتم سليمان عليه السلام وتاجه ورحل عيسى عليه السلام وميراث النبيين والمرسلين في ذلك السفط وعند ذلك يقول الحسين عليه السلام يا ابن رسول الله أسألك أن تغرس هراوة رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصلد وتسأل الله أن ينبتها فيه ولا يريد بذلك إلا أن يري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يطيع وهو يبايع وهو يأخذ المهدي عليه السلام الهراوة فيغرسها فتنبت فتعلو وتفرع وتورق حتى تظل عسكر الحسين عليه السلام فيقول الحسين عليه السلام الله أكبر يا ابن رسول الله مد يدك حتى أبايعك فيبايعه الحسين عليه السلام وسائر عسكره إلا الأربعة آلاف من أصحاب المصاحف والمسوح الشعر المعروفون بالزيدية فإنهم يقولون ما هذا إلا سحر عظيم أقول ثم ساق الحديث إلى قوله إن أنصفتم من أنفسكم وأنصفتموه نحوا مما مر ولم يذكر بعده شيئا)[1] .

(١) بحار الأنوار ٥٣ / ٦ – ٣٩

وبالجملة الأخبار في كون الرجعة كثيرة ولقد رأيت نحو من مائتين رواية تدل على الرجعة وقد بلغت الروايات حد التواتر بل كاد أن يكون ضروريا ولقد صنف العلماء رضوان الله عليهم أجمعين كتبا كثيرة في إثبات الرجعة وصحتها .

قال المجلسي رضوان الله عليه بعد ذكر أخبار الرجعة اعلم يا أخي لا أظنك ترتاب بعدما مهدت وأوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار حتى نظموها في أشعارهم واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم وشنع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم منهم الرازي والنيشابوري وغيرهما وقد مر كلام ابن أبي الحديد حيث أوضح مذهب الإمامية في ذلك ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيرا من كلماتهم في ذلك وكيف يشك مؤمن بحقيقة الأئمة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب عن مأتى حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقاة العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الإسلام الكليني والصدوق محمد بن بابويه والشيخ أبي جعفر الطوسي والسيد المرتضى والنجاشي والكشي والعياشي وعلي بن إبراهيم وسليم الهلالي والشيخ المفيد والكراجكي والنعماني والصفار وسعد بن عبدالله وابن قولويه وعلي بن عبدالحميد والسيد علي بن طاووس وولده صاحب كتاب زوائد الفوائد ومحمد بن علي بن إبراهيم وفرات بن إبراهيم ومؤلف كتاب التنزيل والتحريف وأبي الفضل الطبرسي وأبي طالب الطبرسي وإبراهيم بن محمد الثقفي ومحمد بن العباس بن مروان والبرقي وابن شهراشوب والحسن بن سليمان والقطب الراوندي والعلامة الحلي والسيد

بهاء الدين علي بن عبدالكريم وأحمد بن داود بن سعيد والحسن بن علي ابن أبي حمزة والفضل بن شاذان والشيخ الشهيد محمد بن مكي والحسين ابن حمدان والحسن بن محمد بن جمهور العمى مؤلف كتاب الواحدة والحسن بن محبوب وجعفر بن محمد بن مالك الكوفي وطهر بن عبدالله وشاذان بن جبرئيل صاحب كتاب الفضائل ومؤلف الكتاب العتيق ومؤلف كتاب الخطب وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلفه على التعيين ولذ لم ننسب الأخبار إليهم وإن كان بعضها موجودا فيها وإذا لم يكن مثل هذا متواترا ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفا عن سلف ، وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك بين المؤمنين فيحتار في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليها عقول المستضعفين من استبعادات المتفلسفين وتشكيكات الملحدين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون .

أقول : قد وجدنا كثيرا من الكتب المذكورة ونقلنا عنها فيما تقدم ولم أجد قائلا من الشيعة بعدم الرجعة أي عدم رجعة الأموات عند ظهور القائم عجل الله فرجه ، وأما شيخنا المفيد فهو ذهب إلى عدم رجوع الأئمة وإلا فهو قائل برجوع الأموات وما ذهب إليه فهو بعيد جدا لتواتر الأخبار في هذا الباب وظني أن ذلك صدر منه تقية وإلا فهو أجل من ذلك ، كذلك المرتضى رضي الله عنهما على ما نسب إليه بعض الأصحاب .

وبالجملة فرجوع الأموات عند قيام القائم ورجوع الأئمة عليهم السلام والنبي ﷺ مما لا شك فيه لأن طريقنا في إثبات هذا المقصود ليس هو الأخبار الآحاد بل ذلك حصل لنا بالإجماع والأخبار المتواترة ، ولنذكر شبهات بعض المخالفين واستدلالهم على عدم صحة القول بالرجعة فإنهم أرادوا ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نور ولو كره الكافرون .

فمن ذلك قالوا أن القول بالرجعة ينافي ثبوت التكليف لأن من يرجع إلى الدنيا فهو راجع إلى دار التكليف فإن قلتم بتكليفه ثانية بعد انقطاع التكليف عنه قلنا الأصل براءة ذمته من أصل التكليف وإنما ثبت قبل الموت بأخبار من شهدت له المعاجز من الله تعالى الظاهرة بالتصديق ولا يثبت بعد ارتفاعه بالاتفاق إلا بمثل ذلك وقد أجمع المسلمون على أن محمدا ﷺ خاتم النبيين فلا نبي بعده ، وإن قلتم أنه ليس بمكلف فقد نقضتم قولكم بأنه يرجع لإقامة الدين والجهاد في سبيل الله حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وإن قلتم الرجوع للجزاء فهو خلاف الإجماع فإن الجزاء هو في يوم القيامة يوم الدين إجماعا فلا يصح القول بالرجعة .

والجواب على ما أجاب شيخنا وأستاذنا قدس الله روحه ونور ضريحه في رسالة الرجعة أن العلة الموجبة للتكليف في الدنيا موجودة بعينها في الأولى التي هي الرجعة لأن الدنيا والأولى التي هي الرجعة هي دار المتاع والاستعداد للمعاد يوم القيامة وذلك ظاهر لمن عرف علة تركيب الأجسام من العناصر المختلفة المتضادة والأعراض المتغيرة الموجبة لعدم البقاء الدالة على إرادة الاختيار بذلك التغيير ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وانقطاع التكليف في دار الدنيا لا يدل على عدمه بعدها لجواز أن يكون انقطاعه إلى أجل محدود لسبق علم الله برجوعه فهو مكتوب في اللوح المحفوظ لأنه هو مقتضى كونه في دار التكليف وهذا الكون فرع التركيب من العناصر والأعراض المتغيرة ، والتكليف إنما هو لتعديل أحوال نظام المكلف المختلفة لاختلاف التركيب والأعراض الذي هو المتاع لسفر الآخرة التي هي دار الجزاء ، وما ذكرنا هو الأصل الأول فيستصحب بقاءه لشغل الذمة به للعلة المذكورة ، ولو سلمنا توقفه على إخبار من شهدت له المعاجز فهو موجود

مستكمل لجميع الشرائط ما خلا النبوة لما قررنا في المسألة الأولى في ذكر الحافظ واشترطنا فيه جميع شرائط التلقي والأداء والتبليغ بشهادة الأخبار والإجماع والمعاجز الباهرة التي يأتى بها لمعاجز النبي ﷺ والرجعة عندنا دار التكليف لا دار جزاء .

فإن قلت أنكم ترون أن الحسين عليه السلام في الرجعة هو الذي يحاسب الخلق عن أمر رسول الله ﷺ عن الله تعالى وأن ما في الآخرة فإنما هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار وهذا ينافي نص القرآن والسنة والإجماع على أن الجزاء إنما هو في الآخرة .

قلت قد ثبت عقلا ونقلا ووجدانا أن الجزاء أو قاته مختلفة باختلاف مراتب أسبابه ومسبباته فمنه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في البرزخ ومنه ما يكون في الآخرة وما ينتسب في الرواية المشار إليها إلى الحسين عليه السلام إلى الحساب من الحساب والمجازاة فهو فيما يتعلق بالرجعة سواء جعلتها من الدنيا أم من البرزخ وما أشرت إليه هو ما يكون وقته يوم القيامة فبطل بما ذكرنا دليل النفي انتهى ، وهذا جواب حلي .

وأما الجواب النقضي فنقول أن الذين ماتوا من الأمم السابقة ثم رجعوا إلى الدنيا بعد مماتهم كما سنذكر إنشاء الله هل سقط عنهم التكليف أم لا ؟ لا سبيل إلى الثاني لاتفاق الجميع على أنهم كانوا مكلفين فإذا صح تكليفهم فنورد عليهم ما أوردتم علينا .

والجواب : الجواب لا يقال أن النبوة لم تكن منقطعة في تلك الأزمان فيجوز أن يكونوا مكلفين بالشريعة الناسخة لشريعتهم التي كانوا يتعبدون بها وماتوا في زمان عدم نسخ شريعتهم ورجعوا بعد النسخ ، لأنا نقول أن علة التكليف كما زعمتم وجود المكلف في زمان التكليف فإذا انقضى أجله زال

عنه والإنسان لا يكلف مرة بعد أخرى لأنه لا يبقى في الدنيا إلا بقدر ما قدر الله له من البقاء في دار الفنا فإذا مات انقضى أجله المقدر وما انقضى أجله المقدر لا يعود في دار الدنيا فما جوابكم عن هذا فهو جوابنا لكم ، ثم إن من المعلوم أن الذين ماتوا في زمان موسى رجعوا في زمانه من دون وقوع نسخ في شريعته فلا يجوز قولكم فيجوز أن يكونوا مكلفين بالشريعة الناسخة إلخ .

ومن ذلك قولهم يلزم من القول بالرجعة قول بالتناسخ والقول بالتناسخ كفر وذلك لأنهم يرجعون على هذه الحالة بالدنيا وأجسادهم قد فنيت في قبورهم ولم يبقى عنهم إلا الطينة الأصلية وهي لطيفة مثل عالم الآخرة فإذا رجعوا في الدنيا رجعوا في غيرها وهو قول بالتناسخ ، وإن قلتم يرجعون فيها لزم أنهم يكونون على غير حالهم في الدنيا فلا يكون بينهم وبين الموجودين في ذلك الزمان مجانسة ولا مؤانسة ولا يتم ما تدعون إلا بالمجانسة والمؤانسة ويلزم عنها التناسخ .

والجواب على ما أفاد شيخنا قدس سره إنما يلزم القول بالتناسخ لو قلنا أن الأرواح ترجع في غير أجسادها وأما إذا كانت ترجع في أجسادها فأين التناسخ بل هو كما تقولون به يوم القيامة ، وقولكم في أنه لم يبق في قبورهم إلا الطينة الأصلية . . إلخ ، هو جوابنا لكم في الرجعة وفي الدنيا لأن الطينة الأصلية تلبس في كل عالم من أعراض مكانه ووقته فيمزجها في كل عالم ما هو منه ففي الدنيا بما فيها من التكاليف وما في البرزخ بما فيه من الأمور البرزخية وفي الآخرة بما فيها من اللطائف وعلى ما بينا يرجعون على حال أهل الرجعة وتحصيل المجانسة والمؤانسة ولا يلزم منه القول بالتناسخ وإلا لزم القول به في الدنيا إذ لافرق بينهما انتهى .

ولقد أجاد فيما أفاد ولعمري هذا الجواب يكون جوابا لجميع الشبهات بأسرها لأن الطينة الأصلية التي هي مدار التكليف تختلف تكاليفها باختلاف أعراضها ، ولو لحقتها التي نسميها بالصور وبالعناصر المتغيرة المتبدلة وستعرف ذلك سريعا في مسألة المعاد ، فهذه الطينة باعتبار عوارضها الدنيوية مكلفة بالتكاليف الظاهرية الشرعية وباعتبار عوارضها الرجعية البرزخية مكلفة بالتكاليف الباطنية الشرعية فهذه التكاليف الظاهرية قشور وأعراض التكاليف الباطنية ولا يخالف الباطن هذا لظاهر المعروف إلا ببعض الموارد من حيث الظاهرية والباطنية ، مثلا إن الحكم الظاهري ربما يصدر عن المعصوم من باب التقية وهو خلاف الواقع ولا كذلك في الرجعة ، وبالجملة لما كانت العوارض الرجعية لازمة للطينة الأصلية غير منفكة عنها كما أن الأعراض الدنيوية لا تنفك عنها ما دام كونها في الدنيا وجب تكليفها بالتكاليف الباطنية الشرعية فيجب القول بالرجعة للقيام بالتكاليف ولا يلزم من ذلك التناسخ ولا تنافي التكليف ولا سائر الشبة الآتية .

ومن ذلك قالوا أنهم ما ماتوا في الدنيا إلا بعد فناء آجالهم وأرزاقهم لأنهم قبل فناء آجالهم وأرزاقهم لا يموتون بل كما قال تعالى ﴿ **أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾[1] فيستحيل رجوعهم بغير آجال ولا أرزاق .

والجواب : ظاهر مما قدمنا من كلام الشيخ أعلى الله مقامه لجواز أن يكون انقطاعه إلى أجل محدود لسبق علم الله برجوعه فهو مكتوب في اللوح المحفوظ فإذا رجع رجع لينال رزقه ونصيبه الباقي وليؤدي ما فرض الله عليه وليقضي أجله المكتوب في اللوح المحفوظ كما كان لمن مات من الأمم السالفة ثم رجع .

(١) الأعراف ٣٧

ومن ذلك قالوا لو رجعوا إلى الدنيا جاز أن يتوب يزيد والشمر وعبدالرحمن بن ملجم وأضرابهم وإذا تابوا وجب قبول توبتهم فيصيروا إلى طاعة الإمام فيجب عليكم أن تتولوهم فإذا جاز ذلك لم يجز لكم الآن في هذه الدنيا لعنهم والبراءة منهم لجواز أن يصيروا إلى أهل ولايتكم ، فإن قلتم أنهم يئسوا من قبول التوبة فلا يحتمل فيهم ، قلنا أن دواعي معاصيهم قد ارتفعت ولا سيما مع علمهم بما سلف من تعذيبهم إلى وقت الرجعة .

والجواب : ما أفاده المفيد أعلى الله مقامه قال فأقول أن الثاني من هذا السؤال جوابين ، أحدهما أن العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممن ذكره السائل لأنه يكون إذ ذاك قادرا عليه ومتمكنا منه لكن السمع الوارد عن أئمة الهدى عليهم السلام بالقطع عليهم بالخلود في النار والتدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك في حالهم وأوجب القطع على سوء اختيارهم فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون ومجرى من قطع الله عز وجل على خلوده في النار ودل القطع على أنهم لا يختارون الإيمان أبدا ممن قال الله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[1] يريد إلا أن يلجئهم الله والذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾[2] ثم قال عز وجل قائلا في تفصيلهم وهو يوجه القول إلى إبليس ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** ﴾[5] فقطع بالنار عليه وآمن من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما توهمتموه .

(١) الأنعام ١١١

(٢) الأنفال ٢٢ / ٢٣

(٣) ص٨٥

(٤) ص٨٧

(٥) المسد ١ - ٣

هذا جواب والجواب الآخر أن الله سبحانه إذا رد الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة وجروا في ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق ﴿ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] قال الله سبحانه له ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2] فرد الله عليه إيمانه ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه ، وكأهل الآخرة لا يقبل الله لهم توبة ولا ينفعهم ندم لأنهم كالملجئين لأنهم إذ ذاك إلى الفعل ولأن الحكمة تمنع من قبول التوبة أبدا ويوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب أهل الإمامة وقد جاءت به آثار متظافرة من آل محمد عليهم السلام ، فروي عنهم في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾[3] فقالوا (إن هذه الآية هو القائم عليه السلام فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف ولو تاب لم تكن توبته عن صدق) وليس حالهم في الرجعة وجواز التوبة وذهاب أسباب العناد والنفاق ومعاينة العذاب والندم على ما فعلوا بأشد منهم يوم القيامة ، وقد أخبر الله سبحانه بأنهم يكذبون فيما يدعون من التوبة في قوله عز وجل ﴿ وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] فكذبهم الله العليم بأحوال خلقه وبما هم صائرون إليه فقال ﴿ بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ﴾[5] .

---

(١) يونس ٩٠
(٢) يونس ٩١
(٣) الأنعام ١٥٨
(٤) الأنعام ٢٧
(٥) الأنعام ٢٨

لا يقال أن أهل القيامة إنما لم تقبل توبتهم لأنهم في دار ليس فيها تكليف بخلاف الرجعة فيقبل منهم ما لا يقبل من أهل الآخرة لأن الله قد حكم في كتابه بتعذيبهم وتخليدهم في النار على جهة الحتم والبت فقال تعالى ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** ﴾[1] وهو عز وجل يعلم أنه يمكن في حقهم إيقاع التوبة ولكنه حكم بعد قبولها ممن قتل متعمدا لأجل إيمانه والله سبحانه يحكم ولا معقب الحكم ، وبالجملة فإن يتوبوا في الرجعة لا تقبل توبتهم لقوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ** ﴾[2] الآية .

ومن ذلك أن الرجعة لو كانت حقا لوجب ذكرها في شروط الإسلام مع أن المذكور في شرائط الإسلام إنما هو الإيمان بالله ورسله وكتبه ويوم الآخر وهو يوم القيامة .

والجواب أن الرجعة ليست من شرائط الإسلام بل هي من شرائط الإيمان والفرق بين الإسلام والإيمان ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

ومن ذلك أن قولكم بالرجعة من غير دليل يعتمد عليه لأن ما تستدلون به أخبار آحاد ضعيفة في أسانيدها وفي دلالتها أما في أسانيدها فظاهر لم يروها أحد من الصحابة المعتمدين وإلا لروته العلماء في صحاحهم ، وأما في دلالتها فعلى تسليم قبولها من جهة الورود فليست صريحة في الدلالة بل يحتمل وأن المراد برجوع الدولة عند قيام القائم الموعود به في آخر الزمان ، ونحن نقول به كما ورد في الصحاح قوله (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي اسمه كاسمي وأسم أبيه كاسم أبي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا) .

---

(١) النساء ٩٣

(٢) غافر ٨٤

والجواب على ما أجاب السيد مرتضى أعلى الله مقامه في أجوبة المسائل التي وردت عليه من بلدة الري ، قال اعلم أن الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم فاليتأذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله دلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهب إليه مما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور الله سبحانه غير مستحيل في نفسه فإنا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الأمامية على وقوعها فإنهم لا يختلفون في ذلك وإجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا أنه حجة لدخول قول الإمام عليه السلام فيه وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بد فيه من كونه صوابا ، وقد بينا أن الرجعة لا تنافي التكليف وأن الدواعي مترددة معها حيث لا يظن ظان أن تكليف من يعاد باطل وذكرنا أن التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرات والآيات القاهرات فكذلك مع الرجعة لأنه ليس في جميع ذلك ملجأ إلى فعل الواجب والامتناع من فعل القبيح ، فأما من تأول الرجعة في أصحابنا على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات فإن قوما من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرجعة وبيان جوازها وأنها تنافي التكليف عوّلوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة وهذا منهم غير صحيح لأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيطرق التأويلات عليها فكيف يثبت على ما هو مقطوع على صحته بالأخبار الآحاد التي لا توجب العلم وإنما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الأمامية على معناها بأن الله تعالى يحيي أمواتا عند قيام القائم عليه السلام من أوليائه وأعدائه على ما بيّناه فكيف يطرق التأويل على ما هو معلوم فالمعنى غير محتمل انتهى .

وبالجملة فطريقنا على إثباتها الإجماع والتواتر القطعي لأن هذه الأخبار الواردة في هذا الكتاب كلها متواترة معنى ومطابقة لكتاب الله العزيز ، ولقد قال رسول الله ﷺ على ما ذكره الموافق والمخالف اتفقوا على صحة وروده وهو ما قال رسول الله ﷺ في تفسير قوله تعالى ﴿ **لتركبن طبقا على طبق** ﴾ (كلما كانت في الأمم الماضية والقرون السالفة تكون في أمتي حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى أنهم لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) ، ولما ثبت بنص الكتاب واتفاق أهل السير بأن الله سبحانه أحيى من الأمم السالفة بعد مماتهم وهم ألوف وأحيى من قوم موسى سبعين رجلا بعد ما ماتوا وجب أن يحي أقواما في هذه الأمة بعد ما أماتهم وإلا يلزم الكذب على الله وعلى النبي والقول بذلك كفر وزندقة ، فثبت وجوب رجوع قوم ماتوا بعد مماتهم في الدنيا وقد أجمع الشيعة وتواترت الأخبار على أن ذلك يكون عند ظهور الحجة عليه السلام فيجب القول به .

ومن ذلك أنه صلوات الله عليه قال (من مات فقد قامت قيامته) فلو رجع إلى الدنيا لم تقم قيامته وإلا لما رجع إلى الدنيا .

والجواب أن من مات فقد عرفة ما هو صادر إليه وعلم ما هو وارد عليه لانكشاف الغطاء عن بصره ولما انكشف الغطاء عن بصره كان حاله في مشاهدة العيان كحال من كان في يوم القيامة لأنه في يوم القيامة يكشف الغطاء عنه كما قال عز وجل ﴿ **فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾[1] فبهذا الاعتبار كان الميت إذا مات كالذي يكون في يوم القيامة من مشاهدة الخير والشر والحسنات والسيئات وليس المراد من قوله ﷺ (من مات فقد قامت قيامته) أنه قامت قيامته فيحاسب عند ذلك ويدخل الجنة أو النار في الحقيقة فإن ذلك باطل بالاتفاق فافهم .

(١) ق ٢٢

ومن ذلك أن يوم موت الإنسان أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا فلو رجع لكان يوم موته ليس أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا .

والجواب يظهر مما قلنا في بيان قوله ﷺ (من مات فقد قامت قيامته) فلا نعيد .

وبالجملة فالقول بالرجعة من ضروريات مذهب الإمامية ولا يشك فيه أحد ولكن بقى الكلام في رجوع النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام فقد أنكر شذاذا من الإمامية ، ومرجعنا في إثبات ذلك الأخبار المتواترة معنى بل وندعي الإجماع أيضا على رجوعهم صلى الله عليه أجمعين وليس خروج بعض الشذاذ قادحا في الإجماع على أنا نقول ربما صدر الإنكار عنهم من باب التقية وهم عن الإنكار براء .

وبالجملة أن النبي والأئمة عليهم السلام يرجعون إلى الدنيا ويعيشون فيها ما شاء الله ولقد عرفت بيان رجوعهم في الجملة فيما ذكرنا في حديث المفضل ولم أظفر على رواية صريحة نبين ترتيب رجوعهم والروايات مختلفة في هذا الباب فنطوي عن ذكرها كشحاً لكن نذكر رواية في كيفية قتل إبليس لعنه الله وأتباعه وإن قلنا سابقا أنا نكتفي ذكر أخبار الرجعة بذكر حديث المفضل لكن لما لم يكن فيه ذكر كيفية قتل إبليس وما يكون بعد ذلك أحببت أن أذكر هذه الرواية .

في منتخب البصاير عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول (إن إبليس قال ﴿ **أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ فأبى الله ذلك عليه قال ﴿ **فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** ﴾ فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين عليه السلام فقلت وإنها لكرات قال

نعم إنها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتى يديل الله المؤمن من الكافر فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أميرالمؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال له الروحا قريب من كوفتكم فيقتتلون قتالا لم يقتتل مثله منذ خلق الله عزوجل العالمين فكأني أنظر إلى أصحاب على أميرالمؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عزوجل ﴿ **فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ** ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه بيده حربة من نور فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصا على عقبيه فيقولون له أصحابه أين تريد وقد ظفرت فيقول ﴿ **إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ** ﴾ فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئا ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعا وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكرا وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله)[1] .

أقول : قيل (هبوط الجبار) كناية من نزول آيات عذابه .

وقوله عليه السلام (وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان) .

قال شيخنا عطر الله رمسه الجنتان المدهامتان من جنات الدنيا وهي مأوى أرواح المؤمنين ولهذا قال تعالى بعد أن ذكر جنان في الآخرة فقال ﴿ **وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ذَواتا أَفْنانٍ** ﴾[2] قال ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فقوله ومن دونهما أي من دون الجنتين الأوليتين والمراد بالدون القرب أو الضعف أي ولمن خاف مقام ربه

(١) بحار الأنوار ٥٣ / ٤٣

(٢) الرحمن ٤٦ - ٤٨

جنتان في الآخرة وصفهما كما ذكر تعالى وله من دونهما أقرب منهما وأقل منهما في الشرف فالدون يفيد القرب أي من قبلهما جنتان في البرزخ والقلة أي أقل من جنتي الخلد ونظيره ما في الحديث القدسي قال تعالى لداود (لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فأولئك قطاع طريق عبادي المريدين إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)[1] فأدنى يفيد المعنيين أي أقل ما أنا صانع بهم أو أول ما أنا صانع بهم وأقرب فإن قلت أن المفسرين نصوا على أن الجنتين المدهامتين لأصحاب اليمين يوم القيامة وأن الجنتين ذواتي أفنان للمقربين قلت كلامهم على الحرف الظاهر ونحن إنما قلنا بذلك لما ثبت من الدليل النقلي والعقلي ، أما النقلي فالكتاب والسنة فأما الكتاب فقوله تعالى في وصف الجنة ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾[2] وهذه جنة الدنيا لقوله ﴿ **بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ فإن في الآخرة لا يكون فيها بكرة ولا عشيا ثم قال ﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا** ﴾[3] فأبان سبحانه أن الجنة التي فيها البكرة والعشى وهي جنة الدنيا هي بعينها التي لا بكرة فيها ولا عشى وقوله في وصف النار ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ** ﴾[4] فأبان سبحانه بأن النار التي يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني في الدنيا هي التي يعرضون عليها يوم تقوم الساعة ، وهذا ظاهر كما أن جسدك الموجود في هذه الدنيا هو بعينه جسد الآخرة وجسد البرزخ وهذا من دليل الحكمة على جهة الاختصار انتهى ما أفاد قدّس الله نفسه .

---

(١) مشكاة الأنوار ١٤٠

(٢) مريم ٦١ - ٦٢

(٣) مريم ٦٣

(٤) غافر ٤٥

وأما ترتيب رجوع النبي والأئمة عليهم السلام فكما ذكرنا لم نظفر على رواية صحيحة تبين المراد والأخبار فيها مختلفة لا يكاد تجمع بين خبرين ، وأما مدّة ملكهم عليهم السلام فالظاهر من الأخبار أنها ثمانون ألف سنة وأما اختصاص مدّة ملك كل واحد منهم عليهم السلام فالأخبار أيضا مختلفة والله أعلم وأنا لم نذكر الأخبار الواردة في الرجعة خوفا من التطويل ، وأنا لم أسند الروايات التي ذكرنا في علامات ظهور الحجة عجل الله فرجه وأرسلناها لغاية اشتهارها عند الأصحاب .

قال صاحب الكتاب : فإذا أراد الله خراب العالمين رفع محمدا ﷺ إلى السماء وبقى الناس في هرج ومرج أربعين يوما ثم ينفخ إسرافيل في الصّور نفخة الصعق ورجعتهم كذلك حق كما يستفاد من نحو خمس مائة حديث مروي عنهم عجل الله فرج آل محمد ﷺ.

أقول : نعم كل ذلك حق لا ريب فيه وقوله من نحو خمس مائة حديث يريد بذلك الأحاديث الواردة في ظهور القائم وعلاماته والروايات فيها والأخبار الواردة في الرجعة بأنه لم يفرّق بين الظهور والرجعة كما عرفت سابقا فلا نعيده .



الباب الخامس
في المعاد الجسماني





قال: الباب الخامس في الأصل الخامس وهو المعاد ، وهو بحسب المعنى التصوري عبارة عن عودة الأرواح إلى الأجساد للحساب والثواب والعقاب، وبحسب المعنى التصديقي عبارة عما يجب تصديقه بالجنان وإقراره باللسان وهو أن الله يحيي العباد بعد أن أماتهم بالبرزخ والمحشر بالأبدان المثالية، وهذه الأجساد للسؤال والحساب والثواب والعقاب بعد ضغطة القبر وسؤاله المتعلّقتين بهذه الأجساد مع إنطاق الجوارح وتطاير الكتب والتميز بالميزان والمرصاد، ويعبر عباده الصالحين ومن بحكمهم من المكلفين كالذين عفي عن سيئاتهم بنحو شفاعة الشافعين عن الصراط الذي هو أحدّ من السيف وأدقّ من الشّعر على قدر أعمال العاملين ويدخلهم في جنة الخلد التي دّل على وجودها الأخبار والكتاب المبين، أو الأعراف والحضائر التي ورد أنها مقام مؤمن الجن وأولاد الزنا من المؤمنين إلى سبعة أبطن وبعض المجانين ويدخل الكفار وبعض المسلمين في نار جهنم خالدين، إلا من عفي عنه بالشفاعة أو تمّ استحقاقه العذاب من المؤمنين المعتقدين بالأئمة الاثني عشر أجمعين، فإن الله تعالى يخرجهم من جهنم ويدخلهم في الجنة أو الأعراف كالسابقين، نجّانا الله من عذاب القبر والبرزخ والمحشر والنار بحق محمد وآله الطاهرين.

أقول : يأتي بيان ذلك إن شاء الله وليس الأمر منحصرا في تسمية المعاد

بأنه عبارة عن عودة الأرواح إلى الأجساد بل إن الخلق كلهم لما تنزّلوا من العوالم العلوية إلى حضيض الدنيا لأجل التكميل في هذه الأسفار كما قال عليّ عليه السلام :

تغـــرّب عن الأوطان في طلب العــــلا
وســافـر ففي الأسـفـار خمس فوائد
تفــرّج همّ واكــتــســاب مــعــيــشــة
وعـلـم وآداب وصــحــبــة مــاجــد

وذلك لما كانت الأرواح والأبدان الأصلية التي هي من تنزّل الأرواح كما ستعرف إن شاء الله إنما خلقت من ظلّ الربوبية والأثر إنما يشابه صفة مؤثّره فتوهّمت لنفسها الاستقلال لانفعال الأشياء لها واضمحلال الكل لديها فكلما تصوّرت كان المتصوّر حاضرا لديها فلأجل بيان عدم استقلالها وإنما مخلوقة مرزوقة مربوبة لا تستطيع لنفسها نفعا ولا ضرّا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا تنزّلت بمقتضى أمر الحق سبحانه من عالم تجريداتها إلى هذه العوالم السفلية لتشاهد فقرها وفاقتها واضمحلالها وبذلك يحصل كمالها ، لأن كمال الممكن مشاهدة نفسه بأنه فقير عاجز لا يستطيع لنفسه نفعا ولا ضرّا فلما تنزّلت الأرواح والأبدان الحقيقية إلى هذه الدنيا ظهر لها فقرها وفاقتها فبذلك حصل كمالها ، فأراد الله سبحانه رجوعها إلى مواطنها الأصلية التي هي مراتب الجنان من هذه الدنيا الدنيئة التي هي دار الغربة كما في الدعاء (اللهم ارحم في هذه الدنيا غربتي)[1] فباعتبار رجوعها إلى عالمها ووصولها إلى وطنها سمّي ذلك اليوم يوم المعاد كما هو ظاهر من مفهوم لفظ المعاد ، فتعاد الأرواح والأبدان الحقيقية إلى أوطانها بما اكتسبت من الكمالات التي حصل لها في تنزّلاتها فاحتفظ بذلك إن كنت من أهله وستعرف تفصيل ذلك إن شاء الله .

---

(١) مصباح الكفعمي ٥٧٩

قال : اعلم أن فيما ذكرنا هنا أيضا إشارة إلى وجوب الاعتقاد بأن مقتضى العدل والحكمة عود الأرواح إلى الأجساد للحساب والسؤال والثواب والعقاب لأن إيصال النعيم الأبدي إلى الروح بلا واسطة بالكمالات والنعم الباطنة وبواسطة الجسم والآلات بالنعم الظاهرة أكمل وأرجح من أحدهما من غير مانع ومفسدة في القيمة وترك الأرجح وترجيح المرجوح أشدّ استحالة من الترجيح بلا مرجّح .

أقول : يريد أن يستدّل على المعاد الجسماني بالدليل العقلي وهو أن إيصال النعيم إلى الروح لو كان بواسطة الجسم والآلات أكمل وأرجح من دون توسط الجسم فبمقتضى الأرجحية يجب القول بالمعاد الجسماني لأن الله سبحانه قادر على ذلك وإذا كان قادرا على ذلك من دون مانع يمنعه وجب عليه إعادة الأجسام لأنه لو لم يفعل ذلك لزمه ترك الأرجح وترجيح المرجوح على الراجح وذلك محال عليه سبحانه .

وهذا الاستدلال لا يخلو من اضطراب واختلال لأنه لقائل أن يقول أن مقتضيات الجسم والآلات الجسمانية كلها مباينة لمقتضيات الروح والآلات الروحانية ومنافية لها والتذاذ الطبيعة بالالتذاذ التام إنما يحصل إذا لم يدخل فيها مما ليس من سنخها فإذا دخل فيها من غير سنخها كانت متألمة غير متلذة فالأرجح أن لا يدخل شيئا من مقتضيات الجسم في مقتضيات الروح أبدا ، ولأن غاية لذّات الجسم وكمالها نقص ونقصان عند لذّات الروح ، فكيف يسوغ أن يقال تلذذ الروح بواسطة الآلات الجسمانية أرجح ، اللهم إلا أن يقال أن الروح والجسم من حقيقة واحدة وهيولى واحدة كما أشار إليه صاحب الكتاب تقليدا لبعض المتكلمين وذلك خلاف التحقيق كما ستعرفه إنشاء الله .

وبالجملة التذاذ الروح إنما يكون باللذات الروحانية واللذات الروحانية إنما تحصل بالآلات الروحانية .

لا يقال أنا نرى عيانا أن الروح تلتذ بتوسط الآلات الجسمانية كما إذا أكل طعاما لذيذا وسكن مسكنا عاليا رفيعا ولبس لباسا فاخرا إلى غير ذلك من اللذات التي تحصل من الآلات الجسمانية فإذا كانت اللذات تحصل من توسط الآلات الجسمانية صح قول صاحب الكتاب بأن الجمع بين الآلات لحصول اللذات أرجح .

لأنا نقول نحن لا ننكر التذاذ الروح بتوسط الآلات الجسمانية رأسا بل نقول الأرجح عدم توسط الآلات الجسمانية لأن اللذة التي تحصل للروح بواسطة الآلات الجسمانية إنما تحصل عند تعلقها بالجسم ، فإذا كان تعلق الروح موجودا لم يحصل كمالا للروح بل الكمال المطلق عدم تعلقها بما هو دون رتبتها في الموجودات ، ومن المعلوم أن الأجسام بأسرها رتبتها في الوجود دون مرتبة الروح ، والكمال لا يحصل للشيء إلا إذا كان غير متعلق بشيء مما هو أسفل منه ولأجل ذلك أهل الجنة لا يلتذون بطعام ولا شراب والتذاذهم بالتسبيح والتقديس ومشاهدة فضل الحق كما نطق بذلك صريح الروايات وسنذكر شطرا منها فيما بعد إنشاء الله .

لا يقال أنك قررت قبل هذا أن الروح إنما تنزل من عالمه لأجل تحصيل الكمال فتعلقه لما هو أسفل منه من مكملاته وهذا ينافي ما تقول .

لأني أقول أن الكمال الذي حصل للروح في هذا التنزل هو كمال من جهة النقصان ، لأن الرتب النازلة ناقصة وإذا وصل إليها اكتسب النقص بمعنى أنه عرف نقص رتبته عن رتبة الألوهية لفقره وفاقته وعدم استغنائه ومعرفة الفقر كمال للممكن ، ولما كان فقر الروح أشد من افتقار الجسم

ودورة افتقاره أسرع من جهة السرعة خفيت افتقاره وعرفها من بطئ حركة الجسم وإلا جهة افتقار الروح أشد من افتقار الجسم فظهر افتقار الروح بافتقار الجسم ، وذلك لا يوجب كون لذة الروح بالآلات الجسمانية أرجح ، والذي يقال في الاستدلال أن الله سبحانه خلق الخلق إظهارا لقدرته وإعلانا لحكمته بمقتضى فضله ورحمته فأفاض عليهم بقدر قابلياتهم ولما كانت الأجسام بأسرها مظاهرا لإمساك فيض الفياض بمقتضى برودة قابليتها وجب إيجاد الأجسام ، ولما كانت الأجسام ذوات شعور وإحساس كلفها بمقتضى قابلياتها ، ولما كان التكليف موجبا للجزاء إما من جهة الثواب أو من جهة العقاب وجب إعادتها يوم المعاد ، فالعلة الموجبة لإعادة الأرواح هي بعينها موجودة في الأجسام .

لا يقال أن الأجسام من حيث أنها أجسام لا شعور لها ولا إحساس لتكون مكلفة .

لأنا نقول كلما دخل في ساحة الوجود فله شعور وإدراك بنسبته ويسبح الله سبحانه بما أعطاه وأفاض عليه من الشعور والإدراك قال الله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[1] ولا يمكن التسبيح في حقه إلا بعد الشعور والإدراك ، وإذا ارتفعت الغواشي من الأبصار والأسماع نشاهد ونسمع تسبيح كل شيء من حيوان ونبات وجماد ، ولأجل ذلك إذا كان يوم القيامة يشهد الجسم بجميع أجزائه للإنسان كما قال عز من قائل ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ** ﴾[2] الآية ، فالأجسام كلها ذات شعور وإدراك ، فإذا كانت ذوات شعور صح تكليفها وإذا صح تكليفها صح إعادتها للجزاء والثواب والعقاب ، فالعلة الموجبة لعود الأرواح هي بعينها موجودة في الأجسام .

(١) الإسراء ٤٤
(٢) النور ٢٤

قال : وكذا إيصال العذاب عند استحقاق الأكمل كيزيد ومن عنه يزيد لوجوب الانتقام بمقتضى العدل بنحو نار تقول ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1] .

أقول : هذا ظاهر بنحو ما مر .

قال : وبالجملة العلة الموجبة لإعادة الأرواح هي العلة الموجبة لإعادة الأجسام ، بل قد يقال الأرواح والأجسام من هيولى واحدة بسيطة ففيها من الإدراك والشعور والإحساس والفهم وغير ذلك من الأمور الموجبة للتكليف الموجب للجزاء الموجب للإعادة كما في الأرواح، بل فيهما من شيء واحد إلا أن ما في الأرواح أقوى مما في الأجساد بنسبة ما فيها من اللطافة والكثافة على حسب قوة الوجود وضعفه ، مضافا إلى النقل القاطع كما سيأتي الإشارة إلى بعض منها.

أقول : هذا يستقيم على ما قلنا لا على ما ذهب إليه من أن الأرواح والأجساد من هيولى واحدة بسيطة لأن ذلك خلاف التحقيق فإن الروح من المفارقات لا من سنخ الأجسام ، وقد وقع الخلاف بين العلماء في الروح والجسد فبعضهم ذهب إلى أنه عرض حال في الجسم وهو جسماني ، وذهب بعضهم إلى أنه مفارق للجسم وهو مخلوق قبل الجسم كما نطقت به الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار .

أما القول الأول فهو باطل رأسا لأن الروح مفارق للجسم عقلا ونقلا ، أما العقل فلأنه يحكم على أن الروح من عالم الغيب والجسم من عالم الشهادة والغيب غير الشهادة ، ولأن الروح لا يزاحمها شيء ولا كذلك الجسم فإن الروح تمر من وسط الجدار ولا يلزم من مرورها الخرق في الجدار ولا كذلك الجسم ، ولأن التزاحم واقع في الجسم والجسمانيات ولا كذلك في الروح ، وأما النقل فكثير مما يبين أن الروح غير الجسم كما ذكر في المطولات .

---

(١) ق ٣٠

وأما القول الثاني فهو كالأول في الأول لأن العرض لا يكون مقوما للجوهر في التحقيق لأن الأعراض كلها متقومة بالجواهر .

وإذا بطل القولان الأولان ظهر صحة القول الثالث وهو أن الروح من المفارقات وأنه جوهر مجرد عن المادة العنصرية والجسمية والمدة الزمانية وهو مخلوق من المواد الملكوتية ومدتها الدهر .

ثم أن العلماء اختلفوا في أن الجسم متقدم على الروح أو بالعكس فذهب إلى كل فريق ، والمذهب الحق أن الروح مقدمة على الجسم لكونها مجردة والمجرد مقدم على المادي لبطلان الطفرة ، وقولنا أن الروح مجردة ليس مرادنا عدم تركيبها من الأجزاء كيف يكون ذلك وإنها من الممكنات وقد قام الدليل على أن كل ممكن زوج تركيبي ، بل مرادنا أنها مجردة إضافية بالنسبة إلى الماديات .

وبالجملة فالمجردات مقدمة على الماديات في التكوين والإيجاد وكلما كان كذلك فهو متأخر عن الماديات في البروز والظهور فتقدم الروح على الجسم يكون تقدما دهريا وتقدم الجسم على الروح يكون زمنيا فبهذا يجمع بين ما ورد في تقدم الروح وما ورد من تقدم الجسم ، ولنمثل لك مثالا حتى يتضح الأمر فإنك إذا ألفت شيئاً من الحروف لإفادة معنى كقولك زيد قائم وقلت لعمرو أن زيدا قائم فهو عرف هذا بعد استماعه منك بعد تأليفك للحروف ، فالمعنى الذي فهمه منك إنما فهمه بهذه اللفظة أعني زيد قائم إلا أنه أدركه في عقله والمعنى الحال في العقل من سنخ المعاني الدهرية وهي مخلوقة قبل عالم الأجسام بأربعة آلاف سنة فأدرك هذا المعنى بعد استماعه منك قبل خلق السموات والأرض بأربعة آلاف سنة فتبصّر .

فالروح مخلوقة قبل الجسم بثلاثة آلاف سنة والجسم مخلوق قبل الروح

في الزمان ففي القوس النزولي تتحقق القبلية للروح وفي القوس الصعودي تتحقق القبلية للجسم لأن الجسم مظهر للروح .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أنه وقع الخلاف بين العلماء في أن الجسم هل هو زائر للروح والروح هو المنير والجسم هو الشعاع كقرص الشمس والأشعة المنبعثة على الجدران أو أن الجسم هو تنزل الروح كالقشر واللب ، فذهب إلى كل فريق واستدل أهل القول الأول بأن التنزل لا يتعقل إلا من المؤثر إلى الأثر لأن التنزل الذاتي عبارة عن وجود الشيء على ما هو عليه ولا يقال أنه تنزل حقيقة فيلزم أن يكون الروح عين الجسم .

والجواب : أن التنزل ليس منحصرا في تنزل المؤثر إلى رتبة الأثر بل هو أعم من ذلك فإنا نرى بالبداهة أن الإجمال يتنزل إلى رتبة التفصيل ولا يصحّ أن يقال أن التفصيل أثر الإجمال وكذلك تنزّل اللب إلى القشر وليس القشر أثر اللب لأنه لو كان أثره للزم أن يعدم القشر عند انعدام اللب وهذا خلاف البداهة ، ولأن الجسم لو كان أثر الروح لزم تركيب الشيء من الأثر والمؤثر وذلك باطل لأن الأثر باطل مضمحل عند المؤثر فكيف يعقل تركيب الشيء منهما لأن التركيب يستلزم تقابل الأجزاء والأثر لا يقابل المؤثر بوجه من الوجوه ، فلا يصحّ أن يقال أن الجسم أثر للروح وهو عبارة عن تنزّل الروح وهو قشره وانجماده ولا يلزم كون الجسم عين الروح لأن القشر مغاير للروح ، نعم لو صفى القشر من أوصاف القشرية يكون لبّا وكذلك الجسم لو صفى عن أوصاف الجسمية يكون روحا فما دامت الأوصاف متحققة لم يكن روحا بدليل هي جسم فليس الجسم بهذا الاعتبار عين الروح بل الجسم تنزّله فتفطّن .

ثم اعلم أن المراد بالروح قيل هو النفس الناطقة المعبّر عنها بالأنا وهذا

كلام من ليس له تدبر بالأمور الخفية لأن النفس الناطقة هي التي وجد من تنزّلها العقل والروح أعني الرقائق والنفس الناطقة القدسية والنفس الحيوانية الحساسة والنامية النباتية وسائر المراتب كالطبيعة والهيولية والمواد والصور التي تحصّلت كل ذلك من تنزّلاتها ، وهذه النفس أعني الناطقة هي أول ما خلق الله في الإنسان ويعبّر عنها بالفؤاد وهي آية الملك المعبود وبها يعرف الله لا بغيرها قال صلى الله عليه وآله (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1] وقال (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[2] وذلك لأن الله سبحانه خلق الخلق بمقتضى فضله وحكمته لأجل معرفته كما قال في الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[3] وقد مر سابقا بيان هذا الحديث الشريف ، فوصف نفسه لهم ليعرفوه وذلك الوصف هو النفس الناطقة التي هي حقيقة الإنسان ولا تكون آية لمعرفة المعبود إلا بعد تجردها عن جميع الإضافات والشئونات والحدود والقرانات ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد (الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة) وتلك النفس هي التي يعبر عنها بالصورة العالية عن المواد الخالية عن القوة والاستعداد وهي التي تجلى لها خالقها فأشرقت وطالعها فتلألأت فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله كما هو صريح الحديث ، فعلوها عن المادة نريد بالمادة العنصرية والملكوتية والجبروتية وخلوّها عن القوة والاستعداد يريد أن الذي عنده كله ما بالفعل فليس هناك قوة .

وبالجملة فالنفس الناطقة لما تنزلت عن عالمها أي اقترنت بالحدود والماهيات وجدت من تنزلها سائر العوالم فأول ما وجد من تنزلها العقل وهو

(١) عوالي اللآلي ٤ / ١٠٢
(٢) جامع الأخبار ٤
(٣) بحار الأنوار ٨٤ / ١٩٨

جوهر بسيط أدرك بذاته محيط الأشياء ويعبر عنه بالحجاب الأبيض فطبيعته البرودة واليبوسة في باطنه لأنه تمكين القابل وممسك الفيض الواصل إليه عن المبدأ فباعتبار المفعولية يحصل له البرودة وباعتبار إمساك الفيض يحصل له اليبوسة وظاهره بارد رطب ، أما البرودة فلما عرفت وأما الرطوبة فلسيلان الفيض عنه إلى مراتب الأسفل وهو أول مراتب الوجود المقيد وفيه ذكر جميع حدود الجزئية المعنوية على سبيل الإجمال ، ثم الروح ونعني بالروح عالم الرقائق وهو جوهر بسيط دراك ويعبر عنه بالحجاب الأصفر ولكن بساطته أدنى من بساطة العقل لأنه برزخ بين العقل والنفس فليس في التفصيل كالنفس ولا في الإجمال كالعقل ، وطبيعته حار رطب أما الحرارة فلفعاليته وتصرفه في النفس وأما الرطوبة فلإيصال الفيض من العقل إلى النفس ومكانه البرزخية بين الملكوت والجبروت لأن الجبروت وعاء عالم العقل والملكوت وعاء النفس وهو برزخ بينهما ، ثم النفس نعني بالنفس الناطقة القدسية التي هي أخت العقل وتفصيل ما في العقل فإن فيها موجود جميع الصور الشخصية الغيبية كما أن المعاني الغيبية كلها كانت موجودة في العقل وهي جوهرة بسيطة مجردة عن المواد العنصرية الزمانية والمواد الجسمانية الجوهرية الهورقيلية والطبيعة الجسمية ويعبر عنها بالحجاب الأخضر وهي تفصيل العقل ونسبتها إلى العقل نسبة الكرسي إلى العرش فلما امتازت جميع الأشخاص بصورها الغيبية في عالم النفوس ، ثم مراتب عالم الغيب ولما لم يكن الشيء ولم يتم إلا بالأمرين أعني الغيب والشهادة تنزلت تلك النفس إلى عالم الطبيعة أي كسرت تلك الحصص الموجودة وصارت شيئا واحدا سمي بالطبيعة وهي مجردة عن المواد العنصرية والمدد الزمانية وليس فيها شعور وإدراك وطبيعتها حارة يابسة ، أما

الحرارة فلفعاليتها وأما اليبوسة فلأنها طبيعة الموت ويعبر عنها بالحجاب الأحمر وهي مبدأ عالم الشهادة ومثالها في الأجسام أي عالم الشهادة مثال النفس الناطقة في عالم الغيب فكما لم يذكر شيء من المعاني والصور في النفس الناطقة فكذلك لم يذكر شيء من الحدود الجسمية في الطبيعة ، فتنزلت الطبيعة إلى الهيولى وفيه ذكر جميع الحدود الصورية بالذكر الصلوحي ومثاله في عالم الشهادة مثال العقل في عالم الغيب ، ثم إلى المواد وفيها صلوحية تعلق الصور بها ومثالها في الشهادة مثال الروح في الغيب ، ثم إلى المثال أعني الصور الجسمية ومثاله في الشهادة مثال النفس في عالم الغيب فباقتران الصور المثالية بتلك المواد حصل الجسم فإن الجسم هو الحامل من اقتران المواد بالمثال كما أنه حصل تمامية الإنسان الغيبي أعني عالم الغيب من اقتران النفس بالعقل بواسطة الروح فباجتماع مراتب الغيب والشهادة تم الإنسان وكمل ، ولما لم يحصل له الكمال المطلق إلا بعد كونه جامعا مملكا سطع من النفس الناطقة شعاع نور فحصل من ذلك النور النفس الحيوانية الحساسة التي هي من سنخ الأفلاك ويعبر عنها بالروح الحيواني فكان لتلك النفس الحيوانية جميع المراتب التي ذكرناها للنفس الناطقة وكلها وجدت من تنزلاتها القشرية إلى أن تمت جميع المراتب كما للنفس الناطقة ، ولما تمت تنزلات تلك النفس الحساسة بمراتبها القشرية سطع عنها شعاع ونور فتكون منه النفس النامية النباتية وتنزلت إلى مراتبها كتنزل النفس الحساسة إلى مراتبها وكالنفس الناطقة إلى مراتبها فوجد في عالم الغيب والشهادة هذه النفوس أعني النفس الناطقة والنفس الناطقة القدسية والنفس الحيوانية الحساسة والنفس النامية النباتية فتم بوجودها الغيب والشهادة ، ولما لم تكمل النفس الناطقة إلا بسيرها في تمام هذه

الأكوار والأدوار ونزلت من عالم بساطتها إلى مراتب التنزلات القشرية والأثرية لبست من كل مرتبة من المراتب ثوبا من سنخها فالثياب القشرية في مراتب القشر والثياب الأثرية في مقام الأثر فكان هذا الشخص العظيم جامعا مملكا للأمرين وسلطانا جالسا على سرير العالمين وهو في هذه الدنيا الدنية أيضا كذلك إلا أنه لم يكشف النقاب ليشاهد بل ربما تجد الإنسان لم يرتفع هذه النشأة الدنياوية وحكمه وحكم سائر الجمادات على حد سواء .

ومنهم من رتبته أرفع فتغلب عليه النفس الحيوانية الشهوانية ولم يرتقي إلى مراتب الإنسانية ، ومنهم من هدى الله وكشف جميع الحجب ووصل إلى مقام الإنسانية طوبى له ثم طوبى له .

ثم أعلم أنه لكل من هذه النفوس الأربعة التي بيناها مراتب عديدة يطول بذكرها الكلام ولنفرد رسالة إنشاء الله في بيانها .

ثم اعلم كيفية نشأ بدن الإنسان في هذه الدنيا إجمالا وهو أن هذا العالم الذي هو أسفل جميع المراتب والعوالم له أفلاك وعناصر ومتولدات كما أن للعوالم العلوية أيضا أفلاك وعناصر ومواليد لأن الظاهر على طبق الباطن كما قال مولانا الرضا عليه السلام (قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هنالك لا يعلم إلا بما هاهنا) فكلما كان في تلك العوالم العلوية فهو موجود في هذه العوالم السفلية ، فهذا العالم السفلي قد كر أفلاكه وتحركت لإمدادها للسافل فترقت العناصر بكر الأفلاك وأشعة الكواكب إلى أن ظهر فيها النفس النامية النباتية فوجدت النباتات وكانت غذاء لآدم العالم وحواء فتغذى آدم وحواء من تلك النباتات حتى صارت تلك الأغذية في مرتبة الكيلوس ثم في الكيموس ثم تمايزت في الكبد الطبائع الأربع ، فتغذى من أصفاها القلب الصنوبري وتغذى من صافيها سائر الأعضاء

والجوارح فترقى هذا الإنسان بعد ظهور النفس النباتية بتغذية النباتات صلح لظهور النفس الحيوانية في تجاويف القلب فتعلقت إشراقات النفس الحيوانية بالنفس النامية كتعلق إشراق الشمس بالجدران فظهر فعل النفس الحساسة التي هي نفس الأفلاك في البدن كما أنك لو قابلت العود الأخضر بالنار ولا توصله بها فالنار بالمقابلة لا تزال تلطفه وتجففه وتكلسه إلى أن تحيله إلى الدخانية فتتعلق به النار فيشتعل العود من غير أن تنقص النار أو تخرج من مكانها ورتبتها ، وكذلك إذا أشرقت النفس الحساسة في القلب تشرق عليها النفس الناطقة مثل ما قلنا في إشراق النفس الحساسة فيظهر سلطان الإنسانية على سرير المملكة ، ومن هذا البيان تعرف فساد قول من ذهب إلى أن النفس النامية هي التي تكون حساسة والحساسة هي التي تكون الناطقة بل إن النفس النامية لا زالت في رتبتها ولا تتجاوز عن رتبتها أبدا قال تعالى ﴿ **وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾[1] وكذا الحساسة والناطقة ، وبالجملة إن الإنسان هو الجامع المملك لهذه النفوس في رتبتها ومكانها .

ثم اعلم أن هذه النفوس دون النفس الناطقة لها أعراض وجواهر والأعراض هي التي تفارق الجواهر عند كسرها وصوغها بمعنى أن الإنسان له هذه المراتب فإذا مات وعاد يوم القيامة لا تعود مع نفوسها المذكورة أعراض تلك النفوس كما بين ذلك أمير المؤمنين في حديث الأعرابي لما سأله عن النفس (قال عن أي الأنفس تسأل فقال يا مولاي هل النفس عديدة فقال عليه السلام نعم نفس نامية نباتية ونفس حيوانية حساسة ونفس ناطقة قدسية ونفس إلهية ملكوتية ، فقال يا مولاي ما النباتية ، قال عليه السلام قوة أصلها

(١) الصافات ١٦٤ - ١٦٥

الطبائع الأربعة بدء إيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطائف الأغذية فعلها النمو والزيادة وسبب فراقها اختلاف المولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدءت عود ممازجة لا عود مجاورة ، فقال يا مولاي وما النفس الحيوانية ، قال قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها الأفلاك بدء إيجاده عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الأموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها اختلاف المولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدءت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها وقال عليه السلام في الناطقة القدسية فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا ممازجة . . . إلخ) .

أقول يريد عليه السلام أن النفس الناطقة القدسية ليس لها أعراض أصلا وأما النامية والحساسة فلها أعراض وإذا فارقت عادت أعراضها إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا أن ذواتها تعود إلى ما منه بدأت عود ممازجة للزوم عدم عودها إذا مازجت أصلها ، فعلم من هنا أن الأعراض التي ليست من سنخها لا تعود معها أبدا إذا فارقت الدنيا .

وبالجملة فإن الإنسان له مراتب وأحوال وهو الجامع المملك فإذا تم سيره حتى وصل إلى الدنيا في مراتب تنزلاته القشرية والأثرية أخذ يصعد إلى مكانه وأول مقام صعوده هذه الدنيا وقد حصل له من كل عالم ما هو له فله شئونات وأطوار وحالات في جميع أكواره وأدواره وكلها موجودة عنده ليست بفانية إلا الأعراض والكثافات التي لحقته في هذه المراتب فتلك الشئونات والأحوال كلها حاضرة لدية وهي معه لا تنفك منه وهو يثاب ويعذب بها ، ولنمثل لك مثالا تفهم بذلك هذا المعنى وهو أن الإنسان الذي حصلت له

شئونات في دار الدنيا كالقيام والقعود والأكل والشرب والنوم واليقظة والتكلم وأشباهها فإنها كلها موجودة هنا فإذا عاد يوم القيامة عادت جميع الشئونات والأحوال معه ويثاب ويعذب بتلك الشئونات وستعرف ذلك إنشاء الله فيما بعد ، فهذا الإنسان المتنزل إلى العوالم الألف ألف الحاصلة له الشؤونات في تلك العوالم الألف ألف لا تنفك عنه تلك الشؤونات والأحوال فافتح بصر قلبك وشاهد جميع تلك الشؤونات والعارفون بالله الذين ماتوا قبل أن يموتوا إمتثالا لقول النبي ﷺ (موتوا قبل أن تموتوا)[1] يشاهدون جميع ذلك وعرفوا الحيث والكم ، فإذا فتحت بصر قلبك تجد الأمر واضحا وترى أن كلما كان في هذه الدنيا بالقوة فهو في تلك النشأة بالفعل وبالعكس ، فدار الآخرة دار الحيوان ومن أمات نفسه يرى أحوال القيامة والنشأة الأخروية وكيفية عود الأرواح إلى الأبدان وكيفية الحشر والنشر ويرى أن جميع ما صدر عنه من الشؤونات والتطورات كلها حاضرة ، فإنه في القيامة يأتى بالسارق حين مد يده بالسرقة والزاني حينما يزني والمصلي حين صلاته وكذلك جميع ما صدر عنه يأتى به بتلك الحالة في زمانه ومكانه وهيأته فيكون للشخص الواحد مثلا شئون غير متناهية ويأتي بجميع تلك الشؤون .

فلعلك تقول أن الشخص المكلف الذي صدر عنه جميع تلك الأفعال لما صدر عنه في أزمنتها وأمكنتها وهي أعراض لا تبقى في آنين فكيف يأتي بها يوم القيامة .

فأقول ولا قوة إلا بالله إن جميع ما صدر عنه فإنها دخلت في ملك الله وما دخل في ملك الله لا يخرج عنه أبدا بل هذه الأعمال كلها موجودة في حدود أزمنتها وأمكنتها إلا إنك لا تراه اليوم ببصرك فإذا كشف الغطاء ترى

(١) بحار الأنوار ٦٦ / ٣١٧

جميع ذلك وأنها موجودة لكن لا تراها إلا عند كشف الغطاء فإذا أردت اليوم أن تنظر إليها نظرت إليها بعين الخيال وترى عين الخيال كلها في أزمنتها وأمكنتها كما أنك إذا صليت في اليوم الفلاني في المسجد الفلاني خلف الإمام كلما تلتفت إلى ذلك الوقت وإلى ذلك المسجد ترى نفسك تصلي هناك .

فإذا عرفت ذلك عرفت فساد القول بأن الزمان غير قار الذات فإن قيل لو فرضنا وجود بقعة من الأرض بتوارد الأزمنة عمل فيها أشخاص كثيرة أنواع المعاصي والطاعات بحيث لا يمكن عدها لعند الحشر كيف يتعقل اتيان تلك البقعة الواحدة بجميع ما عمل فيها من الأعمال الكثيرة من صنوف الطاعات والمعاصي ، قلنا إن لتلك البقعة شؤون ونسب بقدر ما عمل فيها فتأتى بجميع نسبها وشؤونها فتشهد للجميع بتلك النسب والشئونات فتفطن فقد أطلعتك على سر لا يهتدي إليه إلا الأقلون فهذا مجمل القول في المعاد .

ثم اعلم أني إنما لم اذكر في بيان النفوس أحوال نفس الكلية الإلهية حيث عدها أمير المؤمنين عليه السلام في جملة النفوس لاختصاصها بالمعصومين عليهم السلام .

قال صاحب الكتاب: فلا بد أن يعتقد بعود الأرواح إلى الأجساد المثالية أو الأصلية بعد الموت سواء كان ممن محض الإيمان متنعما بعد الموت في جنان الدنيا أو من محض الكفر ومعذبا عند مطلع الشمس بحرها وعند الغروب إلى الصباح ببرهوت بوادي حضر موت مع دخول شر النار في قبورهم إلى النشور أو كان مركبا من الأمرين باقيا في القبر إلى يوم النشور فيخرجون

من القبور وذلك لأنه متمم للغرض والفائدة وموافق للحكمة والعدل واللطف أتم مقدور من غير احتمال مانع ليس له ظهور مضافا إلى إخبار الله ورسوله وأمنائه وإجماع المسلمين الكاشف عن تلقيه من معدن النور وكذا اعتقاد تطائر الكتب وإنطاق الجوارح والميزان والصراط والحوض والشفاعة والنار والجنة وسائر ما جاء به النبي ﷺ كما مر من الحور والفاكهة والطيور والمنازل والقصور.

أقول: كل ذلك حق لا ريب فيه وستعرف جميع ذلك إنشاء الله . . .

قال: وبالجملة ففي هذا الأصل أيضا خمسة مقامات بيان ذلك إجمالا إن المعاد بعد القول به خلافا لمنكريه يتصور على وجوه خمسة.

الأول: المعاد الروحاني المحض كما هو مختار بعض الحكماء المشائين.

الثاني: المعاد الروحاني والجسماني بالجسم الكثيف الظلماني كما في هذا العالم الفاني كما هو ظاهر اعتقاد الناس بل كثير من الخواص.

الثالث: المعاد الروحاني والجسماني بالجسم الذي يكون مع التلطيف كتلطيف الصفر بلا كسر الموجب لصيرورته ذهبا لطيفا قابلا للبقاء تحت الأرض كما هو ظاهر بعض الأفكار.

الرابع: المعاد الروحاني والجسماني بالجسم النوراني الذي يكون على وجه الأخذ باللطيف على سبيل أخذ الجيد من الرديء كما هو ظاهر بعض.

الخامس: المعاد الروحاني والجسماني بالجسم النوراني الذي يكون بطريق أخذ اللطيف على سبيل أخذ البسيط من الخليط كأخذ الذهب الخالص من المخلوط من بالخاص والصفر كما هو ظاهر بعض كما سيأتي بيان قوله وجوابه.

أقول قد خبط خبط عشواء في تعداد المذاهب وكونها خمسه فإن القول الرابع والخامس هما قول واحد لا اختلاف بينهما أبدا بوجه من الوجوه ولا نعرف لهذا المذهب قائلا فإن حصر المذاهب في الثلاثة على ما ذكره .

لا يقال أن القائلين بإعادة الأجزاء الأصلية يلزمهم القول بإعادة الأجساد على سبيل أخذ الجيد وطرح الرديء أو أخذ البسيط من الخليط فكيف تقول ولا نعرف لهذا المذهب قائلا .

لأنا نقول أن القائلين بإعادة الأجزاء الأصلية إنما يقولون أن أصل الإنسان المكلف هو الأجزاء الأصلية وأما الأجزاء الفضلية فهي ليست منه بوجه من الوجوه وإنما حكمها مع الأجزاء الأصلية حكم الجماد الملقى بجنب الإنسان فإنه ليس من الإنسان وإذا عاد الإنسان لم يعد الحجر معه فحقيقة جسد المكلف هي الأجزاء أصلية لا غير فإذا عاد عاد بما هو عليه فلا يكون الإعادة بأخذ الجيد وطرح الرديء .

وأما قوله الثالث المعاد الروحاني والجسماني النوراني الذي يكون مع التلطيف كتلطيف الصفر بلا كسر الموجب لصيرورته ذهبا كما هو قائم به ليس إلا القول بالتناسخ في المعاد لأن حقيقة الصفر عند المصنف وأضرابه ممن لم يعرفوا حقائق الأشياء غير حقيقة الذهب والصفر مباين للذهب فإذا عاد الصفر يوم القيامة ذهبا لم يكن إعادة الصفر بل يكون إعادة الذهب والذهب غير الصفر وبدن الإنسان في الدنيا هو الصفر فلا بد أن يعاد على حالة الصفرية وإلا لم يتحقق إعادة بدن المكلف إلا بعد انقلابه عن حقيقته وذلك هو القول بالتناسخ وهو خلاف ضرورة الدين ، والمصنف يقول بموجب ذلك لما سيأتي في تمثيله للمعاد .

وقوله كما هو ظاهر بعض الأخبار غلط محض لأن الأخبار كلها ناصة على بطلان القول بالتناسخ وكذلك ضرورة الدين .

وبالجملة أن الخلق اختلفوا في المعاد فذهب بعضهم إلى عدم العود مطلقا كالطبيعية ويظهر من جالينوس على ما نقله بعض توقف، وذهب بعض إلى إعادة الأرواح دون الأجساد، وذهب بعضهم إلى إعادة الأرواح والأجساد، ثم القائلين بعود الأجساد اختلفوا فبعضهم ذهب إلى إعادة الأجساد بصورها دون موادها، وبعضهم إلى إعادة المواد والصور، وذهب بعضهم إلى إعادة الأجساد خاصة دون الأرواح، وإنا نذكر إنشاء الله أدلتهم على سبيل الإجمال ونبين شبهاتهم مع أجوبتها.

فنقول ولا قوة إلا بالله فأما الطبيعيون القائلون بعدم إعادة شيء من الأرواح والأجساد فلأجل عدم القول بوجود الحق سبحانه وعدم وجود النبي وعدم وجود التكليف وأن الأشياء كلها من فعل الطبيعة فأنكروا الحشر والنشر، ويبطل قولهم ما ذكرنا من الأدلة السابقة على وجوب وجود الحق ووجوب وجود النبي وسائر أحوال المكلف.

وأما القائلون بعدم إعادة الأجساد خاصة فلهم فيما يدعون شبة واهية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا، فتمسكوا بأمور منها القول بالمعاد يلزم القول بإعادة المعدوم وذلك مستحيل لأن المعدوم هو الذي لا يقبل الوجود فيمتنع إيجاده، ومنها لو قلنا بالمعاد الجسماني لزم التناسخ لأن الذي يعود لا بد أن يكون غير هذا الموجود لأن هذا الموجود قد فني وما طرأ عليه الفنى إذا أعيد لم يعد على ما كان فيلزم أن يكون العائد غير الفاني الذاهب فبذلك يلزم التناسخ والقول بالتناسخ باطل وزندقة، ومنها أن إنسانا لو أكل لحم إنسان فكان جميع أجزاء المأكول أجزاء لبدن الآكل فإذا كان يوم القيامة وعاد كل شيء هل يعود الآكل والمأكول أو كلاهما فإن قيل يعود الآكل خاصة أو يعود المأكول خاصة يلزم منه عدم إعادة واحد منهما فينتفي العود

بالنسبة إلى غير العائد فينتفي الغرض الباعث للقول بالبعث وإن قيل يعود كلاهما معا فيبطله العقل والوجدان لأن بدن المأكول صار جزء بدن الآكل وهذا خلف ، ومنها أن الإعادة لا لغرض عبث لا يليق بالحكيم والغرض إن كان عائدا إليه كان نقصا له فيجب تنزيهه عنه وإن كان عائدا إلى العبد فهو إن كان إيلامه فهو غير لائق بالحكيم العاقل وإن كان إيصال للذة إليه فاللذات سيما الجسمانيات إنما هي دفع الآلام كما بينه العلماء والأطباء في تأليفاتهم فلا بد أن يألم حتى يوصل إليه لذة حسنه فهل يليق هذا بالحكيم مثل من يقطع عضو أحد ثم يضع المراهم ليلتذ ، و منها أن جرم الأرض مقدار معدود بالفراسخ والأميال وعدد النفوس غير متناه فلا يفي لحصول الأبدان الغير المتناهية ، ومنها أن المعلوم من ضرورة الدين أن الجنة والنار موجودتان بالفعل فإذا كانتا موجودتين فأين مكانهما من العالم وفي أي جهة يكونان وهما فوق محدد الجهات فيلزم أن يحصل في اللامكان مكان وفي اللاجهة جهة وفي داخل طبقات هذه الأجرام فيلزم التداخل المستحيل فيما بين سماء وسماء وهذا مع استحالته ينافي ما ورد في الكتاب والسنة من أن الجنة عرضها عرض السموات والأرض .

والجواب عن الأول على ما أجابه المتكلمون على ضربين فذهب بعضهم إلى جواز إعادة المعدوم لكونها من مقدورات الله سبحانه وكلما هو من مقدوراته فهو لا يستحيل ، وذهب بعضهم إلى امتناع إعادة المعدوم وأجابوا بعدم انعدام أجزاء بدن المكلف بل إنما هي تفرقت بعد الموت وسيجمعها الله سبحانه في المعاد لأن ما دخل في الوجود لا يخرج منه أبدا ، وأورد عليهما بأن ذلك يستلزم التناسخ ، أما على القول بجواز إعادة المعدوم فظاهر وأما على تفرق تلك الأجزاء واجتماعها بعد التفريق فلأن الصورة الأولية

التي كان البدن بها عمل المعصية أو الطاعة فقد ذهبت وزيد العاصي أو المطيع إنما هو بترك الصورة الأولية لا بغيرها فإذا عاد على صورة غير صورته الأولية فلم يكن هو هو فيلزم القول بالتناسخ وهو باطل .

أقول : أما عدم لزوم هذا الإيراد على القول بجواز إعادة المعدوم فظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وأما على القول بتفرق الأجزاء واجتماعها بعد التفريق فلا يرد هذا الإيراد أصلا لأن مدار العمل والطاعة والمعصية إنما هو بالمادة والصورة تابعة لها وليس للصورة مدخلية في الثواب والعقاب وعمل الطاعة والمعصية ، فالواجب في الإعادة إعادة المادة وأما إعادة الصورة فهي بتبعية المادة لأجل التمايز وإلا لا مدخلية للصورة في شيء من عمل الطاعة والمعصية أو الثواب أو العقاب ، فإذا لبست المادة صورة كصورتها الأولى لا يقال هذا تناسخ ومعنى التناسخ حلول النفس في بدن غير بدنه الأول ومدار حكم البدن بالمادة والمادة موجودة وتعاد في يوم المعاد فلا يلزم من هذا القول بالتناسخ .

والجواب عن الثاني يعرف مما ذكرنا من إعادة المادة والصورة بتبعيتها وليس ذلك بالتناسخ .

والجواب عن الثالث أن أجزاء بدن زيد الأصلية التي تتعلق بها النفس في الدنيا والآخرة لا تكون غذاء للآكل والذي تغذى منه الآكل إنما هو الأجزاء الفضلية التي لا مدخلية لها في تشخص زيد وإنما العبرة في تشخصه بالأجزاء الأصلية التي لا تتغير ولا تتبدل بوجه من الوجوه وتلك الأجزاء متكونة من المني وبها تشخص الشخص ، فإن زيدا مثلا هو شخص واحد محفوظ وحدته الشخصية من أول عمره إلى آخر عمره بحسب الشرع والعرف ولذلك يؤاخذ بعد التبدل بما لزمه قبل كما أنه لو استقرض في أيام

الشباب شيئا من واحد ولم يؤده في أيام شبابه يطالب عند هرمه ومشيبه ، فالأجزاء الأصلية لا تتغير بالتغيرات العارضة له من الطفولة والصبا والشيخوخة والصحة والسقم إلى غير ذلك من التغيرات الحاصلة له من الأغذية ، فالمتكون من الأغذية ليس بهوية تشخصه وإلا لكان زيد الذي كان طفلا إذا كبر لم يكن زيدا وزيد الصحيح إذا تمرض وذابت جميع لحمه وكان كالعود لم يكن زيدا .

لا يقال أن المتكون من المني إنما هو بقدر مثقال أو مثقالين فإذا عاد عاد على ما كان عليه وذلك مخالف للعقل والنقل .

لأنا نقول أن المتكون من المني جلده وعظمه وسائر ما به هويته فالمتكون من المني إنما يكبر وينمو بواسطة الأغذية من دون أن تكون للأغذية مدخلية في تشخصه بل إنما هي مرآة لظهور ما كمن في المني فالكامن في المني أعني المتكون منه إنما يظهر في المني بقدر قابلية المني وإذا برز من المني فيظهر بقدر استعداد ما حصل له من الأغذية فكلما كانت مرآة قابلية ظهوره أوسع يظهر بقدر وسعها وكلما كانت ضيقة يظهر بقدر ضيقها ، ولأجل هذه الدقيقة ورد في الحديث (يحشر المتكبرون كأمثال الذر ، وإن ضرس الكافر مثل أحد)[1] فإن الكبر والصغر مرآتان لظهور ما تكون من المني ولا ولا مدخليه لهما في تشخص زيد مثلا لأن هويته هي الأجزاء المتكونه من المني ولا تكون هذه الأجزاء غذاء للآكل بوجه ، فإذا عاد يوم القيامة عاد بهذه الأجزاء الأصلية الكامنة في المني أعني المتكونة منه ، وقولنا أن الأجزاء الأصلية لا تتغير ولا تتبدل نريد أنها لا تتغير كما تتغير العناصر السفلية التي نعني بها الأعراض الغريبية التي هي الأجزاء الفضلية التي هي للإنسان بمنزلة الوسخ في الثوب ، وإلا فهي متغيرة متبدلة

(١) بحار الأنوار ٧ / ٤٩ .

في كل آن لتجدد المدد لأنها ممكنة وكل ممكن لا يستغني عن الواجب في حال من الأحوال فيحتاج دائما إلى مدد جديد من سنخه ونوعه أبد الأبد ودهر السرمد وهو دائما يتحرك إلى نحو المبدأ للاستفاضة الجديدة فهو في كل آن فان مضمحل لدى الواجب سبحانه ، وإذا فرض انقطاع المدد منه في آن ما لعدم واضمحل حتى كأنه لم يكن شيئا مذكورا فهو شيء بالمدد الجديد الواصل إليه من المبدأ الفياض .

وبالجملة كل شيء يحتاج إلى المدد من أول مراتب الوجود إلى آخر مراتبه حتى الجماد قال تعالى ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾[1] يعني في الحركة إلى المبدء لتجدد المدد فالعوالم العلوية سيرها أسرع لتجردها والسفلية أبطأ لكثافتها وكل شيء يفاض عليه بقدر قابليته قال تعالى ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾[2] يعني أنزل من سماء الإفاضة مياه الفيض فسالت أودية القوابل بقدر استعداداتها فتبصر .

وبالجملة فالأجزاء الأصلية أيضا تتغير وتتبدل عند تجدد المدد وهكذا كل شيء ولكن تغيرها وتبدلها لا يدرك بهذه الحواس التي عليها الأغشية والحجب ومغطاة بها فإذا ارتفع الحجاب وانكشف النقاب تشاهد هذه الأمور بمشاهدة العيان كما يشاهدها العارفون بالله في كل آن فتفهم لتفوز بالنصيب من المعلى والرقيب .

واعلم أن الذي ذكرناه من إعادة الأجزاء الأصلية دون الفضلية مما تطابقت عليه عبارات الأصحاب وذكره كل من صنف كتابا في هذا الباب من الخاصة والعامة في ارتفاع شبهة الآكل والمأكول كالإمام الرازي في كتبه لاسيما في المحصل وشرحه لا سيما المفضل الزمخشري وسائر العلماء العامة ومن الخاصة صاحب التجريد خواجة الطوسي أعلى الله مقامة وآيه

---

(١) النمل ٨٨

(٢) الرعد ١٧

الله العلامة في شرحه على التجريد والمجلسي في كتبه لاسيما في البحار وفي حق اليقين كتابه الفارسي للعوام والفاضل النراقي في مشكلات العلوم والسيد أشرف في شرحه على التجريد والسيد عبدالله في مصباح الأنوار وسائر العلماء ممن صنف في هذا الباب يطول بذكرهم الكلام فإنهم صرحوا في كتبهم بأن مدار الحشر والنشر والثواب والعقاب إنما هي بالأجزاء الأصلية المتكونة من المني دون الأجزاء الفضلية ، وربما نذكر شطرا من عابئرهم فيما بعد إنشاء الله .

والجواب عن الرابع على ما أجاب بعض بأن الله لايسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض ذلك فيما يفعل في ملكه وهذا فاسد لأنا أثبتنا سابقا أن الحكيم لا يفعل العبث وجميع أفعاله محكمة متقنة على وفق الحكم والمصالح الراجعة إلى إيجاد الشيء على ما هو عليه فلا بد أن الحكمة ترجع إلى نفس الشيء وإلا لزم الترجيح دون مرجح وهذا يستحيل في حقه سبحانه ، وأما الذي يقال في الجواب عن هذه الشبهة هو ما أفاد شيخنا قدس سره في شرحه على حكمة العرشية قال عطر الله رمسه :

إنا نقول بموجب أن الإعادة لا لغرض عبث لا يليق بالحكيم وأن الغرض إن كان عائدا إليه كان نقصا يلزم منه احتياج الغني عز وجل ويجب تنزيهه عن ذلك ، ولكنا نقول الإعادة لغرض يعود للعباد وليس الغرض محض إيلام خاصة لأن ذلك لا يليق بالغني الحكيم الرؤوف الرحيم بل الغرض إما لذة عظيمة جليلة يلزم منها إيلام قليل حقير بالنسبة إلى تلك اللذة فإن نفوس العقلاء تتحمل تلك الآلام المنقطعة لطلب اللذة الدائمة إذا كانت متوفقة على تلك الآلام والحكماء والعلماء والأنبياء عليهم السلام يأمرون بها كالحجامة والفصد وإسقاء الدواء المر بطلب العافية وكالكي بالنار في

المواضع التي تتوقف السلامه عليه مثل نكحه الفار المخصوص وهو ما قال المؤرخون أن في الجزائر نوع من الفار إذا كان في وقت هيجانه لنكاح ورأى إنسانا ضربه بقضيبه في أي موضع كان من جسده فإن بادر ذلك الإنسان إلى موضع الضربة وكواه بالنار سلم ، وإلا بقي يظهر من ذلك كل يوم فأرا يتولد من لحمه حتى يفنى جميع لحمه ويموت لا علاج له إلا بالكي في الابتداء فهذا يأمره بالكي العاقل والعالم والحكيم وتلتذ نفسه بألم الكي المنقطع طلبا للسلامة ، وكقطع العضو لمن لدغته نبت الطبق وهي حية صفراء قصيرة ، نقلوا أن السلحفاة لها فرجان ولذكرها ذكران وإنها تبيض مئة بيضة تنشق منها تسع وتسعون بيضة عن سلاحف كأمها وبيضة منها تنشق إلى حية صفراء قصيرة ومن طبعها أنها تغيب بالأرض في كل أسبوع ستة أيام وتخرج على وجه الأرض في اليوم السابع فمن لدغته لا علاج له عن الموت إلا أن يبادر ويقطع العضو الذي لدغته فيه وإلا هلك فهو يبادر إلى قطع يده مثلا ويطلبه ويلتذ بألم القطع طلبا للحياة ، وآلام التكلف والموت والبعث وأهوال يوم القيامة من هذا القبيل أكثرها ، وإما أن تكون تلك الآلام كفارة لذنوب المكلف الموجب لدخول النار في العذاب الدائم لأنه لازم من لوازم الذنوب وإما لرفع درجة المتألم فإن عند الله درجات من النعيم يوم القيامة لا تنال إلا بالمكاره وإن لم تكن عن ذنوب وإنما تكون لشدة التخليص وتطهير الطاهر زيادة لبياضه ونظارته وكل هذا لاحق بالأول ، وأما مقتضى العدل فإنه تعالى خلقهم للسعادة التي هي بمقتضى الفضل إذا سلك طريق السعادة وأتاها من بابها وهو ما أمر به الشارع عليه السلام ودل عليه ومن لم يسلك الطريق كما هدي إليه وقع في المهلكة التي هي مقتضى العدل ، ولم يخلقهم لذلك أولا وبالذات وإنما خلقهم للسعادة أولا وبالذات وإنما خلقهم

للشقاوة ثانيا وبالعرض ، ومثال الحالين مثال رجل أعمى أخذ بيده لهدايته رجل مبصر والأعمى يعلم على جهة القطع أن المبصر صادق أمين ناصح لا يغش ولا يجهل ولا يغفل كل ذلك علمه الأعمى على جهة القطع واليقين بتفهيم المبصر وتعليمه فأخذ بيد الأعمى بالسير به في الطريق فمرا على بئر عميق في الطريق وكانا يمرا من قوم عند البئر فلما قربا من البئر جذبه المبصر عن البئر وقال أمامك بئر عميق من وقع فيه هلك فمل معي لئلا تقع في البئر فتهلك فلما أحس الأعمى بالحاضرين عند البئر وأنهم سمعوا كلام المبصر له ألفت نفسه أن يكون تابعا لغيره فأخذ يده من يد المبصر فوقع في البئر فهلك فأي تقصير من المبصر وأي عذر للأعمى .

لا يقال أنه كان سببا لأنفة نفس الأعمى لأن الأعمى طلب من المبصر الناصح الأمين العالم بمنافع الأعمى ومضاره وقد تيقن الأعمى بذلك كله ولذلك طلب من المبصر أن يدله على أهله ويوصله إليهم لينقلب إلى أهله مسرورا كما أوصل شخص آخر إلى أهله مسرورا فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وقولهم فاللذات سيما الحياة إنما هي دفع آلام غلط منهم فإن العلماء والأطباء إنما نبهوا على لذات الدنيا أنها دفع آلام ولأنها منقطعة مع أن فيه كلام فإن الآلام المشار إليها بأن لذات الدنيا دفع لها لم تحصل للإنسان إلا لفقد اللذات لأنها سابقة فإذا فقد اللذة التي إنما خلق عليها وبها تألم فتجدد العطية الذاهبة بإعادتها فيندفع الألم في اللذة سابقة والآلام طارٍ لفقدانها وإنما لم تجعل اللذات في الدنيا قارة لأنها أي الدنيا ليس دار قرار ولو قرت لذاتها لركنت النفوس إليها فأعانهم على ما هم فيه نجاتهم وإيصالهم إلى اللذات التي لا تحيط الأوهام بجلالتها وشرفها بكون لذات الدنيا غير باقية لأهلها وليست هي دفعا لآلام سابقة عليها .

وقولهم فهل يليق هذا بالحكيم مثل من يقطع عضوا ثم يضع عليه المراهم ليلتذ ليس بصحيح لأن تمثيلهم غير مطابق وإنما المثال المطابق كما مثلنا أن نبت طبق إذا لدغته في ذلك العضو فإن الحكيم الماهر الطالب لسلامة الملدوغ يليق به أن يقطع العضو ثم يضع عليه المراهم ليلتذ بالسلامة .

والجواب عن الخامس أن الأرض تنبسط حتى تسع جميع الخلائق وهي الآن مطوية فتنفسح بعد ذهاب هذه الكدورات والأوساخ العارضة لها المانعة من انبساطها ولذلك تقول أن أرض المحشر هي هذه الأرض بعينها وهي غيرها فهي عينها بإعتبار مادتها وهي غيرها باعتبار صورتها لأن صورتها الآن مطوية وهناك تنبسط فتسع الخلائق ولأجل ذلك ورد أن أرض المحشر إتساعها ثلاثمائة ألف فرسخ في ثلثمائة ألف فرسخ ، أقول يريد بالفراسخ فراسخ الآخرة لأن حد كل شيء بحسبه وإلا لم تتسع الخلائق أجمعين ونسبة فراسخ الآخرة بفراسخ الدنيا نسبته يومها بها فيوم الآخرة كألف سنة من سنين الدنيا وكذلك نسبة الفراسخ .

والجواب عن السادس أن الجنة والنار هما مخلوقتان الآن ومحلها غيب هذا العالم الظلماني وغيبوبتهما في هذا العالم الكدر غيبوبة البلور في الحجر المتكدر فالجنان مستجنة غيب السموات والنيران مستجنة غيب الأرضين وهي من حيث كونها غيب أوسع من هذا العالم ألف ألف مرة وأستغفر الله من التحديد بالقليل وتعرف ذلك مما تقدم في اتساع الأرض في يوم القيامة فراجع ، وما ورد في الكتاب في أن الجنة عرضها عرض السموات والأرض فيراد بذلك أدنى ما يعطى للمؤمن وستعرف ذلك فيما بعد إنشاء الله .

وإذا أردت كشف النقاب عن وجه الصواب فاستمع لما يتلى عليك من

الخطاب فاعلم أن الآخرة والبرزخ والدنيا كلها حقيقة واحدة كما أن زيد المكلف في الآخرة والبرزخ والدنيا شيء واحد يعني هو زيد فإذا أزيلت هذه العوارض الدنياوية التي هي الكدورات والأعراض الغريبة التي حصلت في دار الدنيا ظهرت عوارض برزخية التي هي أرق كدورة من هذه العوارض المحسوسة فإذا زالت تلك الأعراض ظهرت الآخرة بما فيها ، فهذه النشأة هي تلك النشأة بعينها لكنها ملتبسة بهذه الأعراض البرزخية والدنياوية فيصح قولك إن قلت أن هذه النشأة هي بعينها نشأة الآخرة أو قلت هي غيرها ، فهي هي بحسب الحقيقة والذات وهي غيرها بحسب التصفية والكدورات ، وذلك في جميع العوالم كذلك أي عالم الأرواح والنفوس والأجساد يعني أن جنان الجسماني غيب في هذه الأجسام العلوية المشاهدة كما ورد ما معناه أن الجنة أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمن فهي في العلويات ، والنيران الجسمانية تحت هذه الأرضين السبع يعني في غيبها ، وجنان النفوس غيب في النفوس ولم تظهر لها إلا بعد الكسر والصوغ ، كما أن الجنان الجسماني لا يظهر للأجسام إلا بعد كسر الأجساد وصوغها ، وكذلك نيران النفوس في النفوس مستجنة أي في غيبها على ترتيب جنان الجسماني ونيرانه وكذلك الأرواح وجنانها ونيرانها فافهم .

وأما القائلون بإعادة الأجساد بصورها النوعية فقد ذهبوا إلى أن الشيء الموجود مركب من المادة والصورة إلا أن شيئية الشيء بالصورة دون المادة فإذا لم تتحقق الصورة لم يتحقق الشيء كالباب المصنوع من الخشب مثلا فإن بابية الباب لا تتحقق إلا بالصورة البابية وأما الخشب فليس هو بباب فالمادة قوة محضة والصورة جوهر فعل محض ، ومن ذلك قالوا أن الأجناس متقومة بالفصول فالفصل أعني الصورة أصل للشيء لأصالة الصورة فإذا كانت

الصورة هي الأصل عاد الشخص بصورته لأنه هو هو بصورته لا بمادته حتى لو فرض تجرد صورته عن مادته لكان هو بعينه باقيا عند ذلك التجرد وإنما الحاجة إلى المادة لقصور بعض أفراد الصورة عن التفرد بذاته دون التفرد الوجودي بما يحمل لوازم شخصه ويحمل إمكان وقوعه ، ونسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص إلى التمام ولكن إذا عاد الشخص بصورته فإنما يعود بصورته النوعية لا الشخصية فإن المادة هي التي تتغير وتتبدل في كل آن وهي ليست إلا قوة محضة وكذلك الصورة الشخصية متغيرة فإذا عاد بصورته الشخصية لم يكن عودا بتمامه .

والجواب إن ما ادعاه هذا القائل من أن أصالة الصورة باطل عاطل لأن المادة هي التي يقوم بها الشيء لأن الصورة التي هي الفصل متفرعة على المادة أعني الجنس ، والصورة تنزل المادة فلو لم تكن المادة لم تحصل الصورة بوجه من الوجوه وإنما احتاجت المادة إلى الصورة لأجل التمايز ، فلو لم يكن الخشب موجودا مثلا لا تقع الصورة البابية على الشيء دونها ، وبالجملة أن الصورة متفرعة على المادة ومتقومة بها قيام التحقق كما أن المادة متقومة بالصورة قيام ظهور وتميز ، فقولهم أن الأجناس متقومة بالفصول إن أرادوا بالتقوم التقوم في التمايز فهو حق لا ريب فيه ونحن نقول بموجبه ، وإن أرادوا غير ذلك فهو باطل فالذي يعود إنما يعود بمادته وصورته تابعة له كما صرحت به الأخبار عن الأئمة الأطهار ونطق به الكتاب وشهد له الاعتبار ، فمن الأخبار ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن حفص بن غياث قال (شهدت المسجد الحرام و ابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ ما ذنب الغير قال ويحك هي هي وهي غيرها قال فمثل لي ذلك شيئا من أمر الدنيا قال نعم أرأيت لو أن رجلا أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها)[1]

(١) الاحتجاج ٢ / ٣٥٤

وفي تفسير علي بن إبراهيم قيل لأبي عبد الله عليه السلام (كيف تبدل جلود غيرها قال أ رأيت لو أخذت لبنة فكسرتها و صيرتها ترابا ثم ضربتها في القالب أهي التي كانت ، إنما هي ذلك)[١] .

أقول : يريد بذلك أن المادة هي التي تعود بعينها والصورة التي وجدت إنما هي مثل تلك الصورة فالعبرة إنما هي بالمادة دون الصورة فإذا لم تكن المادة هي التي تعود لم يتحقق المعاد الجسماني ، ومما يدل على أصالة المادة وتبعية الصورة قول مولانا الصادق عليه السلام (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله أي نوره الذي خلق منه)[٢] .

الحديث ، فانظر في صراحته على المطلوب فإن النور هي المادة هنا لدخول من عليها فإن مدخول من هو المادة كما تقول صنعت الخاتم من فضة وصنعت السرير من الخشب ، والفضة والخشب هما مادتان للخاتم والسرير ، ثم صرح عليه السلام بأن النور الذي هو المادة هو الأب لقوله عليه السلام (أبوه النور وأمه الرحمة) فالصورة التي هي الرحمة هي الأم والأب هو الأصل للشيء والأم تصبغه أعني تصوره هي فالصورة التي تصوره .

وبالجملة أن الصورة هي هيأة المادة فالشيء يقوم بمادته وصورته فالقائم بالصورة هو المادة فيعود الشخص المكلف يوم القيامة بمادته وصورته .

لا يقال أن المادة هي التي تتغير وتتبدل في كل آن وقد قررت سابقا أن كل شيء يحتاج إلى المدد الذي يتجدد في كل آن ولابد لك أن تقول بذهاب المدد الذي يتجدد حتى يصدق عليه التجدد في كل آن لأنك إن لم

---

(١) تفسير القمي ١ / ١٤١

(٢) الذي وجدناه في بحار الأنوار ٦٤ / ٧٥ قوله عليه السلام (إن الله تبارك و تعالى خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته و أخذ ميثاقهم لنا بالولاية فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه و أمه أبوه النور و أمه الرحمة فاتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الذي خلق منه)

تقل بذهاب المدد يلزم أن يكبر المستمد آنا فآنا حتى أن الذي كان بقدر سم الخياط يكون كالجبل أو أعظم وأكبر ، فإذا قلت بذهابه يلزمك عدم القول بإعادة المادة المباشرة للطاعة أو المعصية .

لأنا نقول أن المدد المتجدد في كل آن يذهب ويعود لا أنه لا يعود ومثاله النهر المستدير فكلما يذهب هو بعينه يعود فالمادة المباشرة للطاعة أو المعصية هي التي تعود بعينها وليس ذهاب المدد ذهاب بلا إعادة كالنهر الغير المستدير الجاري حتى يلزم منه عدم إعادة تلك الإمدادات وتعرف ذلك مما قررنا سابقا من أن المدد لابد وأن يكون من نفسه ، فالله سبحانه يمد الشيء بالشيء لا بغيره فإذا أمده بغيره لم يكن هو هو فيكون غيره وهذا خلف ، ولا يعرف هذا المعنى إلا الأقلون الذين قال فيهم المؤمنة أقل من المؤمن والمؤمن أقل من الكبريت الأحمر وهل وجد أحد منكم الكبريت الأحمر .

وبالجملة فالقول بعود الشخص المكلف بصورته النوعية في أي مادة كانت قول بعدم المعاد الجسماني .

وأما القائلون بإعادة الأجساد خاصة فلما لم يطلعوا على أسرار المعارف ودقايقها ولم يشاهدوا إلا هذا العالم الجسماني زعموا أن حقيقة المكلف هو الجسم فقط ولذلك قالوا بإعادته دون الروح ، وقالوا أن الذي وصل إلينا من الشارع عليه السلام هو الاعتقاد بالمعاد الجسماني فقط ولم نكلف بالقول بإعادة الأرواح وهذا غلط منهم ، لأن الشارع إنما بين إعادة الأرواح في غير موضع ولكن لما كان القول بإعادة الأرواح عند جميع أهل الملل من البديهيات ولم ينكرها أحد أعرض عن بيان أفرادها ، ومن المعلوم أن اللذات والآلام الروحانية أشد من الجسمانيات وحقيقة الإنسان المكلف هو الروح لأن مدار التميز بالروح وجب القول بإعادة الأرواح والأجساد أيضا على ما بينا .

وبالجملة يجب الاعتقاد بعود الأرواح والأجساد في يوم المعاد والمنكر لذلك منكر لضرورة الدين وخارج عن زمرة المسلمين لأن الضرورة والعقل والكشف تدل على ذلك ولا مجال لأحد إنكار ذلك أبدا الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين ، ومن أنكر ذلك فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعين .

المقام الأول

قال صاحب الكتاب: المقام الأول في بيان أحوال الناس في القبر وعالم البرزخ بمعنى أن الأرواح بعد الموت الذي قال الله تعالى في حقه ﴿ خَلَقَ المُوْتَ وَالحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[1] وبعد إزهاق تلك الأرواح هل تعود للسؤال ونحوه إلى تلك الأبدان في القبر ونحوه من عالم في البرزخ والقيامة الصغرى أم لا قولان والحق هو الأول.

أقول : اعلم أن العلماء اختلفوا في أن الموت من الأمور العدمية الاعتبارية أم لا ، فذهب أكثر الحكماء إلى عدميته مستدلين على أنه من الماهيات التي ماشمت رائحة الوجود ولا تعلق بها جعل الجاعل وذلك باطل لما أثبتنا في غير موضع من رسائلنا بأن الماهيات كلها أمور وجوديه متحققة متأصلة بجعل الجاعل إياها ، وتحقيق المرام يحتاج إلى بسط في المقام والمقام لا يقتضي طول الكلام فلنقتصر على أن الموت أمر وجودي كما نطق به الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى ﴿**هُوَ الذي خَلَقَ المُوْتَ وَالحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ فانظر في صراحة الآية على المطلوب بقوله ﴿**خَلَقَ المُوْتَ**﴾ فإذا لم يكن الموت أمرا وجوديا لا يصدق عليه أنه من جملة المخلوقات ، وكل ما هو من جملة المخلوقات فهو مما تعلق جعل الجاعل به إذ لو لم يتعلق الجعل به لم يكن شيئا موجودا مخلوقا .

وأما السنة فقد ورد من طرق العامة والخاصة في أن الموت يذبح بعد دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار ، روى مسلم في صحيحه بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ (إذا دخل أهل

---

(١) الملك ٢

الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هو هذا وكل قد عرفة قال فيقدم ويذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت) قال وذلك قوله ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ** ﴾[1] الآية .

وقد رواه أصحابنا بإسنادهم عن حفص عن أبي عبدالله عليه السلام إلى أن قال (ويوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح)[2] .

وعن أبي المغراء عن أبي بصير قال (لا أعلمه ذكره إلا عن أبي جعفر عليه السلام قال (إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة و أهل النار النار جي ء بالموت في صورة كبش حتى يوقف بين الجنة و النار قال ثم ينادي مناد يسمع أهل الدارين جميعا يا أهل الجنة يا أهل النار فإذا سمعوا الصوت أقبلوا قال فيقال لهم أ تدرون ما هذا هذا هو الموت الذي كنتم تخافون منه في الدنيا قال فيقولون أهل الجنة اللهم لا تدخل الموت علينا قال و يقول أهل النار اللهم أدخل الموت علينا قال ثم يذبح كما تذبح الشاة قال ثم ينادي مناد لا موت أبدا أيقنوا بالخلود قال فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا قال ثم قرأ هذه الآية ﴿ **أَفَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولى وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ** ﴾ قال و يشهق أهل النار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا و هو قول الله عز وجل ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ** ﴾)[3] الحديث ، إلى غير ذلك من الروايات الدالة على أن الموت مخلوق موجود وليس بمعدوم .

ثم اعلم أن الموت عبارة عن انقطاع الروح عن البدن بمعنى أن الروح

---

(١) مريم ٣٩

(٢) بحارالأنوار ٨ / ٣٤٥

(٣) الزهد ١٠٠

الحيواني كان متعلقا بالبدن تعلق التدبير فإذا فسد المزاج واختلت الآلات الجسمانية انقطع تعلقه عن هذا البدن كما عليه إجماع الأطباء وبذلك صرح أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي حيث قال (وما النفس الحيوانية قال عليه السلام قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها الأفلاك بدو إيجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الأموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها إختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ويضمحل تركيبها) الحديث ، فانقطاع تعلق النفس لا يتحقق إلا عند اختلال الآلات لأن النفس إنما وضعت في هذا المكان الضيق وجلست فيه على خلاف محبتها ولا توضع إلا في مكان تام تتأدى به شئونها فإذا تناهت القوى الطبيعية التي هي المصلحة لمسكنها والمعينة لها على مطالبها ولم تقدر على إصلاح المسكن خرب المسكن بلفح الرياح الأربع ، ريح الجنوب من الكبد ، وريح الصبا من الرئة ، وريح الشمال من الطحال ، وريح الدبور من المرة الصفراء لم يبق لها قرار لخراب الديار ، وكذلك إذا نفدت الحرارة الغريزية التي هي الحافظة للروح البخاري الحامل للنفس الفلكية الحاملة للنفس الناطقة فإذا ذهبت ما تتعلق به ذهبت كإشراق الشمس إذا ذهب الجدار الذي يتعلق به ذهب الإشراق وكذا الرطوبة الفضلية .

وبالجملة فالموت إنما يتحقق عند تخلل الآلات والنفس تعرض عن البدن لحصول أسباب تفاني بقاء النفس فيه ، وقد ذكر العلماء أسباب الموت وهي كثيرة جدا من الأمراض والسموم والقتل والتردي والغرق وما أشبه ذلك ، وليس عرض الموت أمرا طبيعيا كما زعمه البعض بمعنى أن النفس تتحرك

عن عالم الطبيعة إلى نشأة باقيه وذلك من قوة تجوهر النفس واشتدادها في الوجود ورجوعها بحركتها الذاتية إلى مبدئها لصريح قوله عليه السلام المتقدم ، ولأن الأمر لو كان كذلك لما صح القول بعود النفس بالبدن ثانيا لأن النفس بحركتها يشتد تجوهرها كما هو لازم للصوغ بعد الكسر فإن الشيء لوكسر ثم صيغ يكون بقاؤه أقوى من الأول وأكثر ، وإذا كسر ثانيا وصيغ يشتد بقاؤه ويطول مكثه أكثر مما كان ويزيد تأثيره بزيادة كسره وصوغه كما في الإكسير ، وبالجملة فالنفس تزداد تجوهرا في كل آن بحسب تجدد المدد بمقتضى حركتها إلى المبدأ فإذا اشتدت بساطتها فبالأحرى أن لا تتعلق بالبدن لأن ذلك مناف لاقتضاء البساطة وهذا مخالف للضرورة وحكم العقل والنقل لأن كلها تشهد برجوعها إلى البدن ، وعلى هذه القاعدة يلزم أن لا ترجع ، وأما نحن فقد قررنا بأن سبب فراقها تخلخل الآلات الجسمانية بمعنى أن الآلات هي المظاهر لظهورها فما دام ذلك المظهر له قابلية المظهرية فهي تشرق عليها وإذا فقدت القابلية لم تظهر إشراقها ، وأما في القيامة فلأجل تجوهر الآلات الجسمانيه وشدتها وقوتها بحركات الأفلاك وأشعة الكواكب وتصفيق الرياح الأربعة وكسرها وصوغها بها توجد فيها قوة لإظهار إشراق النفس فتتعلق النفس لأمر الله في البدن لأن البدن تقوى بحسب البلية والتحمل بسبب حركة الجوهرية وتجدد المدد وزال عنه جميع الغرائب المانعة عن بقائها بسبب حصول الاختلالات فيظهر مظهر الإشراق النفس الناطقة كالمرآة الصافية تحكي إشراق الشمس بسبب المقابلة فتفطن .

وإذا عرفت ما قلنا عرفت أن سبب فراقها ليس تجوهرها وشدة ميلها إلى مبدئها بل السبب اختلاف المحل ، ثم اعلم أن الذي يقع في العوالم

الإمكانية من موت أو حياة أو غير ذلك فلا يقع إلا بأمور سبعة كما صرح به الإمام عليه السلام قال (لا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ إلا بِهَذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعِ بِمَشِيئَةٍ وَ إِرَادَةٍ وَ قَدَرٍ وَ قَضَاءٍ وَ إِذْنٍ وَ كِتَابٍ وَ أَجَلٍ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْضِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ)[1] فجميع الأشياء جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها لا ينتقل من حال إلى حال ولا يبقى على تلك الحالة إلا بهذه الأمور فافتراق النفس عن البدن لا يكون إلا بهذه الأمور ومن جملتها لأجل ذلك قال تعالى ﴿ **فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[2] .

واعلم أن الأجل على قسمين كما قال تعالى ﴿ **ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ** ﴾[3] وورد عن أهل العصمة في أن الأجل على قسيمن أجل محتوم وأجل مخروم ونشير إلى الفرق بينها ، فنقول أن الأجل المحتوم هو الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ والمخروم ما هو مكتوب في لوح المحو والإثبات كما قال تعالى ﴿ **يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ** ﴾[4] وهذا اللوح أعني ألواح المحو والإثبات وريقات من اللوح المحفوظ فإن اللوح المكتوب فيه جميع شئونات الخلق وأحوالهم وأطوارهم وتطوراتهم هو اللوح المحفوظ الذي كتبه الله بقلم قدرته وهو سبحانه محيط به ، ولما كانت الملائكة الحاملة للتدابير وروابط الأمور ليس لهم الإحاطة بجميع ما في اللوح ولكنهم اطلعوا على بعض وريقاته ومكتوباته ويظهر لهم ما في اللوح تدريجا شيئا فشيئا كان الذي هو غائب عنهم بالنسبة إليهم لم يكن وإذا ظهر ما لم يكن بالنسبة إليهم موجود اختلفت أحكام الأشياء بالنسبة إليهم

---

(١) الكافي ١ / ١٤٩

(٢) الأعراف ٣٤

(٣) الأنعام ٢

(٤) الرعد ٣٩

سموا اللوح الذي لم يظهر بلوح المحو والذي ظهر بلوح الإثبات فلم يزل الله سبحانه يظهر لهم ويبدو من أحوال الخلائق وشئونات الخلائق ففي الحقيقة اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات هما لوح واحد في نفس الأمور ومتعدد بالنسبة إلى الله والملائكة بمعنى أن الذي عند الله كله محفوظ والذي عند الملائكة وسائط حملة التدابير فهو المحو والإثبات فالبداء إنما هو بالنسبة إلى الملائكة وسائر الخلق وليس لله بداء بمعنى الإبتداء لأنه سبحانه لم يفقد شيئا عن ملكه قبل إنشاء ملكه في رتبة ملكه لأنه ليس زمانيا حتى يتطرق عليه الحالات فتبصر ، فالأجل المخروم هو إنما يحصل عند الملائكة لا غير والذي عند الله هو الأجل المحتوم ، بمعنى أن الذي يقع فإما أن يقع بشرط أو لا بشرط ، فإذا كان وقوعه من دون شرط فهذا ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وأما إذا كان وقوعه بشرط فيتوقف وقوعه على وجود الشرط وذلك بمقتضى قابليته فالله سبحانه يبين للملائكة هذا الشرط إذا وقع يقع ذلك الأمر وفعل في نفس الأمر مانع يمنع عن اتصال الشرط به بمعنى أنه لم يعمل الشرط فيه فينمحي ذلك الشرط كما قدر طول العمر لمن زار الحسين عليه السلام فمثلا فإذا زار الحسين عليه السلام ثبت طول عمره عند الملائكة فحكمت الملائكة بطول عمره ، وربما يعمل معصية تكون سببا لقصر عمره وهو سبحانه يعلم ذلك لكن الملائكة لم يعلموا ذلك فإذا صدرت المعصية التي كانت سببا لقصور عمره علمت الملائكة أن عمره قصر بعد صدور تلك المعصية فانمحى طول العمر وثبت قصره ، فإذا لم يعمل المعصية الموجبة لقصر العمر ثبت له طول العمر فإذا مات بسبب عارض مقدر له رجع في رجعة آل محمد واستوفى حقه ، فطول عمره كان بشرط عدم وقوع المعصية المانعة من البقاء وعدم عروض أمر يوجب الفناء فيقال لهذا القسم من الأجل الأجل المخروم

هذا بالنسبة إلى تقابل الأجلين ملاحظة الارتباطات ، وأما في الحقيقة فكل أجل يقع فهو محتوم فلا يقع ما هو غير محتوم وأما قبل وقوعه فيصلح للوقوع واللاوقوع فلا يحكم على وقوعه بالحكم البطيء فلا يكون محتوما قبل الوقوع وعند الوقوع لا يكون إلا محتوما فتفطن ، والقبلية والبعدية والوقوع واللاوقوع يتحقق بالنسبة إلى الخلق لا بالنسبة إلى الله فالذي سيقع عندنا بعد ألف ألف سنة فهو واقع عند الله الآن وقبل خلق السموات .

وبالجملة فاللوح المحفوظ أعني النفس الكلية التي هي متعلق القدر هو لوح المحو والإثبات بالنسبة إلى الحملة وملائكة التدبير ، ولذلك نقول أن لوح المحو والإثبات وريقات من الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ وإذا عرفت ما قررنا لك عرفت تفرقة الآجال وتفرقة اللوحين ومعرفة بعض الأسرار التي كتمناها في الصدور خير من إظهارها في السطور ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقوله وبعد إزهاق تلك الأرواح هل تعود إلى السؤال . . إلخ .

يريد أن الأرواح بعدما تفارق الأبدانف هل تعود إلى الأبدان لأجل السؤال في القبر وفي عالم البرزخ لأجل الإثابة والتعذيب ، قولان والحق هو القول بالرجوع وهذا ظاهر وستعرفه إنشاء الله .

قال : خلافا لمن يقول مثال النسخية القائلين بأن النفوس الناقصة التي بقي شيء من كمالاتها الممكنة بالقوة تدور في الأبدان الإنسانية وتنقل من بدن إلى بدن آخر حتى تبلغ النهاية في كمالها من علومها وأخلاقها وهذا الإنتقال يسمى نسخا ، والمسخية القائلين بأن النفوس المذكورة بما تنزلت من بدن الإنسان إلى بدن الحيوان الذي يناسبه كبدن الأسد الشجاع و الأرنب الجبان ويسمى ذلك مسخا ، والرسخية القائلين بأنها ربما تنزلت إلى الأجسام النباتية ويسمى ذلك رسخا ، والفسخية القائلين بأنها ربما تنزلت إلى الأجسام

الجمادية كالمعادن والبسايط ويسمى ذلك فسخا، وكذلك من قال بأنها تتعلق بالأجرام السماوية للإستكمال وأمثالهم.

أقول : إن أرباب هذه المذاهب السخيفة اتخذوا مذهبهم من جوك ياشصت والذي يذهب إليه أن النفوس تنتقل من أبدان إلى أبدان حتى يكمل ويتصل بالله وهو رئيس الملاحدة الجوكية فقال إن الله تجلى لكل شيء بذاته يعني تنزل ذاته إلى رتبة الأشياء وهذه الأشياء كلها حتى الجمادات عبارة عن تنزلاته فبمرور الدهور تترقى الأشياء وتكون هي ذات الله ، فانشعبت هذه المذاهب الأربعة من هذا القول ، قال بعض العلماء فالنسوخية جوزوا تناسخ الأرواح من آدمي إلى آدمي ومن هؤلاء من أوجب التناسخ للنفوس الشقية وحدها حتى تكمل بالترداد من بدن إلى بدن فتخلص من الجسد الكثيف وتلحق بعالمها ، والنسوخية جوزوا انتقالها من الآدمي إلى البهائم والسباع والطير ، ومنهم من جوز أن السعيدة ترجع إلى حيوان شريف كالفرس والشقية ترجع إلى حيوان خسيس كالكلب والخنزير ، ومنهم من زعم أنها ترجع إلى حيوان يشاكلها بالطبع وبالعمل حتى أن روح القصار ترجع إلى حيوان الماء وروح الصياد إلى جوارح الطير ، والفسخية أوجبوا انتقالها إلى جميع دواب الأرض من الحيّات والعقارب والديدان وسائر الحشرات وربما يستشهدون على ذلك من كتاب الله بقوله تعالى ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ﴾[1] وقوله ﴿ **حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ** ﴾[2] زعموا أنه تدخل روح جمل في دودة كانت في الصغر تدخل في سم الخياط فيدخل الكافر الجنة ، وربما

(١) الأنعام ١٣٨
(٢) الأعراف ٤٠

استشهد لهم بما روي عن الصادق عليه السلام ما معناه أنه سئل عن الخنفس والحية والعقرب فقال عليه السلام إن الله تعالى يقول ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ** ﴾[1] أخرجوا من النار فقال الله لهم كونوا شيئا)[2] انتهى .

والرسخية جوزوا انتقالها إلى نوع الشجرة والنبات ومنهم من يعد لذلك بعض الأشجار كالغرس وغيرها .

والتناسخ يطلق على كل ذلك لأن التناسخ معناه انتقال الروح إلى بدن غير بدنه .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن بعض أهل الزيغ أبطلوا وقوع النسخ والفسخ والرسخ وجوزوا وقوع المسخ وقالوا يجوز أن تنتقل روح الإنسان إلى بدن الحيوانات المناسبة له في الأخلاق وزعموا أنه إنما يقع في قوم غلبت نفوسهم وضعفت عقولهم كما وقع في بني إسرائيل ، قال الله تعالى ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ** ﴾[3] وقال ﴿ **كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾[4] وعن الصادق عليه السلام قال (إِنَّ أَبِي كَانَ قَاعداً فِي الْحِجْرِ وَمَعَهُ رَجُلٌ يُحَدِّثُهُ فَإِذَا هُوَ بِوَزَغٍ يُوَلْوِلُ بِلِسَانِه فَقَالَ أَبِي لِلرَّجُلِ أَ تَدْرِي مَا يَقُولُ هَذَا الْوَزَغُ قَالَ لاَ عِلْمَ لِي بِمَا يَقُولُ قَالَ فَإِنَّهُ يَقُولُ وَ اللَّهِ لَئِنْ ذَكَرْتُمْ عُثْمَانَ بِشَتِيمَة لأَشْتِمَنَّ عَلِيّاً حَتَّى يَقُومَ مِنْ هَاهُنَا قَالَ وَ قَالَ أَبِي لَيْسَ يَمُوتُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مَيِّتٌ إِلاَّ مُسِخَ وَزَغاً قَالَ وَقَالَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ مُسِخَ وَزَغاً فَذَهَبَ مِنْ بَيْنِ

---

(١) السجدة

(٢) في مستدرك الوسائل ١٦ / ١٦٩ عَنْ عَمَّارِ بْنِ عَاصِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ (جِئْتُ إِلَى بَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَدَخَلْتُ عَلَيْه فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْحَيَّةِ وَ الْعَقْرَبِ وَ الْخُنْفَسِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ قَالَ فَقَالَ عليه السلام أَ مَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ قُلْتُ وَ مَا كُلُّ كِتَابِ اللَّهِ أَعْرِفُ فَقَالَ أَ وَ مَا تَقْرَأُ أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَ فَلاَ يَسْمَعُونَ قَالَ فَقَالَ هُمْ أُولَئِكَ خَرَجُوا مِنَ الدَّارِ فَقِيلَ لَهُمْ كُونُوا شَيْئاً) .

(٣) المائدة ٦٠ .

(٤) البقرة ٦٥ .

يَدَيْ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَ كَانَ عِنْدَهُ وُلْدُهُ فَلَمَّا أَنْ فَقَدُوهُ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَصْنَعُونَ ثُمَّ اجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا جِذْعاً فَيَصْنَعُوهُ كَهَيْئَةِ الرَّجُلِ قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَ أَلْبَسُوا الْجِذْعَ دِرْعَ حَدِيدٍ ثُمَّ لَفُّوهُ فِي الأَكْفَانِ فَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلا أَنَا وَ وُلْدُهُ)[1].

والمسخ كما يكون في الدنيا يكون في الآخرة برزخا وبعثا إلى غير ذلك من الروايات الواردة من طرق العامة والخاصة .

أقول : لا يدل على ما وقع من بني إسرائيل وما في الروايات على جواز وقوع المسخ وذلك ليس مسخا بمعنى انتقال روح الإنسان إلى بدن الحيوانات بل الخلق إنما يحشرون على صور أعمالهم الباطنية بمعنى أن هذه الصورة الإنسانية عارضه لهم وهم ألبسوها بحسب قبولهم ، فمنهم من لبس الصورة الإنسانية بقبوله الباطني والظاهري فلا تنفك عنهم هذه الصورة أبدا كالشيعة ، ومنهم من لبس هذه الصورة بحسب قبوله الباطني بمعنى أنه أجاب بداعي الحق بباطنه لا بظاهره فهو في الباطن لابس هذه الصورة الإنسانية لكن بظاهره لبس الصورة الحيوانية لعدم قبوله الظاهري مثل كلب أصحاب الكهف ، ومنهم بالعكس يعني لبس الصورة الإنسانية بالظاهر لقبوله الظاهري ولم يلبسوا بحسب باطنهم فباطنهم ليس الصورة الحيوانية ، ولما كان للخلق مراتب الظاهرية والباطنية والبرزخية فربما لبسوا الصورة الإنسانية بحسب ظاهرهم فقط فإذا ماتوا خلعت عنهم هذه الصورة وظهرت صورة باطنهم وربما لبسوا هذه الصورة الإنسانية بقبولهم الظاهري والبرزخي فهم على هذه الصورة في الدنيا والبرزخ ، وأما إذا كان يوم القيامة فتخلع عنهم هذه الصورة ويحشرون على صورهم الأصلية ، وربما قبلوا هذه الصورة الإنسانية بحسب بعض العوارض الدنياوية التي هي من عوارض ظاهرهم

(١) الكافي ٨ / ٢٣٢

فبسبب زوال ذلك العرض تنخلع عنهم تلك الصورة الإنسانية كما وقع في بني إسرائيل .

وبالجملة فليس ظهور هؤلاء بصورهم الأصلية يسمى مسخا لأن الصورة الإنسانية التي ظهروا بها ليست بصورهم الحقيقية الأصلية بل إنما كانت بحسب الأعراض فإذا زالت الأعراض زالت عنهم تلك الصورة وظهروا بصورهم الأصلية ، والعارفون بالله يشاهدون الكفار وغيرهم ممن لا يقبل الصورة الإنسانية بحسب باطنه على صور باطنهم كما رأى أبو بصير في الحج لما أراه مولانا الصادق عليه السلام فرأى قردة إلى غير ذلك من الحيوانات ، وإذا أردت أن تدرك هذا المعنى فاعلم أن هذه الأعمال الظاهرية هي كاشفة عن حقيقة العامل فانظر العمل تجد العامل كما ينبغي .

والحاصل أن خلع الصورة الإنسانية وظهورهم بصور أعمالهم الباطنية ليس مسخا وإن سمي ذلك مسخا من باب المجاز بحسب الظاهر وإلا لم يكن المسخ واقعا في عصر من الأعصار ولا يقع .

قال بعض أهل المعرفة بعد ما ذكر أحوال الصور وشكل القرآن ومن هنا ذل القائلون بالتناسخ لما رأوا وسمعوا أن الأنبياء قد نبهوا على انتقال الروح إلى هذه الصور البرزخية ويكون فيها على صور أخلاقها ورأوا تلك الأرواح في الحيوانات تخيلوا في قول الأنبياء والرسل عليهم السلام والعلماء أن ذلك راجع إلى هذه الحيوانات التي في دار الدنيا وأنها ترجع إلى التخلص .

أقول : إن الروح لا تنتقل من بدنه بل إنما يلقي عرضا ثوبا ويلبس آخر حتى تكون القيمة ويتخلص البدن الأصلي من الأعراض والغرايب التي ليست منها فإن الرجل يثاب ويعذب بالصورة التي هي عمله وهذه الصورة البرزخية أعني الجسد المثالي ليست بخارجة عن بدنه الدنيوي بل هي

كامنة في هذا البدن فإذا أزيلت الأعراض الدنيوية ظهرت تلك الصورة البرزخية وإن لم يكن كذلك يلزم التناسخ وهو باطل بالاتفاق .

قال صاحب الكتاب: وعلى الأول هل هو إلى هذا البدن أو البدن المثالي وإن تنعمهم وتألمهم بماذا وفي ماذا من الجنة والنار الحقيقيتين أو التشبيهين بهما .

أقول : يريد بقوله وعلى الأول عود الروح لأجل السؤال ونحوه هل هو إلى هذا البدن المثالي وستعرف ذلك إنشاء الله .

قال: أولا أن المؤمن وغيره يعاينون عند الموت الأئمة فعن أبي عبدالله عليه السلام قال (ما يموت موال لنا و مبغض لأعدائنا إلا و يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فيراهم ويبشرونه وإن كان غير موال يراهم بحيث يسوؤهم)[1] والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني:

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا

وعنه عليه السلام إنه قال (فِي الْمَيِّت تَدْمَعُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْمَوْت فَقَالَ ذَلِكَ عِنْدَ مُعَايَنَة رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله فَيَرَى مَا يَسُرُّهُ ثُمَّ قَالَ أَ مَا تَرَى الرَّجُلَ يَرَى مَا يَسُرُّهُ وَمَا يُحِبُّ فَتَدْمَعُ عَيْنُهُ لِذَلِكَ وَ يَضْحَكُ)[2] .

وعنه عليه السلام (في قول الله ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ قال هو رسول الله صلى الله عليه وآله)[3] .

وفي الآخر (إيمان أهل الكتاب إنما هو بمحمد صلى الله عليه وآله)[4] .

وفي الآخر في تفسيره (ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حقا من الأولين والآخرين)[5] إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على ذلك .

---

(١) بحارالأنوار ٦٦ / ٢٦٤

(٢) الكافي ٣ / ١٣٣

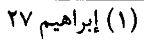
(٣) تفسيرالعياشي ١ / ٢٨٣

(٤) ، (٥) تفسيرالعياشي ١ / ٢٨٤

وعلى اتيان الشياطين على يمين المؤمن الموالي ويساره ليصده عما هو عليه فيأبى الله له ذلك كما قال ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[1] .

أقول : كل ذلك حق لا ريب فيه ولا شك يعتريه وإنما الإشكال في معنى رؤيتهم ، فقد أنكر أكثر الخلق وقالوا إذا ظهر الأئمة والنبي ﷺ كيف يظهرون هل بأرواحهم أو بأبدانهم ؟ فإن قيل يظهرون بأرواحهم يقال لهم أن البصر من الآلات الجسمانية وهو لا يدرك إلا الأجسام للزوم المناسبة بين المدرِك والمدرَك فإذا فقدت المناسبة لم تتحقق الرؤية فلا يرون أرواحهم ، وإن قيل يظهرون بأبدانهم فيقال لهم أن البدن الواحد يستحيل أن يكون في آن واحد في مكانين ، فإن قيل هذا من باب الإعجاز يقال لهم أن المعجز لا يجري في الأمور التي هي من المحالات بل لا بد من جريانه في الأمور الممكنة فلا يتصور حضورهم عند كل ميت .

والجواب أنهم عليهم السلام يظهرون للخلق بأبدانهم لا بأشباحهم ولا بأرواحهم ولا يلزم من ذلك تعددهم ومثالهم الشمس فإنها في السماء وكل أحد يراها عنده وفي داره ، وكذلك هم عليهم السلام في مكانهم ويراهم كل أحد أنهم عنده ولا يلزم تعدد أبدانهم ، هذا جواب بحسب الظاهر ومتفاهم العوام ، وأما في الحقيقة فإن أبدانهم عليهم السلام علة للخلق والعلة أقرب إلى المعلول من نفس المعلول ولما كان أهل الدنيا منغمرين في الأمور الدنياوية ومحجوبين عن مشاهدة الأنوار لا يشاهدونهم في الدنيا فإذا انكشف الحجاب وارتفع الغطا عن أعينهم عند الموت شاهدوهم وهم عليهم السلام يظهرون للمؤمنين بصور طيبة حسنة مأنوسة و يظهرون للكفار والمنافقين بصورة مهولة مدهشة ، وذلك لأجل أنهم يظهرون للأشياء


(١) إبراهيم ٢٧

بالأشياء يعني بمقتضى قابلياتهم فينطبع أشباحهم في مرايا القوابل بقدر صفاء المرايا وكدورتها ، كما أنك إذا ظهرت في المرايا الصافية تحكي تلك المرايا صفاءك لأنها صافية ، وكذلك المرايا المتكدرة وإذا ظهرت للمرايا المستقيمة تحكي استقامتك لأنها مستقيمة وإذا ظهرت للمرايا المعوجة تحكي صورتك على سبيل الاعوجاج لأنها معوجة مع أنك مستقيم ولست بمعوج ، فكل المرايا تحكي صورتك بقدر صفائها وقابلياتها ، فالمرايا المستقيمة تحكي استقامتك لأنها مستقيمة وإذا ظهرت للمرايا المعوجة تحكي صورتك على سبيل الاعوجاج لأنها معوجة مع أنك مستقيم ولست بمعوج ، فكل المرايا تحكي صورتك بقدر صفائها وقابليتها فإذا ظهروا هم عليهم السلام للكافر ظهروا بصور مهولة موحشة لاعوجاج مرآت قابليته أو نقول أنهم عليهم السلام هم المرايا الصافية التي تحكي جميع الأشياء على ما هي عليها فإذا ظهروا للمؤمن يحكون استقامة المؤمن واعتداله وإذا قابلوا الكفار يحكون اعوجاجهم وعدم استقامتهم فهم المرايا التي تحكي المقابل على ما هي عليها ولنعم ما قيل في هذا المعنى :

رأى وجه من أهوى عذولي فقال لي
أجلك عن وجه أراه كريها
فقلت نعم وجه الحبيب مراية
وأنت ترى تمثال وجهك فيها

فتفطن .

قال : ثم اعلم أن للإنسان بعد الموت حياة في البرزخ وهو القيامة الصغرى كالحياة في القيامة الكبرى ويتبعها أحوال حسنة وغيرها كما قال الله ﴿ حتى

إذا جاءَ أحَدَهُم الموْتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ لَعَلّي أعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كلا إنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها ومِنْ ورائِهِم بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ رَبَّنا أمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَأحْيَيْتَنا ﴾[2] .

أقول : لا ريب في أن الخلق إذا ماتوا لهم حياة بالبرزخ ويوم القيامة ولنذكر إنشاء الله تعالى .

قال: وعن الصادق عليه السلام أنه قال (و الله ما أخاف عليكم إلا البرزخ إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم)[3] .

أقول : أن الأئمة عليهم السلام هم حجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى وهم الشفعاء في جميع العوالم فما معنى قوله (ما أخاف عليكم إلا البرزخ) فيشكل الأمر في هذا الحديث الشريف ، فنقول في حله أن الإنسان المكلف له مراتب في الوجود كما بينّا سابقا فله رتبة الباطن والظاهر والبرزخ بينهما وكذلك أعماله تختلف إليه بحسب عوالمه الثلاثة فالشيعة باطنهم طيب طاهر من أوساخ المعاصي فلا يعصون بحسب باطنهم أبدا وأما إذا صدر عنهم المعصية فذلك إما بحسب ظاهرهم أو بحسب البرزخ الذي هو واسطة بين الظاهر والباطن لأجل الخلط واللطخ العرضين الحاصلة من معاشرة أهل الدنيا ، فإذا صدرت عنه المعصية لا بد أن يجازى فإذا كانت المعصية حاصلة بسبب العوارض الدنياوية فيجازى في الدنيا ويعاقب فيبتلى بالفقر والفاقة والمرض والسقم والهم والغم وما يضاهيها للجزاء فإذا مات لم يبق عليه ذنب ويثاب في البرزخ والقيامة ، وإذا كانت المعصية حاصلة بسبب الأعراض الدنيوية والبرزخية فيجازى في الدنيا بمثل ما قلنا وفي البرزخ بأنواع البلايا البرزخية حتى يطهر من أوساخ الذنوب فإذا

(١) المؤمنون ٩٩ - ١٠٠ .
(٢) غافر ١١ .
(٣) تفسيرالقمي ٢ / ٩٤ .

كان في القيامة يقوم وليس عليه ذنب ولا معصية فيثاب ، وأما إذا سرى ذنبه ومعصية الباطن في الجملة ولم يتغير الباطن من كونه غير عاص في الجملة يتسرى تعذيبه في القيامة ولأجل ذلك يلقون في النار ويخرجون ، ولما كانت الشيعة في الأغلب لا يعصون بحسب باطنهم لا يعذبون في يوم القيامة ولذلك قال عليه السلام (إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بهم) يعني أن شيعتنا لا يعصون بحسب باطنهم وإذا عصوا عصوا بظاهرهم أو برزخيتهم فوجب التعذيب في الدنيا والبرزخ لأجل المعصية التي صدرت عنهم ، وتعذيبهم عبارة عن اتصال صور المعاصي بهم لأن المكلف إنما يثاب ويعذب بعمله المعاصي الصادرة عنهم متصلة بهم وتنقطع نسبتها عنهم يوم القيامة ، وإذا عرفت ما ذكرنا عرفت معنى الحديث والأفهم ولاة الأمر في الدنيا والآخرة .

قال : وعن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)[1] .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال (﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ قال في قبره ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ قال في الآخرة)[2] .

عن علي بن إبراهيم أنه (قال في تفسير قوله تعالى ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ فأما الغدو والعشي إنما يكونان في الدنيا في دار المشركين وأما في القيامة فلا يكون غدو ولا عشي و قوله ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ يعني في جنان الدنيا التي ينقل إليها أرواح المؤمنين فأما في جنات الخلد فلا يكون غدو ولا عشي)[3] .

(١) تفسير القمي ٢ / ٩٤
(٢) بحار الأنوار ٦ / ٢١٧
(٣) بحار الأنوار ٦ / ٢١٨

أقول : نعم ذلك حق ولكن جنان الدنيا هي بعينها جنان الآخرة وهي غيرها ، فأما هي بعينها فبحسب المادة وأما هي غيرها بحسب الصورة التي بقي شيء فيها عن العوارض التي ليست عن سنخها فإذا أزيلت تلك العوارض تظهر جنان الآخرة كما أن زيدا هو الذي في الدنيا والبرزخ والآخرة وهو هو لم يتغير بحسب المادة وقد سبق هذا المعنى فراجع .

قال : وعن النبي ﷺ (ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم)[1] .

وعن الصادق عليه السلام (من مات بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر)[2] .

أقول : الروايات كثيرة بهذا المعنى وذلك لأجل شرافة يوم الخميس ويوم الجمعة .

قال : وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه أنه قال (إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك إلى قبره فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ومحمد نبيي والإسلام ديني فيفسحان له في قبره مد بصره ويأتيانه بالطعام من الجنة و يدخلان عليه الروح و الريحان و ذلك قوله عز وجل ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ يعني في قبره وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ يعني في الآخرة ثم قال عليه السلام إذا مات الكافر شيعه سبعون ألفا من الزبانية إلى قبره وإنه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول لو أن لي كرة فأكون من المؤمنين ويقول ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت فتجيبه الزبانية كلا إنها كلمة أنت قائلها ويناديهم ملك لو رد لعاد لما نهى عنه فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في

---

(١) الأمالي للصدوق ٥٤٠

(٢) جامع الأخبار ١٦٤



أهول صورة فيقيمانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كل شي ء ثم يقولان له من ربك و ما دينك و من نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت و لا هديت و لا أفلحت ثم يفتحان له بابا إلى النار و ينزلان إليه الحميم من جهنم و ذلك قول الله عز و جل ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ يعني في القبر ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ يعني في الآخرة)[1]

أقول : بيان هذا الحديث الشريف على كمال ما ينبغي يؤول إلى الأطناب ، والإختصار خير في هذا الباب ولنشير إلى بعض منها .

فقوله عليه السلام (إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك) ليس المقصود هنا العدد بل العدد لأجل التغليب كما ورد في الكتاب والسنة كثيرا منها كما في قوله تعالى مخاطبا لنبية صلى الله عليه وآله ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[2] والمقصود هنا التغليب لا خصوصية العدد وكذلك في هذا الحديث الشريف لأن الأمر أعظم من ذلك ، فإن الملائكة هم الحاملون لجميع شئونات المؤمن الصادرة عنه فكل ملك حامل لشأن خاص ، وشئونات المؤمن من أول التكليف إلى آخر عمره ربما يزيد عن ألف ألف فلا بد أن يشيعه جميع شئوناته يعني يتصل به شئوناته الصادرة وكل ملك حامل لشأن من شئونه فيشيعه أكثر من سبعين ألف ملك .

وأما قوله عليه السلام (إذا مات الكافر شيعه سبعون ألفا من الزبانية) فكذلك فهذه الزبانية كلها شؤونات ذلك الكافر وإنما لم يقل عليه السلام يشيعه سبعون ألف ملك لأن الملك الحامل للشئونات هو من الرحمة بمعنى جهة حفظ تلك الشؤونات من الله سبحانه فينسب إلى الله ولذلك عبر بالملك لأن المؤمن لا

(١) الأمالي للصدوق ٢٩٠
(٢) التوبة ٨٠

يصدر عنه ما هو مخالف لمراد الله سبحانه فما يصدر عنه فإنما يصدر عنه بجهته من ربه ، وأما الكافر فهو بالعكس بمعنى أن ما يصدر عنه بجهته من نفسه ، والزبانية أي الأعمال الصادرة عنه بجهته من نفسه تلحقه فكان الأصلح عدم ذكر الحوامل هاهنا كما فعل عليه السلام ، وقولنا يصدر عنه بجهته من ربه وبجهته من نفسه نريد أن الإنسان المخلوق من طينتين أي العليين والسجين كلما يصدر عنه شيء من الحسنات فإنما يصدر عنه بجهته من العليين لأن تلك الجهة نور أفاضه الله سبحانه عليه فكان الله سبحانه أولى بذلك النور الفائض عنه إليه منه فلذلك عبرّنا بالجهة من ربه ، والجهة من نفسه بعكس ذلك في جميع الأحوال والأطوار فتبصّر .

قال: وعن الصادق عليه السلام أنه قال (من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا المعراج والمسائلة في القبر والشفاعة)[1] .

أقول : هذا ظاهر وهذا يشيد ما قلنا سابقا على أن المعراج الجسماني من ضرورة المذهب لا من ضرورة الدين فالمعراج الذي هو من ضرورة الدين هو المعراج المطلق فمن أنكر مطلق المعراج فهو كافر .

قال: وَقَالَ أميرُ الْمُؤْمنينَ عليه السلام (إنَّ الْعَبْدَ إذَا كَانَ فِي آخرِ يَوْمٍ منَ الدُّنْيَا وَأَوَّل يَوْمٍ منَ الآخرَة مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ وَوُلْدُهُ وَعَمَلُهُ فَيَلْتَفتُ إلَى مَاله وَيَقُولُ وَاللَّه إنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ لَحَريصاً شَحيحاً فَمَا ذَا عنْدَكَ فَيَقُولُ خُذْ منِّي كَفَنَكَ فَيَلْتَفتُ إلَى وُلْده فَيَقُولُ وَاللَّه إنِّي كُنْتُ لَكُمْ مُحبّاً وَإنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمُحَامياً فَمَا ذَا عنْدَكُمْ فَيَقُولُونَ نُؤَدِّيكَ إلَى حُفْرَتكَ وَنُوَاريكَ فيهَا فَيَلْتَفتُ إلَى عَمَله فَيَقُولُ وَاللَّه إنَّكَ كُنْتَ عَلَيَّ لَثَقيلا وَإنِّي كُنْتُ فيكَ لَزَاهداً فَمَا ذَا عنْدَكَ فَيَقُولُ أَنَا قَرِينُكَ فِي قَبْرِكَ وَيَوْمِ حَشْرِكَ حَتَّى أُعْرَضَ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى رَبِّكَ)[2] .

(١) الأمالي ٢٩٤
(٢) الفقيه ١ / ١٣٧

وعن الصادق عليه السلام (لا يُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلا مَنْ مَحَضَ الإِيمَانَ مَحْضاً أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً وَ الآخَرُونَ يُلْهَوْنَ عَنْهُمْ)[1] .

أقول : ذلك تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ﴾[2] لأن المستضعفين لم يفرقوا ولم يميزوا شيئا لقلة إدراكهم وشعورهم والتكليف فرع ظهور الإدراك والشعور .

قال : وعنه عليه السلام بعد السؤال عن نجاة أحد عن ضغطة القبر أنه قال (نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر)[3] .

وعنه عليه السلام (يَجِيءُ الْمَلَكَانِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ إِلَى الْمَيِّتِ حِينَ يُدْفَنُ أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ يَخُطَّانِ الأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا وَيَطَئَانِ فِي شُعُورِهِمَا فَيَسْأَلانِ الْمَيِّتَ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ قَالَ فَإِذَا كَانَ مُؤْمِناً قَالَ اللَّهُ رَبِّي وَدِينِيَ الإِسْلامُ فَيَقُولانِ لَهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ فَيَقُولُ أَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله تَسْأَلانِي فَيَقُولانِ لَهُ تَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولانِ لَهُ نَمْ نَوْمَةً لا حُلُمَ فِيهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ وَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَ يَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَافِراً دَخَلا عَلَيْهِ وَأُقِيمَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنَاهُ مِنْ نُحَاسٍ فَيَقُولانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ فَيَقُولُ لا أَدْرِي فَيُخَلِّيَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ فَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تِنِّيناً لَوْ أَنَّ تِنِّيناً وَاحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَجَراً أَبَداً وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا)[4] .

---

(١) الكافي ٣ / ٢٣٥

(٢) يوسف ٧٩

(٣) الكافي ٣ / ٢٣٦

(٤) الكافي٣ / ٢٣٦ .

ومثله أخبار أخر مع زيادة تمني المؤمن تعجيل قيام الساعة والكافر تأخيره في بعضها .

أقول : إنما أعرضنا عن إيراد تلك الأخبار خوفا من التطويل .

قال: وعنه عليه السلام (إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتِ الصَّلاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ وَالْبِرُّ مُطِلٌّ عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ)[1] .

وعنه عليه السلام (يُسْأَلُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ عَنْ خَمْسٍ عَنْ صَلاتِهِ وَزَكَاتِهِ وَحَجِّهِ وَصِيَامِهِ وَوَلايَتِهِ إِيَّانَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَتَقُولُ الْوَلايَةُ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ لِلأَرْبَعِ مَا دَخَلَ فِيكُنَّ مِنْ نَقْصٍ فَعَلَيَّ تَمَامُهُ)[2] .

وفي الخبر بعد السؤال عن المصلوب يصيبه عذاب القبر هو رب الهواء فيضغطه ضغطة القبر .

أقول : كل ذلك حق لا يرب فيه .

قال : وفي آخر ما يدل تجسّم أعمال المؤمن بصورة حسنة وأعمال الكافر بصورة قبيحة .

أقول : الأخبار كثيرة بهذا المعنى ويعاضده الأدلة العقلية فالإنسان إنما يثاب ويعذّب بعمله في جميع الأحوال وستعرف ذلك فيما بعد إن شاء الله .

قال : وعنه عليه السلام أنه قال بعد ما حكى لهم أنهم يرون أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش (لا الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ رُوحَهُ فِي حَوْصَلَةِ طَيْرٍ وَلَكِنْ فِي أَبْدَانٍ كَأَبْدَانِهِمْ)[3] .

---

(١) الكافي ٢ / ٩٠

(٢) الكافي ٣ / ٢٤١

(٣) الكافي ٣ / ٢٤٤



وفي آخر (فِي قَالَبٍ كَقَالَبِه فِي الدُّنْيَا فَيَأْكُلُونَ وَ يَشْرَبُونَ فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْقَادِمُ عَرَفُوهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا)[1] .

أقول : يأتي بيان الحديث إن شاء الله تعالى .

قال : وعنه عليه السلام (إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ لَفِي شَجَرَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَقِمِ السَّاعَةَ لَنَا وَأَنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا وَأَلْحِقْ آخِرَنَا بِأَوَّلِنَا)[2] وفي آخر (وفي حجرات الجنة يأكلون) الحديث .

ونحو ذلك مما يدل على تفاوت الأرواح وتسائلهم وكون أرواح الكفار في النار وكون ماء برهوت بحضرموت ترده هام الكفار فعن أبي جعفر عليه السلام (أَنَّ النَّاسَ يَذْكُرُونَ أَنَّ فُرَاتَنَا يَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ فَكَيْفَ هُوَ وَهُوَ يُقْبِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ وَتُصَبُّ فِيهِ الْعُيُونُ وَالأَوْدِيَةُ قَالَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَأَنَا أَسْمَعُ إِنَّ لِلَّهِ جَنَّةً خَلَقَهَا اللَّهُ فِي الْمَغْرِبِ وَمَاءَ فُرَاتِكُمْ يَخْرُجُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا تَخْرُجُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُفَرِهِمْ عِنْدَ كُلِّ مَسَاءٍ فَتَسْقُطُ عَلَى ثِمَارِهَا وَتَأْكُلُ مِنْهَا وَتَتَنَعَّمُ فِيهَا وَ تَتَلاقَى وَتَتَعَارَفُ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ هَاجَتْ مِنَ الْجَنَّةِ فَكَانَتْ فِي الْهَوَاءِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ تَطِيرُ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً وَتَعْهَدُ حُفَرَهَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَتَتَلاقَى فِي الْهَوَاءِ وَتَتَعَارَفُ قَالَ وَإِنَّ لِلَّهِ نَاراً فِي الْمَشْرِقِ خَلَقَهَا لِيُسْكِنَهَا أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ وَيَأْكُلُونَ مِنْ زَقُّومِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ حَمِيمِهَا لَيْلَهُمْ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ هَاجَتْ إِلَى وَادٍ بِالْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ بَرَهُوتُ أَشَدُّ حَرّاً مِنْ نِيرَانِ الدُّنْيَا كَانُوا فِيهَا يَتَلاقَوْنَ وَيَتَعَارَفُونَ فَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ عَادُوا إِلَى النَّارِ فَهُمْ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[3] .

فقال : بالنسبة إلى المستضعفين ومن يعرف النبوة دون الولاية من غير ولاية لهم أنهم في حفرهم لا يخرجون فيها يدخل عليهم الرّوح من الجنة في

---

(١) الكافي ٣ / ٢٤٥

(٢) الكافي ٣ / ٢٤٤

(٣) الكافي ٣ / ٢٤٧

المغرب إلى القيامة فيحاسب فإما إلى الجنة أو إما إلى النار وكذلك البله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم ونحوه ما دلّ على أن الله يؤججّ للأطفال والمجانين والبله نارا ثمّ يبعث ملكا فيقول لهم إن ربكم يأمركم أن تبقوا فيها فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما وأدخل الجنة ، ومن تخلف عنها دخل النار.

وعن أبي عبدالله عليه السلام (إن أرواح المؤمنين يرون آل محمد في جبال رضوى فتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم وتحدّث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه)[1] .

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا الباب ويوجب ذكرها الأطناب التي يستفاد عنها أن النفس باقية بعد الموت إما متنعّمة أو معذّبة أو يلها عنها في البرزخ المفسر في الخبر بالقبر حين الموت إلى يوم القيامة .

أقول : هذه الأخبار تبين وجود عالم البرزخ وأن الإنسان يثاب فيها أو يعذب بعد الموت إلى قيام الساعة والأدلة العقلية تساعد تلك الأخبار في إثبات عالم البرزخ الذي هو بين الدنيا والآخرة .

فاعلم أن العوالم السفلية والعلوية بأجمعها مشتملة على أفلاك وعناصر ومتولدات بحكم تطبيق الظاهر بالباطن فكذلك عالم البرزخ يشتمل على أفلاك وعناصر ومواليد ويعبّر عن هذا العالم تارة بعالم هورقيليا وتارة بعالم الأشباح والأظلمة وتارة بعالم المثال ، وحقيقة هذا العالم هي المقداري المجرّدة عن المواد العنصرية والمدّة الزمانية ومكانها أسفل مراتب الملكوت ووقتها الدهر وقد قرّر بعض أهل العلم وجود ذلك العالم فقالوا إن في الوجود عالما مقداريا غير العالم الحسّي لا تتناهى عجائبه ولا تحصى مدنه من جملة تلك المدن جابلقا وجابرسا وهما مدينتان عظيمتان ولكل منهما ألف باب لا

---

(١) بحار الأنوار ٦ / ٢٤٣ .

يحصي ما فيها من الخلائق ، وقال بعض العلماء في كل نفس خلق الله عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخلق الله من جملة عوالمها عالما على صورنا إذا أبصرها العارف يشاهد نفسه فيها .

ثم قال وكلما فيها حي ناطق وهي باقية لا تفنى ولا تتبدّل وإذا دخلها العارفون فإنما يدخلون بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويجرّدون أرواحهم وفيها مدائن لا تحصى تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار ، وكل حديث وآية وردت عندنا فصرفها العقل عن ظاهرها وجدنا على ظاهرها في هذه الأرض وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض انتهى .

أقول : قوله لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار يعني لا يدخل في أعلى ذلك العالم ، وإلا فكل أحد يدخلها فإن ذلك العالم له طرفان طرف العلو والسفل فتبصّر ، وهذا العالم المقداري فيه عجائب ما لا تحصى وجميع الخلائق من الجن والإنس والملائكة والحيوانات والنباتات والجمادات كلها إنما نزلت من ذلك العالم ولبس كل واحد منها ثوبا من سنخ ذلك العالم وإليه تصعد جميع الخلائق في الصعود وفيه صور جميع الخلائق ولذلك العالم مدينتان كما دلّت عليها الروايات أحدها في المشرق ويقال لها جابلقا وأحدها في المغرب ويقال لها جابرسا وأن لكل واحدة سبعون ألف باب بين الباب إلى الباب مائة فرسخ وعلى كل باب خمسون ألفا شاكي السلاح ينتظرون قيام القائم عجل الله فرجه .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال إن الحسن عليه السلام قال (إِنَّ للَّه مَدِينَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِالْمَشْرِقِ وَ الأُخْرَى بِالْمَغْرِبِ عَلَيْهِمَا سُورٌ مِنْ حَدِيدٍ وَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَلْفُ أَلْفِ مِصْرَاعٍ وَ فِيهَا سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ لُغَةٍ يَتَكَلَّمُ كُلُّ لُغَةٍ بِخِلَافِ لُغَةِ

صَاحِبِهَا وَ أَنَا أَعْرِفُ جَمِيعَ اللُّغَاتِ وَ مَا فِيهِمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ مَا عَلَيْهِمَا حُجَّةٌ غَيْرِي وَ غَيْرُ الْحُسَيْنِ أَخِي)[1] .

وعن الصادق عليه السلام قال (إن لله عز و جل مدينتين مدينة بالمشرق و مدينة بالمغرب فيهما قوم لا يعرفون إبليس و لا يعلمون بخلق إبليس نلقاهم في كل حين فيسألونا عما يحتاجون إليه و يسألونا عن الدعاء فنعلمهم و يسألونا عن قائمنا متى يظهر و فيهم عبادة و اجتهاد شديد و لمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ لهم تقديس و تمجيد و دعاء و اجتهاد شديد لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم يصلي الرجل منهم شهرا لا يرفع رأسه من سجدته طعامهم التسبيح ولباسهم الورق ووجوههم مشرقة بالنور إذا رأوا منا واحدا لحسوه و اجتمعوا إليه و أخذوا من أثره من الأرض يتبركون به لهم دوي إذا صلوا كأشد من دوي الريح العاصف منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا ينتظرون قائمنا يدعون الله عز وجل أن يريهم إياه و عمر أحدهم ألف سنة إذا رأيتهم رأيت الخشوع و الاستكانة وطلب ما يقربهم إلى الله عز وجل إذا احتبسنا عنهم ظنوا أن ذلك من سخط يتعاهدون أوقاتنا التي نأتيهم فيها لا يَسْأَمُونَ ولا يَفْتُرُونَ يتلون كتاب الله عز وجل كما علمناهم وإن فيما نعلمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به ولأ نكروه يسألونا عن الشي ء إذا ورد عليهم من القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورهم لما يستمعون منا و سألوا لنا طول البقاء وأن لا يفقدونا ويعلمون أن المنة من الله عليهم فيما نعلمهم عظيمة ولهم خرجة مع الإمام إذا قام يسبقون فيها أصحاب السلاح ويدعون الله عز وجل أن يجعلهم ممن ينتصر بهم لدينه فيهم كهول وشبان إذا رأى شاب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمره لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام فإذا أمرهم الإمام بأمر قاموا عليه أبدا حتى يكون هو الذي

---

(١) الكافي ١ / ٤٦٢ .

يأمرهم بغيره لو أنهم وردوا على ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة لا يختل فيهم الحديد لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلا لقده حتى يفصله ويغزو بهم الإمام عليه السلام الهند والديلم والكرد والروم وبربر وفارس وبين جابرسا إلى جابلقا وهما مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب لا يأتون على أهل دين إلا دعوهم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام والإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله والتوحيد وولايتنا أهل البيت فمن أجاب منهم ودخل في الإسلام تركوه وأمروا عليه أميرا منهم ومن لم يجب ولم يقر بمحمد صلى الله عليه وآله ولم يقر بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلا آمن)[1] .

إنتهى بيان ما لعله يحتاج إلى بيان قوله عليه السلام فيهما قوم لا يعلمون بخلق إبليس . . .إلخ .

لعل المراد أن طرف أعلى ذلك العالم لا يعلمون بخلق إبليس لأن إبليس طينته من سجين أسفل السافلين ولم يتنزل من العوالم العلوية وهذا البرزخ من تنزلات العوالم العلوية فالعوالم العلوية ليس فيها ذكر السجين وأما طرفه الأسفل المتصاعد من سجين لا يعلمون أهله شيئا من الحق وكلما ما يعلمون فهو من الباطل بعكس طرفه الأعلى وقوله نلقاهم في كل حين إلخ يعني أنهم عليهم السلام وجه الله الذي قال الله تعالى ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾[2] .

وهذا في جميع العوالم لكن لما كانوا أهل الدنيا منغمرين في الأمور الدنيوية حجبوا عن مشاهدتهم وأما سائر العوالم العلوية فهم لا يزالون يشاهدونهم ويأخذون عنهم جميع ما لهم وبهم ومنهم وإليهم وفيهم ومعهم إلى غير ذلك من الشؤنات والحالات فيسألون جميع ذلك عنهم عليهم السلام .

---

(١) بحار الأنوار ٥٤ / ٣٣٢ .

(٢) البقرة ١١٥ .

قوله عليه السلام (**يصلي الرجل منهم شهرا لا يرفع رأسه من سجوده**)[1] . . .إلخ .

لعل المراد من الشهر مراتب القابليات لا خصوصية الشهر المعلوم لأن الشهر والسنة والأيام من حدود الزمان وليس وقت ذلك العالم من الزمان فإذا لم يوجد الزمان لم تتحقق الحدود الزمانية فلم تتحقق الأيام والشهور والسنين ، قوله عليه السلام (**فيهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا**)[2] . . .إلخ .

فهؤلاء هم الشئون التي حاملة للأسلحة وهم لا يزالون كذلك ينتظرون الفرج لآل محمد عليهم السلام وكذلك جميع ما في ذلك العالم فإنهم ينتظرون فرجهم عليهم السلام وهم ينصرونهم كل شأن بما هو حامل له يعني الساجد يعينه بسجوده والراكع يعينه بركوعه والقائم يعينه بقيامه فكل ما هو في ذلك العالم ينصره بما هو عليه من غير تغيير فيه وجميع تلك الأشباح يطيعونهم عليهم السلام بجميع مراتبهم فلعلك تقول أن تلك الأشباح هي أعراض والأعراض لا شعور لها بوجه من الوجوه فكيف يمكن تصور إطاعتهم لهم ، فأقول كل شيء إلا مما خلق الله من الجواهر والأعراض يسبحون الله في الغدو والآصال لقوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[3] والتسبيح فرع الشعور والإدراك فلا يمكن تصور التسبيح في حقهم إلا بعد الشعور والإدراك لا يقال أن تسبيحهم عبارة عن إيجاده إياهم فقط لأنا نقول أن الآية تدل على تسبيحهم في جميع الأحوال فلا تخصص الآية من غير مخصص لاسيما بعد ما ورد عن الأئمة عموم تسبيحهم فيصح دعوى الشعور في جميع الجواهر والأعراض فكل شيء فإنما هو مكلف ولا يعصي الولي بكينونته أبدا ومن أجل ذلك خاطب

(١) بصائر الدرجات ٤٩٠ .
(٢) بصائر الدجات ٤٩٠ .
(٣) الإسراء ٤٤ .



الحسين عليه السلام الحمّى التي كانت في عبدالله بن شداد حين عاده (فلما دخل عليه طارت عنه الحمه فقال عبدالله رضيت بما أوتيتم والحمّى تهرب عنكم فقال عليه السلام والله ما خلق الله شيئا إلا وأمره بالطاعة لنا ثم قال عليه السلام يا كبّاسة قال فسمعنا الصوت ولم نرى الشخص يقول لبيك فقال عليه السلام ألم يأمرك أميرالمؤمنين عليه السلام ألا تقربي إلا عدوا أو مذنبا ليكون كفارة له فما بال هذا)[1] .

فانظر في صراحة أن الأعراض كلهم مكلفون بطاعة أولياء الله فكلهم ينصرون القائم عجل الله فرجه فهم رجال وإنهم يعبدون الله وبأيديهم سيوف وأسلحة ، وسيوف كل نوع منهم بما يلائمه من شأنه الخاص فتبصّر .

وقوله عليه السلام (**ينتظرون قائمنا يدعون أن يريهم إياه وعمر أحدهم ألف سنة إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة**)[2] .

وقوله عليه السلام وعمر أحدهم ألف سنة لعله يريد من الألف سنة يعني رتبة واحدة لأن العالم عالم الأشباح وليس له رتبة غير الشبحية والظلية لأن السنين تطلق على الرتب كما ذكرنا سابقا في شرح الأربعين ، والألف هو اليوم الواحد قال تعالى ﴿**وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾[3] .

قوله عليه السلام إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة . . . إلخ .

لعله أراد أنهم لا يزالون مقبلين على الله والخشوع والاستكانة لتقربهم عند إقبالهم فلم يزالوا خاشعين .

وقوله عليه السلام يتلون كتاب الله عز وجل كما علمناهم وإن فيما نعلمهم ما لو

---

(١) وهذا نص الرواية (عن أبي عبدالله عليه السلام قال أن رجلا كان من شيعة عليه السلام مريضا شديد الحمى فعاده الحسين بن علي عليه السلام فلما دخل باب الدار طارت الحمى عن الرجل ، فقال له قد رضيت بما أوتيتم به حقا حقا و الحمى تهرب منكم ، فقال و الله ما خلق الله شيئا إلا و قد أمره بالطاعة لنا ، يا كباسة قال فإذا نحن نسمع الصوت و لا نرى الشخص يقول لبيك ، قال أ ليس أمير المؤمنين أمرك ألا تقربي إلا عدوا أو مذنبا لكي تكون كفارة لذنوبه ، فما بال هذا و كان الرجل المريض عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي) . رجال الكشي ٨٧ .

(٢) بصائر الدرجات ٤٩٠

(٣) الحج ٤٧



تلي على الناس لكفروا به . . الخ ، لعله يريد أنه نعلمهم من تأويل الكتاب وباطنه فهم أهل الباطن لا أهل الظاهر فأهل الظاهر لا يتحملون إلا ما هو ظاهر وكذلك أهل الباطن لا يتحملون إلا ما هو ظاهر وباطن ولا يتحملون الباطن الباطن وهكذا إلى سبعة أبطن وكلها لا يخالف ظاهره بوجه من الوجوه بمعنى أن الظاهر على طبق الباطن وكل باطن يخالف الظاهر فهو باطل لكن هذا الباطن لشدة غموضه لا يدركه أهل الظاهر ولا يصلون إليه فإذا تلى عليهم شيئا من الباطن أنكروه وكفروا به لجهلهم به لا لأجل مخالفته فإنه لا يخالف الظاهر أبدا لكن الخلق من أهل الظاهر لا يتحملون .

قال مولانا سيد الساجدين عليه السلام :

إني لأكتم من علمي جواهره	كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتننا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى حسين ووصى قبله الحسنا
ورب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد (اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة - فتنفس الصعداء - وقال آه إن هاهنا لعلما جما لو أصب حملته وأشار عليه السلام بيده إلى صدره وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

وفي النفس لبانات إذا ضاق بها صدري

نكت الأرض بالكف وأبديت لها سري

فمهما تنبت الأرض فذاك النبت من بذري[1]

---

(١) بحار الأنوار ٤٠ / ٢٠٠

قال عليه السلام (**لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ**)[1] ، وفي روايه (لكفّره) إلى ذلك من الروايات ولعلك تقول كيف يمكن تجويز تحمل علوم الباطن للأشباح ولا يتصور تحملها للأصول التي هذه الأشباح متفرعة عليها .

فأقول : ليس حيث تذهب أنها فروع لهذا العالم الظاهري الجسماني بل هذا العالم أصل لتحقق المادة الجسمانية وهي بعد الموت تبقى في قبرها مستديرة ويظهر الروح بالمثال وهو برزخ بين النفس والجسد وكذلك أهلها وهذا العالم مركب من مادة نورية أصفى من المادة الجسمانية وهيئته كهيئة النفس وإنما قلنا عالم الأشباح لغلبة ظهور الشبحية بحيث لم يكن ذكر للمادة وإلا فهو مركب عن مادة وصورة ، وقولنا سابقا أن الأشباح أعراض والأعراض كلها مكلفة نريد أن تلك الأشباح هي عرض بالنسبة إلى النفس فهي أعراض النفس بهذا المعنى فإذا فارقت النفس الجسد ظهرت بذلك الشبح الذي هو تنزل النفس الكامن في الجسد وهو من المجردات عن المادة الجسمانية والمدة الزمانية وليست هذه الأشباح التي تترائى في المرايا أو في الأجسام الصيقلية من سنخ ذلك العالم وتلك الأشباح لأنها تترائى بالأبصار ولا كذلك عالم المثال وربما يقال أن هذه الأشباح من عالم المثال الأسفل التي هي متفرعة على الأجسام وهي ظل الأجسام فإذا عرفت ما قلنا عرفت أن أهل عالم المثال هم ذوات متأصلة ورجال ينتظرون خروج القائم عجل الله فرجه لينصروه وكما أن للجسم شئونات وحالات فكذلك لأهل هذا العالم شئونات وتطورات على طبق شئونات الجسم لا يقال إنك قررت فيما سبق أن المثال تنزل المادة وباقتران تلك المادة بالمثال يتحقق الجسم ولا يطابق ما قلت هنا من أن المادة الجسمية تبقى في القبر مستديرة

(١) الكافي ١ / ٤٠١ .

ويظهر الروح بالمثال ، والمثال برزخ بين النفس والمادة الجسمية لأنا نقول نعم المثال هو تنزل المادة ولكن للمادة مراتب ولها حالات قبل اقترانها بالصورة الجسمية وبعد اقترانها ، فالمثال إذا قلنا من تنزلات المادة يعني بالمادة قبل اقترانها بالصورة الجسمية وتعينها بها ، وأما بعد التعين بالصورة الجسمية فلا يكون المثال من تنزلاتها بل هذه المادة المقترنة بالصورة من تنزلات المثال فإذا قلنا أن المثال برزخ بين المادة والنفس نعني بالمادة المادة المقترنة بالصورة الجسمية والمتعينة بها لا المادة المطلقة الغير المتعينة فتفطن .

ويظهر أيضا تذوتهم واستقلالهم وكونهم ينتظرون الفرج لآل محمد عليهم السلام وينصرون القائم ،(مما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل عليه السلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم وذريته فقال نعم قد كان في السماوات والأرض خلق من خلق الله يقدسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار لا يَفْتُرُونَ فإن الله عز وجل لما خلق الأرضين خلقها قبل السماوات ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدسونه الليل والنهار واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرئيل ثم خلق عز وجل في الأرض الجن روحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وحفظهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهن يقدسون الله **اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ** ثم خلق خلقا دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون نسناس أشباه خلقهم و ليسوا بإنس وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدسون الله **اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ** قال وكان الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماوات فيسلمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلمون منهم

الخبر ثم إن طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى قال وأقامت الطائفة المطيعون من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى قال فحط الله أجنحة الطائفة من الجن الذين عتوا عن أمر الله وتمردوا فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء وإلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي قال وكانت الطائفة المطيعة لأمر الله من الجن تطير إلى السماء الليل والنهار على ما كانت عليه وكان إبليس واسمه الحارث يظهر للملائكة أنه من الطائفة المطيعة ثم خلق الله تعالى خلقا على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس يدبون كما يدب الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حب الأولاد ولا الحرص ولا طول الأمل ولا لذة عيش لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار وليسوا ببهائم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأدوية الكبار ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر فكون لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكون عليها سورا من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكون لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكون لهم سورا من حديد يقطع إلى السماء

فأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجن والنسناس فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرها ويستضيئون بنورها ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا فقيل يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم فقال إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ولا يرون أن الله تعالى خلق شمسا ولا قمرا ولا نجوما ولا كواكب ولا يعرفون شيئا غيره فقيل يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم قال لا يعرفون إبليس ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلا الله وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثما لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يَفْتُرُونَ الليل والنهار عندهم سواء و قال . . .)[1] .

وفي بعض الروايات ما معناه أنه يخرج من كل مدينة منها كل يوم سبعون ألفا لا يعودون ويدخلها سبعون ألفا لا يخرجون إلى يوم القيامة .

قال شيخنا قدس سره في ذيل هذه الرواية ، اعلم أن الذي علمته في هؤلاء الخارجين والداخلين أنهم يخرجون من جابرسا لا يعودون ويدخلون جابلقا لا يخرجون ومن خرج من جابلقا دخل جابرسا كذلك ، وإذا كنت في مكان خال لا تحس بحركة ولا صوت ولا ريح في ليل أو نهار فإنك تسمع كلامهم لأن المغربين والمشرقين يتلاقون في الهواء بين الأرض والسماء فيتكالمون فتسمع كلامهم وتسبيحهم دويا كدوي النحل وكذلك

(١) بحار الأنوار ٥٤ / ٣٢٢-٣٢٤

تسمع صوت الماء النازل من عالمهم إلى الأنهار الأربعة لأنه ينزل في حوض واسع والملائكة تكيل السحاب منه . انتهى ما أفاد ولقد أجاد .

وبالجملة : ففي كل يوم يأتي من عالم الغيب سبعون ألف إلى عالم الشهاده أعني عالم الأجسام ويخرج من عالم الأجسام إلى عالم الغيب سبعون ألف وطريق صعودهم غير طريق نزولهم فالصعود والنزول بمقتضى قوسين قوس الصعود وقوس النزول فصعودهم يقابل نزولهم وإلا لكان النازل من رحم الأم لزم أن يرجع الرحم ، فتفطن وهذا العالم المثال الذي ذكرناه في طرف العلو وفيه جنان الدنيا ومنه تخرج المياه الأربعة ، النيل والفرات والجيحون والسيحون وفيه الجنات التي فيها الأشجار والأثمار ولذة أثمارها بالنسبة إلى لذات أثمار الدنيا نسبة السبعين إلى الواحد فإذا مات المؤمن عرجت روحه إلى ذلك العالم ويتنعم إلى أن تقوم الساعة .

وكذلك في مقابل هذا العالم عالم مثالي بعكس ذلك العالم وفيه مدينتين تسمى بجابلقا وجابرسا وفيها مثال الشرور والباطل وفيها نيران الدنيا وجحيمها وإذا مات الكافر هوى روحه إلى تلك النيران وفيها الحيات والعقارب يعذب فيها حتى تقوم الساعة ونسبة عذابها إلى عذاب الدنيا نسبة السبعين إلى الواحد وهذا العالم المثالي الذي ذكرناه هو مثال النفس كما عرفت والذي يترائى في الرؤيا من سنخ ذلك العالم ، ولأجل ذلك أحدث الله الرؤيا ليعلمون الناس أنهم بعد الموت صائرون إلى هذا العالم ويتنعمون أو يعذبون هنالك والرؤيا آية البعث كما ورد عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام أنه قال في قصة لمنكري المعاد من الأمم الماضية (فَأَحْدَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمُ الْأَحْلامَ فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا رَأَوْا وَ مَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ

اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يَحْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِهَذَا هَكَذَا تَكُونُ أَرْوَاحُكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ إِنْ بُلِيَتْ أَبْدَانُكُمْ تَصِيرُ الأَرْوَاحُ إِلَى عِقَابٍ حَتَّى تُبْعَثَ الأَبْدَانُ)[1] .

قال صاحب الكتاب فعن الصادق عليه السلام (أن كُلَّ شيعَتنا في الجَنَّة عَلى مَا كَانَ فيهِمْ قَالَ صَدَقْتُكَ كُلُّهُمْ وَاللَّه في الجَنَّة قَالَ قُلْتُ جُعلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الذُّنُوبَ كَثيرَةٌ كِبَارٌ فَقَالَ أَمَّا في الْقيَامَة فَكُلُّكُمْ في الجَنَّة بشَفَاعَة النَّبيِّ الْمُطَاعِ أَوْ وَصيِّ النَّبيِّ وَ لَكنِّي وَاللَّه أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ في الْبَرْزَخِ قُلْتُ وَمَا الْبَرْزَخُ قَالَ الْقَبْرُ مُنْذُ حينِ مَوْته إِلَى يَوْمِ الْقيَامَة . . . الخ)[2] .

أقول : قد مر بيان هذا الحديث فراجع . . .

قال: وكذا يستفاد منها كون تعلقها بالبدن الأصلي للسؤال وكون السؤال والضغطة في الأخبار الأصلية . . .

أقول : نعم المستفاد من الأخبار أن الروح تعود إلى البدن الأصلي في القبر حتى يأتيه الملكان ويحاسبانه فإذا فرغ من الحساب خرجت الروح من بدنه . . .

قال : وتعلقها بعد ذلك بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بالأبدان الأصلية من غير نسخ ومسخ وفسخ ورسخ وكيف كان فالظاهر أن البدن المثالي بدن مستقل يخلق بقدرته تعالى لتعلق الروح وليس فيها مأخوذا من البدن الأصلي بأخذ لطيفة كتلطيفة كما توهم ، كما أنه ليس عبارة عن الصورة النوعية الإنسانية أيضا كما حكى عن بعض وكذا ما حكى عن المعتزلة من أولاد أبي هاشم من أنه تعالى ينزع من جسد كل واحد منهم أجزاء قدر ما يتعلق به الروح وهو ما سوى هذا من أجسادهم في قبورهم في أجساد سائر الموتى . . .

---
(١) الكافي ٨ / ٩٠ .
(٢) الكافي ٣ / ٢٤٢ .

أقول : أما أن البدن المثالي بدن مستقل فهو صحيح لما قلنا سابقا من أن عالم المثال عالم مستقل برأسه وله أفلاك وعناصر ومتولدات لكن لا على ما ذهب إليه صاحب الكتاب من أن البدن المثالي خارج عن هذا البدن بل هو مكنون في هذا البدن وما ذهب إليه المصنف هو قول بالتناسخ الذي حكم به العقل والنقل وليس هذا البدن بل هو مكنون في هذا البدن وما ذهب إليه المصنف هو قول بالتناسخ الذي حكم به العقل والنقل وليس هذا البدن مأخوذا من البدن المحسوس ملموس بأخذ لطيفة لأن البدن الأصلي يبقى في قبره مستديرا حتى يخلق منه كما خلق أول مرة كما عرفت سابقا ، وليس المثال عبارة عن الصورة لما بينا أن عالم المثال عالم مستقل وأهل ذلك العالم ذوات متأصلة وجواهر مستقلة ينتظرون قيام القائم عجل الله فرجه وذلك العالم برزخ بين النفس والجسم ، وعلى ما قررنا يظهر فساد كل هذه الأقوال فراجع .

قال: وليس هذا قولا بالتناسخ كما توهّم لأن التناسخ الباطل بالاتفاق عبارة عن تعلّق الأرواح في هذا العالم بعد مفارقتها عن أجسادها بأجساد أخر عنصرية كما يقول أهل النسخ والمسخ والفسخ والرسخ ، أو فلكية كما عن بعض ، وأما تعلّقها في القيامة الصغرى في عالم البرزخ بأبدان مثالية وفي القيامة الكبرى بأبدان أصلية كما هو مستفاد من الأخبار فلا يكون تناسخا .

أقول : لو لم يكن هذا البدن المثالي كامنا في الجسم ولم يكن في رتبة من رتب الإنسان فإذا لبس الروح في عالم البرزخ يكون قولا بالتناسخ البتّة لعدم اشتراط وقوع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ في انتقال الروح إلى أبدان عنصرية أو فلكية ، بل التناسخ يتحقق إذا تعلّق الروح ببدن غير بدنه أعمّ من العناصر أو الأفلاك أو غيرها لأن هذا البدن المثالي لابد وأن يتعذّب

بالعذاب البرزخي أو يتنعّم فإذا لم يكن له مدخليّة في الإنسان لزم تعذيب من لم يعص أو إثابة من لم يطع وهذا ظلم ظاهر ولا يجوز إسناده إلى الحكيم الغني وقوله كما هو المستفاد من الأخبار كذب محض إذ هو لم يفهم شيئا من الروايات وما ورد في أن أرواح المؤمنين في أبدان كأبدانهم أو في قالب كقالبه فهو كقول القائل:

قد يطرب القمري أسماعنا   ونحن لا نفهم ألحانه

والمراد من الرواية أن المثال على طبق هذا البدن المحسوس كما يترائى للإنسان في النوم لا أنه شيء مستقل خارج عن الإنسان كما توهّمه فإن ذلك قول بالتناسخ الذي تبطله الضرورة ولما كان البدن المثالي على طبق هذا البدن عبّر عنه عليه السلام بأبدان كأبدانهم فتفطّن.

قال: وقد يقال يمكن كون أهوال القبر كمثل نزول الملك الذي لا يرى بتلك العين أو كحال النائم الملتذ والمتألّم بما يرى في المنام من غير مشاهدة شيء أو بوصول الأثر من غير وجود المؤثر العادي.

أقول: هذا كلّه غلط لأن أهوال القبر أمور محسوسة يعذّب بها العصاة لكن لا ترى بهذه العيون وفيها العقارب والحيات والنيران إلى غير ذلك من أسباب التعذيب وكذلك بالعكس للمؤمنين يتنعّمون في القبر ونزول الملك أمر حسّي يشاهده الخواص يعني الأئمة ومن في القبور يشاهد الملك أيضا لا أن نزوله أمر اعتباري وهمي كما توهّمه صاحب الكتاب، والنائم الملّتذ والمتألّم في المنام إنما يلتذ ويتألّم من أمور موجودة متحقّقة متذوّته في الخارج في عالمه لا أن كل ذلك من الأمور الاعتبارية الوهمية ولما لم يكن لصاحب الكتاب ومن حذى حذوه عين يرى هذه الأمور ينكرونها ويظنّون أنها أمور

اعتبارية ﴿ إِنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ ﴾[1] ﴿وَإِنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾[2] فلو كان الأمر كما زعمه من أنه أمر اعتباري سقطت الأخبار الدالة على ذلك والآيات والآثار والاعتبار ﴿ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ ﴾[3] .

قال: وقد ورد ما يدلّ على حضور الرقيب والعتيد عند حضور الموت وإظهار كتاب الأعمال الحسنة والسيّئة ومجيء ملك بعد الدفن يقال له المنبّه فيقول اكتب عملك وما لك وما عليك في دار الدنيا فيقول لا أحصيه ولا أعرفه فيقول الملك ما سمعت قول الله عز وجل ﴿ أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾[4] أكتب الآن أنا أملي لك لأني موكّل عليك فيقول الميت وأين البياض فيأخذ الملك من الكفن قطعة فيصير ورقا ثمّ يقول هذه صحيفتك فيقول الميت وأين القلم فيقول إصبعك فيقول وأين المداد فيقول ريقك فيملي جميع ما فعله في دار الدنيا ثم يتلوا هذه الآية ﴿ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[5] فيأخذ الملك الكتاب فيختمه فيطوّقه في عنق الميت ، فيقول أما سمعت قول الله عز وجل ﴿ وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً ﴾[6] ثم يجيء المنكر ثم النكير للسؤال عن العقائد .

أقول : هذا حقّ لا ريب ويؤيد ذلك سائر الأخبار .

---

(١) الجاثية ٢٤ .
(٢) يونس ٦٦ .
(٣) الحشر ٢ .
(٤) المجادلة ٦ .
(٥) الكهف ٤٩ .
(٦) الإسراء ١٣ .

المقام الثاني

قال: المقام الثاني في أحوال المكلّفين في المحشر الذي لا ريب فيه كما قال الله تعالى ﴿ولئن متّم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾[1]، وقال تعالى ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾[2] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[3] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[4] ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾[5] ﴿فَأَحْيَيْنا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ﴾[6] وقال الله تعالى ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[7] وقال الله ﴿أإذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أو آباؤنا الأولون قل نعم وأانتم داخرون﴾[8] ﴿إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[9] ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾[10] ﴿إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾[11] ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[12] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[13] ﴿قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[14] ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[15] ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[16] ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ﴾[17] ﴿يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[18] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[19] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تحقق المعاد الجسماني وجميع أجزاء هذا البدن في القيامة الكبرى.

---

(١) آل عمران ١٥٨.
(٢) الحجر ٢٥.
(٣) الحج ٧.
(٤) المؤمنون ١٦.
(٥) العنكبوت ٢٠.
(٦) فاطر ٩.
(٧) يس ٧٨-٧٩.
(٨) الصافات ١٦-١٨.
(٩) الأحقاف ٦.
(١٠) القمر ٢٦.
(١١) الواقعة ١-٢.
(١٢) الواقعة ٤٩-٥٠.
(١٣) المجادلة ٦.
(١٤) التغابن ٧.
(١٥) الملك ١٥.
(١٦) الملك ٢٤.
(١٧) القيامة ١.
(١٨) الإنسان ٧.
(١٩) المطففين ١٠-١١.

أقول : الآيات الدالة على المعاد كثيرة لكن الآيات التي ذكرها صاحب الكتاب لا تدل شيء منها على ثبوت المعاد الجسماني لأنها صريحة في مطلق المعاد لا المعاد الجسماني فيسقط بها الاستدلال ، نعم يدل على عود الأجسام قوله تعالى ﴿ **مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ وقوله ﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴾ .

فالآية الأولى نزلت في أبيّ بن خلف لما خاصم رسول الله ﷺ وآتاه بعظم قد رمّ وبلي ففتّه بيده وقال يا محمد أترى الله يحيي هذه بعد ما رمّ فقال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار ، وهذا صريح في إعادة الأجساد ويقلع عرق التأويل بالكلّية .

قال: وعن هشام بن الحكم أنه قال الزنديق للصادق عليه السلام (أو أنى له بالبعث و البدن قد بلي و الأعضاء قد تفرقت فعضو ببلدة يأكلها سباعها و عضو بأخرى تمزقه هوامها و عضو صار ترابا بني به مع الطين حائط قال عليه السلام إن الذي أنشأه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه قال أوضح لي ذلك قال إن الروح مقيمة في مكانها روح المحسن في ضياء و فسحة و روح المسي ء في ضيق و ظلمة و البدن يصير ترابا كما منه خلق و ما تقذف به السباع و الهوام من أجوافها مما أكلته و مزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض و يعلم عدد الأشياء و وزنها و إن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء و الزبد من اللبن إذا مخض فيجتمع تراب كل قالب

إلى قالبه فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها و تلج الروح فيها)[1].

أقول : ما أصرح هذا الحديث في أن الإعادة تكون بالبدن الأصلي والأجزاء الأصلية في قوله(وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب) وستعرف ذلك سريعا إن شاء الله .

قال: وعنه عليه السلام (إذا أراد الله عز وجل أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم)[2]،إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وقوع المعاد الجسماني كما هو اتفاق المليّين وهو من ضروريات الدين .

أقول : نعم المنكر للمعاد الجسماني كافر لأنه للضرورة وحكم العقل وكون المعاد الجسماني من ضروريات الدين في الجملة بمعنى أن الجسم لابد وأن يعود حتى لو رأيته لقلت هذا فلان الذي كان في الدنيا ، وأما كيفيّة المعاد فليس من ضرورة الدين اتفاقا لأصحابنا بمعنى أن يعود الأعمى أعمى والبصير بصيرا والسقيم سقيما والأعرج أعرجا فليس ذلك من ضرورة الدين بل يقال إن العمى والعرج والسقم إلى غير ذلك من البليّات والعاهات إنما تحصل للإنسان بواسطة الأعراض والغرائب التي ليست منه ومن أجزائه ، فإذا كان يوم القيامة أزيلت عنه تلك الأعراض والغرائب الخارجية التي ليست لها مدخلية في جسد المكلف فتزول عنه العمى والعرج والسقم إلى غير ذلك من الأسقام فيعود الإنسان المكلف بجسده الأصلي الذي كان في دار الدنيا عاريا عن جميع الكدورات وستعرف ذلك سريعا إنشاء الله .

---

(١) الاحتجاج ٢ / ٣٥٠ .

(٢) الأمالي للصدوق ١٧٧ .

قال: وعن الصادق عليه السلام أنه قال (إذا كان يوم القيامة جَمَع الله الأولين والآخرين في صعيد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون يا ربّنا اكشف عنا هذه الظلّمة . . . فساق الحديث إلى أن ذكر ظهور نور ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله لهم فيجيء النداء في محبيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم فيشفعون).

أقول : تمام الحديث هكذا عن أبي عبدالله عليه السلام قال (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين و الآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجون إلى ربهم و يقولون يا رب اكشف عنا هذه الظلمة قال فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بأنبياء فيقول أهل الجمع فهؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة فيقول أهل الجمع هؤلاء شهداء فيجيئهم النداء من عندالله ما هؤلاء بشهداء فيقولون من هم فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم فيقول أهل الجمع من أنتم فيقولون نحن العلويون نحن ذرية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله نحن أولاد علي ولي الله نحن المخصوصون بكرامة الله نحن الآمنون المطمئنون فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم فيشفعون فيشفعون)[1] .

قال: إلى غير ذلك مما دلّ على أنهم في المحشر حفاة عراة يتوقّفون في المحشر كالسكارى حتى يعرقوا عرقا شديدا فتشتد أنفاسهم مقدار خمسين عاما فيقدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمام الناس فيبكي إذا رأى من يصرف عنه من شيعة عليّ عليه السلام فيقول له الملك الله يقول قد وهبتهم لك يا محمد صلى الله عليه وآله وصفحت عن ذنوبهم وألحقهم بك وبمن كانوا يقولون به فيلحقون في حزبهم .

(١) الأمالي للصدوق ٢٨٤ .

أقول : قد ورد أن الخلق إذا قاموا من القبور قاموا حفاة ويوقفون في المحشر كالسكارى ، فعن ثُوَيْر بْن أَبي فَاخِتَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُحَدِّثُ فِي مَسْجِد رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله قَالَ (حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب عليه السلام يُحَدِّثُ النَّاسَ قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَة بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ منْ حُفَرِهِمْ عُزْلاً بُهْماً جُرْداً مُرْداً فِي صَعِيد وَاحِد يَسُوقُهُمُ النُّورُ وَ تَجْمَعُهُمُ الظُّلْمَةُ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى عَقَبَة الْمَحْشَر فَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيَزْدَحِمُونَ دُونَهَا فَيُمْنَعُونَ منَ الْمُضِيِّ فَتَشْتَدُّ أَنْفَاسُهُمْ وَيَكْثُرُ عَرَقُهُمْ وَتَضِيقُ بِهِمْ أُمُورُهُمْ وَيَشْتَدُّ ضَجِيجُهُمْ وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ قَالَ وَهُوَ أَوَّلُ هَوْل منْ أَهْوَال يَوْم الْقيَامَة قَالَ فَيُشْرِفُ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ منْ فَوْق عَرْشه فِي ظِلَال منَ الْمَلَائكَة فَيَأْمُرُ مَلَكاً منَ الْمَلائكَة فَيُنَادِي فِيهِمْ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائق أَنْصِتُوا وَاسْتَمِعُوا مُنَادِيَ الْجَبَّار قَالَ فَيَسْمَعُ آخِرُهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلُهُمْ قَالَ فَتَنْكَسِرُ أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ ذَلكَ وَتَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ وَتَضْطَرِبُ فَرَائِصُهُمْ وَتَفْزَعُ قُلُوبُهُمْ وَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ إِلَى نَاحِيَة الصَّوْت مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاع قَالَ فَعِنْدَ ذَلكَ يَقُولُ الْكَافرُ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ قَالَ فَيُشْرِفُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَكَمُ الْعَدْلُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذي لاَ يَجُورُ الْيَوْمَ أَحْكُمُ بَيْنَكُمْ بِعَدْلِي وَقِسْطِي لاَ يُظْلَمُ الْيَوْمَ عِنْدِي أَحَدٌ الْيَوْمَ آخُذُ للضَّعِيف منَ الْقَوِيِّ بِحَقِّه وَلِصَاحِب الْمَظْلَمَة بِالْمَظْلَمَة بِالْقِصَاص منَ الْحَسَنَات وَالسَّيِّئَات وَأُثِيبُ عَلَى الْهِبَات وَلاَ يَجُوزُ هَذه الْعَقَبَةَ الْيَوْمَ عِنْدِي ظَالِمٌ وَلأَحَد عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ إِلاَّ مَظْلَمَةً يَهَبُهَا صَاحِبُهَا وَأُثِيبُهُ عَلَيْهَا وَآخُذُ لَهُ بِهَا عِنْدَ الْحِسَاب فَتَلازَمُوا أَيُّهَا الْخَلَائقُ وَاطْلُبُوا مَظَالِمَكُمْ عِنْدَ مَنْ ظَلَمَكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَأَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِي شَهِيداً قَالَ فَيَتَعَارَفُونَ وَ يَتَلازَمُونَ فَلا يَبْقَى أَحَدٌ لَهُ عِنْدَ أَحَد مَظْلِمَةٌ أَوْ حَقٌّ إِلاَّ لَزِمَهُ بِهَا قَالَ فَيَمْكُثُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَشْتَدُّ حَالُهُمْ

وَيَكْثُرُ عَرَقُهُمْ وَيَشْتَدُّ غَمُّهُمْ وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ بِضَجِيجٍ شَدِيدٍ فَيَتَمَنَّوْنَ الْمُخَلَصَ مِنْهُ بِتَرْكِ مَظَالِمِهِمْ لأَهْلِهَا قَالَ وَيَطَّلِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى جَهْدِهِمْ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُسْمِعُ آخِرَهُمْ كَمَا يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ يَا مَعْشَرَ الْخَلاَئِقِ أَنْصِتُوا لِدَاعِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاسْمَعُوا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ [لَكُمْ] أَنَا الْوَهَّابُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَوَاهَبُوا فَتَوَاهَبُوا وَإِنْ لَمْ تَوَاهَبُوا أَخَذْتُ لَكُمْ بِمَظَالِمِكُمْ قَالَ فَيَفْرَحُونَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ جَهْدِهِمْ وَضِيقِ مَسْلَكِهِمْ وَتَزَاحُمِهِمْ قَالَ فَيَهَبُ بَعْضُهُمْ مَظَالِمَهُمْ رَجَاءَ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ وَيَبْقَى بَعْضُهُمْ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَظَالِمُنَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نَهَبَهَا قَالَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تِلْقَاءِ الْعَرْشِ أَيْنَ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجِنَانِ جِنَانِ الْفِرْدَوْسِ قَالَ فَيَأْمُرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُطْلِعَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْراً مِنْ فِضَّةٍ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَبْنِيَةِ وَالْخَدَمِ قَالَ فَيُطْلِعُهُ عَلَيْهِمْ فِي حِفَافَةِ الْقَصْرِ الْوَصَائِفُ وَالْخَدَمُ قَالَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا مَعْشَرَ الْخَلاَئِقِ ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ فَانْظُرُوا إِلَى هَذَا الْقَصْرِ قَالَ فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ فَكُلُّهُمْ يَتَمَنَّاهُ قَالَ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى يَا مَعْشَرَ الْخَلاَئِقِ هَذَا لِكُلِّ مَنْ عَفَا عَنْ مُؤْمِنٍ قَالَ فَيَعْفُونَ كُلُّهُمْ إِلاَّ الْقَلِيلَ قَالَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَجُوزُ إِلَى جَنَّتِي الْيَوْمَ ظَالِمٌ وَلاَ يَجُوزُ إِلَى نَارِيَ الْيَوْمَ ظَالِمٌ وَلأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ حَتَّى يَأْخُذَهَا مِنْهُ عِنْدَ الْحِسَابِ أَيُّهَا الْخَلاَئِقُ اسْتَعِدُّوا لِلْحِسَابِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى سَبِيلُهُمْ فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْعَقَبَةِ يَكْرُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى الْعَرْصَةِ وَالْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ قَدْ نُشِرَتِ الدَّوَاوِينُ وَنُصِبَتِ الْمَوَازِينُ وَأُحْضِرَ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَهُمُ الأَئِمَّةُ يَشْهَدُ كُلُّ إِمَامٍ عَلَى أَهْلِ عَالَمِهِ بِأَنَّهُ قَدْ قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَدَعَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الرَّجُلِ الْكَافِرِ مَظْلِمَةٌ أَيَّ شَيْءٍ يَأْخُذُ مِنَ الْكَافِرِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ

النَّار قَالَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يُطْرَحُ عَنِ الْمُسْلِم مِنْ سَيِّئَاته بِقَدْرِ مَا لَهُ عَلَى الْكَافِرِ فَيُعَذَّبُ الْكَافِرُ بِهَا مَعَ عَذَابِه بِكُفْرِه عَذَاباً بِقَدْرِ مَا لِلْمُسْلِم قِبَلَهُ مِنْ مَظْلَمَة قَالَ فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ فَإِذَا كَانَت الْمَظْلَمَةُ لِلْمُسْلِم عِنْدَ مُسْلِم كَيْفَ تُؤْخَذُ مَظْلَمَتُهُ مِنَ الْمُسْلِم قَالَ يُؤْخَذُ لِلْمَظْلُوم مِنَ الظَّالِم مِنْ حَسَنَاته بِقَدْرِ حَقِّ الْمَظْلُوم فَتُزَادُ عَلَى حَسَنَات الْمَظْلُوم قَالَ فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلظَّالِم حَسَنَاتٌ قَالَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلظَّالِم حَسَنَاتٌ فَإِنَّ لِلْمَظْلُوم سَيِّئَاتٍ يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُوم فَتُزَادُ عَلَى سَيِّئَاتِ الظَّالِم)[1] انتهى .

قال الجزري فيه (يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة بهما جمع بهيم وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا كالعمى والعور والعرج وغير ذلك وإنما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة أو النار وقال بعضهم روي في تمام الحديث قيل وما البهم قال ليس معهم شيء يعني من أعراض الدنيا وهذا لا يخالف الأول من حيث المعنى)[2] .

وبالجملة إن المكلف إذا خرج يوم القيامة من قبره خرج عاريا عن عوارض الدنيا والبرزخ لأنها ليست منه ولما كانت هي من غير سنخه رجعت إلى أصلها بحكم رجوع كل شيء إلى أصله .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال (إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد فهم حفاة عراة فيوقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقا شديدا فتشتد أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاما وهو قول الله ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ قال ثم ينادي مناد من تلقاء

---

(١) الكافي ٨ / ١٠٤-١٠٦ .

(٢) بحار الأنوار ٧ / ٢٧٠ .

العرش أين النبي الأمي فيقول الناس قد أسمعت فسم باسمه فينادي أين نبي الرحمة محمد بن عبد الله الأمي ص فيتقدم رسول الله ص أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة إلى صنعاء فيقف عليه ثم ينادي بصاحبكم فيتقدم أمام الناس فيقف معه ثم يؤذن للناس فيمرون فبين وارد الحوض يومئذ و بين مصروف عنه فإذ رأى رسول الله ص من يصرف عنه من محبينا يبكي فيقول يا رب شيعة علي قال فيبعث الله إليه ملكا فيقول ما يبكيك يا محمد فيقول أبكي لأناس من شيعة علي أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار و منعوا ورود الحوض قال فيقول له الملك إن الله يقول قد وهبتهم لك يا محمد وصفحت لهم عن ذنوبهم وألحقتهم بك و بمن كانوا يقولون به و جعلناهم في زمرتك فأوردهم حوضك فقال أبو جعفرع فكم من باك يومئذ و باكية ينادون يا محمداه إذا رأوا ذلك و لا يبقى أحد يومئذ يتولانا و يحبنا و يتبرأ من عدونا و يبغضهم إلا كانوا في حزبنا و معنا و يرد حوضنا)[1] .

قال: وأنهم يبقون يوم قياما على أقدامهم حتى يلجئهم العرق فينادوا يا رب حاسبنا ولو إلى النار فيبعث الله ريحا فيضرب بينهم فيصار المجرمون إلى النار ومن كان في قلبه إيمان إلى الجنة.

أقول : قال القمي في تفسير قوله تعالى ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ قال إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياما على أقدامهم حتى يلجمهم العرق فينادوا يا رب حاسبنا ولو إلى النار قال فيبعث الله رياحا فيضرب بينهم وينادي مناد ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ فيميز بينهم فصار المجرمون في النار ومن كان في قلبه إيمان صار إلى الجنة)[2] ، الحديث .

---

(١) بحار الأنوار ٧ / ١٠١ .

(٢) بحار الأنوار ٧ / ١٠٣ .

واعلم أن أهوال المحشر مما لا يمكن بيانه لشدّة أحوالها .

(كتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى أهل مصر مع محمد بن أبي بكر يا عباد الله إن بعد البعث ما هو أشد من القبر يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ويسقط فيه الجنين و ﴿**تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾ يوم عبوس قمطرير يوم ﴿**كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾ إن فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم و ترعد منه السبع الشداد والجبال الأوتاد والأرض المهاد وتنشق السماء ﴿**فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾ وتتغير فكأنها ﴿**وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**﴾ وتكون الجبال سرابا مهيلا بعد ما كانت صما صلابا و ﴿**يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**﴾ فيفزع من في السماوات والأرض ﴿**إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم لأنه يصير إلى غيره إلى نار قعرها بعيد وحرها شديد وشرابها صديد وعذابها جديد ومقامعها حديد لا يغير عذابها ولا يموت ساكنها دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لأهلها دعوة)[1] انتهى .

فإذا نفخ في الصّور نفخة الجذب أعني نفخة الصعق فتفنى الأرواح والنفوس وذلك عند خراب العالم ثم ينفخ في الصّور نفخة البعث فتجتمع الأرواح والأبدان فتدخل كل روح إلى قالبها فتحشر الخلائق .

عن علي بن الحسين عليه السلام قال (سئل عن النفختين كم بينهما قال ما شاء الله فقيل له فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه فقال أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيحبط إلى الدنيا ومعه صور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض قال فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في

(١) بحار الأنوار ٧ / ١٠٣ .

موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء قال فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رأوا أهل الأرض قالوا أذن الله في موت أهل الأرض قال فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات و يخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق و مات إلا إسرافيل قال فيقول الله لإسرافيل يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً** ﴾ يعني تبسط ﴿**وتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ**﴾ يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها الجبال و لا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته قال فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ فلا يجيبه مجيب فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله مجيبا لنفسه ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير و أنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيتي وأنا أحييهم بقدرتي قال فنفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلا حي وقام كما كان ويعود حملة العرش ويحضر الجنة والنار ويحشر الخلائق للحساب قال فرأيت علي بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاء شديدا)[1] .

أقول : وإنما ذكرت قصة الصّور هنا لأن صاحب الكتاب لم يذكر ذلك فلنعد إلى ما كنّا فيه .

---

(١) بحار الأنوار ٦ / ٣٢٤ .

قال: وإن في القيامة خمسين موقفا لكل موقف ألف سنة.

أقول : قال أَبِي عَبْدِاللَّه عليه السلام (أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيث أَلاَ فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا فَإِنَّ أَمْكِنَةَ الْقِيَامَةِ خَمْسُونَ مَوْقِفاً كُلُّ مَوْقِفٍ مُقَامُ أَلْفِ سَنَةٍ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الْآيَةَ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مما تعدون** قيل يوم القيامة يفعل الله فيه من الأمور ويقضي فيه الأحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقدار خمسين ألف سنة)[1] .

وروى أبو سعيد الخدري قال (قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفس محمد بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا)[2] ، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال (لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة)[3] ، وعنه عليه السلام أيضا قال (لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقيل أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار)[4] .

وقيل معناه أن أول نزول الملائكة في الدنيا بأمره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم .

أقول : طول يوم القيامة كما قال خمسون ألف سنة وذلك لأنه مشتمل على خمسون موقفا يقف في كل موقف ألف سنة والمقصود من السنين هنا المراتب لا غير ذلك حتى يؤدي حسابه فيختلف وقوف الخلق في المواقف فمنهم من يسرع كالبرق الخاطف ومنهم من ينكث ، والله يحاسب الناس في أقل من طرفة عين لكن الحساب يطول ويقصر بالنسبة إلى المكلّفين والمحاسبين والله أعلم .

---

(١) مستدرك الوسائل ١٢ / ١٥٥ .

(٢) ، (٣) ، (٤) بحار الأنوار ٧ / ١٢٣ .

قال : وأنه يسأل كلهم عن جسده فيما أبلاه وعمره فيما أفناه وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه وعن حب أهل البيت .

أقول : نعم ويسأل عن كل ما أنعم الله عليه من العقل والنفس والروح والجسم والجسد والحواس الباطنة والحواس الظاهرة ويحاسب فيحاسب الله عز وجل بنفسه لقوله تعالى ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾[1] وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه (اسمع يا ذا الغفلة والتصريف من ذي الوعظ و التعريف جعل يوم الحشر يوم العرض والسؤال والحباء والنكال يوم تقلب إليه أعمال الأنام وتحصى فيه جميع الآثام يوم تذوب من النفوس إحداق عيونها وتضع الحوامل ما في بطونها وتفرق من كل نفس وجيبها ويحار في تلك الأهوال عقل لبيبها إذ نكرت الأرض بعد حسن عمارتها وتبدلت بالخلق بعد أنيق زهرتها أخرجت من معادن الغيب أثقالها ونفضت إلى الله أحمالها يوم لا ينفع الحذر إذ عاينوا الهول الشديد فاستكانوا وعرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا فانشقت القبور بعد طول انطباقها واستسلمت النفوس إلى الله بأسبابها كشف عن الآخرة غطاؤها فظهر للخلق أنباؤها فدكت الأرض دكا دكا ومدت لأمر يراد بها مدا مدا واشتد المبادرون إلى الله شدا شدا وتزاحفت الخلائق إلى المحشر زحفا زحفا ورد المجرمون على الأعقاب ردا ردا وجد الأمر ويحك يا إنسان جدا جدا وقربوا للحساب فردا فردا ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ يسألهم عما عملوا حرفا حرفا وجيء بهم عراة الأبدان ﴿**خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ**﴾ أمامهم الحساب و ﴿**مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ**﴾ يسمعون زفيرها ويرون سعيرها فلم يجدوا ناصرا ولا وليا يجيرهم من الذل فهم يعدون سراعا إلى مواقف الحشر يساقون سوقا فالسماوات ﴿**مَطْوِيَّاتٌ**

(١) الإسراء ١٤ .

بيَمِينِهِ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾والعباد على الصراط ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يظنون أنهم لا يسلمون ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ فيتكلمون ولا يقبل منهم ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ قد ختم على أفواههم واستنطقت ﴿أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يا لها من ساعة ما أشجى مواقعها من القلوب حين ميز بين الفريقين ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾من مثل هذا فليهرب الهاربون إذا كانت الدار الآخرة ﴿لِها فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ ﴾)[1] .

بيان ما لعلّة يحتاج إلى البيان قوله عليه السلام (يوم تقلب إليه أعمال الأنام . . . إلخ) يريد المكلف العامل من أول عمره إلى آخر عمره يأتي يوم القيامة ويأتي معه جميع أعماله وأحواله وأطواره وتطوّراته فإن كلها موجودة محفوظة في حدود أزمنتها وأسكنتها فؤتي بالسارق حين مدّ يده إلى السرقة يؤتي بالزاني حين فعل الزنا والمصلي حين ما يصلّي وربما يكون جميع هذه الأحوال لرجل واحد فؤتى به بجميع أحواله فللرجل الواحد شئونات غير متناهية لا يقال أن هذه الأعمال ليست قارة لأنها أعراض صدرت عنه في الأزمنة الغير القارة فذهبت فكيف تعادلانا ، نقول ليس حيث تذهب من أن الأعمال أعراض لا تكون منشأ للأحوال بل إنما هي جواهر موجودة ولكنها بالنسبة إلى عاملهما أعراض ، وبالنسبة إلى أنفسها جواهر وهي قارة في أزمنتها وجميع الأزمنة قارة في حدودها فكلما دخل في الوجود لا يخرج منه بوجه من الوجوه فيأتي الرجل بجميع شئوناته وأحوالاته حتى أنه ليملأ العرصة من شئوناته فيعذب ويثاب بها فيحصي فيها جميع الأنام .

قوله عليه السلام (إذ نكرت الأرض بعد حسن عمارتها) ذلك يكون في نفخة الصعق التي تنجذب جميع الأرواح والنفوس والعقول وسائر المراتب إلى ثقبها فينفك جميع المراتب بعد المراتب بعد اجتماعهما .

(١) بحار الأنوار ٧ / ٩٩ .

وقوله عليه السلام (أخرجت من معادن الغيب أثقالها) هذا في نفخة البعث وبعد تلك الأحوال تعود الأشياء إلى اجتماعها تنشق الأرض ويظهر ما كمن فيها من أجساد المكلفين التي بقيت في قبورها مستديرة فتخرج إلى سلقة المحشر للسؤال .

وقوله عليه السلام (وعرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا) مأخوذ قوله تعالى ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالأَقْدامِ﴾[1] ، هذا يحتمل أن يكون المراد بها المشركين فإنهم لا يسألون يوم القيامة ويساقون إلى النار كما في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (إن الله يحاسب كل خلق إلا من أشرك بالله فإنه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار)[2] الحديث ، أو المراد أنه يمتاز الأخيار من الأشرار بأعمالهم فيستنيبون ويقاد بالمجرمين إلى النار وليس المراد أنه يمتاز عند الله بمعنى أنه سبحانه يعرف المجرم في ذلك اليوم تعالى عن ذلك ربّي علوا كبيرا ، بل المراد أنه يمتاز المجرم عن غيره عند الخلق فالمعرفة راجعة إلى الخلق فيتعارفون ويتناكرون .

قوله عليه السلام (فدكّت الأرض دكا ومدت للأمر مدا . .الخ) يريد أنه إذا زالت عن الأرض هذه الأوساخ أعني العوارض الدنياوية والبرزخية على ما هي عليها منبسطة تسع جميع الخلائق وشئوناتهم فتكون الأرض يومئذ نقية صافية حتى ورد أنها تكون غذاء للخلق حتى يفرغون من الحساب كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل (قيل يا أبا جعفر فأخبرني عن قول الله تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّماواتُ﴾ أي أرض تبدل فقال أبو جعفر عليه السلام تبدل أرضنا بخبزة بيضاء يأكلون منها حتى يفرغ الله من حساب الخلائق فقال نافع إنهم عن الأكل لمشغولون فقال أبو جعفر أ هم حينئذ أشغل أم وهم في النار فقال نافع بل وهم في النار قال

(١) الرحمن ٤١

(٢) بحار الأنوار ٧ / ١١١

فقد قال الله **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ما شغلهم أليم عذاب النار عن أن دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم و دعوا بالشراب فسقوا الحميم فقال صدقت)[1] ، فالأرض التي تبدّل بالخبر هي هذه الأرض بعينها إلا أنها طهرت عن الأوساخ التي عرضتها وإذا زالت عنها الأعراض تمتد وتبسط كما خلقها الله أول مرّة فعند ذلك تسع الخلائق .

قوله عليه السلام : وقربوا للحساب فردا فردا يريد أن ذلك اليوم يوم الفزع الأكبر وهو يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلم بأنهم لا ينفعونه فهو يأتي وحده كما خلقه الله وحيدا لكن معه جميع شئونه وأحواله فكل يشتغل بنفسه عن غيره ، نعوذ بالله فهو فرد وجمع فرد باعتبار نفسه وجمع باعتبار شئونه إياه .

قوله عليه السلام : ((وجاء ربك والملك صفا صفا)) يريد الرب سبحانه أو أن الرب هو المربي وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام لأنهم أولياء الحساب فيحاسبون الخلق كما ورد عن الباقر عليه السلام ((أنه قَالَ يَا جَابِرُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِفَصْلِ الْخِطَابِ دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَدُعِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَيُكْسَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حُلَّةً خَضْرَاءَ تُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيُكْسَى عَلِيٌّ عليه السلام مِثْلَهَا وَيُكْسَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حُلَّةً وَرْدِيَّةً يُضِيءُ لَهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيُكْسَى عَلِيٌّ عليه السلام مِثْلَهَا ثُمَّ يَصْعَدَانِ عِنْدَهَا ثُمَّ يُدْعَى بِنَا فَيُدْفَعُ إِلَيْنَا حِسَابُ النَّاسِ فَنَحْنُ وَاللَّهِ نُدْخِلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ))[2] .

وعن مولانا الرضا عليه السلام في قوله : (**وجاء ربك**) أي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عنده حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته) الحديث .

---

(١) بحار الأنوار ٣٣ / ٤٢٦ .

(٢) الكافي ٨ / ١٥٩ .

ولا تنافي بين الحديثين لأنهم عليهم السلام هم آيات قدرته وآثار قهره فيظهر الله سبحانه للخلق بهم عليهم السلام فهم آياته ، قال عليه السلام (ونحن ظاهره فيكم) فالله سبحانه هو الذي يحاسب وحده لا شريك له لكن يحاسب الخلق بهم عليهم السلام كما أنه تعالى ظهر للخلق بهم عليهم السلام وهو يحاسب الخلق بهم ، قال تعالى ﴿ **كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾[1] فتفطن .

قوله عليه السلام (وجيء بهم عراة الأبدان ، خشعا أبصارهم .. إلخ) يريد أنهم عراة عن العوارض الدنيوية والبرزخية لا أنهم عراة بلا أكفان بل عليهم أكفانهم كما قال الصادق عليه السلام (أنه سأل الزنديق أبا عبدالله عليه السلام فقال أخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة قال بل يحشرون في أكفانهم قال أنى لهم بالأكفان وقد بليت قال إن الذي أحيا أبدانهم جدد أكفانهم قال من مات بلا كفن قال يستر الله عورته بما شاء من عنده قال فيعرضون صفوفا قال نعم هم يومئذ عشرون ومائة صف في عرض الأرض)[2] الخبر .

قوله عليه السلام (أمامهم الحساب ، ومن ورائهم جهنم يسمعون زفيرها . . .الخ) يريد أن الخلق في ذلك الموقف مقبلون إلى الحساب ومن ورائهم جهنم وهو كناية عن إحاطة جهنم بهم فيومئذ تحيط بهم جهنم من جميع أطرافهم كما ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله (أَخْبَرَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقَ وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ أُتِيَ بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِأَلْفِ زِمَامٍ أَخَذَ بِكُلِّ زِمَامٍ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ مِنَ الْغِلَاظِ الشِّدَادِ وَلَهَا هَدَّةٌ وَتَحَطُّمٌ وَزَفِيرٌ وَشَهِيقٌ وَإِنَّهَا لَتَزْفِرُ الزَّفْرَةَ فَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَّرَهَا إِلَى الْحِسَابِ

(١) الإسراء ١٤ .
(٢) بحار الأنوار ٧ / ١٠٩ .

لأَهْلَكَت الْجَمِيعَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا عُنُقٌ يُحِيطُ بِالْخَلاَئِقِ الْبَرِّ مِنْهُمْ وَالْفَاجِرِ فَمَا خَلَقَ اللَّهُ عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ مَلَك وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ وَيُنَادِي يَا رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي وَأَنْتَ تَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ثُمَّ يُوضَعُ عَلَيْهَا صِرَاطٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ عَلَيْهِ ثَلاثُ قَنَاطِرَ الأُولَى عَلَيْهَا الأَمَانَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالثَّانِيَةُ عَلَيْهَا الصَّلاةُ وَالثَّالِثَةُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ فَيُكَلَّفُونَ الْمَمَرَّ عَلَيْهَا فَتَحْبِسُهُمُ الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا حَبَسَتْهُمُ الصَّلاةُ فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا كَانَ الْمُنْتَهَى إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ وَالنَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ فَمُتَعَلِّقٌ تَزِلُّ قَدَمُهُ وَتَثْبُتُ قَدَمُهُ وَالْمَلائِكَةُ حَوْلَهَا يُنَادُونَ يَا كَرِيمُ يَا حَلِيمُ اعْفُ وَاصْفَحْ وَعُدْ بِفَضْلِكَ وَسَلِّمْ وَالنَّاسُ يَتَهَافَتُونَ فِيهَا كَالْفَرَاشِ فَإِذَا نَجَا نَاجٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ بَعْدَ يَأْسٍ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)[1] الحديث .

واعلم أنه لا ينجوا أحد من أهوال يوم القيامة إلا بالتمسك بولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين فمن تمسك بهم فلا يخاف من النار والقيامة ولنعم ما قيل :

أبا حسن إن كان حبك مدخلي ... جهنم كان الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من كان موقنا ... بأنك مولاه وأنت قسيمها

جعلنا الله من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين .

قوله عليه السلام (قد ختم على أفواههم واستنطقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . . . الخ) يعني يظهر في ذلك اليوم تنطق الأعضاء والجوارح فيشهدون على المكلف وليس معناه أنه لا تنطق الأعضاء وتطرى عليهم

(١) الكافي ٨ / ٣١٢ .

النطق لأن كل شيء ينطق عن توحيد الله في هذه الدنيا والآخرة ولما كانت المشاعر الظاهرية محجوبة بالحجب والأغشية لا تدرك إنطاق الجوارح في هذا الوطن ، فإذا كشف الغطاء يظهر إنطاقهم وجميع المشاعر والقوى لها شعور وإدراك فيدرك كل واحد من القوى والمشاعر جميع ما يدرك صاحبهم مثلا ، اليد تأكل وتذوق وتبصر وتشم وتسمع والعين كذلك وجميع القوى كذلك فكل شيء فيه معنى كل شيء فتفطن واصرف الذهن إليّ فستعرف ذلك في الآخرة والعارفون بالله يشاهدون كل ذلك في الدنيا أيضا لأنهم اكتحلت بنور الله أعينهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال: وإنه ليكون في الميزان القسط الذي يقال له لسانا وكفتين يصور الأعمال الحسنة بصورة والسيئة بصورة قبيحة فتوضع في كفة الميزان.

أقول : قال الله تعالى **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾**[1] .

(قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ذكر فيه﴾** أقوال :

أحدها : أن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لا ظلم فيها على أحد .

وثانيها : أن الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات .

عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي واختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض لا تجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها فقيل توزن صحائف الأعمال .

(١) الأعراف ٨-٩ .

عن ابن عمر وجماعة وقيل تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فتراها الناس عن الجبائي وقيل تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة .

عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة .

وثالثها : أن المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه ﴿ **فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً** ﴾ فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح و من أتى بالعمل السيئ الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ**﴾ إنما جمع الموازين لأنه يجوز أن يكون لكل نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان ويجوز أن يكون كل ميزان صنفا من أصناف أعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر أن الصلاة ميزان فمن وفى استوفى .

و قال الرازي في تفسيره في وزن الأفعال قولان الأول في الخبر أنه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرها قال ابن عباس أما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فذلك قوله ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الناجون قال وهذا كما قال في سورة الأنبياء ﴿ **وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً** ﴾.

وأما كيفية وزن الأعمال على هذا القول ففيه وجهان الأول أن أعمال المؤمن تتصور بصورة حسنة وأعمال الكافر تتصور بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة كما ذكره ابن عباس والثاني أن الوزن يعود إلى الصحف التي تكون فيها أعمال العباد مكتوبة .

وسئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وهذا القول مذهب المفسرين في هذه الآية .

وعن عبد الله بن سلام أن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش إحدى كفتي الميزان على الجنة والأخرى على جهنم ولو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن وجبرئيل آخذ بعموده وينظر إلى لسانه .

وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ويؤتى له تسعة و تسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه و ذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمد عبده ورسوله فيوضع في الآخر فيرجح .

وعن الحسن بينا رسول الله ﷺ ذات يوم واضع رأسه في حجر عائشة قد أغفي إذ سالت الدموع من عينها فقال ما أصابك ما أبكاك قالت ذكرت حشر الناس وهل يذكر أحد أحدا فقال لها يحشرون حفاة عراة وقرأ ﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾لا يذكر فيها أحدا عند الصحف وعند وزن الحسنات والسيئات .

وعن عبيد بن عمير يؤتى بالرجل العظيم الأكول الشروب فلا يكون له وزن بعوضة .

والقول الثاني وهو قول مجاهد والضحاك والأعمش أن المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا القول ومالوا إليه أما بيان أن حمل لفظ الوزن على هذا المعنى جائز في اللغة فلأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل ومما يقوي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره

يقال إن فلانا لا يقيم لفلان وزنا قال تعالى ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ ويقال أيضا فلان يستخف بفلان ويقال هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي يعادله ويساويه مع أنه ليس هناك وزن في الحقيقة وقال الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا قوة   عندي لكل مخاصم ميزانه

أراد عندي لكل مخاصم كلام يعادل كلامه فجعل الوزن مثلا للعدل إذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الآية هذا المعنى فقط والدليل عليه أن الميزان إنما يراد ليتوصل به إلى معرفة مقدار الشيء ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان لأن أعمال العباد أعراض وهي قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وأيضا فبتقدير بقائها كان وزنها محالا وأما قوله الموزون صحائف الأعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فنقول إن المكلف يوم القيامة إما أن يكون مقرا بأن الله تعالى عادل حكيم أو لا يكون مقرا بذلك فإن كان مقرا بذلك فحينئذ كفاه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بأنه عدل وصواب وإن لم يكن مقرا بذلك لم يعرف من رجحان كفة الحسنات على كفة السيئات أو بالعكس حصول الرجحان لاحتمال أنه تعالى أظهر ذلك الرجحان لا على سبيل العدل والإنصاف فثبت أن هذا الوزن لا فائدة فيه البتة .

وأجاب الأولون وقالوا إن جميع المكلفين يعلمون يوم القيامة أنه تعالى منزه عن الظلم والجور والفائدة في وضع ذلك الميزان أن يظهر ذلك الرجحان لأهل القيامة فإن كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد فرحه وسروره بسبب ظهور فضله وكمال درجته لأهل القيامة وإن كان بالضد فيزداد غمه وحزنه وحرقته وفضيحته في يوم القيامة ، ثم اختلفوا في كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان في الكفة .

ثم الأظهر إثبات موازين في يوم القيامة لا ميزان واحد و الدليل عليه

قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ و قال في هذه الآية ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾و على هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح الميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر))[1] .

أقول : إن القوم لما لم يعرفوا حقيقة الأمر ورأوا أن الله سبحانه يقول ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾[2] وجاء في الأخبار إن الميزان له لسانا وكفّتان اضطربوا فيه وقالوا هذه الأقاويل وإن كان لكل واحد من هذه الأقوال وجه صحيح ويجمع هذه الأقوال العارف بحقيقة الأمر وهو أن الله سبحانه يضع يوم القيامة ميزان العدل وله لسانا وكفّتان وكل ميزان بحسبه مثلا هذا الميزان المعروف له كفّتان وكذلك العدل وكذلك سائر الأمور كالحساب والعدد والقدر والهندسة والشعر فكل شيء له ميزان وميزانه له كفّتان فتوزن ذلك الشيء بذلك الميزان فميزان العدل أيضا له كفّتان فيزن سبحانه وتعالى يوم القيامة الأعمال بميزان عدله وليس إطلاق الميزان على ميزان العدل من باب المجاز لأنه يقال حقيقة هذا ميزان ، وأما من يقول بأن هذه الأعمال إعراض فلا توزن أو بأنه تفنى فكلامه ناشئ عن عدم تدبره في حقائق الأمور لأنا نقول كل شيء مما دخل في ساحة الوجود هو جوهر وعرض جوهر بالنسبة إلى نفسه ومن تحته في الرتبة وعرض بالنسبة إلى علته ومن فوقه فهذه الأعمال التي بالنسبة إلى ملاحظة العامل أعراض هي جواهر متأصلة وذوات مستقلة تظهر بجوهريتها يوم تبلى السرائر ولما لم تتخلص المشاعر والقوى من الأعراض الدنيوية لم يشاهدها الآن ولذلك تظهر أن الأعمال كلها تظهر في يوم القيامة على صور قابلياتها فتظهر تجسمها .

قال شيخنا البهائي أعلى الله مقامه (تجسم الأعمال في النشأة الأخروية

---

(١) بحار الأنوار ٧ / ٢٤٢-٢٤٦ .

(٢) الأنبياء ٤٧ .

قد ورد في أحاديث متكثّرة من طرق المخالف والمؤالف ، وقد روى أصحابنا رضي الله عنهم عن قيس بن عاصم قال وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي ﷺ فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس فقلت يا نبي الله عظنا موعظة ننتفع بها فإنا قوم نعبر في البرية فقال رسول الله ﷺ يا قيس إن مع العز ذلا و إن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيء حسيبا وإن لكل أجل كتابا وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريما أكرمك وإن كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإنه إن صلح آنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك . الخبر ، ثم قال قال بعض أصحاب القلوب إن الحيات والعقارب بل والنيران التي تظهر في القبر والقيامة هي بعينها الأعمال القبيحة والأخلاق الذميمة والعقائد الباطلة التي ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وتجلببت بهذه الجلابيب كما أن الروح والريحان والحور والثمار هي الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقة التي برزت في هذا العالم بهذا الزي و تسمت بهذا الاسم إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف الأماكن فتحلى في كل موطن بحلية وتزيا في كل نشأة بزي وقالوا إن اسم الفاعل في قوله تعالى ﴿ **يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ ليس بمعنى استقبال بأن يكون المراد أنها ستحيط بهم في النشأة الأخرى كما ذكره الظاهريون من المفسرين بل هو على حقيقته أي معنى الحال فإن قبائحهم الخلقية والعملية والاعتقادية محيطة بهم في هذه النشأة وهي بعينها جهنم التي ستظهر عليهم في النشأة الأخروية بصورة النار وعقاربها وحياتها وقس على ذلك قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا**

يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً**﴾ ليس المراد أنها تجد جزاءه بل تجده بعينه لكن ظاهرا في جلباب آخر و قوله تعالى ﴿**فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ كالصريح في ذلك ومثله في القرآن العزيز كثير وورد في الأحاديث النبوية منه ما لا يحصى ، كقوله ﷺ الذي يشرب في آنية الذهب و الفضة فإنما يجرجر في جوفه نار جهنم و قوله ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة ، وقوله ﷺ الجنة قيعان وإن غراسها سبحان الله وبحمده إلى غير ذلك من الأحاديث المتكثرة)[1] .

انتهى كلامه رفع الله في الخلد أعلامه فإذا عرفت أن الأعمال تتجسم وتظهر في يوم القيامة على ما هي عليها عرفت فساد قول من ادعى أنها تفنى أو أنها أعراض وإذا كان ذلك كذلك فيصحّ القول بأنها توزن في ميزان له كفّتان وهو ميزان العدل لأن جميع الموازين لها كفّتان ولو لم تكن كذلك لم تصحّ الموازنه لكن ميزان كل شيء بحسبه ، ثم اعلم أن لكل واحد من المكلفين في يوم القيامة موازين متعدّدة ميزان الكم والكيف والجهة والرتبة والزمان والمكان وأفعال الجسم والجسد والقلب والظاهر والباطن إلى غير ذلك من المراتب فكل رتبة لها ميزان خاصّ فتوزن الأعمال وترجح فالحكم للراجح لا يقال يلزم على ذلك القول بالإحباط والمعروف من مذهب الشيعة عدم القول بالإحباط لأنا نقول ليس الأمر حيث تذهب وليس هذا قولا بالإحباط لأن العالمين لهم مراتب ودرجات بحسب أعمالهم ويثابون ويعاقبون بأعمالهم التي صدرت عن حقيقتهم الأصلية فإن للإنسان المكلف مراتب أصلية ومراتب عرضيّة فالشيعة لا يصدر عنهم بحسب حقيقتهم إلا

(١) بحار الأنوار ٧ / ٢٢٧-٢٢٩ .

الخيرات والحسنات ، والكفار لا يصدر عنهم بحسب كينوناتهم إلا الشرور والسيئات ، فالمعاصي التي تصدر عن الشيعة والطاعات والخيرات التي تصدر عن الكفار إنما تصدر عنهم بواسطة الأعراض التي حصلت بينهم من اللطخ أو الخلط ، فالميزان العدل يميز بين الأعراض والذوات فيعود كل شيء إلى أصله فترجع سيئات الشيعة إلى الكفار ، وحسنات الكفار إلى الشيعة بحكم رجوع الفرع إلى الأصل ، وذلك قوله تعالى ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾[1] وقوله تعالى ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾[2] فالميزان العدل ينصب لأجل التمييز لإرجاع كل شيء إلى صاحبه وليس هذا قولا بالإحباط .

قال صاحب الكتاب : وأنه يكون فيه تطاير الكتب فكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه لجعل عمله من خير أو شر في عنقه كالطوق .

أقول : تطاير الكتب كناية عن إلحاق الأعمال إلى صاحبها فتتطاير الأعراف إلى أصولها بحكم كل شيء يرجع إلى أصله قال تعالى ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[3] .

(قال الطبرسي رضوان الله عليه عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه كالطوق لا يفارقه وإنما قيل للعمل طائر على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا وقيل طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطير به وقيل طائره حظه من الخير والشر وخص العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن

---

(١) النور ٢٦ .

(٢) العنكبوت ١٣ .

(٣) الإسراء ١٣-١٤ .

والغل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل إنسان دليلا من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسنا فطائره ميمون وإن أساء فطائره مشوم ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً﴾ وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم ﴿يَلْقَاهُ﴾ أي يرى ذلك الكتاب ﴿مَنْشُوراً﴾ أي مفتوحا معروضا عليه ليقرأ ويعلم ما فيه والهاء في له عائد إلى الإنسان أو إلى العمل ويقال له ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ قال قتادة و يقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ أي محاسبا وإنما جعله محاسبا لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء أعماله مكتوبا بالعدل أذعن عند ذلك وخضع واعترف ولم يتهيأ له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم)[1] انتهى .

فالطائر عمل العامل ويلزم في عنقه فبتطاير الأعمال في يوم القيامة فيرجع كل عمل إلى صاحبه وإن كان في هذه الدنيا أيضا كذلك لأنها متصلة بالعامل لكنها لا تشاهد عيانا فإذا كان يوم القيامة تشاهد عيانا اتصالها فيؤتى بالرجل ومعه جميع شؤنه وأحواله وأطواره وتطوراته التي عملها في الدنيا وتشهد جميعها في حدود أزمنتها وأمكنتها للعامل لأن كل ذلك محفوظ عند الله في كتاب رتبتها فتعاد الأعمال والأحوال والليالي والأيام والشهور والسنون والأراضي والبقاع .

(قال رسول الله ﷺ أما إن الله عز وجل كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم فكذلك قد احتاط على عباده و لكم في استشهاد الشهود عليهم فلله عز وجل على كل عبد

(١) بحار الأنوار ٧ / ٣٠٩ .

رقباء من كل خلقه و ﴿مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه وألحاظه والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه والليالي والأيام والشهور شهوده عليه أو له وسائر عباد الله المؤمنين شهوده عليه أو له وحفظته الكاتبون أعماله شهود له أو عليه فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له وكم يكونوا يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإماءه فيجمعهم في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويحشر الليالي والأيام ويستشهد البقاع والشهور على أعمال العباد فمن عمل صالحا شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيسعد بذلك سعادة الأبد ومن عمل سوءا شهدت عليه جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيشقى بذلك شقاء الأبد فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص فإن من عرف حرمة رجب و شعبان ووصلهما بشهر رمضان شهر الله الأعظم شهدت له هذه الشهور يوم القيامة وكان رجب وشعبان وشهر رمضان شهوده بتعظيمه لها وينادي مناد يا رجب ويا شعبان ويا شهر رمضان كيف عمل هذا العبد فيكم وكيف كانت طاعته لله عز وجل فيقول رجب وشعبان وشهر رمضان يا ربنا ما تزود منا إلا استعانة على طاعتك واستمدادا لمواد فضلك ولقد تعرض بجهده لرضاك وطلب بطاقته محبتك فقال للملائكة الموكلين بهذه الشهور ما ذا تقولون في هذه الشهادة لهذا العبد فيقولون يا ربنا صدق رجب وشعبان وشهر رمضان ما عرفناه إلا متلقيا في طاعتك مجتهدا في طلب رضاك صائرا فيه إلى البر والإحسان ولقد كان

بوصوله إلى هذه الشهور فرحا مبتهجا أمل فيها رحمتك ورجا فيها عفوك ومغفرتك وكان بما منعته فيها ممتنعا وإلى ما ندبته إليه فيها مسرعا لقد صام ببطنه وفرجه وسمعه وبصره وسائر جوارحه ولقد ظمئ في نهارها ونصب في ليلها وكثرت نفقاته فيها على الفقراء والمساكين وعظمت أياديه وإحسانه إلى عبادك صحبها أكرم صحبة وودعها أحسن توديع أقام بعد انسلاخها عنه على طاعتك ولم يهتك عند إدبارها ستور حرماتك فنعم العبد هذا فعند ذلك يأمر الله تعالى بهذا العبد إلى الجنة فتلقاه ملائكة الله بالحباء والكرامات ويحملونه على نجب النور وخيول البرق ويصير إلى نعيم لا ينفد ودار لا تبيد لا يخرج سكانها ولا يهرم شبانها ولا يشيب ولدانها ولا ينفد سرورها وحبورها ولا يبلى جديدها ولا يتحول إلى الغموم سرورها ولا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب قد أمنوا العذاب وكفوا سوء الحساب وكرم منقلبهم ومثواهم وساق الحديث إلى أن قال ما من امرأتين احترزتا في الشهادة فذكرت إحداهما الأخرى حتى تقيما الحق وتتقيا الباطل إلا وإذا بعثهما الله يوم القيامة عظم ثوابهما ولا يزال يصب عليهما النعيم ويذكرهما الملائكة ما كان من طاعتهما في الدنيا وما كانتا فيه من أنواع الهموم فيها وما أزاله الله عنهما حتى خلدهما في الجنان وإن فيهن لمن تبعث يوم القيامة فيؤتى بها قبل أن تعطى كتابها فترى السيئات بها محيطة وترى حسناتها قليلة فيقال لها يا أمة الله هذه سيئاتك فأين حسناتك فتقول لا أذكر حسناتي فيقول الله لحفظتها يا ملائكتي تذاكروا حسناتها وذكروا خيراتها فيتذاكرون حسناتها يقول الملك الذي على اليمين للملك الذي على الشمال أ ما تذكر من حسناتها كذا وكذا فيقول بلى ولكني أذكر من سيئاتها كذا وكذا فيعدد ويقول الملك الذي على اليمين له أ فما تذكر

توبتها منها قال لا أذكر قال أ ما تذكر أنها وصاحبتها تذكرتا الشهادة التي كانت عندهما حتى أيقنتا وشهدتاها ولم تأخذهما في الله لومة لائم فيقول بلى فيقول الملك الذي على اليمين للذي على الشمال أ ما تلك الشهادة منهما توبة ماحية لسالف ذنوبهما ثم تعطيان كتابهما بأيمانهما فتوجد حسناتهما كلها مكتوبة وسيئاتهما كلها ثم تجدان في آخرهما يا أمتي أقمت الشهادة بالحق للضعفاء على المبطلين ولم تأخذك فيها لومة اللائمين فصيرت لك ذلك كفارة لذنوبك الماضية ومحوا لخطيئاتك السالفة)[١] الحديث .

وإنما ذكرنا أكثر الحديث لكثرة فوائده ، وبالجملة فقد ظهر أن جميع الأعمال تعود في يوم القيامة وقوله تعالى ﴿ **أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ** ﴾ كناية عن ظهور اتصال تلك الأعمال بصاحبها فتفطن .

قال : وأنه تنشر صحف الأعمال فينظر كل إلى كتابه .

أقول : نشر الصحائف عبارة عن نشر الأعمال وظهورها عند عاملها واتصالها به .

قال: وانه يكون فيه الوسيلة واللواء.

أقول : الوسيلة هي منبر لها ألف مرقاة فيصعد عليها رسول الله ﷺ يوم القيامة واللواء لواء الحمد بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فعن أبي عبدالله عليه السلام قال (كان رسول الله ﷺ يقول إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة فسألنا النبي ﷺ عن الوسيلة فقال هي درجتي في الجنة وهي ألف مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤة إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين فهي في درجة النبيين كالقمر بين

(١) بحار الأنوار ٧ / ٣١٥-٣١٧ .

الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال طوبى لمن كانت هذه درجته فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذه درجة محمد ﷺ فقال رسول الله ﷺ فأقبل يومئذ متزرا بريطة من نور على تاج الملك وإكليل الكرامة وعلي بن أبي طالب إمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا إله الله محمد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله فإذا مررنا بالنبيين قالوا هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذان نبيان مرسلان حتى أعلو الدرجة وعلي يتبعني فإذا صرت في أعلى الدرجة منها وعلي أسفل مني بيده لوائي فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم إلي يقولون طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله فينادي المنادي يسمع النبيون وجميع الخلائق هذا حبيبي محمد وهذا وليي علي بن أبي طالب طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه ثم قال رسول الله ﷺ يا علي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح إلى هذا الكلام وأبيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حربا أو جحد لك حقا إلا اسود وجهه واضطربت قدماه فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إلي أما أحدهما فرضوان خازن الجنة وأما الآخر فمالك خازن النار فيدنو رضوان ويسلم علي ويقول السلام عليك يا رسول الله فأرد عليه وأقول أيها الملك الطيب الريح الحسن الوجه الكريم على ربه من أنت فيقول أنا رضوان خازن الجنة أمرني ربي آتيك بمفاتيح الجنة فخذها يا محمد فأقول قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به علي ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب فيدفعها إلى علي ويرجع رضوان ثم يدنو مالك خازن النار فيسلم ويقول السلام عليك يا حبيب الله فأقول له وعليك السلام أيها الملك ما

أنكر رؤيتك وأقبح وجهك من أنت فيقول أنا مالك خازن النار أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح النار فأقول قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به علي وفضلني به ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب فيدفعها إليه ثم يرجع مالك فيقبل علي و معه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقعد على عجزة جهنم ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرها وكثر تطاير شررها فينادي جهنم يا علي جزني قد أطفأ نورك لهبي فيقول علي لها ذري هذا وليي و خذي هذا عدوي فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه فإن شاء يذهب بها يمنة وإن شاء يذهب بها يسرة ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي من جميع الخلائق وذلك أن عليا عليه السلام يومئذ قسيم الجنة والنار)[1] انتهى .

وفي بعض النسخ ما بين المرقاة إلى المرقاة عدو الفرس الجواد ألف سنة وفي بعض الروايات (إذا كان يوم القيامة وضع لرسول الله صلى الله عليه وآله منبر من ياقوتة حمراء مكلل بزبرجدة خضراء له سبعون ألف مرقاة بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس القارح ثلاثة أيام)[2] انتهى ، والفرس القارح هو الذي دخل في السنة الخامسة ولا يبعد أن يكون بالدال المهملة كناية عن سرعة مسيره فإنه يقدح النار عند مسيره بحافرته .

وأما اللواء فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله (أن رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين ثم قال يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي أ ما علمت يا علي أنه أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بي فأقوم عن يمين العرش فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بأبينا إبراهيم عليه السلام فيقوم عن يمين العرش في ظله فيكسى حلة خضراء من

(١) بحار الأنوار ٧ / ٣٢٦-٣٢٧ .
(٢) بحار الأنوار ٧ / ٣٣٣ .

حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش في ظله ويكسون حللا خضرا من حلل الجنة ألا وإني أخبرك يا علي أن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة ثم أبشرك يا علي أن أول من يدعى يوم القيامة يدعى بك هذا لقرابتك مني ومنزلتك عندي فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين وإن آدم وجميع من خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة سنانه ياقوتة حمراء قصبه فضة بيضاء زجه درة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة في المشرق وذؤابة في المغرب وذؤابة في وسط الدنيا مكتوب عليها ثلاثة أسطر الأول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ والآخر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش فتكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم ينادي مناد من عند العرش نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك علي ألا وإني أبشرك يا علي أنك تدعى إذا دعيت وتكسى إذا كسيت وتحيا إذا حييت)[1] .

(بيان قال الجزري زج النصل هو أن يكون النقر في طرف الخشبة فتترك فيها زجا ليمسكه ويحفظ ما في جوفه وقال الفيروزآبادي الزج الحديدة في أسفل الرمح)[2] .

وفي بعض الروايات قال رسول الله ﷺ (إذا كان يوم القيامة يأتيني جبرئيل ومعه لواء الحمد وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر وأنا على كرسي من كراسي الرضوان فوق منبر من منابر القدس

---

(١) الأمالي للصدوق ٣٢٤-٣٢٥ .

(٢) بحار الأنوار ٨ / ٢ .

فأخذه وأدفعه إلى علي بن أبي طالب فوثب عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله وكيف يطيق على حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر فقال النبي ﷺ إذا كان يوم القيامة يعطي الله عليا من القوة مثل قوة جبرئيل ومن النور مثل نور آدم ومن الحلم مثل حلم رضوان ومن الجمال مثل جمال يوسف ومن الصوت ما يداني صوت داود ولو لا أن يكون داود خطيبا لعلي في الجنان لأعطي مثل صوته وإن عليا أول من يشرب من السلسبيل والزنجبيل لا تجوز لعلي قدم على الصراط إلا وثبتت له مكانها أخرى وإن لعلي وشيعته من الله مكانا يغبطه به الأولون والآخرون)[1] ، الحديث .

وبيان هذا الحديث الشريف على اكمال ما ينبغي يطول به الكلام ومقصودنا الاختصار في المقام .

قال: والكوثر الذي ورد أنه نهر يجري تحت عرش الله مائه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد حصاه الزبرج والياقوت والمرجان حشيشه الزعفران ترابه المسك .

أقول : ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال (لما أنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يا رسول الله لقد شرف الله هذا النهر وكرمه فانعته لنا قال نعم يا علي الكوثر نهر يجري الله من تحت عرشه ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد حصباه الدر والياقوت والمرجان ترابه المسك الأذفر حشيشه الزعفران يجري من تحت قوائم عرش رب العالمين ثمره كأمثال القلال من الزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر والدر الأبيض

(١) بحار الأنوار ٨ / ٣ .

يستبين ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره فبكى النبي ﷺ وأصحابه ثم ضرب بيده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا علي والله ما هو لي وحدي وإنما هو لي ولك ولمحبيك من بعدي)[1] .

(عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه وأهل بيته عليهم السلام دون الأنبياء)[2] .

وعن مسمع كردين عن أبي عبدالله عليه السلام قال (إن الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى إنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه يا مسمع من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يشق بعدها أبدا وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل أحلى من العسل وألين من الزبد وأصفى من الدمع وأذكى من العنبر يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان تجري على رضراض الدر والياقوت فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء يوجد ريحه من مسيرة ألف عام قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجوهر يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلا ولا عنه تحويلا أما إنك يا كردين ممن تروي منه وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه من أحبنا وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا وإن على الكوثر أمير المؤمنين وفي يده عصاء من عوسج يحطم بها أعداءنا فيقول الرجل منهم

(١) بحار الأنوار ٨ / ٢٧ .

(٢) بحار الأنوار ٨ / ٢٥ .

إني أشهد الشهادتين فيقول انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك فيقول تبرأ مني إمامي الذي تذكره فيقول ارجع وراءك فقل للذي كنت تتولاه و تقدمه على الخلق فاسأله إذ كان عندك خير الخلق أن يشفع لك فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع فيقول إني أهلك عطشا فيقول زادك الله ظمأ و زادك الله عطشا قلت جعلت فداك و كيف يقدر على الدنو من الحوض و لم يقدر عليه غيره قال ورع عن أشياء قبيحة و كف عن شتمنا إذا ذكرنا و ترك أشياء اجترأ عليها غيره و ليس ذلك لحبنا و لا لهوى منه لنا و لكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته و تدينه و لما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس فأما قلبه فمنافق و دينه النصب و أتباعه أهل النصب و ولاية الماضين و تقديمه لهما على كل أحد)[1] .

(عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن الحوض فقال أما إذا سألتموني عنه فسأخبركم أن الحوض أكرمني الله به و فضلني على من كان قبلي من الأنبياء و هو ما بين أيلة و صنعاء فيه من الآنية عدد نجوم السماء يسيل فيه خليجان من الماء ماؤه أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل حصاه الزمرد و الياقوت بطحاؤه مسك أذفر شرط مشروط من ربي لا يرده أحد من أمتي إلا النقية قلوبهم الصحيحة نياتهم المسلمون لوصي من بعدي الذين يعطون ما عليهم في يسر و لا يأخذون ما عليهم في عسر يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الأجرب من إبله من شرب منه لم يظمأ أبدا)[2] .

قال: وإنه يكون فيه الشفاعة ونحو ذلك ككون من كان له ولاية أمير المؤمنين يومئذ من فزع آمنين.

---
(١) بحار الأنوار ٨ / ٢٣ .
(٢) بحار الأنوار ٨ / ٢١ .

أقول : نعم يكون فيه الشفاعة قال تبارك وتعالى ﴿ **لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمنِ عَهْداً** ﴾[(1)] ، وقال تعالى ﴿**اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[(2)] ، إلى غير ذلك من الآيات (وعَنْ سَمَاعَةَ قَالَ كُنْتُ قَاعِداً مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ عليه السلام وَالنَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ يَا سَمَاعَةُ إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ)[(3)] .

(وعن بشر بن شريح البصري قال قلت لمحمد بن علي عليه السلام أي آية في كتاب الله أرجى قال ما يقول فيها قومك قال قلت يقولون يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قال لكنا أهل البيت لا نقول ذلك قال قلت فأي شي ء تقولون فيها قال نقول وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة)[(4)] .

(وعن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبر قال دخل مولى لامرأة علي بن الحسين صلوات الله عليهما على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال يا أبا جعفر تغرون الناس وتقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم قال ويحك يا أبا أيمن أ غرك أن عف بطنك وفرجك أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال ما أحد

(١) مريم ٨٧ .

(٢) الأنبياء ٢٦-٢٨ .

(٣) الكافي ٨ / ١٦٢ .

(٤) بحار الأنوار ٨ / ٥٧ .

من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة ثم قال أبو جعفر عليه السلام إن لرسول الله ﷺ الشفاعة في أمته ولنا شفاعة في شيعتنا ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم ثم قال وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة و مضر و إن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد)[1] .

(وعن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي جَوَابِ نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ وَأَمَّا شَفَاعَتِي فَفِي أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مَا خَلاَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالظُّلْم)[2] .

إلى غير ذلك من الروايات الداله على أن النبي ﷺ يشفع فيشفع ولا يشفع لمن ارتضى دينه باتباعه واتباع أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين وكذلك أمير المؤمنين والأئمة الطاهرون يشفعون فيشفعون وكذلك المؤمنون .

قال الصادق عليه السلام (فأما في يوم القيامة فإنا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء ليكونن على الأعراف بين الجنة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والطيبون من آلهم فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات فمن كان منهم مقصرا في بعض شدائدها فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كل عصر إلى يوم القيامة فينقضون عليهم كالبزاة والصقور ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصقور صيدها فيزفونهم إلى الجنة زفا وإنا لنبعث على آخرين من محبينا من خيار شيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا وسيؤتى بالواحد من

(١) بحار الأنوار ٨ / ٣٨ .

(٢) مستدرك الوسائل ١١ / ٣٦٤ .

مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن صان الولاية والتقية وحقوق إخوانه ويوقف بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار وذلك ما قال الله تعالى رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا يعني بالولاية لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداءهم)[1] .

قال العلامه أعلى الله مقامه في شرحه عن التجريد ((اتفقت العلماء على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ قوله تعالى ﴿**عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾قيل أنه الشفاعة واختلف فقالت الوعيدية أنها عبارة عن طلب زيادة المنافع المؤمنين المستحقين للثواب وذهبت التفضيلية إلى أن الشفاعة للفساق من هذه الأمة في اسقاط عقابهم وهو الحق وأبطل المصنف الأول بأن الشفاعة لو كانت في زيادة المنافع لا غير لكنا شافعين في النبي ﷺ حيث نطلب له من الله تعالى علو الدرجات والتالي باطل قطعا لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه فالمقدم مثله وقد استدلوا بوجوه :

الأول : قوله تعالى ﴿**ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ**﴾ نفى الله تعالى قبول الشفاعة عن الظالم والفاسق ظالم والجواب أنه تعالى نفى الشفيع المطاع ونحن نقول به لأنه ليس في الآخرة شفيع يطاع لأن المطاع فوق المطيع والله تعالى فوق كل موجود ولا أحد فوقه ولا يلزم من نفي الشفيع المطاع نفي الشفيع المجاب سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون المراد بالظالمين هنا الكفار جمعا بين الأدلة .

الثاني : قوله تعالى ﴿ **وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ** ﴾ ولو شفع ﷺ في الفاسق لكان ناصرا له .

---

(١) بحار الأنوار ٨ / ٤٤ .

الثالث : قوله تعالى ﴿وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ×فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ﴾ .

والجواب : عن هذه الآيات كلها أنها مختصة بالكفار جمعا بين الأدلة .

الرابع : قوله تعالى ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى﴾ نفى شفاعة الملائكة من غير المرضي لله تعالى والفاسق غير مرضي والجواب لا نسلم أن الفاسق غير مرضي بل هو مرضي لله تعالى في إيمانه وقال المحقق الطوسي رضوان الله عليه والحق صدق الشفاعة فيهما أي لزيادة المنافع واسقاط المضار وثبوت الثاني له عليه السلام بقوله أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وقال النوري في شرح صحيح مسلم قال القاضي عياض مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح الآيات وبخبر الصادق وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله تعالى فَما ﴿تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ﴾ وأمثاله وهي في الكفار وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار لكن الشفاعة خمسة أقسام أولها مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الإزاحة من هول الموقف وتعجيل الحساب .

الثانية : في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضا وردت لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومن يشاء الله .

الرابعة : فيمن دخل النار من المؤمنين و قد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله

تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون .

الخامسة : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها و هذه لا ينكرها المعتزلة و لا ينكرون أيضا شفاعة الحشر الأولى)[1] ، انتهى ، كذا نقله بعض الفضلاء .

أقول : الشفاعة ثابتة ولا يشفعون إلا فيمن تولاهم وتبرأ من أعدائهم من الأولين والآخرين .

قال صاحب الكتاب : أعلم أن المعاد الجسماني كما أشرنا مما وقع فيه الاختلاف بين العلماء فمنهم من هدى الله ومنهم من حق عليه الظلالة والحق أنه بهذى الجسم من غير نقيصة وتصفية بطرح الردئ ونحوه سواءا قلنا بالتلطيف أم لا .

أقول : والمصنف على ما يظهر من عبائره من الذين حقت عليهم الضلالة لأنه يقول بالتناسخ كما يشهد عليه مثاله الآتي ذكره في بيان التلطيف وهو يقول بالتلطيف كتلطيف النحاس بالإكسير فإذا كان يوم القيامة عاد النحاس ذهبا فإذا عاد ذهبا فلم يكن هو عود النحاس وبدن المكلف هو النحاس وهذا قول بالتناسخ ولكنا لا نحكم بكفره وضلاله لعدم ادراكه وفهمه للأشياء .

قال: قال الشيخ في جوابه السؤال عن أنك تقول أن للإنسان جسمين وجسدين وفي المعاد بعد الموت لا تعود الروح إلى هذا البدن العنصري

---

(١) بحار الأنوار ٨ / ٦١-٦٣ .

الطبيعي المركب من الأخلاط الأربعة إذ لا حس ولا شعور كلاما مشتملا على هذه العبارة من يعترض إنما يعترض لأنه ما عرف المقصود ولا علم أيضا أنه من كلام أئمته فلذا قال ما قال مع أني لم أقل من هذا شيئا ولكنه ما فهم مرادي ومعنى كلامي، ومرادي هو أن الإنسان له جسمان وجسدان الجسد الأول مركب من العناصر الأربعة المعروفة المحسوسة وهو الآن في هذه الدنيا عبارة عن الكثافة العارضة وفي الحقيقة هو الجسد الصوري ومثاله إذا كان عندك خاتم من فضة فإن صورته هي استدارة حلقته وتركيب موضع الفص المركب منه مثلا فإذا كسرته وأذبته وجعلته سبيكة أو سحلته بالمبرد وجعلته سحالة ثم بعد ذلك وضعت تلك الفضة أعني السبيكة أو السحالة خاتما على هيئة الأول فإن الصورة الأولى هي الجسد الصوري لا تعود ولكن صفته على صورة كالأولى فهذا الخاتم في الحقيقة هو الخاتم الأول بعينه من حيث مادته وهو غيره من جهة صورته ونعني بالجسد العنصري الذي هو الكثافة البشرية هذه الصورة التي هي الجسم الصوري لأنا اعتقادنا الذي ندين الله به ونعتقد أن من لم يقل به ليس بمسلم هو أن هذا الجسد الذي هو الآن موجود محسوس بعينه هو الذي يعادي يوم القيامة وهو الذي يدخل الجنة أو النار وهو الخالد الذي خلق للبقاء وهو الذي نزل إلى هذه الدنيا من ألف ألف عالم حتى وصل إلى التراب ثم أخذ يصعد من النطفة والعلقة والمضغة والعظام وهكذا صاعدا في مقابلة تلك العوالم ألف ألف رتبة من الترقي آخرها لا انتهاء لها فهي باقية ببقاء الله سبحانه بلا نهاية فهذا الجسد المحسوس هو بعينه المعاد وهو بعينه المتعلق الثواب والعقاب لا يشك في ذلك إلا من يشك في إسلامه لأن هذا من أصول الدين ولكن أصله مادة نورية كلما

نزلت جمدت مثل الحجر الأسود وهو ملك فلما نزل كان حجرا ومثل جبرائيل فهو جوهر مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية فإذا نزل لبس بصورة دحية الكلبي أو غيره فكذلك هذا الجسم كان نوريا مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية فأخذ يتنزل إلى أن وصل إلى الزمان والعناصر فلبس هيئتها وكثافتها أعني الصورة المعبر عنها بالمادة العنصرية والكثافة البشرية مثل الماء هو لطيف فإذا جمد لبس الصورة الثلجية فإذا ذاب عاد إلى أصله من غير أن يختلف إلا بمحض الصورة المعبر عنها بالجسد العنصري فإذا جمد ذلك الماء مرة ثانية لم يعد إليه الجمود الأول فلبس جمودا ثانيا مع أنه بعينه هو ذلك الماء لم يتغير مع أنه قد تغير وهذا هو مرادنا بالجسد الأول الذي لا يعود فالموجود في الدنيا بعينة وهو المرئي بالبصر هوجسد الآخرة بعينه لكنه كسر في أرض الجرز أرض القابليات وصيغ في العقول معنى ثم صيغ ذلك المعنى في رتبة الأرواح رفيعة ثم صيغيت في النفوس نفسه ثم كسرت في الطبيعة وخصصت خصصا في جوهر الهباء وتعلقت بها الصور في المثال ثم كسرت في محدد الجهات ومنه إلى الرياح ومنه إلى السحاب ومنه إلى المطر والأرض والنبات ثم صيغت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسى لحما وإن شاء خلقا آخر فكان إنسانا في هذه الدنيا ثم كسر في القبور ثم يصفى في الأرض بمعنى أن الأرض تأكل جميع ما فيه من الغرائب والأعراض والكثافات المعبر عنها بالجسد العنصري ويخرج يوم القيامة هذا الجسد بعينه أعني الموجود بالدنيا بعينه هو الذي يخرج يوم القيامة بعد أن يصفى ومعنى قولنا بعد أن يصفى هو أن يذهب عنه الجسد العنصري ومعنى قولنا هو أن يذهب الجسد العنصري يعني يذهب الكثافات الغريبة وهي الصورة الأولى لأنه إذا صيغ ثانية لا تعود الصورة الأولى فافهم.

فهذا مرادي وأبرأ إلى الله من غير هذا وهذا مذهب أئمة الهدى .

فذكر حديثنا مشتملا على أن رجلا لو أخذ لبنته فكسرها ثم ردها إلى ملبنها فهي هي وهي غيرها إلى أن قال بعد ذكر مثال الخاتم فإنه صيغ من الفضة وبعد أن كسرت ذهبت الصورة الهيئة التي هي بمنزلة الجسد الأول أعني العنصري وهو الكثافة الغربية التي ليست في الحقيقة من الإنسان ثم قال هو الجسد الأول الفاني ،وأما الجسد الثاني فهو مركب من عناصر أربعة لكنها ليست من هذه العناصر الزمانية المعروفة الفانية بل من عناصر باقية جوهرية نورانية وهي من عناصر هورقليا في الإقليم الثامن الذي فيه الجنتان المدهامتان وجنان الدنيا وإليها تأوى أرواح السعداء من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين وهذا هو الجسد الثاني وهو الباقي وهو الذي نزل إلى الدنيا ولبس الكثافة البشرية العنصرية وهو بعينه هذا الجسد الموجود في هذه الدنيا إلا أنه غبار ووسخ وهو من العناصر المحسوسة وهذه الكثافة ليست من الجنة حتى تعود إليها وإنما هي من هذه الدنيا ، قال والحاصل أن عود كل شيء إلى أصله مما لا خلاف فيه فإذا ثبت بأن الكثافة من هذه العناصر وأن الإنسان إنما تعلقت به في هذه الدنيا وعاد إلى أصله كل شيء لم تصحب الكثافة إلى الجنة ،ثم قال الإنسان له جسدان وجسمان ، فالجسد الأول من العناصر المحسوسة ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا لأنه إذا مات وكان ترابا ذهبت هذه الصورة، قال وهذه الصورة الأولى هي الجسد الأول الذي لا يعود وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهو الكثافة،والجسد الثاني وهو الذي يعود وهو مخلوق من عناصر هورقليا أعني العالم الذي قبل هذا العالم وفيه جنان الدنيا والجنتان المدهامتان وإليه تأوي أرواح المؤمنين،وهورقليا

معناه ملك آخر وهذا اسم لتلك الأفلاك وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا، والجسم الأول هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى، فإذا نفخ في الصور بطل كل روح وكل متحرك أربعمائة سنة طهر ذلك الجسم عن أوساخ البرزخ وكثافاته بالنسبة إلى عالم الآخرة وهذه الكثافات هي مرادنا بالجسم الأول الذي لا يعود ويبقى الجسم الثاني الصافي تحمله الروح وتمضي معه إلى الجسد الثاني بين أطباق الثرى الباقي فتدخل بحسبها فيه فيخرج في النشور من في القبور والحساب بجسمه وجسده الصافيين وهما هذا الجسم والجسد الموجود في الدنيا بعينه وإنما يطهر.

ثم قال: إن المعاد في هذا الجسد العنصري يدخل الجنة بهذه الكثافة أو يصفى عن الأعراض الغريبة التي ليست منه، فإن قلت يدخل الجنة بهذه الكثافة على هذه الحالة فقد خالفت العقل والنقل الدالين على أن صفاء أبدان أهل الجنة ومطاعمهم بحيث يأكلون ولا يتغوطون ولا يبولون، إلى أن قال: ولو لم يصيف لبقيت فيه الأعراض والغرائب فلا يبقى في الجنة بل يموت ويزول ، لأن علة الموت والزوال إنما هي ممازجة تلك الأعراض والكثافات الغريبة مثل الذهب ، فإنك إذا أخذت مثقالاً من الذهب ومزجته بمثقالين من النحاس والحديد ودفنت ذلك الممزوج في الأرض ، تأكل الأرض جميع ما فيه من الحديد والنحاس وتبقى أجزاء الذهب متخللة متفرقة ، إلى أن قال: فلو دخلت أجسام الأناس الجنة على هذه الحالة لفنيت لأن فيها أسباب الفناء، هذا على ظاهر الدليل وأما في الحقيقة الأمر كما أشرنا إليه من أن كل شيء يرجع إلى مبدئه وأصله، وأصل الإنسان لطيف وإنما لحقته هذه

الكثافات الغريبة في هذه الدنيا، لأن هذه الدنيا دار تكليف لم تخلق للبقاء فلما خلق الخلق رحمة بهم أنزلهم في دار التكليف والمشقة ليتزودوا منها لدار مقامهم وألزمهم مقتضى هذه الدار من لزوم الأعراض والغرائب والكثافة التي هي أسباب الانتقال ودواعي الزوال لئلا يبقوا في دار المشقة دائماً فلا يصلوا إلى دار الجزاء والحال أنه سبحانه خلقهم وبرأهم رحمة بهم ليوصلهم إلى النعيم الدائم الذي لا ينفد والبقاء الدائم المخلد، وإذا قلت أنهم يعودون في هذا البدن العنصري وتريد به مع ما هو عليه من الكثافة والغرائب التي تفنى بها الجسد العنصري المحسوس البشري لزمك أنهم لا يبقون في الجنة ولا في النار لأن العلة الموجبة للانتقال من هذه الدار هي تلوث ذلك الجسد اللطيف أعني الثاني والجسم النوراني وهما حقيقة الجسم الذي هو الإنسان وما سوى هذين فهي أعراض وكثافات.

أقول : يريد بالشيخ شيخنا وأستاذنا ومن إليه في كل حق استنادنا عماد الإسلام والمسلمين وركن المؤمنين الممتحنين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الأحسائي قدس الله روحه ونور ضريحه وهو يريد أن هذا البدن المحسوس الملموس هو الذي يعاد في يوم المعاد بعد تصفيته عن الغرائب والأعراض التي هي الصورة الدنياوية والبرزخية فإن هذا البدن إذا تفككت أجزاؤه ذهبت تلك الصورة التي كان عليها ، فإذا اجتمعت الأجزاء استفككت المتفرقة عادت تلك أجزاء على صورة كالصورة الأولية ، فعبر عن الصورة الدنيوية بالجسد العنصري وعن الصورة البرزخية بالجسم الأول ومن اشتبه على الناس مراده حتى ظن أنه لم يقل بالمعاد الجسماني مع أنه قد صرح في كثير من كتبه ورسائله أن البدن الذي يعود هو هذا البدن المرئي

الملموس المحسوس ، فلو وزن هذا البدن المحسوس في هذه الدنيا قبل ذهاب هذه الصورة الدنيوية ثم يوزن بعدما يعود في القيامة لم تنقص العائد في القيامة عن هذا الذي هو موجود في الدنيا مقدار حبة خردل ، لأن المادة التي بها الوزن والخفة والثقل هي موجود في الدنيا وفي الآخرة ، وأما الصورة التي لا مدخلية لها في ذات الشيء في الوزن والخفة والثقل فهي التي تزول بعد الموت وتلبس تلك المادة في يوم المعاد صورة على هيئة هذه الصورة الدنيوية ، بحيث إذا رأيت زيداً يوم القيامة تقول هذا هو زيد الذي رأيته في الدنيا .

ومن جملة ما بين وصرح بالمراد فيما نقله صاحب الكتاب وقد عرفت مراده قدس سره في عدم إعادة الجسد العنصري فإنه عبر عن الصورة بالجسد العنصري كما صرح بذلك وذلك لا يكون القول بعدم عود جسد الإنسان لأنه قال ومرادي بالجسد العنصري هو الصورة ، وقد أجمع العلماء على أن لا مشاحة في الاصطلاح لا سيما ذكر المراد عند كل ماذكر عدم إعادة الجسد العنصري وليس ذلك اصطلاحه خاصة لأن هذا مما ذكره أهل اللغة في أن الجسد يطلق على الصورة في تعدادهم معاني الجسد ، قال في القاموس : الجسد محركة جسم الإنسان والجن الملائكة والزعفران وعجل بني إسرائيل والدم اليابس في مجمع البحرين قوله تعالى ﴿**عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ**﴾[1] أي ذا جسد أي صورة لا حراك فيها إنما هو جسد فقط أو جسد بدناً ذا لحم ودم .

ثم قال : والجسد من الإنسان بدنه وجثته والجمع أجساد إلى غير ذلك من المعاني التي يطلق الجسم عليها ، فقد ظهر أن الجسد يطلق لغة على

(١) طـــه ٨٨ .

الصورة وكذلك الجسم يطلق على الصورة كما ذكره العلماء في كتبهم ودفاترهم بأن الجسم التعليمي هو الصورة لا غير ، فإذا صح إطلاق أهل اللغة صح تعبيره عن الصورة الدنيوية بالجسد ، وأما تشبيهه بالعنصري فلأجل انقلاب هذه الصورة وعدم استقامتها كالصورة الطفولية والصبا والشيخوخة وتنقلات تلك المادة بالصور وانتقالات تلك الصور كانت العناصر الزمانية في غاية التقلب والانقلاب شبه تلك الصورة بالعناصر فلذا عبر عن الصورة المتقلبة بالجسد العنصري أو أن هذه الصورة هي مركبة من العناصر ، لأن الصورة هي من جملة المخلوقات وكل مخلوق فهو زوج تركيبي كما برهنا على ذلك في رسالتنا اللمعات من أن كل ما يطلق عليه اسم الشيء ما خلا الله فهو مخلوق ، وكل مخلوق فهو مركب من العناصر الأربعة لأن كل ممكن زوج تركيبي ، وبالجملة فهذه الصورة مخلوقة من العناصر فلا تعود يعني لا تعود هذه الصورة الدنيوية المركبة من العناصر الأربع ، فإذا مات زيد مثلاً وتفككت جميع أجزائه وجزئياته أعني الصورة الدنيوية بقيت طينته أي مادته في قبره مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة فيقوم زيد بطينته الأصلية وصورة على هيئة صورته الدنيوية في يوم المعاد .

هذا هو مراد شيخنا بذهاب الجسد العنصري كما صرح بذلك وقد عرفت صحة إطلاق الجسد على الصورة ، والجسم الذي لا يعود هو الصورة العارضية البرزخية التي يلبسهما جسمه البرزخي ، فإذا كانت نفخة الصعق زالت تلك الصورة وإذا وقعت نفخة البعث رجعت تلك المادة البرزخية ولبست صورة على هيئة صورتها العارضية البرزخية ، فالروح يلبس ذلك الجسم البرزخي ويدخل في هذا الجسد الباقي المعبر عنه بالنطفة الأصلية ويقوم للحساب في المآب ، وهذا الذي ذكره شيخنا هو بعينه ما ذكره جميع

العلماء بل وجميع من له أدنى تدرب في الأمور ، وليس ذلك قولاً بعدم إعادة الأجساد وتعرف بيان ما ذكره جعلني الله فداه فيما نقله صاحب الكتاب عند جوابنا لاعتراضه ولا قوة إلا بالله .

قال: أقول الظاهر أن ما ذكره من الأعراض والكثافات فينبغي أن يصفى عنه الاعتقادات أما أولا فلأن ذلك مخالف للحكمة المقتضية لكون الإنسان مركباً من أجزاء العالي والسافل وانموذج العالم الأكبر قابلاً لجميع العلوم ، كما يشهد بذلك قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[(1)] ،

وقوله عليه السلام :

تزعم أنك جرم صغير   فيك انطوى العالم الأكبر .

لدلالة الآية على أن الملائكة مع نورانيتهم لم يكونوا قابلين للتعليم ولا يستلزم الترجيح بلا مرجح وعدم توجه الجواب، العياذ بالله فاحتيج إلى مادة قابلة بالتركيب من أجزاء الجميع ، كما أن العنين لا يمكن أن يتعلم لذة الجماع والأكمه لا يتميز بين الألوان ولو تليت عليه القرآن والحديث أصرح من الآية إلى غير ذلك من الأدلة العقلية والنقلية وعلى ذلك يلزم كون الجميع معاداً في المعاد.

أقول : أن الآية لا تدل إلا على كون الإنسان أشرف من الملائكة لكون الإنسان جامعاً ملكاً ، ولا كذلك الملائكة لأن الملائكة ليس لهم إلا شأن

---

(١) البقرة ٣١-٣٣ .

واحد وإن كانوا مركبين إلا أن تركيبهم ضعيف جداً ، ولذا كان كل واحد من الملائكة له شأن خاص متعلق به كما صرح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الأشباح في صفة خلق الملائكة ، وأما أشرفية الإنسان فلكونه ذا شئون متعددة وجامعاً مملكاً الشئونات المتكثرة ، فاعتبار جامعيته يجب أن يكون أعلم من الملائكة ، وليس في الآية دلالة على كون الإنسان مركباً من الأجزاء العلوية والسفلية بمعنى أنه فيه الأجزاء الذاتية الأصلية والأجزاء العرضية الفضلية فيكون بذلك أشرف من الملائكة بل أشرفية الإنسان باعتبار تركبه من الأجزاء العلوية والسفلية التي هي ذاتية له لا بتركبه من الذاتية والعرضية ، أما الأجزاء الذاتية في الإنسان فهي من العلوية والسفلية التين هما ذاتيتان له ، فبعض أجزائه أشرف من بعض كأجزاء الرأس مثلاً أشرف من أجزاء الرقبة ، وأجزاء الرقبة أشرف من أجزاء الصدر ، وأجزاء الصدر أشرف من أجزاء البطن وما دونه ، وكذلك القلب أشرف من الكبد ، والدماغ أشرف من سائر الأعضاء ، فالتركيب من هذه الأجزاء العلوية والسفلية يقتضي كونه أشرف من غيره لا أنه أشرف من حيث كونه مركباً من الأجزاء الأصلية والعرضية ، وعلى قول صاحب الكتاب يلزم أن يكون الذي حصلت له هذه الأعراض الكثيفة الدنيوية أشرف من الذي لم تلحقه هذه الكثافات ، وعلى هذا يلزم أن يكون الذي عرضت له هذه الأعراض أعلى وأشرف وأكمل من الأئمة عليهم السلام في عالم الأنوار حيث لم يعرض لهم هذه الكثافات والأعراض وذلك خلاف ضرورة مذهب أهل البيت عليهم السلام ونبرأ إلى الله من ذلك ، فالإنسان أشرف من غيره باعتبار تركبه من الأجزاء العلوية والسفلية الذاتية له وما عرضته من هذه الكثافات الدنيوية باعتبار تنزله إلى الدنيا يجب إزالتها عنه ، كما أن الإنسان إذا تنجست يده يجب إزالتها عنها وهذا مراد شيخنا في خلع هذه الصورة الدنيوية العارضة المعبر عنها بالجسد العنصري وعدم إعادتها في يوم

المعاد ، لأنها ليست من الإنسان بل هي بمنزلة وسخ عرض للإنسان فيجب إزالتها عنه لأنها ليست منه ، وقوله كما أن العنين لا يمكن أن يتعلم لذة الجماع . . . إلخ ، قياس مع الفارق ، لأن العنين مثال لمن تكون خلقته ناقصة لا كمن ثم خلقته ، فأنا أقول أن الإنسان كان تام الخلقة فلحقته أعراض ، فالأعراض ليست من متمماته حتى تعود معه ، بل هي خارجة عن الإنسان لاحقة به في تنزله إلى الدنيا ، فالآية لا دلالة فيها على مطلوبه ، وكذلك الحديث فافهم .

والأدلة العقلية والنقلية كلها تشهد على بطلان ما أراد .

قال: وأما ثانياً فلأن ذلك خلاف اعتقاد أهل الإسلام المأخوذ من الشارع ونوابه عليهم السلام، وهو أن أجزاء الجسم من عناصر هذا العالم سيما الأرض ولو بواسطة كما في بني آدم فإنهم خلقوا من ماء حاصل من الأجزاء الأرضية ، كيف وقد قال الله تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[1] وقال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[4] وقال تعالى ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[5] وعن النبي ﷺ (كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين)[6] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على أن أجزاء جسد الإنسان من هذا العالم، بل لم يتصور أحدكم كون عالم آخر محل العناصر حتى يتصور

---

(١) طـه ٥٥ .

(٢) آل عمران ٥٩ .

(٣)الحجر ٢٦ .

(٤) المؤمنون ١٢-١٣ .

(٥) ص٧١ .

(٦) المناقب ١ / ٢١٤ .

التنزل والانتقال، بل لو قيل لقيل ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين على خلاف كلمات الكافرين.

أقول: قوله فلأن اعتقاد أهل الإسلام ... إلى قوله: وهو أن أجزاء الجسم من عناصر هذا العالم ، إن أراد بذلك عالم الأجسام بمعنى أن الجسم مخلوق من عناصر الأجسام فهو حق لا ريب فيه ، وذلك يشيد ما أسسه الشيخ أعلى الله مقامه من أن أجزاء الجسم من عناصر الأجسام لا من عناصر النفوس والأرواح والعقول ، فلا يكون الجسم نفساً ولا روحاً ولا عقلاً ، ولا تكون النفس جسماً ولا روحاً ولا عقلاً ، وكذلك الروح والعقل فلا يترقى الجسم إلى رتبة الروح أبداً لقوله تعالى ﴿**وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ**﴾[1] فكل شيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه ، وكل يقرأ حروف نفسه خلافاً للصوفية حيث ذهبوا إلى أن الجسم يترقى إلى النفس ، والنبات إلى الحيوان ، والحيوان إلى الإنسان ، وذلك بديهي البطلان ، لأن الشيء لا يتجاوز حده .

وبالجملة فشيخنا صرح في جميع كتبه أن أجزاء الجسم من العناصر الجسمية ، ولا يكون الجسم نفساً ولا روحاً ولا عقلاً .

وأن المراد بقوله: من عناصر هذا العالم ، هذه العناصر المعروفة التي هي تحت فلك القمر ، فليس بمسلم لأن بدن الإنسان أشرف من الأفلاك كما عرفت سابقاً فيما بيناه ، لأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وفضله على السموات والأرض والجبال وسخرها له ، وجعله جامعاً مملكاً ، فخلق جسمه من أعلى الأجسام وأصفاها وألطفها لئلا يلزم الطفرة التي تقضي الضرورة ببطلانها ، وليس في الآيات دلالة على أن الجسم مخلوق من العناصر التي هي تحت فلك القمر ، بل هي تدل على أن جسم الإنسان

(١) الصافات ١٦٤ .

مخلوق من العناصر الأربع (الماء ، التراب ، الهواء والنار) فكل شيء مما دخل في ساحة الوجود من المجردات والماديات من الدرة إلى الذرة فهو مخلوق من العناصر الأربع (النار ، الهواء ، الماء والتراب) إلا أن عناصر العقول عقلانية ، وعناصر النفوس نفسانية وعناصر الأجسام جسمانية ، فلا يخلق الجسم من عناصر النفس ، ولا النفس من عناصر العقل ، فالآيات إنما تدل على أن الأجسام مخلوقة من العناصر الجسمانية لا من هذه العناصر التي هي تحت فلك القمر ، والآيات كلها تدل على أن الجسم مخلوق من التراب لا غير ، لا أنه مخلوق من هذه العناصر خاصة ، وكذلك الحديث .

قوله : بل لم يتصور أحد كون عالم آخر محل العناصر حتى يتصور التنزل والانتقال . . إلخ .

هذا يخالف صريح قوله تعالى **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾**[1] فإنه سبحانه أتى بالنكرة في سياق النفي ليفيد العموم بمعنى كل شيء ، وما يطلق عليه شيء فهو متنزل من العوالم العلوية ، ثم أنه سبحانه أفرد الشيء وأجمع الخزاين ورد ضمير الجمع أعني الخزاين إلى المفرد ، أعني الشيء الواحد له خزائن متعددة في الإمكان والكون ، ثم قال **﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾** ليعلم أن هذا الشيء إنما تنزل من الخزائن العلوية إلى أن وصل إلى هنا ، وعن مولانا الرضا عليه السلام وعلى آبائه وأبنائه وجده وجدته عليهم السلام أنه قال في حكاية ضيافة سلمان لأبي ذر وإتيانه بقرص خبز يابس ، وتقلب أبي ذر لهما ما معناه (قال سلمان : ما لي أراك تقلبهما يا أبا ذر ، أتدري من أين أتياك ؟ والله لقد عمل فيها الماء الذي كان العرش عليه قبل خلق السموات حتى ألقاهما إلى السموات ، وعملت فيهما السموات حتى ألقتهما على الملائكة ، وعملت فيهما

(١) الحجر ٢١ .

الملائكة حتى ألقتهما إلى السحاب ، وعمل فيهما السحاب حتى ألقتهما إلى المطر . . .)الحديث .

وهذا صريح في أن الشيء الموجود عندنا إنما تنزل من العوالم العلوية ، وأما تلك العوالم العلوية فهي محل العناصر كما صرح به العلماء في كتبهم من أن علة المكون الحرارة ، وعلة المكون البرودة ، والحرارة إنما خلقت من حركة الفعل ، والبرودة من سكون القابل أعني المفعول المكون ، فنكحت الحرارة البرودة فتولد منها الرطوبة ، ونكحت البرودة الحرارة وتولدت منها اليبوسة ، وهذه هي العناصر الأربع ، أعني (الحرارة ، الرطوبة ، اليبوسة والبرودة) فكل شيء إنما تكون ووجد بها ، والأحاديث في أنه جميع العوالم مركبة من العناصر الأربع أعني (النار ، الهواء ، الماء والتراب) كثيرة جداً نذكر شيئاً منها .

فمنها ما رواه المفضل بن عمر في حديث طويل عن أبي عبدالله عليه السلام إلى أن قال (كنا نسبحه ونقدسه ونمجده في ستة أكوان ، وكل كون منها ما شاء الله من المدا قال المفضل يا سيدي فمتى هذه الأكوان ؟ قال : يا مفضل ، أما الكون الأول فنوراني لا غير ، وأما الكون الثاني فجوهري لا غير ، وأما الكون الثالث فهوائي لا غير ، وأما الكون الرابع فمائي لا غير وأما الكون الخامس فناري لا غير ، وأما الكون السادس فأظلة وذر ، لا سماء مبنية ولا أرض مدحية) .

ومنها ما في الكافي (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةَ ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي جَعْفَر عليه السلام مِنْ أَهْلِ الشَّام فسأله عن مسائل ، فأجابه عليه السلام إلى أن قال : كَانَ إِذْ لاَ شَيْءَ غَيْرَهُ وَخَلَقَ الشَّيْءَ الَّذي جَمِيعُ الأَشْيَاء مِنْهُ وَهُوَ الْمَاءُ الَّذي خَلَقَ الأَشْيَاءَ مِنْهُ فَجَعَلَ نَسَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمَاء وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْمَاء نَسَباً يُضَافُ إِلَيْهِ وَخَلَقَ الرِّيحَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ سَلَّطَ الرِّيحَ عَلَى الْمَاءِ فَشَقَّقَتِ الرِّيحُ مَتْنَ

الْمَاء حَتَّى ثَارَ مِنَ الْمَاء زَبَدٌ عَلَى قَدْرِ مَا شَاءَ أَنْ يَثُورَ فَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الزَّبَد أَرْضاً بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَيْسَ فِيهَا صَدْعٌ وَلاَ ثَقْبٌ وَلاَ صُعُودٌ وَلاَ هُبُوطٌ وَلاَ شَجَرَةٌ ثُمَّ طَوَاهَا فَوَضَعَهَا فَوْقَ الْمَاء ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ مِنَ الْمَاء فَشَقَّقَت النَّارُ مَتْنَ الْمَاء حَتَّى ثَارَ مِنَ الْمَاء دُخَانٌ عَلَى قَدْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَثُورَ فَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ سَمَاءً صَافِيَةً نَقِيَّةً لَيْسَ فِيهَا صَدْعٌ وَلاَ ثَقْبٌ وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ **السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها** ﴾)[1] الحديث .

وفي حديث ابن سلام عن النبي ﷺ في صفة الأرضين إلى أن قال (وما تحته قال ﷺ أرض قال وما اسمها قال ﷺ فسيحة قال فصف لي هذه الأرض قال ﷺ يا ابن سلام هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران يحشرون عليها المتقون يوم القيامة قال صدقت يا محمد ، قال فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم ؟ قال النبي ﷺ يا ابن سلام تبدل هذه الأرض غيرها)[2] ومنها روايات أول ما خلق الله ، ففي بعضها أول ما خلق الله الماء ، وفي بعضها أول ما خلق الله الهواء ، وفي بعضها أول ما خلق الله النار .

ومنها ما في الكافي عن الصادق عليه السلام قَالَ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ نَجْماً فِي الْفَلَكِ السَّابِعِ فَخَلَقَهُ مِنْ مَاءٍ بَارِدٍ وَسَائِرَ النُّجُومِ السِّتَّةِ الْجَارِيَاتِ مِنْ مَاءٍ حَارٍّ وَهُوَ نَجْمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَهُوَ نَجْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَأْمُرُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا وَيَأْمُرُ بِافْتِرَاشِ التُّرَابِ وَتَوَسُّدِ اللَّبِنِ وَلِبَاسِ الْخَشِنِ وَأَكْلِ الْجَشِبِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ نَجْماً أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ)[3] .

ومنها ما روي عن الباقر عليه السلام في تفسير القمي (قيل له لأَيِّ شَيْءٍ صَارَتِ الشَّمْسُ أَشَدَّ حَرَارَةً مِنَ الْقَمَرِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الشَّمْسَ مِنْ نُورِ

(١) الكافي ٨ / ٩٤ .
(٢) بحار الأنوار ٥٧ / ٢٥٣ .
(٣) الكافي ٨ / ٢٥٧ .

النَّار وَصَفْو الْمَاء طَبَقاً مِنْ هَذَا وَطَبَقاً مِنْ هَذَا حَتَّى إِذَا كَانَتْ سَبْعَةَ أَطْبَاق أَلْبَسَهَا لِبَاساً مِنْ نَار فَمِنْ ثَمَّ صَارَتْ أَشَدَّ حَرَارَةً مِنَ الْقَمَر قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَالْقَمَرُ قَالَ إِنَّ اللَّه تَعَالَى ذِكْرُهُ خَلَقَ الْقَمَرَ مِنْ ضَوْء نُور النَّار وَصَفْو الْمَاء طَبَقاً مِنْ هَذَا وَطَبَقاً مِنْ هَذَا حَتَّى إِذَا كَانَتْ سَبْعَةَ أَطْبَاق أَلْبَسَهَا لِبَاساً مِنْ مَاء فَمِنْ ثَمَّ صَارَ الْقَمَرُ أَبْرَدَ مِنَ الشَّمْسِ)[1] .

ومنها ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الأشباح (ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الأَجْوَاء وَشَقَّ الأَرْجَاء وَسَكَائِكَ الْهَوَاء فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيح الْعَاصِفَة وَالزَّعْزَع الْقَاصِفَة فَأَمَرَهَا بِرَدِّه وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّه وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّه الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيق الْمَاء الزَّخَّار وَإِثَارَة مَوْج الْبِحَار فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاء وَعَصَفَتْ بِه عَصْفَهَا بِالْفَضَاء تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِره وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِره حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبَد رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاء مُنْفَتِق وَجَوٍّ مُنْفَهِق فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَات جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْر عَمَد يَدْعَمُهَا وَلاَ دِسَار يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَة الْكَوَاكِب وَضِيَاء الثَّوَاقِب وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً فِي فَلَك دَائِر وَ سَقْف سَائِر وَرَقِيم مَائِر . . . . الخطبة)[2] .

ومنها ما روي في الصافي عن القمي في تفسير قوله تعالى ﴿ **أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا** ﴾[3] .

عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال (هو كما وصف نفسه ﴿ **كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ﴾ والماء على الهواء والهواء لا يحد ولم يكن يومئذ خلق

---

(١) الكافي ٨ / ٢٤١

(٢) نهج البلاغة ٤٠

(٣) الأنبياء ٣٠

غيرهما والماء يومئذ عذب فرات فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا ثم أزبد فصار زبدا واحدا فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زبد ثم دحى الأرض من تحته فقال الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ ثم مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزبدتها فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء فجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب الأخضر وكانت الأرض خضراء علي لون الماء وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت ولم تمطر السماء عليها فتنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات)[1] الحديث .

إلى غير ذلك من الأخبار التي وردت في كون إطلاق العناصر على غير هذه العناصر المعروفة التي هي تحت فلك القمر ، وبالجملة فقد أطلق العناصر على عناصر الأفلاك ، وأن السماوات خلقت من العناصر وكذلك الكواكب وكذلك سائر العوالم التي هي فوق عالم الأجسام ، وهذه العناصر المعروفة إنما وجدت من حركة الأفلاك وأشعة الكواكب باتفاق جميع أهل الفن ، ولسنا الآن بصدد بيانها وكيفية تكوينها وإيجادها وبيان هذه الأحاديث المذكورة لأن مقصودنا عدم التطويل والله الهادي إلى سواء السبيل .

فقوله : بل لم يتصور أحد كون عالم آخر محل العناصر . . . .

---

(١) بحار الأنوار ٥٤ / ٧٢ .

ينبئ عن عدم فهمه وتدبره في الأمور لصراحة الروايات وكلمات العلماء ، لأنهم صرحوا في كتبهم أن كل مخلوق فهو مسبع لأنه مثلث الكيان ومربع الكيفية ، ومعنى تثليث الكيان أن له وجه إلى ربه ووجه إلى نفسه ووجه مرتبط بينهما ، أو المراد أنه له عقل وروح وجسم ، ومعنى تربيع الكيفية أنه مخلوق من العناصر الأربع (النار الهواء والماء والتراب) إلا أن عناصر كل شيء بحسبه ، فالعقل مخلوق من العناصر العقلانية والروح من الروحانية والجسم من الجسمانية وهكذا سائر العوالم ، وسر ذلك ما ذكرناه في رسالتنا اللمعات .

وقلنا : ولما كان شيئية الشيء متوقفاً على الإيجاد والانوجاد كان الشيء محتاجاً في وجوده إلى كونه مثلث الكيان وهو جهة إيجاده وجهة انوجاده وجهة ارتباطهما ، لأن الانوجاد محتاج في التحقق إلى الإيجاد وقائم به قيام ركن وتحقق الإيجاد لا يظهر إلا بالانوجاد وقائم به قيام ظهور ، قال عليه السلام : أقام الأشياء بأظلتها ، ولولا الرابطة بينهما لما تحقق الانوجاد وما ظهر الإيجاد وكل من الإيجاد والانوجاد والجهة المرتبطة كان محتاجاً إلى تربيع الكيفية يعني إلى فاعل وقابل إذ الشيء لا يوجد إلا بهما ، فلولا الفاعل لما كان القابل ولولا القابل لما ظهر إفاضته الفاعل ، فالفاعل يوجد الفيض ويفيض إلى القابل والقابل يستعد لقبول الفيض ويمسكه حتى يتحقق الشيء ، فتحقق هنا أشياء فاعل وقابل وإفاضة وإمساك وهي استقص الاستقصات وأصل العناصر ، فالفاعل مزاجه الحرارة للإفاضة ، والقابل مزاجه البرودة للإمساك ، والقابل لما نظر إلى نفسه بكونه قابلاً وجدت اليبوسة ولما كان ناظر إلى مبدئه من إفاضة الفاعل إليها وجدت الرطوبة ، ولما انتسب كل من الفاعل والقابل إلى صاحبه انتسبت الرطوبة واليبوسة

إلى كل واحد منهما على الحقيقة فكانت العناصر أربعة وهي علة لتربيع الكيفية ، فكان الشيء بتثليث كيانه وتربيع كيفيته موجوداً ، وهذا السر في أن كل ممكن زوج تركيبي واستحالة كون الممكن بسيطاً حقيقياً ، نعم يكون بسيطاً إضافياً بالنسبة إلى سلاسل الوجود في الطول والعرض ، وذلك قوله سبحانه ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] .

وقال مولانا الرضا عليه السلام (ما خلق الله فرداً قائماً بذاته) ، فمن ثم لم يكن الممكن بسيطاً حقيقياً ، انتهى ما أردنا نقله من الرسالة وهذا معلوم عند من له أدنى تدرب في حقيقة الأمور ، وبالجملة جميع العوالم إنما وجدت بالعناصر الأربع فافهم وإلا فأسلم تسلم .

قال: وتوهم كون أصل العنصر عنصراً لطيفاً يحصل له التكثف من تصادم العناصر مع أنه غير نافع في كون العنصر اللطيف من عالم آخر غير نافع في المقام.

أقول : إن هذه الصورة المتغيرة المتبدلة في كل آن إنما حصلت بواسطة تصادم العناصر الأصلية كصورة السمن والهزال والطفولية والصبا والمراهقة والشيخوخة والصحة والسقم إلى غير ذلك من المجالات والصور ، كما أنك ترى إذا غلبت الصفراء في الإنسان تراه أصفراً وإذا غلب الدم تراه أحمراً وإذا غلب البلغم تراه أبيضاً وسميناً وإذا غلب عليه السوداء تراه أسمراً ، فإذا زالت إحدى تلك الزائدات الفضلية تراه تغير لونه ، وإذا وجدت غيرها تراه أيضاً تغير لونه ، وهذا بديهي لا يحتاج إلى بيان ، فإذا لم يتحقق تصادم العناصر لم يتحقق تغير الإنسان بوجه ، ولكان في جميع الأحوال على حالة واحدة ، كما أن أهل الجنة كذلك ، وذلك لا يتحقق إلا بعد اعتدال

(١) الذاريات ٤٩ .

العناصر ، وأما في هذه الدنيا فليست العناصر في الإنسان معتدلة لطريان الأحوال عليه كالصحة والسقم وغير ذلك ، فكل هذه الأمور إنما تحصل من تصادم العناصر ، وكذلك هذه الأرض خلقها على كمال اللطافة كما ستظهر في يوم المعاد على صفائها الأصلي كما عرفت وهذه الكثافة إنما وجدت عليها لأجل تصادم العناصر لأنها مخلوقة من العناصر الأربع ، فإذا اعتدلت مزاجها في يوم القيمة تظهر على صفائها كما قال عليه‌السلام تظهر الأرض نقية صافية ومنها يأكلون ويتغذون الناس عند الحساب ، وقد سبق هذا الحديث فراجع وذلك قوله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[1] والأرض التي تتبدل هي هذه الأرض والمبدلة أيضاً هي هي ، ومعنى التبدل ذهاب الأوساخ التي حصلت عند تصادم العناصر ، فإذا أزيلت ظهرت على ما هي عليها من اللطافة وتشهد للخلق في يوم الحساب ، فلو كانت غير هذه الأرض لكان شهادتها زوراً العياذ بالله ، ومثالها في التبدل أعني تبدل الصورة الكثيفة العارضية بالصورة الأصلية الحقيقية اللبنة ، كما أنك إذا كسرتها وجعلتها في القالب وصفتها على هيئتها الأولى فهي هي وهي غيرها .

وبالجملة فهذه الكثافات كلها إنما حصلت من تصادم العناصر ، ألا ترى الماء إذا كان ساكناً كان صافياً ترى ما تحته فإذا حركته لم تر فيه وهو يتحرك لتصادم بعض أجزائه ببعض مع قليل من الهواء ، فكيف تصادم الطبائع الأربع ؟!

وقوله : مع أنه غير نافع في كون العنصر اللطيف من عالم آخر غير نافع في المقام ، ما أدري ما يعني بذلك ، فإن أراد بقوله في كون العنصر اللطيف من عالم آخر يعني من غير عالم أجسام فلم يقل ذلك شيخنا أبداً ، كيف

(١) إبراهيم ٤٨ .

وقد صرح في أن عناصر الجسم جسمانيات يعني ليست الأجسام مركبة من عناصر الأرواح ، فعالم الأجسام عالم واحد ، فجسم زيد مثلاً من الأجسام لا من سائر العوالم ، وإن أراد أن عالم الأجسام مشتملة على أصول وأعراض حصلت من تصادم تلك الأصول وليس لها مدخلية في الأصول وسمى الأصول عالماً والأعراض عالماً آخر ، فهذا حق لا ريب فيه وذلك موافق للأدلة العقلية والنقلية واتفاق جميع العقلاء على أن الإعراض عالم والجواهر عالم آخر ، إلا أن الإعراض متقومة بالجواهر وليست هي عين الجواهر ، وهذا مراد شيخنا أعلى الله مقامه في قوله أن الجسد الأصلي من عالم هورقليا ومعناه ملك آخر ، يريد بالهورقليا العناصر الأصلية التي بها تقوم جسم الإنسان وهي الثابتة الباقية في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة ، وقوله ملك آخر يعني أن عالم الأجسام عالم الملك في مقابلة الملكوت والجبروت ، وهذا الملك ملكان ثابت متأصل وملك فان مضمحل لاحق بهذا الملك وهو الإعراض والكثافات الغريبية ، فمعنى قوله ملك آخر ، يريد أن ذلك الملك الذي هو من سنخ الأجسام خالية عن الإعراض لا أنه خارج من عالم الأجسام ، فعالم الأصول عالم وعالم الإعراض عالم آخر وكلاهما من الملك الذي في مقابلة الملكوت والجبروت ، إلا أن الملك ملكان ملك أصلي وملك عرضي وإنما كررت العبارات ليتضح المرام ولا يشتبه على أحد كما اشتبه مراد شيخنا أعلى الله مقامه ، وربما يطلق شيخنا قدس سره في عباراته أن الهورقليا من عالم المثال ، ولكن يطلق ذلك مع قرينة المقام ، فإذا قال أن الجسم من عناصر هورقليا ومعناه ملك آخر لا يريد هنا إلا المعنى الذي ذكرناه مع أنه صفو الأجسام التي هي غير مشوبة بالأعراض والغرائب والكثافات لا غير ذلك وإلا لزم أن لا يقول بعود

هذه الأجسام ، وقد صرح في غير موضع أن هذا الجسد المحسوس الملموس المرئي بالأبصار هذا هو الذي بعينه يعود في يوم المعاد وهو بعينه متعلق الثواب والعقاب وهو الذي يدخل الجنة أو النار ويبقى فيها ببقاء الله ، وقال : لو وزن هذا البدن المرئي المحسوس الملموس في الدنيا قبل ذهاب الكثافات أعني الصورة العرضية المعبر عنها بالجسد العنصري ثم يوزن بعد ذهاب هذه الصورة في يوم القيامة لا ينقص منه مقدار حبة خردل لأن الأعراض لا تزيد في الجسم دخولاً ولا تنقص عن الجسم خروجاً ، وقد عرفت هذا المعنى في هذه العبارات التي ذكرها صاحب الكتاب والله الهادي إلى طريق الرشاد والصواب .

قال : إذ ألفاظ الكتاب والسنة تحمل على المعاني العرفية ولا يعتبر فيها الدقائق الفلسفية.

أقول : إن الآيات المستدل بها إنما هي دلت على أن الإنسان مخلوق من التراب ، وقد عرفت إطلاق الأخبار المتقدمة في كون العناصر ليس منحصراً بهذه العناصر المخلوقة التي هي تحت فلك القمر المتكونة من حركات الأفلاك وأشعة الكواكب ، وليس إطلاق العناصر على غيرها من الدقائق الفلسفية لورودها في أخبار الأئمة الأطهار ، كما لا يخفى على من جاس خلال تلك الديار ، وقد عرفت فيما ذكرنا من الآثار ، فإذاً هذه الآيات كلها مكتسبة بكسوة الإجمال فيسقط بها الاستدلال إلا أن يصل البيان من أولياء الله الملك المتعال الذين هم تراجمة وحيه وألسنة إرادته في جميع الأحوال ، وقد بينوا عليهم السلام ما كان مجملاً في الآيات من أن المقصود من التراب والأرض ليس هذه الأرض وهذا التراب ، خاصة وأن المراد ليس ما زعمه صاحب الكتاب .

ففي الكافي بالإسناد عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام قَالَ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ

أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عليه السلام بَعَثَ جَبْرَئِيلَ عليه السلام فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً بَلَغَتْ قَبْضَتُهُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ تُرْبَةً وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْقُصْوَى فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَلِمَتَهُ فَأَمْسَكَ الْقَبْضَةَ الْأُولَى بِيَمِينِهِ وَالْقَبْضَةَ الْأُخْرَى بِشِمَالِهِ فَفَلَقَ الطِّينَ فِلْقَتَيْنِ فَذَرَا مِنَ الْأَرْضِ ذَرْواً وَمِنَ السَّمَاوَاتِ ذَرْواً)[1] الحديث .

فانظر في صراحة الحديث في المطلوب ، وأن المراد بالتراب ليس خاصاً بالأرض المعروفة والتراب المعروف ، فجاء هذا الحديث مبيناً لإجمالات الآيات ومطابقاً لما ذكره شيخنا في طي الكلمات من أن جسد الإنسان مخلوق من عشر قبضات ، قبضة من العرش وخلق منها قلبه ، وقبضة من الكرسي وخلق منها صدره ، وقبضة من فلك الزحل وخلق منها تعقله ، وقبضة من فلك المشتري وخلق منها علمه ، وقبضة من فلك المريخ وخلق منها توهمه ، وقبضة من فلك الشمس وخلق منها وجوده ، وقبضة من فلك الزهرة وخلق منها خياله ، وقبضة من فلك عطارد وخلق منها فكره ، وقبضة من فلك القمر وخلق منها حياته ، وقبضة من التراب ، فهذه القبضات العشر هي منشأ تكوين الجسد ، ومعنى أخذ القبضات من الأفلاك أنه لما تحركت الأفلاك على التراب فظهر تأثيرات كل واحد من الأفلاك في التراب فنسب هذه المظاهر للتأثيرات إلى المؤثرات ، فافهم .

وبالجملة مبدأ تكوين الجسد الأصلي للإنسان هو هذه القبضات كما في الروايات ، فليس الأمر منحصراً في هذه الأرض المعروفة والاستشهاد لفهم أهل العرف والعوالم في هذه الأمور بعيد من أولي الأفهام ، إذ لم

(١) الكافي ٢ / ٥ .

يعرفوا كيفية بدوا الإيجاد ومعرفة النظام ، والمرجع في ذلك كلمات أمناء الله الملك العلام عليهم السلام وقد عرفت مطابقة كلامهم لما بينه شيخنا قدس سره في المقام .

قال : وأما ثالثاً فلأن قوله مرادي من الجسد الذي لا يعود هو الصورة الأولى كما في الخاتم واللبنة، مع قوله : إن علة الموت والزوال إنما هي ممازجة تلك الأعراض والكثافات ونحو ذلك يوهم التدليس والطفرة بل بينهما تباين لأن الصورة الثانية التي هي مثل الصورة الأولى غي مقتضية للفناء والزوال بلا إشكال ، فلا بد على القول الأخير من كون الكثافات المقتضية للزوال أجزاء مادية لاحقة للعنصر اللطيف كا هو ظاهر قوله، بل من عناصر باقية جوهرياً نورية وهي من عناصر هورقليا ، ويقتضي كون المعاد بأخذ اللطيف وطرح الكثيف كما في الرديء من الذهب والخليط بغيره كما يشهد عليه مثاله بالذهب المخلوط بالحديد لا بالتلطيف، كما في تلطيف النحاس بالإكسير.

أقول : قد عرفت سابقاً إطلاق الجسد على الصورة بحسب اللغة وعرف العلماء ، وكذلك عند أهل العصمة عليهم السلام كما ورد عنهم في تفسير الأشباح بأنها أبدان نورية ، فاعلم أن الصورة صورتان كما بينا ، فصورة تقتضي الخلط بالغرائب والأعراض وهي غير معتدلة ، وصورة معتدلة غير مقتضية للمزج بالغرائب والكثافات ، فالأولى هي صورة المكلف في الدنيا ، ألا ترى أنها تتغير وتتبدل في كل آن وتلك المادة الأصلية تلبس صورة وتنزع أخرى ، كما أنها كانت كاملة في المنيّ ثم تغيرت ولبست صورة العلقة فخلعتها ولبست صورة المضغة فخلعتها ولبست صورة العظام ولبست صورة

إكساء اللحم فكانت إنساناً ثم لبست صورة الطفولية فخلعتها ولبست صورة الصبى فخلعتها ولبست صورة المراهقة فخلعتها ولبست صورة الشيخوخة فخلعتها إلى غير ذلك من أنواع الخلع واللبس في الصور الغير المتناهية ، فهذه الصورة ليست ذاتية للمكلف وإلا لما فارقته بوجه من الوجوه لأن الذاتي لا يتخلف ، بل هي عارضية ، وهذه الصورة العارضة تقتضي المزج بالكثافات والأعراض التي تبعد المكلف عما هو عليه ، كما أنك ترى أن المؤمن يعصي وأن الكافر يطيع في بعض الأحوال مع أن اقتضاء صورة المؤمن عدم المعصية في جميع الأحوال ، واقتضاء صورة الكافر عدم الطاعة في جميع الأحوال ، ولما كانت هذه الصورة العارضية صالحة للخلط واللطخ بين المؤمن والكافر ربما يتولد المؤمن من الكافر وبالعكس ، كانت مقتضية للفناء والزوال وهي علة الموت لعم اعتدالها فلا منافاة بين قوله : أن الصورة الأولى لا تعود ، وعلة الموت والزوال هي ممازجة تلك الأعراض والكثافات ، أعني هذه الصورة المتغيرة المتبدلة الغير المعتدلة المقتضية للفناء والزوال لممازجتها بالكثافات والأعراض التي ليست من سنخها كالمعاصي والذنوب الحاصلة للمؤمن بواسطة الصورة اللطخية الممازجة للكافر ، فهذه المعاصي والذنوب هي الأعراض والغرائب للمؤمن ، والصورة الثانية هي الصورة المعتدلة المستقيمة التي يلبسها المكلف في يوم القيامة وفي الجنة فلا يموت ولا يزول ولا تصدر عنه معصية بوجه من الوجوه لعم اقتضائها بالخلط واللطخ العرضيين وكذلك يلبسها الكفار ويدخلون النار في يوم القيامة ولا يموتون ولا يزولون ولا يصدر عنهم طاعة بوجه من الوجوه لعدم اقتضاء هذه الصورة الأصلية للكافر باختلاط المؤمنين كما كانوا في دار الدنيا ، فهذه الصورة الأصلية الغير المقتضية للخلط واللطخ هي تكون ذاتية للمكلف في ذلك

الموطن لعدم تغيرها بوجه من الوجوه ، فالصورة الأولى تقتضي الفناء والزوال لمخالطة الغرائب والأعراض وليست هي بأجزاء مادية حتى يكون المعاد بأخذ اللطيف وطرح الرديء ، بل هذه الصورة المعبر عنها بالجسد العنصري عارضة للمكلف وليست بأجزاء مادية فيخلع المكلف هذه الصورة ولا تعود معه لأنها ليست منه بوجه من الوجوه فلا يكون المعاد بأخذ اللطيف وطرح الرديء بل يكون بعود الشيء وعدم عود الغير لأنه لا مدخلية للغير بالشيء ، كما أنك لو كان حجراً في جنبك فإذا عدت يوم القيامة لا يعود ذلك الحجر معك ، لأن الحجر ليس منك فتبصر ، وهذه الصورة المتغيرة المتبدلة هي على هيئة تلك الصورة المعتدلة بحسب العرف بحيث لو رأيته لقلت هذا هو ذاك بعينه ، إلا أن بينهما تفاوت من الاستقامة وعدمها كالكاتب فإنه إذا كتب شيئاً بخط رديء لمصلحة ومحى ذلك المكتوب وجمع مداده وكتب من ذلك المداد ذلك الشيء بخط جيد ، فإنك إذا رأيته قلت هذه هي تلك الكلمة إلا أن هذه الكلمة صورتها في غاية الاعتدال ، فكذلك تشابه الصور ، ولقد سأل الحكيم بأن الله سبحانه لِمَ يميت الخلق ويكسر هذه الصيغة ، فأجاب : لِيُصيغَهُ صيغة لا تحتمل الكسر .

وبالجملة أن هذه الصور ليست بأجزاء مادية بوجه من الوجوه لكنها مقتضية للخلط بالإعراض والغرائب كاختلاط المؤمن بالكافر في دار الدنيا ، فهذه الصورة وهذا الاختلاط علة للزوال والموت ولك أن تقول أن علة الموت هي امتزاج تلك الصورة المعوجة الغير المستقيمة بالأجزاء التي تكونت من الأغذية ، وليست هذه الأجزاء من المكلف بوجه من الوجوه ، ويعبر عن هذه الأجزاء المتكونة بالأغذية بالأجزاء الفضلية التي هي للإنسان بمنزلة الحجر الملقى بجنب الإنسان ، فإذا عاد الإنسان لا يعود الحجر معه في يوم

القيامة ، فهذه الصورة الدنيوية هي التي تمتزج بهذه الغرائب والأعراض ، فهذا الامتزاج يكون علة الموت والزوال ، وقد عرفت تحقيق الكلام في جواب عن شبهة الآكل والمأكول سنذكر فيما بعد شطراً من عبائر الأصحاب الدالة على المطلوب والمراد .

وقول شيخنا وهي من عناصر هورقليا فقد عرفت مراده فيما سبق ، وقوله كما يشهد عليه مثاله بالذهب المخلوط بالحديد ، فاعلم أن الأجزاء الأصلية التي هي حقيقة جسد المكلف هي بمنزلة الذهب ، لا أن الذهب المخلوط بالحديد هي جسد المكلف بمعنى أن جسد المكلف تركب من الذهب والحديد حتى يكون عند إعادة الذهب إعادة لجزء من بدن المكلف ، بل أن بدن المكلف هو الذهب وهذه الأعراض التي لا مدخلية لها بجسد المكلف هي الحديد وأن تراب بدن المكلف في التراب كسحالة الذهب في سحالة الحديد أو في التراب .

وهذا هو الذي قاله الصادق عليه السلام (و إن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء و الزبد من اللبن إذا مخض فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها و تلج الروح فيها)[1] الحديث .

فانظر في صراحة الحديث وتطابقه لما ذكره شيخنا قدس سره من أن جسد الإنسان كالذهب المخلوط بالحديد ، ويريد بالحديد التراب بهذا الذهب الذي هو جسد الإنسان لم يتركب من الحديد حتى إذا عاد عاد الحديد معه .

(١) الاحتجاج ٢ / ٣٥٠ .

وبالجملة فبدن الإنسان لابد من أن يعود للجزاء بجميع أجزائه الأصلية التي بها قوامه ، وقوله لا بالتلطيف كتلطيف النحاس بالإكسير ، يعني لو أن الشيخ كان قائلاً بأن بدن الإنسان يتلطف كما يتلطف النحاس لكان قولاً بالمعاد على رأي صاحب الكتاب ، فهو يقرر بأن بدن الإنسان يتلطف كما يتلطف النحاس بالإكسير ، وهذا هو القول بالتناسخ وهو باطل بالضرورة لأن النحاس غير الذهب شرعاً وعرفاً عند أهل الظاهر كالمصنف وإضرابه ، فحقيقة النحاس غير حقيقة الذهب ، فإذا عاد ذهباً لم يكن عوداً للنحاس بوجه من الوجوه ، والمفروض أن بدن المكلف هو النحاس وهو لا يعود والعائد هو الذهب ، فصاحب الكتاب يقول بالنسخ من حيث لا يشعر .

قال: وقد صرح في شرح الزيارة الجامعة أن هذا الجسم الذي في الدنيا هو بعينه هذا المرئي لطيف وكثيف ، فأما الكثيف فيصفى فتفنى كثافته التي سميناها الجسد الأول العنصري وتبقى لطيفة في قبره وهو الجسد الثاني ، وأما اللطيف فيظهر في البرزخ ، انتهى .

أقول : يريد شيخنا أعلى الله مقامه أن الجسد الأصلي الذي هو الأجزاء الأصلية التي عليها مدار الثواب والعقاب اقترن بهذه الكثافات العرضية التي ليست منها بوجه من الوجوه وهي الغبار والوسخ ، فإذا رآه الشخص مثلاً يراه مقترناً بها ، وإذا كان يوم القيامة زالت عنه تلك الأوساخ وهذا هو المراد بقوله هذا المرئي لطيف وكثيف ، وهذه الكثافات التي نعني بها الجسد العنصري هو الصورة العرضية بمنزلة الثوب ، فإذا خلع الثوب ظهر بلطافته وهذه الصورة لما كانت مركبة من العناصر الأربع عند خلعها يرجع كل جزء منها إلى أصلها ، وهذه الصورة ليست من الإنسان كما قلنا آنفاً وقد صرح في شرح الزيارة بعدما قال أن الإنسان له جسدان وجسمان ، فالجسد الأول لا يعود .

قال : فإن قلت ظاهر كلامك أن هذا الجسد لا يبعث هو مخالف بما عليه أهل الإسلام من أنها تبعث كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[1] .

قلت : هذا الذي قلت هو ما يقوله المسلمون قاطبة ، فإنهم يقولون أن الأجساد التي يحشرون فيها هي هذه التي في الدنيا بعينها ، ولكنها تصفى من الكدورة والأعراض ، إذ الإجماع من المسلمين منعقد على أنها لا تبعث على هذه الكثافة بل تصفى منها فتبعث صافية وهي بعينها ، وهذا الذي قلت وإياه أردت ، فإن هذه الكثافة تفنى ، يعني تلحق بأصلها ولا تعلق لها بالروح ولا بالطاعة والمعصية ولا باللذة والألم ولا إحساس لها وإنما هي في الإنسان بمنزلة ثوبه ، وهذه الكثافة هي الجسد العنصري الذي عنيت ، فافهم .

أقول : قد عرفت مراد شيخنا من الجسد العنصري أنه هو الصورة العرضية الكثيفة التي لحقت بالأجزاء الأصلية فلا بد من إزالتها ، ولنذكر بعضاً من الروايات الواردة في أن المؤمن لا يعود مع هذه الكثافات تأييداً لما ادعاه الشيخ من إجماع المسلمين .

فمن ذلك ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي يوم القيامة قوم عليهم ثياب من نور على وجوههم نور يعرفون بآثار السجود يتخطفون صفاً بعد صف حتى يصيروا بين يدي رب العالمين يغبطهم النبيون والملائكة والشهداء والصالحون ، فقال له عمر بن الخطاب : من هؤلاء يا رسول الله الذين يغبطهم النبيون والملائكة والشهداء والصالحون ؟ قال : أولئك شيعتنا وعلي إمامهم)[2] .

(١) الحج ٧ .

(٢) بحار الأنوار ٧ / ١٨٠ .

ومنها ما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن جده عليهما السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي : لقد مثلت لي أمتي في الطين حتى رأيت صغيرهم وكبيرهم أرواحاً قبل أن تخلق أجسادهم وإني مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم ، فقال علي عليه السلام : يا نبي الله زدني فيهم ، قال : نعم يا علي ، تخرج أنت وشيعتك من قبوركم ووجوهكم كالقمر ليلة البدر وقد فرجت عنكم الشدائد وذهبت عنكم الأحزان تستظلون تحت العرش يخاف الناس ولا تخافون ويحزن الناس ولا تحزنون ، وتوضع لك مائدة والناس في المحاسبة)[١] .

ومنها ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال (أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال وعنده نفر من أصحابه وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام قال إن الله تعالى إذا بعث الناس يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم بياض وجوههم كبياض الثلج عليهم ثياب كبياض اللبن وعليهم نعال من ذهب شراكها ، والله من نور يتلألأ ، فيؤتون بنوق من نور عليها رحال من ذهب قد وشحت بالزبرجد والياقوت ، أزمة نوقهم سلاسل الذهب فيركبونها حتى ينتهوا إلى الجنان والناس يحاسبون ويغتمون ويهتمون ، وهم يأكلون ويشربون ، فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم شيعتك وأنت إمامهم وهو قول الله تعالى ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً**﴾ قال على النجايب)[٢] .

ومنها عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول أن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابون في الله)[٣] .

---

(١) بحار الأنوار ٦٥ / ٢٧ .

(٢) بحار الأنوار ٧ / ١٩٤ .

(٣) الكافي ٢ / ١٢٥ .

ومنها عن أبي جعفر عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين وجوههم أشد بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول الناس من هؤلاء فيقال هؤلاء المتحابون في الله)[1] .

ومنها في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال (ألا ومن أحب علياً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ألا ومن أحب علياً وضع على رأسه تاج الملك وألبس حلة الكرامة ، ألا ومن أحب علياً جاز على الصراط كالبرق الخاطف ، ألا ومن أحب علياً كتب الله له براءة من النار وجواز على الصراط وأماناً من العذاب ولم ينشر له ديوان ولم ينصب له ميزان وقيل له ادخل الجنة بغير حساب ، ألا ومن أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط ، ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)[2] .

ومنها عن أبي عبدالله عليه السلام قال (من زار أخاه في الله ولله جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور لا يمر بشيء إلا أضاء له حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله عز وجل : مرحباً ، وإذا قال الله له مرحباً أجزل الله عز وجل له العطية)[3] .

ومنها عن جعفر بن محمد عليهما السلام يحشر يوم القيامة شيعة علي مرويين مبيضة وجوههم ويحشر أعداء علي يوم القيامة ووجوههم مسودة ظامئين ، ثم قرأ ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾)[4] .

---

(١) الكافي ٢ / ١٢٦ .

(٢) بحار الأنوار ٧ / ٢٢١ .

(٣) الكافي ٢ / ١٧٧ .

(٤) بحار الأنوار ٧ / ١٩٤ .

ومنها عن أبي هاشم الصيداوي قال(قال أبو عبدالله عليه السلام يا هاشم حدثني أبي وهو خير مني عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من رجل من فقراء شيعتنا إلا وليس عليه تبعة ، قلت جعلت فداك وما التبعة ؟ قال من الإحدى والخمسين ركعة ومن صوم ثلاثة أيام من الشهر ، فإذا كان يوم القيامة خرجوا من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة البدر ، فيقال للرجل منهم : سل تعط ، فيقول أسأل ربي النظر إلى وجه محمد صلى الله عليه وآله قال فينصب لرسول الله منبر على درنوك من درانيك الجنة له مرقاة بين الرقاة ركضة الفرس ، فيصعد محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ، قال فيحف ذلك المنبر شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله فينظر الله إليهم وهو قوله ﴿**وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة**﴾ قال فيلقي عليهم النور حتى أن أحدهم إذا رجع لم تقدر الحوراء أن تملأ بصرها منه ، قال ثم قال أبو عبدالله عليه السلام يا هاشم ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾)[1] الحديث .

إلى غير ذلك من الروايات المتظافرة المتكاثرة التي وردت في أن المؤمن يخرج من قبره في أحسن صورة ، وربما تجد المؤمن في هذه الدنيا قبيح الوجه ومشوه الخلقة ، أو يكون أعرجاً أو أعمى إلى غير ذلك من الأمور ، فإذا جاء يوم القيامة صفى عن هذه الكدورات والأعراض والغرايب ، ويؤيد ذلك ما ذكرنا من الروايات فيما سبق أن الناس يخرجون من قبورهم حفاة عراة يعني عن الأعراض الدنيوية والبرزخية ، فراجع .

فإذا قال شيخنا أن الجسد العنصري يذهب ويعود كل جزء منه إلى أصله ، فإنما يريد به هذه الكثافات لاغير وقد بينا أن هذه الكثافات أيضاً مخلوقه من العناصر الأربعة ، فقوله : هذا الجسم المرئي لطيف وكثيف ، فأما الكثيف فيصفى ، يريد هذا المعنى الذي ذكرناه وليس مقصوده أن هذا

---

(١) بحار الأنوار ٧ / ١٩٣ .

الجسد لا يعود ، كيف وقد عرفت فيما صرح أن هذا البدن المحسوس الملموس المرئي بالأبصار هذا هو الذي يعود وهذا هو بعينه متعلق الثواب والعقاب ، فافهم .

قال : وذلك خلاف ظاهر قوله تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] لرجوع الضمير إلى العظام الرميم ، وعلى هذا المذهب لابد من تقدير مضاف بأن يقدر، قل يحيي لطيفها مع أنه حينئذ لا يكون جواباً للمنكر الذي قام في مقام الإنكار ونحو ذلك من الآيات والأخبار.

أقول : وعلى ما يقول شيخنا لا يحتاج إلى تقدير وإضمار لأن هذه الكثافات ليست منه حتى يقال لا بد من التقدير ، وهذه الكثافات أجنبية لا مدخلية لها في جسد المكلف ، كما أن يد الإنسان إذا تلوثت بالقاذورات فإذا قيل ارفع يدك مثلاً ، هل يقال ارفع لطيف يدك بل المراد هو اليد لا غير وليس للقاذورات مدخلية في اليد وكذلك الأمر في قوله تعالى ﴿ **مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾[2] فيعود الضمير إلى العظام لا إلى العظام والكثافات فتبصر .

قال: بل ذلك خلاف اعتقاد المؤمنين، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً.

أقول : قد عرفت أن ما ذكره شيخنا هو مطابق لاعتقاد المؤمنين ولا يخالف بوجه من الوجوه ، وأما صاحب الكتاب فما ذكره من انقلاب بدن الإنسان في التلطيف كتلطيف النحاس بالأكسير خلاف اعتقاد المؤمنين ، بل وجميع المليين فيتوجه إليه ، هذه الآية التي ذكرها ومن ﴿**يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[3] .

---

(١) يـس ٧٩
(٢) يـس ٧٨-٧٩
(٣) النساء ١١٥

قال : وأما رابعاً فلأن قوله أن بقاء الغرايب يقتضي الزوال وعدم البقاء في الجنة منقوض ببقاء عيسى وخضر والياس وصاحب الزمان وأمثالهم .

أقول : قد اعترض في سابق الزمان هذه الاعتراضات التي ذكرها هنا وأجاب عنها سيدي وسندي ومن إليه في كل حق مستندي ، **سند الأفاضل والأعاظم السيد كاظم** دامت بركاته بحيث لا يبقى لذي شبهة شبهة ، وأنا أذكر تيمناً وتبركاً ما أجاب عن هذا الاعتراض ولقد أجاد فيما أفاد (قال أطال الله بقاه : أما نقضه فليس في محله لأنه لو ادعى أحد وأثبت بقاء عيسى وغيره ممن ذكرهم عليهم السلام إلى الأبد ويوم القيامة لكان له وجه لكنه ما ادعى ذلك في حقهم أحد من الخلق ، فإذن فالذي يقول أن الغريب والوسخ يقتضي العدم والفناء يقول أن موتهم في وقت موتهم لعلة تلك الأوساخ إلا أن الدوام وعدمه يختلف بحسب قلة الخلط والغرايب وكثرتها وعدم المانع ووجوده ، فإن بعض الناس أصل الغرايب والأوساخ فيهم ضعيفة جداً كالمعصومين عليهم السلام فحينئذ يقتضي أن يدوموا ويبقوا في هذه الدنيا أزيد وأكثر من غيرهم لوجود المقتضي للدوام إلا أن في بعض المواد والمواضع يحصل مانع للبقاء على مقتضى الفطرة والبينية فيميته الله تعالى لأجل تلك المصلحة والحكمة ثم يحييهم في الرجعة ليستوفوا حظهم ولينالوا نصيبهم من الكتاب كما في محمدٍ وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين ، والأنبياء والمرسلين وكذلك المؤمنون الممتحنون بتبعيتهم قد قلت أعراضهم وغرائبهم ، وبعض الناس الغرائب والأوساخ فيهم كثيرة فمقتضى الزوال والعدم موجود إلا أن المانع ليس بمفقود ، مثلاً إبليس لعنه الله ، فإن الله تعالى أنظره حيث دعاه جزاء لعبادته الدنياوية ، لأنه تعالى لا يضيع عمل عامل إما في الدنيا أو في الآخرة ولمصالح وحكم أخرى ، فصار

اجتماع تلك الأمور مقوية لبنيتهم وحافظة لرتبتهم وفطرتهم إلى أن يرتفع المانع وينال نصيبه من الكتاب ويجيئه الوقت المعلوم ، فيقتضي المقتضي اقتضاءه بإذن الله سبحانه ، وأما الكفار الذين يرجعون في الرجعة فتصفى طينتهم عن الغرايب بعد الموت تحت التراب فترجع وتستحق للبقاء ، ولكن الأجزاء الأصلية لما لم تعتزل عن الفضلية بالكلية ويوجد عندهم الغرايب أيضاً يموتون بين النفختين ، وهذا الحكم في الجميع لعدم خلوص الأعراض والغرايب خلوصاً تاماً ، وأما صاحب الزمان عجل الله فرجه وروحي له الفداء عليه السلام وكذلك عيسى وغيره عليهم السلام وسائر الأنبياء بقوا على أصل مقتضى طينتهم حتى يأتي حكم تلك الأعراض فيقبضهم الله تعالى ، وهذا إجمال القول في المجادلة بالتي هي أحسن ، وأما تفصيل المقال فوجب السكوت عنه لما أجد في قلوب الناس من وسواس الخناس .

وبالجملة لو سلم أن الأعراض والغرايب علة الموت فنقضه ليس في محله لأن كل نفس ذائقة الموت لا أحد يسلم منه ، وذلك لذلك الخلط واللطخ ولا يسعه عدم التسليم لما ذكرنا سابقاً ، وللزوم العبث والدعوى في هذا سهلة لأن عروض العوارض للمكلف مقطوع به وزوالها عنه في المعاد) .

انتهى ما أردنا نقله مما أفاد ولقد أجاد .

قال : وأما خامساً فلأنه تعالى جعل النار التي تكون حراً وإيلاماً بمقتضى الطبيعة برداً وسلاماً بحيث لو لم يقل سلاماً لأهلكت ابراهيم من البرودة كما روي وكأنه غفل عن قدرة الله وجعلها أقل من الإكسير الموجب لانقلاب الصفر ذهباً قابلاً للبقاء من غير طرح وإعدام، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أقول : أما جعل النار برداً وسلاماً فذلك بمقتضى الطبيعة لا على خلاف الطبيعة كما زعمه صاحب الكتاب من أن مقتضى طبيعته حر وإيلام ، إلا أن جهة الحرارة أقوى من سائر الجهات فلذلك تظهر حرارته لا أنه ليس فيها برودة وانقلبت بأمر الله ، فيلزم من ذلك إجبارها وتعالى الله ربي عن ذلك علواً كبيرا .

كيف وهي مركبة من العناصر الأربعة ففيها مقتضيات البرودة إلا أنها ضعيفة وقويت بأمر الله فظهرت مقتضيات البرودة وليس ذلك بانقلاب الطبيعة ، بل بتقوية البرودة الضعيفة كما أن الإنسان يقال له صفراوي ، أو دموي ، أو بلغمي ، أو سوداوي ، لأجل شدة أحد هذه الأخلاط الأربعة ، لا أن صفراوي ليس فيه شيء من سائر الأخلاط ، فإذا داوم الأشياء الرطوبية مثلاً تزول عنه الصفراء ويظهر البلغم مثلاً ، فكذلك حكم النار فإنها مخلوقة من العناصر الأربعة إلا أن جهة الحرارة أشد وأعظم من غيرها فيها ، وذلك بمقتضى قبولها وقابليتها من المبدء الفياض وسر ذلك يظهر مما بينا سابقاً في مسألة الاختيار ، فراجع قوله : وكأنه غفل عن قدرة الله . . .إلخ .

فاعلم أن شيخنا لم يغفل عن قدرة الله والله سبحانه قادر على كل شيء ، إلا أنه سبحانه أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها كما بينا سابقاً فراجع ، فإذا تحقق سبب الموت أمات ، وإذا تحقق سبب الإعادة يعيد لئلا يلزم العبث والترجيح من دون مرجح .

وقوله : جعلها أقل من الإكسير الموجب لانقلاب الصفر ذهباً . . إلخ .

يريد كما قلنا سابقاً من أبدان المكلفين بمنزلة النحاس وقدرة الله بمنزلة الإكسير ، فإذا تعلقت قدرة الله ببدن الإنسان في المعاد يكون ذهباً ، فيعود النحاس ذهباً ، وهذا هو القول بانقلاب الحقيقة والقول بالتناسخ .

أما قولنا هذا هو القول بانقلاب الحقيقة فظاهر لأن حقيقة النحاس ليست بحقيقة الذهب ، فإذا كان النحاس ذهباً انقلبت حقيقة ، ولأجل ذلك أنكر ابن سينا وجود الإكسير ، وقال ذلك يستلزم انقلاب الحقائق وهي من المحالات فثبت يقيناً أن الذهب ليس هو النحاس وهذا معلوم إلا أن نقول أن أصل جميع الفلزات هو الذهب ، فلعروض العوارض لم تظهر حقيقة الذهبية فيظهر الذهب بواسطة عروض الموانع حديداً أو نحاساً إلى غير ذلك من الفلزات ، فإذا ألقي على النحاس الإكسير ظهرت تلك الحقيقة الذهبية من أوساخ النحاسية فتطرح تلك الغرائب ، وهذا حق ، لكن لا يقول به صاحب الكتاب وأشباهه لأنهم لا يعرفون حقائق الأشياء ، ولأجل ذلك صرح بقوله الموجب لانقلاب الصفر ذهباً من غير طرح وإعدام ، فعنده الصفر ينقلب ويكون ذهباً كما هو صريح كلامه ، فإذن هو يقول بانقلاب ، والقول بالإنقلاب هو القول بالتناسخ إذا أتى ليوم الحساب ، فما ذنب الذهب الذي لم يباشر المعصية أو الطاعة إذا عذب أو أثيب ، لأن العاصي والمطيع هو النحاس لا غير فيلزم على هذا الظلم وأن الله سبحانه يظلم العباد وذلك كفر العياذ بالله ، والمصنف يقول به من حيث لا يشعر لأنه يقول : يأتي النحاس ذهباً في يوم القيامة ، فتبصر .

قال: وبالجملة، فلو لم نقل بأن ما ذكر اعتقاد خارج عن اعتقاد المسلمين فلا أقل من كونه مما فيه ريب باليقين ، فيتوجه قوله عليه السلام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فميل أرباب العقول إليه غير معقول لأن الميل إلى ما فيه الارتياب لشيء عجاب، بل هو من العاقل بعيد، ولقد كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.

أقول : قد عرفت معنى قول شيخنا بأنه يقول أن هذا البدن المحسوس الملموس المرئي بالأبصار هو الذي يعود في يوم القيامة بعينه ويصفى عن الأعراض والكثافات الغريبة التي يعبر عنها بالجسد العنصري ، الذي هو الصورة العرضية التي لا مدخلية لها في تحقق البدن وهذا مما اتفقت عليه كلمات جميع أهل الإسلام من أن العائد هو الأجزاء الأصلية دون الفضلية ، فإذا كان الأمر على ما اتفق عليه أهل الإسلام فيجب على أرباب العقول وأتباعه ، وأما ما ذهب إليه صاحب الكتاب من انقلاب بدن الإنسان كما هو ظاهر من مثاله ، فهو خلاف معتقد أهل الإسلام فيتوجه إليه قوله : فلو لم نقل بأن ما ذكره خارج عن اعتقاد المسلمين . . إلخ .

قال : اعلم أنه صدر عن الشيخ المعاصر مثل الكلمات المذكورة المخالفة للشريعة كلمات أخر في مواضع آخر.

أقول : قد ذكر من قبيل هذه الكلمات المذكورة ما يبلغ قريباً من كراس ، وقد عرفت معنى ما قال شيخنا فلا نذكر تلك العبارات خوفاً من التطويل وفيها ما يصرح بأن الجسد الأول مخلوق من هذه العناصر المعروفة تكون منها من لطايف الأغذية ، فإذا تفككت في القبر رجع ما فيه من النار إلى عنصر النار وامتزج بها ، وما فيه من الهواء إلى الهواء كذلك ، وكذلك الماء والتراب ، وذهب فلا يعود إذ لا حساب عليه ولا عقاب ولا نعيم ولا ثواب ولا شعور فيه ولا إحساس ولا تكليف عليه ولا مدخل له في الحقيقة ، وإنما هو بمنزلة الثوب لبسته ثم تركته ولبست غيره ، فافهم . انتهى .

وقد عرفت معنى ما أراد من أن هذه الأجزاء الفضلية المتكونة من الأغذية ليست لها مدخلية في بدن الإنسان ، لأن بدنه هو الأجزاء الأصلية التي عليها مدار الثواب والعقاب ، وأنت خبير بأن هذه الأجزاء الفضلية

أيضاً متكونة من العناصر ، فإذا أزيلت عن هذا البدن رجعت إلى أصلها فتعود إلى أصلها عود ممازجة لا عود مجاورة كما صرح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي في النفس النامية النباتية فإذا فارقت عادت لما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتعدم صورتها ، ويبطل فعلها ووجودها فيضمحل تركيبها وهذا ظاهر ، فإن مراده بالجسد العنصري الذي يعود كل جزء منه إلى أصله بعد الموت هو الأجزاء الفضلية لأنها مركبة من العناصر الأربعة التي هي تحت فلك القمر التي تكونت من حركات الأفلاكك وأشعة الكواكب ، لا أن هذا الجسد الذي لا يعود هو جسد المكلف كما عرفت سابقاً ، فلا نعيده .

ولنذكر شطراً من عبائره الدالة على أن هذا الجسد المحسوس هو الذي يعاد في المعاد ، وإن كان ما ذكر من عبائره كافية في أداء المراد ، والعبائر التي نريد أن نذكرها هي مما ذكره صاحب الكتاب واعترف بأنه منه ، وهذه كرامة الشيخ حيث ذكر المصنف بعض عبائره الصريحة في المراد ، وهذا ينبيء عن قلة إدراكه وتدبره ، قال أعلى الله مقامه في شرحه على الزيارة الجامعة بعد ما بين إن للإنسان جسدين وجسمين (واعلم بأنك لو وزنت هذا الجسد في الدنيا وصفي بعد الوزن حتى ذهب منه الجسد العنصري وبقي الجسد الباقي الذي هو من هورقليا ثم وزنته وجدته لم ينقص عن الوزن الأول قدر حبة خردل ، لأن الكثافة التي هي الجسد العنصري عرض والأعراض لا تزيد في الوزن دخولاً ولا تنقص خروجاً ، فلا تتوهم أن المحشور والمثاب والمعاقب شيء غير ما هو موجود في الدنيا ، وأن غيّر وصفي بل هو والله هذا بعينه) .

أقول : قد عرفت معنى الهورقليا فيما سبق ، فراجع وانظر كيف صرح بأن

المراد من الجسد العنصري هو الكثافات والأعراض وأن الذي يعاد هو هذا البدن المحسوس لا ينقص منه حبة خردل ، وقال في رسالة ذكر منها صاحب الكتاب إلى أن قال :

وبالجملة ، فزيد مثلاً يمرض ويكون في غاية الضعف وهو زيد لأن ما يتحلل من لحمه ليس من جسمه الحقيقي الذي هو القبضات المشار إليها ، وإنما يتحلل منه ما طرء على تلك القبضات من المآكل ، وإلا لكان يذهب بعض زيد بذهابه ويسمن سمناً أكثر وهو زيد لأنه لم يزد في القبضات شيء ، وإنما الزيادة من الأغذية التي ليست من جنس القبضات ، لأنه لو أخذت سحالة ذهب ومزجتها بمثلها تراباً وعملت من الجميع صورة الشيء كانت قيمة تلك الصورة ونورانيتها إنما تتعلق بما فيها من سحالة الذهب ، فإذا زالت تلك الصورة ما فيها من الذهب ثم مزجتها بتراب جديد وعملت تلك الصورة بعينها كانت القيمة هي قيمة القبل ، وتتعلق بما تعلقت به من قبل من غير مغايرة وهي بنفسها هي الأولى ، فلا يضر تغيير تلك الصورة ، وصيغ الصورة الأخرى لبقاء الأجزاء الأصلية التي هي متعلق القيمة وأصل هذه القبضات من مادة نورية مجردة ومن صورة نوعية ، فهذا حقيقة جسم الإنسان المثاب والمعاقب المفاض عليه النفس لمكن بواسطة الصورة الشخصية إن أردت بالنفس نفس المختصة به ، وإذا رجع كل شيء إلى أصله رجع منه ما طرء عليه إلى أصله لا إلى ما طرء ولا ينقص منه شيء ، فلو أن رجلاً أكل لحوم الآدميين واغتذى بها حتى نمى وكبر ورجع كل شيء إلى أصله وجمع ما طرأ عليه لا يرجع إلى الآدميين ، بل يرجع إلى التراب لأن الذي اغتذى به أصله التراب العام ، وأما أجسام الآدميين فإنها لا تكون غذاء لأنها أصلية فهي فوق القوة الهاضمة وأعلى منها فلا تحلها ، إذ القوة

الهاضمة العنصرية والأجزاء الأصلية أعلى من العناصر ثمان مراتب ، والأرواح بينها وبين الأجسام كمال المناسبة والمقاربة ، وإنما انفردت منها لما لحق الأجسام من الأمور الغريبة الأجنبية كالعناصر والتركيبات فإذا مات المرء ودفن في الأرض وأكلت الأرض ما فيها من الأعراض والغرائب صفت الأجزاء الأصلية من الأغيار ، فإذا صفت عن المنافي تعلقت الأرواح بالأجسام بالتعلق التام ، فلا يطرأ عليها مفارقة وليس بينهما منافرة فتبقى أبداً . انتهى .

أقول : فانظر كيف يصرح بأن الأجزاء الأصلية هي التي تعاد وأن الأجزاء الفضلية المعبر عنها بالجسد العنصري لا تعاد لأنها أمور غريبة خارجة عن حقيقة جسم المكلف ، وقد عرفت سابقاً مصطلحه بالجسد العنصري وسبب تسميته ولأن هذه الأجزاء الفضلية أيضاً مركبة من العناصر ، وبالجملة فمراده بالجسد العنصري هو الصورة العرضية والأجزاء الفضلية لا الأجزاء الأصلية ، وقد عرفت فيما ذكرنا من كلماته الشريفة إلى غير ذلك مما أفاد وأجاد ، وإني إنما أكرر العبارات لتسهيل فهم المراد والله الهادي إلى طريق الصواب والرشاد .

قال صاحب الكتاب بعدما ذكر هذه العبارات وأمثالها، أقول لا يخفى أن هذه الكلمات أشد مخالفةً للشريعة مما ذكر لصراحتها في أن النار والهواء والماء والتراب لا تعود، وأن البدن الأصلي لا يفنى ولا يصير رميماً وهذا الذي لا يفنى يعاد في المعاد والرميم لا يعاد في المعاد بمعى أن الجسد المعاد غير رميم ،والجسد الرميم غير معاد هذا خلاف صريح الآية التي تدل على الإحياء في المعاد يتعلق بما يتعلق به الإنشاء أول مرة لئلا يلزم تفكيك الضمير والإضمار.

أقول : قد عرفت مراده في أن النار والهواء والماء والتراب لا تعود بأنه هذه الأجزاء الفضلية التي خلقت من العناصر الزمانية التي هي تحت فلك القمر التي هي متكونة من حركات الأفلاك وأشعة الكواكب ، وهي ليست من حقيقة جسم الإنسان وهي الكثافات والأعراض الغريبة التي لحقت بجسم الإنسان وليس مراده من ذهاب هذه الأجزاء أنه يذهب أجزاء جسمه الأصلي المعبر عنه بالأجزاء الأصلية وهذا مطابق للشريعة الحقة المحمدية ﷺ وقوله أن البدن الأصلي لا يفنى ولا يصير رميماً ، هذا افتراء عليه لأنه صرح في غير موضع كما عرفت ، وستعرف أن البدن الأصلي يتفكك فإذا تفكك أجزاؤه يصير رميماً باليقين ، لأن الرميم عبارة عن الأجساد البالية المتفككة إلا أنه لا يفنى ، بمعنى أنه لا يعدم أصلاً وأن تلك الأجزاء المتفرقة تبقى في قبره مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة .

فإنه صرح في جواب السؤال عن رواية عمار (أنه سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الميت هل يبلى جسده قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها ، فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة)[1] .

حيث قال بعدما قال أن للإنسان جسمين وجسدين وبين ما أراد وهذا الجسد يبقى في القبر مستديراً متغيباً في هذه الأرض كسحالة الذهب في دكان الصايغ ، وهذا هو الطينة التي خلق منها الإنسان كما قال عليه السلام (إنها تبقى في قبره مستديرة) ، فانظر في صراحة قوله أن هذا الجسد متغيب في هذه الأرض كسحالة الذهب في دكان الصايغ ، فإن سحالة الذهب هي متفككة الأجزاء وإذا لم تكن متفككة لم تكن سحالة .

(١) الفقيه ١ / ١٩١ .

فمراده أعلى الله مقامه أن هذا الجسد يبقى في القبر متفكك الأجزاء ، ومعنى تفكيك الأجزاء هو كونه يصير رميماً ، يعود الضمير في الآية إلى العظام الرميم من دون لزوم تفكيك الضمير والإضمار في الآية .

قال: مضافاً إلى السنة والاعتقاد بل هو كفر وإلحاد.

أقول : قد عرفت أن ما ذكره شيخنا مطابق للكتاب والسنة والاعتقاد وما ذكره صاحب الكتاب من الانقلاب هو كفر وإلحاد .

قال: مضافاً إلى لزوم تقوية النعمة الزائدة الحاصلة بانضمام الجسد العنصري من جهة عدم السبب من غير سبب وكذا العقاب، وهذا قبيح .

أقول : كمال النعمة هو ذهاب تلك الأجزاء العارضية التي هي الأعراض والغرائب المانعة من البقاء ، فلو كانت باقية تلك الأعراض لزم أن لا يبقى المكلف أبد الأبد ودهر السرمد ، لأنها من مقتضيات الموت كما عرفت ، فلو لم تذهب لم يتنعم المكلف أبد الآبدين ، فمن أعظم النعم ذهاب تلك الأوساخ المانعة من البقاء والدوام .

قال: بل الإنصاف أن النقل الوارد في هذا الباب مثل الآية المذكورة وحديث اللبنة وقوله تعالى ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[1] الآية في مقام بيان كيفية إحياء الموتى ، وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]

(١) البقرة ٢٦٠

(٢) يـس ٦٥

(٣) فصلت ٢٠-٢٢

وقوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[1] ونحو ذلك مما يشتمل على الكلمات التي لا تفيد عرفاً إلا الأعضاء المركبة من هذه العناصر مما لا يفيد التأويل.

أقول : إن هذه الآيات لا تفيد إلا أن الأجساد الأصلية هي التي ترجع في يوم المعاد وأنها مركبة من العناصر الأربعة التي من عناصر الأجسام، والشيخ يقول بموجب ذلك كما عرفت وليس في الآيات دلالة على أن أجسام المكلفين مخلوقة من هذه العناصر الزمانية التي هي تحت فلك القمر فإن قلت أن العرف لا يعرفون إلا هذه العناصر المعروفة ، قلت قد بينا سابقاً أن إطلاق العناصر ليس منحصراً في هذه العناصر في عرف الأئمة وقد عرفت الروايات التي أوردناها ، فإذن يكون في هذه الآيات إجمال يسقط بها الاستدلال فلابد من بيان من الذين يعرفون حقيقة القرآن الذين أُمِرْنا باتباعهم ، وهم بينوا أن حقيقة جسم الإنسان هي القبضات المأخوذة من تراب الأفلاك والأرض كما عرفت الرواية التي ذكرناها عن الكافي ، فلا يرد على شيخنا من الروايات شيء بل هي كلها مؤيدة له وكلامه مطابق لجميع الآيات فتفطن .

قال : وبالجملة فقد صدر عن الشيخ المعاصر كلمات مشتملة عن العقائد الفاسدة بل المفسدة في مقامات عديدة مثل مسألة العلم ومسألة المعراج ومسألة فضائل الأئمة ومسألة المعاد إلى غير ذلك من فاسد العقائد، ولكنه بعدما اشتهر ما توجه عليه من الإيراد تعرض لبيان المراد في رسالتين مختصرتين على ما ذكره عليه الاعتماد، وهما وإن كانتا مما لا يسمن ولا يغني من جوع لعدم كون الكلمات المذكورة قابلة للتأويل بعد الملاحظة بعين

---

(١) القيامة ٣-٤ .

الإنصاف وسد باب الاعتساف لكشفها عن حقيقة الحال وما هو المكنون في البال إلا أن الأولى ذكرهما دفعا لما لعلة، يقال فإن المراد ليس حصول التضيع والتخفيف أعاذنا الله عن ذلك ، بل المقصود حفظ الدين عن شبه المبطلين كما هو طريقة المتكلمين ، فلا بد من الاحتراز عما يوجب الاتهام لأهل الزيغ.

أقول : قد عرفت مراد شيخنا في جميع أهل هذه المسائل المذكورة فيما ذكرنا من بيان كلماته وكون كلماته جميعها مطابقة لما عليه جميع أهل الإسلام ، وأما صاحب الكتاب فقد عرفت أيضاً عقائده الفاسدة التي كلها مخالف ضرورة المذهب مثل قوله في أن الإرادة إرادتان إرادة حادثة وإرادة قديمة ، وأن الكلام كلامان كلام قديم وكلام حادث ، وأن ذات الله سبحانه تتشعب فبعض صفاته الذاتية من شعب بعضها ، وأن إطلاق العلة على الله صحيح أما التامة فبمشيئته وإرادته وأما الناقصة فلنقص المعلوم ، وأن الله سبحانه يعلم الأشياء في في مرتبة الذات إجمالاً ويعلم تفاصيلها في الأكوان بعد إيجادها ، وأن أفعال العباد لا تصدر عنهم إلا بعلتين إحداهما بعيدة وهي ذات الله سبحانه والأخرى قريبة وهي العبد ، وأن المعاد يكون بالانقلاب كانقلاب الصفر بالإكسير ، وقد عرفت فساد كل ذلك حيث بينا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة وكان مقصودنا حفظ الدين عن شبه المبطلين كما هو طريقة اتباع الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين قالوا عليهم السلام (فَإِنَّ فِينَا أَهْلَ الْبَيْت فِي كُلِّ خَلَف عُدُولا يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)[1] .

(١) الكافي ١ / ٢٣ .

قال صاحب الكتاب: فأقول قال: بعد التسمية (الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين أما بعد، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين أنه قد اشتبه على بعض الناظرين في كتبي حتى ظنوا الظنون التي لا يجوز احتمالها لعدم معرفتهم بالفن وعدم أنسهم بما جرى عليه الاصطلاح والأسباب الأخر فأشار على بعض المؤمنين أن أذكر مجمل ما اشتبهوا فيه وأذكر ما أعتقده في ذلك وأدين الله به عسى أن يكون أولئك إنما قالوا بما فهموه فتقوم بذلك الحجة، وما أذكر إلا ما يعلم الله أنه اعتقادي الذي أدين الله به وأنه مرادي من عباراتي كلها التي يتوهم فيها بعض من نظر فيها، لأن تلك العبارات أرسلناها على نمط اصطلاح أهل ذلك الفن، فلأجل ذلك لا يعرف المراد منها أكثر من نظر فيها خصوصاً طالب التأويل وعلى عهد الله ان أذكر مرادي من مضمونها صريحاً، فمن ذلك أن الله عالم بكل شيء كلي أو جزئي زماني أو غيره ألا يعلم من خلق، ومن اعتقد غير هذه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، واعتقادي أنه سبحانه ما فقد شيئاً من الأشياء من ملكه وأنه تعالى لا ينتظر شيئاً لم يحصل له وأنه لا يستقبل بل كلها عنده بالفعل وعلمه أزلي قبل كل شيء وبعد كل شيء ومع كل شيء وجميع المعلومات من كل ما سواه في الإمكان، وهو تعالى في أزل الآزال وحده وهو الآن على ما كان ومع ذلك لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان ولا يعلم أحد كيف ذلك إلا هو سبحانه، ومن اعتقد غير ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ومن ذلك أنه سبحانه خالق كل شيء، قال الله تعالى ﴿خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ ، وأما أفعال العباد الاختيارية ففيها الخلاف بين علماء المسلمين، وكل من اعتقد أن أحداً غير الله خالق لشيء

من السماوات والأرض أو مما فيهما ورازق لشيء مما فيهما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، نعم قد يطلق هذان مجازاً كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[1] وقال الله تعالى ﴿ والله خير الرازقين ﴾ وما يعترض به بعض من ليس له أنس بالفن ولا باصطلاح أهله بأني قلت: أنهم عليهم السلام العلة الفاعلية، فمرادي أنهم محال مشيئة الله بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أطلعهم على خلق ما خلق، فوجودهم شرط لإيجاد غيرهم لأنهم الوسائط من الله ومن خلقه وإن كان تعالى قادراً على الإيجاد بدون توسط الأسباب والآلات، إلا أنه عز وجل جرت عادته أنه يجري الأشياء على ترتب أسبابها ليعرف العباد الدليل والاستدلال على معرفة ما يريد منهم على نمط قوله تعالى ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[2] فإنه تعالى إنما يخلق على العلل ليعرف لعباده كل شيء بما يتوقف عليه الإيجاد والتعريف من العلل الفاعلية لا من العلل المادية ولا الصورية ولا الغائية وهذا معروف عند أهله، وليس المراد بالعلة الفاعلية أنهم هم الخالقون تعالى الله أن يشاركه أحد في خلقه علواً كبيراً، أما تقرأ قول الله تعالى ﴿ هذا خَلْقُ الله فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾[3] ومن ذلك اعتقاد المعاد للنفوس والأجسام والأجساد بأن الله سبحانه يبعث من في القبور، أما معاد النفوس فظاهر وأما الأجساد والأجسام فالاعتقاد أن هذه الأجساد والأجسام الموجودة في الدنيا الملموسة المرئية جميعها تعاد بعينها، حتى أن كل شخص يعرف باسمه وصورته في الدنيا فلا تبقى ذرة من الأجساد والأجسام من جميع المكلفين إلا وتعاد بعينها كما قال تعالى ﴿وَإِنْ

(١) المؤمنون ١٤

(٢) الحج ٥

(٣) لقمان ١١

كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ ﴾[1] فقوله أتينا بها يعني بعينها الموجودة في الدنيا الملموسة فتعود إلى محلها من الجسد، ويجب الإيمان بذلك مجملاً لا مفصلاً مثل قولنا تعود إلى محلها من الجسد بل الواجب اعتقاد عود كل جزء من بدن المكلف وجسمه الموجود في الدنيا، فمن زعم أن قدر ذرة من أجساد المكلفين وأجسامهم لا يعيده الله تعالى ولا يبعثه حتى يتصل بصاحبه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

وقال: في الرسالة الأخرى بعد التسمية أما بعد، (فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين اعلم أيها الناظر في رسالتي وكتبي أني بعون الله وتوفيقه ما كتبت فيها إلا ما فهمته على نحو اليقين أنه مذهب أهل العصمة عليهم السلام وما تتوهمه مخالفاً من كلامي فليس منافياً لدليل العقل والنقل معاً ولكنه على اصطلاح غير مأنوس عندك، وذلك في مثل قولي أن للإنسان جسدين وجسمين وأن الجسد الأول متكون من العناصر من كل ما تحت فلك القمر يلحق كل شيء من حرارته إلى النار ومن هوائه إلى الهواء ومن مائه إلى الماء ومن ترابه إلى التراب وهذا لا يرجع فهذا كتب لأهله، ومرادي منه والله الشاهد على أنه الجسد التعليمي وهو ذو الأبعاد الثلاثة من دون مادة كالصورة في المرآة ، فإنها أعراض والأعراض الغريبة التي ليست من ذوات الشيء لا تعاد معه، ألا ترى إلى جلد كتابك إذا كان أحمر ثم عاد يوم القيامة إلى الشاة لا تعود الحمرة معه لأنها أجنبية من الجلد والشاة ، ولا يقال أنك قلت من العناصر وهو يدل على أن المراد الجواهر لأنا نقول: كل ما في هذه الدنيا مما تحت فلك القمر كلها من العناصر جواهرها وأعراضها والأعراض الغريبة من الشيء كلها من العناصر ومع ذلك لا تعاد يوم القيامة مع ذلك الشيء، ألا سمعت ما كتبت في كثير من كتبي فإني

---

(١) الأنبياء ٤٧

كتبت أن الجسم الذي يعاد يوم القيامة لو وزن بهذا المرئي الموجود في هذه الدنيا الملموس لم ينقص عن هذا الذي في الدنيا قدر ذرة ، ولو كان مرادي به الجسم وأفرد منه ولم أرد العرض لكان المبعوث ينقص إذا وزن البتة، وإن يخفى عليك فهم مرادي فانظر في هذه المسألة في كتب العلماء كالتجريد وشرحه للعلامة وكتب المجلسي مثل حق اليقين وغيرما مما هو متفق عليه بينهم ، وقد أشار سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي إلى تلك الفضلات التي قال العلماء أنها لا تعاد ، قال حين سأله الأعرابي فقال له يامولاي ما النباتية ؟ قال: قوة أصلها الطبائع الأربع بدء إيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطائف الأغذية فعلها النمو والزيادة وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة الحديث، وهو معروف عند أهل الفن مقبول لا راد منهم ، وإلى هذا المعنى الذي أشار إليه عليه السلام هو مرادي في قولي أنه يلحق كل شيء من حرارته إلى النار ومن هوائه إلى الهواء ... إلخ، والحاصل العاقل المنصف يعرف من هذا الكلام ونحوه اعتقادي في ضميري وفي جميع كتبي ولعنة الله على من يعتقد غير هذا الذي كتبته هنا مني ومن غيري والله على ما أقول وكيل وهو شاهد عليّ وكفى بالله شهيداً وهو حسبنا ونعم الوكيل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون حسبي الله وكفى.

وكتب المسكين أحمد بن زين الدين الهجري الأحسائي في ثامن ذي القعدة سنة ١٢٤٠هـ).

أقول : فانظر أيها الناظر المنصف كيف نص على المراد وأنه مطابق لما عليه أهل الإسلام) .

قال صاحب الكتاب أقول: لا يخفى أن الكلمات المذكورة سابقاً غير قابلة لذلك التأويل كما هو الظاهر عند الإنصاف وعدم الاعتساف، وواضح لمن

كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وكان له إخلاص بالشرع السديد وليس مطيعاً لهواه بل كان مطيعا لمولاه وليس ضعفاً في إسلامه ودينه واعتقاده.

أقول : لا يخفى عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن هذه الكلمات كلها مطابقة للكلمات السابقة من دون تأويل كما بينا ذلك فراجع ، وقوله غير قابلة لذلك التأويل ينبئ عن عدم فهمه بشيء من الأشياء لأنا أثبتنا تطابق ما ذهب إليه الشيخ قدس سره ما هو مطابق لضرورة المسلمين واستدللنا على ذلك بكلماته الناصة على المطلوب من غير تأويل .

قال: وثانياً أن بناء الشرع على الظاهر والتأويل سيما البعيد من غير قرينة متصلة أو منفصلة أو نحو ذلك غير مسموع حتى بالنسبة إلى النقوش ظاهراً، ولهذا يكفر صاحب التأليف الباطل بتأليفه وينسب إلى الكفر أو التسنن أو التشيع أو نحو ذلك أهل التأليف بتأليفه، بل يمكن دعوى كون ذلك سيرة العلماء السابقين بل الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى التواريخ كما لا يخفى على المتتبع المنصف الذي في قلبه حب الإيمان وخشية الرحمن، نعم يصح أن يقال أن ذلك إنشاء الله تعالى رجوع عن الاعتقاد السابق وندامة عنه وذلك كاف على القول بكفاية توبة المرتد الفطري في الطهارة والحكم بإسلامه ، كما هو الأصح المختار رن كان مثل ما ذكر توبة وعلم كونه عن اعتقاد ولو ظاهراً.

أقول : قد أجمع العلماء كافة على أن محض كتابة الكفر لا يكفر الكاتب حتى يقولها بلسانه أو علم ذلك من اعتقاده بواسطة القرائن ، وقوله ولهذا يكفر صاحب التأليف الباطل . . .الخ ، هذا إذا علم بأن ما ذكره هو

اعتقاده وليس ذلك بمحض الكتابة ، ثم أن العلماء أجمعوا على أن الظاهر ليس بحجة ولا يعبأ به إذا ورد نص على خلافه ، وهذا لا ينكره من له أدنى مسكة ويعرف أن ذلك من ضرورة الدين ، وقد عرفت أن الشيخ أعلى الله مقامه نص على مطلوبه ، وقد عرفت أيضاً أن ما نص عليه لا يخالف الظواهر من كلماته بوجه من الوجوه على ما بيناه لا سيما أن الشيخ لم يذكر شيئاً وإلا وأقام القرينة على مراده ، فكيف يكون مع نصه وظواهر كلماته المقرونة بالقرائن يحكم بكفره ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً**﴾[1] ، ولو كانت الظواهر حجة مع وجود النص على خلافها لكانت المجسمة وسائر فرق أهل الضلال صادقين في دعواهم وليسوا بكفار لأنهم إنما أخذوا من ظاهر القرآن الدالة على كونه تعالى جسما ولو كانت الظواهر حجة على ما زعمه صاحب الكتاب لكان هو أولى بأن يكون كافراً ويحكم بكفره ، لأن ظواهر كلماته صريحة في كفره كقوله : إن ذات الله تتشعب ، إلى غير ذلك من عباراته الصريحة في الكفر وليس فيها شيئاً مما يدل على إيمانه حتى يقال أنه رجع عن اعتقاده وذلك كاف على القول بكفاية توبة المرتد الفطري ، وحكم صاحب الكتاب بكفر الشيخ أعلى الله مقامه ينبئ عن الحكم على نفسه ، لأن الشيخ قدس سره من أكابر أهل الإيمان كما عرفت والمؤمن لما كانت مرآته صافية على كمال الاعتدال تحكي المقابل على ما هو عليه فنظر صاحب الكتاب في مرآته فرأى نفسه ولنعم ما قيل :

رأى وجه من أهوى عذولي فقال لي
أجلك من وجه أراه كريها
فقلت نعم وجه الحبيب مرآية
وأنت ترى تمثال وجهك فيها

(١) مريم ٨٩-٩٠

وذلك قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه (لا يكفر أحد صاحبه إلا وقد كفر أحدهما) ، والسر في ذلك يعرف بما قلنا أن المؤمن مرآته صافية تحكي المقابل على ما هو عليه فكان صاحب الكتاب هو المقابل فظهر في هذه المرآة فرأى نفسه ، لا يقال :

وكل يدعي وصـــلاً بليلى　　　　وليلى لا تقـــر لهم بذاكـــا

فصاحب الكتاب أيضاً له أن يقول هذا الكلام لأني أقول :

إذا انبجست دموع في خدود　　　　تبين من بكى ممن تبـــاكى

ويعرف صدق قول القائل إذا وزن قوله بالقسطاس المستقيم وهو ضرورة المسلمين ، وقد عرفت ما ذكر شيخنا وما ذكرنا في بيان كلماته الشريفة مطابق لضرورة المسلمين لا يشك فيها إلا من يشك فيه ، وليس كذلك صاحب الكتاب فإن عبائره صريحة في أنه مخالف لضرورة المسلمين بل وجميع المليين ، كقوله : إن ذات الله تتشعب ، فبعض صفاته الذاتية من شعب بعضها ، وقوله بانقلاب بدن الإنسان كما يشهد عليه مثاله في التلطف كتلطيف النحاس بالإكسير ، إلى غير ذلك من عبائره الصريحة في مخالفته للإسلام ولمذهب الشيعة التابعين للأئمة الأنام عليهم السلام ، ولكنا لا نكفر صاحب الكتاب بمحض كتابة هذه العبارات لعدم حجته أمثال هذه الظواهر ، فيتجه قول القائل :

وحسبكم هذا التفاوت بيننا　　　　وكل إناء بالذي فيه ينضح

قال: وثالثاً إن ما اشتمل عليه الكلمات المحكية مما لم يقل به أحد فضلاً عن كونه متفقاً عليه ، فإن مدلولها عدم عود الأجزاء الحاصلة من العناصر

الأربعة الكائنة في هذا العالم التي ترى بهذه الأبصار، ومقصود القوم في مسألة شبهة الآكل والمأكول عدم وجوب عود الفواضل والأجزاء الفضلية مثل اللحوم الحاصلة من الأغذية، وأما العناصر الأربعة التي تكون في الأجزاء الأصلية فلا خلاف في عودها وعدم طرحها بالتصفية وأخذ اللطيف الكائن من عالم آخر وطرح ردي حاصل من هذا العالم المحسوس، كما لا يخفى من لاحظ كتب القوم.

أقول: قد عرفت مراد شيخنا في أن الجسد العنصري الذي لا يعود هو الصورة والأجزاء الفضيلة وكل شيء فهو مخلوق من العناصر، وكذلك هذه الأجزاء الفضلية هي مخلوقة من العناصر الأربعة فهي لا تعود مع الشيء، إذ ليست من حقيقة بدن المكلف الذي عليه الثواب والعقاب، فالعناصر على ضربين أصلية وعرضية، فالأصلية هي عالم مستقل وجوهر متأصل والعرضية أيضاً عالم مستقل لكن بالجواهر متأصل، وكلا العالمين من عالم الملك الذي هو مقابل الملكوت والجبروت وهو عالم الأجسام، فإذا قال شيخنا أن بدن الإنسان من ملك آخر يريد من الملك عالم الأجسام ومن الآخر عالم الأصول والجواهر، وليس مراده بالملك الآخر أنه ليس من عالم الأجسام، كيف وقد صرح فيما ذكرناه وفي جميع كتبه أن أجزاء الجسم من الأجسام لا من الأرواح والنفوس والعقول، وقد عرفت ذلك مفصلاً فيما بيناه وهو صرح بأن الجسد العنصري الذي لا يعود هو تلك الأجزاء الفضلية التي هي بمنزلة الغرائب والأوساخ والكثافات، ولا مدخلية لها في حقيقة الإنسان، وهذا هو الذي ذكره الأصحاب في كتبهم ومؤلفاتهم وإنما كررت العبارات ليسهل فهم المراد.

قال: كالتجريد ونحوه فقد قال في التجريد، ولا يجب إعادة فواضل المكلف، وقال بعض قوله: ولا يجب إعادة فواضل المكلف، إشارة إلى جواب شبهة تقديراً، الشبهة إن المعاد الجسماني غير ممكن لأنه لو أكل إنسان إنساناً حتى صار جزء بدن المأكول جزء بدن الآكل، وليس بأن يعاد جزء بدن أحدهما أولى من أن يعاد جزء بدن الآخر وجعله جزءاً لبدنهما معاً، محال، فينبغي أن لا يعاد واحد منهما تقدير.

الجواب: أن الجزء الأصلي لأحدهما فضل الآخر فرده إليه أولى، انتهى.

وهكذا غير ذلك مثل حق اليقين، ولا يخفى أن ذلك دال على أن الفواضل من الأجزاء لا يجب عودها إلى صاحب الفواضل الثانوي، بل تعود إلى من كانت تلك الفواضل أجزاءاً أصلية لا أنها لا تعود أصلاً كما يقول الشيخ المعاصر، كما يقول بعدم عود مثلها من الأصلية.

أقول: ليس المراد أن الأجزاء الأصلية تكون أجزاء فضلية للأكل، بل الصريح من كلمات العلماء أن الأجزاء الأصلية لا تكون غذاء أبداً ، والذي يكون الغذاء منه هو الأجزاء الفضلية لا غير، وقد قال العلامة أعلى الله مقامه في شرحه على التجريد عند قول المحقق الطوسي : ولا تجب إعادة فواضل المكلف.

أقول: اختلف الناس في المكلف ما هو على مذهب الأوائل والنصارى والتناسخية والغزالي من الأشاعرة وابن الهضيم من الكرامية وجماعة من الإمامية والصوفية، ومنها قول جماعة من المحققين أن المكلف هو أجزاء أصلية في هذا البدن لا يتطرف إليها الزيادة والنقصان، وإنما تقعان في الأجزاء المضافة إليها، إذا عرفت هذا فنقول الواجب في المعاد هو إعادة تلك

الأجزاء الأصلية أو النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية ، أما الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء فلا يجب إعادتها بعينها ، وغرض المصنف بهذا الكلام الجواب عن اعتراض الفلاسفة على المعاد الجسماني ، وتقرير قولهم أن إنساناً إذا أكل آخر واغتذى بغذائه ، فإن أعيدت أجزاء الغذاء إلى الأول عدم الثاني ، وإن أعيدت إلى الثاني عدم الأول ، وأيضاً إما أن يعيد الله تعالى جميع الأجزاء البدنية الحاصلة من أول العمر إلى آخره ، أو القدر الحاصل عند موته ، والقسمان باطلان ، أما الأول فلأن البدن في التحلل والاستخلاف ، فلو أعيد البدن مع جميع الأجزاء منه لزم عظمته في الغاية لأنه قد تخلل منه أجزاء تصير أجساماً عند الله ، ثم يأكلها ذلك الإنسان بعينه حتى تصير أجزاء من عضو آخر غير الذي كانت أجزاء له أولاً ، فإن أعيدت أجزاء كل عضو إلى عضوه لزم جعل ذلك الجزء جزءا من العضوين وهو محال ، وأما الثاني فلأنه قد يطبع العبد حال تركبه من أجزاء بعينها ثم تحلل تلك الأجزاء ويعصي في أجزاء أخرى ، فإذا أعيد في تلك الأجزاء بعينها وأثابها على الطاعة لزم إيصال الحق إلى غير مستحقه .

وتقرير الجواب واحد وهو أن لكل مكلف أجزاء أصلية لا يمكن أن تصير جزءاً من غيره ، بل تكون فواضل من غيره لو اغتذى جعلت أجزاء أصلية لما كانت له أولاً ، وتلك الأجزاء هي التي تعاد وهي باقية من أول العمر إلى آخره ، وقال السيد أشرف بن عبدالحسيب الحسيني في شرحه على هذه الفقرة بالفارسية (وجماعتي أز محققين كفته اند كه مكلف اجزاء اصليه است در بدن كه راه زياده ونقصان در آن نيست ونقصان در اجزاي مضاف بر آن است ، إلى أن قال : وميكوئيم كه واجب در معاد اعادة اجزاء اصليه است نه هيكل متبدل در اكثر اوقات يا نفس مجرده است يا اجزاء اصليه

وشك نيست كه عود اجزاء اصلية بدون اعادة نفس وجهي ندارد ولكن علامه جنين كه مذكور شد مردد ميان اجزاي اصليه ونفس مجرده فرمود كه جون در تجرد نفس بعضي خلاف نموده اند دراين صورت نفوس داخل اجزاي اصلية خواهد بود واما اجسام متصله باين اجزاء بس اعادة آن بعينها لازم نيست وغرض مصنف ازاين كلام جواب از اعتراض فلاسفة است بر معاد جسماني . وساق الكلام وذكر اعتراضهم إلى أن قال : وتقرير جواب درهردو واحد است وآن اين است كه از بر اي هر مكلفي اجزاي اصليه هست كه ممكن نيست كه جز غير او تواند شد واكر كسي اورا غذا نمايد جدا ازا جزاي اصلي او ميكردد و دروقت عود اجزاي اصليه از براي هر كس كه اجزاي اصليه اولي بود واين اجزاء باقي است از اول عمر تا آخر عمر) . انتهى .

قال المجلسي (رحمه الله) في البحار (ذكر بعض المتكلمين أن تشخص الشخص إنما يقوم بأجزائه الأصلية المخلوقة من المني وتلك الأجزاء الباقية في مدة حيوة الشخص وبعد موته وتفرق أجزاءه فلا يعدم الشخص وقد مضى ما يومي إليه من الأخبار وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير المشخصة وأعيد غيرها مكانها لا يقدح في كون الشخص باقياً بعينه ، فإذا تمهد هذا فاعلم أن القول بالحشر الجسماني على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المعدوم حيث لم يتم الدليل عليه بيّن لا إشكال فيه ، وأما على القول به فيمكن أن يقال يكفي فيه المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادة بعينها أو من تلك الأجزاء بعينها ، لا سيما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لو رأيته لقلت أنه فلان ، إذ مدار اللذات والآلام على الروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه ، ولا تدل النصوص إلا على إعادة

ذلك الشخص بمعنى أنه حكم عليه عرفاً أنه ذلك الشخص ، كما أنه يحكم على الماء الواحد إذا فرغ في إنائين أنه هو الماء الذي كان في إناء عرفاً وشرعاً ، وإن قيل بالهيولى ولا يبتني الإطلاقات الشرعية والعرفية واللغوية على أمثال تلك الدقائق الحكمية والفلسفية ، وقد أومأنا في تفسير بعض الآيات وشرح بعض الأخبار إلى ما يؤيد ذلك كقوله تعالى ﴿ على أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ وقوله تعالى ﴿ بَدَّلْناهُم جُلوداً غَيْرَها ﴾)[1] انتهى .

وما ذكره في حق اليقين هو ترجمة ما ذكره هنا ، قال الرازي في كلام طويل في بيان المعاد ، إلى أن قال (إن يخلق الله تعالى من الأجزاء المتفرقة لذلك البدن بدناً ، فيعيد إليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن ، ولا يضرنا كونه غير البدن الأول بحسب الشخص لامتناع إعادة المعدوم بعينه وما شهدت به النصوص من كون أهل الجنة جرداً مرداً ، وكون ضرس الكافر مثل جبل أحد يعضد ذلك ، وكذا قوله تعالى ﴿ كُلَّما نَضِجَتْ جُلودُهُم بَدَّلْناهُمْ جُلوداً غَيْرَها ﴾ ولا يبعد أن يكون قوله تعالى ﴿أَوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السمواتِ والأَرْضَ بِقادِرٍ على أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ إشارة إلى هذا فإن قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية ، قلنا العبرة في ذلك بإدراك وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باقٍ بعينه ، وكذا الأجزاء الأصلية من البدن ، ولذا يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة أنه بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات ، بل كثير من الأعضاء والآلات ، ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب أنها عقوبة لغير الجاني ، انتهى)[2] .

وقال العالم المحقق الملا مهدي النراقي في كتابه المسمى بمشكلات

---

(١) بحار الأنوار ٧ / ٥٢

(٢) بحار الأنوار ٧ / ٥٣

العلوم ، تنبيه : المستفاد من الخبر المذكور أن المعاد هو الأجزاء الأصلية وإعادة الأجزاء الفضلية غير لازمة ، وبذلك تندفع الشهرة المشهورة الموروة على المعاد الجسماني .

وساق الكلام إلى أن قال : ووجه الاندفاع أن المعاد إنما هو الأجزاء الأصلية الباقية دون الأجزاء الفضلية الفانية ، وهذا الإنسان المأكول الذي صار جزء لبدن الآكل ليس من أجزائه الأصلية ، بل إنما هو فضل فيه ، ولا يجب إعادته في الآكل قطعاً ، نعم لو كان من الأجزاء الأصلية للمأكول أعيد فيه ، وإلا فلا .

إلى أن قال رحمه الله : ثم على تقدير عدم إعادة الأجزاء مطلقاً أصلية كانت أم فضلية ، نقول : بقاء طينته التي يخلق منها كما خلق أول مرة كافٍ في القول بالمعاد البدني .

إلى أن قال رحمه الله : وحاصله أن المناط في الإعادة هو الأصل بأي معنى أخذ سواء أخذ بمعنى التربة أو النطفة أو النفس الناطقة أو غير ذلك مما مر ، فإذا أعيد الأصل بأن يخلق منها الجسد ويبعث منها يحصل المعاد البدني ، وإن لم يحصل إعادة سائر الأجزاء الفضلية والأصلية ، انتهى .

وقال السند الأواه السيد عبدالله في مصابيح الأنوار في بيان موثقه عمار بن موسى الساباطي ، عن أبي عبدالله قال (سئل عن الميت يبلى جسده قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة)[1] .

وساق الكلام في تفسيرها ولا نطول الكلام بذكره ، إلى أن قال : وهذا يؤيد ما ذكره المتكلمون من أن تشخص الإنسان إنما هو بالأجزاء الأصلية ولا

---

(١) الكافي ٣ / ٢٥١

مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه ، ثم ذكر المعاد في أن المعاد هل هو بإعادة المعدوم أو بجميع الأجزاء بعد تفرقها ، وذكر أدلة القول الأول وضعفها ثم ذكر أدلة القول الثاني من الآيات والروايات .

إلى أن قال : ثم إن قلنا بعدم امتناع إعادة المعدوم لعدم قيام دليل على امتناعه والأمر واضح ، وإن قلنا بامتناعه فيمكن أن يقال يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادة بعينها أو من تلك الأجزاء بعينها ، لا سيما إذا كانت شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لو رأيته لقلت أنه فلان ، إذ مدار اللذات والآلام على الروح ، ولو بواسطة الآلات وهو باقٍ بعينه ، ولا تدل النصوص إلا على إعادة ذلك الشخص بمعنى أنه يحكم عليه عرفاً بكونه هو ، كما يحكم على الماء الواحد إذا فرغ في إنائين أنه هو الذي كان في واحدٍ عرفاً وشرعاً ، والإطلاقات اللغوية والشرعية والعرفية لا تبتني على الدقائق الحكمية والفلسفية والآيات والأخبار تشير إلى ذلك كقوله تعالى ﴿ **على أن يَخلُقَ مِثلَهُم** ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ **بَدَّلْناهُم جلوداً غَيْرَها** ﴾[2] وما ورد من كون أهل الجنة جُرداً مُرداً ، وكون ضرس الكافر مثل جبل أحد وأنه يحشر المتكبرون كأمثال الذر ، لا يقال أنه يلزم من ذلك كون المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية ، لأنا نقول : العبرة في ذلك بالإدراك ، وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باقٍ بعينه وكذا الأجزاء الأصلية من البدن ، ولذا يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة أنه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات ، بل كثير من الأعضاء والآلات ، ولا يقال لمن جنى في الشباب وعوقب في المشيب أنها عقوبة لغير الجاني . انتهى .

(١) الإسراء ٩٩
(٢) النساء ٥٦

إلى غير ذلك من أقوال العلماء الذين عليهم العلم والعمل ، فإن جميع العلماء صرحوا بأن العائد هو الأجزاء الأصلية دون الأجزاء الفضلية ، وأن مدار الثواب والعقاب كلها على تلك الأجزاء كما عرفت ، ولا نطول الكلام بذكر كلمات ساير العلماء الأعلام فإن فيما ذكرنا من كلامهم كفاية لأولي الأبصار والأفهام .

قال صاحب الكتاب: بل الظاهر أن القول بعدم عود العناصر المعروفة في هذا العالم ، وانحصار العود في الجوهر اللطيف النوراني النازل من عالم هورقليا خارج عن اعتقاد جميع المليين حتى اليهود والنصارى فضلاً عن المسلمين ، فما ذكره من كون ما اعتقده موافقاً لغيره غفلة أو تدليس ، كالتشبث بكل حشيش .

أقول : إن أراد بقوله أن القول بعدم عود العناصر المعروفة في هذا العالم ، هذه العناصر التي متكونة من أشعة الكواكب وحركات الأفلاك فليس بمسلم ، وقد عرفت سابقاً فيما مضى ، وإن أراد بالعناصر عالم الأجسام فلا محيص عنه ، فلا يقول شيخنا بعدم إعادة الأجسام وهو الذي شيد القول بوجوب إعادة الأجسام ، كيف لا وهو يقول إن هذا الجسم المحسوس الملموس المرئي هو الذي يعود ، فكيف يجوز أن ينسب إليه أنه لا يقول بعود الأجسام .

قوله : وانحصار العود في الجوهر اللطيف النوراني النازل من عالم هورقليا . . . إلخ .

فكأنه حسب أن عالم هورقليا عالم خارج عن عالم الأجسام لأنه لم يعرف الاصطلاح ، وقد بينا نحن فيما سبق أن عالم الأجسام يقال له عالم الملك في مقابلة عالم الملكوت والجبروت ، وعالم الملك أعني عالم الأجسام له مرتبتان : رتبة الأصول والجواهر ورتبة الغرايب والأعراض ، فيقال

للأصول والجواهر هورقليا لاستقلالها وثباتها وعدم تغيراتها ، ويقال للأعراض والغرايب العناصر الزمانية المتكونة تحت فلك القمر لانقلابها وتغيراتها ، وأنت خبير بأن عالم الأصول عالم ، وعالم الأعراض أيضاً مستقل ، فإذا قال أن جسم الإنسان مخلوق من هورقليا ونزل من عالم هورقليا يريد أن جسم الإنسان مخلوق من جواهر الأجسام لا من أعراضها ، ونزوله من عالم هورقليا عبارة عن تعلقه بهذه الكدورات والغرايب والأعراض ، لا أن الجسم خارج من هذا العالم ومتكون من عالم آخر ، بل هذا الجسم هو من هذا العالم ومن عناصر هذا العالم الجسماني المرئي المحسوس الملموس ، إلا أنه متكون من جواهر العناصر لا عن أعراضها ، لذلك قال شيخنا أن هذا الجسم المرئي بالأبصار الملموس هو الذي يعود ، فلو كان من عالم آخر فلا يعود هذا ، وهو يقول يعود هذا كما عرفت .

ومقصوده من الغرايب والأعراض الصورة المتغيرة المتبدلة والأجزاء الفضلية ، وهذا معتقد جميع أهل الإسلام ، وقد عرفت تطبيق كلمات الشيخ على كلمات سائر العلماء ، وأما صاحب الكتاب فكلامه في المعاد خارج عن معتقد المسلمين ، بل وجميع المليين ممن يقول بالمعاد فإنه بعود الذهب لا بعود النحاس ، فيرد عليه ما أورد على الشيخ .

فقوله : هذا غفلة أو تدليس كالتشبث بكل حشيش .

غلط محض ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، وإني إنما كررت العبارات ليوضح المرام والمقصود .

قال: مضافاً إلى أن ما ذكره سابقاً من كون وجود المعصومين شرط لإيجاد الخلق مع عدم مناسبته لما صدر في الكلمات السابقة مخالف للصحيفة السجادية كقوله عليه السلام (أَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعِنْكَ عَلَى خَلْقِكَ شَرِيكٌ ، وَلَمْ

يُوَازِرْكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ، وَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ وَ لاَ نَظِيرٌ)[1] وهكذا سائر الكلمات الصادرة من الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

أقول : قد عرفت سابقاً من كون وجود المعصومين شرط لإيجاد الخلق لأنهم العلة ، ولا يخالف ذلك ما ورد في الدعاء لأن الله سبحانه هو متفرد بالخلق لا شريك له ولا وزير ، إلا أنه سبحانه أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها كما في الروايات ، وقد ذكرنا منها شيئاً ، وليست الأسباب شريكاً له ولا وزير ، كما أنه يميت الخلق وهو متفرد بالإماتة إلا أنه يميت بملك الموت ، وكذلك هو الذي يفعل وهو المؤثر لا مؤثر غيره إلا أنه يوجد الأشياء بأسبابها وشرايطها ومعداتها ومتمماتها ومكملاتها ، وقد عرفت سابقاً كل ذلك مشروحاً مفصلاً فلا نعيد ذكرها ، فافهم .

(١) الصحيفة السجادية ٢١٠

المقام الثالث

قال: المقام الثالث في أحوال الناس عند العبور على الصراط، فقد ورد أن جسر جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف وأن الناس يمرون عليه، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً، وإن من لم يعرف صراط الدنيا وهو الإمام المفترض الطاعة زلت قدمه في الآخرة فتردى في نار جهنم، وإن من لم يجز عليه إلا من كان له ولاية علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأنه لا يجوزه عبد بمظلمة، وأن عليه سبع مجالس يسأل فيها عن شهادة أن لا إله إلا الله والولاية وعن الصلوة والزكوة والحج والعمرة والمظالم، وأن العقبات كلها اسم عقبة منها الولاية، يوقف جميع الخلائق عندها فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده، وباسم كل فرض أو مراد نهي فهي عقبة يجلس عندها العبد فيسأل إلى غير ذلك من الأحوال .

أقول : قال الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[1] قال الطبرسي (أي على طريق العباد ، فلا يفوته أحد والمعنى أنه لا يفوته شيء من أعمالهم لأنه يسمع ويرى جميع أقوالهم وأفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال (المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة

عن ابن عباس في هذه الآية قال إن على جسر جهنم سبع محابس

(١) الفجر ١٤

يسأل العبدعند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها و إلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال (الناس يمرون على الصراط طبقات ، والصراط أدق من الشعر ومن حد السيف ، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمر حبواً ، ومن من يمر مشياً ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً)[1] .

وفي حديث عن أبي جعفر عن جده صلوات الله عليهما إلى أن قال(ثم يوضع عليها الصراط أدق من الشعر أحد من السيف عليها ثلاثة قناطر ، فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم ، وأما ثانيها فعليها الصلاة ، وأما الثالثة فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره ، فيكلفون الممر عليها فتجلسهم الرحم والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل وعز ، وهو قوله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ والناس على الصراط فمتعلق بيد وتزول قدم ويستمسك بقدم ، والملائكة حولها ينادون يا حليم اغفر واصفح وعدّ بفضلك وسلم سلم والناس يتهافتون في النار كالفراش ، فإذا نجى ناج برحمة الله عز وجل مر بها فقال الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجاني منك بعد أياس بمنه وفضله ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾)[2] .

(١) بحار الأنوار ٨ / ٦٤ .

(٢) بحار الأنوار ٨ / ٦٥ .

وعن رسول الله ﷺ قال (إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك قوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ ﴾ يعني عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)[1] .

وعن ابن عباس (﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ لا يعذب الله محمداً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ، لا يعذب علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفراً ،﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى ﴾ يظيء على الصراط لعلي وفاطمة مثل الدنيا سبعين مرة ، فيسعى نورهم بين أيديهم ويسعى عن أيمانهم وهم يتبعونها فيمضي أهل بيت محمدٍ وآله زمرة على الصراط مثل البرق الخاطف ، ثم قوم مثل الريح ثم قوم مثل عدو الفرس ثم يمضي قوم مثل المشي ثم قوم مثل الجثو ، ثم قوم مثل الزحف ويجعلها الله على المؤمنين عريضاً وعلى المذنبين دقيقاً ، قال الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ حتى نجتاز به على الصراط ، قال : فيجوز أمير المؤمنين في هودج من الزمرد الأخضر ومعه فاطمة على نجيب من الياقوت الأحمر حولها سبعون ألف حور كالبرق اللامع)[2] .

وعن المفضل بن عمر قال (سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط فقال هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل ، وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة ، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم)[3] .

---

(١) الأمالي للطوسي ٢٩٠ .

(٢) المناقب ٢ / ١٥٥ .

(٣) معاني الأخبار ٣٢ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال (الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام)[1] .

وعنه عليه السلام (في قول الله عز وجل ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ قال هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام)[2] . انتهى .

ولنا في تحقيق الصراط إشارات لطيفة لا يسعني إظهارها ، فكتمانها في الصدور خير من إظهارها في السطور ، ولكن ليعلم أن لكل أحد من آحاد الناس له صراط خاص به ، وكلي يحوي جميع شئوناته وأطواره وتطوراته ، وذلك الصراط عبارة عن الولاية الذي هو جسر ممدود بين الجنة والنار ، فالولاية هي صراط الله والصراط المستقيم عبارة عن إعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه ، وذلك الصراط أعم من الفضل أو الانتقام ، لأنه عبارة عن العدل ، فلكل واحد من آحاد المخلوقين له صراطان صراط يسلك به إلى الرضوان ، وصراط يسلك به إلى النيران ، وذلك يحصل من امتزاج الطينتين العليين والسجين ، وله مقام في كلا المقامين ، ولكنه إذا سلك صراط أزيل عن الآخر ، فتبصر ، فإن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وهو الجسر الممدود بين الجنة والنار ، ولا يجوزه أحد إلا بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الطاهرين عليه سلام الله أبد الآبدين .

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال (إن الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين نادى منادي ربنا من تحت عرشه : يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين على الصراط ، فتغض الخلائق كلهم أبصارهم فتجوز فاطمة على الصراط ، لا يبقى أحد في القيامة إلا غض بصره عنها إلا محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرون من أولادهم ، فإنهم أولادها ، فإذا دخلت الجنة بقي مرطها ممدوداً

---

(١) ، (٢) معاني الأخبار ٣٢ .

على الصراط طرف منه بيدها وهي في الجنة وطرف في عرصات القيامة ، فينادي منادي ربنا : يا أيها المحبون لفاطمة تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين فلا يبقى محب لفاطمة إلا تعلق بهدبة من أهداب مرطها حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام ، وألف فئام ، قالوا : وكم الفئام الواحد ؟ قال : ألف ألف ينجون بها من النار)[1] .

(١) بحار الأنوار ٨ / ٦٨ .

المقام الرابع

قال: المقام الرابع في أحوال النار وأهلها كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[1] وقال تعالى ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[2] وقال تعالى ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[3] وقال تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4] قال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾[5] وقال تعالى ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[6] وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾[7] وقال تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[8] وقال تعالى ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[9] وقال تعالى ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَ

---

(١) الكهف ٢٩
(٢) الحج ١٩ - ٢٢
(٣) المؤمنون ١٠٤
(٤) العنكبوت ٢١ - ٢٢
(٥) السجده ٢١
(٦) الصافات ٦٥-٦٢
(٧) غافر ٤٩ - ٥٠
(٨) الدخان٤٣ - ٤٨
(٩) محمد ١٥

حَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴾[1] إلى أن قال تعالى ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَما أَدْراكَ ما سَقَرُ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾[3] وقال تعالى ﴿ **كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ** ﴾[4]وقال تعالى ﴿ **سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ** ﴾[5] .

أقول : إن الآيات كثيرة لكن لا نذكرها خوفاً من التطويل ، لكن الأولى أن نشير إلى تفاسير هذه الآيات .

فأقول : قال الطبرسي (رحمه الله) في قوله تعالى ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنا أي هيأنا لِلظَّالِمِينَ** ﴾ أي الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى ﴿ **ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها** ﴾ و السرادق حائط من النار يحيط بهم عن ابن عباس .

وقيل هو دخان النار ولهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها وهو الذي في قوله ﴿ **إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ** ﴾ عن قتادة .

و قيل أراد أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم فشبه ذلك بالسرادق عن أبي مسلم .

﴿ **وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا** ﴾ من شدة العطش و حر النار ﴿ **يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ** ﴾ وهو شيء أذيب كالنحاس والرصاص و الصفر عن ابن مسعود .

وقيل هو كعك الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه روي ذلك مرفوعا كدردي الزيت عن ابن عباس و قيل هو القيح و الدم عن مجاهد .

---

(١)الواقعه ٤١ - ٤٤

(٢) الواقعه ٥١ - ٥٦

(٣) المدثر ٢٦ - ٣٠

(٤) الهمزه ٤ - ٩

(٥) المسد ٣

و قيل هو الذي انتهى حره عن ابن جبير و قيل إنه ماء أسود و إن جهنم سوداء و ماؤها أسود و شجرها أسود و أهلها سود عن الضحاك ﴿ **يَشْوِي الْوُجُوهَ** ﴾ أي ينضجها عند دنوه منها و يحرقها و إنما جعل سبحانه ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الاستغاثة ﴿ **بِئْسَ الشَّرَابُ** ﴾ ذلك المهل ﴿ **وَسَاءَتْ** ﴾ النار ﴿ **مُرْتَفَقاً** ﴾ أي متكأ لهم و قيل ساءت مجتمعا مأخوذا من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد و قيل منزلا مستقرا)[1] ، عن ابن عباس

و في قوله تعالى (﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ** ﴾ قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم ألبسوا مقطعات النيران و هي الثياب القصار .

و قيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار و هي أشد ما يكون حرا عن سعيد بن جبير .

و قيل إن النار تحيط بهم كإحاطة الثياب التي يلبسونها ﴿ **يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ** ﴾ أي الماء المغلي فيذيب ما في بطونهم من الشحوم ويتساقط الجلود .

و في خبر مرفوع أنه يصب على رءوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها ﴿ **يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ** ﴾ أي يذاب و ينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء و تذاب به الجلود و الصهر الإذابة ﴿ **وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** ﴾ قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد يضرب بها الرأس .

و روى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿ **وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** ﴾ لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض .

وقال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا

---

(١) بحار الأنوار ٨ / ٢٤٦-٢٤٨

بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة فذلك قوله ﴿ كُلَّما أرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها ﴾ أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم و الكرب الذي يأخذ بأنفاسهم حين ليس لها مخرج ردوا إليها بالمقامع ﴿ وَذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ ﴾ أي و يقال لهم ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم و الحريق الاسم من الاحتراق .

وفي قوله ﴿ بِإِلحادٍ ﴾ الإلحاد العدول عن القصد وفي قوله ﴿مُعاجِزِينَ﴾ أي مغالبين و قيل مقدرين أنهم يسبقوننا و قيل ظانين أن يعجزوا الله أي يفوتوه و لن يعجزوه .

و في قوله ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ أي تصيب وجوههم لفح النار و لهبها واللفح و النفح بمعنى إلا أن اللفح أشد تأثيرا و أعظم من النفح ﴿ وَهُمْ فِيها كالِحُونَ ﴾ أي عابسون عن ابن عباس و قيل هو أن تتقلص شفاههم و تبدو أسنانهم كالرءوس المشوية)[1] .

(وفي قوله تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ ﴾ يعني أن العذاب و إن لم يأتهم في الدنيا فإن جهنم محيطة بهم أي جامعة لهم و هم معذبون فيها لا محالة ﴿ يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ يعني أن العذاب يحيط بهم لا أنه يصل إلى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا و هو معذب في النار .

عن الحسن ، وهو كقوله ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ ﴾ ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي جزاء أعمالكم)[2] .

(قوله تعالى ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الأَكْبَرِ ﴾ العذاب

---

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٥٢- ٢٥٣

(٢) بحار الانوار ٨ / ٢٥٥



الأكبر عذاب جهنم ، وأما العذاب الأدنى ففي الدنيا ، وقيل هو عذاب القبر .

وروي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام والأكثر في الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن العذاب الأدنى الدابة والدجال)[1] .

وقوله تعالى (﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ الزقوم ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم تزقم هذا الطعام ، إذا تناوله على تكره ومشقة شديدة .

وقيل : الزقوم شجرة في النار يقتاتها أهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الريح ، وقيل إنها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب ، وقيل أنها لا تعرفها ، فقد روي أن قريشاً لما سمعت هذه الآية قالت : ما نعرف هذه الشجرة .

قال ابن الزبعري : الزقوم بكلام البربر التمر والزبد ، وفي رواية بلغة اليمن ، فقال أبو جهل لجاريته : يا جارية زقمينا ، فأتته الجارية بتمر وزبد ، فقال لأصحابه : تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم أن النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر ، فأنزل الله سبحانه ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ أي خبرة لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها ، فصارت فتنة لهم ، وقيل المراد بالفتنة العذاب من قوله ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ أي يعذبون ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي الزقوم ﴿ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ أي في قعر جهنم ، وأغصانها ترفع إلى دركاتها ، عن الحسن ، ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكماله قدرته في النار من جنس النار ، أو من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل والأغلال ، وكما لا تحرق حياتها وعقاربها ، وكذلك الضريع وما أشبه ذلك ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ يسأل عن هذا ،

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٥٥

فيقال : كيف شبه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف ؟ وأجيب عنه بثلاثة أجوبة .

أحدها : أن رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها أستن ، قال الأصمعي يقال لها الصوم .

وثانيها : أن الشيطان جنس من الحيات فشبه سبحانه طلع تلك الشجرة برءوس تلك الحيات .

وثالثها : أن قبح صور الشياطين متصور في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحونه جداً كأنه شيطان ، فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت شناعته في قلوب الناس ، وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب ، وقال الجبائي أن الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النار حتى أنه لو رآه راءٍ من العباد لاستوحش منهم ، فلذلك شبه برؤوسهم)[1] .

وقال تعالى (﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ** ﴾ من الأتباع والمتبوعين ﴿ **لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ** ﴾ وهم الذين يتولون عذاب أهل النار من الملائكة الموكلين بهم ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ** ﴾ يقولون ذلك لأنهم لا طاقة لهم على شدة العذاب و لشدة جزعهم لا أنهم يطمعون في التخفيف لأن معارفهم ضرورية يعلمون أن عقابهم لا ينقطع ولا يخفف عنهم ﴿ **قَالُوا** ﴾ أي الخزنة ﴿ **أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ أي بالحجج والدلالات على صحة التوحيد و النبوة أي فكفرتم وعاندتم حتى استحققتم هذا العذاب ﴿ **قَالُوا بَلَى** ﴾ جاءتنا الرسل و البينات فكذبناهم و جحدنا نبوتهم ﴿ **قَالُوا فَادْعُوا** ﴾ أي قالت الخزنة فادعوا أنتم فإنا لا ندعو إلا بإذن الله ولم يؤذن لنا فيه و قيل إنما قالوا ذلك استخفافا بهم و قيل معناه فادعوا بالويل و الثبور

---

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٥٧

﴿وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ أي في ضياع لأنه لا ينفع)[1] .

وفي قوله (﴿طَعامُ الأَثِيمِ﴾ أي الآثم وهو أبو جهل وروي أن أبا جهل أتى بتمر و زبد فجمع بينهما و أكل و قال هذا هو الزقوم الذي يخوفنا محمد به نحن نتزقمه أي نملأ أفواهنا به فقال سبحانه ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو المذاب من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضة .

وقيل هو دردي الزيت ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ أي إذا حصلت في أجواف أهل النار تغلي كغلي الماء الحار الشديد الحرارة قال أبو علي الفارسي لا يجوز أن يكون المعنى يغلي المهل في البطون لأن المهل إنما ذكر للتشبيه به في الذوب ألا ترى أن المهل لا يغلي في البطون وإنما يغلي ما يشبه به ﴿خُذُوهُ﴾ أي يقال للزبانية خذوه بالإثم ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ أي زعزعوه وادفعوه بعنف وقيل معناه جروا على وجهه ﴿إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ﴾ أي إلى وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ .

قال مقاتل إن خازن النار يمر به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ﴿مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حره ويقول له ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ و ذلك أنه كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك و فيما كنت تقوله ، وقيل إنه على معنى النقيض فكأنه قيل إنك أنت الذليل المهين إلا أنه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به و قيل معناه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ في قومك ﴿الْكَرِيمُ﴾ عليهم فما أغنى عنك ذلك ﴿إِنَّ هذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ أي ثم يقال لهم إن هذا العذاب ما كنتم تشكون فيه في الدنيا)[2] .

(وفي قوله تعالى ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي في ريح حارة تدخل

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٦٢

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٦٤

مسامهم و خروقهم و في ماء مغلي حار انتهت حرارته ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ أي دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس و غيره .

و قيل اليحموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال ﴿ لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴾ أي لا بارد المنزل و لا كريم المنظر و قيل لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم ولا كريم فيشتهى مثله وقيل ولا كريم أي لا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن الشيء نفت عنه الكرم .

و قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم تقول ما هو بسمين و لا كريم و ما هذه الدار بواسعة و لا كريمة .

ثم ذكر سبحانه أعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال ﴿ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي كانوا في الدنيا متنعمين عن ابن عباس ﴿ وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴾ أي الذنب العظيم و الإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه وقيل الحنث العظيم الشرك و قيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت و أن الأصنام أنداد الله .

قوله ﴿ فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ أي كشرب الهيم و هي الإبل التي أصابها الهيام و هو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت)[1] .

وفي قوله تعالى (﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ أي سأدخله جهنم و ألزمه إياها و قيل سقر دركة من دركات جهنم و قيل باب من أبوابها ﴿ وَما أَدْراكَ ﴾ أيها السامع ما سَقَرُ في شدتها و هولها و ضيقها ﴿ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴾ أي لا تبقي لهم لحما إلا أكلته و لا تذرهم إذا أعيدوا خلقا جديدا ، وقيل ﴿ لا تُبْقِي ﴾ شيئا إلا أحرقته ﴿ وَلا تَذَرُ ﴾ أي لا إبقاء عليهم بل يبلغ

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٦٩

مجهودهم في أنواع العذاب ﴿ **لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ** ﴾ أي مغيرة للجلود و قيل لافحة للجلود حتى تدعها أشد سوادا من الليل ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾ من الملائكة هم خزنتها مالك و معه ثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف و أنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة تسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم .

وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكا فهم خزان سقر وللنار ودركاتها الآخر خزان آخرون ، وقيل إنما خصوا بهذا العدد ليوافق الخبر لما جاء به الأنبياء قبله وما كان في الكتب المتقدمة و يكون في ذلك مصلحة للمكلفين ، وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد إن تسعة عشر يجمع أكثر القليل من العدد وأقل الكثير منه لأن العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف فأقل العشرات عشرة وأكثر الآحاد تسعة ، قالوا و لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أتسمعون ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر و أنتم الدهم والشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ، قال أبو الأسد الجمحي أنا أكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري و سبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين فنزل ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً** ﴾ الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك ، ومعناه وما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها إلا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار و لم نجعلهم من بني آدم كما تعهدون أنتم فتطيقونهم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾)[1] .

وفي قوله تعالى (﴿ **لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ** ﴾ أي ليطرحن من وصفناه في

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٧١ - ٢٧٢

الحطمة وهي اسم من أسماء جهنم ، قال مقاتل وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ، ثم قال ﴿ **وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ** ﴾ تفخيما لأمرها ، ثم فسرها بقوله ﴿ **نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ** ﴾ أي المؤججة أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالإيقاد على الدوام ﴿ **الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ** ﴾ أي تشرف على القلوب فتبلغها ألمها وحريقها ، وقيل معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر خلاف نيران الدنيا ، ﴿ **إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ** ﴾ يعني أنها على أهلها مطبقة تطبق أبوابها عليهم تأكيدا للإياس عن الخروج ﴿ **فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ** ﴾ وهي جمع عمود ، وقال أبو عبيدة كلاهما جمع عماد قال وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، وقال مقاتل أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح و قال الحسن يعني عمد السرادق)[1] .

وفي قوله سبحانه (﴿ **سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ** ﴾ أي سيدخل نارا ذات قوة واشتعال تلتهب عليه و هي نار جهنم ﴿ **وَامْرَأَتُهُ** ﴾ و هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ﴿ **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** ﴾ كانت تحمل الشوك و الغضا فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة .

و قيل معناه حمالة الخطايا ﴿ **فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ** ﴾ أي في عنقها حبل من ليف وإنما وصفها بهذه الصفة تخسيسا لها وتحقيرا .

وقيل حبل تكون له خشونة الليف وحرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها و قيل في عنقها سلسلة من حديد طولها ﴿ **سَبْعُونَ ذِراعاً** ﴾ تدخل من فيها و تخرج من دبرها وتدار على عنقها في النار عن

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٧٨ .

ابن عباس وعروة بن الزبير ، وسميت السلسلة مسدا لأنها ممسودة أي مفتولة و قيل إنها كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ فتكون عذابا في عنقها يوم القيامة عن سعيد بن المسيب)[1] .

قال : وعن أمير المؤمنين عليه السلام (أن جهنم لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ أطباق بعضها فوق بعض)[2] .

(وعن ابن عباس أن الباب الأول جهنم والثاني سعير والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية ، اختلفت الروايات في ذلك كما ترى و هو قول مجاهد وعكرمة والجبائي قالوا إن أبواب النيران كإطباق اليد على اليد. والآخر ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة أبواب وهي سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون ذلك أن المنافقين ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾)[3] .

أقول : والذي أفهم أن لكل واحد من المستحقين العذاب من الكفار هذه المراتب السبعة ، لكن جهة ظهوره في مرتبته التي كان فيها أزيد وأكثر تكون أظهر ، فنسب إليه ذلك المقام كل بحسبه ، وأما كون طبقات النيران وأبوابها سبعة ، فلأجل أن للإنسان مراتب سبعة التي يعصي بها الإنسان ، بمعنى أنها صالحة للطاعة والمعصية : الروح ، النفس ، الطبيعة ، الهيولي ، المادة ،

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٧٩ .
(٢) بحار الانوار ٨ / ٢٤٥ .
(٣) بحار الانوار ٨ / ٢٤٦ .

المثال والجسم ، فهذه أمور سبعة وهي عوالم متعددة متكثرة بتعدد النيران والجنان ، فإذا أطاع العبد دخلت هذه المراتب كلها في عوالم الجنان ، وإذا عصى تكون في مراتب النيران ، فمراتب النيران تتحقق بتحقق هذه الأمور ، وإن شئت فلك أن تقول أن الإنسان له الحواس الخمس والقلب والصدر فهذه سبعة ، وهذه سبب كون أبواب النيران سبعة ، فتفطن .

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله (﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فوقوفهم على الصراط وأما ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ فبلغني والله أعلم أن الله جعلها سبع دركات أعلاها الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها ، و الثانية ﴿ لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ ، والثالثة ﴿ سَقَرُ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ، والرابعة ﴿ الْحُطَمَةُ ﴾ ومنها يثور شرر كالقصر كأنها جمالات صفر تدق كل من صار إليها مثل الكحل فلا يموت الروح كلما صاروا مثل الكحل عادوا ، والخامسة الهاوية فيها ملأ يدعون يا مالك أغثنا فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها وهو قول الله تعالى ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ ومن هوى فيها هوى سبعين عاما في النار كلما احترق جلده بدل جلدا غيره ، والسادسة هي السعير فيها ثلاث مائة سرادق من نار في كل سرادق ثلاث مائة قصر من نار في كل قصر ثلاث مائة بيت من نار في كل بيت ثلاث مائة لون من عذاب النار فيها حيات من نار وعقارب من نار وجوامع من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار وهو الذي يقول الله ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً ﴾ ، والسابعة جهنم

وفيها الفلق وهو جب في جهنم إذا فتح أسعر النار سعرا وهو أشد النار عذابا و أما ﴿ **صَعُوداً** ﴾ فجبل من صفر من نار وسط جهنم ، و أما ﴿ **أثاماً** ﴾ فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشد النار عذابا بيان الصفا جمع الصفاة وهي الحجر الصلب الضخم الذي لا ينبت والجوامع جمع الجامعة وهي الغل)[1] .

عن معاوية بن وهب قال (كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقرأ رجل ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ ، فقال الرجل وما الفلق قال صدع في النار فيه سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف أسود في جوف كل أسود سبعون ألف جرة سم لا بد لأهل النار أن يمروا عليها)[2] . انتهى .

أقول : لكل واحد من آحاد الناس له هذه كلها نعوذ بالله من سخط الله .

قال : عن علي عن أبيه عن الهروي قال (قلت للرضا عليه السلام أخبرني عن الجنة و النار أ هما اليوم مخلوقتان فقال نعم و إن رسول الله ص قد دخل الجنة و رأى النار لما عرج به إلى السماء قال فقلت له فإن قوما يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين فقال عليه السلام ما أولئك منا و لا نحن منهم من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله و كذبنا و ليس من ولايتنا على شيء وخلد في نار جهنم قال الله عز وجل ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾)[3] الخبر .

أقول : وجود الجنة والنار حق لا ريب فيه عقلاً ونقلاً ، أما النقل فقد قال

(١) بحار الانوار ٨ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) بحار الانوار ٨ / ٢٧٨

(٣) بحار الانوار ٨ / ٢٨٣ .

الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[1] يعني أن جهنم محيطة بالكافرين الآن ، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على وجود الجنة والنار ، وأما العقل فقد حكم على أن هذه الدنيا منتهى قوس النزول ومبدء قوس الصعود فيترقى إلى المراتب التي تنزل منها ، فهي موجودة قبل هذه الدنيا وهي مراتب الجنان .

وبالجملة فالجنة والنار الآن مخلوقتان لا يشك فيهما إلا من يشك في إيمانه ودينه ، لا يقال يلزم عدم وجود الجنة والنار على مذهب من ذهب إلى أن الجنان والنيران من شئونات المكلف ، بمعنى أن المثاب والمعاقب إنما يثاب ويعاقب بعمله ، فالجنان أعماله وكذلك النيران ، ويستشهدون على صحة ما ذهبوا إليه بظواهر الآيات وتنصيص الروايات .

كقوله ﷺ(إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[2] .

وقوله ﷺ (الجنة قيعان و إن غراسها سبحان الله و بحمده)[3] .

وقوله ﷺ (الدنيا مزرعة الآخرة)[4] .

فكما أن البذر وهو مادة للشجر بل هو الذي يظهر بعينه بعد انبساطه بصورة الشجرة وأغصانها وأوراقها وأثمارها ، لأن الشجرة ليست خارجة عن البذر ، بل هي البذر بعينها ، كذلك الأعمال والأخلاق فإنها مادة للجنة والنار ، ولذا قال تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[5] .

---

(١) العنكبوت ٥٤

(٢) بحار الأنوار ٣ / ٩٠ .

(٣) بحار الأنوار ٢ / ٢٢٩ .

(٤) عوالي اللآلي ١ / ٢٦٧ .

(٥) الزلزلة ٧ - ٨ .

فالجنة والنار إنما تتحقق بأعمال المكلف وأخلاقه وشئوناته أو أطواره وتطوراته ، فإذا كان ذلك كذلك فيلزم عدم وجود الجنة والنار بالنسبة إلى زيد الذي سيوجد بعد حين لأنه لم يكن موجوداً الآن ، وكذلك أعماله وأخلاقه التي تتفرع على وجوده فيلزم من ذلك عدم القول بوجود الجنة والنار ، وهو مخالف لضرورة الدين ، مع أن القائلين بذلك يزعمون أنهم مسلمون بل من أجلاء أهل الإسلام ، لأنا نقول ، الذين ذهبوا إلى أن الجنة والنار هي أعمال المكلف لم يذهبوا إلى أن الجنة والنار معدومتان ، بل يصرحون بوجودهما الآن ، ويقولون أن الله عز وجل لم يفقد شيئاً من الأشياء في رتبة زمانه ومكانه لأنه سبحانه لو كان فاقداً ثم أوجد لزمه الانتقال من حال إلى حال ، لتغاير حال الوجدان والفقدان ، ولذا قال عليه السلام (ولا كان خلوا من الملك قبل إنشائه الملك)[1] وإن زيداً الذي هو معدوم عندنا ليس بمعدوم عند الله ، بل هو موجود متعين متميز عن غيره في ملك الله سبحانه ، وكذلك أعماله وأخلاقه ، فهو موجود عند الله بحكم جفاف القلم بما هو كائن ، لكن لما كنا ضامرين في بحر الزمان ولم نصعد إلى أقصى مراتب الأكوان ، لنشاهد الأعيان على ما كان قسمنا الأشياء على قسمين وسميناه الأشياء الكائنة عندنا بالكوني ، والتي لم يكن عندنا بالإمكاني ، وليس لله سبحانه هذه الحالات لأنه لا ينظر ولا يستقبل ، فكل الأشياء هي موجودة عنده وكائنة لديه ، ولذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (قال جف القلم بما فيه)[2] فهو عند الله بحكم الجفاف ، وعندنا فهو طري في كل آن ، فالجنة والنار مخلوقتان وداخلتان في ملك الله .

والنبي صلى الله عليه وآله دخل الجنة ورأى النيران في ليلة المعراج ، وتشهد على وجودهما مشاهدة أهل الكشف والعيان ، والعارفون بالله يشاهدون الجنة والنار في كل آن .

---

(١) بحارالأنوار ٢٨ / ٢٤٢
(٢) علل الشرائع ٢ / ٣٤٨

قـال : وعن أحـدهمـا أن أهل النار يموتون عطاشى ويدخلون عطاشى ، فيدفع لهم قراباتهم من الجنة ، فيقولون : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله تعالى .

أقول : إن أهل النار يأكلون ويشربون عند الموقف للحساب حتى يفرغوا من الحساب لكن كلما أكلوا ازداد جوعهم ، وكلما شربوا ازداد عطشهم فيدخلون النار عطاشى ، وذلك قوله عليه السلام في حديث طويل (ثم يدخل عليه ملك من خزان جهنم يقال له سحقطائيل فيسقيه شربة من النار لا يزال منها عطشانا حتى يدخل النار)[1] . الحديث .

فإذا دخلوا جهنم يسقون من الغسلين والصديد (عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال و الذي نفس محمد بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين و لما أطاقته فكيف بمن هو شرابه والذي نفسي بيده لو أن مقماعا واحدا مما ذكره الله في كتابه وضع على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين و لما أطاقته فكيف بمن يقع عليه يوم القيامة في النار)[2] الحديث .

(قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿ **مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ** ﴾ قال ما يخرج من فروج الزواني قوله ﴿ **يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ** ﴾ قال يقرب إليه فيكرهه و إذا أدني منه شوي وجهه و وقعت فروة رأسه فإذا شرب قطعت أمعاؤه ومزقت تحت قدميه وإنه ليخرج من أحدهم مثل الوادي صديدا وقيحا ثم قال وإنهم ليبكون حتى تسيل دموعهم على وجوههم جداول ثم ينقطع الدموع فيسيل الدماء حتى لو أن السفن أجريت فيها لجرت وهو قوله ﴿ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾)[3] .

---

(١) الاختصاص ٣٥٩

(٢) بحارالأنوار ٨ / ٣٠٢

(٣) بحارالأنوار ٨ / ٢٨٨

قال : وفي السورة النورانية أن جهنم سبع طبقات فيها نيران تأكل بعضها بعضاً ، وفي كل منها سبعون ألف واد من النار ، وفي كل واد سبعون ألف شعب من النار وفي كل شعب سبعون ألف مدينة من النار ، وفي كل مدينة سبعون ألف قصر من النار ، وفي كل قصر سبعون ألف واد من النار وفي كل واد سبعون ألف بيت من النار وفي كل بيت سبعون ألف بئر من النار وفي كل بئر سبعون ألف تابوت من النار ، وفي كل تابوت سبعون ألف شجرة من الزقوم ، تحت كل شجرة سبعون ألف قدر من النار ، مع كل قدر سبعون ألف وقد من النار ، مع كل وقد سبعون ألف سلسلة من النار ، وكل سلسلة سبعون ألف ثعبان من النار ، طول كل ثعبان سبعون ألف ذراع، وفي جوف كل ثعبان بحر من السم الأسود ، ولكل عقرب سبعون ألف ذنب من النار ، طول كل ذنب سبعون ألف ذراع، في كل ذنب سبعون ألف فقار، وفي كل فقار سبعون ألف رطل من السم الأحمر ، إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على شدة تأثير النار وحرها ينجنا الله منها بفضله ونواله بحق خير خلقه محمدٍ وآله .

أقول : الأخبار كثيرة في هذا المعنى أعرضنا عن إيرادها خوفاً من التطويل ، ولكن نذكر فائدة تبين خلود الكفار في النار واشتداد آلامهم ، فاعلم أنه قد قال صاحب الفتوحات مميت الدين بن عربي (يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله وأهل النار بعدل الله ، وينزلون فيهما بالأعمال ويخلدون فيهما بالنيات ، فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازياً بالمدة العمر في الشرك في الدنيا ، فإذا فرغ آلام الأمد جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها بحيث أنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة الطبع الذي

جبل عليهم ، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير ، وما فيها من أنواع الحيات والعقارب كما يتلذذ أهل الجنة بالظلال والنور ولثم الحسان من الحور ، لأن طبائعهم تقتضي ذلك ، ألا ترى أن الجعل على طبيعة يتضرر بريح الورد ويلتذ بالنتن ، والمحرور من الإنسان يتألم بريح المسك واللذات تابعة للملائم ، والآلام تابعة لعدم) .

ونقل في الفتوحات أيضاً عن بعض أهل الكشف قال أنهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى أحد من الناس البتة ، وتبقى أبوابها تصطفق ، وينبت في قعره الجرجير ، ويخلق لها أهلاً يملأها .

قال القصيري في شرح الفصوص (واعلم أن من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أن العالم بأسره عباده ليس لهم وجود وصفة وقوى إلا بالله وحوله وقوته ، ولكنهم محتاجون إلى رحمته وهو الرحمن الرحيم ، ومن شأن من هو موصوف بهذه الصفات ألا يعذب أحداً عذاباً أبداً ، وليس ذلك المقدار أيضاً إلا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدر لهم كما يذاب الذهب والفضة بالنار لأجل الخلاص مما يكدره وينقص عياره ، فهو متضمن لعين اللطف كما قيل :

وتعذيبكم عذب وسخطكم رضى
وقطعكم وصل وجوركم عدل

انتهى .

أقول : فضلاً عن أن هذا الكلام مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، وضرورة الدين ينادي بعدم فهم صاحبه لشيء ، لأن الدليل دل على أن أهل النار يخلدون في النار ويسرمد عليهم العذاب ، فيزداد آلامهم في كل آن ، وليس مخالفاً للرحمة بل هو عين الرحمة الواسعة ، لأن مقتضى الرحمة

الواسعة إعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه ، فهو يمد الخلق ويعطيهم بالرحمة الواسعة بمقتضى قابلياتهم وألسنة استعدادهم ، فقابلية الكافر سئل عن الله الخلود في النار واشتداد ألمه ، وهو سبحانه أعطاه فإن التعذيب ليس إلا لإيصال العمل بالعامل ، وما عمله الكافر على خلاف رضى الله سبحانه ، وما هو على خلاف رضى الله لابد وأن يكون عين سخطه ، ولا واسطة بينهما فيعذب الكافر بعمله ، وعمله لا ينعدم أصلاً لأن كلما دخل في ساحة الوجود لا يخرج منها أبداً ، وذلك العمل لابد وأن يتجدد في كل آن لما أثبتنا من أن الممكن يحتاج دائماً إلى مدد جديد ، وإلا فيضمحل وينعدم ، وكلما يتجدد ذلك العمل يتقوى فيشتد العذاب ، وهكذا إلى ما لا نهاية له فيعذب الكافر إلى ما لا نهاية له ، ويشتد عذابه في كل آن ، فإذا عرفت ذلك عرفت بطلان قولهم : فإذا فرغ آلام الأمد جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها بحيث أنهم لو دخلوا الجنة تألموا .

نعم هذا الكلام يتجه إن لم نقل بتجدد المدد ، وقد عرفت أن المدد يتجدد في كل آن فلا تبقي تلك الطبيعة على حالة واحدة أبداً ، وإذا أتقنت ما بيناه اتضح لك الأمر ، ولا قوة إلا بالله .

وبالجملة ، يشتد عذاب أهل النار في كل آن بمقتضى تجدد المدد كما أن أهل الجنة يزداد نعيمهم في كل آن بمقتضى تجدد المدد ، بل الذي يقال أن ما من الله في إيصال المدد واحد ، وذلك الفيض الوحداني يتحدد بحدود المشخصات والقوابل ، فيظهر لأهل الجنة ذلك الفيض بالنعيم ، ويظهر لأهل النار بالعذاب ، ولنعم ما قيل :

أرى الإحسان عند الحر ديناً
وعند النذل منقصة وذماً
كقطر الماء في الأصداف در
وفي بطون الأفاعي صار سماً

فكما أن الماء النازل من السحاب واحد فيكون دراً في الصدف بمقتضى القابلية ، وسماً في بطن الأفاعي بمقتضى استعدادها ، وكذلك الفيض الواصل إلى الخلق يكون نعيماً لأهل الجنة وعذاباً لأهل النار ، فتفطن .

وما قال القيصري : وليس ذلك المقدار أيضا إلا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدر لهم كما يذاب الذهب والفضة بالنار لأجل الخلاص مما يكدره . . إلخ .

فهو مثال العصاة من الشيعة لأجل الخلط واللطخ العرضيين ، فبمقدار ذلك اللطخ يعذبون ثم يخرجون إلى الجنة ، فافهم .

وأما قول أهل الكشف فهو باطل رأساً ، لأن هذا الكشف من طريق الشيطان ومن وحيه لمخالفته للكشف الحقيقي .

المقام الخامس

قال المقام الخامس في بيان أحوال الناجين الفائزين الذين زحزحوا عن النار من أهل الأعراف وأهل الجنة بمراتبها ، أما الأعراف قال الله في حقه ﴿وَعَلَى الأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَنادى أَصْحابُ الأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾[2] وفسر الرجال في الأخبار بالأئمة ، والأعراف بالصراط بين الجنة والنار كالتفسير بالأئمة حيث لا يدخل الجنة إلا من عرفهم كما فسره بعض السور بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بمن استوت الحسنات والسيئات ، فإن أدخلهم الله الجنة فبرحمته وإن عذبهم لم يظلمهم ، وروي (بأن الله تعالى يسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقوا بأعمالهم الحسنة الثواب من غير عقاب و لا استحقوا الخلود في النار و هم المرجون لأمر الله و لهم الشفاعة و لا يزالون على الأعراف حتى يؤذن لهم في دخول الجنة بشفاعة النبي وأمير المؤمنين و الأئمة من بعده ﷺ وقيل أيضا إنه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلفين فيستحقون بأعمالهم جنة ونارا فيسكنهم الله تعالى ذلك المكان يعوضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون منازل أهل الثواب المستحقين له بالأعمال)[3] والله العالم بحقائق الأحوال .

أقول : إن لنا كلاماً عجيباً في بيان الأعراف والرجال ، وكذلك في بيان حقيقة الجنة والنار ، ولقد أردنا أن نذكر شيئاً في بيانهما عرض لنا بعض الموانع فأمسكنا ، ما كلما يتمنى المرء يدكه ، الريح تجري بما لا تشتهي السفن ، فلعروض الموانع أقبضنا العنان وأمسكنا البيان ، ولنذكر ما قال صاحب الكتاب في بيان الجنان من دون شرح وتبيان .

(١) الأعراف ٤٦
(٢) الأعراف ٤٨
(٣) بحار الأنوار ٨ / ٣٤٠

قال: وأما أهل الجنة فقد قال الله في حقهم ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] وقال تعالى ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[4] وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[5] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[6] وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7] وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴾[8] وقال تعالى ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾[9]

---

(١) البقرة ٢٥
(٢)التوبه ٧٢
(٣)يونس ١٠- ٩
(٤)الرعد ٢٥-٢٤
(٥)الرعد ٢٩
(٦)الحجر٤٨- ٤٥
(٧)النحل ٣٢-٣١
(٨) الكهف ٣١
(٩) الحج ٢٣-٢٤

وقال تعالى ﴿ فَأُولئكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ هُمْ وَأَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَواكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ (٥) وقال تعالى ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْها تَأْكُلُونَ ﴾ (٦) وقال تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (٧) وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٨) وقال تعالى ﴿ وَأَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٩) وقال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ذَواتا أَفْنانٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ فَبِأَيِّ آلاءِ

(١) سبأ ٣٧
(٢) يس ٥٥-٥٨
(٣) الصافات ٤١-٤٩
(٤) غافر ٤٠
(٥) فصلت ٣١-٣٢
(٦) الزخرف ٧٠-٧٣
(٧) محمد ١٥
(٨) الطور ١٧
(٩) الطور ٢٢-٢٤

رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَالْمَرْجانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ مُدْهامَّتانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ ﴾[٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في السورة النورانية أن للمطيعين الجنان بأبوابها الثمانية، في كل جنة سبعون ألف روضة من الزعفران وفي كل روضة سبعون ألف مدينة من اللؤلؤ والمرجان وفي كل مدينة سبعون ألف قصر من الياقوت وفي كل قصر سبعون ألف واد من الزبرجد وفي كل واد سبعون ألف بيت من الذهب وفي كل بيت سبعون ألف دكان من الفضة وفي كل دكان سبعون ألف مائدة، وعلى كل مائدة سبعون ألف صفحة من الجواهر وفي كل صفحة سبعون ألف لون من الطعام وعلى كل دكان سبعون ألف سرير من الذهب الأحمر، وإلى كل سرير سبعون ألف نهر من ماء الحيوان واللبن والخمر والعسل المصفى، وفي وسط كل نهر سبعون ألف لون من الثمار، كذلك في كل بيت سبعون ألف خشمة من الأرجوان وعلى كل فراش حور من الحور العين بين يديها سبعون ألف وصيفة كأنهم بيض مكنون وعلى فراش كل قصر من تلك القصور سبعون ألف قبة من الكافور، وفي كل قبة سبعون ألف هدية من الرحمن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءاً بما كانوا يعملون، لا يموتون فيها ولا يخرجون ولا يعطشون ولا يهرمون، ولا

---

(١) الرحمن ٤٨-٧٢

يحزنون ولا يبكون ولا يتعبدون ولا يصلون ولا يصومون، ولا يمرضون ولا يتغوطون، ولا يمسهم فيها نصب وما هم عنها بمخرجين، ونحو ذلك من الأخبار الواردة في هذا الباب مثل ما روي عن رسول الله ﷺ (إِنَّ سُورَ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَ لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتٍ وَمِلاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ وَشُرَفُهَا الْيَاقُوتُ الأَحْمَرُ وَالأَخْضَرُ وَالأَصْفَرُ)[1] ، الخبر .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام (إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل عتاق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث و لا تبول فيركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاءوا)[2] .

وعن أبي بصير (قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك يا بن رسول الله شوقني فقال: يا أبا محمد إن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام وإن أدنى أهل الجنة منزلا لو نزل به الثقلان الجن والإنس لوسعهم طعاما وشرابا ولا ينقص مما عنده شيء وإن أيسر أهل الجنة منزلة من يدخل الجنة فيرفع له ثلاث حدائق فإذا دخل أدناهن رأى فيها من الأزواج والخدم الأنهار والثمار ما شاء الله فإذا شكر الله و حمده قيل له ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية ففيها ما ليس في الأولى فيقول يا رب أعطني هذه فيقول لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول رب هذه هذه فإذا هو دخلها و عظمت مسرته شكر الله و حمده قال فيقال افتحوا له باب الجنة و يقال له ارفع رأسك فإذا قد فتح له باب من الخلد و يرى أضعاف ما كان فيما قبل فيقول عند تضاعف مسراته رب لك الحمد الذي لا يحصى إذ مننت علي بالجنان و أنجيتني من النيران فيقول رب أدخلني الجنة و أنجني من النار قال أبو بصير فبكيت وقلت له جعلت فداك زدني قال يا أبا محمد إن في الجنة نهرا في حافتيها جوار نابتات إذا مر المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبت الله مكانها أخرى قلت جعلت

(١) من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٥٩

(٢) الأمالي للصدوق ٢٩١

فداك زدني قال المؤمن يزوج ثمان مائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وزوجتين من الحور العين قلت جعلت فداك ثمان مائة عذراء قال نعم ما يفترش منهن شيئا إلا وجدها كذلك قلت جعلت فداك من أي شيء خلقن الحور العين قال من الجنة ويرى مخ ساقيها من وراء سبعين حلة قلت جعلت فداك أ لهن كلام يتكلمن به في الجنة قال نعم كلام يتكلمن به لم يسمع الخلائق بمثله قلت ما هو قال يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن خلق لنا وطوبى لمن خلقنا له نحن اللواتي لو علق إحدانا في جو السماء لأغنى نورنا عن الشمس والقمر لو أن قرن إحدانا علق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار)[1] .

وعنه عليه السلام عن علي عليه السلام قال (إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيون و الصديقون و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون و خمسة أبواب يدخل منها شيعتنا و محبونا فلا أزال واقفا على الصراط أدعو و أقول رب سلم شيعتي و محبي و أنصاري و من تولاني في دار الدنيا فإذا النداء من بطنان العرش قد أجيبت دعوتك و شفعت في شيعتك و يشفع كل رجل من شيعتي و من تولاني و نصرني و حارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه و أقربائه)[1] .

اللهم ارزقنا كل ذلك .

قد تمت الرسالة بعون الله على سبيل العجالة في سنة ١٢٤١ هـ ، وقد فرغ من شرحها مؤلفها الأحقر الأفقر ابن علي القراجه داغي الحسن الشهير بكوهر ، في يوم الأحد رابع عشر من شهر رجب المرجب من شهور سنة ١٢٤٢ هـ حامداً مصلياً مستغفرا .

(١) بحارالأنوار ٨ / ١٢٠
(٢) الخصال ٢ / ٤٠٧

تم الفراغ من إعداد و مراجعة وتدقيق هذا الكتاب المستطاب من قبل لجنة السيد الأمجد لإحياء تراث الشيخ الأجل الأوحد والمشايخ العظام أعلى الله كلمتهم في عصر يوم الثلاثين من شهر ذي الحجة الحرام للسنة الثانية والعشرون بعد الأربعمائة والألف للهجرة النبوية على مهاجرها و آله آلاف التحية والثناء والسلام ، وتهدي هذه اللجنة هذا العمل لروح المولى المقدس المرجع الراحل الإمام المصلح والعبد الصالح المقدس المسدد آية الله العظمى الحاج ميرزا حسن الإحقاقي الحائري أعلى الله مقامه وأنار في الدارين أعلامه ، كما تسأل من الله العلي القدير أن يمد في عمر مرشدها و مربيها مرجعها وملاذها ذخرها وذخيرتها لدنياها و آخرتها خادم الشريعة الغراء و محيي أعلام المدرسة الأوحدية السمحاء آية الله المعظم المولى الحاج ميرزا عبدالرسول الإحقاقي الحائري دامت بركاته ، فنسأل من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل المتواضع بأحسن القبول ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا ، وصلى الله على محمد و آله الطاهرين.

المحتويات



من تأليفات

العالم الرباني والحكيم الإلهي الفقيه الصمداني
وحيد العصر والزمن المولى الميرزا حسن الشهير بگوهر

طبع بأمر وإشراف

المرجع الديني الكبير آية الله المعظم
خادم الشريعة الغراء المولى الحاج ميرزا عبد الرسول الأحقاقي
دام ظله العالي

إعداد ومراجعة وتدقيق

لجنة السيد الأمجد لإحياء تراث مدرسة
الشيخ الأوحد الأحسائي والمشايخ العظام أعلى الله كلمتهم

الطبعة الثانية

لجنة النشر والتوزيع

جامع الإمام الصادق عليه السلام - دولة الكويت